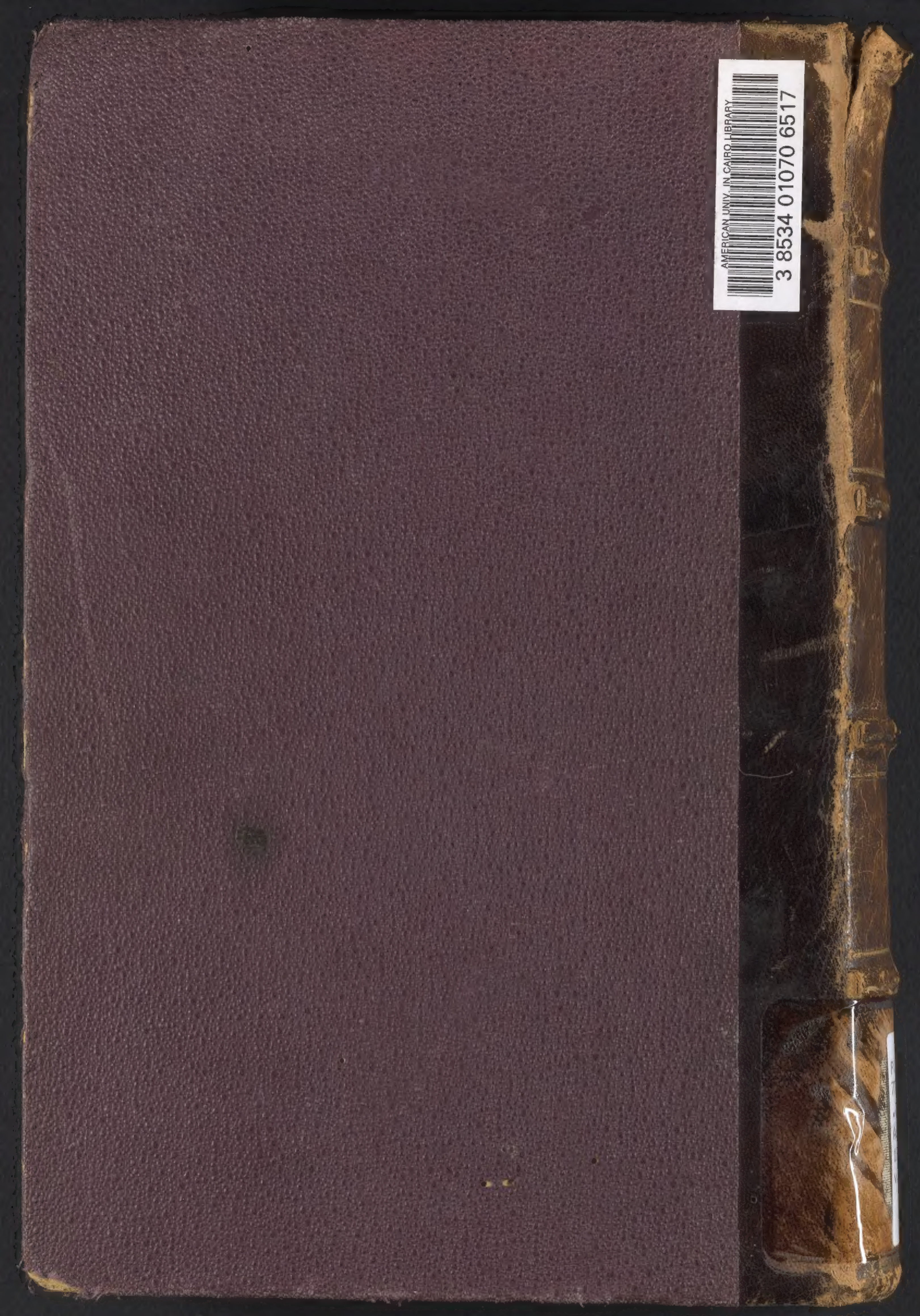
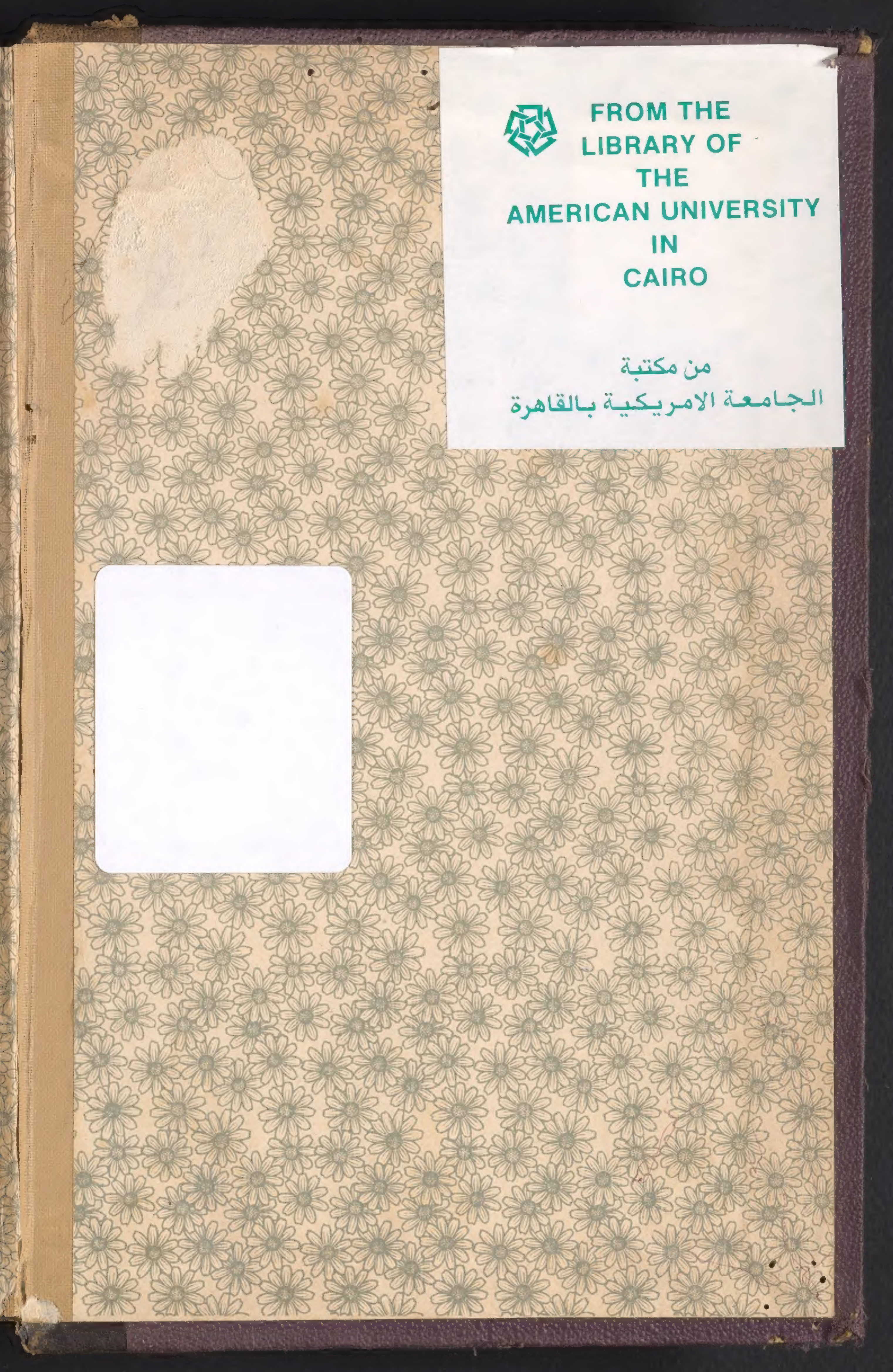
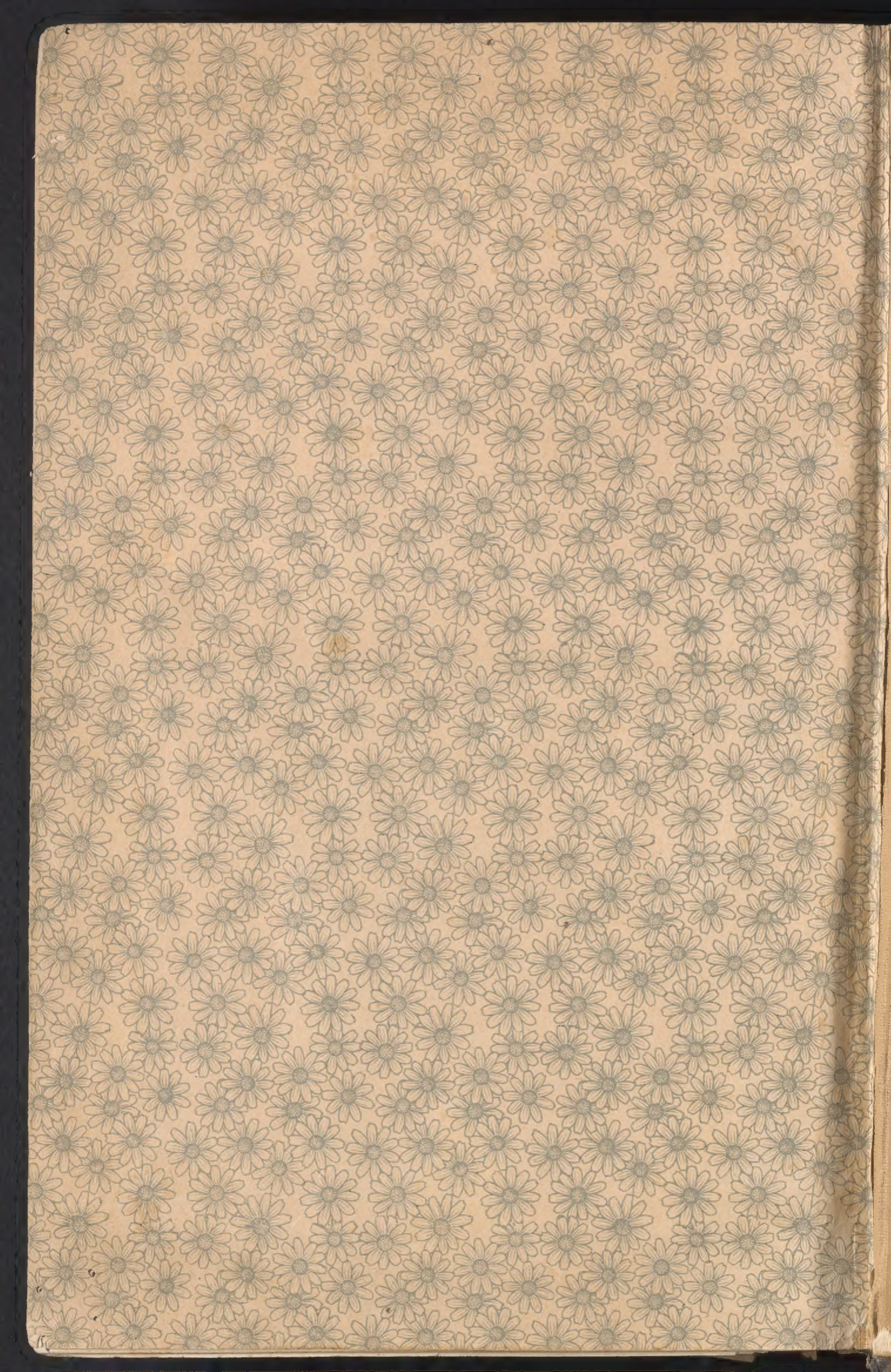

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01070 6517


FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO
من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



# البيان والتبيين



لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المتوفى بالبصرة فى المحرم سنة ٢٥٥ هـ

سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهى « أدب الكاتب لابن قتيبة » و « كتاب الكامل للمبرد » و « كتاب البيان والتبيين للجاحظ » و « كتاب النوادر لابى على القالى » وماسوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها

ابن خلدون

## الجزء الأول

وقف على طبعه

محب الدين الخطيب

المحرر بجريدة المؤيد

طبع على نفقة محمود توفيق الكتبي

القاهرة

١٣٣٢

« مطبعة الفتوح الادبيه ـ بمصر »

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وسلم

عونك اللهم وتيسيرك

اللهم إنّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل . ونعوذ بك من التكلُّف لما لا نُحسِن كما نعوذُ بك من العُجْبِ بما نُحسن. ونعوذ بك من السَّلاطة (١) والهَذَر (٢) كما نعوذ بك من العيِّ (٣) والحَصَر (٤)

وقديماً مّا تعوّذوا بالله من شرّهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما

وقد قال النَّمِر بن تولبٍ :

أعِذني ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفْس أعالجها عِلاجا

وقال الهُذَلى :

ولا حَصِرٌ بخطبتـهِ اذا ما عَزّتِ الخُطَبُ

وقال مكيّ بن سوادة :

حَصِرٌ مُسهِبٌ جَرِيءٌ جبانٌ خيرُ عِيِّ الرجالِ عِيُّ السُّكوتِ

وقال الآخر :

مليءٌ ببُهْرٍ (٥) والتـفات وسَعلةٍ ومَسحةِ عُثْنونٍ (٦) وفتلِ الاصابع

ومما ذمّوا به العيَّ قوله :

وما بيَ من عيٍ ولا أنطقُ الخَنا اذا جمعَ الأقوامَ فى الخَطبِ مَحفِلُ

وقال الراجز وهو يمتَح (٧) بدَلوِهِ :

---

١ بذاءة اللسان وحدته ٢ الافراط فى الكلام ٣ ضد البيان ٤ ضيق الصدر عن النطق ٥ تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء ٦ اللحية ٧ متح الماء نزعه

علقتَ (١) ياحارِثُ عندَ الوِرْدِ (٢) بجابئٍ (٣) لا رَفِلِ (٤) التردِّي (٥)
ولا عيِّ بابتناء المجدِ

وهذا كقول بَشَّار الاعمى :

وعيُّ الفِعال كعيِّ المَقالِ وفى الصمتَ عِيٌّ كعيِّ الكَلِمْ

وهذا المذهب شبيه بما ذهب اليه شُتَيم بن خُوَيلد فى قوله :

ولا يشعبون (٦) الصَّدْعَ (٧) بعد تفاقمٍ (٨) وفى رِفقِ أيديكم لذى الصدعِ شاعبُ

وهذا كقول زيان بن سيار :

ولسنا كأقوام أجدُّوا رياسةً يُري مالُها ولا يُحَسُّ فِعالُها
يُرِيغون (٩) فى الخِصْبِ الامورَ ونفعُهم قليلٌ اذِ الاموالُ طال هُزالُها (١٠)
وقُلنا بلا عيٍّ وسُسْنا بطاقةٍ اذِ النارُ نارُ الحربِ طال اشتعالُها

لانهم يجعلون العجز والعى من الخرق كانا فى الجوارح أو فى الالسنة . وقال ابن أحمر الباهلى :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لى بالعلم بعدَ تدبُّرِ الأمرِ

وقالوا فى الصمت كقولهم فى المنطق . قال أحيحة بن الجلاج :

والصَّمتُ أحسنُ بالفتى مالم يكنْ عيٌّ يَشينُه (١١)
والقولُ ذو خطَلٍ إذا مالم يكنْ لُبٌّ يُعِينُه

وقال محرز بن علقمة :

لقد وارى المقابرُ من شريكٍ كثيرَ تحلُّمٍ وقليلَ عاب (١٢)
صَمُوتاً فى المجالس غيرَ عَيٍّ جديراً حين ينطِقُ بالصَّوابِ

وقال مكى بن سوادة :

تَسلَّمَ بالسُّكوتِ منَ العُيوبِ فكان السَّكتُ أجلبَ للعيوبِ

---

١ أحببت ٢ الاشراف على الماء ٣ القادم فجأة ٤ لاجاهل ٥ السقوط فى البئر ٦ لايصلحون
٧ الشق ٨ تعاظم ٩ يطلبون ١٠ ضعفها ١١ يعيبه ١٢ عيب

وَيرتجل الكلامَ وليسَ فيه ... سوى الهَذيانِ من حَشد[1] الخطيبِ

وقال آخر :

جمعتَ صنوفَ العِيّ من كل وجهةٍ ... وكنتَ حَرِيا بالبلاغةِ من كَثَبْ

أبُوكَ مُعِمّ[2] في الكلام ومُخْوِلٌ[3] ... وخالكَ وثَّابٌ[4] الجراثيم[5] في الخُطَبْ

وقال حُميد بن ثور الهلالى :

أتانا ولم يَعدِله سَحبانُ وائلٍ ... بياناً وعلماً بالذى هو قائلُ

فما زال عنه اللَّقمُ[6] حتى كأنَّهُ ... من العِيّ لمَّا أن تكَلَّمَ باقِلُ

سَحبان مثلٌ فى البيان وباقلٌ مثل فى العِيّ ولهما أخبار . وقال آخر :

ماذا رُزِئنا منكِ أمَّ الأسْودِ ... من رَحب الصَّدْرِ وعقلٍ[7] مُتلِدِ[8]

وهى صَناعٌ[9] باللسان واليد

وقال آخر :

لو صُحبتَ شهرين دأْباً لم تَملّ ... وجعلتَ تُكثِرُ قولَ لا وبَلْ

حبُّكَ للباطلِ قِدماً قد شَغَلْ ... كسبَكَ عنْ عيالِنا قلتُ أجَلْ

تَضجُّراً مني وعيّاً بالحِيَلْ

قال وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسىّ أىّ شىء أستر للعى . قال عقل يجمله . قالوا فان لم يكن له عقل . قال فمال يستره . قالوا فان لم يكن له مال . قال فاخوان يعبرون عنه . قالوا فان لم يكن له اخوان يعبرون عنه . قال فيكون ذا عى وصمت . قالوا فان لم يكن ذا صمت . قال فموت وحىّ (١٠) خير له من أن يكون فى دار الحياة

وسأل الله موسى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته والابانة عن حجته والافصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التى كانت فى لسانه والحبسة التى كانت فى بيانه « واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى » وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب واستراحته الى كل شغب ونبهنا بذلك على

---

١ جمع ٢ كريم العم ٣ كريم الخال ٤ صيغة مبالغة من وثب أى قفز ٥ الاصول ٦ لقم الطريق وغيره لقما : سد فمه ٧ الدية ٨ ماولد عندك من مالك ٩ حاذقة أوماهرة فى العمل ١٠ الموت المسرع

مذهب كل جاحد معاند وعلى كل مختال مكايد حين خبرنا بقوله « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » وقال موسى عليه السلام « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردءاً يصدقنى » وقال « و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى » رغبة منه فى غاية الافصاح بالحجة والمبالغة فى وضوح الدّلالة لتكون الاعناق اليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس اليه أسرع وان كان قد ياتى من وراء الحاجة و يبلغ أفهامهم على بعض المشقة . ولله عز وجل أن يمتحن عباده بما شاء من التخفيف والتثقيل و يبلو أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب ولكل زمان ضرب من المصلحة ونوع من المحنة وشكل من العبادة. ومن الدليل على أن الله عز وجل حل تلك العقدة وأطلق ذلك التعقيد والحبسة قوله « رب اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى » الى قوله « قد أوتيت سؤلك ياموسى » فلم تقع الاستجابة على شىء من دعائه دون شىء لعموم الخير . وسنقول فى شان موسى عليه السلام ومسالته فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وذكر الله تعالى جميل بلائه فى تعليم البيان . وعظيم نعمته فى تقويم اللسان . فقال « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » وقال « هذا بيان للناس » ومدح القرآن بالبيان والافصاح . وبحسن التفصيل والايضاح . وبجودة الافهام . وحكمة الابلاغ . وسماه فرقانا . وقال عربى مبين . قال « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا » وقال « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقال «وكل شىء فصلناه تفصيلا »

وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق ورجاحة الاحلام وصحة العقول . وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر ومن بلاغة الالسنة واللدد عند الخصومة فقال « اذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد » وقال «لتنذر به قوما لدّا» وقال « ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام» وقال « أآلهتنا خير أم هو . ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون » ثم ذكر خلابة ألسنتهم واستمالتهم الاسماع بحسن منطقهم فقال « وان يقولوا تسمع لقولهم » ثم قال « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا » مع قوله « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » وقال الشاعر فى قوم يحسنون فى القول و يسيؤن فى العمل قال أبو حفص أنشدنى الاصمعى للمكعبر الضبى :

كسالى إذا لاقيتهم غير منطق … يلهى[١] به المحروب[٢] وهو عناء

وقيل لذوهان ماتقول فى خزاعة . قال جوع وأحاديث . وفى شبيه بهذا المعنى قال أفنون بن صريم التغلبي :

لو أنني كنتُ من عادٍ ومن إرَمِ … غَذِيَّ قيل[٣] ولُقمانٍ وذي جدَنِ[٤]

لَما وقوا بأخيهم من مُهَوَّلةٍ … أخا السكونِ ولا حادُوا عن السَّنَنِ

أنَّي جزَوْا عامراً سُوءاً بفعلهمِ … أم كيف يجزونني السوأي من الحسنِ

أم كيفَ ينفعُ ماتعطي العلوق بهِ … رئمان أنف اذا ماضَنَّ باللبنِ

ورئمان أصله الرقة والرحمة. والرؤم أرق من الرؤف . فقال رئمان أنف كانها تبر ولدها بانفها وتمنعه اللبن

ولان العرب تجعل الحديث والبسط والتانيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الاكرام . وقالوا تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة . وقال شاعرهم وهو حاتم الطائى :

سلى الجائعَ الغرثانَ يا أمَّ منذرٍ … إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

هل أبسطُ وجهي انه أول القِري … وأبذلُ معروفي له دون منكري

وقال الآخر :

انك يا ابنَ جعفر خيرُ فتى … وخيرهم لطارقٍ اذا أتى

وربَّ نِضوٍ طرَقَ الحيَّ سُري … صادَفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

ان الحديثَ جانبٌ من القِرَى

وقال الآخر :

لحافي لحافُ الضيفِ والبيتُ بيتهُ … ولم يُلهِني عنهُ غزال مقنَّعُ

أُحدِّثه ان الحديثَ منَ القِرَى … وتعلم نفسي أنهُ سوفَ يهجعُ

---

١ يعلل بتشديد اللام المفتوحة ٢ المسلوب ماله ٣ الملك ٤ هو علس بن يشرح بن الحارث بن حيفى بن سبأ جد بلقيس ، وهو أول من غنى باليمن ، والجدن حسن الصوت

ولذلك قال عمرو بن الاهتم:

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً  فهذا مَبيت صالحٌ وصديقُ

وقال الآخر:

أُضاحكُ ضَيفى قبلَ انزالِ رحلِه  ويخصبُ عندى والمحلُّ جَديبُ

وما الخِصبُ للأضيافِ أن يَكثُرَ القِرى  ولكنّما وجهُ الكريم خَصيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب « أم تأمرهم أحلامهم بهذا » وقال « فاعتبروا ياأولى الالباب » وقال « أنظر كيف ضربوا لك الامثال » وقال « وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » وعلى هذا المذهب قال « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم » وقد قال الشاعر:

يتقارضُونَ اذا التَقوا فى مَوقفٍ  نَظراً يُزيلُ مَواقعَ الأقدامِ

وقال تبارك وتعالى « وما أرسلنا من رسولٍ الا بلسان قومه ليبين لهم » لان مدار الامر على البيان والتبيين وعلى الافهام والتفهيم . وكلما كان اللسانُ أبينَ كان أحمدَ كما أنه كلما كان القلبُ أشدَّ استبانة كان أحمدَ . والمفهم لك والمتفهِّم عنك شريكان فى الفضل . الا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم . هكذا ظاهر هذه القضية وجمهور هذه الحكومة الا فى الخاص الذى لايذكر والقليل الذى لايشهر . وضرب الله مثلا لعى اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى « أومن ينشَّؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » ولذلك قال النمر بن تولب:

وكلُّ خليلٍ عليهِ الرِّعاثُ (١)  والحُبلاتُ (٢) ضعيفٌ مَلِقُ

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة باعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة . والناس لايعيِّرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمون الحصر ويؤنبون العى . فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التانيب . ومماتنةُ العىّ الحصر للبليغ المصقع فى سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق . وأحدهما ألوم من صاحبه والالسنة

---

١ جمع رعثة وهى القرط ٢ جمع حبلة بضم أوله وهو ضرب من الحلى يجعل فى القلائد

اليه أسرع . وليس اللجلاج (١) والتمتام (٢) والالثغ (٣) والفأفاء (٤) وذو الحبسة (٥) والحُكْلة (٦) والرُّتَّة (٧) وذو اللفف (٨) والعجلة فى سبيل الحصر فى خطبته والعى فى مناضلة خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكىء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار

ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق (٩) والتقعير (١٠) والتقعيب (١١) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد أعذر من عى يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لاهل الاعتياد والدربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف و بيانا يمازجه التزيد الا أن تعاطى الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطى البليغ الخطيب ومن تشادق الاعرابى القح . وانتحال المعروف ببعض الغزارة فى المعانى والالفاظ وفى التحبير والارتجال أنه البحر الذى لاينزح والغمر الذى لا يسبر أيسر من انتحال الحصر المنخوب (١٢) أنه فى مسلاخ (١٣) التام الموفر والجامع المحكك وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال « اياى والتشادق » وقال « أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون » وقال « من بدا جفا » وعاب الفدّادين (١٤) والمتزيدين فى جهارة الصوت وانتحال سعة الاشداق ورحب الغلاصم وهدل (١٥) الشفاه وأعلمنا أن ذلك فى أهل الوبر أكثر وفى أهل المدر أقل فاذا عاب المدرى بأكثر مما عاب به الوبرى فما ظنك بالمولد القَروى والمتكلف البلدى فالحصر المتكلف والعى المتزيد ألوم من البليغ المتكلف لاكثر مما عنده وهو أعذر لان الشبهة الداخلة عليه أقوى . فمن أسوأ حالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبى صلى الله عليه وسلم نصا وجعل النهى عن مذهبه مفسرا وذكر مقته له و بغضه اياه

ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع وأنه اذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وأنه لابد له من مقارعة الابطال ومن الخطب الطوال وأن البيان يحتاج الى تمييز وسياسة والى ترتيب ورياضة والى تمام الآلة واحكام الصنعة والى سهولة المخرج

---

١ المتردد فى الكلام ٢ التمتمة رد الكلام الى التاء والميم ٣ الذى يحول لسانه من السين الى الثاء أومن الراء الى الغين أوغير ذلك ٤ مردد الفاء ٥ الذى لايسمع قوله ٦ الذى لايسمع صوته ٧ العجمة ٨ عى بطىء الكلام اذا تكلم ملأ لسانه فمه ٩ متكلف البلاغة ١٠ التكلم بأقصى الفم ١١ تقصير الكلام ١٢ الجبان ١٣ صفة ١٤ الشديدى الصوت ١٥ ارسالها الى أسفل

وجهارة المنطق وتكميل الحروف واقامة الوزن وأن حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة وأن ذلك من أكبر ماتستمال به القلوب وتنثنى اليه الاعناق وتزين به المعانى . وعلم واصل أنه ليس معه ماينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ومع المحبة والاتساع فى المعرفة ومع هدى النبيين وسمت المرسلين وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة ولذلك قال بعض شعراء النبي صلى الله عليه وسلم :

لو لم تكنْ فيهِ آياتٌ مبيّنةٌ ... كانتْ بَداهَتُهُ تُنبيكَ بالخَبَرِ

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة الى أن حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحبسة وأسقط تلك المحنة . ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة ــ رام أبو حذيفة (١) اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأتى لستره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ولظرافته معلما لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له ولست أعنى خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وانما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان

واللثغة فى الراء تكون بالغين والذال والياء . والغين أقلها قبحا وأوجدها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم . وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء . وقد ذكر ذلك أبو الطروق الضبى فقال :

عليمٌ بإبدالِ الحرُوفِ وقامعٌ ... لِكلّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُهُ

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها وكان طويل العنق جدا وفيه قال بشار الاعمى :

مالى أُشايعُ غزّالاً له عُنقٌ ... كنِقنِقِ (٢) الدَّوِّ (٣) إن ولّي وان مَثَلا

عُنقَ الزَّرافةِ مابالى وبالكم ... أتكفرون رجالا أكفروا رَجلا

---

١ هو واصل ٢ الظليم ٣ الفلاة

فلما هجا واصلا وصوّب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين وقال :

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

وكان واصل بن عطاء غزالا وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وعليّ أيضا فانشد :

وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو بِصاحبكِ الذى لاتَصْحَبِينا

قال واصل بن عطاء عند ذلك « أما لهذا الملحد الاعمى المشنف المكتنى بابى معاذ من يقتله. أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغاليه لبعثت (١) اليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله فى جوف منزله وفى يوم حفله ثم كان لايتولى ذلك منه الا عقيلى أو سدوسى »

قال اسمعيل بن محمد الانصارى وعبد الكريم بن روح الغفارى قال أبو حفص عمر بن أبى عثمان الشمرى : ألا تريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لاتظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران فى الكلام . ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث جعل المشنف بدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال ان الغيلة سجية من سجايا الغاليه ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء . وقال لبعثت اليه من يبعج بطنه ولم يقل لارسلت اليه . وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه

وكان اذا أراد أن يذكر البر قال القمح والحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال برّ أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة . قال المتنخل الهذلى :

لادرَّ دَرِّيَ ان أطعمتُ نازلَهمْ قِرْفَ الحَتِيِّ [٢] وعندى البُرُّ مكنوزُ

وقال أمية بن أبى الصلت فى مديح عبد الله بن جدعان :

له داعٍ بمكةَ مُشْمَعِلٌّ وآخرُ فوْقَ دارَتِهِ ينادى

الى رُدُحٍ [٣] من الشِّيزَى [٤] عليها لبابُ البُرِّ يُلْبَكُ [٥] بالشِّهادِ [٦]

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة فى كلمة له :

---

١ خ : لدسست ٢ القرف القشر ، والحتى سويق المقل وهو الدوم ٣ الجفان ٤ خشب أسود قيل هو الآبنوس ٥ يخلط ٦ جمع شهد وهو العسل

قيسُ أبو الأشعثِ بطريقُ اليمنْ　　لا يَسألُ السائلُ عنه ابنُ منْ
أشبَعَ آلَ اللهِ منْ بُرِّ عَدَنْ

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أترون أنى لا أعرف رقيق العيش لباب البر بصغار المعزى . وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذق فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ماعاب هذا مسلم . وقالت عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا

وأهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب . ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر . حدثنى أبوسعيد عبدالكريم ابن روح قال قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة انما الفصاحة لنا أهل مكة فقال ابن المناذر أما ألفاظنا فاحكى الالفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور وقال الله عزوجل « وجفان كالجواب وقدور راسيات » . وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت علية وتجمعون هذا الاسم على علالى ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف وقال الله تبارك وتعالى « غرف من فوقها غرف مبنية » وقال « وهم فى الغرفات آمنون » . وأنتم تسمون الطلع الكافور والاغريض ونحن نسميه الطلع وقال الله عز وجل « ونخل طلعها هضيم » فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها الا هذا

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بالفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط (١) الروذق ويسمون المصوص المزوز (٢) ويسمون الشطرنج الاشترنج فى غير ذلك من الاسماء

وكذلك أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة (٣) بال وبال بالفارسية . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة اذ نزلوا بادنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه اذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بادنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب . ويسمى أهل الكوفة الحوك (٤) باذروج والباذروج بالفارسية والحوك كلمة عربية

وأهل البصرة اذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ويسميها أهل الكوفة الجهار سوك والجهار سوك بالفارسية . ويسمون السوق أو السويقة وازار والوازار بالفارسية

---

١ المنتوف صوفه بالماء الحار ٢ المصوص : طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل أو يكون من لحم الطير خاصة ، وفى النسخة التى طبعت فى مصر « المصوص الممزوز » ٣ آلة للقش أو الجرف ٤ البقلة الحمقاء

و يسمون القثاء خيارا والخيار فارسية و يسمون المجذوم و يذى بالفارسية

وقد يستخف الناس ألفاظا و يستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب أوفى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لايذكرون السغب و يذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر لانك لاتجيد القرآن يلفظ به الا فى موضع الا نتقام والعامة وأكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث. ولفظ القرآن الذى عليه نزل أنه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين ألا تراه لايجمع الارض أرضين ولا السمع أسماعا. والجارى على أفواه العامة غير ذلك. لا يتفقدون من الالفاظ ماهو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن الافى موضع التزويج

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما وتستعمل ماهو أقل فى أصل اللغة استعمالا وتدع ماهوأظهر وأكثر. ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قدسار ولم يسر ماهو أجود منه. وكذلك المثل السائر. وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية فى الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه. ألا ترى أن العامة ابن القِرِّيَّة أشهرُ عندها فى الخطابة من سحبان وائل وعُبيد الله بن الحر أذكر عندهم فى الفروسية من زُهير ابن ذؤيب وكذلك مذهبهم فى عنترة بن شداد وعُتيبة بن الحارث بن شهاب وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ولا يعرفون بسطام بن قيس

وفى القرآن معان لاتكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والانصار والجن والانس

قال قطرب أنشدنى ضرار بن عمرو قول الشاعر فى واصل :

وَيجعلُ البُرَّ قمحاً فى تصرُّفِهِ ... وجانَبَ الراءَ حتىَّ احتالَ للشَّعَرِ

ولم يُطِقْ مطراً والقول يعجلُه ... فعادَ بالغيثِ إشفاقا من المطرِ

قال وسألت عثمان البرى كيف كان واصل يصنع فى العدد. وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين. وكيف كان يصنع بالقمر والبدر و يوم الاربعاء وشهر رمضان. وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب. فقال مالى فيه قول الا ماقال صفوان :

مُلَقَّنٌ مُلْهَمٌ فيما يُحاوله ... جَمٌّ خواطِرُه جوَّابُ آفاقِ

وأنشدني ديسم قال أنشدني أبو محمد اليزيدي :

وخلة اللفظ في اليا آت إن فقدت ... كخلة اللفظ في اللامات والألف

وخصلة الراء فيها غير خافية ... فاعرف مواقعها في القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها والحاجة اليها أشد . واعتبر ذلك بأن تاخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة اليها أشد

﴿ ذكر ماجاء في تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه ﴾

قال أبو عثمان : فمن ذلك ماأخبرنا به الاصمعي قال أنشدني المعتمر بن سليمان لاسحق بن سويد العدوى :

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا ... يردون السلام على السحاب

ولكني أحب بكل قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حبا ... به أرجو غدا حسن المآب

وفي ذلك قال بشار :

مالي أشايع غزالا له عنق ... كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا

ومن ذلك قول معدان السميطي :

يوم تشفي النفوس من يعصر اللؤ ... م ويثني بسامة الرحال

وعدي وتيمها وثقيف ... وأمي وتغلب وهلال

لاحرور ولا النوائب تنجو ... لاولا صحب واصل الغزال

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة (١) ويكفر جميع الامة وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق :

(١) أي يؤمن بالرجوع الى الدنيا بعد الموت

أبا حذيفة قد أوتيتَ معجبة　　من خُطبة بَدَهتَ من غير تقدير
وإنّ قولاً يروق الخالدين معا　　لمُسكتٌ مُخرسٌ عن كل تحبير (١)

لانه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم.
وقال بشار :

تكلفوا القولَ والاقوامُ قد حفلوا　　وحبّروا خُطباً ناهيكَ من خُطب
فقام مُرتجلاً تغلِي بداهتهُ　　كمرجَل القَين (٢) لما حُفّ باللّهب
وجانَب الراء لم يشعرْ به أحدٌ　　قبل التصفّح (٣) والإغراق فى الطلب

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهذا بديهٌ لا كتحبير قائلٍ　　إذا ما أرادَ القولَ زوّرهُ (٤) شهرا

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية هجوه ونفوه فما زال غائبا حتى مات عمرو ابن عبيد. وقال صفوان الانصارى :

متى كان غزّالٌ له يا ابنَ حوشبٍ　　غلامٌ كعمرٍو أو كعيسى بن حاضرِ
أما كان عثمانُ الطويلُ بنُ خالدٍ　　أو القرمُ حفصٌ نُهيةً (٥) للمخاطرِ
له خلفَ شعب الصين فى كل ثغرةٍ　　الى سُوسها (٦) الأقصي وخلفَ البرابرِ
رجالٌ دُعاةٌ لا يفلُّ عزيمهم　　تهكّمُ جبّار ولا كيدُ ماكرِ
اذا قالَ مرّوا فى الشتاء تطاوعوا　　وان كان صيفاً لم يخفْ شهرَ ناجرِ (٧)
بهجرةِ أوطانٍ وبذلٍ وكُلفةٍ　　وشدّةِ أخطارٍ وكدِّ المسافرِ
فأنجحَ مسعاهمُ وأثقبَ زندهم　　وأورَي بفَلجٍ (٨) للمخاصم قاهرِ
وأوتادُ أرضِ الله فى كلِّ بلدةٍ　　وموضعُ فُتياها وعلم التشاجرِ
وما كان سحبانٌ يشقُّ غبارهم　　ولا الشدقُ من حيِ هلالِ بن عامرِ

---

١ تحسين ٢ الحداد ٣ خ : التصحف ٤ حسنه وقومه ٥ واحدة النهى وهى العقول ٦ بلد بالمغرب ٧ كل شهر فى صميم الحر ٨ الظفر والفوز

ولا الناطقُ النخّارُ[١] والشيخ دِغفل　　اذا وصلوا أيمانهم بالمَخاصرِ

ولا القالةُ الاعلَوْنَ رهط مكحّلٍ　　إذا نَطقوا فى الصُّلح بين العشائرِ

بجمعٍ من الجفنينِ راضٍ وساخطٍ　　وقد زَحفت برّاؤهم للمحاضر

الجفان بكر وتميم . والروقان بكر وتغلب . والفاران الازد وتيم . قيل ذلك لكل عمارة من الناس وهى جمع . والعمائر أيضا غار . والجف أيضا قشر الطلعة

تَلَقَّبَ بالغزّالِ واحدُ عصرهِ　　فمن لليتامى والقَبيلِ المكاثرِ

ومن لِحَرُورِيٍّ[٢] وآخرَ رافضٍ　　وآخرَ مُرْجِيٍّ[٣] وآخرَ حائرِ

وأمرٍ بمعرُوفٍ وانكارِ منكرٍ　　وتحصينِ دينِ اللهِ من كل كافرِ

يصيبون فصلَ القولِ فى كل منطقٍ　　كما طبعتْ[٤] فى العظم مُدْية جازرِ

تراهُم كأنَّ الطيرَ فوقَ رؤسِهم　　على عمّةٍ معروفةٍ في المعاشر

وسيماهُم معروفةٌ فى وجوههم　　وفى المشي حُجَّاجاً وفوقَ الاباعر

وفى رَكعةٍ تأتى على الليلِ كلّهِ　　وظاهرِ قولٍ فى مثالِ الضمائرِ

وفى قَصِّ هُدّابٍ[٥] وإحفاء[٦] شاربٍ　　وكَوْرٍ[٧] على شيبٍ يضىء لناظرِ

وعَنْفَقةٍ[٨] مَصاومةٍ[٩] ولنعلهِ　　قِبالانِ[١٠] فى ردنٍ رَحيبِ الخواطرِ

فتلك علامات تحيط بوصفهم　　وليس جهول القوم فى جرم خابر

وفى واصل يقول صفوان :

فما مَسَّ ديناراً ولا صَرَّ درهماً　　ولا عَرَفَ الثوبَ الذي هو قاطعه

وفيه يقول اسباط بن واصل الشيبانى :

وأَشهدُ أَنَّ اللهَ سماكَ واصلاً　　وأنكَ ميمونُ النقيبةِ[١١] والشّيمْ

---

١ النخار بن أوس أنسب العرب ٢ خارجى ٣ من فرقة المرجئة ٤ خ : طبقت ٥ طرف الثوب مما يلى طرته ٦ الاستقصاء فى أخذه ٧ الدور من العمامة ٨ شعيرات بين الشفة السفلى والذقن ٩ مقطوعة ١٠ الزمام الذى يكون بين الاصبع الوسطى والتى تليها ١١ محمود المختبر ومبارك النفس

ولما قام بشار يعذر ابليس فى أن النار خير من الارض وذكر واصلا بما ذكره قال صفوان :

زعمتَ بأنَّ النارَ أكرمُ عنصرا ... وفى الارضِ تحيا بالحجارةِ والزندِ
ويُخلقُ فى أرحامها وأرومها [1] ... أعاجيبُ لا تُحصى بخطٍّ ولا عقدِ
وفي القعرِ من لُجِّ البحارِ منافعٌ ... منَ اللؤلؤِ المكنونِ والعنبرِ الوردِ
كذلك سرُّ الارضِ في البحرِ كلهِ ... وفى الغيضةِ الغناءِ والجبلِ الصلدِ
ولا بدَّ من أرضٍ لكلِّ مطهرٍ ... وكل سَبُوحٍ فى الغمائرِ من جدِّ
كذاك وما ينساحُ فى الارضِ ماشياً ... على بطنهِ مشىَ المُجانبِ للقصدِ
ويسرى على جلدٍ يقيمُ حزوزهُ ... تعمَّجَ [2] ماءِ السيلِ فى صببٍ حَرْدِ [3]
وفي قُللِ الأجبالِ خلفَ مقطمٍ ... زبرجداً أملاكِ الورَي ساعةَ الحشدِ
وفى الحرَّةِ [4] الرَّجلاءِ [5] تلقى معادِنا ... لهنَّ مغاراتٌ تبخَّسن [6] بالنقدِ
من الذهبِ الإبريزِ والفضةِ التي ... تَرُوقُ وتُصبي ذا القناعةِ والزُّهدِ
وكل فلزٍّ [7] من نحاسٍ وآنُكٍ [8] ... ومن زئبقٍ حى ونوشادرٍ يسدى
وفيها زرانيخٌ ومكرٌ ومَرْتَكٌ [9] ... ومن مرقشيشا غير كابٍ ولا مكدِي [10]
وفيها ضروبُ القارِ والشبِّ والنهى [11] ... وأصنافُ كبريتٍ مطاولةِ الوقدِ
ترى العرفَ [12] منها فى المقاطعِ لائحاً ... كما قرَّتِ الحسناءُ حاشيةَ البردِ
ومن إثمدٍ [13] جونٍ [14] وكلسٍ وفضةٍ ... ومن تُوتياءٍ في معادنهِ هندي
وفى كلِّ أغوارِ البلادِ معادنٌ ... وفى ظاهرِ البيداءِ من مستوى نجدِ

---

١ أصول أشجارها ٢ تلوى وتعرج ٣ المنحدر المتلوى ٤ الأرض البركانية ٥ الخشنة التى يترجل فيها ٦ خ : تبخس ٧ جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك ٨ الاسرب ٩ المكر : المغرة أى الطين الاحمر يصبغ به ، والمرتك : الحجر المحرق ١٠ غير عظيم ولا صلب ١١ القار : الزفت ، والنهى : الزجاج ١٢ خ : العرق ١٣ حجر الكحل ١٤ أسود

وكلُّ يَواقيتِ الانامِ وحَلْيِها — من الارضِ والاحجارُ فاخرةُ المَجدِ
وفيها مقامُ الخِلِّ والرُّكنُ والصفا — ومُستَلَمُ الحُجاجِ من جنّةِ الخلدِ
وفى صخرةِ الخِضرِ التى عند حوتِها — وفى الحَجرِ المُهمَى (١) لموسى على عمْدِ
وفى الصَّخرةِ الصمّاءِ تَصدَعُ آيةً — لامِّ فَصيلٍ ذي رُغاءٍ (٢) وذي وَجدِ
مَفاخرُ للطينِ الذي كان أصلَنا — ونحنُ بنوهُ غيرَ شكٍّ ولا جَحْدِ
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمةٌ — وأوضحُ بُرهانٍ على الواحدِ الفَردِ
أتجعلُ عمراً والنّطاسيَّ واصلاً — كأتباعِ ديصانَ وهم قمشُ المَدِّ
وتَفخَرُ بالميلادِ والعِلجِ عاصمٍ — وتضحكُ من جيدِ الرئيسِ أبى جعْدِ
وتَحكى لدَى الاقوامِ شُنْعَةَ رأيِهِ — لتصرفَ أهواءَ النفوسِ الى الرّدِّ
وسميتَهُ الغزّالَ في الشِّعرِ مُطْنِباً — ومولاكَ عِندَ الظُّلْمِ قصتُهُ (٣) مُرْدِيٌّ (٤)

يقول ان مولاك ملاح لان الملاحين اذا تظلموا رفعوا المرادى

فيا ابنَ حليفِ الطينِ (٥) واللؤمِ والعَمى — وأبعدَ خلقِ اللهِ من طُرُقِ الرُّشدِ
أتهجو أبا بكرٍ وتَخلعُ بعدَهُ — عليًّا وتَعزُو كلَّ ذاك الى بُردِ
كأنّك غضبانٌ على الدينِ كلِّهِ — وطالبُ ذَحلٍ (٦) لا يَبيتُ على حِقدِ
رجعتَ الى الامصارِ من بعد واصلٍ — وكنتَ شَريدًا في التّهائمِ والنَّجدِ
أتجعلُ ليلى الناعطيّةَ نحلةً — وكلَّ عَريقٍ في التناسخِ (٧) والرَّدِّ
عليكَ بدَعْدٍ والصَّدوفِ (٨) وفَرْتَنى (٩) — وحاضنتَيْ كسْفٍ وزاملتَيْ هِندِ
تُواثِبُ أقماراً وأنتَ مُشوَّهٌ — وأقربُ خلقِ اللهِ من شَبَهِ القِردِ

---

١ خ : المهمى ٢ صوت ذوات الخف ٣ القصة القطعة ترفع فيها الظلامة ٤ عود يدفع به الملاح السفينة ٥ كان أبو بشار صانع جرار ٦ ثأر ٧ التناسخ عند من يقول به انتقال الروح من جسم الى آخر ٨ المرأة تعرض وجهها عليك ثم تصدف ٩ امرأة مغنية

ولذلك قال فيه حمـاد عجرد بعد ذلك :

ويا أقبحُ من قردٍ اذا ماعَمِي القِرْدُ

و يقال انه لم يجزع من شيء قط جزعه من هذا البيت. وذكر الشاعر وذكر أخويه لامه فقال :

لقد وَلَدَتْ أمُّ الاكَيْـمهِ أعرَجاً وآخرَ مقطوعَ القَفَا ناقِصَ العَضُدِ

وكانوا ثلاثة مختلفى الاباء والام واحـدة وكلهم ولد زمنا. ولذلك قال بعض من يهجوه :

اذا دَعاهُ الخالُ أقعى [١] ونكَصْ وهُجْنَةُ الاقرافِ [٢] فيه بالحَصَصْ

وقال الشاعر :

لاتَشهَدَنْ بخارجيٍّ مُطْرِفٍ [٣] حتى ترى من نجلهِ أفراسا

وقال صفوان الانصارى فى بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم :

والدت خُلْداً وذِيخاً في تَشَتّـمِهِ وبعدهُ خُزَزاً يشـتدُّ في العضـد

والخلـد ضرب من الجرذان يولد أعمى والذيخ ذكر الضباع وهو أعرج والخزز ذكر الارانب وهو قصير اليدين لايلحقه الكلب فى الصيد

ثلاثةٌ من ثلاث فرّقوا فِرَقاً فاعرفْ بذلك عرقَ الخال من ولد

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى أخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر فى اعتـذار بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض :

لابُدَّ للارض إن طابتْ وإنْ خَبُثَتْ من أن تُحيلَ اليها كلَّ مغرُوسِ

وتُربَةُ الارض إن جِيدَتْ [٤] وان قُحِطَتْ فحَمْلُها أبداً فى إثر منفُوسِ [٥]

وبطنُها بفِلزِّ الارضِ ذُو خَـبَرٍ بكلّ جَوْهَرةٍ فى الارض مَرْمُوسِ

الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك

وكلّ آنيـةٍ عمّتْ مرافقـها وكلّ مُنْتَقَـدٍ فيها ومَلْبوسِ

---

١ جلس على اليتيه ونصب فخذيه ٢ المداناة والمخالطة يقال أقرف الهجنة أى دانى العيب ٣ الطرف « بكسر الطاء » الكريم الاطراف من الآباء والامهات ٤ أصابها غيث ٥ مولود

وكلٌّ ماعونها كالملح مرفقةٌ … وكلها ضحكٌ من قول إبليسِ

وقال بعض خلفاء بغداد :

عجبتُ من ابليس فى كبرهِ … وخُبث ما أبداهُ من نيّتهْ

تاهَ على آدمَ فى سجدةٍ … وصارَ قوّاداً لذرّيّتهْ

وذكره بهذا المعنى سليمان أخو مسلم الانصارى فقال :

يأبى السجودَ لهُ مِن فرطِ نخوتهِ … وقد تحوّلَ فى مسلاخ (١) قوّادِ

وقال صفوان فى شان واصل و بشار وفى شان النار والطين فى كلمة له :

وفى جوفها للعبدِ أسترُ منزلِ … وفى ظهرها يقضى فرائضهُ العبدُ

تمجُّ لُفاظ (٢) الملح مجّاً وتصطفى … سبائكَ لاتصدى وان قدُم العهدُ

وليسَ بمحصٍ كُنهَ مافى بُطونها … حسابٌ ولاخطٌّ وان بلغ الجهدُ

فسائلْ بعبدِ اللهِ فى يوم حفلهِ … وذلكَ مقامٌ لايُشاهدُه وغدُ

أقامَ شبيباً وابنَ صفوانَ قبلَهُ … بقولِ خطيبٍ لايُجانبُه القصدُ

وقامَ ابنُ عيسى ثم قفّاهُ واصلٌ … فابدعَ قولا ماله فى الورى ندّ

فما نقصتهُ الراءُ اذ كان قادراً … على تركها واللفظُ مطّردٌ سردُ

ففضّلَ عبدُ الله خطبةَ واصلٍ … وضوعفَ فى قسم الصلاتِ له الشكدُ (٣)

فأقنعَ كلُّ القومِ شكرُ حبائهم … وقلّلَ ذاك الضعفَ فى عينه الزهدُ

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا واحتجاج من دفع ذلك عنه . ويزعم هؤلاء أن قول الناس واصل الغزال كما يقال خالد الحذاء وكما يقولون هشام الدستوائى . وإنما قيل ذلك لان الاباضية كانت تبعث اليه من صدقاتها بثياب دستوانية فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالحباب فاجابوه الى قول الاباضية وكانوا قبل ذلك لايزوجون الهجناء فاجابوه الى التسوية و زوجوا هجينا فقال

---

١ جلد ٢ الشئ المرمى ٣ الشكر والعطاء

الهجين فى ذلك :

انّا وَجدنا دستوَانينا الصائمينَ المتعبدينا
أفضلَ منكم حسَباً ودينا أخزَى الآ له المتكبّرينا
أفيكم من ينكحُ الهجينا

وانما قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطن الهلالى . وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه . وكما قالوا أبو مسعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك الماء . وكما قالوا أبو مالك السدى لانه كان يبيع الخمر فى سدة المسجد. وهذا الباب مستقصى فى كتاب الاسماء والكنى. وقدذكرنا جملة منه فى أبناء السرارى والمهيرات [1]

## ﴿ ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة ﴾

قال أبوعثمان :وما يحضرنى منها وهى أربعة أحرف القاف والسين واللام والراء. فاما التى هى على الشين المعجمة فذلك شيء لايصوره الخط لانه ليس من الحروف المعروفة وانما هومخرج من المخارج والمخارج لاتحصى ولايوقف عليها. وكذلك القول فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم. وليس ذلك فى شيء أكثر منها فى لغة الخوز. وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يستطيع أن يصور كثيرا من حروف الزمزمة [2] والحروف التى تظهر من فم المجوسى اذا ترك الافصاح عن معانيه وأخذ فى باب الكناية وهو على الطعام

فاللثغة التى تعرض للسين تكون ثاء كقوله لابى يكسوم أبى يكثوم وكما يقولون بثرة اذا أرادوا بسرة وبثم الله اذا أرادوا بسم الله

والثانية اللثغة التى تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء فاذا أرادأن يقول قلت له قال طلت له وأراد أن يقول قال لى قال طال لى

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فان من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتللت اعتييت وبدل جمل جمى. وآخرون يجعلون اللام كافا كالذى عرض لعمر أخى هلال فانه كان اذا أراد أن يقول ما العلة فى هذا قال ما الكعكة فى هذا

---

[1] جمع مهيرة وهى الحرة [2] كلام المجوس عند أكلهم

فاما اللثغة التى تقع فى الراءفان عددها يضعف على عدد لثغة اللام لان الذى يعرض لها أربعة أحرف فنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمى فيجعل الراء ياءً. ومنهم من اذا أرادأن يقول عمرو قال عمغ فيجعـل الراء غيناومنهم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمذ فيجعل الراء ذالا واذا أنشدقول الشاعر :

واستَبَـدَّتْ مَرَّةً واحِـدَةً إنَّمـا العاجِزُ مَن لاَيَسْتَبِـدُّ

قال : واستبدت مـذة واحـدة انمـا العاجز من لايستبـد

فمن هؤلاء على بن جنيد بن فريدى

ومنهم من يجعـل الراء ظاءمعجمة فيقول اذا أنشدهذا البيت :

واستبـدت مرة واحـدة انمـا العاجز من لايستبـد

قال : واستبـدت مظة واحدة انمـا العاجز من لايستبـد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة فاذا أراد أن ينشد هذا البيت :

واستبـدت مرة واحـدة انمـا العاجز من لايستبـد

قال : واستبدت مغـة واحـدة انمـا العاجز من لايستبـد

كما أن الذى لثغتـه بالياء اذا أراد أن يقول واسـتبدت مرة واحدة قال واستبدت مية واحدة . وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العـدوى الشاعر فليس الى تصويرها سـبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى الشـين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فان تلك أيضاليس لهـا صورة فى الخط ترى بالعـين وانمـا يصورها اللسان وتتـادى الى السـمع . وربمـا اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين كنحو لثغة شوشى صاحب عبدالله بن خالد الاموى فانه كان يجعل اللام ياء والراء ياء قال مرة مو ياى وبى أيَّـي يريد مولاى ولى أري

واللثغـة فى الراء اذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضـعهن لذى المروءة ثم التى على الظاء ثم التى على الذال . فاماالتى على الغـين فهى أيسرهن . ويقال ان صاحبها لوجهد نفسه جهده وأخذلسانه وتـكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها لم يكن بعيدامن أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيهاذلك التعهد أثراً حسنا . وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين وكان اذاشاء أن يقول عمر ولعمرى وما أشبه ذلك على الصحة قاله ، ولكنه كان

يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك، فقلت له اذا لم يكن المانع الاهذا العذر فلست أشك أنك لواحتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحدا أن لسانك كان يستقيم

أمامن يعتريه اللثغ فى الضاد ربما اعتراه أيضا فى الصاد والزاء حتى اذا أراد أن يقول مضر قال مضى فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى

وزعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شى بعينه فنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم أنه انما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون لاتقتل طفلا لايفرق الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فاهوى بها الى فيه فاعتراه من ذلك مااعتراه

وأما اللثغة فى الراء فتكون فى الياء والذال والغين وهى أقلها قبحا وأوجدها فى ذى الشرف وكبار الناس و بلغائهم وأشرافهم وعلمائهم وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء على الصحة فتأتى له ذلك وكان يدع ذلك استثقالا، أنا سمعت ذلك منه . قال وكان الواقدى يروى عن بعض رجاله أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات . وليس يدل القرآن على شىء مما قالوا لانه ليس فى قوله « واحلل عقدة من لسانى » دليل على شىء دون شىء

قال الاصمعى اذا تتعتع اللسان فى التاء فهو تمتام واذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء. وأنشد لرؤبة بن العجاج :

يا حمدَ ذاتَ المَنطقِ التمتامِ      كأنَّ وَسْوَاسَكِ فى اللمامِ

حديثُ شيطانِ بنى همام

و بعضهم ينشد : « يا حمد ذات المنطق النمنام[1] » وليس ذلك بشىء وانما ذلك كما قاله أبو الزحف :

لستَ بفأفاءٍ ولا تمْتَامِ      ولا كثيرِ الهُجْرِ[2] فى المنام

وأنشد أيضا للخولانى فى كلمة له :

إن السِّياطَ تركْنَ لاستِكَ منطقاً      كمقالةِ التَّمتامِ ليسَ بمُعرِب

---

١ المزخرف والمزين ٢ الهذيان

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته . وقال أبو عبيدة اذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو ألفّ وقيل بلسانه لففٌ وأنشدنى لابى الزحف الراجز :

كأنّ فيه لففاً اذا نطقْ من طُول تحبيسٍ وهمٍّ وأرقْ

كانه لما جاس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه. وكان يزيد بن جابر قاضى الازارقة بعد المقعطل يقال له الصموت لانه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين . وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزُطّ من طول التفكر ولزوم الصمت . قال وأنشدنى الاصمعى :

حديثُ بنى زُطٍّ اذا ما لقيتهم كنزو(١) الدَّبى(٢) في العرفج(٣) المتقارب

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة . وقال سلمة بن عياش :

كأن بنى رالانَ اذ جاء جمعهم فراريجُ يُلقي بينهن سويقُ(٤)

فقال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم . وقال اللهبى فى اللجلاج :

ليسَ خطيبُ القوم باللَّجلاجِ ولا الذى يزحلُ(٥) كالهلباجِ(٦)

ورُبَّ بيداء وليلٍ داجِ هتكتُه بالنَّصِّ(٧) والإدلاجِ(٨)

وقال محمد بن سلام الجمحى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد . ويقال فى لسانه حبسة اذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام . ويقال فى لسانه لكنة اذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول . فاذا قالوا فى لسانه حكلة فانما يذهبون الى نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال . وقال رُؤبة بن العجاج :

لو أننى أُوتيتُ علمَ الحُكلِ علمَ سليمانَ كلامَ النَّمْلِ

---

١ وثوب ٢ صغار الجراد واحدها دباة ٣ شجر ينبت فى السهل ٤ الناعم من دقيق القمح والشعير
٥ يتنحى و يتباعد ٦ الاحمق ٧ السير الشديد ٨ السير من أول الليل

وقال محمد بن ذؤيب فى مدح عبد الملك بن صالح :

وينهم قول الحُكْلِ لو أن ذَرَّةً تُساوِدُ(١) أُخري لم يَفُتْهُ سوادُها

وقال التيمى فى هجائه ابنى تغلب :

ولكنّ حُكْلاً لاتبِينُ ودينُها عِبادةُ أعلاجٍ عليها البَرَانِسُ(٢)

قال سحيم بن حفص فى الخطيب الذى تعرض له الحنحنة والسعلة وذلك اذا انتفخ سَحْرُهُ ٣ وكبا زَنْدُهُ ٤ ونَبَا حَدُّهُ فقال :

نَعُوذُ باللهِ من الإهْمالِ ومن كَلالِ(٥) الغَرْبِ في المَقالِ

ومن خَطيبٍ دائمِ السُّعالِ

وأنشدنى الاعرابى :

إنّ زِياداً ليسَ بالبَكِيِّ ولا بِهَيّابٍ كثيرِ الِعيِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

ناديتُ هيذانَ والابوابُ مُغْلَقَةٌ ومثلُ هيذانَ سنّى(٦) فتحةَ البابِ

كالهِندُوانِىّ لم تَفْلُلْ مَضارِبُه وَجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجّابِ(٧)

وقال الآخر :

اذا اللهُ سَنّى عَقْدَ شيءٍ تَيَسَّرا

وقال بشر بن معمر فى مثل ذلك :

ومن الكبائرِ مِقْوَلٌ مُتَتعتعٌ جَمّ التَنَحْنُحِ متعبٌ مبهور

وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب وقد شهدت أنا هذه الخطبة ولم أر جبانا قط أجرأ منه ولا جريئا قط أجبن منه . وقال الاشل الازرقى - من بعض أخوال عمران بن حطان الصفر القعدى - فى زيد بن جُندب الايادى خطيب الازارقة واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل البكرى :

نَحنَحَ زيدٌ وسعَلْ لما رأى وَقعَ الأَسَلْ(٨)

١ لعله تسارر وهكذا لم يفته سرارها أى يفهم مادق حتى مساررة الذرة ٢ جمع برنس وهو قلنسوة طويلة ٣ رئته ٤ لم تخرج ناره ٥ اعياء ٦ سهل بتشديد الهاء ٧ كثير الاضطراب ٨ الرماح

وَيلُ أُمِّـهِ إذا ارْتَجَـلْ　　ثم أطالَ واحْتَفَلْ

وقد ذكر الشاعر زيد بن جُـندب الايادى الخطيب الازرق فى مرثيتـه لابى داود بن جرير الايادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد فقال :

كَقُسِّ إيادٍ أو لَقيـطِ بن مَعْبَـدٍ　　وعذرَةَ والمِنْطيقِ زَيْدِ بن جُنْدُبِ

و زيد بن جندب هو الذى يقول فى الاختلاف الذى وَقع بين الازارقة :

قلْ للمُحلّينَ (١) قد قَرَّتْ عيونُـكم　　بفرقَةِ القومِ والبَغْـضاءِ والهَرَبِ

كنّا أُناساً على دينٍ ففرَّقَنـا　　فَرْعُ الـكلامِ وخَلْطُ الجِدِّ باللَّعِبِ

ما كانَ أَغْنَى رِجالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ　　عن الجدالِ وأَغْناهُمْ عن الخُطَبِ

إنّى لأَهْوَنُكُم فى الارضِ مُضْطَرَباً　　مالى سِوَى فَرَسِي والرُّمْحِ من نَشَبِ (٢)

وأما عذرة المذكور فى البيت الاول فهو عذرة بن حجرة الخطيب الايادى ، ويدل على قدره فيهم وعلى قدره فى اللسن والخطب قول شاعرهم :

وأيُّ فتىً صَبْرٌ على الأَيْنِ (٣) والظَّمَا　　إذا اعْتَصَرُوا للُّوحِ (٤) ماءَ فِظاظِها (٥)

اذا ضَرَّجوها ساعَةً بدِمائِها　　وحُلَّ عن الكَوْماءِ (٦) عَقْدُ شِظاظِها (٧)

فانّكَ ضَحّاكٌ الى كلِّ صاحبٍ　　وأَنْطَقُ من قُسٍّ غَداةَ عُكاظِها (٨)

اذا اشعب المولى ، شاعب (٩) معشر　　فعـذرَةُ فيها آخذ بكِظاظِها (١٠)

فلم يضرب هذا الشاعر الايادىّ المثل لهذا الخطيب الايادى الا برجل من خطباء إياد وهو قس بن ساعدة . ولم يضرب صاحب مرثية أبى داود بن جرير ١١ الايادى المثل الا بخطباء اياد فقط ولم يفتقر الى غيرهم حيث قال فى عذرة بن حجرة :

١ المحل فى مكان : الذى ينزل فيه ، والمحل أيضا الخارج من ميثاق أوعهد كان عليه ٢ ثروة ٣ الاعياء ٤ العطش ٥ جمع الفظ وهو أن يسق الرجل بعيره ثم يشد فمه لئلا يجتر ، فاذا أصابه عطش شق بطنه فعصر فرثه فشرب منه ٦ الناقة الضخمة السنام ٧ خشبة تدخل فى عروتى الوعاء الكبير من شعر وغيره ٨ سوق للعرب فى صحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما أوشهراً تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون ٩ شعب مشاعبه : فرق طرقه ١٠ الشدة والتعب ١١ فى نسخة أخرى « أبى دؤاد بن جرير »

كقُسِّ إيادٍ أو لَقيطِ بن معبَدٍ وعذرة والمِنطيقِ زيدِ بن جُندبِ

وأول هذه المرثية قوله :

نَعى ابنَ جريرٍ جاهلٌ بمُصابهِ فعمَّ نزاراً بالبُكا والتحوُّبِ (١)

نَعاهُ لنا كالليث يحمي عرينَهُ وكالبدر يَغشى ضَوءه كلَّ كوكبِ

وأصبر من عود وأهدى اذا سرى من النجم في داج من الليل غيهب

وأضرَبُ من حدِّ السنان لسانه وأمضى من السيف الحسامِ المُشطَبِ

زعيمُ نزارٍ كلِّها وخطيبُها اذا قال طأطا رأسه كلُّ مشغبِ

سليلُ قروم (٢) سادة ثم قالةٍ يبزّون (٣) يومَ الجمع أهلَ المحصَّبِ (٤)

كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبد وعذرة والمِنطيقِ زيدِ بن جُندبِ

فى كلمة له طويلة وإياهم عنى الشاعر بقوله :

يرمُونَ بالخُطبِ الطِّولِ وتارةً وَحيَ (٥) الملاحظِ خيفةَ الرُّقباء

قال أخبرنى محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ومولى بجيلة من سبى دابق وكان شاعرا راوية وطلابة للعلم علامة قال سمعت أبا داود بن جرير يقول وقد جرى شئ من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه ٦ وصعوبة ذلك المقام وأهواله فقال : «تلخيص المعانى رفق . والاستعانة بالغريب عجز . والتشادق عن غير أهل البادية بغض . والنظر فى عيون الناس عى . ومس اللحية هلك . والخروج مما بنى عليه أول الكلام اسهاب» قال وسمعته يقول : «رأس الخطابة الطبع . وعمودها الدربة . وجناحاها رواية الكلام . وحليها الاعراب . وبهاؤها تخير اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه» وأنشدنى بيتا له فى صفة خطباء اياد وهو قوله :

يرمُونَ بالخُطَبِ الطوالِ وتارةً وَحيَ المَلاحظِ خيفةَ الرُّقباء

فذكر المبسوط فى موضعه . والمحذوف فى موضعه . والموجز والكناية والوحى باللحظ ودلالة الاشارة . وأنشدنى له الثقة فى كلمة له معروفة :

١ التوجع ٢ فحول عظماء ٣ يغلبون ٤ موضع رمى الجمار بمنى ٥ الاشارة بالكلام الخفى ٦ ارتجاله

الجودُ أخشَنُ مسا يابنى مَطَرٍ مِن أنْ تبزَّكُموهُ كفُّ مُستَلِبِ
ما أعلَمَ الناسَ أنَّ الجُودَ مَدْفعَةٌ للذَّمِّ لكنَّه يأتى على النَّشَبِ

قال ثم لم يحفل بها فادعاها مسلم بن الوليد الانصارى أو ادعيت له . وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام

وفى الخطباء من يكون شاعراً ويكون اذا تحدّث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا . وربما كان خطيبا فقط وشاعراً فقط وبين اللسان فقط . ومن الشعراء الخطباء الابيناء الحكماء قُسُّ بن ساعدة الايادى . والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم . ومن يجمع الخطابة والشعر قليل ومنهم عمرو بن الاهتم المنقرى . وهو المكحل . قالوا كأن شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة . قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل الاوسية أى منظر أحسن . قالت قصور بيض فى حدائق خضر . فانشد عند ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيت عدى بن زيد العبادى :

كدُمَى [1] العاجِ فى المحاريبِ [2] أوكا لبيضِ فى الرَّوْض زهرُهُ مُستَنيرُ

قال فقال قسامة بن زهير كلام عمرو بن الاهتم آنق وشعره أحسن . هذا وقسامة أحد أبيناء العرب . ومن الخطباء الشعراء البعيث المجاشعى واسمه خداش بن بشر بن لبيد . ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الاسدى وكنيته أبو المستهل . ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائى وكنيته أبو نفر . قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميت أنشدت الكميت قول الطرماح :

اذا قُبِضتْ نفسُ الطِرِمّاحِ أخلَقَتْ [3] عُرَى المجدِ واسترخَى عِنانُ القصائدِ

قال فقال الكميت اى والله وعنان الخطابة والرواية

قال أبو عثمان الجاحظ : ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح . وكان الكميت عدنانيا عصبيا [4] وكان الطرماح قحطانيا عصبيا . وكان الكميت شيعيا من الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصفرية . وكان الكميت يتعصب لاهل الكوفة وكان الطرماح لاهل الشام . و بينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين قط . ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شئ مما تدعو هذه الخصال اليه . ولم ير الناس مثلهما الا ما ذكروا من حال عبد الله بن زيد الاباضى

١ الصور المنقشة ٢ المساجد ٣ بليت ٤ نسبة الى العصبة وهم أبو الرجل وابنه وعمه وخاله

وهشام بن الحكم الرافضى فانهما صارا الى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة . وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة الحال التى تدعو الى المفارقة بعد المناقشة والمحاسدة للذى اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة . فكان يقال لولا أنهما أحلم تميم لتباينا تباين النمر والاسد . وكذلك كانت حال هشام بن حكم الرافضى وعبد الله بن زيد الاباضى الا أنهما فضلا على سائر المتضادين بما صارا اليه من الشركة فى جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية فلم يعارضه شبيب . وتدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الاشراف

ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته أبو شهاب أحد بنى عمرو بن شيبان اخوة سدوس . فمن بنى عمرو بن شيبان مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء عمران بن حطان رئيس القعدة ١ من الصفرية وصاحب فتياهم ومفزعهم عند اختلافهم . ومنهم دغفل بن حنظلة النسابه الخطيب العلامة . ومنهم القعقاع بن شور . وسنذكر شانهم اذا انتهينا الى موضع ذكرهم ان شاء الله تعالى . ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار أحد بنى ليث بن بكر صاحب خراسان . وهو يعد فى أصحاب الولايات وفى الحروب وفى التدبير وفى العقل وشدة الرأى . ومن الخطباء الشعراء زيد بن جندب الايادى وقد ذكرنا شانه . ومن الخطباء الشعراء عجلان بن سحبان الباهلى . وسحبان هذا هو سحبان وائل . وهو خطيب العرب . ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنافر اليه الاشراف أعشى همدان . ومن الشعراء الخطباء عمران بن عصام العنزى . وهو الذى أشار على عبد الملك بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذى لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال ولم قتله ويله هلا رعى له قوله فيه :

وبعثت من وَلَدِ الاغرِّ معتبٍ (٢) صَقراً يلوذُ حمامُه بالعرفجِ (٣)

فاذا طبخت بنارِهِ أنضجتها وإذا طبخت بغيرِها لم ينضجِ

وهو الهِزَبرُ إذا أراد فَرِيسةً لم يُنجِها منهُ صِياحُ الهجهجِ (٤)

ومن خطباء الامصار وشعرائهم والمولدين منهم بشار الاعمى . وهو بشار بن

---

١ الخوارج ٢ اسم رجل ٣ شجر ينبت فى السهل ٤ لعله صوت الكر عند القتال أوغير ذلك

برد وكنيتـه أبو معاذ . كان من أحد موالى بنى عقيـل فان كان مولى أم ظباء ـ على ما يقول بنو سدوس وما ذكره حماد عجرد ـ فهو من موالى بنى سدوس . و يقال انه من أهل خراسان نازلا فى بنى عقيل . وله مدح كثير فى فرسان أهل خراسان و رجالاتهم وهو الذى يقول :

من خُراسانَ (١) وبيتي فى الذُّرا ولَدَى المَسعاةِ فرعى قد سَبقْ

وانى لِمنْ قومٍ خُراسانُ دارُهم كرامٍ وفَرْعى فيهـمُ ناضرٌ بسق

وكان شاعراً راجزاً سجاعا خطيبا صاحب منثور ومزدوج وله رسائل معروفة. وأنشد عقبـة بن رؤبة عقبة بن سلم رجزا يمتدحه فيـه و بشار حاضر فاظهـر بشار استحسان الارجوزة فقال عقبـة بن رؤبة هـذا طراز ياأبا معاذ لاتحسنه فقال بشار أَلِمثلى يقال هذا الكلام أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك . ثم غدا على عقبة ابن سلم بارجوزته التى أولها :

ياطَلَلَ الحيِّ بذاتِ الصَّمدِ (٢) باللهِ خَبِّرْ كيفَ كنتَ بعدِى

وهى التى يقول فيها :

اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا الملدِّ للهِ أيامُك فى معَدِّ

وفيها يقول :

الحرُّ يُلحَى (٣) والعَصا للعبدِ وليسَ للمُلْحِفِ (٤) مثلُ الرَّدِّ

و يقول فيها :

وصاحبٍ كالدُّمَّلِ الممدِّ حَمَلْتُهُ فى رُقعةٍ من جِلْدِى

وما وَراءَ رغبتى من زُهْدِى

أى لم أره زهداً فيه ولا رغبة . ذهب الى قول الشاعر :

لقد كنتَ في قومٍ عليكَ أشِحَّةٍ بنفسكَ لولا أنَّ من طاحَ (٥) طائحُ (٦)

يوَدُّونَ لو خاطُوا عليكَ جلودَهم ولا تَدفَعُ الموْتَ النفوسُ الشحائحُ

١ لعله أنا من ٢ المكان المرتفع الغليظ ٣ يلام ، بضم الياء وفتح الحاء ٤ الملح بتشديد الحاء ٥ سقط ٦ هالك

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي . والسيد الحميري . وأبو العتاهيه . وابن أبي عيينة . وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل . وسلما الخاسر . وخلف بن خليفة . وأبانُ بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء . وبشار أطبعهم كلهم . ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة مع بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دَلّ وإشارة عيسى بن يزيد بن دأب أحد بني ليث بن بكر وكنيته أبو الوليد . ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري ومسلم بن الوليد الانصاري وأشباههما . وكان العتابي يحتذي حذو بشار في البديع . ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة والعتابي . من ولد عمرو بن كلثوم [1] ولذلك قال :

إني امرؤٌ هدَّمَ الإقتارُ (٢) ما أثَرَتى ... واجتاحَ (٣) ما بَنَتِ الايامُ مِن خطَرى
أيام عمرُو بنُ كُلثومٍ يُسَوِّدُهُ (٤) ... حيًّا ربيعَةَ والأفناء (٥) من مُضَرِ
أَرُومَةٌ عَطَّلَتْنِي من مَكارِمِها ... كالقَوْسِ عَطَّلَها الرَّامى مِن الوَتَرِ

ودل في هذه القصيدة على أنه كان قصيرا قوله :

تَهى ظِرافَ الغَوانى عن مُواصلَتِي ... ما يَفجأُ العينَ من شَيْبي ومن قِصَرِى

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والاخبار المدونة سهل بن هرون بن راهيوني الكاتب صاحب كتاب ( ثعلة وعفرة ) في معارضة كتاب ( كليلة ودمنة ) وكتاب ( الاخوان ) وكتاب ( المسائل ) وكتاب ( المخزومى والهذلية ) وغير ذلك من الكتب. ومن الخطباء الشعراء على بن ابراهيم بن جبلة بن مخرمة ولا أعلمه يكنى الا أبا الحسن

وسنذكر كلام قس بن ساعدة وشان لقيط بن معبد وهند بنت الخس [6] وجمعة بنت حابس وخطباء اياد اذا صرنا الى ذكر خطباء القبائل ان شاء الله

---

١ أحد أصحاب المعلقات ٢ الافتقار ٣ أهلك ٤ يجعله سيدا ٥ القبائل والجماعات ، والفنء والفنأ بمعنى الجماعة ٦ خ : الحسن

ولاياد وتميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى روى كلام قُسّ بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وهو رواه لقريش والعرب وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه. وهذا اسناد تعجز عنه الامانى وتنقطع دونه الآمال . وانما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ولاظهاره معنى الاخلاص وايمانه بالبعث . ولذلك كان خطيب العرب قاطبة . وكذلك ليس لأحد فى ذلك مثل الذى لبنى تميم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سال عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر قال مانع لحوزته مطاع فى أذينه ١ فقال الزبرقان أما انه قد علم أكثر مما قال لكنه حسدنى شرفى . فقال عمرو أما لئن قال ما قال فوالله ماعلمته الا ضيق الصدر زَمِرَ ٢ المُروءة لئيم الخال حديث الغنى . فلما رأى أنه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان من البيان لسحرا . فهاتان الخصلتان خصت بهما اياد وتميم دون سائر القبائل . ودخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فاشار له الى الوساد فقال له اجلس فجلس على الارض فقال معاوية مامنعك يا أحنف من الجلوس على الوساد فقال ياأمير المؤمنين ان فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقرى ولده أن قال لاتَغْشَ ٣ السلطان حتى يملك ٤ ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد واجعل بينك و بينه مجلس رجل أو رجلين فانه عسى أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك . حسبى بهذا المجلس ياأمير المؤمنين لعله أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منى . فقال معاوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشى الكلام وأنشا يقول :

يا أيُّها السائلُ عمّا مضَى ... وعلم هذا الزمنِ العائبِ
إن كنتَ تبغى العلم أوأهلهُ ... أو شاهداً يخبرُ عن غائبِ
* فاعتبرِ الارضَ بسكّانها ... واعتبرِ الصّاحبَ بالصّاحبِ

وذهب الشاعر فى مرثية أبى داود فى قوله :

١ زعيمه ٢ قليل المروءة ٣ لاتجىء ٤ أى الى الحد الذى يسأمك فيه

وأصبَرُ من عودٍ وأهدَى اذا سرَى  من النّجمِ فى داجٍ من الليل غيهَبِ

هـذا شبيه بقول جبار بن سلمان بن مالك بن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل فقال : كان والله لايضل حتى يضل النجم . ولا يعطش حتى يعطش البعير . ولا يهاب حتى يهاب السيل . وكان والله خيرما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا . وكان زيد بن جندب أشغى [١] أقلح [٢] ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبة . وقال عبيدة بن هلال اليشكرى فى هجائه له :

أشغى عقَنْباةٌ [٣] ونابٌ ذوعصَلْ [٤]  وقلَحٌ بادٍ وسِنٌّ قد نَصَلْ [٥]

وقال عبيدة أيضا فيه :

ولَفُوكَ أشنَعُ حينَ تَنطِقُ فاغِراً  مِن في قَرِيحٍ [٦] قد أصابَ بَرِيرا [٧]

وقال الكميت :

تَشَبَّه بالهامِ آثارها  مَشافِرَ قُرحاً أكلن البرِيرا

وقال أخو النمر بن تولب فى شنعة أشداق الجمل :

كم ضَرْبَةٍ لكَ تَحكى فا [٨] قُرَاسيَةٍ  من المَصاعِبِ في أشداقه شَنَعُ

وفى الخطباء من كان أشغى ومن كان أروق ومن كان أشدق ومن كان أضجم ومن كان أقم . الفراسية بعير أضجم والضجم اعوجاج فى الفم والفقم مثله والروق ركوب السن الشفة . وفى كل ذلك روينا الشاهد والمثل . وروى الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال قدم علينا الاحنف الكوفة مع مصعب ابن الزبير فما رأيت خصلة تذم فى رجل الا وقد رأيتها فيه كان أصعل [٩] الرأس أحجن [١٠] الانف أغضف [١١] الاذن متراكب الاسنان أشدق مائل الذقن ناتئ الوجنة باخق [١٢] العين خفيف العارضين أحنف [١٣] الرجلين ولكنه اذا تكلم جلى عن نفسه ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضا لمنعه . ولولا أنه لم يجد بدا من أن يجعل له شيئا على حال لما أقربانه اذا تكلم جلى عن نفسه. وقولنا فى كلمته هذه كقول هند بنت عتبة حين أتاها نعى يزيد بن أبى سفيان وقال لها بعض المعزين انا لنرجو أن يكون فى معاوية خلف من يزيد فقالت هند ومثل معاوية لايكون خلفا من أحد فوالله

---

١ ذو الشغا وهو اختلاف أنبتة الاسنان فى الطول والقصر والدخول والخروج ٢ ذو القلح وهو صفرة الاسنان ٣ ذو مخالب حداد ٤ عوج ٥ خرج من موضعه ٦ متألم من جراح ٧ أول مايظهر من ثمر الاراك ٨ فم ٩ دقيق ١٠ معوج ومنه المحجن ١١ فى أذنه استرخاء ١٢ أعور ١٣ معوج

لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أى أعراضها شاء . ولكنا نقول ألمثل الاحنف يقال « الا انه اذا تكلم جلى عن نفسه »

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول فيما يعترى اللسان من ضروب الآفات . قال ابن الاعرابى طلّق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال :

لَثْغاء تأتى بحَيَفْسٍ أَلْثَغِ    تَمِيسُ فى المَوْشِىّ والمُصَبَّغِ

الحيفس الولد القصير الصغير . وأنشد ابن الاعرابى كلمة جامعة لكثير من هذه المعانى وهو قول الشاعر :

أُسكُتْ ولا تَنْطِقْ فأنتَ حَبْحابْ[1]    كلّكَ ذو عَيْبٍ وأنتَ عيّابْ[2]

إن صَدَقَ القومُ فانتَ كذّابْ    أو نَطَقَ القومُ فانتَ هيّابْ

أو سكت القومُ فانتَ قبقابْ[3]    أو أقدَمُوا يوماً فانتَ وَجّابْ[4]

وأنشدنى :

ولستُ بزميجةٍ فى الفراشِ    وَجّابةٍ يَحتمِى أنْ يُجيبا

ولاذى قلازِمَ عندَ الحياضِ    اذا ما الشَّريبُ[5] أرابَ الشَّريبا

الزميجة الثقيل عن الحركة . والقلازم كثرة الصياح . وأنشدنى :

رُبَّ غَريبٍ ناصِحِ الجَيْبِ[6]    وابنِ أبٍ مُتَّهَمِ الغَيْبِ

ورُبَّ عيّابٍ له مَنْظَرٌ    مُشْتَمِلُ الثّوْبِ على العيْبِ

وأنشد :

وأجرأُ مَنْ رأيتُ بظَهْرِ غَيْبٍ    على عَيْبِ الرِّجالِ ذوو العُيوبِ

وقال سهل بن هرون لو عرف الزنجى فرط حاجته الى ثناياه فى اقامة الحروف وتكميل جميل البيان لما نزع ثناياه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل ابن عمرو الخطيب يارسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع[7] لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبدا . وانما قال ذلك لان سهيلا كان أعلمَ[8] من شفته السفلى . وقال خلاد

١ القصير الدميم السيء الخلق ٢ الكثير العيب للناس ٣ كثير الكلام ٤ وجب القلب رجف
٥ هو من يستقى أو يشاربك ٦ أمين القلب والصدر ٧ يخرج ٨ مشقوق الشفة

ابن يزيد الارقط خطب الجمحى خطبة نكاح أصاب فيها معانى الكلام وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة فاجابه زيد بن على بن الحسين بكلام فى جودة كلامه الا أنه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة أسنانه فقال فى كلمة له :

قَلَّتْ قَوَادِحُهَا وتَمَّ عَدِيدُها      فَلَهُ بذَاكَ مَزِيَّةٌ لاتُنْكَرُ

و يروى :

صحت مخارجها وتم حروفها

المزية الفضيلة. وزعم يحيي بن نجيم بن معاوية بن زمعة أحد رواة أهل البصرة قال قال يونس بن حبيب فى تاويل قول الاحنف بن قيس :

أنا ابنُ الزّافِرِيَّةِ أرْضَعَتْنِي      بِثَدْيٍ لاأجَدُّ (١) ولاوَخِيمُ

أتَمَّتْنِي فلَم تنقُصْ عِظَامِي      ولاصوَتى اذا اصْطَكَّ الخصُومُ

قال انما عنى بقوله عظامى أسنانه التى فى فمه . وهى التى اذا تمت تمت الحروف . وقال يونس وكيف يقول مثله أتمتنى فلم تنقص عظامى وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين وهو أحنف من رجليه جميعا مع قول الحتات له والله لانك ضئيل وان أمك لورهاء ٢ . وكان أعرف بمواقع العيوب وأبصر بدقيقها وجليلها . وكيف يقول ذلك وهو نصب عيون الاعداء والشعراء والاكفاء وهو أنف مضر الذى تعطس عنه وأبين العرب والعجم قاطبة . قالوا ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة مذ سقطت ثناياه فى الطست . قال أبو الحسن وغيره لما شق على معاوية سقوط مقادم فمه قال له يزيد بن معن السلمى والله مابلغ أحد سنك الا أبغض بعضه بعضا ففوك أهون علينا من سمعك و بصرك فطابت نفسه . وقال أبو الحسن المداينى لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت . قال وسالت مباركا الزنجى الفاشكار ـ ولا أعلم زنجيا بلغ فى الفشكرة مبلغه ـ فقلت له لم ينزع الزنجى ثناياه ولم يحدد ناس منهم أسنانهم فقال أما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ولانهم ياكلون لحوم الناس ومتى حارب ملك ملكا فاخذه قتيلا أو أسيراً أكله وكذلك اذا حارب بعضهم بعضا أكل الغالب منهم المغلوب وأما أصحاب الفلع فانهم قالوا نظرنا الى مقادم أفواه

---

١ يابس ٢ حمقاء

الغنم فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم فكم تظنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا . وفى هذا كلام يقع فى (كتاب الحيوان) . وقال أبو الهندى فى اللثغ :

سُقيتَ أبا المُطَرَّحِ إذ أتانى وذو الرَّعَثاتِ (١) منتصبٌ يَصيحُ
شَراباً يَهرُبُ الذِّبّانُ عنهُ ويَلثَغُ حينَ يَشرَبُه الفَصيحُ

وقال محمد بن عمرو الرومى مولى أمير المؤمنين : قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف منه اذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر . وقد رأينا تصديق ذلك فى أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد أن بقى منها الثلث أو الربع . فمن سقط جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد بن هشام القحذمى صاحب الاخبار . ومنهم أبو سفيان . والعلاء بن لبيد التغلبي وكان ذابيان واَ ـ ـَن . وكان عبيد الله بن أبى غسان ظريفا يصرّف لسانه كيف أحب . وكان الالحاح على القيس قد برد أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيئا الا أن تطامع فى لحم اللثة وفى أصول منابت الاسنان . وكان سفيان بن الابرد الكلبي كثيرا ما يجمع بين القار ٢ والحار فتساقطت أسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بينا . وقال أهل التجربة اذا كان فى اللحم الذى فيه مغارز الاسنان تشمير ٣ وقصر سمك ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ٤ ولم يمر فى هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة ٥ فمه لم يضره سقوط أسنانه الا بالمقدار المفتقر ٦ والجزء المحتمل . ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم فى (كتاب الحيوان) أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يلقن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك وكالذى يتهيأ من أفواه السنانير اذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس . فاما الغنم فليس يمكنها أن تقول الا «ماء» والميم والباء أول ما يتهيأ فى أفواه الاطفال كقولهم ماما وبابا لانهما خارجان من عمل اللسان وانهما يظهران بالتقاء الشفتين وليس شيء من الحروف أدخل فى باب النقص والعجز من فم الاهتم من الفاء والسين اذا كانا فى وسط الكلمة . فاما الصاد فليس تخرج الا من الشدق الايمن الا أن يكون

١ الديك ٢ البارد ٣ تقلص ٤ يضربه ٥ الحفرة أو المكان الوطىء ٦ خ : المغتفر

المتكلم أعسر يسراً [١] مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يخرج الضاد من أى شدقيه شاء . فاما الايمن [٢] والاعسر [٣] والاضبط [٤] فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد . وكذلك الانفاس مقسومة على المنخرين فحالا يكون الاستروّاح ودفع البخار من الجوف من الشق الايمن وحالا يكون من الشق الايسر ولا يجتمعان على ذلك فى وقت الا أن يستكره ذلك مستكره أو يتكلفه متكلف فاما اذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن الا كما قالوا . وقالوا الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الانصار فقال : أرادّى أنت الى الكفر بعد الايمان ، لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه . ولكنى سادلك على غلام فى الحى كافر كأن لسانه لسان ثور . يعنى الاخطل . وجاء فى الحديث أن الله تبارك وتعالى يبغض الرجل يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة [٥] الخلى [٦] بلسانها . قالوا ويدل على ذلك قول حسان بن ثابت حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بقى من لسانك فاخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته [٧] ثم قال والله انى لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه وما يسرنى به مقول من معدّ . وأبو الصمت مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة وأبوه وابنه فى نسق واحد يقرعون باطراف ألسنتهم أطراف آنفهم . وتقول الهند لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أطق من كل طائر يتهيأ فى لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة . وقد ضرب الذين يزعمون أن ذهاب جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين فى ذلك مثلا فقالوا الحمام المقصوص جناحاه جميعا أجدر أن يطير من الذى يكون أحدهما وافرا والآخر مقصوصا . قالوا وعلة ذلك التعديل والاستواء واذا لم يكن كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يجذف ولم يطر . والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواهها أن تقول « قطا قطا » و بذلك سميت . و يتهيأ من أفواه الكلاب العينات والفاآت والواوات كنحو قولها « وَوْ وَوْ » وكنحو قولها « عَفْ عَفْ » قال الهيثم بن عدى قيل لصبى مَن أبوك قال « وَوْ وَوْ » لان أباه كان يسمى كلبا

ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين . قال الاصمعى ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريانى دال

---

١ هو الذى يعمل بيديه جميعا أو ماشا كل ذلك ٢ من يصنع بيمناه ٣ من يعمل بيسراه ٤ هو الذى يعمل بكلتى يديه ٥ واحدة البقر ٦ الرطب من النبات أو كل بقلة قلعتها ٧ طرف الانف

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تنافر وان كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها الا ببعض استكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرُ     وليسَ قُرْبَ قَبرِ حَرْبٍ قَبْرُ

ولما رأى من لاعلم له أن أحداً لايستطيع أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراه اذ كان من أشعار الجن صدقوا بذلك . ومن ذلك قول ابن بشير فى أحمد بن يوسف حين استبطأه :

هل مُعينٌ على البُكا والعَويلِ     أم مُعَزٍّ على المُصابِ الجَليلِ
مَيِّتٌ ماتَ وهو فى وَرَقِ العَيْـ     ـشِ مقيمٌ به وظِلٍّ ظَليلِ
فى عِدادِ الموتى وفى عامِرِ الدنيا     أبو جعفر أخى وخليلى
لم يَمُتْ مِيتَةَ الوَفاةِ ولكنْ     ماتَ مِنْ كُلِّ صالحٍ وجميلِ
لا أُذيلُ(١) الآمالَ بعدكَ إنّى     بَعْدَها بالآمالِ حقٌّ بخيلِ
كم لَها موقِفاً ببابِ صَديقٍ     رَجَعَتْ من نَداهُ بالتَعْطيلِ

ثم قال :

لم يَضُرْها والحمدُ للهِ شئٌ     وانْثَنَتْ نحوَ عُرْفِ نفسٍ زهولِ(٢)

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض .
وأنشدنى أبو العاصى قال أنشدنى خلف الاحمر فى هذا المعنى :

وبعضُ قَرِيضِ القومِ أولادُ عَلَّةٍ     يُكِدُّ لسانَ الناطقِ المُتَحَفِّظِ

وقال أبو العاصى أنشدنى فى ذلك أبو البيداء الرياحى :

وشِعرٌ كبَعرِ الكَبْشِ فرَّقَ بينَه     لسانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخيلِ

أما قول خلف « وبعض قريض القوم أولاد علة » فانه يقول اذ كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لايقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات ٣ . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضيا

١ لاأهين ٢ متباعدة ٣ هم الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى

موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة . وأجود الشعر مارأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فيعلم بذلك أنه أفرغ افراغا جيدا وسبك سبكا واحدا فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان

وأما قوله « كبعر الكبش » فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة لسا ولينة المعاطف سهلة . وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده . والاخرى تراها سهلة لينة ورطبة متواتية سليمة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت باسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة باسرها حرف واحد. قال سحيم ابن حفص قالت بنت الحطيئة للحطيئة : تركت قوما كراما ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش . فعابتهم بتفرق بيوتهم فقيل لهم فانشدونا بعض مالا تتنافر أجزاؤه ولا تتباين ألفاظه فقالوا قال الثقفى :

مَن كانَ ذا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلامتَهُ ... إنّ الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ
تَنبُو يداهُ اذا ماقَلّ ناصِرُهُ ... ويأنفُ الضَّيمَ إنْ أثرى [١] له عَدَدُ

وأنشدوا :

رمتْنى وسترُ اللهِ بينى وبينَها ... عشيةَ أرآمُ الكِناسِ [٢] رَميمُ
رميمُ التى قالتْ لجارات بيتِها ... ضَمِنتُ لكم أن لا يزالَ يَهِيمُ
ألا رُبَّ يومٍ لو رَمَتْنى رَمَيتُها ... ولكنّ عهدى بالنِّضالِ قديمُ

وأنشدوا :

ولستُ بزميجة فى الفراش ... وجّابة يَحتمي أن يُجيبا
ولا ذي قلازمَ [٣] عند الحياضِ ... اذا ماالشَّريبُ أرابَ الشريبا

قال نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج ياأبا الجحاف مت متى شئت . قال وكيف ذلك . قال رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزا أعجبني . قال انه يقول لو كان لقوله قِرَان [٤] وقال الشاعر :

مَهاذِبَةٌ [٥] مَناجِبَةٌ قِرانٌ ... مَنادِبَةٌ كأنَّهمُ الاسودُ

---

١ كثر ٢ موضع الظبى فى الشجر يكتن فيه ٣ القلزمة اللؤم والصخب ٤ جمع قرن بفتح القاف وهو من القوم سيدهم ٥ خ : مهاربة ، وكلهما معنى السرعة

وأنشد ابن الاعرابى :

وبات يَدرُسُ شِعراً لا قِرانَ لهُ ... قد كانَ ثَقَّفَهُ حوْلاً فما زادَا

وقال الآخر بشار :

فهذا بَدِيه لا كتحبير قائلٍ ... إذا ما أرادَ القولَ زوَّره (١) شهرا

فهذا فى افتراق الالفاظ فاما افتراق الحروف فان الجيم لاتقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تاخير . والزاى لاتقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تاخير . وهذا باب كثير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى اليها يجرى

وقد يتكلم المغلاق الذى نشأ فى سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا ومعناه شريفا كريما ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطى. وكذلك اذا تكلم الخراسانى على هذه الصفة فانك تعرف مع اعرابه وتخير ألفاظه فى مخرج كلامه أنه خراسانى . وكذلك ان كان من كتاب الاهواز . ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لايغادر من ذلك شيئا وكذلك تكون حكايته للخراسانى والاهوازى والزنجى والسندى والاجناس وغير ذلك . نعم حتى تجده كانه أطبع منهم فاما اذا حكى كلام ألفافاء فكانما قد جمعت كل طرفة فى كل فافاء فى الارض فى لسان واحد كما أنك تجده يحكى الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه لاتكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله فكانه قد جمع جميع طرق حركات العميان فى أعمى واحد . ولقد كان أبو دبوبة الزنجى مولى آل زياد يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير [٢] ولا متعب بهير [٣] الا نهق وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه . وكان [٤] قد جمع جميع الصور التى تجمع نهيق الحمار فجعلها فى نهيق واحد . وكذلك كان فى نباح الكلاب . ولذلك زعمت الاوائل أن الانسان انما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة ويحكى بفمه كل حكاية ولانه ياكل النبات كما تاكل البهائم وياكل الحيوان كما تاكل السباع وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا . وانما تهيا وأمكن الحاكية بجميع

١ حسنه وقومه ٢ ضعيف ٣ الذى يعدو فيتتابع نفسه وينقطع من الاعياء ٤ خ : وكأنه

مخارج الامم لما أعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذى لم يزل فيه

وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور الحركات والسكون . فاما حروف الكلام فان حكمها اذا تمكنت فى الالسنة خلاف هذا الحكم . ألا ترى أن السندى اذا جلب كبيرا فانه لا يستطيع الا أن يجعل الجيم زاياً ولو أقام فى علياء تميم وسفلى قيس و بين عجز هوازن خمسين عاما . وكذلك النبطى القح خلاف المغلاق الذى نشأ فى بلاد النبط لان النبطى القح يجعل الزاى سينا فاذا أراد أن يقول زورق قال سورق و يجعل العين همزة فاذا أراد أن يقول مشمعل قال مشمئل . والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بان تقول ناعمة وتقول شمس ثلاث مرات متواليات

والذى يعترى اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التى تعترى الصبيان الى أن ينشؤا وهو خلاف ما يعترى الشيخ الهرم الماج [1] المسترخى الحنك المرتفع اللثة . وخلاف مايعترى أصحاب اللكن من العجم ومن نشأ من العرب مع العجم

فمن اللكن ممن كان خطيباً أوشاعراً أو كاتباً داهياً زياد بن سلمى أبو أمامة وهو زياد الاعجم قال أبو عبيدة كان ينشد قوله :

فتًى زادَهُ السلطانُ فى الودِّ رِفعةً ... إذا غيّرَ السُّلطانُ[2] كلَّ خليلِ

قال كان يجعل السين شينا والطاء تاء فيقول :

فتي زاده الشلتان فى الود رفعة

ومنهم سُحيم عبد بنى الحسحاس قال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأنشده قصيدته التى أولها :

عُمَيْرَةَ ودِّعْ إن تجهَّزْتَ غادِيا ... كفَى الشَّيْبُ والاسلامُ للمرء ناهيا

لو كان شعرك كله مثل هذا لاجزتك . هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب : لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك . قال ما سعرت . يريد ما

١ الذى يسيل لعابه كبراً وهرما ٢ السلطة

شعرت فجعل الشين المعجمة سينا غير معجمة

ومنهم عبيد الله بن زياد والى العراق قال لهانئ بن قبيصة « أهروري سائر اليوم » يريد أحروري .

ومنهم صهيب بن سنان النمري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « انك لهائن » يريد انك لخائن . وصهيب بن سنان يرتضخ [1] لكنة رومية وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء وازدانقاذار لكنته نبطية وكان مثلهما فى جعل الحاء هاء . وبعضهم يروى أنه أملى على كاتب له فقال أكتب « الهاصل ألف كر » فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال « أنت لاتهسن أن تكتب وأنا لاأحسن أن أملي فاكتب : الجاصل ألف كر » فكتبها بالجيم معجمة

ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة كان جيد الالفاظ جيد المعانى وكان اذا أراد أن يقول قلت له قال كلت له فشارك فى تحويل القاف كافا عبدَ الله بن زياد . وكذلك خبرنا أبو عبيدة وانما أتى عبيد الله بن زياد فى ذلك أنه نشأ فى الاساورة عند شيرويه الاسوارى زوج أمه مرجانة وقد كان فى آل زياد غير واحد يسمى شيرويه . قال وفى دار شيرويه عاد على ابن أبي طالب كرم الله وجهه زيادا من علة كانت به

فهذا ماحضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء فاما لكنة العامة ومن لم يكن له حظ فى المنطق فمثل قيل مولى زياد فانه مرة قال لزياد أهدوا الينا همار وهش يريد حمار وحش . قال زياد وأى شيء تقول ويلك . قال أهدوا الينا أيراً يريد عيرا . فقال زياد الاول أهون . وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها وقع الجردان فى عجان أمكم أبدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم وجعلت العجين عجانا . قال بعض الشعراء فى أم ولد له يذكر لكنتها :

أكثرُ ماأسمعُ منهافى السحرْ تذكيرُها الانثى وتأنيثُ الذكرْ

والسوأةُ السوآء [2] فى ذكر القمرْ

لانها كانت اذا أرادت أن تقول القمر قالت الكمر وقال ابن عباد ركبت عجوز

[1] ينزع الى اللكنة الاعجمية لايستمر لسانه على غيرها ولو اجتهد [2] الخلة القبيحة

سندية جملا فلما مشى تحتها متخلعا اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت «هذا الذمل يذكرنا بالسر» تريد أنه يذكرها بالوطء فجعلت الشين سينا [1] والجيم ذالا وهذا كثير

وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطى لم ابتعت هذه الاتان قال «أركبها وتَـلَـدُ لى» فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال تلَد لى ولم يقل تلِد لى . والصقلى [2] يجعل الذال المعجمة دالا فى الحروف

# باب البيان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال بعض جهابذة الالفاظ ونقاد المعانى : المعانى القائمة فى صدور العباد المتصورة فى أذهانهم والمتخلجة [3] فى نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره * وانما يحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها * وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفى منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا . وهى التى تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مالوفا والغُفْلَ موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدّلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون اظهار المعنى . وكلما كانت الدّلالة أوضح وأفصح وكانت الاشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع * والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو اليه ويحث عليه . وبذلك نطق القرآن . وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الاعجام

والبيان اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن

---

١ وذلك حين قالت « بالسر » وأرادت « بالشر » ٢ المنسوب الى جزيرة صقلية فى جنوب ايطاليا ٣ المتحركة

أى جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فباى شىء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع

ثم اعلم حفظك الله أن حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية وأسماء المعانى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لاتنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال تسمى نصبة . والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات

ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها فى السار والضار وعما يكون منها لغوا بهرجا [1] وساقطا مطرحا

وقال أبو عثمان : وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب . ولكننا أخرناه لبعض التدبير . وقالوا البيان بصر والعى عمى . كما أن العلم بصر والجهل عمى . والبيان من نتاج العلم والعى من نتاج الجهل . وقال سهل بن هرون العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم . وقال صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق المبين . وقالوا حياة المروءة الصدق وحياة الروح العفاف وحياة الحلم العلم وحياة العلم البيان . وقال يونس بن حبيب ليس لعى مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيافوخه عنان السماء . وقالوا شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من علمه واختياره قطعة من عقله . وقال ابن التوام الروح عماد البدن والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم

قد قلنا فى الدلالة باللفظ ، فاما الاشارة فباليد و بالرأس و بالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان و بالثوب و بالسيف . وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا و يكون وعيدا وتحذيرا

والاشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ماتنوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط

و بعد فهل تعدو الاشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على

---

[1] باطلا ورديئا

اختلاف فى طبقاتها ودلالتها . وفى الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسترها [١] الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس . ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر فى دلالات الاشارة :

أَشارَتْ بطَرْفِ العَينِ خِيفةَ أهلِها ... اشارَةَ مَذْعُورٍ ولم تَتَكلَّمِ
فأيقنتُ أَنَّ الطرفَ قد قال مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المتيَّمِ

وقال الآخر :

وللقلبِ على القَلْـ ... ـبِ دَليلٌ حين يلقاهُ
وفي الناسِ من النّا ... سِ مَقاييسُ وأَشْباهُ
وفي العَينِ غِنى للمر ... ءِ أَنْ تنطِقَ أفواهُ

وقال الآخر :

ومَعْشَرٍ صِيدٍ [٢] ذَوِى تَجِلَّهْ ... تَرَى عليهم للنَّدَى أَدِلَّهْ

وقال الآخر :

تَرَى عينُها عينى فتعرفُ وَحيَها ... وتعرِفُ عينى ما بِهِ الوحيُ يُرْجَعُ

وقال الآخر :

وعينُ الفتى تُبْدِي الذِى فى ضميرِهِ ... وتعرِفُ بالنَّجْوَى الحديثَ المغمَّسا [٣]

وقال الآخر :

العينُ تُبْدِي الذي فى نفسِ صاحبِها ... من المحبةِ أو بغضٍ اذا كانا
والعينُ تنطِقُ والافواهُ صامِتَةٌ ... حتى ترى من ضميرِ القلبِ تِبيانا

هذا ومبلغ الاشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضا باب تتقدم فيه الاشارة الصوت . والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذى يقوم به التقطيع و به يوجد

---

١ خ : يسرها ٢ جمع أصيد وهو الذى يرفع رأسه كبراً ٣ المستخفى

التاليف . ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتاليف . وحسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الاشارة من الدل والشكل والتفتل والتثنى واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الامور

قد قلنا فى الدلالة بالاشارة فاما الخط فمما ذكر الله تبارك وتعالى فى كتابه من فضيلة الخط والانعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم «اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم» وأقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال «ن والقلم وما يسطرون» ولذلك قالوا «القلم أحد اللسانين» كما قالوا قلة العيال أحد اليسارين وقالوا «القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا» وقال عبد الرحمن بن كيسان استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام . وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق فى الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن . والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس فى كل زمان واللسان لايعدو سامعه ولا يتجاوزه الى غيره

وأما القول فى العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل «فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم» وقال جل وتقدس «الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان» وقال تبارك وتعالى «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق» وقال تبارك وتعالى «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره معنى الحساب فى الآخرة

وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ماجعله الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما

وأما النصبة فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد . وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص . فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق . فالصامت

ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان . ولذلك قال الاوَل : سل الارض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك . فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا . وقال بعض الخطباء أشهد أن السموات والارض آيات دالات وشواهد قائمات كل يؤدى عنك الحجة ويعرب عنك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقك فاوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهى على اعترافها لك وذلها اليك شاهدة بانك لاتحيط بك الصفات ولا تحدك الاوهام وأن حظ المفكر فيك الاعتراف لك . وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت : الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس . ومتى دل الشىء على معنى فقد أخبر عنه وان كان صامتا وأشار اليه وان كان ساكتا . وهذا القول شائع فى جميع اللغات ومتفق عليه مع افراط الاختلافات . وأنشد أبو الردينى العكلى فى تنسم الذئب الريح واستنشاقه واسترواحه :

يَستَخبِرُ الريحَ اذا لم يَسمعِ　　بمثلِ مِقراعِ الصَّفا المُوَقَّعِ

المقراع الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقّع المحدد يقال وقعت الحديدة اذا حددتها . وقال عنترة بن شداد العبسى وجعل نعيب الغراب خبرا للزاجر :

حَرِقُ الجَنَاحِ كأنّ لَحيَيْ رأسِهِ　　جلمانِ بالاخبارِ هَشٌّ مُولَعُ

الحرق الاسود . شبه لحييه بالجلمين لان الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان . وقال الراعى :

انّ السماءَ وانّ الريحَ شاهدةٌ　　والارضُ تَشهدُ والايامُ والبلدُ

لقد جزيتَ بنى بَدرٍ ببغيهم　　يومَ الهباءةِ يوماً ما لَهُ قَوَدُ(١)

وقال نصيب فى هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك :

أقولُ لِركبٍ صادِرينَ لقيتُهم　　قِفَا ذاتِ أوشالٍ(٢) ومولاكَ قاربُ(٣)

قِفُوا خبِّرونا عن سليمانَ انّنى　　لِمعروفِهِ من آلِ وَدّانَ طالبُ

---

١ قصاص ٢ يتبع بعضكم بعضا ٣ خ : لاغب

فعاجُوا (٤) فاثنوا بالذى أنت أهله      ولوسكتوا أثْنَتْ عليك الحقائِب

وهذا كثير جدا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه «قيمةُ كل انسان مايحسن» فلو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية

وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله . فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التاييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة . وقد قال عامر بن عبد القيس « الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان »

قال الحسن رضى الله تعالى عنه وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرقّ عندها فقال له « ياهذا ان بقلبك لشرا أو بقلبى » وقال على بن الحسين ابن على رضى الله عنهما « لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة وجملة الحال فى صواب التبيين لاعربوا عن كل ما تخلج فى صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم وعلى أن درك ذلك كان يعدمهم فى الايام القليلة العدة والفكرة القصيرة المدة ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ومعدول بالهوى عن باب التثبت ومصروف بسوء العادة عن تفضيل التعلم » . وقد جمع محمد بن على بن الحسين صلاح شان الدنيا بحذافيرها فى كلمتين فقال « صلاح شان جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال : ثلثاه فطنة وثلثه تغافل » فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولا حظا فى الصلاح لان الانسان

---

١ انثنوا

لايتغافل الا عن شىء قد فطن له وعرفه . وذكر هذه الثلاثة الاخبار ابراهيم بن داحة عن محمد بن عمير . وذكرها صالح بن على الافقم عن محمد بن عمير . وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع وكان بن عمير أغلاهم

وأخبرنى ابراهيم بن السندى عن على بن صالح الحاجب عن العباس بن محمد قال قيل لعبد الله بن عباس أنى لك هذا العلم : قال « قلب عقول ولسان سؤول » وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه والدليل على ذلك قول الحسن ان أول من عرف بالبصرة ابن عباس صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ففسرها حرفا حرفا وكان مثجا يسيل غربا . المثج السائل الكثير وهو من الثجاج والغرب ههنا الدوام . أخبرنا هشام بن حسان وغيره قال قيل للحسن ياأبا سعيد ان قوما زعموا أنك تذم ابن عباس قالوا فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال ان ابن عباس كان من الاسلام بمكان ان ابن عباس كان من العلم بمكان وكان والله له لسان سؤول وقلب عقول وكان والله مثجا يسيل غربا

قالوا وقال على بن عبد الله بن عباس « من لم يجد مس نقص الجهل فى عقله وذل المعصية فى قلبه ولم يستبن موضع الخلة فى لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن يفزع عن ريبة ولا يرغب عن حال معجزة ولا يكترث لفصل ما بين حجة وشبهة » قالوا وذكر محمد بن على بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله فقال « انى لاكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله » وهذا كلام شريف نافع فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه

ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدنىء الساقط يعشش فى القلب ثم يبيض ثم يفرخ فاذا ضرب بجرانه ومكن لعروقه استفحل الفساد وبزل [1] وتمكن الجهل وفرخ فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه . اللفظ الهجين الردىء والمستكره الغبى أعلق باللسان وآلف للسمع وأشد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم ولو جالست الجهال والنوكى [2] والسخفاء والحمقى شهرا فقط لم تنق من أوضار [3] كلامهم وخبال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا لان الفساد أسرع الى الناس وأشد التحاما بالطبائع . والانسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه . وهو لايحتاج فى الجهل الى أكثر من ترك التعلم وفى فساد البيان الى أكثر من ترك التخير

١ انشق ٢ جمع أنوك أى أحمق ٣ أوساخ

ومما يؤكد قول محمد بن على بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء حين قيل له متى يكون الادب شرا من عدمه . قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة . وقد قال بعض الاولين « من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه » وهذا كله قريب بعضه من بعض . وذكر المغيرة بن شعبة عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه فقال « كان والله أفضل من أن يَخدع [١] وأعقل من أن يُخدع » وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس « كفاك من علم الدين أن تعلم مالا يسع جهله وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثل » وكان عبد الرحمن بن اسحق القاضى يروى عن جده ابراهيم بن سلمة قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت الامام ابراهيم بن محمد يقول « يكفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع » قال أبو عثمان وأما أنا فاستحسن هذا القول جدا

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله . وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى الانبياء عامة . أخبرنى أبو الزبير كاتب محمد بن حسان وحدثنى محمد ابن أبان — ولا أدرى كاتب من كان — قالا قيل للفارسى ما البلاغة . قال معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليونانى ماالبلاغة . قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام . وقيل للرومى ماالبلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . وقيل للهندى ماالبلاغة . قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة . ثم قال ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر . قال وقال مرة جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخرق بما التبس من المعانى أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر . ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه . وحلاوته وسناؤه . أن تكون الشمائل موزونة . والالفاظ معدلة . واللهجة نقية . فانْ جامَع ذلك السنُّ والسَّمت [٢] والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال

وخالف عليه سهل ابن هرون — وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه وحسن الاشارة

[١] خ : أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع [٢] الطريق : ويستعار لهيئة أهل الخير

بعيداً من الفدامة [١] معتدل القامة مقبول الصورة يقضى له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان وبالنبل قبل التكشف . فلم يمنعه ذلك أن يقول ماهو الحق عنده وان أدخل ذلك على حاله النقص — قال سهل بن هارون : لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريفا . وكان الآخر قليلا قميئا [٢] و باذ [٣] الهيئة ذميما [٤] وخامل الذكر مجهولا . ثم كان كلاهما فى مقدار واحد من البلاغة وفى وزن واحد من الصواب . لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الذميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذى الهيئة . ولشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه ولصار التعجب منه سببا للعجب به . ولكان الاكثار فى شانه علة للاكثار فى مدحه . لان النفوس كانت له أحقر ومن بيانه أيئس ومن حسده أبعد . فاذا هجموا منه على مالم يحتسبوه وظهر منه خلاف ماقدروه تضاعف حسن كلامه فى صدورهم وكبر فى عيونهم . لان الشيء من غير معدنه أغرب . وكلما كان أغرب كان أبعد فى الوهم . وكلما كان أبعد فى الوهم كان أظرف . وكلما كان أظرف كان أعجب . وكلما كان أعجب كان أبدع . وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين . فان ضحك السامعين من ذلك أشد وتعجبهم به أكثر . والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البديع . وليس لهم فى الموجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى مثل الذى معهم فى الغريب القليل وفى النادر الشاذ وكل ما كان فى ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد الجيران فى عالمهم والاصحاب فى الفائدة من صاحبهم . وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم ويرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر فى وجوه العلم تصرفا وأخف مؤنة وأكثر فائدة . ولذلك قدم بعض الناس الخارجىّ على العريق والطارف على التليد . وكانوا يقولون اذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا فانك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين اما رجلا يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل والاكبار والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه وموقعهما من قلبه . واما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من أن يكون تعظيمه لهما يوهمه من صواب قولهما و بلاغة كلامهما ماليس عندهما حتى يفرط فى الاشفاق ويسرف فى التهمة . فالاول يزيد فى حقه للذى له فى نفسه . والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولاشفاقه من

[١] العى والثقل [٢] صغيرا ذليلا [٣] رث [٤] أى مذموما . والأحرى أن تكون « دميما » أى قبيحا وحقيرا

أن يكون مخدوعا فى أمره . فاذا كان الحب يعمى عن المساوى فالبغض يعمى عن الحقائق والمحاسن . وليس يعرف حقائق مقادير المعانى ومحصول حدود لطائف الامور الا عالم حكيم أو معتدل الاخلاط [١] عليم والا القوى المنة [٢] الوثيق العقدة والذى لايميل مع ما يستميل الجمهور الاعظم والسواد الاكثر

وكان سهل بن هرون شديد الاطناب فى وصف المأمون فى البلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة والطلاوة . واذا صرنا الى ذكر مايحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم و بلغاء رجال القبائل قلنا فى وصفهما على حسب حالهما والفرق الذى بينهما . ولاننا عسى أن نذكر جملة أسماء خطباء الجاهليين والاسلاميين والبدويين والحضريين و بعض مايحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم و بالله التوفيق

ثم رجع بنا القول الى ذكر الاشارة : وروى أبو شمر عن معمر أبى الاشعث خلاف القول الاول فى الاشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الاكفاء

وكان أبو شمر اذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه . حتى كأن كلامه انما يخرج من صدع صخرة . وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ ارادته . وكان يقول ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه ابراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسألة حتى حرك يديه وحلَّ حبوته [٣] وحبا اليه حتى أخذ بيديه . ففى ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبى شمر الى قول ابراهيم . وكان الذى غرّ أبا شمر وموّه له هذا الرأى أن أصحابه كانوا يستمعون منه و يسلمون له ويميلون اليه و يقبلون كل ما يورده عليهم و يثبته عندهم . فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم اياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم . وكان شيخاً وقورا وزميتا [٤] ركينا . وكان ذا تصرف فى العلم ومذكورا بالفهم والحلم

قال معمر أبو الاشعث قلت لبهلة الهندى أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل (منكة) و (وبازيكر) و (قلبرقل) و (سندباز) وفلان وفلان : ما البلاغة عند أهل الهند . قال بهلة عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لاأحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فاثق من نفسى بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها . قال أبو

[١] الدم والبلغم والصفراء والسوداء . واحدها « خلط » بكسر الخاء [٢] الشديد القوة [٣] قام [٤] وقوراً

الاشعث فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ـ وذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ساكن الجوارح قليل اللحظ . متخيرا للفظ . لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة . ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الالفاظ قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والتظرف »

وقال من علم حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا و يكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا . و يكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه و يكون تصفحه لمصادره فى وزن تصفحه لموارده . و يكون لفظه مؤنقا ولهول تلك المقامات معاودا . ومدار الامر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم . وأن تواتيه آلته وتتصرف معه أداته و يكون فى التهمة لنفسه معتدلا وفى حسن الظن بها مقتصدا . فانه ان تجاوز مقدار الحق فى التهمة لنفسه ظلمها فأودعها ذلة المظلومين وان تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن بها أمنها فاودعها تهاون الآمنين . ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل

وقال ابراهيم بن هانئ ـ وكان ماجنا خليعا كثير العبث متمردا . ولولا أن كلامه هذا الذى أراد به الهزل يدخل فى باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضى . وليس فى الارض لفظ يسقط ألبتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الاماكن ـ وقال ابراهيم بن هانئ : من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى و يكون شيخا بعيد مدى الصوت . ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء . ومن تمام آلة المغنّى أن يكون فاره البرذون [1] براق الثنايا عظيم الكبر سيئ الخلق . ومن تمام آلة الخمّار أن يكون ذميًّا و يكون اسمه أذين أو مازيار أو ازدانقاذار أو ميشا أو شلوما و يكون أرقط [2] الثياب مختوم العنق . ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابيا . و يكون الداعى الى الله صوفيا . ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد

---

١ قال ابن فارس : برذن الرجل برذانة اذا ثقل . ومنه اشتقاق البرذون وهو ضرب من الدواب دون الخيل وأقدر من الحمر . والفاره الحاذق ٢ منقش

ثقيل السمع عظيم الرأس

ولذلك قال ابن سنان الجديدى لراشد بن سلمة الهذلى : ماأنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيدا ولا بأرسح [1] فتكون فارسا . وقال شبيب بن شيبة الخطيب لبعض فتيان بنى منقر : والله مامطلت مطل الفرسان ولا فتقت فتق السادة. قال الشاعر :

تُقَلِّبُ رأساً لم يكنْ رأسَ سيّدٍ ... وكفاً ككفِّ الضبِّ أوهيَ أحقر

فعاب صغر رأسه وصغر كفه كما عاب الشاعر كف عبد الله بن مطيع العدوى حين وجدها غليظة جافية فقال :

دعا ابنُ مُطِيعٍ للبياع فجئتُه ... الى بَيْعَةٍ قلبي لها غيرُ آلفِ

فناولني خَشْناءَ لمّا لمسْتُها ... بكفّيَ ليستْ من أكُفِّ الخلائفِ

وهذا باب يقع فى « كتاب الجوارح » مع ذكر البُرص والعُرج والعُمر والأُدْر [2] والقُلج [3] والحُدب والقُرع وغير ذلك من علل الجوارح وهو وارد عليكم بعد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى. وقال ابراهيم بن هانئ : ومن تمام آلة الشيعى أن يكون وافر الجمة صاحب باز بكند. ومن تمام آلة الحارس أن يكون زميتا قطوبا أبيض اللحية أقنى أجنى وصاحب تكلم بالفارسية

وأخبرنى ابراهيم بن السندى قال دخل العمانى الراجز على الرشيد لينشده شعرا وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال اياك أن تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دمالقان . قال ابراهيم قال أبو نصر فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزى الاعراب فانشده ثم دنا منه فقبل يده وقال ياأمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت يزيد بن الوليد وابراهيم ابن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما وأنشدت السفاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت الهادى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته هذا الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الامراء والسادة الرؤساء ولا والله إن رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفا ولا أندى راحة منك ياأمير المؤمنين ووالله لو ألقى فى

---

[1] قليل لحم العجز والفخذين [2] أدر الرجل: انفتق صفاقه فوقع قصبه فى صفنه فهو آدر [3] خ : القلح

روعى أنى أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت . فاعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى والله جميع من حضر أنهم قاموا ذلك المقام

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول . قال ابن الاعرابى قال معاوية بن أبى سفيان لصُحار بن عياش العبدى : ما هذه البلاغة التى فيكم . قال : شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجل من عرض القوم : يا أمير المؤمنين بالبُسْر ١ والرطب أبصر منهم بالخطب . فقال له صُحار : أجل والله انا لنعلم أن الريح لتنفخه وأن البرد ليعقده وأن القمر ليصبغه وان الحر لينضجه . فقال له معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم . قال : الايجاز . قال له معاوية : وما الايجاز . قال له صحار : ان تجيب فلا تُبطئ وأن تقول فلا تخطئ . فقال معاوية : أو كذلك تقول . قال صحار : أقلنى يا أمير المؤمنين لا تبطئ ولا تخطئ

وشان عبد القيس عجيب وذلك أنهم بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب . وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من أشعر قبيلة فى العرب . ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سرة البادية وفى معدن الفصاحة وهذا عجب . ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان وشيخان بن صوحان . ومنهم صُحار بن عياش . وصحار من شيعة عثمان و بنو صوحان من شيعة على . ومنهم مصقلة بن رقبة ورقبة بن مصقلة وكرب ابن رقبة . واذا صرنا الى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر مايحضرنا وبالله التوفيق

قال لى ابن الاعرابى قال لى المفضل بن محمد الضبى قلت لاعرابى منا : ما البلاغة . قال : الايجاز فى غير عجز والاطناب فى غير خطل . قال ابن الاعرابى فقلت للمفضل : ما الايجاز عندك . قال : حذف الفضول وتقريب البعيد . قال ابن الاعرابى قيل لعبد الله بن عمر لو دعوت الله لنا بدعوات . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا . فقال رجل لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن : فقال نعوذ بالله من الاسهاب

---

١ التمر قبل ارطابه وذلك اذا لون ولم ينضج

## باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والابيناء والفقهاء والامراء ممن لايكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل

منهم زيد بن صوحان

ومنهم أبو واثلة إياس بن معاوية المزنى القاضى القائف وصاحب الزَّكَن [١] والمعروف بجودة الفراسة ولكثرة كلامه قال له عبد الله بن شُبرُمة أنا وأنت لانتفق : أنت لاتشتهى أن تسكت، وأنا لاأشتهى أن أسمع . وأتى حلقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميما باذّ الهيئة قشفا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا اليه وقالوا الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا فى زىّ مسكين تكلمنا بكلام الملوك . ورأيت ناسا يستحسنون جواب إياس حين قيل له مافيك عيب غير أنك معجب بقولك . قال أفاعجبكم قولى. قالوا نعم. قال فانا أحق بان أعجب بما أقول وبما يكون منى – منكم

والناس حفظك الله لم يضعوا ذكر العجب فى هذا الموضع . والمعيب عند الناس ليس هو الذى يعرف مايكون منه من الحسن . والمعرفة لاتدخل فى باب التسمية بالعجب والعجب مذموم . وقد جاء فى الحديث « ان المؤمن من ساءته سيئته وسرته حسنته » وقيل لعمر فلان لايعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه . وانما العجب اسراف الرجل فى السرور بما يكون منه والافراط فى استحسانه حتى يظهر ذلك منه فى لفظه وفى شمائله . وهو كالذى وصف به صعصعة بن صوحان المنذرَ بن الجارود عند على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : أما والله انه مع ذلك لَنظّار فى عطفيه تفّال فى شراكيه [٢] تعجبه حمرة برديه

قال أبو الحسن قيل لاياس مافيك عيب الا كثرة الكلام قال فتسمعون صوابا أم خطأ قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير . وليس – كما قال – للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية . وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الاسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه . وذكر الاصمعى أن عمر بن هبيرة لما أراده [٣] على القضاء قال انى لا أصلح له قال وكيف ذاك قال لانى عيي ولانى دميم ولانى حديد . قال ابن هبيرة أما الحدة فان السوط

---

١ الفطنة ٢ كثير البصق فى طريقه ٣ أى لما أراد اياسا

يقوّمك وأما الدمامة فانى لاأريد أن أحاسن بك أحدا وأما العى فقد عبرتَ عما تريد. فان كان إياس عند نفسه عييا فذاك أجدر أن يهجر الا كثار . و بعد هذا فما نعلم أحدا رمى إياسا بالعى وانما عابوه بالا كثار . وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال مارأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض ، الا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف و إياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا . وقال قائل لاياس لم تعجل بالقضاء فقال له إياس كم لكفك من اصبع قال خمس قال عجلت قال لم يعجل من قال بعد ما قتل الشىء علما ويقينا قال إياس فهذا هو جوابى لك . وكان كثيرا ماينشد قول النابغة الجعدى :

أبى لى البَلاء (١) وأنى امرؤٌ إذا ما تبيَّنْتُ لم أرْتَبِ

قال ومدح سلمة بن عياش سوار بن عبد الله بمثل ما وصف به اياس نفسه حين قال :

وأوقفَ عند الامرِ مالم يَبِنْ لهُ وأمْضَى اذا ماشاكٌ ما كان ماضِيا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى عدى بن أرطاة : إن قِبلك رجلين من مزينة فولّ أحدهما قضاء البصرة . يعنى بكر بن عبد الله المزنى واياس بن معاوية . فقال بكر والله ماأُحسن القضاء فان كنتُ صادقاً فما يحل لك أن توليني وان كنت كاذبا انها لاحراها . وكانوا اذا ذكروا البصرة قالوا شيخها الحسن وفتاها بكر . وقال اياس بن معاوية لست بخَبّ والخب لايخدعنى ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن . ودخل الشام وهو غلام فتقدم خصماً له وكان الخصم شيخا كبيرا الى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضى أتتقدم شيخا كبيرا . قال الحق أكبر منه . قال أسكت . قال فمن ينطق بحجتى . قال لاأظنك تقول حقا حتى تقوم . قال قال لااله الا الله أحقا هذا أم باطلا ، فقام القاضى فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر . فقال عبد الملك اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لايفسد علىّ الناس . فاذا كان من اياس وهو غلام يخاف على جماعة أهل الشام فما ظنك به وقد كبرت سنه وعض ناجذه . واياس هو الذى قال لست بخب والخب لايخدعنى ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن . وجملة القول فى اياس أنه كان من مفاخر مضر ومن مقدمى القضاة وكان فقيه البدن رقيق المسلك فى الفطن وكان

---

١ لاختبار

صادق الحدس نقّابا وعجيب الفراسة ملهما وكان عفيف الطعم كريم المدخل والشيم وجيها عند الخلفاء مقدما عند الاكفاء. وفى مزينة خير كثير

ثم رجعنا الى القول الاول: ومنهم ربيعة الرأى وكان لايكاد يسكت. قالوا وتكلم يوما فاكثر وأعجب بالذى كان منه فالتفت الى أعرابى كان عنده فقال يا أعرابى ماتعدون العى فيكم. قال ما كنتَ فيه منذ اليوم. وكان يقول الساكت بين النائم والاخرس

ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ومحمد بن حفص هو ابن عائشة. ثم قيل لعبيد الله بن أبى عائشة وكان كثير العلم والسماع متصرفا فى الخبر والأثر وكان من أجود قريش وكان لايكاد يسكت وهو فى ذلك كثير الفوائد. وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم بعث اليه ميخاب خليفته فى بعض الامر. فأتاه فى حلقته فى المسجد. فقال له فى بعض كلامه: أبو من أصلحك الله. فقال له هلا عرفت هذا قبل مجيئك وان كان لابد لك من هذا فاعترض من شئت فاسأله. فقال له انى أريد أن تخلينى قال أفى حاجة لك أم فى حاجة لى قال بل فى حاجة لى قال فالقنى فى المنزل. قال فان الحاجة لك قال مادون اخوانى ستر

ومنهم محمد بن مسعر العقيلى وكان كريما كريم المجالسة يذهب مذهب النساك وكان جوادا. مر صديق له من بنى هاشم بقصر له و بستان نفيس فبلغه أنه استحسنه فوهبه له

ومنهم أحمد بن المعذل بن غيلان. كان يذهب مذهب مالك. وكان ذا بيان وتبحر فى المعانى وتصرف فى الالفاظ

وممن كان يكثر الكلام جدا الفضل بن سهل. ثم الحسن بن سهل فى أيامه. وحدثنى محمد بن الجهم ودؤاد بن أبى دؤاد قالا جلس الحسن بن سهل فى مصلى الجماعة لنعيم بن حازم فاقبل نعيم حافيا حاسرا وهو يقول: ذنبى أعظم من السماء ذنبى أعظم من الهواء ذنبى أعظم من الماء. قالا فقال الحسن بن سهل على رسلك تقدمتْ منك طاعة وكان آخر أمرك الى توبة وليس للذنب بينهما مكان وليس ذنبك فى الذنوب باعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو

ومن هؤلاء على بن هشام وكان لايسكت ولا أدرى كيف كان كلامه

قال وحدثنى مهدى بن ميمون قال حدثنا غيلان بن جرير قال كان مطرف ابن عبد الله يقول لاتطعم طعامك من لايشتهيه. يقول لاتُقبل بحديثك على من لايُقبل

عليك بوجهه . وقال عبد الله بن مسعود حَدّث الناس ما حدجوك باسماعهم ولحظوك بابصارهم فاذا رأيت منهم فترة فأمسك . قال وجعل السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف اليها قال لها كيف سمعت كلامى قالت ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده فقال أردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت الى أن يفهمه من لم يفهمه قدملّه من فهمه . قال عباد بن عوام عن شعبة عن قتادة قال مكتوب فى التوراة لايعاد الحديث مرتين . وسفيان بن عيينة عن الزهرى قال إعادة الحديث أشد من نقل الصخر . وقال بعض الحكماء من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنه الاستماع منك . وجملة القول فى الترداد أنه ليس فيه حدّ ينتهى اليه ولا يؤتى الى وصفه وانما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص . وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهرون وشعيب وابراهيم ولوط وعاد وثمود . وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة . لانه خاطب جميع الامم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهى القلب . وأما حديث القصص والرقة فانى لم أر أحداً يعيب ذلك وما سمعنا باحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الالفاظ وترداد المعانى عيًا الا ما كان من النخار بن أوس العذرى فانه كان اذا تكلم فى الحمالات وفى الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفانى والبوار كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمى فنخر [1]

قال ثمامة بن أشرس كان جعفر بن يحيي أنطق الناس قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وافهاما يغنيه عن الاعادة ولو كان فى الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عن الاشارة كما استغنى عن الاعادة . وقال مرة ما رأيت أحدا كان لايتحبس ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يرتقب لفظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه أشدّ اقتدارا ولا أقل تكلفا من جعفر بن يحيي . وقال ثمامة قلت لجعفر بن يحيي ما البيان . قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلى عن مغزاك [2] وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة . والذى لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد غنيًا عن التاويل . وهذا هو تاويل قول الاصمعى : البليغ من

---

١ مد الصوت والنفس فى خياشيمه ٢ مقصدك

طبق المفصل وأغناك عن المفسر . وخبرنى جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى قال قد قرأت لأمّ جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعانى . قال ووصف أعرابى أعرابيًّا بالايجاز والاصابة فقال : كان والله يضع الهِناءَ [١] مواضع النُّقب . يظنون أنه نقل قول دريد بن الصمة فى الخنساء بنت عمرو بن الشريد الى ذلك الموضع . وكان دريد قال فيها :

ما ان رأيتُ ولا سمعتُ بهِ ... في النّاسِ طالِي أينُقٍ جُرْبِ [٢]

مُتَبَذِّلاً [٣] تبدُو محاسِنُه ... يَضَعُ الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ

ويقولون فى اصابة عين المعنى بالكلام الموجز : فلان يَفُلّ المَحَزّ ويصيب المَفْصِل . وأخذوا ذلك من صفة الجزّار الحاذق فجعلوه مثلا للمصيب الموجز . وأنشدنى أبو قطن الغنوى . وهو الذى يقال له شهيد الكرم وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر :

فلو كنتُ مولى قَيْسِ عَيْلانَ لم تجِدْ ... علىّ لمخلوقٍ من النّاسِ دِرْهَما

ولكنّنى مولى قُضاعَةَ كلِّها ... فلستُ أُبالى أنْ أَدِينَ وتَغرَما

أولئك قومٌ باركَ اللهُ فيهم ... على كلّ حالٍ ما أعَفّ وأكرَما

جُفاةُ المَحَزّ لا يُصيبونَ مَفْصِلاً ... ولا يأكُلونَ اللحمَ الا تخذّما [٤]

يقول هم ملوك وأشباه الملوك ولهم كفاة فهم لا يحسنون اصابة المفصل . وأنشد أبو عبيدة فى مثل ذلك :

وصُلْعُ الرؤسِ عِظامُ البُطونِ ... جُفاةُ المَحَزِّ غِلاظُ القَصَرْ . [٥]

وكذلك :

ليسَ براعِى ابلٍ ولا غَنَمْ ... ولا بجزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ . [٦]

وقال الآخر وهو ابن الزبعرى :

---

١ القطران ٢ الذى يداوى النياق الجرب ٣ يترك التصاون ويعمل عمل نفسه ٤ تخذم فلان الشئ قطعه متكلفا ٥ أعناق الناس والابل ٦ الوضم خشبة الجزار التى يقطع عليها اللحم . والبيت للشريف الرضى

وفتيانِ صدقٍ حسانِ الوجوهِ ... لا يجدون لشئ أَلَم
مِنَ آلِ المغيرةِ لا يشهدونَ ... عندَ المجازرِ لحمَ الوَضَمْ

وقال الراعى فى المعنى الاول :

فَطَبَّقْنَ عَرْضَ القُفِّ [1] حتى لَقِينَهُ ... كما طَبَّقَتْ فى العَظم مُدْيَةُ جازرِ [2]

وأنشد الاصمعى :

وكَفٌّ فتى لم يعرفِ السَّلْخَ قبلَها ... تجورُ يداهُ فى الأديم وتَجْرَحُ

وأنشد الاصمعى :

لا يُمسِكُ العُرْفَ الا رَيْثَ يُرْسِلُهُ ... ولا يُلاطِمُ عندَ اللَّحْمِ فى السُّوقِ

وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة وبيّنه وضرب المثل به حيث قال فى الحُكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة :

ياهَرِمَ ابنَ الاكرمينَ مَنصِبا ... انّكَ قد أُوتيتَ حُكماً مُعجِبا
فَطَبِّقِ المَفصِلَ واغْنَمْ طَيِّبا

يقول أحكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل وبامر قاطع فتفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل المظمين . وقد قال الشاعر فى هرم :

قَضى هَرِمٌ يومَ المريرةِ بينَهم ... قَضاءَ امرئٍ بالاوَّلِيَّةِ عالِمِ
قَضى ثم وَلَّى الحُكمَ مَن كانَ أهلَهُ ... وليس ذُنابَى [3] الرِّيشِ مثلُ القَوادِمِ

ويقال فى الفحل . اذا لم يحسن الضِّراب [4] جمل عَياياء وجمل طَباقاء . وقالت امرأة فى الجاهلية تشكو زوجها « زوجى عياياء طباقاء وكل داء له دواء » حتى جعلوا ذلك مثلا للعَىِّ الفَدْم [5] الذى لا يتجه للحجة . وقال الشاعر :

---

١ اجتزن عرض الاكمة وهن غير مائلات عن القصد ٢ ورد هذا الشطر فى بيت من قصيدة صفوان الانصارى « انظر صفحة ١٥ من هذا الجزء » . وطبق السيف أو السكين المفصل أى أصابه فأبان العضو ٣ الذنابى : ذنب الطائر وهى أكثر استعمالا له . والذنب أكثر استعمالا لمثل الفرس والبعير ٤ النكاح ٥ العيي عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم وفطنة

طباقاءِ لم يَشْهَدْ خُصوماً ولم يقُدْ ... رِكاباً الى أكْوارِها حِينَ تعكِفُ

وذكر زهير بن أبى سلمى الخَطَل فعابه فقال :

وذِى خَطَلٍ في القولِ يَحْسَبُ أنَّهُ ... مُصيبٌ فما يُلمِمْ بهِ فهو قائلُهْ

عبأتُ له (١) حلما وأكرمتُ غيرَهُ ... وأعرضْتُ عنه وهو بادٍ مَقاتِلُهْ

وقال الشاعر :

شُمُسٌ اذا خَطِلَ الحديثُ أوانسٌ ... يَرْقُبْنَ كلَّ مُجَذَّرٍ تِنْبالِ

الشمس ماخوذ من الخيل وهى الخيل المرحة الضاربة باذنابها من النشاط . والمجذّر القصير . والتنبال القصير الدنىء . وقال أبو الاسود الدؤلى ـ واسم أبى الاسود ظالم بن عمرو وكان من المقدمين فى العلم ـ :

وشاعرِ سوءٍ يهضِبُ القول (٢) ظالما ... كما اقتمَّ (٣) أعشى مظلمِ الليلِ حاطبِ

وأنشد :

أعوذُ باللهِ الاعزِّ الأكرمِ ... مِن قَولِيَ الشيَّ الذي لم أعلَمِ

تَخَبُّطَ الأعمى الضريرِ الأيهَمِ (٤)

وقال ابراهيم بن هرمة فى تطبيق المفصل وتلحق هذه بمعانى أخواتها قبل :

وعَمِيمَةٍ قد سُقْتُ فيها عائراً (٥) ... غُفْلاً وفيها عائرٌ مَوْسُومُ (٦)

طَبَّقْتُ مَفْصِلَها بغَيرِ حَدِيدةٍ ... فرأى العَدوُّ غَنايَ حَيْثُ أقومُ

وهذه الصفات التى ذكرها ثُمَامَةُ بن أشرس فوصف بها جعفر بن يحيي كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع أهل عصره . وما علمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه فى وزن اشارته ومعناه فى طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك . قال بعض الكتاب معانى ثمامة الظاهرة فى ألفاظه الواضحة فى مخارج كلامه كما

---

١ قصدت له ٢ يسح بالقول سحا ٣ اسود « بتشديد الدال » ٤ الاصم ٥ العميمة : الطويلة . والعاير : الذى يذهب ويجىء مترددا ٦ الغفل : مالاعلامة فيه . والموسوم : ما فيه علامة

وصف الخُزَيمى شعر نفسه فى مديح أبى دلف حيث يقول :

لهُ كَلِمٌ فيكَ معقُولَةٌ  ازاء القلوبِ كركبٍ وُقوفْ

وأول هذه القصيدة :

أبادُلَف دَلَفتْ (١) حاجتى  اليك وماخلتُها بالدَّلُوف

ويظنون أن الخُزيمى انما احتذى فى هذا البيت على أيوب بن القرية حين قال له بعض السلاطين ماأعددت لهذا الموقف قال : ثلاثة حروف ، كانهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف

وحدثنى صالح بن خاقان قال قال شبيب بن شيبة : الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه . وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت . ثم قال شبيب فان ابتليت بمقام لابدّ لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل قبل التقدم فى احكام البلوغ فى شرف التجويد وإياك أن تعدل بالسلامة شيئا فان قليلا كافيا خير من كثير غير شاف

ويقال انهم لم يروا قط خطيبا بلديا الا وهو فى أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلا مستصلفا ٢ أيام رياضته كلها الى أن يتوقح وتستجيب له المعانى ويتمكن من الالفاظ . الا شبيب بن شيبة فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره . قالوا ولما مات شبيب بن شيبة أتاهم صالح المزنى ٣ أو بعض من أتاهم للتعزية فقال : رحمة الله على أديب الملوك وجليس الفقراء وأخى المساكين . وقال الراجز :

اذا غَدَتْ سَعْدٌ على شَبِيبِها  على فَتاها وعلى خَطِيبِها

من مَطْلَعِ الشَّمسِ الى مَغِيبِها  عَجِبْتُ من كَثْرَتِها وطِيبِها

حدثنى صديق لى قال قلت للعتابى ماالبلاغة . قال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ . فاذا أردت اللسان الذى يروق الالسنة ويفوق كل خطيب باظهار ماغمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق . قال قلت له قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة . قال أما تراه اذا تحدث قال عند

---

١ دلفت : أى مشت ٢ الصلف بالتحريك تمدح الرجل بما ليس عنده ٣ خ : المرى

مقاطع كلامه . ياهناه و ياهذا و ياهيه واسمع منى واستمع الىّ وافهم عنى أو لست تفهم أو لست تعقل . فهذا كله وما أشبهه عى وفساد . قال عبد الكريم بن روح الغفارى حدثنى عمر الشمرى قال قيل لعمرو بن عبيد ماالبلاغة قال : مابلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك . قال السائل ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال ليس هذا أريد . قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء بكاء أى قليلو [1] الكلام . ومنه قيل رجل بكى . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال السائل ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام مالا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال قال السائل ليس هذا أريد . قال عمرو : فكانك انما تريد تحبير اللفظ فى حسن الافهام . قال نعم . قال : انك ان أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب . قلت لعبد الكريم من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر . قال قد سالت عن ذلك أبا حفص فقال ومن كان يجترئ عليه هذه الجراءة الاحفص بن سالم . قال عمر الشمرى كان عمرو بن عبيد لايكاد يتكلم فان تكلم لم يكد يطيل . وكان يقول لاخير فى المتكلم اذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه . واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير فى شىء ياتيك به التكلف . وقال بعضهم وهو من أحسن مااجتبيناه ودوناه . لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك

وكان موسى [2] بن عمران يقول لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ويحيي بن خالد . وكان ثمامة يقول لم أر أنطق من جعفر بن يحيي بن خالد . وكان سهل بن هرون يقول لم أر أنطق من المامون أمير المؤمنين . وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيي يقول لكتابه : ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا . وسمعت أبا العتاهية

---

١ أورده من الاثير فى النهاية بلفظ « نحن معاشر الانبياء فينابكاء » وأصله من بكأت الناقة والشاة اذا قل لبنها فهى بكئ وبكيئة ٢ خ : مويس

يقول : لو شئتُ أن يكون حديثى كله شعرا موزونا لكان . وقال اسحق بن حسان ابن فوهة : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط . سئل ماالبلاغة ، قال : البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة . فمنها مايكون فى السكوت . ومنها مايكون فى الاستماع . ومنها مايكون فى الاشارة . ومنها مايكون فى الحديث . ومنها مايكون فى الاحتجاج . ومنها مايكون جوابا . ومنها مايكون ابتداء . ومنها مايكون شعرا . ومنها مايكون سجعا وخطبا . ومنها مايكون رسائل . فعامة مايكون من هذه الابواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى . والايجاز هو البلاغة . فاما الخطب بين السماطين وفى اصلاح ذات البين فالاكثار فى غير خطل والاطالة فى غير املال . وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته . كانه يقول فَرِّق بين صدر خطبة النكاح و بين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لاخير فى كلام لايدل على معناك ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذى اليه قصدت والغرض الذى اليه نزعت . قال فقيل له فان مل المستمع الاطالة التى ذكرت أنها حق ذلك الموقف . قال اذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانه لايرضيهما شىء واما الجاهل فلست منه وليس منك و رضا جميع الناس شىء لاتناله وقد كان يقال :

رضا الناسِ شيءٌ لايُنالُ

قال : والسنة فى خطبة النكاح أن يطيل الخاطب و يقصر المجيب . ألا ترى الى قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخرة راحلتى الحاملين فى شان حمالة [1] داحس والغبراء وقال مالى فيها أيها العشمتان [2] قالا بل ماعندك قال عندى قرى كل نازل و رضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس الى أن تغرب آمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع . قالوا فخطب يوما الى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى . فقيل لابى يعقوب هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهى عن التقاطع أوليس الامر بالصلة هو النهى عن القطيعة قال أوماعلمت أن الكناية والتعريض لايعملان فى العقول عمل الافصاح والتكشف

---

[1] الدية أو الغرامة يحملها قوم على قوم [2] واحدهما عشمة وهو الطمع ، واليابس هزالا ، والشيخ الفانى للذكر والانثى ، أوالمتقارب الخطو المنحنى الظهر

قال وسئل ابن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ما يتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح » قال ما أعرفه الا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب فى أجواف الحداق ولانه اذا كان جالسا معهم كانوا كانهم نظراء وأكفاء واذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية . وقد ذهب ذاهبون الى أن تاويل قول عمر يرجع الى أن الخطيب لا يجد بدًّا من تزكية [1] الخاطب فلعله كره أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زوراً وغر القوم من صاحبه . ولعمرى ان هذا التاويل ليجوز اذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة فاما عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأشباهه من الائمة الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك الا فيمن يستحق المدح

وروى أبو مخنف عن الحارث الاعور قال والله لقد رأيت عليًّا وانه ليخطب قاعدا كقائم ومحاربا كمسالم . يريد بقوله قاعدا خطبة النكاح

وقال الهيثم بن عدى لم تكن الخطباء تخطب قعودا الا فى خطبة النكاح

وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن . فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع قال الهيثم قال عمران بن حطان : ان أول خطبة خطبتها عند زياد — أو قال عند ابن زياد — فاعجب بها زياد وشهدها عمى وأبى . ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم « هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن »

وأكثر الخطباء لا يتمثلون فى خطبهم الطوال بشىء من الشعر ولا يكرهونه فى الرسائل الا أن تكون الى الخلفاء . وسمعت مؤمل بن خاقان وذكر فى خطبته تميم بن مر فقال : ان تميما له الشرف القدم العود والعز الاقعس [2] والعدد الهيضل [3] وهى فى الجاهلية القدّام [4] والذّروة والسنام . وقد قال الشاعر :

فقلتُ له وأنكَرَ بعضَ شانِى ... ألم تعرِفْ رِقابَ بنى تَمِيمِ

وكان المؤمّل وأهله يخالفون جمهور بنى سعد فى المقالة فلشدة تحدّبه [5] على سعد وشفقته عليهم كان يناضل عند السلطان كل من سعى على أهل مقالتهم وان كان قوله خلاف قولهم حدبا عليهم . وكان صالح المرى القاصّ العابد البليغ كثيرا ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت :

١ مدح ٢ الثابت ٣ الجماعة المتسلحة والجيش الكثير ٤ من يتقدم الناس بالشرف ٥ تعطفه

فبات يُرَوِّى أُصولَ الفَسيل (١) فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرَّجُلْ

وأنشد الحسن فى مجلسه وفى قصصه وفى مواعظه :

ليسَ من ماتَ فاستراحَ بميْتٍ انما الميْتُ ميِّتُ الأحياء

وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشى الخطيب القاص الشجاع اما فى قصصه واما فى خطبة من خطبه رحمه الله سبحانه وتعالى :

أرضٌ تخيَّرها لطيبِ مَقيلِها كَعْبُ بنُ مامةَ وابنُ أُمِّ دُؤادِ

جرتِ الرِّياحُ على محلِّ ديارِهِم فكأنَّهُمْ كانوا على ميعادِ

فأرى النَّعيمَ وكلَّ مايُلْهَى بهِ يوماً يَصيرُ الى بلًى ونَفادِ

وقال أبو الحسن خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فى العيد فانشد فى خطبته :

أينَ الملوكُ التى عن حظِّها غفلَتْ حتَّى سقاها بكأسِ الموتِ ساقيها

تلكَ المدائنُ بالآفاقِ خاليةٌ أمْسَتْ خلاءً وذاقَ الموتَ بانيها (٢)

قال وكان مالك بن دينار يقول فى قصصه : ما أشد فطام الكبير . وهو كما قال القائل :

وترُوضُ عِرسَكَ بعدماهرِمتْ ومِنَ العَناء رياضةُ الهَرِمِ

ومثله أيضا قول صالح بن عبد القدوس :

والشيخُ لايترُكُ أخلاقَهُ حتى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِهِ

إذا ارعَوَى (٣) عادَ الى جهلِهِ كَذِى الضَّنَى عادَالى نُكْسِهِ

قال كلثوم بن عمرو العتابى :

وكنتَ امرءاً لوشئتَ أن تبلُغَ المَدَى بلغتَ بأدنَى نعمةٍ تَستَديمُها

ولكنْ فِطامُ النَّفسِ أثقلُ محمَلاً منَ الصَّخرةِ الصمَّاءِ حينَ تَرُومها

وكانوا يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت . ولذلك تشادقوا فى

١ صغار النخل تقلع من الارض أوتقطع من الأم فتغرس ٢ خ : ما فيها ٣ كف عن الشئ

الكلام ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم . قال وحدثنى محمد بن بشير الشاعر قيل لاعرابى ما الجمال قال طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبعد الصوت . وسأل جعفر بن سليمان أبا المخش [1] عن ابنه المخش وكان جزع عليه جزعا شديدا قال صف لى المخش فقال : كان أشدق خُرطُمانِيا [2] سائلا لعابه كانما ينظر من قلتين . كأن ترقوته [3] بوان أو خالفة [4] كأن منكبه كِركِرة جمل ثقال [5] ، فقأ الله عينى ان كنت رأيت قبله أو بعده مثله . قال وقلت لاعرابى ما الجمال قال غؤور العينين واشراف الحاجبين ورحب الشدقين . قال دغفل بن حنظلة النسابة والخطيب العلامة حين ساله معاوية عن قبائل قريش فلما انتهى الى بنى مخزوم قال : معزى مطيرة علاها قشعريرة الا بنى المغيرة فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام . وقال الشاعر فى عمرو بن سعيد الاشدق :

تَشادَقَ حتى مالَ بالقَوْلِ شِدْقُهُ ... وكلُّ خَطيبٍ لاأَبالكَ أَشْدَقُ

وأنشد أبو عبيدة :

وصُلعُ الرُّؤسِ عِظامُ البُطونِ ... رِحابُ الشِّداقِ طولُ القَصَرْ [6]

قال وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فاحسنوا . فقال : والله لارمينهم بالخطيب الاشدق ، قم يا يزيد فتكلم

وهذا القول وغيره من الاخبار والاشعار حجة لمن زعم أن عمرو بن سعيد لم يسمّ الاشدق للفقم ولا للقوة [7] . وقال يحيى بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى :

بَلَّ السَّراويلَ مِن خَوفٍ ومن وَهَلٍ ... واستَطْعَمَ الماءَ لمّا جدَّ فى الهَرَبِ

وأَلْحَنُ النّاسِ كلِّ النّاسِ قاطِبَةً ... وكانَ يُولَعُ بالتَّشْديقِ في الخُطَبِ

ويدلك على تفضيلهم سعة الاشداق وهجائهم ضيق الافواه قول الشاعر :

لَحا اللهُ أفواهَ الدَّبى [8] من قَبيلةٍ ... اذا ذكرتْ فى النّائباتِ أُمورها

وقال الآخر :

---

[1] خ : أبا المخشن عن ابنه المخشن [2] كبير الأنف [3] العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق [4] البوان عمود الخيمة . والخالفة عمود من أعمدة البيت فى مؤخره [5] المنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والكركرة رحى زور البعير . وجمل ثقال بطئ لعله لضخم جسمه [6] الاعناق [7] الفقم أن تكون الثنايا العليا الى الخارج فلا تقع على السفلى . واللقوة داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق الى أحد جانبى العنق فلا يحسن التقاء الشفتين ولا تنطبق احدى العينين [8] صغار الجراد والنمل الواحدة دباة

وأَفْواهُ الدَّبى حاموا قَليلاً ... وليسَ أخو الحِمايَةِ كالضَّجُورِ

وانما شبه أفواههم بافواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها . وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطبيب حيَّ بن هزال وابنيه فقال :

تَدْعُو بنَيْكَ عبّادًا وجرثمةً ... فا فأرةٍ شَجَّها في الجُحْرِ محفارُ

وقد كان العباس بن عبد المطلب جهيرا [1] جهير الصوت ، وقد مدح بذلك ، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس : ياأصحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل النصرة وأتى بالفتح . أخبرنى ابن الكلبي عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس قال كان قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف يمكو [2] حول البيت فيسمع ذلك من حراء [3] . قال الله تعالى «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية» فالتصدية التصفيق والمكاء التصفير أو شبيه بالصفير ولذلك قال عنترة :

وحَليل غانِيَةٍ تركتُ مُجَدَّلاً [4] ... تَمْكُو فَرِيصَتُه كشِدْقِ الأعلَمِ

وقال العجير السلولى فى شدة الصوت :

ومنهنّ قَرْعَى كلّ باب كانمّا بهِ القومُ - يَرْجُونَ الأذِينَ - نشورُ [5]

فجئتُ وخَصمِي يَصْرُفونَ نُيوبَهم ... كما قُصِبَتْ بَيْنَ الشّفارِ جَزُورُ [6]

لَدَى كلّ مَوْثوقٍ بهِ عِندَ مِثلِها ... لهُ قَدَمٌ في النّاطقِينَ خَطِيرُ

جَهِيرٌ ومُمْتَدُّ العِنانِ مُناقِلٌ ... بَصِيرٌ بعَوْرات الكلامِ خَبِيرُ

فظلّ رِداءُ العَصْبِ [7] مُلْقىً كأنّهُ ... سَلَى [8] فَرَسٍ تحتَ الرِّجالِ عَقِيرُ

لو انّ الصُّخورَ الصُمَّ يَسْمَعنَ صَلْقَنا ... لرُحْنَ وفى أعراضِهنّ فُطورُ

الصلاق شدة الصوت ، وفطور شقوق . وقال مهلهل :

---

١ الجهير والخليق بالمعروف ٢ المكاء التصفير بالفم ٣ جبل معروف فى مكة على ثلاثة أميال
٤ مرميا بالارض ٥ يقال أذن له فى الشئ اذنا وأذينا أى أباحه له . يقول كأنما القوم نشور يرجون الاذن ٦ أى كما قطعت الناقة بين الشفار ٧ ثوب يصبغ ثم ينسج ٨ السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد من الناس والمواشى وان انقطع فى البطن هلكت الام وهلك الولد

ولولا الرِّيحُ أسمع أهلَ نَجْدٍ صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ (١)

والصريف صوت احتكاك الانياب ، والصليل صوت الحديد هاهنا . وفى شدة الصوت يقول الاعشى فى وصفه الخطيب بذلك :

فيهم الخِصْبُ والسَّماحَةُ والنَّجْـ ـدَةُ جَمْعاً والخاطِبُ الصَّلَّاقُ

وقال بشار بن برد فى ذلك ويهجو بعض الخطباء :

ومِنْ عَجَبِ الايّامِ أنْ قُمتَ ناطقاً وأنتَ ضَئِيلُ الصَّوْتِ مُنْتَفِخُ السَّحْرِ (٢)

ووقع بين فتى من النصارى و بين ابن فهريز كلام فقال له الفتى : ماينبغى أن يكون فى الارض رجل واحد أجهل منك ، وكان ابن فهريز فى نفسه أكثر الناس علما وأدبا ، وكان حريصا على الجثلقة ، فقال للفتى : وكيف حلت عندك هذا المحل ، قال : لانك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق ٣ الا مديد القامة وأنت قصير القامة ولا نتخذه الا جهير الصوت جيد الحلق وأنت دقيق الصوت ردىء الحلق ولا نتخذه الا وهو وافر اللحيـة عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها . وأنت تعلم أنا لانختار للجثلقة الا رجلا زاهدا فى الرياسة وأنت أشد الناس عليها كلبا وأظهرهم لها طلبا . فكيف لاتكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة . وأنت قد شغلت فى طلبها بالك وأسهرت فيها ليلك . وقال أبو الحجناء فى شدة الصوت :

إنِّى اذا مازَبَّبَ الأشْداقُ (٤) والتجَّ حَوْلى النَّقْعُ واللَّقْلَاقُ (٥)

ثَبْتُ الجَنانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ

المرجم الحاذق بالمراجمة بالحجارة . والوداق الذى يسيل الحجارة كالودق من المطر . وجاء فى الحديث « من وقى شرَّ لَقلَقه وقَبقَبه وذَبذَبه وُقِى الشر » يعنى لسانه و بطنه وفرجه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فى بواكى خالد بن الوليـد بن المغيرة « وما عليهن أن يرقن من دموعهن على أبى سليمان مالم يكن نقع أو لقلقة » وجاء فى الاثر « ليس منا من حلق أو صاق أو ساق أو شق » ومما مدح به العمانى

---

١ الذكر من الحديد أيبسه وأجوده . ومن النحاس الجاسى الذى لاينطرق جيداً . وسيف ذكر شفرته حديد ذكر ٢ السحر الرئة . أى ملأ الخوف جوفه فارتفع قلبه الى الحلقوم . ومنتفخ السحر أيضا الذى تعدى طوره وجاوز قدره ٣ رئيس الاساقفة ٤ اجتمع الريق فى الاشداق أو خرجت فيها زبدة من كثرة الكلام ٥ التجت الاصوات اختلطت . ونقع الرجل نقعا رفع صوته ونقع الصوت ارتفع ، واللقلاق : الصوت والجلبة

هرون الرشيد بالقصيد دون الرجز قوله:

جَهِيرُ العُطاسِ شَدِيدُ النِّياطِ ... جَهِيرُ الرُّواءِ (١) جَهِيرُ النَّغَمْ

ويَخْطُو على الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ ... وَيَعْلُو الرِّجالَ بِجِسْمٍ عَمَمْ

النياط معاليق القلب. الاين الاعياء. الظليم ذكر النعام. عمم حسن. ومنه قيل نبت عميم أى حسن كثير. ويقال ان جسمه لعمم وانه لعم الجسم اذا كان تاما. وكان الرشيد اذا طاف بالبيت جعل لازاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف باوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الارنب. وقد أخبرنى ابراهيم بن السندى بحصول ذرع ذلك الخطو الا أنى أحسبه فراسخ فيما رأيته يذهب اليه. قال ابراهيم ونظر اليه أعرابى فى تلك الحال والهيئة فقال:

خَطْوُ الظَّلِيمِ رِيعَ مُمْسًى فانْشَمَرْ

ريع فزع. ممسى حين المساء. انشمر جد فى الهرب. وحدثنى ابراهيم السندى قال لما أتى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو فى البلاد أقام على رأسه رجالا فى السماطين لهم قصر وهام ومناكب وأجسام وشوارب وشعور. فبينماهم ٢ قيام يكلمونه ومنهم رجل وجهه فى قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة فلحظه عبد الملك فلم يدر أى شيء أنكر منه. فلما مضى الوفد قال له ويلك هلا اذ كنت ضيق المنخر كزّ ٣ الخيشوم أتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العلج. وفى تفضيل الجهارة فى الخطب يقول شبة بن عقال بعقب خطبته عند سليمان بن على بن عبد الله بن عباس:

أَلا لَيْتَ أُمَّ الجَهْمِ واللهُ سامِعٌ ... تَرَى حَيْثُ كانَتْ بالعِراقِ مَقامِى

عَشِيَّةَ بَذَّ (٤) النَّاسَ جَهْرِي ومَنْطِقِي ... وبَذَّ كَلامَ النَّاطِقِينَ كَلامِى

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة:

رَكُوبُ المَنابِرِ وَثَّابُها ... مِعَنٌّ بِخُطْبَتِهِ مِجْهَرْ

تَرِيعُ اليهِ هَوادِى الكَلامِ ... اذا ضَلَّ خُطْبَتَهُ المُهْذِرُ

معنّ تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضبا لها. تريع اليه ترجع اليه. هوادى الكلام أوائله. فاراد أن معاوية يخطب فى الوقت الذى يذهب فيه كلام المهذر.

---

١ جميل المنظر ٢ خ: فبيناهم ٣ ضيق ٤ غلب وفاق

والمهذر المكثار وزعموا أن أبا عطية عفيفا النصرى فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نصر أنه لما رأى الخيل بعقوته ¹ يومئذ وأيس نادى : ياصباحاه أتيتم يا بنى نصر. فالقت الحبالى أولادها من شدة صوته. قالوا فقال ربيعة بن مسعود يصف تلك الحرب وصوت عفيف :

عُقاماً ضَرُوساً ⁽²⁾ بينَ عَوفٍ ومالكٍ شَدِيداً لَظاها تَترُكُ الطِّفلَ أَشيَبا

وكانَتْ جَعيلٌ يَوْمَ عمرو أَراكَةً أُسُودُ الغَضا غادَرْنَ لَحماً مُتَرَّبا ⁽³⁾

ويوم بِكَرْوثاءَ ⁽⁴⁾ شَدَّتْ مُعَتِّبٌ بِغارانِها قَدْ كانَ يوماً عَصَبْصَبا ⁽⁵⁾

فأَسْقَطَ أَحْبالَ النِّساءِ بِصَوْتِهِ عَفيفٌ وقد نادَى بنَصْرٍ فطَرَّبا ⁽⁶⁾

وكان أبو عروة الذى يقال له أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويذهب هاربا على وجهه فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدى فقال :

وأَزْجُرُ الكاشحَ ⁽⁷⁾ العَدُوَّ إذا اغتا بَكَ عِندي زَجراً على أَضَمِ ⁽⁸⁾

زَجْرَ أَبِي عُرْوَةَ السِّباعَ اذا أَشْفَقَ أَنْ يَلتَبِسْنَ بالغَنَمِ

وأنشد أبو عمرو الشيبانى لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن زيد بن نعيم. قال أبو عبيدة وأبو الحسن كان شبيب يصيح فى جنبات الجيش اذا أتاه فلا يلوى أحد على أحد. وقال الشاعر فيه :

إنْ صاحَ يَوْماً حَسِبتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِراً والرِّيحَ عاصِفَةً والمَوْجَ يَلتَطِمُ

قال أبو العاصى أنشدنى أبو محرز خلف بن حيان وهو خلف الاحمر مولى الاشعريين فى عيب التشادق :

له حنجرٌ رَحْبٌ وقَولٌ مُنَقَّحٌ وفَصْلُ خطابٍ لَيسَ فيهِ تَشادُقُ

---

١ حول داره ٢ يوم عقام : أى شديد. وأصل الضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، ومنه الحرب الضروس ٣ أى المهلكة ملطخا بالتراب ٤ موضع فى ديار بنى جحاش رهط الشماخ ٥ العصبصب : اليوم الشديد الحر ، وقيل الشديد مطلقا ٦ طرب الرجل فى صوته : رجعه ومده ٧ العدو الباطن العداوة ، وقيل الذى يتباعد عنك ويوليك كشحه ، والكشح : مابين الخاصرة الى الضلع الخلف ٨ الحقد والحسد والغضب

اذا كانَ صَوْتُ المَرْءِ خَلْفَ لَهاتِه (١) وأَنحى بأَشْداقٍ لهُنّ شَقاشِقُ
وقَبْقَبَ يَحكِي مُقْرَماً فى هِبابِه (٢) فلَيْسَ بمَسْبوقٍ ولا هو سابِقُ

وقال الفرزدق :

شَقاشِقُ بينَ أَشْداقٍ وهامِ

وأنشد خلف :

وما فى يدَيهِ غيرُ شدْقٍ يُميلُهُ وشَقْشقَةٍ خَرْساءَ ليسَ لَها ثَعْبُ (٣)
متى رامَ قولاً خالَفَتْهُ سَجِيَّةٌ وضِرْسٌ كقَعْبِ القينِ ثَلْمهُ الشَّعْبُ (٤)

وأنشد أبو عمرو بن الاعرابى :

وجاءَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشُ البِطاحِ هِيَ العُصَبُ الأُوَلُ الدّاخلَهْ
يَقودُهُمُ الفِيلُ والزّندبيلُ وذُو الضِّرْسِ والشَّفَةِ المائلَهْ

والفيل والزندبيل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان . وذو الضرس وذو الشفة المائلة هو خالد بن سلمة المخزومى الخطيب . يعنى دخولهم على ابن هبيرة . والزندبيل الانثى من الفيلة فيما ذكر أبو اليقظان نجيم بن حفص . وقال غيره هو الذكر . فلم يقفوا من ذلك على شيء . وقال الشاعر فى خالد بن سلمة المخزومى الخطيب :

فما كانَ قائلهُمْ دَغْفَلٌ ولا الحَيقُطانُ ولا ذو الشَّفَهْ

قوله دغفل يريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب الناسب . والحيقطان عبد أسود وكان خطيبا لايجارى وأنشد أصحابنا :

وقافيةٍ لَجلَجْتُها (٥) فرَدَدْتُها لذي الضِّرْسِ لو أَرْسلتُها قطَرَتْ دَما

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر العرب . ولربما كان نزع ضرس أيسر علىّ من أن أقول بيت شعر . قال وأنشدنا منيع :

---

١ اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم ٢ قبقب الاسد والفحل : صوت وهدر ، وقبقب الرجل : حقد . والمقرم : البعير المكرم لايحمل عليه ولايذلل وانما هو للفحلة . والهباب : مصدر « هب » أى نشط وأسرع ٣ الشقشقة : لهاة البعير . وثعب البعير شقشقته : أخرجها ٤ القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى . والقين : العبد والصانع والحداد . وثلمه : كسر حرفه . والشعب : مصدر من « شعب الشئ » اذا صدعه ٥ اللجلجة والتلجلج : التردد فى الكلام

فجِئْتُ وَوَهْبٌ كالخَلاةِ (١) تَضُمُّها الى الشِذقِ أنيابٌ لَهُنَّ صَرِيفُ
فقعقعتُ (٢) لَحيَيْ خالدٍ واهتَضَمْتُهُ بحُجَّةِ خَصْمٍ بالخُصومِ عَنِيفُ

أبو يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال سئل الحارث بن أبى ربيعة عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : كم كان له ماشئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله والفقه فى السنة والهجرة الى الله ورسوله والبسطة فى العشيرة والنجدة فى الحرب والبذل للماعون . قال الآخر :

ولم تُلفِنى فَهًّا (٣) ولم تلفِ حجَّتى مُلَجلَجَةً أَبغِى لها مَنْ يُقيمُها
ولا بتُّ أُزجيها (٤) قَضيباً (٥) وتَلتَوِي أُراوِغُها طَوْراً وطَوْراً أُضيمُها (٦)

وأنشدنى أبو الردينى العكلى :

فتىً كانَ يَعلو مَفرِقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ اذا الخُطَباءُ الصِّيدُ عَضَّلَ (٧) قِيلُها

وقال الحزيمى فى تشادق على بن الهيثم :

ياعَلِيَّ بنَ هيثَمٍ ياسُماقاً (٨) قد مَلأْتَ الدُّنيا علينا بقاقا (٩)
خَلِّ لَحيَيْكَ يَسكُنان ولاتَضْـ ـرِبْ على تَغلِبٍ بِلَحيَيْكَ طاقا
لاتَشادَقْ اذا تَكلَّمْتَ واعلَمْ أنَّ للنَّاسِ كلِّهِمْ أشداقا

وكان على بن الهيثم جوادا بليغ اللسان والقلم . وقال لى أبو يعقوب الخزيمى «مارأيت كثلاثة رجال يأكلون الناس أكلا حتى اذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح فى الماء أو الرصاص عند النار . كان هشام بن الكلبى علامة نسابة وراوية للمثالب عيابة فاذا رأى الهيثم بن عدىّ ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان الهيثم بن عدى مفقعا ١٠ نيا صاحب تفقيع وتقعير ويستولى على كلام أهل المجلس لايحفل بشاعر ولا بخطيب فاذا رأى موسى الضبى ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان علوية المغنى أحد الناس فى الرواية وفى الحكاية وفى

١ الخلاة : واحدة الخلا وهو الرطب من الحشيش ٢ حركت ٣ عييا ٤ أسوقها وأدفعها ٥ ناقة لم تذلل ٦ أصارعها مرة وأكلها مرة ٧ صعب ٨ السماق : الخالص ٩ بق الرجل بقا وبقاقة كثر كلامه • ورجل بقاق كثير الكلام ١٠ متشدقا فى كلامه

صنعة الغناء وجودة الضرب وفى الاطـراب وحسن الخلق فاذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص عند النار »

ثم رجع بنا القول الى ذكر التشديق و بعد الصوت . قال أبو عبيـدة كان عروة ابن عتبـة [١] بن جعـفر بن كلاب رديفا للملوك و رحالا اليهـم وكان يقال له عروة الرحال . فـكان يوم أقبـل مع ابن الجون يريد بنى عامر فلما انتهى الى واردات مع الصبح قال له عروة : انك قـد عرفت طول صحبتى لك ونصيحتى إياك فاذن لى فأهتف بقومى هتفة . قال نعم وثلاثا . فقام فنادى « ياصباحاه » ثلاث مرات ، قال فسمعنا شيوخنا يزعمون أنه أسمع أهل الشعب فتلببوا [٢] للحرب وعسبوا الرّبايا ينظرون من أين ياتى القوم . قالوا وتقول الروم لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعا صوت وجوب القرص فى المغرب

وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته أن يعترض الخطيب البُهْرُ والارتعاش والرّعـدة والعرَق . قال أبو الحسن قال سـفيان بن عيينة تكلم صعصعة عند معاوية فعرق ، قال معاوية بَهَـرَك القول ، فقال صعصعة ان الجيـاد نضاحة بالمـاء . والفرس اذا كان سريع العرق وكان هشا [٣] كان ذلك عيبا . وكذلك هو فى الكثرة . واذا أبطأ ذلك وكان قليلا قيـل قد كبا وهو فرس كاب وذلك عيب أيضا . وأنشدنى ابن الاعرابى لابى مسمار العكلى فى شبيه بذلك قوله :

* لله دَرُّ عامرٍ اذا نَطَقْ فى حفلِ املاكٍ [٤] وفى تلك الحلَقْ
ليسَ كقومٍ يُعرَفونَ بالشّدَقْ مِنْ خُطَبِ النّـاسِ ومِمّا فى الوَرَقْ
يلفِّقونَ القولَ تلفِيقَ الخلَقْ مِنْ كُلِّ نضّاحِ الذفارى بالعَـرَقْ
اذا رَمَتْهُ الخُطَباءُ بالحَدَقْ

والذفارى هنا يعنى بدن الخطيب . والذفريان للبعير وهما اللحمتان فى قفاه . وانما ذكر خطب الامـلاك لانهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « مايتصعدنى كلام كما تتصعدنى خطبة النكاح [٥] » وقال العمانى :

لاذَفِرٌ هَشٌّ ولا بِكابِ ولا بِمِجْلاجٍ ولا هَيّابِ

---

[١] خ : علية [٢] تشمروا [٣] الهش الفرس الكثير العرق [٤] الاملاك التزويج [٥] تقدم فى « ص ٦٥ »

الهش الذى يجود بعرقه سريعا وذلك عيب . والذفر الكثير العرق . والكابى الذى لايكاد يعرق كالزند الكابى الذى لايكاد يورى . فجعل له العمانى حالا بين حالين اذا خطب. وخبر أنه رابط الجاش معاود لتلك المقامات. وقال الكميت بن زيد وكان خطيبا « ان الخطبة صعداء وهى على ذى اللب أرمى » وقولهم أرمى وأربى سواء يقال فلان قد أرمى على المائة وأربى ، ولم أر الكميت أفصح عن هذا المعنى ولا تخلص الى خاصته . وانما يجترئ على الخطبة الغمر الجاهل الماضى الذى لايثنيه شىء أو المطبوع الحاذق الواثق بغزارته واقتداره . فالثقة تنفى عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبهر والعرق . قال عبيد الله بن زياد وكان خطيبا على لكنة كانت فيه « نعم الشىء الامارة لولا قعقعة البرد والتشدق للخطب » وقيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب ياأمير المؤمنين ، قال : وكيف لايعجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين يعنى خطبة الجمعة وبعض مايعرض من الامور . قال بعض الكلابيين :

وإذا خَطَبْتَ على الرِّجالِ فلا تَكُنْ خَطِلَ الْكَلامِ تَقولُه مُخْتالا

واعْلَمْ بأنَّ مِنَ السُّكوتِ إبانَةً ومِنَ التَّكَلُّمِ مايَكُونُ خَبالا

﴿كلام بشر بن المعتمر﴾ حين مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة . فوقف بشر ، فظن ابراهيم أنه انما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة . فقال بشر : اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا . ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه وكان أول ذلك الكلام :

« خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك . فان قليل تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حسباً وأحسن فى الاسماع وأحلى فى الصدور وأسلم من فاحش الخطا وأجاب لكل عين وغرّة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة . ومهما أخطاك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا . وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه. واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد. والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك . ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله الى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس

اظهارها وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما . وكن فى ثلاث منازل . فان اُولى الثلاث : أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا و يكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا إما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت و إما عند العامة ان كنت للعامة أردت . والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة . وكذلك ليس يتضع بان يكون من معانى العامة . وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى . فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لاتلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام »

قال بشر فلما قرئت على ابراهيم قال لى : أنا أحوج الى هذا من هؤلاء الفتيان.

قال أبو عثمان : أما انا فلم أر قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب ، فانهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا . واذا سمعتمونى أذكر العوام فانى لست أعنى الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ، ولست أعنى الاكراد فى الجبال وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الامم مثل البير والطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج وأمثال الزنج ، وانما الامم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس والهند والروم . والباقون همج وأشباه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا ، على أن الخاصة تتفاضل فى الطبقات أيضا

ثم رجع بنا القول الى بقية كلام بشر بن المعتمر والى ماذكر من الاقسام . قال بشر :

« فان كانت المنزلة الاولى لاتواتيك ولا تعتريك ، ولا تسنح لك عند أول نظرك وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها والى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها نافرة من موضعها ، فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول فى غير أوطانها ، فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد . وان أنت تكلفتها ، ولم تكن حاذقا مطبوعا ، ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك أو مالك ، عابك من أنت أقل عيبا منه ،

ورأى من هو دونك أنه فوقك. فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة، وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة، فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك أو سواد ليلك، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فانك لاتعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق. فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك وأخفها عليك، فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشىء لايحن الا الى مايشاكله، وان كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات، لان النفوس لاتجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة. فهكذا هذا»

وقال: «ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. فان كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه ان عبر عن شىء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الالفاظ به ألفاظ المتكلمين، اذ كانوا لتلك العبارات أفهم والى تلك الالفاظ أميل واليها أحن وبها أشغف، ولان كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعانى، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له فى لغة العرب اسم، فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع. ولذلك قالوا العرض والجوهر وأيس [1] وليس. وفرقوا بين البطلان والتلاشى. وذكروا الهذية والهوية والماهية. وأشباه ذلك. وكما وضع الخليل بن أحمد لاوزان القصيد وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب وتلك الاوزان بتلك الاسماء كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل وأشباه ذلك وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف. وقد ذكرت العرب فى أشعارها السناد والاقواء والاكفاء ولم أسمع الايطاء. وقالوا فى القصيد والرجز والسجع والخطب. وذكروا حروف الروى والقوافى. وقالوا هذا بيت وهذا مصراع. وقد قال جندل الطهوى حين مدح شعره:

---

[1] أيس كلمة معناها الايجاب كما أن ليس كلمة معناها النفى

لم أُقْوِفيهنّ ولم أُساندِ

وقال ذو الرمة :

وشعرٍ قد أرقتُ له غريبٍ  أُجانبُهُ المَسانِد والمحالا

وقال أبو حزام العكلى :

بُيُوتًا نَصَبْنا لتقويمها  جُذُولَ (١) الرَّبيئين فى المَرْبَأَهْ (٢)

بيوتًا على الهاء لها سَجْحَةٌ (٣)  بغير السِّناد ولا المُكْفَأَهْ (٤)

وكما سمى النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك لانهم لولم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو . وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامات للتفاهم

قالوا وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد أو يوم السماطين أو على منبر جماعة أو فى سدة دار الخلافة أو فى يوم جمع وحفل إما فى اصلاح بين العشائر واحتمال دماء القبائل واستلال تلك الضغائن والسخائم فيقول كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشان رفيع المكان « ثم ان الله عز وجل بعد أن أنشا الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم فتلاشوا » ولولا أن المتكلم افتقر الى أن يلفظ بالتلاشى لكان ينبغى أن يؤخذ فوق يده . وخطب آخر فى وسط دار الخلافة فقال فى خطبته « وأخرجه الله من باب الليسية فادخله فى باب الايسية » وقال مرة أخرى فى خطبة له « هذا فريق ما بين السارّ والضار والدّفاع » وقال مرة أخرى « فدلّ ساتره على غامره ودلّ غامره على منحله » فكاد ابراهيم بن السندى يطير شغفا و يتقد غيظا . هذا وابراهيم من المتكلمين والخطيب لم يكن من المتكلمين

و إنما جازت هذه الالفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الاسماء عن اتساع المعانى . وقد تحسن أيضا ألفاظ المتكلمين فى مثل شعر أبى نواس وفى كل ماقالوه على جهة التظرف والتملح . كقول أبى نواس :

---

١ الجذول الانتصاب ٢ الربئ الطليعة والرقيب . والمربأة المرقبة ٣ تقول بيوتهم على سجج واحد أى على قدر واحد ٤ السناد عند أهل القوافى كل عيب يوجد فى القافية قبل الروى . وأكفأ الشاعر أى خالف بين اعراب القوافى أو خالف بين هجائها أو أفسد فى آخر البيت

وذاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ　　قُوهِيَّةِ المُتَجَرَّدْ[1]

تَأَمَّلُ العينُ مِنها[2]　　مَحاسِناً ليس تَنْفَدْ

فَبَعْضُهاقد (تَناهى)[3]　　وبعضُها (يتَوَلّدْ)

والحُسْنُ فى كلِّ عُضْوٍ[4]　　مِنها مُعادٌ مُرَدَّدْ

وكقوله :

ياعاقِدَ القلْبِ مِنّى　　هَلاَّ تَذَكَّرْتَ (حلاّ)

تَرَكْتَ قلبى قَليلاً　　مِنَ القَليلِ أَقَلاَّ

يَكادُ (لايَتَجزّا)　　أَقلُّ فى اللّفظِ مِنْ لا[5]

وقد يتملح الاعرابى. بان يدخل فى شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العمانى للرشيد فى قصيدته التى مدحه فيها :

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطَلٍ مُسْرَنْدِ[6]　　فى زَغْفَةٍ مُحْكَمَةٍ بالسَّرْدِ[7]

يَجُولُ بَيْنَ رَأْسِهِ و (الْكَرْدِ)[8]

يعنى العنق . ويقول فيه أيضا :

لَمّاهَوَى بينَ غِياضِ الأُسْدِ　　وصارَ فى كَفِّ الهِزَبْرِ الوَرْدِ[9]

آلى يَذُوقُ الدَّهْرَ (آبَ سَرْدِ)[10]

وكقول الآخر :

---

١ قوهية نسبة الى قوهستان وهى بلد فى كرمان . والقوهى ثياب بيض . والمتجرد العرية . لعله أراد أن جسمها لما تتعرى يشبه بياضه بياض الثياب القوهية ٢ فى ديوانه المطبوع « تأمل الناس فيها » ٣ فى الديوان « فبعضه فى انتهاء » ٤ فى الديوان « الحسن فى كل جزء » ٥ هذه الابيات لاتوجد فى الديوان المطبوع ٦ اسرندى فلانا علاه وغلبه . والسرندى « بالالف المقصورة » السريع فى أموره والشديد ٧ الزغفة الدرع الواسعة الدقيقة . وسرد الدرع سرداً نسجها ٨ ووردت هذه الكلمة فى قول الفرزدق « ضربناه دون الانثيين على الكرد » وقال شاعر « واضرب بحد السيف عظم كرده » . وأصله فى الفارسية « كردان » بكاف فارسية ٩ الهزبر والورد من أسماء الاسد ١٠ آب معناه الماء وسرد بارد وكلاهما فارسى

وَوَلَّهَنِي وَقعُ الأَسِنَّةِ والقَنَا      وكافر كوبات لَها عجرٌ قُفُدُ (١)

بأيدِي رِجالٍ ما كَلامِي كلامُهُمْ      يَسُومُونَنِي مردًا وما أَنا والمرْدُ

ومثل هـذا موجود فى شعر العذافر الكنـدى وغيره . ويجوز أيضا أن يكون الشـعر مثـل شـعر الحروشاذ وأسود بن أبى كريمة كما قال يزيد بن ربيعـة بن مفرغ :

آب اَسْتُ نَبيذَ اَسْتْ      عُصاراتِ زَبيبَ اَسْتْ

سُمَيَّةُ رُوسبيد (٢) اَسْتْ

وقال أسود بن أبى كريمة :

لَزِمَ الغُرّامُ ثَوْبِى      بكْرَةً فى يَوْمِ سبْتِ

فتمايَلْتُ عليْهِمْ      ميلَ زنكِيٍّ بمستِ

قَدْ حَسا الدّاذِيَّ صِرفا      أو عقارا بايخست

ثم كفتم ذو زياد      ويحكم انخر كفت

إنَّ جِلْدِى دَبغَتُهُ      أهلُ صَنْعاءَ بجفت

وأبو عمْرَةَ عِنْدِى      ان كور يذنمست

جالِس اندر مكناد      ايا عمد بنهشت (٣)

وكما لاينبغى أن يكون اللفظ عاميا ساقطاً سوقيا فكذلك لاينبغى أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى

وكلام الناس فى طبقات كما أن الناس أنفسهم فى طبقات . فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسميح والخفيف والثقيل وكله عربى وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا . فان زعم زاعم أنه لم يكن فى كلامهم تفاضل

---

١ الكافر الساتر ، كوبات اذا لم تكن فارسية فهى جمع كوبة بمعنى الطبل الصغير المخصر ، العجر جمع عجرة وهى نوع من العمة . والقفدجنس من العمة أيضا ٢ رو وجه وسبيد لعلها معرب سفيد بمعنى أبيض ٣ فى هذه الأبيات تحريفات كثيرة أفسدتها

ولا بينهم فى ذلك تفاوت فلم ذكروا العيي والبكى والحصر والمفحم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفيهق والمهماز والثرثار والمكثار والهماز . ولم ذكروا الهجر والهذر والهذيان والتخليط . وقالوا رجل تلقاعة وتلهاعة [1] وفلان يتلهيع فى خطبته . وقالوا فلان يخطئ فى جوابه ويحيل فى كلامه ويناقض فى خبره . ولولا أن هذه الامور قد كانت تكون فى بعضهم دون بعض لما سمى ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الاسماء

وأنا أقول انه ليس فى الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق ولا ألذ فى الاسماع ولا أشدّ اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء . وقد أصاب القوم فى عامة ماوصفوا الا أنى أزعم أن سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعانى . وقد يحتاج الى السخيف فى بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم ومن الالفاظ الشريفة الكريمة المعانى . كما أن النادرة الباردة جدًّا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدًّا . وإنما الكرب الذى يختم على القلوب ويأخذ بالانفاس النادرة الفاترة التى لاهى حارة ولا هى باردة . وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط . وإنما الشأن فى الحارّ جدًّا والبارد جدًّا . وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغن وسط وأبغض من ظريف وسط . ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وأن تحكيها الا مع اعرابها ومخارج ألفاظها . فانك ان غيرتها بان تلحن فى اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجتَ من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوامّ وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب أو أن تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها

ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم . وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الاسواق . ولاهل المدينة ألسنة ذلقة وألفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن فى عوامهم فاش وعلى من لم ينظر فى النحو منهم غالب واللحن . من الجوارى

١ تلقاعة : كثير الكلام ، ولهع الرجل فى الكلام : تشدق

الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ولكن اذا كان اللحن على سجية سكان البلد . وكما يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فاذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح وربما كان اسم الجارية غليّم وصبية وما أشبه ذلك فاذا صارت كهلة جزلة وعجوزاً شهلة وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم وصار بنوها رجالا وبناتها نساء فما أقبح حينئذ أن يقال لها ياغليم كيف أصبحت وياصبية كيف أمسيت. ولامر ما كنت العرب البنات فقالوا فعلت أم الفضل وقالت أم عمرو وذهبت أم حكيم . نعم حتى دعاهم ذلك الى التقدم فى تلك الكنى . وقد فسرنا ذلك كله فى (كتاب الاسماء والكنى والالقاب والانباز) . وقد قال مالك بن أسماء فى استملاح اللحن من بعض نسائه :

أَمُغَطّىً مِنِّى على بَصَرٍ لِلْـ ـحُبِّ أَمْ أَنتِ أَكْمَلُ النّاسِ حُسْنَا
وحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هو مِمّا يَنْعَتُ النّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا
مَنْطِقٌ صائِبٌ وتَلْحَنُ أَحيا نًا وأَحْلَى الحَدِيثِ ما كانَ لَحْنَا

وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص الى حبات القلوب والى اصابة عيون المعانى . ويقولون أصاب الهدف اذا أصاب الحق فى الجملة . ويقولون قرطس فلان وأصاب القرطاس اذا كان أجود اصابة من الاول . فان قالوا رمى فاصاب الغرة وأصاب عين القرطاس فهو الذى ليس فوقه أحد . ومن ذلك قولهم فلان يفل الحز ويصيب المفصل ويضع الهناء مواضع النقب . وقال زرارة بن جزء حين أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتكلم عنده ورفع حاجته اليه :

أَتَيْتُ أَبا حَفْصٍ ولا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ النّاسِ الاّ كالسِّنانِ طَرِيرُ
فَوَفَّقَنِى الرَّحْمٰنُ لَمّا لَقِيتُهُ ولِلْبابِ مِن دُونِ الخُصُومِ صَرِيرُ
قُرُومٌ غَيارَى عِنْدَ بابٍ مُمَنَّعٍ تُنازِعُ مُلْكاً يَهْتَدِى وتَجُورُ
فَقُلْتُ لهُ قَوْلاً أَصابَ فُؤادَهُ وبَعْضُ كلامِ القائِلِينَ غُرُورُ

وفى شبيه ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان حيث يقول :

رِجالٌ أَصِحّاءُ الجُلودِ مِنَ الخَنا ‏ وأَلسِنَةٌ مَعْرُوفَةٌ أَينَ تَذهَبُ

وفى اصابة فص الشيء وعينه يقول ذو الرُّمة فى مدح بلال بن أبى بردة الاشعرى :

تُناخي عِنْدَ خَيرِ فَتىً يَمانٍ ‏ إِذا النَّكْباءُ عارَضَتِ الشَّمالا
وخَيرِهِمِ مآثِرَ أَهلِ بَيْتٍ ‏ وأَكرَمِهِمْ وإِنْ كَرُموا فَعالا
وأَبْعَدِهِمْ مَسافَةَ غَوْرِ عَقْلٍ ‏ اذا ما الأَمْرُ في الشُّبُهاتِ غالا (١)
ولَبْسَ بَينَ أَقوامٍ فَكُلٌّ ‏ أَعَدَّ لَهُ الشَّغازِبَ والمِحالا (٢)
وكُلُّهُمُ أَلَدُّ لهُ كِظاظٌ (٣) ‏ أَعَدَّ لِكُلِّ حالِ القَوْمِ حالا
فَصَلْتَ بِحِكْمَةٍ فأَصبْتَ منها (٤) ‏ فُصُوصَ الحَقِّ فانفَصَلَ انفِصالا

وكان أبو سعيد الراى وهو شرشير المدنى يعيب أبا حنيفة فقال الشاعر :

عِندِي مَسائِلُ لا شِرْشِيرُ يُحْسِنُها ‏ عِنْدَ السُّؤالِ ولا أَصْحابُ شِرْشِيرِ
ولا يُصِيبُ فُصُوصَ الحَقِّ تَعلَمُه ‏ الا حَنِيفيَّةٌ كُوفيَّةُ الدُّورِ

ومما قالوا فى الايجاز و بلوغ المعانى بالالفاظ اليسيرة قال ثابت بن قطنة :

ما زِلتُ بَعدَكَ في هَمٍّ يَجِيشُ بِهِ ‏ صَدْري وفي نَصَبٍ قد كادَ يُبْلِيني
اني تَذَكَّرْتُ قَتلَى لو شَهِدتُهُمُ ‏ في غَمْرَةِ المَوْتِ لم يَصْلَوا بها دُوني
لا أُكْثِرُ القَوْلَ فِيما يَهْضِبُونَ بِهِ (٥) ‏ مِنَ الكَلامِ قَلِيلٌ منه يَكفِيني

وقال رجل من طيء ومدح كلام رجل فقال : هذا كلام يكتفى باولاه و يشتفى باخراه . وقال أبو وجرة السعدى من سعد بن بكر يصف كلام رجل :

يَكفِي قَلِيلُ كَلامِهِ وكَثِيرُهُ ‏ ثَبْتٌ اذا طالَ النِّضالُ مُصِيبُ

---

١ فى ديوان ذى الرمة وفى مادة سوف من أساس البلاغة « اذا ما الامر ذو الشبهات عالا » ٢ فى ديوانه « الشغارب » جمع شغربية ، والشغربية والشغزبية اعتقال المصارع رجله برجل خصمه وصرعه اياه بهذه الحيلة . والمحال : الكيد والحيلة ٣ فى ديوانه « أخو كظاظ » والكظاظ : الممارسة الشديدة فى الحرب ٤ فى ديوانه « قضيت بمره فأصبت منه » ٥ يسحون به سحا

ومن كلامهم الموجز فى أشعارهم قول العكلى فى صفة قوس :

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ　　مُوثَقَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعُ

وقال الآخر ووصف سهم رام أصاب حمارا فقال :

حَتَّى نَجا مِنْ جَوْفِهِ وما نَجا

وقال الآخر وهو يصف ذئبا :

أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ　　فى شِدْقِهِ شَفْرَتُه ونارُهُ

وَهْوَ الخَبِيثُ عَيْنُهُ فَرارُهُ　　بَهْمُ بَنِي مُحارِبٍ مُزْدارُهُ(١)

ووصف الآخر ناقة فقال :

خَرْقاءُ إلا أنها صَناعُ

وقال الآخر ووصف سهما صادراً :

أَلْقَى على مَفْطُوحِها مَفْطُوحا　　غادَرَ داءً ونَجا صَحِيحا

المفطوح الاول للقوس وهو العريض وهو هاهنا موضع مقبض القوس. والمفطوح الثانى السهم العريض . يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضا . وقال الآخر :

إنكَ يا ابْنَ جَعْفَرٍ لا تُفْلِحُ　　اللَّيْلُ أخفَى والنَّهارُ أفْضَحُ

وقالوا فى المثل « الليل أخفى للويل » . وقال رؤبة يصف حمارا :

حَشْرَجَ فى الجَوْفِ سَحِيلاً أَو شَهَقْ　　حتى يُقالَ ناهِقٌ وما نَهَقْ

الحشرجة صوت الصدر . والسحيل صوت الحمار اذا مده . والشهيق أن يقطع الصوت

وقال بعض ولد العباس بن مرداس السلمى فى فرس أبى الاعور السلمى :

جاءَ كَلَمْحِ البَرْقِ جاشَ ناظِرُهْ　　يَسْبَحُ أُولاهُ ويَطْفُو آخِرُهْ

فَما يَمَسُّ الأَرْضَ مِنْهُ حافِرُهْ

---

١ اسم مفعول من « ازداره » بمعنى « زاره »

قوله جاش ناظره أى جاش بمائه . وناظر البرق سحابه . يسبح يعنى يمد ضبعيه فاذا مدهما علا كفله . وقال الآخر :

إِنْ سَرَّكَ الأَهْوَنُ فابْدَأْ بالاشَدّْ

وقال العجاج :

يُمكّنُ السيفَ إذا الرُّمْحُ انأطَرْ[1] مِنْ هامَةِ اللَّيْثِ إذ اللَّيْثُ هتَرْ
كجَمَلِ البَحْرِ اذا خاضَ جَسَرْ غَوارِبَ الْيَمّ اذا الْيَمُّ هَدَرْ
حتى يُقالَ جاسِرٌ وما جَسَرْ

اليمّ معظم الماء . وغوارب اليم معظمه . جسر قطع . ومنه قيل للجسر جسر لان الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر أى قطع الامر وهو بعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه . وقال الآخر :

يادارُ قدْ غيّرَها بِلاها كانّما بِقَلَمٍ مَحاها
أَخْرَبَها عُمْرانُ مَنْ بَناها وكرَّ مُمْساها على مَغْناها
وطَفِقَتْ سَحابَةٌ تَغْشاها تَبْكى على عِراصِها عيْناها

قوله أخربها عمران من بناها يقول عمرها بالخراب . وأصل العمران ماخوذ من العمر وهو البقاء فاذا بقى الرجل فى داره فقد عمرها . فيقول إنّ مدة بقائه فيها أبانت منها لان الايام مؤثرة فى الاشياء بالنقص والبلاء . فلما بقى الخراب فيها وقام مقام العمران فى غيرها سمى بالعمران . وقال غيره :

ياعَجَّلَ الرَّحْمٰنُ بالْعَذابِ لِعامِراتِ الْبَيْتِ بالْخَرابِ

يعنى الفار . يقول هذا عمرانها ، كما يقول الرجل ما نرى من خيرك و رفدك الا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتك فى أعضادنا . وقال الله عز وجل « هذا نزلهم يوم الدين » والعذاب لايكون نزلا ولكنه لما أقام العذاب لهم فى موضع النعيم لغيرهم سمى باسمه . وقال الآخر :

فقُلْتُ أَطْعِمْني عُمَيرُ تَمْرا فكانَ تَمرِى كَهرَةً وزَبْرا[2]

[1] انثنى [2] الكهر : القهر والانتهار . وزبره زبراً : رماه بالحجارة

والتمر لايكون كهرة وزبراً ولـكنه على ذا . وقال الله عز وجل « ولهم رزقهم فيهـا بكرة وعشـيا » وليس فى الجنـة بكرة ولا عشى ولـكن على مقـدار البكـر والعشـيات . وعلى هـذا قول الله عز وجـل « وقال الذين فى النار لخزنة جهنم » والخزنة الحفظة وجهنم لايضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ولكن لما قامت الملائـكة مقام الحافظ الخازن سميت به . قوله ممساها يعنى مساءها . ومغناها موضعها الذى أقيم فيه . والمغانى المنازل التى كان بها أهلوها . وطفقت يعنى ظلت . تبكى على عراصـها عيناها يقال لـكل جـوبة [١] منـفتـقة ليس فيهـا بناء « عرْصـه » . عيناها هاهنا للسحاب وجعـل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه . وقال أبو عمرو بن العلاء اجتمع ثلاثة من الرّواة فقال لهم قائل : أى نصف بيت شعر أحكم وأوجز . فقال أحدهم قول حميد بن ثور الهلالى :

وَحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَصِحَّ وتَسلَمَا

ولعل حميدا أخذه عن النمر بن تولب ، قال النمر :

يُحِبُّ الفتَى طُولَ السَّلامةِ والغِنَى ... فـكَيفَ تَرَى طُولَ السَّلامَةِ يَفعَلُ

وقال أبو العتاهية :

أسرَعُ فى نقصِ أمرٍ تمامُه

ذهب الى كلام الاول « كلُّ ما أقام شَخَص . وكلّ ما ازداد نَقَص » و « لوكان الناس يُميتهم الداء إذن لأعاشهم الدواء »

وقال الثانى من الرواة الثـلاثة بل قول أبى خراش الهذلى :

نُوَكِّلُ بالادْنَي وإنْ جلَّ مايَمْضِى

وقال الثالث بل قول أبى ذؤيب الهذلى :

واذا تُرَدُّ الى قَليلٍ تَقنَعُ

فقال قائل : هذا من مفاخر هذيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا فى جميع أشـعار العرب الا ثلاثة أنصاف اثنان منها لهذيل وحدها . فقيل لهذا القائل : انمـا كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بانفسها . والنصف الذى لابى ذؤيب

[١] فضاء أملس بين أرضين

لا يستغنى بنفسه ولا يفهم السامع معنى هـذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الاول ، لانك اذا أنشـدت رجلا لم يسمع بالنصف الاول وسمع « واذا تُـردّ الى قليل تَـقنعُ » قال ومن هذه التى ترد الى قليل فتقنع . وليس المضمن كالمطاق . وليس هذا النصف مما رواه هذا العالم وانما الرواية قوله :

والدَّهرُ ليسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

ومما مدحوا به الايجاز والكلام الذى كالوحى والاشارة قولُ أبى دؤاد بن جرير الايادى :

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِّوالِ وتارَةً ... وَحْيَ المَلاَحِظِ خِيفَةَ الرُّقَباءِ (١)

فمدح كما ترى الاطالة فى موضعها والحذف فى موضعه

ومما يدل على شغفهم وكلفهم وشدة حبهم للفهم والافهام قولُ الاسدى فى صفة كلام رجـل نعت له موضـعا ــ من تلك السباسب التى لا أمارة فيها ــ باقل اللفـظ وأوجزه ، فوصف ايجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له فقال :

بضَرْبَةِ نَعْتٍ لم تُعَدْ غَيرَ أنَّنِي ... عَقُولٌ لأَوْصافِ الرِّجالِ ذَكُورُها

وهو كقولهم لابن عباس : أنى لك هذا العلم . قال : قلب عقول ولسان سؤول . وقد قال الراجز :

ومَهْمَهَيْنِ فَدْفَدَيْنِ مَرْتَيْنْ (٢) ... جُبْتُهما بالنَّعْتِ لا بالنَّعْتَيْنْ

وقالوا فى التحذير من مِيسم (٣) الشعر ومن شـدة وقع اللسـان ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجوّ . قال امرؤ القيس بن حُجْـر :

ولَوْ عَنْ نَثا (٤) غَيْرِهِ جاءَنِي ... وجُرْحُ اللِّسانِ كجُرْحِ اليَدِ

وقال طـرفة :

بحُسامِ سَيْفِكَ أو لِسانِكَ والـ ... ـكَلِمُ الأَصيلُ كأَرْغَبِ الكَلِمِ (٥)

قال وأنشدنى محمد بن زياد :

---

١ سبق فى ص ٢٦ من هذا الجزء ٢ المهمه : المفازة البعيدة . والفدفد : الفلاة . والمرت : المفازة بلا نبات ٣ الميسم : المكواة . سميت به لانه توسم به الابل وغيرها ٤ النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سىء ٥ الكلم « بكسر أوله وسكون ثانيه » : الجرح . ورغب الشىء « بضم الفين » : اتسع . والمعنى أن الكلام الاصيل أوسع خرقا فى الجلد من الجرح الواسع

لحوتْ شمّاساً كما تلحى (١) العِصىّ سبا لو انّ السبَّ يُدمِى لَدمِي
مِنْ نفرٍ كلُّهمُ نِكسٌ (٢) دَنِىّ مَحامدُ الرذلِ مَشاتِيم السَّرِىّ
مَخابِطُ العِكم (٣) مواديع المطىّ متارِكُ الرَّفيقِ بالخرقِ النَّطِىّ (٤)

وأنشد محمد بن زياد :

تَمنّى أبو العفّاقِ عِندي هَجْمَةً تُسهّلُ مأوَى لَيلِها بالكلاكلِ
ولا عقلَ عِندى غيرُ طَعْنٍ نوافذٍ وضربٍ كأشداقِ الفِصالِ الهَوادلِ
وَسَبٍّ يَوَدُّ المرءُ لو ماتَ قبلَهُ كَصَدْعِ الصَّفا فلّقتَهُ بالمعاولِ

الهجمة القطعة من النوق فيها فحل . والكلكل الصدر . والفصال جمع فصيل والفصيل ولد الناقة اذا فصل عنها . والهوادل العظام المشافر . والعقل هاهنا الدية . والعاقلة أهل القاتل الادنون والابعدون . والصفا جمع صفاة وهى الصخرة

وقال طرفة :

رَأَيتُ القوافى يتّلجْنَ موالجاً (٥) تضايقُ عنها أنْ تولّجها الابَرْ

وقال الاخطل :

حتّى أقرّوا وهُم مِنّى على مَضَضٍ (٦) والقولُ ينفذُ مالا تنفذُ الابَرْ

وقال العمانى :

اِذ هُنَّ فى الرَّيْطِ وفي المَوادِعِ ترمى اليَهِنَّ كَبذرِ الزّارِعِ

الريط الثياب واحدها ريطة . والريطة كل مُلاءة لم تكن لفقين . والحُلة لاتكون الا ثوبين . والموادع الثياب التى تصون غيرها واحدها ميدعة

وقالوا : الحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى . وكتب نصر بن سيار الى ابن هبيرة أيام تحرك أمير السواد بخراسان :

---

١ تقشر ٢ الضعيف الدنىء الذين لاخير فيه ٣ خ : مخابط العكم . المخبط : الابرة . والمخبط : العصا . والعكم « بكسر أوله » : العدل « بكسر العين » . والعكم « بفتح أوله » : داخل الجنب ٤ الخرق : القفر . والنطى : البعيد ٥ القوافى : القصائد . يتلجن : يدخلن . موالجا : مداخلا ٦ وجع المصيبة

أرى خَلَلَ الرَّمادِ وَمِيضَ جَمْرٍ ... فيُوشكُ أنْ يَكُونَ لهُ اضْطِرامُ
فَإنَّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكى (١) ... وإنَّ الحَرْبَ أوَّلُها كَلامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِى ... أأَيْقاظٌ أُمَيَّةُ أمْ نِيامُ
فَإنْ كانُوا لِحِينِهِمِ نِياماً ... فَقُلْ قُومُوا فَقَدْ حانَ القِيامُ

وقال بعض المولدين :

اذا نِلتُ العَطِيَّةَ بَعْدَ مَطْلٍ ... فلا كانَتْ وان كانَتْ جَزِيلَهْ
وَسُقْياً لِلْمَطِيَّةِ ثُمَّ سُقْياً ... اذا سَهُلَتْ وان كانَتْ قَلِيلَهْ
ولِلشُّعَراءِ أَلْسِنَةٌ حِدادٌ ... عَلى العَوْراتِ مُوفِيَةٌ دَلِيلَهْ
ومِنْ عَقْلِ الكَرِيمِ اذا اتَّقاهُمْ ... وداراهُمْ مُداراةً جَمِيلَهْ
اذا وَضَعُوا مَكادِيَهُمْ (٢) عَلَيْهِ ... وانْ كَذَبُوا فلَيْسَ لَهُنَّ حِيلَهْ

وقالوا « مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها » ٣ ومما قالوا فى صفة اللسان قول الاسدى، أنشدنيها ابن الاعرابى :

وأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنّائِباتِ ... عِرْضاً بَرِيئاً وَعَضْباً صَقِيلا
ووَقْعَ لِسانٍ كَحَدِّ السِّنانِ ... ورُمْحاً طَوِيلَ القَناةِ عَسُولا

وقال الاعشى :

أُدافِعُ عَنْ أَعْراضِكُمْ وأُعِيرُكُمْ ... لِساناً كَمِقْراضِ الخَفاجِيِّ مِلْحَبا

الملحب القاطع . وقال ابن هرمة :

قُلْ لِلَّذِى ظَلَّ ذا لَوْنَيْنِ يأْكُلُنِي ... لَقَدْ خَلَوْتَ بِلَحْمٍ عادِمِ البَشَمِ (٤)
إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجُمٍ ... نَكْلاً (٥) يُنَكِّلُ قَرّاصاً مِنَ اللُّجُمِ

١ يشتد لهبها ٢ خ : مكاذبهم ٣ هذا من كلام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله « راجع ص ٦٤ من سيرته المطبوعة فى القاهرة » ٤ البشم : التخمة ٥ النكل : حديدة اللجام

إني امرؤٌ لا أصوغُ الحَلْيَ تعمَلُهُ  كَفّايَ لكنْ لساني صائغُ الكَلِمِ

وقال الراجز :

إنّي بَغَيتُ الشِّعرَ وابتغاني  حتّى وَجَدتُ الشِّعرَ في مَكاني

في عَيبَةٍ مِفتاحُها لِساني

وأنشد :

إنّي وإنْ كانَ إزاري خَلَقا  وبَرْنَكاني سَمَلاً قد أُخلِقا (١)

قد جَعَلَ اللهُ لِساني مُطلَقا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان : والعتابى — حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ — لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان ، بعد أن نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطى الذى قيل له : لم اشتريت هذه الاتان ، قال « أركبها وتَلِدُ لى » ٢ وقد علمنا أن معناه كان صحيحا . وقد فهمنا قول الشيخ الفارسى حين قال لاهل مجلسه « مامن شر من دين » وانه قال حين قيل له : ولم ذاك يا أبا فلان ، قال « من جرى يتعلقون » وما نشك أنه قد ذهب مذهبا . وانه كما قال معنى قول أبى الجهير الخراسانى النخاس حين قال له الحجاج : أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان . قال « شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون » قال الحجاج : ماتقول ويلك . فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها . وقلت لخادم لى : فى أى صناعة أسلم هذا الغلام . قال « أصحاب سند نعال » يريد فى أصحاب النعال السندية . وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذى دونه « اكتب لى قل حطين وريحنى منه »

فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة

---

١ برنكان الرجل الثوب : مزقه . وفى نسخة « وبردتاى » . والسمل الثوب الخلق ٢ راجع ص ٤٢ من هذا الجزء قبل باب البيان

والخطا والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا .
وكيف يكون ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه . ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذى فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومى والصقلبي . وان كان هذا الاسم انما يستحقونه بانا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم من حمحمة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهم بضغاء [١] السنور كثيرا من ارادته . وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع . وانما عنى العتابى افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء . وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا :

((مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلْ)) و ((اذا عَزَّ أخاكَ فهُنْ))

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم « ذهبت الى أبو زيد » و « رأيت أبى عمرو » ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه [٢] ولم يسمعوا منه لان ذلك يدل على طول اقامته فى الدار التى تفسد اللغة وتنقص البيان . لان تلك اللغة انما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة وفى تلك الجيرة . ولفقد الخطأ من جميع الامم . ولقد كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة و بينه يوم مات بون بعيد . على أنه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة وأول موضع العجمة . وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين . وزعم أصحابنا البصريون عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج . وكان ما زعموا لا يبرئهما من اللحن . وزعم أبو العاصى أنه لم ير قرويا قط لا يلحن فى حديثه وفيما يجرى بينه و بين الناس الا ما تفقده من أبى زيد النحوى ومن أبى سعيد المعلم . وقد روى أصحابنا أن رجلا من البلديين قال لاعرابى : كيف أهلِك . قالها بكسر اللام . قال : صلبا . لانه أجابه على فهمه ولم يعلم أنه أراد المسالة عن أهله وعياله . وسمعت ابن بشير ـ وقال له المفضل العنبرى انى عثرت البارحة بكتاب وقد التقطته وهو عندى وقد ذكروا أن فيه شعراً فان أردته وهبته لك ـ قال ابن بشير : أريده ان كان مقيداً . قال : والله ما أدرى أكان مقيدا أو مغلولا . ولو عرف التقييد لم يلتفت الى روايته . وحكى الكسائى أنه قال لغلام بالبادية : من خلقك ـ وجزم القاف ـ فلم يدر ما قال ولم يجبه . فرد عليه السؤال . فقال الغلام :

١ . صياح ٢ البهرج : الباطل . وبهرج الدرهم اذا كان زائفا

لعلك تريد من خلقك . وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول « نعم » فى الجواب قال « نعم وشاء » لان لغته « نِعم » . وقيل لعمر بن لجاء : قل « انا من المجرمون منتقمين » قال « انا من المجرمين منتقمون » . وأنشد الكسائى كلاما دار بينه و بين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَبًا ماعَجَبٌ أَعْجَبَنِى مِنْ غُلامٍ حَكَمِىٍّ أُصُلَا
قُلتُ هَلْ أَحْسَسْتَ رَكْبًا نَزَلُوا حِضْنًا مادُونَهُ قالَ هَلا (١)
قلتُ بَيِّنْ ماهَلا هَلْ نَزَلُوا قالَ حُوبًا (٢) ثُمَّ ولّى عَجِلا
لَستُ أَدْرِي عِنْدَها ماقالَ لى أَنَعَمْ مَا قالَ لِي أَمْ قالَ لا
تِلكَ مِنْهُ لُغَةٌ تُعْجِبُنِى زادَتِ القَلْبَ خَبالا خَبَلا

قال أبو الحسن قال مولى زياد لزياد « أهدوا لنا همار وهش » قال أى شيء تقول ويلك. قال « أهدوا لنا أيرا » يريد « أهدوا لنا عيرا » قال زياد ويلك الاول خير ٣ . وقال الشاعر يذكر جارية له لكناء ٣ :

أَوَّلُ ماأَسْمَعُ مِنها فى السَّحَرْ تَذْكِيرُها الأُنثى وتَأْنيثُ الذَّكَرْ
والسَّوْأَةُ السَّوْآءُ فى ذِكْرِ القَمَرْ

فزياد قد فهم عن مولاه وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته . ولكنهما لم يفهما عنهما من افهامها لهما . ولكنهما لما طال مقامهما فى الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام

١ حضن الانسان : مادون ابطه الى كشحه . وأحضن الارض نواحيها . وحضن الجبل أصله . وحضن الشيء جانبه ٢ الحوب : الاثم والهلاك والبلاء والمرض ٣ سبق هذا فى ص ٤١ من هذا الجزء

## ﴿ ذكر ماقالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور ﴾

### ماجاء فى الاثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

أَرَى النَّاسَ فِى الاَخلاقِ أهلَ تَخَلُّقٍ وأَخْبارُهُمْ شَتَّى فَعُرْفٌ ومُنْكَرُ
قَرِيباً تَدانِيهِمْ اذا مارأيتَهُمْ ومُخْتَلِفاً مابَيْنَهُمْ حِينَ تَخْبُرُ
فلا تحْمَدَنَّ الدَّهْرَ ظاهِرَ صَفْحَةٍ مِنَ المَرْءِ مالَمْ تَبْلُ مالَيْسَ يَظْهَرُ
فما المَرْءُ الا الأَصْغَرانِ لِسانُهُ ومَعْقُولُه والجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ
وما الزَّيْنُ فى ثَوْبٍ تَراهُ وانما يَزِينُ الفتَى مَخْبُورُهُ حِينَ يُخْبَرُ
فانْ طُرَّةٌ رَاقَتْكَ مِنهُمْ فَرُبما أَمَرَّ مَذاقُ العودِ والعُودُ أَخضَرُ

وقال سويد بن أبى كاهل فى ذلك :

وَدَعَتْنِى بِرُقاها انها تُنْزِلُ الأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ اليَفَعْ(١)
تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قَوْلاً حَسَناً لَوْ أَرادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَطَعْ
ولِساناً صَيْرَفِياً صارِماً كحُسامِ السَّيْفِ مامَسَّ قَطَعْ

وقال جرير :

ولَيْسَ لسَيْفي فى العِظامِ بَقِيَّةٌ ولا السَّيْفُ أشْوَى وقْعَةً مِن لِسانِيا

وقال الآخر :

وجُرْحُ السَّيْفِ تَدمُلُه فيَبْرَى ويَبْقَى الدَّهْرَ ماجَرَحَ اللِّسانُ

وقال الآخر :

أَبا ضَبيعةَ لاتَعجَلْ بِسَيِّئةٍ الى ابْنِ عَمِّكَ واذكُرْهُ باحسان

---

١ الرق : جمع الرقية وهى العوذة . والاعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه أوفى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . واليفع واليفاع : التل المشرف والارض المرتفعة

إنّي وإن كُنتُ أثوابي مُلفّقَةٌ (١) ... ليست بخزٍّ ولا من حرّ (٢) كتّانِ
فانّ في المجدِ همّاتي وفي لُغَتي ... عُلْوِيّةٌ ولِساني غَيرُ لحّانِ

وفيما مدحوا به الاعرابيّ اذا كان أديبا أنشدني ابن أبي خزيمة واسمه أسود :

ألا زَعَمَتْ عَفراءُ بالشّامِ أنّني ... غُلامُ جَوارٍ لا غُلامُ حرُوبِ
وانّي لأهْدَى بالأوانسِ كالدُّمى (٣) ... وانّي بأطرافِ القَنا للَعُوبُ
واني على ما كان مِنْ عُنْجُهِيَّتي (٤) ... ولوثَةِ (٥) أعْرابِيّتي لأدِيبُ

وقال ابن هرمة :

للهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى فَجَعَتْ بهِ ... يَوْمَ البَقِيعِ حَوادِثُ الأيّامِ
هَشٌّ اذا نَزَلَ الوُفُودُ ببابِهِ ... سَهْلُ الحِجابِ مؤدَّبُ الخُدّامِ
فاذا رَأيْتَ شَقِيقَهُ وصَدِيقَهُ ... لَمْ تَدرِ أيُّهُما أخُو الأرْحامِ

وقال كعب بن سعد الغنوى :

حَبِيبٌ الى الزُّوّارِ غِشيانُ (٦) بَيْتِهِ ... جَمِيلُ المُحيّا شبَّ وهوَ أدِيبُ
اذا ماتَراآهُ الرِّجالُ تحفّظُوا ... فَلَمْ تنطِقِ العَوْراءَ وهوَ قَرِيبُ

وقال الحارثى :

وتَعلَمُ أنّي ماجِدٌ وتَرُوعُها ... بَقِيّـةُ أعْرابِيّـةٍ في مُهاجِرِ

وقال الآخر :

وانّ امرءاً في النّاسِ يُعطَى ظُلامَةً ... ويُمنعُ نِصفَ الحَقِّ منه لرَاضِعُ
أ ألْمَوْتَ يَخشَى أثْكَلَ اللهُ أُمَّهُ ... أمِ العَيْشَ يرْجو نَفعَهُ وهوَ ضائِعُ

---

١ خ : أما تراني وأثوابي مقاربة ٢ خ : من خز . وخ : من نسج ٣ جمع دمية وهى الصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم وقد تكون من الرخام أو العاج ٤ الجفاء والعظمة والكبر والخشونة في المطعم وغيره وكل هذا من لوازم البداوة ٥ الحماقة ٦ اتيان

ويطعم ما لم يندفع فى مريئه (١) ويمسح أعلى بطنه وهو جائع

وان العقول فاعلمن أسنة حداد النواحى أرهفتها المواقع

ويقولون كأن لسانه لسان ثور . وحدثنى من سمع أعرابيا مدح رجلا برقة اللسان فقال كان والله لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة ٢ . وقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ما بقى من لسانك . فاخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته ثم قال : والله ما يسرنى به مقول من معد والله لو أن وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه ٣ . قال وسمعت أعرابيا يصف لسان رجل فقال كان يشول بلسانه شولان البروق ويتخال به تخال الحية . وأظن هذا الاعرابى أبا وجيه العكلى

يشول يرفع . البروق الناقة اذا طلبت الفحل فانها حينئذ ترفع ذنبها

وانما سمى شوال شوالا لان النوق شالت باذنابها فيه . فان قال قائل قد يتفق أن يكون شوال فى وقت لاتشول الناقة بذنبها فيه فلم بقى هذا الاسم عليه وقد ينتقل ماله لزم عنه . قيل له انما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق أن شالت النوق باذنابها فيه فبقى عليه كالسمة . وكذلك رمضان إنما سمى لرمض ٤ الماء فيه فى شدة الحر فبقى عليه فى البرد . وكذلك ربيع انما سمى لرعيهم الربيع فيه وان كان قد يتفق هذا الاسم فى وقت البرد والحر

قال ووصف أعرابى رجلا فقال أتيناه فاخرج لسانه كانه مخراق ٥ لاعب . قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله فيم الجمال. قال : فى اللسان . قال وكان مجاشع بن دارم خطيبا سليطا وكان نهشل بكيئا منزورا ٦. فلما خرجا من عند بعض الملوك عذله مجاشع فى تركه الكلام . فقال له نهشل : انى والله لاأحسن تكذابك ولا تأثامك ، تشول بلسانك شولان البروق . وقالوا : أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ثم الجن . وانما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالاستطاعة على التصرف وبالمنطق . قال وقال خالد بن صفوان : ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة . قال وقال رجل لخالد بن صفوان : مالى اذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الاشعار وقع على النوم . قال : لانك حمار فى مسلاخ ٧ انسان . وقال صاحب المنطق . حد

١ رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم ٢ الشقة من الحرير الابيض ٣ سبق هذا فى ص ٣٦ من هذا الجزء ٤ رمض الماء سخن واشتد حره . والرمضاء شدة الحر ٥ منديل يلف ليضرب به ٦ البكىء : القليل الكلام . والمنزور : الذى لايعلمك ولا يعطيك الا اذا ألححت عليه فى السؤال ٧ جلد

الانسان الحيّ الناطق الميت . وقال الاعور الشنى [١] :

وكائن تري من صامت لك معجب     زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده     فلم تبق الا صورة اللحم والدم

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان : تسمع بالمعيدى لاأن تراه . فقال : أبيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان [٢] ولا توزن بميزان وليست بمسوك [٣] يستقى بها وانما المرء باصغريه بقلبه ولسانه ان صال صال بجنان وان قال قال ببيان . واليمانية تجعل هذا للصقعب النهدى فان كان ذلك كذلك فقد أقروا أن نهداً من معد . وكان يقال : عقل المرء مدفون بلسانه

# باب فى ذكر اللسان

أبو الحسن قال قال الحسن « لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قال وان كان عليه سكت . وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فان هم بالكلام تكلم به له أو عليه » قال أبو عبيدة قال أبو الوجيه حدثنى الفرزدق قال : كنا فى ضيافة معاوية بن أبى سفيان ومعنا كعب بن جعيل التغلبى . فقال له يزيد : ان ابن حسان ـ يريد عبد الرحمن ـ قد فضحنا فاهج الانصار . قال أرادّى أنت الى الاشراك بعد الاسلام . لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى أدلك على غلام منا نصرانى كأن لسانه لسان ثور يعنى الاخطل [٤] . وقال سعد بن أبى وقاص لعمر ابنه ـ حين نطق مع القوم فبذهم [٥] وقد كانوا كلموه فى الرّضا عنه ـ قال : هذا الذى أغضبنى عليه أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يكون قوم يأكلون الدنيا بالسنتهم كما تلحس الارض البقرةُ بلسانها » . قال وقال معاوية لعمرو بن العاص « يا عمرو إن أهل العراق قد أكرهوا عليًّا على أبى موسى وأنا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فاجد الحزّ وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله » . والعجب من قول ابن الزبير للاعراب « سلاحكم رثّ وحديثكم

---

١ خ : الشبنى ٢ جمع قفيز وهو مكيال ثمانية مكاكيك والمكوك ثلاث كيلجات والكيلجة من وسبعة أثمان من . والقفيز من الارض قدر مأة وأربع وأربعين ذراعا ٣ المسك بفتح الميم : الجلد وجمعه مسوك . والمسك بفتحتين : الموضع يمسك الماء ، وسقاء مسيك : كثير الا خذ للماء ٤ راجع ص ٣٦ من هذا الجزء ٥ غلبهم وفاقهم

غثّ » وكيف يكون هـذا وقد ذكروا أنه أحسن الناس حديثا وأن أبا نضرة وعبد الله بن أبى بكر انما كانا يحكيانه فلا أردى الا أن يكون حُسن حديثه هو الذى ألقى الحسد بينه و بين كل حسَن الحديث . وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم فى بعض الامر فاجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد أن الكلام كان عنده فلما طال بهما المجلس كان خالد أعرض له ببعض الامر فقال المدنى : ياأبا صفوان ما من ذنب الا اتفاق الصناعتين . ذكر ذلك الاصمعى . قال فضال الازرق قال رجل من بنى منقر : تكلم خالد بن صفوان فى صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله ، واذا أعرابى فى بت [1] ما فى رجليه حذاء فاجابه بكلام وددت والله أنى كنت متّ وأن ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد مانزل بى قال : كيف نجاريهم وانما نحكيهم وكيف نسابقهم وانما نجرى على ما سبق الينا من أعراقهم [2] وليفرخ رُوعك [3] فانه من مقاعس ومقاعس لك . فقلت ياأبا صفوان والله ما ألومك على الاُولى ولا أدع حمدك على الاخرى . قال أبو اليقظان قال عمر بن عبد العزيز : ما كلمنى رجل من بنى أسد إلا تمنيت أن يمدّ له فى حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه . قال وقال يونس : ليس فى بنى أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف [4] أو زاجر أو كاهن أو فارس . قال وليس فى هُذَيل إلا شاعر أو رام أو شديد العَدْو . الترجمان بن هزيم بن عدى ابن أبى طحمة قال : دعى رقبة بن مصقلة ـ أو كرب بن رقبة ـ إلى مجلس ليتكلم فيه ، فرأى مكان أعرابى فى شملة ، فانكر موضعه ، فسأل الذى عن يمينه عنه ، فخبره أنه الذى أعدوه لجوابه ، فنهض مسرعا لا يلوى على شىء كراهة أن يجمع بين الديباجتين فيتضع عند الجميع . وقال خلاد بن يزيد : لم يكن أحد بعد أبى نضر أحسن حديثا من مسلم بن قتيبة . قال وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول احذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة . ويزعمون أنهم لم يروا محدثا قط صاحب آثار كان أجود حذفا وأحسن اختصارا للحديث من سفيان بن عيينة ، سالوه مرة عن قول طاووس فى زكاة الجراد فقال ابنه عنه : زكاته أخذه

*(وباب آخر)* وكانوا يمدحون شدة العارضة وقوة المنة وظهور الحجة وثبات الجنان وكثرة الريق والعلو على الخصم . ويهجون بخلاف ذلك . قال

١ ألبث : أشد الحزن ٢ جمع عرق « بكسر فسكون » وهو من كل شىء أصله ٣ أى ليذهب رعبك فان الامر ليس على ما تحاذر ٤ الذى يعرف الآثار والذى يعرف النسب بفراسته ونظره الى أعضاء المولود

الشاعر :

طَباقاءُ (١) لم يَشهَدْ خُصوماً ولم يَعِش　　حَميداً ولم يَشهدْ حِلالا ولاعِطرا

قال أبو زبيد الطائى :

وخَطيبٍ إذا تَمُوتُ الأوْ　　جُهُ يَوماً فى مأقِطٍ مَشهودُ

طباقاء: يقال للبعير اذا لم يحسن الضراب جمل عياياء وجمل طبقاء وهو هاهنا للرجل الذى لايتجه للحجة . الحلال الجماعات ويقال حى حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين . والعطر هاهنا الحرس . المأقط الموضع الضيق والمأقط الموضع الذى يقتتل فيه . وقال نافع بن خليفة الغنوى :

وخَصْمٍ لَدَى بابِ الأميرِ كأنَّهمْ　　قُرومٌ فَشا فِيها الزَّوائِرُ والهَدْرُ

القروم الجمال المصاعب . الزوائر الذين يزأرون . الهدر صوته عند هيجه ويقال له الهدير

دَلَفتُ لَهمْ دُونَ المُنَى بِمُلِمَّةٍ (٢)　　من الدُّرِّ فى أعقابِ دُرَّتِها شَذْرُ (٣)

دلفت دنوت

إذا القوم قالوا أَذْنِ منها وَجدْتَها　　مُطَبِّقَةً يَهْماءَ لَيسَ لها خَصْرُ

قوله أدن منها أى قللها واختصرها . وجدتها مطبقة أى طبقتهم بالحجة . اليهماء الأرض التى لايهتدى فيها الطريق ويهماء هاهنا يعنى التى لا يهتدى اليها ويضل الخصوم عندها والأيهم من الرجال الحائر الذى لايهتدى لشيء وأرض يهماء اذا لم تكن فيها علامة . وقال الاسلع بن قطاف الطهوى :

فِداءٌ لِقَومى كلُّ مَعشَرِ جارِمٍ　　طَريدٍ ومَخذُولٍ بما جرَّ مُسلَمِ

هُمُ أفحَمُوا الخَصْمَ الذي يَستَقِيدُنى　　وَهُمْ فَصَموا حِجْلى (٤) وهم حقنوا دَمى

بأيدٍ يُفَرِّجْنَ المَضِيقَ وألسُنٍ　　سِلاطٍ وجمعٍ ذِي زُهاءٍ عَرَمرَمِ (٥)

---

١ قال ابن الاثير فى النهاية : هو المطبق عليه حمقا · أو الذى أموره مطبقة عليه · أو الذى يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه ٢ يصف قصيدة أو خطبة له ٣ الشذر : قطع من الذهب · وخرز يفصل به بين الجواهر واللؤلؤ الصغير ٤ الحجل : القيد ٥ لسان سليط : طويل ، والزهاء : الزينة والزخرف ، والعرمرم : الشديد والجيش الكثير

إِذا شِئْتَ لم تَعدَمْ لَدَى البابِ مِنهمُ     جَمِيلَ المُحيَّا واضِحاً غَيرَ تَوْأَمِ

التوأمان الاخوان المولودان فى بطن . وقال التميمى فى ذلك :

أَمَا رَأَيْتَ الأَلْسُنَ السِّلاطا     والجاهَ والاِقْدامَ والنَّشاطا

إِنَّ النَّدَى حيثُ تَرَى الضغاطا (١)

ذهب فى البيت الاخير الى قول الشاعر :

يَسقُطُ الطَّيرُ حيثُ يَنْتَشِرُ الحَبُّ     وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرَماءِ

والى قول الآخر ٢ :

يَرْفُضُ عَنْ بَيتِ الفَقيرِ ضُيوفُهُ     وتَرَى الغَنِيَ يُهْدِي لكَ الزُّوَّارا

وأنشد فى المعنى الاول :

وخَطِيبِ قَوْمٍ قَدَّمُوهُ أَمامَهمْ     ثِقَةً بهِ مُتَخَمِّطٍ تَيَّاحِ

المتخمط المتكبر مع غضب . التياح والمتيح الذى يعرض فى كل شىء ويدخل فيما لا يعنيه

جاوَبْتُ خُطْبَتَهُ فظَلَّ كأَنَّهُ     لَمَّا خَطَبْتُ مُمَلَّحٌ بِمِلاحِ

قوله مملح بملاح أى منقبض كأنه ملح من الملح . وأنشد أيضا :

أَرِقْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فى نَشاصٍ     تَلأْلأَ فى مُمَلَّأَةٍ غِصاصِ

النشاص السحاب الأبيض المرتفع بعضه فوق بعض وليس بمنبسط . والتلألؤ ظهور البرق فى سرعة . مملأة بالماء . غصاص قد غصت بالماء

لواقِحَ دُلَّحٍ بالماءِ سُحْمٍ     تَمُجُّ الغَيثَ مِنْ خَلَلِ الخَصاصِ

اللواقح التى قد لقحت من الريح . والدلح الدانية الظاهر المثقلة بالماء . سحم سود . الخصاص هاهنا خلل السحاب :

سَلِ الخُطَباءَ هَلْ سَبَحُوا كسَبْحِي     بُحورَ القَوْلِ أَوْ غاصُوا مَغاصِي

لِسانِي بالنَّثِيرِ وبالقَوافِي     وبالاسْجاعِ أَمْهَرُ فى الغِواصِ

---

١ الضغاط : الزحام ٢ خ : والى قوله

النثير الكلام المنثور . القوافي خواتم أبيات الشعر . الاسجاع الكلام المزدوج على غير وزن

مِنَ الحوتِ الذي في لُجّ بَحرٍ ... يُجيدُ الغَوْصَ في لُجَجِ المغَاصِ

لَعَمْرُكَ انّني لَأُعِفُّ نَفسي ... وأَسْتُرُ بالتّكرّمِ من خَصاصِ

وأنشد لرجل من بني ناشب بن سلمان بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :

لَنا قَمَرُ السّماءِ وكلُّ نَجمٍ ... يُضيءُ لَنا اذا القمَرانِ غارا

ومَنْ يَفْخَرْ بِغَيرِ أبي نِزارٍ ... فَلَيسَ بأوّلِ الخُطَباءِ جارا

وأنشد للاقرع :

انّي امرؤٌ لا أُقيلُ الخصمَ عَثْرَتَهُ ... عِندَ الأَميرِ اذا ما خَصْمُهُ طَلَعا

يُنيرُ وَجهي اذا جَدَّ الخِصامُ بِنا ... ووَجهُ خَصمي تَراهُ الدّهرَ مُلْتَفِعا[(١)]

وأنشد :

تَراهُ بِنَصْري في الحَفيظةِ[(٢)] واثِقاً ... وانْ صَدَّعَنّي العَيْنُ مِنهُ وحاجِبُهْ

وانْ خَطَرَتْ أيدي الكُماةِ وجَدْتَني ... نَصُوراً إذا ما استَيْبَسَ الرّيقَ عاصِبَهْ

عاصبه يابسه يعتصم به حتى يتم كلامه . الكماة جمع كمى ، والكمى الرجل المتكمى وهو المتكمى بالسلاح يعنى المتكفر به المستتر ، ويقال كمى الرجل شهادته يكميها اذا كتمها وسترها . وقال ابن أحمر وذكر الريق والاعتصام به :

هَذا الثّناءُ وأَجدِرْ أنْ أُصاحِبَهُ ... وقَدْ يُدَوّمُ[(٣)] رِيقَ الطّامعِ الأَمَلُ

وقال الزبير بن العوام وهو يرقص ابنه عروة :

أَبيَضُ مِن آلِ أبي عَتيقِ ... مُبارَكٌ منْ وَلَدِ الصّدّيقِ

أَلَذُّهُ كما أَلَذُّ رِيقي

---

١ التفع بالثوب التحف به ، وفى نسخة ملتمعا ٢ الحفيظة : التقية والغضب فيما يجب أن يحفظ منه واسم من المحافظة للذب عن المحارم عند الحرب ٣ يبل

وقالت امرأة من بنى أسد :

أَلا بَكَرَ النّاعِى بِخَيْرِ بَنِي أَسَدْ ... بِعَمْرِو بنِ مَسْعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ
فَمَنْ كانَ يَعْيَى بالجوابِ فإنَّهُ ... أَبو مَعْقِلٍ لا حَجْرَ عنهُ ولا صَدَدْ
أَثارُوا بِصَحْراءِ الثُّوَيَّةِ قَبْرَهُ ... وما كنتُ أَخْشَى أَنْ تَناءَى بِهِ البَلَدْ

تناءى تبعد . الثوية موضع يقال له صحراء الثوية ومن قال الثُّوَيَّة فهى تصغير الثَّوِيَّة . وقال أوس بن حجر فى فضالة بن كلدة :

أَبا دُلَيْجَةَ مَنْ يُوصَى بأَرْمَلَةٍ ... أَمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي هِدْمَيْنِ طِمْلالِ

هدمين ثوبين خليقين ، يقال ثوب أهدام اذا كان خلقا . والطملال الفقير

أَمْ مَنْ يَكونُ خَطيبَ القَوْمِ انْ حَفَلُوا ... لَدَى المُلوكِ أُولى كَيْدٍ وأَقْوالِ

وقال أيضا فى فضالة بن كلدة :

أَلَهْفاً على حُسْنِ آلائِهِ ... على الجابِرِ الحَيِّ والحارِبِ[1]
ورِقْبَتُهُ حَتَماتِ المُلوكِ ... بَيْنَ السُّرادِقِ والحاجِبِ

ورقبته انتظاره إذن الملوك . وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملك

ويَكْفِى المَقالةَ أَهْلَ الرِّجا ... لِ غَيْرَ مَعيبٍ ولا عائِبِ

وأنشد أيضا :

وخَصْمٍ غِضابٍ يُنْغِضونَ رُؤُوسَهُمْ[2] ... أُولى قَدَمٍ فى الشَّغْبِ صُهْبٍ سِبالُها[3]
ضَرَبْتُ لَهُمْ إِبْطَ الشِّمالِ فأَصْبَحَتْ ... يَرُدُّ غُواةً آخَرِينَ نَكالُها

ابط الشمال يعنى الفؤاد لانه يكون فى تلك الناحية . وقال شُتَيم بن خويلد :

وقُلْتُ لِسَيِّدِنا يا حَلِيمُ ... انكَ لَمْ تَأْسُ أَسْواً رَفِيقا

---

١ الحارب : المشلح « بتشديد اللام المكسورة » وهو الذى يعرى الناس ثيابهم ٢ يحركونها بارتجاف
٣ الشغب : تهييج الشر . الصهب « جمع أصهب وصهباء » الذى يخالط بياض شعره حمرة ، والسبال « جمع سبلة بفتحتين » شعر الشارب ومقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر ، ويقال للعدو « هم صهب السبال وسود الأكباد »

أعَنْتَ عَـدِيا عَلَى شأوِها     تعـادِي فرِيقاً وتُبْقِي فرِيقا
زَجرْتَ بِها لَيْـلةً كلَّها     فَجِئْتَ بِها مُؤْيداً خنفقِيقا

تاسوا تداوى ، أسوا وأسى مصـدران . والاسى الطبيب . ومؤيد داهيـة . خنفقيق داهية أيضا . الشأو الغلوة لركض الفرس

وأنشد لآدم مولى بلعنبر يقولهـا لابن له :

يا بأَبِي أنتَ ويافوْقَ بأَبْ     يابأَبِي خُصيكَ منْ خُصْيٍ وزُبّْ
أنتَ الحبيبُ وكذاقولُ المحِبّْ     جنَّبكَ اللهُ معَاريضَ الوَصَبْ
حتَّى تُفيدَ وتُداوِي ذا الجَرَبْ     وذا الجُنُونِ مِنْ سُعالٍ وكَلَبْ
والحذبَ حتَّى يَستقيمَ ذُوالحدَبْ     وتَحمِلَ الشَّاعِرَ فى اليوْمِ العَصِبْ
على مَباهِـيرَ كثِيراتِ التَّعَبْ     وان أرادَ جَدِلٌ صَعبٌ أرِبْ
خُصومَةً تَنْقُبُ أوساطَ الرُّكَبْ     أظلعْتَهُ من رُتَبٍ الى رُتَبْ
حتَّى تَرَى الأبصارُ أمثالَ الشُّهُبْ     يَرْمي بِها أشْوَسُ مِلْحاحٌ كَلِبْ
مُجرَّبُ الشدَّاتِ مَيمونٌ مِذَبّْ

الوصب المرض . والعصِـب الشديد ، يقال يوم عصِـب وعصيب وعصبصب اذا كان شديدا . مباهير متاعيب قد علاهم البهر . الارب يقال رجل أريب وأرب وله أرب اذا كان عاقلا أديبا حازما . أظلعتـه يقال ظلع الرجل اذا خمع فى مشـيه . الرتبـة واحـدة الرتب والرتبات وهى الدرج ، وهى هاهنا الاشـياء المختلفـة ، أى تخرجه من شيء الى شيء . الاشوس الذى ينظر بمؤخر عينه . ملحاح ملحّ من الالحاح على الشيء . كلب أى الذى قد كلب . مِذَب أى يذب عن حريمـه وعن نفسـه

وقالت ابنة وثيمة ترثى أباها وثيمة بن عثمان :

الواهبُ المالَ التِّلا     دَ لنا ويكفِينا العَظيمهْ
ويكونُ مِدْرهَنا اذا     نزَلَتْ مُجلِّحةٌ عظَيمهْ

التلاد القديم من المـال ، والطارف المستفاد . والمدره لسان القوم المتكلم عنهم . مجلحة

أى داهية مصممة

واحْمرَّ آفاقُ السَّما ءِ ولمْ تقعْ فى الارضِ دِيمَهْ

احمر آفاق السماء اشتد البرد وقل المطر وكثر القحط . ديمة واحدة الديم وهى الامطار الدائمة مع سكون

وتعذَّرَ الآكالُ حتَّى كانَ أحْمدَها الهَشيمَهْ

تعذر تمنع . الآكال جمع أكل وهو ما يؤكل . الهشيمة ما يهشم من الشجر أى يكسر

لا ثلَّةٌ ترْعى ولا إبلٌ ولا بقرٌ مُسيمَهْ

الثلة مابين الست الى العشرة من الغنم . مسيمة راعية

ألفيتهُ مأوى الأرا مِلِ والمُدفَّعةِ (١) اليتيمه

والدّافعَ الخصمَ الألدَّ اذا تفوضحَ فى الخصُومَهْ

بلسانِ لُقمانَ بنِ عا دَ وفصْلِ خُطبتِه الحكيمَهْ

ألجمتهمْ بعدَ التَّدا فُعِ والتَّجاذُبِ في الحُكومَهْ

وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الاكبر والاصغر ولُقَيم بن لقمان فى النباهة والقدر وفى العلم والحكم وفى اللسان وفى الحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على مايقول المفسرون . ولارتفاع قدره وعظم شانه قال النمر ابن تولب :

لُقَيْمُ بنُ لُقمانَ مِنْ أُختِهِ فكانَ ابنَ أُختٍ لهُ وابْنَما

لَيالىَ مُحمِقٍ فاستحْصَنتْ عليهِ فغرَّ بها مُظْلِما

فغَرَّبها رَجلٌ مُحكَمٌ فجاءَتْ بهِ رَجلاً مُحْكَما

وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان انى امرأة محمقة ولقمان رجل منجب محكم ، وأنا فى ليلة طهرى ، فهبى لى ليلتك ، ففعلت . فباتت فى بيت امرأة لقمان ،

١ التى يتدافعها الحى فلا يضيفونها اذا استضافت ولا يعطونها اذا استجدت

فوقـع عليها ، فاحبلها بلقـيم . فلذلك قال النمر بن تولب ماقال . والمرأة اذا ولدت الحمقى فهى محمقـة ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياسا [١]

وقالت امرأة ذات بنات :

وماأُبالِى أنْ أكونَ مُحمِقَهْ    اذا رأيتُ خُصيةً مُعلَّقَهْ

وقال الآخر :

أزرَى بسعيك أنْ كنتَ امرءاً حَمِقاً    مِن نَسلِ ضاويةِ الاعراقِ مِحماقِ

ضاوية الاعراق أى ضعيفة الاعراق نحيفتها ، يقال رجل ضاو وفيـه ضاوية اذا كان نحيفا قليل الجسم ، وجاء فى الحديث « اغتربوا لاتضووا » أى لايتزوج الرجل القرابة القريبـة فيجىء ولده ضاويا [٢] والفعل منـه ضوى يضوى ضوًى . والاعراق الاصول . والمحماق التى عادتها أن تلد الحمقى . ولبعضـهم فى البنات قالت احدى القوابل :

أياسَحابُ طَرِّقي بخَيرِ    وطَرِّقى بخُصيةٍ وأيْرِ
ولاتُرينا طَرَفَ البُظيرِ [٣]

وقال آخر فى انجاب الامهات وهو يخاطب بنى اخوته :

عَفاريتاً علىَّ وأكلِ مالى    وحلماً عن أُناسٍ آخرينا
فهـلا غـيرَ عمكُمُ ظلَمتمْ    اِذا ما كُنتمُ مُتظلِّمينا [٤]
فلو كنتم لِكَيِّسةٍ أكاستْ    وكَيسُ الاُمِّ أكيسُ للبَنينا
وكانَ لَنا فَزارةُ عمَّ سوءٍ    وكُنت له كَشرِّ بَنى الأخينا

ولبعض البنات هجر أبو حمزة الضبى خيمة امرأته ، وكان يقيـل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتا ، فمر يوما بخبائها واذا هى ترقصها وتقول :

مالأبى حَمزَةَ لايأتِينا    يَظَلُّ في البَيتِ الذي يَلينا

---

١ جمع كيس « بتشديد الياء المكسورة » وهو ضد الأحمق ٢ هـذه الحقيقة مبرهن على صحتها فى العلم الطبيعى . وأورد ابن الاثير فى النهاية غير هذا قوله صلى الله عليه وسلم « لاتنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا » ٣ تصغير بظر وهو لحمة بين شفرى المرأة تقطع فى الختان ٤ تظلم فلانا حقه : ظلمه اياه

غَضبانَ أنْ لانَلِدَ البَنِينا  تاللهِ ما ذَلكَ فى أيدينا
وإنّما نأخُذُ ما أُعطِينا  ونحنُ كالارضِ لزارِعِينا
نُنبتُ ماقدْ زرعُوه فِينا

قال فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها . وهذا الباب يقع فى كتاب الانسان من (كتاب الحيوان) وفى فضل مابين الذكر والانثى تاما . وليس هذا الباب مما يدخل فى باب البيان والتبيين . ولكن قد يجرى السبب فيجرى معه بقدر مايكون تنشيطا لقارئ الكتاب . لان خروجه من الباب اذا طال لبعض العلم كان ذلك أروح على قلبه وأزيد فى نشاطه ان شاء الله

وقد قال الاول فى تعظيم شأن لقيم بن لقمان :

قُومِى اصْبَحِينِى فَما صِيغَ الفَتَى حَجَراً  لَكِنْ رَهِينَةَ أَحْجارٍ وأَرْماسِ

اصبحينى : الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب العشى . الرمس القبر يقال رمست الميت أرمسُه وأرمُسُه اذا دفنته

قُومى اصْبَحِينى فانّ الدّهرَ ذُو غِيَرٍ  أفنَى لُقَيماً وأَفنَى آلَ مِرْماسِ
اليَوْمَ خَمرٌ ويَبْدُو فى غَدٍ خَبرٌ  والدّهرُ مِنْ بَيْنِ انعامٍ وإِيآسِ
فاشْرَبْ عَلى حَدَثانِ الدّهرِ مُرْتَفِقاً  لايَصحَبُ الهمّ قَرْعُ السّنِّ بالكاسِ

وقال أبو الطمحان القينى فى ذكر لقمان :

إنّ الزّمانَ ولاتَفنَى عَجائبُهُ  فِيهِ تقطّعُ الأُلاّفِ وأقْرانِ
أَمستْ بَنوالقَيْنِ أفراقاً مُوَزّعَةً  كأنّهُمْ مِنْ بَقايا حَيِّ لُقْمانِ

وقد ذكرت العرب هذه الامم البائدة والقرون السالفة . ولبعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون . مثل جرهم وجاسم ووبار وعملاق وأميم وطسم وجديس ولقمان والهس ماس وبنى الناصور وقيل [١] ابن عتر وذى جدن . ويقال فى بنى الناصور أن أصلهم من الروم

١ كذا فى نسخة الشنقيطى

فاما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال « وثمود فما أبقى » وقال « فهل ترى لهم من باقية » . أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن ويزعم أن فى قبائل العرب من بقايا ثمود . وكان أبو عبيدة يتأوّل قوله « وثمود فما أبقى » أن ذلك انما وقع على الاكثر وعلى الجمهور الاكبر . وهذا التاويل أخرجه من أبى عبيدة سوء الرأى فى القوم وليس له أن يجىء الى خبر عام مرسله غير مقيد وخبر مطلق غير مستثنى منه فيجعله خاصا كالمستثنى منه . وأى شىء بقى لطاعن أو متأوّل بعد قوله « فهل ترى لهم من باقية » فكيف يقول ذلك اذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية . معاذالله من ذلك . ورووا أن الحجاج قال يوما على المنبر « يزعمون أنا من بقايا ثمود وقد قال الله تبارك وتعالى : وثمود فما أبقى »

فاما الامم البائدة من العجم مثل كنعان ويونان وأشباه ذلك فكثير ولكن العجم ليست لها عناية بحفظ شان الاموات ولا الاحياء

وقال المسيب بن علس فى ذكر لقمان :

وإلَيْكَ أعْمَلْتُ المَطِيَّةَ مِنْ ... سَهْلِ العِراقِ وأنْتَ بالقَفْرِ
أنتَ الرَّئيسُ إذا هُمُ نَزَلوا ... وتَوَجَّهوا كالأُسْدِ والنُّمْرِ
لوْ كُنْتَ منْ شَيءٍ سِوَى بَشَرٍ ... كُنْتَ المنَوِّرَ ليلَةَ القَدْرِ
ولأَنتَ أجْوَدُ بالعَطاءِ منَ الـ ... ـرَّبابِ[1] لما جادَ بالقَطْرِ
ولأَنتَ أشجَعُ منْ أُسامَةَ[2] إذْ ... نَقَعَ[3] الصُّراخُ ولَجَّ فى الذُّعْرِ[4]
ولأنتَ أبْيَنُ حينَ تَنْطِقُ منْ ... لُقْمانَ لَمَّا عَيَّ بالامْرِ

وقال لبيد بن ربيعة الجعفرى :

وأَخْلَفُ قُسًّا لَيْتَنِي ولَوَ انَّنِي ... وأُعْيِي على لُقْمانَ حُكْمَ التَّدَبُّرِ
فانْ تَسْأَلِينا كيفَ نحنُ فانَّنا ... عَصافيرُ منْ هذا الأنامِ المُسَحَّرِ

السحر الرئة . والمسحر المعلل بالطعام والشراب . والمسحر المخدوع كما قال امرؤ القيس :

---

١ السحاب الأبيض ٢ الاسد ٣ رفع صوته ٤ تمادى فى التخويف

أرانا مُوضِعِينَ لأمرِ غَيبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ

أي نعلل فكانا نخدع ونسحر بالطعام و بالشراب . وقال الفرزدق :

لَئِنْ حَوَمتِي صانَتْ مَعَدٌّ حِياضَها لقَدْ كانَ لقمانُ بنُ عادٍ يَهابُها

وقال آخر :

اذا ماماتَ مَيْتٌ مِنْ تَميمٍ فَسَرَّكَ أنْ يَعيشَ فَجِئْ بِزادِ

بِخُبزٍ أو بلَحْمٍ أو بِتَمْرٍ أو الشَّيْءِ المُلَفَّفِ فى البِجادِ (١)

تَراهُ يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً لِيأْ كُلَ رأْسَ لقمانِ بنِ عادِ

وقال أفنون التغلبي :

لوانَّنى كنتُ من عادٍ ومن ارَمٍ رَبيبَ قَيلٍ ولقمانٍ وذى جَدَنِ (٢)

وقال آخر :

مالَذَّةُ العَيْشِ والفَتى للدَّهرِ والدَّهرُ ذُوفُنُونْ

أَهلَكَ طَسْماً وقَبلَ طَسْمٍ أهلَكَ عاداً وذا جُدُونْ

وأهْلُ جاسِمٍ ومأْرِبٍ بَنو حَيٍّ لقمانَ والتَقُونْ

واليُسْرُ لِلعُسْرِ والتَّغَنّى للفقرِ والحَىُّ لِلْمَنُونْ

قال وهم وان كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغة والتخلص والرشاقة فانهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار، لما فى ذلك من التزيد والمباهاة واتباع الهوى والمنافسة فى العلو والقدر . وكانوا يكرهون الفضول فى البلاغة لان ذلك يدعو الى السلاطة ، والسلاطة تدعو الى البذاء ، وكل مراء فى الارض فانما هو من نتاج الفضول . ومن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم أشفق من الضراوة ٣ وسوء العادة ، وخاف ثمرة العجب وهجنة القبح . وما فى حب السمعة من الفتنة وما فى الرياء من مجانبة الاخلاص

ولقد دعا عبادة بن الصامت بالطعام بكلام ظن أنه ترك فيه المحاسبة ، فقال أوس

١ كساء مخطط من أكسية الاعراب يشتملون به ٢ سبق فى ص ٦ من هذا الجزء ٣ ضرى بالشيء ضراوة : لهج به

ابن شـداد انه قد ترك فيه المحاسـبة ، فاسترجع ثم قال : ماتكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم الا مزمومة ١ مخطومة . قال ورووا عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابراهيم قال «انما يهلك الناس فى فضول الكلام وفضول المـال» وقال «دع المعاذر فان أكثرها مفاجر» وانما صارت المعاذر كذلك لانها داعيـة الى التخلص بكل شىء . وقال سـلام بن مطيع قال قال لى أيوب : اياك وحفظ الحديث . خوفا عليه من العجب . وقال ابراهيم النخعى : دع الاعتـذار فانه يخالط الكذب . قالوا ونظر شاب وهو فى دار ابن سيرين الى فرش فى داره فقال : مابال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الاخرى ، فقال ابن سـيرين : ياابن أخى ان فضول النظر يدعو الى فضول القول . وزعم ابراهيم بن السـندى قال أخـبرنى من سـمع عيسى بن على يقول فضول النظر من فضول الخواطر وفضول النظر يدعو الى فضول القول وفضول القول يدعو الى فضول العمل ، ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه خرج من استكراه القول ، وان أبطأ أخرجه ابطاؤه الى أقبح من الفضول . قال أبو عمرو بن العلاء أنكح ضرار بن عمرو الضبى ابنته معبدا ابن زرارة فلما أخرجها اليـه قال لها : يابنية أمسكى عليك الفضلين . قالت : وما الفضلان . قال : فضل الغلمة ٢ وفضـل الكلام . وضرار بن عمرو هو الذى قال : من سرّه بنوه ساءته نفسـه . وهو الذى لما قال له المنـذر : كيف تخلصت يوم كذا وكذا وما الذى نجاك . قال : تاخير الاجل واكراهى نفسى على المق الطوال

المقاء المرأة الطويلة والمق جماعة النساء الطوال والمق أيضا الخيـل الطوال

وكان اخوته قد استشالوه حتى ركب فرسـه ورفع عقـيرته بعكاظ فقال : ألا ان خير حائل ٣ أم ، ألا فزوجوا الامهات . وذلك أنه صرع بين القنا فاشتمل عليه اخوته لامـه ٤ حتى أنقذوه

---

١ لها زمام تنقاد به ٢ الانقياد للشهوة ٣ الحائل : كل انثى لاتحمل ٤ خ : وأمه

# باب الصمت

قال وكان أعرابى يجالس الشعبى يطيل الصمت فسئل عن طول صمته فقال «أسمع فأعلم وأسكت فأسلم» وقالوا «لوكان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب» وقالوا «مقتل المرء بين لحييه وفكيه» وأخذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه بطرف لسانه وقال «هذا الذى أوردنى الموارد» وقالوا «ليس شىء أحق بطول سجن من لسان» وقالوا «اللسان سبع عقور» وقال النبى صلى الله عليه وسلم «وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم» وقال ابن الاعرابى عن بعض أشياخه : تكلم رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فخطل فى كلامه فقال النبى صلى الله عليه وسلم «ماأعطى العبد شرا من طلاقة اللسان» وقال العايشى وخالد بن حداش حدثنا مهدى بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال قدمنا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد فقلنا : يارسول الله أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء . فقال النبى صلى الله عليه وسلم «أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان فانما أنا عبد الله ورسوله [1]» قال وقال خالد بن عبد الله القسرى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله من كانت الخلافة زانته فقد زينتها ومن شرفته فقد شرفتها فانت كما قال الشاعر :

وتَزيدِينَ أَطيبَ الطيبِ طِيبا ... ان تَمسِّيه أين مثلُك أينا

واذا الدرُّ زان حُسْنَ وُجُوه ... كان للدر حُسنُ وجهك زينا

قال عمر «ان صاحبكم أعطى مقولا ولم يعط معقولا [2]» وقال الشاعر :

لِسانُك مَعْسُولٌ ونفسك شحّةٌ ... ودُون الثريّا مِنْ صَدِيقِك مالكا

وأخبرنا باسناد له أن ناسا قالوا لابن عمر : أدع الله لنا بدعوات . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا . فقالوا لو زدتنا ياأبا عبد الرحمن . قال : نعوذ بالله من الاسهاب . [3]

---

[1] رواه ابن الاثير فى النهاية «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» أى قولوا بقول أهل دينكم وملتكم . أى ادعونى رسولا ونبيا . يعنى الاقتصار فى الكلام [2] راجع ص ٩٣ و ١٧٥ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة فى القاهرة [3] سبق فى ص ٥٤ من هذا الجزء

وقال أبو الاسود الدؤلى فى ذكر الاسهاب — يقولها فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة ، والحارث هو القباع وكان خطيبا من وجوه قريش و رجالهم ، وانما سمى القباع لانه أتى بمكتل [1] لاهل المدينة فقال ان هذا المكتل لقباع فسمى به ، والقباع الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق لجرير :

وَقَبلَكَ ما أَعْيَيْتُ كاسِرَ عَيْنِهِ ... زِياداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ حَبائِلُهْ
فأَقْسَمْتُ لا آتيهِ تِسْعِينَ حِجَّةً ... ولو كُسِرَتْ عُنْقُ القُباعِ وكاهِلُهْ

وقال أبو الاسود :

أَميرَ المؤمنِينَ جُزِيتَ خَيْراً ... أَرِحْنا مِنْ قُباعِ بَنِى المُغيرَهْ
بَلَوْناهُ فلُمْناهُ فأَعْيا ... عَلَيْنا مايُمِرُّ لَناهَرِيرَهْ (٢)
عَلَى أَنَّ الفَتَى نِكَحٌ أَكُولٌ ... ومِسْهابٌ مَذاهِبُه كَثِيرَهْ

وقال الشاعر :

إِيّاكَ إِيّاكَ المِراءَ (٣) فإِنَّهُ ... إِلى الشَّرِّ دَعّاءٌ ولِلصَّرْمِ جالِبُ

وقال أبو العتاهية :

والصَّمْتُ أَجْمَلُ بالفَتَى ... مِنْ مَنْطِقٍ فى غَيْرِ حِينِهْ
كُلُّ امْرِئٍ فى نَفْسِهِ ... أَعْلَى وأَشْرَفُ مِنْ قَرِينِهْ

وكان سهل بن هرون يقول « سياسة البلاغة أشد من البلاغة ، كما أن التوقى على الدواء أشد من الدواء » وكانوا يامرون بالتبين والتثبت و بالتحرز من زال الكلام ومن زال الرأى ومن الرأى الدبرى . والرأى الدبرى هو الذى يعرض من الصواب بعد مضى الرأى الاول وفوت استدراكه . وكانوا يامرون بالتحلم والتعلم و بالتقدم فى ذلك أشد التقدم . وقال الاحنف قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « تفقهوا قبل أن تسودوا » وكان يقول رضى الله عنه « السؤدد مع السواد » وأنشدوا لكثير عزة :

---

١ زنبيل يسع خمسة عشر صاعا ٢ بلوناه : اختبرناه . وأعيا الامر على فلان : أعجزه . وأمر الشئ جعله مراً . والهر « بفتح الهاء » والهرير : الكره وسوء الخلق ٣ الجدال والنزاع والطعن والتزييف للقول ، ولا يكون المراء الا اعتراضا بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضا

وفى الحِلمِ والاسلامِ للمرءِ وازِعٌ ... وفي تركِ طاعاتِ الفؤادِ المُتيَّمِ
بَصائرُ رُشْدٍ للفتى مُستبِينةٌ ... وأخلاقُ صِدقٍ عِلمُها بالتعلّمِ

الوازع الناهى ، والوزعة جمع وازع وهم الناهون الكافون . وقال الافوه الاودى :

أضحتْ قرينةُ قد تغيَّرَ بِشْرُها ... وتجهَّمتْ (١) بتحيةِ القومِ العِدا
ألوتْ باصبَعِها وقالتْ إنَّما ... يكفيكَ مِمَّا لا ترَى ما قد تَرَى

وأنشد :

إبدأْ بنفسِكَ فانهَها عنْ غيّها ... فاذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ
فهُناكَ تُعذَرُ إنْ وعظتَ ويُقتدَى ... بالقولِ منكَ ويُقبَلُ التعليمُ

قالوا : وكان الاحنف أشد الناس سلطانا على نفسه . قالوا : وكان الحسن أترك لما نهى عنه . وقال الآخر :

لا تَعذِراني في الإساءةِ إنّهُ ... شرُّ الرجالِ مَنْ يُسيءُ فيعذرُ

وقال الكميت بن زيد الاسدى :

ولمْ يقلْ بعدَ زلّةٍ لهمُ ... عِندَ المعاذيرِ إنّما حسِبوا

وأنشد الاخوص بن محمد :

قامتْ تُخاصِرُني بقنّتِها ... خَوْدٌ تأطّرُ غادةٌ بِكرُ

تخاصرنى آخذ بيدها وتاخذ بيدى . والقنة المواضع الغليظة من الارض فى صلابة . الخود الحسنة الخلق . تأطر تتثنى . والغادة الناعمة اللينة

كلٌّ يرى أنَّ الشبابَ لهُ ... في كلِّ مبلغِ لذّةٍ عُذرُ

وقال جرير فى فوت الرأى :

ولا يتّقونَ الشرَّ حتّى يُصيبَهمْ ... ولا يعرِفونَ الأمرَ إلّا تدبُّرا

قال ومدح النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال :

ولا يحسبُونَ الخيرَ لا شرَّ بعدهُ ... ولا يحسبونَ الشرَّ ضربةَ لازبِ

---

١ استقبلتني بوجه كريه

اللازب واللازم واحد ، واللازب فى مكان آخر اليابس قال الله عز وجل من طين لازب . واللزبات السنون الجدبة . وأنشد :

هَفَا هفوةً كانتْ مِنَ المرءِ بِدْعَةً ... وما مِثْلُه عَنْ مِثْلِها بِسَلِيم

فانْ يكُ أخطأ في أخيكُمْ فَرُبَّمَا ... أصابَ التى فيها صَلاحُ تَمِيم

قال وقال قائل عنـد يزيد بن عمر بن هبيرة : والله ماأتى الحارث بن شريح بيوم خير قط . قال فقال له الترجمان بن هريم : الا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر . وذهب الترجمـان بن هريم الى مثل معنى قول الشاعر :

وما خُلِقَتْ بَنُو زِمانَ الاّ ... أخيراً بَعدَ خلقِ النّاسِ طُرّا

وما فَعَلَتْ بَنُو زِمّانَ خيراً ... ولا فعلَتْ بَنُو زِمّانَ شرّا

ومن هذا الجنس من الاحاديث ـ وهو يدخل فى باب الملح ـ قال الاصمعى : وصلت بالعلم ونلت بالملح . قال رجل مرة : أبى الذى قاد الجيوش وفتح الفتوح وخرج على الملوك واغتصب المنابر . فقال له رجل من القوم : لاجرم لقد أسر وقتل وصلب . قال فقال له المفتخر بابيـه : دعنى من أسر أبى وقتله وصلبه ، أبوك أنت حدث نفسه بشيء من هذا قط

قـد سمعنا رواية القوم واحتجاجهـم ، وأنا أوصيك أن لاتدع التماس البيان والتبيين ان ظننت أن لك فيهما طبيعة وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك فى بعض المشاكلة . ولا تهمل طبيعتك فيستولى الاهمال على قوة القريحة ويستبد بها سوء العادة . وان كنت ذا بيان وأحسست من نفسـك بالنفوذ فى الخطابة والبلاغة وبقوة المنة يوم الحفـل فلا تقصر فى التماس أعلاها سورة وأرفعها فى البيان منزلة . ولا يقطعنك تهييب الجهلاء وتخويف الجبناء . ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها والاحاديث المتناولة على أقبح مخارجها

وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعـدولة والاخبار المدخولة وبهـذا الرأى الذى ابتدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبى صـلوات الله عليـه فقال «واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب ـ الى قوله ـ وفصل الخطاب» فجمع له بالحكمة البراعة فى العـقل والرجاحة فى الحلم والاتساع فى العـلم والصواب فى الحكم . وجمع له بفصـل الخطاب تفصـيل الجمل وتلخيص الملتبس والبصر بالحزّ فى

موضع الحز والحسم فى موضع الحسم ١ . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيبا النبى عليه السلام فقال « كان شعيب خطيب الانبياء » وذلك عند بعض ماحكاه الله عنه فى كتابه وحلاه لاسماع عباده . فكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلام سلفك وشعيب امامك ، مع ماتلونا عليك فى صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم والآى الكريم . وهذه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدوّنة محفوظة ومخلدة مشهورة . وهذه خطب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بامره . وكان ثابت بن قيس بن الشماس الانصارى خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدفع ذلك أحد

فاما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف والخطل والتزيد فانما يخرج الى الاسهاب المتكلف والى الخطل المتزيد . فاما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعاودون وأصحاب التحصيل والمحاسبة والتوقى والشفقة والذين يتكلمون فى صلاح ذات البين وفى اطفاء نائرة أو فى حمالة ٢ أو على منبر جماعة أو فى عقد إملاك ٣ بين مسلم ومسلمة ، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو الى السلاطة والمراء والى الهذر والبذاء والى النفج ٤ والرياء ، ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم . فلم خطب صعصعة ابن صوحان عند على بن أبى طالب . وقد كان ينبغى للحسن البصرى أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم . قال الاصمعى قيل لسعيد بن المسيب : هاهنا قوم نساك يعيبون انشاد الشعر . قال « نسكوا نسكا أعجميا » . وزعمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شعبتان من شعب النفاق البذاء والبيان وشعبتان من شعب الايمان الحياء والعى . ونحن نعوذ بالله من العى ، ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العى ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البذاء والبيان . وانما وقع النهى على كل شىء جاوز المقدار ووقع اسم العى على كل شىء قصر على المقدار ، فالعى مذموم والخطل مذموم ، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالى . وهاهنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة . ورووا أن رجلا مدح الحياء عند الاحنف وأن الاحنف قال : بم ٥ يعود ذلك ضعفا والخير لايكون سببا للشر . ولكنا نقول : ان الحياء اسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك

١ الحز : القطع . والحسم : القطع باستئصال ٢ النائرة : الفتنة . والحمالة : الدية أو الغرامة يحملها قوم عن قوم لدفع شر بين جماعتين ٣ نكاح ٤ المنافجة : المكافحة ٥ خ : بما

المقدار فسمه ما أحببت . وكذلك الجود اسم لمقدار من المقادير فالسرف اسم لما فضل عن ذلك المقدار . وللحزم مقدار فالجبن اسم لما فضل عن ذلك المقدار . وللاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار . وللشجاعة مقدار فالتهور والخور اسم لما جاوز ذلك المقدار . وهذه الاحاديث ليست، لعامتها أسانيد متصلة ، فان وجدتها متصلة لم تجدها محمودة ، وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذموم ، فاذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن

فان أردت أن تتكلف هذه الصّناعة وتُنسب الى هذا الادب فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة أو ألفت رسالة فاياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن اعرضه على العلماء فى عَرض رسائل أو أشعار أو خطب فان رأيت الاسماع تصغى له والعيون تحدج اليه ورأيت من يطلبه و يستحسنه فانتحله ، فان كان ذلك فى ابتداء أمرك وفى أول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مستحسنا فلعله أن يكون — ما دام رَيّضا قضيبا — تعنيسا [1] أن يحل عندهم محل المتروك . فان عاودت أمثال ذلك مراراً فوجَدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية تخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه . وقال الشاعر :

إنَّ الحَدِيثَ تَغُرُّ القَومَ خَلْوَتُهُ ... حتَّى يَلِجَّ بِهِمْ عِيٌّ وإِكْثارُ

وفى المثل المضروب « كل مجر فى الخلا مسر [2] » ولم يقولوا مسرور . وكل صواب

فلا تثق فى كلامك برأى نفسك فانى ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى اذا صار الى رأيه فى شعره وفى كلامه وفى ابنه رأيته متهافتاً وفوق المتهافت

وكان زهير بن سلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده (الحوليات) . وقال نوح بن جرير قال الحطيئة « خير الشعر الحولى المنقح » قال وقال البعيث الشاعر وكان أخطب الناس « انى والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائت [3] المحكك » . وكنت أظن أن قولهم محكك كلمة مولدة حتى سمعت قول الصعب بن على الكنانى :

١ أمر ريض : لم يحكم تدبيره . والقضيب : الغصن المقطوع . والتعنيس حبس البنت عن التزوج
٢ خ : يسر ٣ خ : بالثابت

أبلغ فزارةَ أنّ الذئبَ آكلها ... وجائعٌ سغبٌ شرٌّ من الذيبِ

أدلُّ[١] اطلسُ ذُو نفسٍ مُحكّكةٍ ... قد كان طارَ زماناً في اليعاسيبِ[٢]

قال وتكلم يزيد بن أبان الرقاشي ثم تكلم الحسن وأعرابيان حاضران . فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين . قال : أما الاول فقاصّ مجيد وأما الآخر فعربيّ محكك . قال ونظر أعرابي الى الحسن فقال له رجل : كيف تراه . قال : أرى خيشوم حر . قال وأرادوا عبد الله بن وهب الراسي على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة . فقال : وما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب . ولما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى يغبّ فان غبو به يكشف لكم عن محضة . وقيل لابن التوأم الرقاشي : تكلم . فقال : ما أشتهى الخبز الا بائتا . وقال قال عبيد الله بن سالم لرؤبة : مت يا أبا الجحاف اذا شئت . قال : وكيف ذلك . قال : رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعرا له أعجبني . قال فقال رؤبة : نعم إنه ليقول ولكن ليس لشعره قِران . وقال الشاعر :

مهاذبةٌ مناجبة قِران ... مَنادبة كأنهم الاسودُ[٣]

يريد بقوله قران التشابه والموافقة

وقال عمر بن لجاء لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : وبم ذاك . قال : لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه . قال وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدى فقال : مِطرَفٌ بآلاف وخمار بواف[٤] . وكان الاصمعى يفضّله من أجل ذلك . وكان يقول : الحطيئة عبد لشعره ، عاب شعره حين وجده كله متخيراً منتخبا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . وقالوا : لو كان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربرى[٥] كان مفرقا فى أشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار أرفع مما هى عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ولكن القصيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك النظام

---

١ أدل الذئب : جرب وطوى ٢ اليعسوب : أمير النحل وذكرها . وضرب من الحملان . وطائر أصغر من الجرادة أوأعظم لايضم جناحه اذاوقع تشبه به الخيل فى الضمر ٣ سبق هذا فى ص ٣٨ من هذا الجزء ٤ المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . والخمار : النصيف وهو ماتغطى به المرأة رأسها . والواف : درهم وأربعة دوانق ٥ لسابق البربري فى ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة فى مصر قصيدة جيدة فى نحو خمسين بيتا . وله فى الصفحة التى تليها أبيات أخرى

عنده موقع . قال وقال بعض الشعراء لرجل : أنا أقول فى كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها فى كل شهر فلم ذلك . قال : لانى لاأقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك . قالوا : وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعرا وقال له : كيف تراه . قال له : يا بنى ان أباك ليعرض له مثل هذا يمينا وشمالا فما يلتفت اليه . وقد رووا ذلك فى زهير وابنه كعب

قال وقيل لعقيل بن علفة : لم لاتطيل الهجاء . قال : يكفيك من القلادة ماأحاط بالعنق [1] . وقيل لابى المهوس : لم لاتطيل الهجاء . قال : لم أجد المثل النادر الا بيتا واحدا ولم أجد الشعر السائر الا بيتا واحدا . قال وقال مسلمة بن عبد الملك لنصيب: ياأبا الحجناء أما تحسن الهجاء . قال : أما ترانى أحسن مكان عافاك الله لاعافاك الله . ولاموا الكميت بن زيد على الاطالة فقال : أنا على القصار أقدر . وقيل للعجاج : مالك لاتحسن الهجاء . قال : هل فى الارض صانع الا وهو على الافساد أقدر . وقال رؤبة : الهدم أسرع من البناء

وهذه الحجج التى ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج ورؤبة انما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام . ويكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة . ويكون له طبيعة فى الحداء أو فى التعبير أو فى القراءة بالالحان وليس له طبيعة فى الغناء ، وان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحون . ويكون له طبيعة فى الناى وليس له طبيعة فى السرناى . ويكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين . ويكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبع فى غيرها . ويكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر . ومثل هذا كثير جدا

وكان عبد الحميد الاكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لايستطيعان من الشعر الا مالا يذكر مثله وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال : الذى أرضاه لايجيئنى [2] والذى يجيئنى لاأرضاه . وهذا الفرزدق وكان مشتهرا بالنساء وكان زير غوان [3] وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب مذكور ، ومع حسده لجرير – وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط – وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً . وفى الشعراء من لايستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز . ومنهم من لايستطيع مجاوزة الرجز الى القصيد

---

١ سيجىء هذا فى أوائل الجزء الثانى ٢ لايجيئنى ٣ زير غوان وزير نساء : الرجل الذى يحب محادثة النساء لغير شر

ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجاء وأبي النجم وحميد الارقط والعماني . وليس الفرزدق في طواله باشعر منه في قصاره . وفي الشعراء من يخطب . وفيهم من لايستطيع الخطابة . وكذلك حال الخطباء في قرض الشعر . وشاعرٌ نفسه قد تختلف حالاته . وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت عليّ ساعة ونزع ضرسي أهون عليّ من أن أقول بيتا واحدا . وقال العجاج : لقد قلت أرجوزتي التي أولها :

بَكَيْتُ والمُحْتَزَنُ البَكِيُّ　　وإنَّما يأْتِي الصِّبا الصَّبِيُّ
أَطَرَبًا وأَنْتَ قَنَّسْرِيُّ (١)　　والدَّهْرُ بالانسانِ دَوَّارِيُّ (٢)

وأنا بالرمل فانثالت عليّ قوافيها انثيالا . واني لا ُريد اليوم دونها في الايام الكثيرة فما أقدر عليه . وقال لي أبو يعقوب الخزيمي : خرجت من منزلي أريد الشماسية فابتدأت القول في مرثية لابي التختاخ فرجعت والله وما أمكنني بيت واحد . وقال الشاعر :

قَدْ يَقْرِضُ الشِّعْرَ البَكِيءُ (٣) لِسانُهُ　　وتُعْيِي القَوافِي المرءَ وهو خَطِيبُ

⁂

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز ﴾

« من ملتقطات كلام النساك »

قال بعض الناس : من التوقي ترك الافراط في التوقي . وقال بعضهم : اذا لم يكن ماتريد فأرد مايكون . وقال الشاعر :

قَدَرُ اللهِ وارِدٌ　　حِينَ يُقْضَى وُرُودُهْ
فَأَرِدْ مايَكُونُ إِنْ　　لَمْ يَكُنْ ماتُرِيدُهُ

وقيل لاعرابي في شِكاته : كيف تجدك . قال أجد مالا أشتهي وأشتهي مالا أجد وأنا في زمان من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد . وقال بعض النساك : أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو . وقال بعضهم : أعجب من العجب ترك التعجب من العجب .

---

١ كبير مسن ٢ دائر به ٣ راجع ص ٦٣ من هذا الجزء

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بنى مخزوم [١] : انى أخاف الله فيما تقلدت . قال: لست أخاف عليك أن تخاف وانما أخاف عليك أن لا تخاف . وقال الاحنف لمعاوية : أخافك ان صدقتك وأخاف الله ان كذبتك . وقال قال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود [٢] بنفسه : أما ذنوبى فانى أرجو لها مغفرة الله ولكنى أخاف على بناتى الضيعة . فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه يحفظ بناتك . وقال رجل من النساك لصاحب له : مالى أراك حزينا . قال : كان عندى يتيم أربيه لأوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره اذ بطل قيامنا بمؤنته . فقال له صاحبه: فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الاول . قال : أخاف أن لا أصيب يتيما فى سوء خلقه . قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت فى موضعك منه لا ذكرت سوء خلقه . وقال آخر — وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول : مايمنعنى من تعلم القرآن الا أنى أخاف أن أضيعه — قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذا تعلمته لم تضيعه . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيد قومك . قال : أنا . قال : لو كنت كذلك لم تقل [٣]

*( باب آخر )*

وقالوا فى حسن البيان وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل وفى تخليص الحق من الباطل وفى الاقرار بالحق وفى ترك الفخر بالباطل . قال أعرابى وذكر حماس بن ثامل :

بَرِئْتُ الى الرَّحمٰنِ من كُلِّ صاحِبٍ ... أُصاحِبُهُ إلاّ حِماسَ بنَ ثامِلِ

وظَنِّي بهِ بَيْنَ السِّماطَيْنِ [٤] أنَّهُ ... سَيَنْجُو بِحَقٍّ أوْ سَيَنْجُو بِباطِلِ

وقال العجير السلولى :

وانّ ابنَ زَيْدٍ لابنُ عمّي [٥] وانَّهُ ... لَبَلاّلُ أيدِي جِلّةِ الشولِ بالدَّمِ

الشول جمع شائلة وهى الناقة التى جف لبنها ، واذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهى شائل وجمعها شول

طَلُوعُ الثَّنايا بالمَطايا وانَّهُ ... غَداةَ المَرادِي لَلْخَطِيبُ المُقَدَّمُ

---

١ هو سالم مولى محمد بن كعب . راجع ص ١٤٠ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة فى القاهرة
٢ خ : يكيد ٣ فى ص ٢٤١ من سيرة عمر بن عبد العزيز ٤ أى عند ما يخطب بين الصفين
٥ خ : ابن أعمى

المرادى المصادع والمقارع ، يقال رديت الحجر بصخرة أو بمعول اذا ضربته بها لتكسره ، والمرداة الصخره التى تكسر بها الحجارة

يَسُرُّكَ مَظْلُوماً ويُرْضِيكَ ظالِماً ... ويَكْفِيكَ ماحُمِّلْتَهُ حِينَ تَغْرَمُ

وقال ابن رُبْع الهذلى :

أعَيْنِيَ ألا فابْكِي رُقَيْبَةَ انَّهُ ... وَصُولٌ لِأَرْحامٍ ومِعطاءُ سائِلِ

فأُقْسِمُ لَوْأدْرَكْتُهُ لَحَمَيْتَهُ ... وإنْ كانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقائِلِ

وقال بعض اليهود وهو الربيع بن أبى الحقيق من بنى النضير ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فقتلوه :

سائِلْ بِنا خابِرَ أكْفائِنا ... والعِلْمُ قَدْ يُلْقَى لَدَى السَّائِلِ

انّا إذا مالَتْ دَواعِى الْهَوَى ... وأنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقائِلِ

واصْطَرَعَ النَّاسُ بِألْبابِهِمْ ... نَقْضِى بِحُكْمٍ عادِلٍ فاصِلِ

لانَجْعَلُ الْباطِلَ حَقًّا ولا ... نَلُطُّ (١) دُونَ الْحَقِّ بِالْباطِلِ

نَكْرَهُ أنْ تَسْفَهَ أحلامُنا ... فَنَخْمُلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخامِلِ

وقال الآخر وذكر حماسا أيضا :

أتانِى حِماسٌ بِابْنِ ماهِى يَسُوقُهُ ... لِيُبْغِيَهُ خَيْراً ولَيْسَ بِفاعِلِ

لِيُعْطِيَ عَبْساً مالَنا وصُدُورُنا ... مِنَ الْغَيْظِ تَغْلِى مِثْلَ غَلْيِ الْمَراجِلِ

وقافِيَةٍ قِيلَتْ لَكُمْ لَمْ أُجِدْلَها ... جَواباً إذا لَمْ تَضْرِبُوا بِالْمَناصِلِ

فأَنْطِقَ فِي حَقٍّ بِحَقٍّ ولَمْ يَكُنْ ... لِيَرْحَضَ عَنْكُمْ قالَةَ الْخِزْيِ باطِلِي

ليرحض أى ليغسل ، والراحض الغاسل ، والمرحاض الموضع الذى يغسل فيه

وقال عمرو بن معد يكرب :

فَلَوْأنَّ قَوْمِى أَنْطَقَتْنِى رِماحُهُمْ ... نَطَقْتُ ولٰكِنَّ الرِّماحَ أجَرَّتِ

(١) نمنع من الحق

الجرار عود يعرض فى فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع ، فيقول : قومى لم يطعنوا بالرماح فاثنى عليهم ولكنهم فروا فامسكت كالجر الذى فى فمه جرار

وقال أبو عبيدة : صاح رؤبة فى بعض الحروب التى كانت بين تميم والازد « يامعشر بنى تميم أطلقوا من لسانى » قال أبصر رجلاً منهم قد طعن فارسا طعنة فصاح « لاعيا ولا شالا » والعرب تقول « عىّ أبأسُ من شلل » كأن العى فوق كل زمانة . وقالت الجهضمية :

أَلا هَلَكَ الحُلْوُ الحَلالُ الحُلاحِلُ    وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وحِلْمٌ ونائِلُ

وذُو خُطَبٍ يَوْماً اذا القَوْمُ أُفْحِمُوا    تُصيبُ مَرادِي قَوْلِهِ ما يُحاوِلُ

بَصِيرٌ بعَوْراتِ الكَلامِ اذا التَقَى    شَرِيجانِ بَيْنَ القَوْمِ حَقٌّ وباطِلُ

أَبِيٌّ لِما يَأْتِي الكَرِيمُ بِسَيْفِهِ    وانْ[1] أَسْلَمَتْهُ جُنْدُهُ والقَبائِلُ

ولَيْسَ بمعطاء الظُّلامَةِ عَنْ يَدٍ[2]    ولا دُونَ أعلى سَوْرَةِ المَجْدِ قابِلُ

الحلاحل السيد . شريجان جنسان . ويقال الناس شرجان وشريجان أى فرقتان ، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فاصبح الناس شرجين أى بعضهم صائما و بعضهم مفطرا

وأنشد أبو عبيدة فى الخطيب يطول كلامه ويكون ذكورا الاول خطبته وللذى بنى عليه أمره ، وان شغب شاغب فقطع عليه كلامه أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه الى تدبير آخر وصل الثانى من كلامه بالاول حتى لايكون أحد كلاميه أجود من الآخر فانشد :

فَإِنْ أَحدثُوا شَغْباً يُقَطِّعُ نَظْمَها    فَإِنَّكَ وَصّالٌ لِما قَطَعَ الشَّغْبُ

وَلَوْ كُنْتَ نَسّاجاً سَدَوْتَ خِطابَها    بِقَوْلٍ كَطَعْمِ الشَّهْدِ بِالبارِدِ العَذْبِ

وقال نصيب :

وَما بَذَلَتْ ابْتِذالَ الثَّوْبِ وِدَّكُمْ    وعائدٌ خَلَقاً ما كانَ يُبْتَذَلُ

وَعِلْمُكَ الشَّيءَ تَهْوَى أَنْ تُبَيِّنَهُ    أَشْفَى بِقَلْبِكَ مِنْ أَخْبارِ مَنْ تَسَلُ

---

١ خ : فان ٢ عن ذل ومهانة

وقال الآخر :

لَعَمْرُكَ ماوِدُّ اللِّسانِ بنافعٍ ... إذا لَمْ يكُنْ أصلُ المَوَدَّةِ فى الصَّدْرِ

وقال الآخر :

تَعَلَّمْ فلَيْسَ المَرْءُ يُولَدُ عالِماً ... وَلَيْسَ أخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جاهِلُ

وَإِنَّ كَبِيرَ القَوْمِ لاعِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إذا التَفَّتْ عَلَيْهِ المَحافِلُ

وقال الآخر :

فَتى مِثْلُ صَفْوِ الماءِ لَيْسَ بِباخِلٍ ... عَلَيْكَ وَلا مُهْدٍ مَلاماً لِباخِلِ

وَلا قائِلٍ عَوْراءَ تُؤْذِي رَفِيقَهُ ... وَلا رافِعٍ رَأْساً بِعَوْراءِ قائِلِ

ولا مُسْلِمٍ مَوْلًى لأمْرٍ يُصِيبُهُ ... ولا خالِطٍ حَقّاً مُصِيباً بِباطِلِ

ولا رافِعٍ أُحْدُوثَةَ السُّوءِ مُعْجَباً ... بِها بَيْنَ أيْدِي المَجْلِسِ المُتَقابِلِ

تَرَى أهْلَهُ فى نِعْمَةٍ وهْوَ شاحِبٌ ... طَوِي البَطْنِ مِخْماصُ الضُّحَى والأصائِلِ (١).

وقالت أخت يزيد بن الطثرية :

أرَى الأثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجاوِرِي (٢) ... قَرِيباً وقَدْ غالَتْ يَزِيدَ غَوائِلُهْ

فتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضائِلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وبَآدِلُهْ (٣)

فتًى لا يُرَى خَرْقُ القَمِيصِ بِخَصْرِهِ ... ولٰكِنَّما تُوهِي القَمِيصَ كَواهِلُهْ

إذا نَزَلَ الأضْيافُ كانَ عَذَوَّراً (٤) ... عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهْ

مَضَى فَوَرِثْناهُ دَرِيسَ مُفاضَةٍ (٥) ... وأبْيَضَ هِنْدِيّاً طَوِيلاً حَمائِلُهْ

يَسُرُّكَ مَظْلوماً ويُرْضِيكَ ظالِماً ... وَكُلُّ الَّذِى حَمَّلْتَهُ فَهْوَ حامِلُهْ

---

١ طوى البطن : ضامر البطن ٠ مخماص : جائع ٢ الاثل : شجر وهو نوع من الطرفاء ، واحدته أثلة وجمعه أثلات ٠ والعقيق : واد بظاهر المدينة ٣ لحم رهل : مضطرب ومسترخ ٠ واللبات : جمع لبة وهو المنحر ٠ والبآدل : جمع بأدلة وهى اللحمة بين الابط والثدى أو هى لحمة الثدى ٤ سيء الخلق.
٥ دريس : قديم ٠ مفاضة : الدرع الواسعة

أَخُو الجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجالُ وشَمَّرُوا ... وذُو باطِلٍ إِنْ شئتَ أَلْهاكَ باطِلُهْ

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع فى هذا الباب الى الشعر الذى فى أول الفصل

*( باب شعر وغير ذلك من الكلام ، مما يدخل فى باب الخطب )*

قال الشاعر :

عَجِبْتُ لأَقْوامٍ يَعِيبُونَ خُطْبَتِى ... وما مِنْهُمُ فى مَوْقِفٍ بِخَطِيبِ

وقال آخر :

إِنَّ الكَلامَ لَفِى (١) الفؤادِ وإِنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤادِ دَلِيلا

لاَ يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ قَوْلُهُ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ اللِّسانِ أَصِيلا

وأنشد لآخر :

أَبَرَّ (٢) فما يَزْدادُ إِلاَّ حَماقَةً ... ونَوْكًا (٣) وإِنْ كانَتْ كَثِيرًا مَخارِجُهْ

وقد يكون ردىء العقل جيد اللسان . وكان أبو العباس الاعمى يقول :

اذا وَصَفَ الاسلامَ أَحْسَنَ وَصْفَهُ ... بِفِيهِ ويَأْبَى قَلْبُهُ ويُهاجِرُهْ

يقول انه يتيه عن قوله و يأباه و يهجره ، و يقول الحق على منبره بلسانه وسائره كافر

وإِنْ قامَ قالَ الحَقَّ مادامَ قائِمًا ... تَقِىُّ اللِّسانِ كافِرٌ بَعْدُ سائِرُهْ

وقال قيس بن عاصم المنقرى يذكر مافى بنى منقر من الخطابة :

إِنِّي امْرُؤٌ لا يَعْتَرِى خُلُقِى ... دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولا أَفْنُ (٤)

من مِنْقَرٍ فى بَيْتِ مَكْرُمَةٍ ... والاَصلُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الغُصُنُ

خُطَباءُ حِينَ يَقُومُ قائِلُهُمْ ... بِيضُ الوُجُوهِ مَصاقِعٌ لُسُنُ

لا يَفْطُنُونَ لِعَيْبِ جارِهِمُ ... وَهُمُ لِحُسْنِ جِوارِهِمْ فُطُنُ

ومن هذا الباب وليس منه فى الجملة قول الآخر :

١ خ : من ٢ أبر : ركب البر أى سافر فيه ٣ حمقا ٤ ضعف العقل والرأى

أشارَتْ بطَرْفِ العَيْنِ خيفَةَ أهْلِها　　إشارَةَ مَذعُورٍ ولَمْ تَتَكَلَّمِ
فأيقَنتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدقالَ مَرحَباً　　وأهْلاً وسهْلاً بالحَبيبِ المُسَلِّمِ

وقال نصيب :

يَقولُ فيُحسِنُ القَولَ ابنُ لَيلَى　　ويَفعلُ فوقَ أحسَنِ مايَقولُ

وقال آخر :

ألا رُبَّ خَصْمٍ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتَهُ　　وانْ كانَ ألْوَى يُشبِهُ الحَقَّ باطِلُه

فهذا هو معنى قول العتابى « البلاغة اظهار ماغمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق » وقال الشاعر وهو كما قال :

عَجِبتُ لإدلالِ العَيِيِّ بنَفْسِهِ　　وَصَمْتِ الَّذى قدكانَ بالقَولِ أعلَما
وفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ للعَيِيِّ وإنَّما　　صَحِيفَةُ لُبِّ المَرْءِ أنْ يَتَكَلَّما

وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان فى شعره الذى رثى به عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه ، يقول :

ضَحَّوا بأشْمَطَ عُنْوانُ السُّجُودِ بهِ　　يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسبِيحاً وقرآنا

وأنشد أيضا :

تَرَى الفِتْيانَ كالنَّخلِ　　وما يُدرِيكَ ماالدَّخْلُ (١)
وكُلٌّ فِي الهَوَى لَيثٌ　　وفيما نابَهُ فَسْلُ (٢)
ولَيسَ الشأنُ فِي الوَصْلِ　　ولٰكِن أنْ يُرَى الفَضْلُ

وقال كسرى أنو شروان لبزر جمهر : أى الاشياء خير للمرء العيي . قال : عقل يعيش به . قال : فان لم يكن له عقل . قال : فاخوان يسترون عليه . قال : فان لم يكن له اخوان . قال : فمال يتحبب به الى الناس . قال : فان لم يكن له مال . قال : فعى صامت . قال : فان لم يكن ذلك . قال : فموت مريح ٣ . وقال موسى بن يحيي بن خالد : قال أبو على « رسائل المرء فى كتبه أدلّ على مقدار عقله وأصدق شاهد على غيبه لك

١ الدخل : الداء والعيب والريبة ٢ الضعيف الرذل الذى لامروءة له ولاجلد ٣ سبق هذا فى ص ٤ من هذا الجزء باختلاف فى بعض الالفاظ

ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة »

*( و باب آخر )* ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبرود العصب وكالحلل والمطارف والديباج والوشى وأشباه ذلك . وأنشدنى أبو الجماهر جندب ابن مدرك الهلالى :

لا يُشتَرى الحَمدُ أُمنيةً ولا يُشتَرى الحَمدُ بالمقصرِ (١)
ولكِنَّما يُشتَرى غالِياً فَمَنْ يُعطِ قِيمتَهُ يَشتَرِ
ومَنْ يَعتَطِفْهُ على مِئزَرٍ فَنِعمَ الرِداءُ على المِئزَرِ

وأنشدنى لابن ميّاده ٢ :

نَعَمْ إنَّنِي مُهدٍ ثَناءً ومِدحَةً كَبُرْدِ اليمانى يَربَحُ البيعَ تاجِرُهْ

وأنشدنى :

فإنْ أهلِكْ فقد أبقيتُ بَعدِي قوافِيَ تُعجِبُ المُتَمَثِّلينا
لَذيذاتِ المَقاطِعِ مُحكَماتٍ لوَ انَّ الشِّعرَ يُلبَسُ لارْتَدَينا

وقال أبو قردودة يرثى ابن عمار قتيل النعمان ووصف كلامه وقد كان نهاه عن منادمته :

إنّى نَهَيتُ ابنَ عمَّارٍ وقُلتُ لَهُ لا تأمَنَنْ أحمرَ العَينينِ والشَّعَرَهْ
إنَّ الملوكَ متى تَنزِلْ بِساحَتِهم تَطِرْ بِنارِكَ مِن نيرانِهِم شَرَرَهْ
يا جَفْنَةً كإزاءِ الحَوضِ قد هَدَموا ومَنطِقاً مِثلَ وَشيِ اليُمْنَةِ الحَبِرَهْ

وقال الشاعر فى مدح أحمد بن أبى دؤاد :

وَعَويصٌ مِنَ الأُمورِ بَهيمٌ غامِضُ الشَّخصِ مُظلِمٌ مَستُورُ
قد تَسَهَّلتَ ما تَوَعَّرَ منهُ بِلِسانٍ يَزِينُهُ التَّحبِيرُ
مِثلُ وَشيِ البُرُدِ (٣) هَلهَلَهُ النَّسْـ ـجُ وعندَ الحِجاجِ دُرٌّ نَثِيرُ

---

١ خشبة القصار ٢ خ : لأبى ميادة ٣ لعله « البرود »

حَسَنُ الصَّمْتِ والمَقاطِع إِمَّا أَنصتَ القومُ والحديثُ يدورُ
ثُمَّ مِن بَعْدِ لحظةٍ تورثُ اليُسْـ ـرَ وعرضٌ مُهذَّبٌ موفورُ

ومما يضم الى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر :

نَمَتْ فى الرَّوابى من مَعَدٍّ وأَفلجتْ على الخَفِراتِ الغُرِّ وهى وَرِيدُ (١)

نمت شبّت . الروابى من معد البيوت الشريفة ، وأصل الرابية والرباوة ما ارتفع من الارض . وأفلجت ظهرت وقهرت . الخفرات الحييات

أَناةٌ على نيرينِ أَضحى لِداتُها بَلِينَ بلاءَ الرَّيطِ (٢) وهيَ جديدُ

الاناة المرأة التى فيها فتور عند القيام . وقوله على نيرين وصفها بالقوة كالثوب الذى ينسج على نيرين وهو الثوب الذى له سديان كالديباج وما أشبه . أضحى لداتها اللدة القرينة فى المولد والمنشا فيقول : ان أقرانها قد بلين وهى جديد لحسن غذائها ودوام نعمتها . ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر :

عَلَى كلِّ ذِي نيرينِ زيدَ محالُهُ محالاً وفى أضلاعِهِ زيدَ أضلُعَا

المحال محال الظهر وهى فقاره واحدها محالة

وقال أبو يعقوب الخريمى الاعور أول شعر قلته هذان البيتان :

بقلبي سقامٌ لستُ أُحسِنُ وصفَهُ على أنَّهُ ماكانَ فهوَ شديدُ
تمُرُّ بهِ الأَيَّامُ تسحبُ ذيلَها فتَبلى بهِ الأَيَّامُ وهوَ جديدُ

وقال آخر وهو أبو الاسود الدؤلى :

أَبى القلبُ الاَّ أُمَّ عمرٍو وحبَّها عجوزاً ومن يُحبِبْ عجوزاً يُفنَّدِ
كبُردِ اليمانى قد تقادمَ عهدُهُ ورُقعتُهُ ما شئتَ فى العينِ واليدِ

وقال ابن هرمة :

انَّ الأَديمَ الَّذِى أَصبحتَ تعرُكُهُ جهلاً لذُو نَغَلٍ بادٍ وذُو حلَمِ (٣)

١ وردت المرأة توريداً : حمرت خدها ، فهى وريد ٢ جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين أى قطعتين متضا متين كلها نسج واحد ٣ نغل الأديم : فسد فى الدباغ . ونغل الجرح : خسد . الحلم : جمع حلمة وهى هاهنا دوده تقع فى الجلد فتأكله فاذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقا

وَلَن يُبَطّ بأيدِى الخالِقينَ وَلا　　أيدِي الخَوالِقِ إلاّ جَيّدُ الأدَمِ [1]

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذى الرمة :

وفي قمرٍ حجرٍ مِنْ ذُؤابَةِ عامِرٍ　　إمامُ هُدًى مُسْتَبْصِرُ الحُكْمِ عادِلُهْ

كأنَّ علَى أعطافِهِ ماءَ مُذْهَبٍ　　إذا سَمَلَ السِّربالُ طارَتْ رَعابِلُهْ

الرعابل القطع ، وشواء مرعبل أى مقطع ، ورعبلت الشيء أى قطعته . ويقال ثوب سمل وأسمال ، وأسمل الثوب وسمل اذا أخلق . وهو الذى يقول :

حَوْراءُ فى دَعَجٍ صَفراءُ فى نَعَجٍ　　كأنَّها فضَّةٌ قد مسَّها ذَهَبُ

الحور شدة بياض العين . والدعج شدة سواد الحدقة . والنعج اللين . قالوا لان المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب الى الحمرة و بالعشى يضرب الى الصفرة . ولذلك قال الاعشى :

بَيْضاءُ ضَحْوَتَها وَصَفْـ　　ـراءُ العَشِيَّةَ كالعَرارَهْ [2]

وقال آخر :

قد عَلِمَتْ بيضاءُ صفراءُ الأُصُلْ　　لأُغنِيَنَّ اليَوْمَ ما أغنى رَجُلْ

وقال بشار بن برد :

وخُذِي مَلابِسَ زِينَةٍ　　ومُصَبَّغاتٍ فَهْيَ أفخَرْ

وإذا دَخَلتِ تَقَنَّعِي　　بالحُمرِ إنَّ الحُسْنَ أحمَرْ

وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق هذا الامر الى مالا يبلغه تمييز البصير . ولبشار خاصة فى هذا الباب ماليس لاحد ولولا أنه فى ( كتاب الرجل والمرأة ) وفى ( باب القول فى الانسان ) فى ( كتاب الحيوان ) أليق وأذكى لذكرناه فى هذا الموضع . ومما ذكروا فيه الوزن قوله :

زِنِى القَوْمَ حتّى تَعرِفي عندَ وَزْنِهِمْ　　إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال ابن الزبير الاسدى :

---

١ بط الجرح والصرة والجلد : شقها . والخالق : صانع الاديم ٢ بهار ناعم أصفر طيب الريح

أعاذِلُ غُضّي بعضَ لَوْمِك انّني ... أرى المَوْتَ لا يَرْضَى بدَينٍ ولا رَهْنِ

وإنّي أرَى دَهْراً تغيَّرَ صَرْفُهُ ... ودُنيا أراها لا تَقُومُ على وَزْنِ

*( باب آخر )*

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ويفضلون اصابة المقادير ويذمون الخروج من التبوبل . قال جعفر بن سليمان « ليس يطيب الطعام بكثرة الانفاق وجودة التوابل ، وانما الشان فى اصابة القدر » . وقال الشاعر وهو عارق [١] بن أثال الطائى :

ما أنْ يزَالَ بِبَغْدادٍ يُزاحِمُنا ... على البَرَاذِينِ أشباهُ البَرَاذِينِ

أعطاهُمُ اللهُ أمْوالاً ومنزِلَةً ... مِنَ الملوكِ بلا عقلٍ ولا دِينِ

ماشئتَ منْ بَغْلَةٍ شَقْراءَ ناجيَةٍ ... أوْ مِنْ أثاثٍ وقولٌ غيرُ موزُونِ

وأنشد بعض الشعراء :

وأتْ رَجُلاً أوْدَى السِّفارُ بجسمِهِ [٢] ... فلَمْ يبْقَ الاّ مَنْطِقٌ وجناجِنُ

الجناجن عظام الصدر

اذا حُسِرتْ عنهُ العِمامَةُ راعَها ... جَميلُ الخُفُوقِ أغفلَتْهُ الدَّواهِنُ

فانْ أكُ مَعْرُوقَ العِظامِ فانّني ... اذا ماوَزَنتُ القَوْمَ بالقَوْمِ وازِنُ

قال مالك بن أسماء فى بعض نسائه وكانت تصيب الكلام كثيرا وربما لحنت [٣] :

أمُغَطّى منّي على بَصَرِي لِلْحُبِّ ... أم أنتِ أكمَلُ النّاسِ حُسْنا

وحَديثٍ ألَذُّهُ هُوَ مِمّا ... يَنْعَتُ النّاعِتُونَ يوزَنُ وَزْنا

مَنطِقٌ عاقِلٌ وتَلحَنُ أحيا ... نًا وخَيرُ الحديثِ ما كانَ لَحنا

وقال طرفة فى المقدار واصابته :

---

١ خ : طارق ٢ السفار : السفر ٣ سبقت هذه الابيات فى ص ٨٢ من هذا الجزء باختلاف فى بعض الكلمات

فَسَقَى دِيارَكَ غيرَ مفسِدِها  صَوْبُ الرَّبِيعِ وديمةٌ تَهْمِى

طلب الغيث على قدر الحاجة لان الفاضل ضار . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه « اللهم اسقنا سقيا نافعا » لان المطر ربما جاء فى غير ابان الزراعات ، وربما جاء والتمر فى الجرن والطعام فى البيادر ، وربما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم حوالينا ولا علينا » وقال بعض الشعراء لصاحبه « أنا أشعر منك » قال « ولم » قال « لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه » وعاب رؤبة شعر ابنه عقبة فقال « ليس له قران » وجعل البيت أخا البيت اذا أشبهه وكان حقه أن يوضع الى جنبه ، وعلى ذلك التأويل قال الاعشى :

أبا مسمعٍ أقصِرْ فإنَّ قصيدةً  متى تأتِكم تلحقْ بها أخواتُها

قال الله عز وجل « وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها » وقال عمرو بن معد يكرب :

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوهُ  لعمرُ أبيكَ إلاَّ الفرقدانِ

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقلّ لفظا ، قال الهذلى :

أعامرُ لا آلوكَ الاَّ مُهَنَّداً  وَجِلْدُ أَبِى عِجلٍ وَثيقُ القبائلِ

يعنى بأبى عجل الثور . وقالوا ماهو أبعد من هذا ، وقال ابن عسلة [١] الشيبانى واسمه عبد المسيح :

وسَماعِ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنا  حتّى نَنامَ تَناوُمَ العُجْمِ

فَصَحَوْتُ والنَّمَرِيُّ يَحْسَبُها  عمَّ السِّماكِ (٢) وخالةَ النجمِ

النجم واحد وجمع ، والنجم الثريا فى كلام العرب . مدجنة أى سحابة دائمة وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ووصف العير ، والمعيور الموضع الذى يكون فيه الاعيار :

وظَلَّ يوفي الاكمَ ابنُ خالِها

فهذا مما يدل على توسعهم فى الكلام وحمل بعضه على بعض واشتقاق بعضه

---

١ خ : غسيلة ٢ اسم لنجم نير

من بعض . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نعمت العمة لكم النخلة » كان بينها وبين الانسان تشابه وتشا كل من وجوه . وقد ذكرنا فى ( كتاب الزرع والنخل ) وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدتُ بأنَّ التَّمرَ بالزُّبدِ طَيِّبٌ وأنَّ الحُبارَى خَالَةُ الكَرَوانِ (١)

لان الحبارى وان كانت أعظم بدنا من الكروان فان اللون وعمود الصورة واحد فلذلك جعلها خالته ورأى أن ذلك قرابة تستحق بها هذا القول

*( باب آخر من الشعر )*

« مما قالوا فى الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه »

قال كعب الاشقرى ٢ :

الاّ أكُن في الارضِ أخطَبُ قائماً فانِّي على ظهرِ الكُميتِ خَطيبُ

وقال ثابت قطنة :

فالاّ أكُن فِيكُمْ خَطيباً فانَّني بِسُمْرِ القنا والسَّيفِ جِدٌّ لَعُوبِ

وقالت ليلى الاخيلية :

حتَّى اذا رَفَعَ اللِّواءَ رَأَيتَهُ تَحتَ اللِّواءِ على الخَميسِ (٣) زَعِيما

وقال الآخر :

عَجِبْتُ لأقوامٍ يَعِيبُونَ خُطبَتِى وما مِنهُمُ فى مأقِطٍ (٤) بِخَطِيب

وهؤلاء يفخرون بخطبهم التى عليها يعتمدون بالسيوف والرماح ، وان كانوا خطباء . وقال دريد بن الصمة :

أبلِغْ نعيماً وأوفَى انْ لَقِيتَهُما انْ لَمْ يَكُنْ كانَ فى سَمْعَيْهِما صَمَمُ

فَلا يَزالُ شِهابٌ يُستَضاءُ بِهِ يَهدِى المَقانِبَ مالَمْ يُهلِكِ الصَّمَمُ

المقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة فى الخيل ليست بالكثيرة

١ الحبارى : طائر يضرب به المثل فى البلاهة لأن الواحدة منه اذا غيرت عشها ذهلته وحضنت بيض غيرها . والكروان : الحجل ٢ خ : الاشعرى ٣ الجيش اذا كان خمس فرق : ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب ٤ المضيق فى الحرب يختلطون فيه

عارِي الأشاجعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِه أَمْرُ الزَّعامةِ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

الاشاجع عروق ظاهر الكف وهى مغرز الاصابع . واللمة الشعيرة التى ألمت بالمنكب . زعيم القوم رأسهم وسيدهم الذى يتكلم عنهم ، والزعامة مصدر الزعيم الذى يسود قومه . وقوله معصوب بلمته أى يعصب برأسه كل أمر . عرنينه أنفه

وقال أبو العباس الاعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف فى بنى عبد شمس :

لَيْتَ شِعْرِي أَفاحَ رائحةُ المِسْـ ـكِ ما انْ اخالُ بالخَيْفِ أُنْسِي

حينَ غابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ والبهاليلُ (١) مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ

خُطَباءٌ على المنابرِ فرسا نٌ عليها وقالةٌ غَيرُ خُرْسِ

لا يُعابُونَ صامِتِينَ وإنْ قا لُوا أصابُوا ولَمْ يَقُولُوا بِلَبْسِ

بِحُلُومٍ إذِ الحُلُومُ اسْتُخِفَّتْ ووُجُوهٍ مِثْلِ الدَّنانيرِ مُلْسِ

وقال العجاج :

وحاصِنٍ مِنْ حاصِناتٍ مُلْسِ مِنَ الأذَى ومِنْ قِرافِ الوَقْسِ

المحصنة ذات الزوج ، والحاصن العفيفة . والوقس الجرب

وقال امرؤ القيس بن حجر :

ويارُبَّ يَوْمٍ قدْ أَرُوحُ مُرَجَّلاً حَبِيباً الى البِيضِ الكَواعِبِ أَمْلَسَا

وقال أبو العباس الاعمى :

ولَمْ أَرَ حيًّا مِثْلَ حَيٍّ تَحَمَّلُوا الى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مُنْذُ بُرِيتُ (٢)

أعَزَّ وأمضى حِينَ تَشْتَجِرُ القَنا وأَعْلَمَ بالمِسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ

وأرْفَقَ بالدُّنيا بأَوْلَى سِياسَةٍ اذا كادَ أَمْرُ المسلمينَ يَفُوتُ

اذا ماتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ بَصِيرٌ بِعَوْراتِ الكَلامِ زَمِيتُ (٣)

وقال آخر :

---

١ جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير ٢ من البرى وهو الخلق ٣ وقور

لا يُغسَلُ العِرْضُ مِنْ تَدَنُّسِهِ ... والثَّوبُ انْ مَسَّ مَدْنَساً غُسِلا
وزَلَّةُ الرِّجلِ تُستقالُ ولا ... يَكادُ رَأْيٌ يُقِيلُكَ الزَّلَلا

وقال آخر فى الزلل :

أَلَهفى اذ عَصَيْتُ أَبا يَزيدٍ ... ولَهفِي اذ أطَعْتُ أَبا العَلاءِ
وكانَتْ هَفْوَةً مِنْ غَيْرِ رِيحٍ ... وكانَتْ زَلَّةً مِنْ غَيرِ ماءِ

وقال آخر :

فانَّكَ لَمْ يُنْذِرْكَ أَمراً تَخافُهُ ... اذا كُنْتَ فِيهِ جاهِلاً مِثْلُ خابِرِ

وقال ابن وابصة ـ اسمه سالم ـ فى مقام قام فيه مع ناس من الخطباء :

* يا أَيُّها المتحلِّي غَيرَ شِيمتِهِ ... ومَنْ سَجِيَّتُهُ الاكثارُ والمَلَقُ
اعمَدْ الى القَصدِ فِيما أَنتَ راكِبُهُ ... انَّ التَّخَلُّقَ يأتى دُونَهُ الخُلُقُ
صَدَّتْ هُنَيْدَةُ لمَّا جِئْتُ زائِرَها ... عَنِّى بمَطْرُوفَةٍ انسانُها غَرِقُ (١)
وَراعَها الشَّيبُ فى رَأْسِى فقلتُ لها ... كذاكَ يَصفَرُّ بعدَ الخُضرةِ الوَرَقُ
بل مَوْقِفٍ مِثلِ حدِّ السَّيفِ قُمتُ بِهِ ... أَحمِى الذِّمارَ وتَرمِيني بِهِ الحَدَقُ
فَما زَلَلتُ وَلا أُلفِيتُ ذا خَطَلٍ ... اذ الرِّجالُ على أَمثالِها زَلِقُوا (٢)

قال وأنشد أعرابى فى باهلة :

سَأُعمِلُ نَصَّ (٣) العِيسِ حتَّى يَكُفَّنِى ... غِنَى المالِ يَوْماً أَوْ غِنَى الحَدَثانِ
فَلَلمَوْتُ خَيرٌ مِنْ حياةٍ يُرَى لَها ... عَلى الحُرِّ بالاقلالِ وَسْمُ هَوانِ
مَتى يَتَكلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ كَلامِهِ ... وإنْ لمْ يَقُلْ قالُوا عَدِيمُ بيانِ
كأَنَّ الغِنَى فى أَهلِهِ بُورِكَ الغِنَى ... بِغَيرِ لِسانٍ ناطِقٌ بِلِسانِ

وفى مثلها فى بعض الوجوه قول عروة بن الورد :

---

١ أراد بالمطروفة العين التى أصابتها طرفة ، وانسان العين المثال الذى يرى فى سوادها . وغرق أى بالدموع ٢ زلوا ٣ النص من كل شئ منتهاه . وسير نص : أى جد رفيع

ذَرِينِي لِلغِنَى أَسعَى فَإنّي  رَأَيتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقِيرُ
وأهوَنُهُم وأحقَرُهُم لَدَيهِم  وإن أَمسَى لهُ نَسَبٌ وخيرُ (١)
ويُقصَى في النَّدِيِّ (٢) وتَزدَرِيهِ  حَلِيلَتُهُ ويَنهَرُهُ الصَّغِيرُ
ويُلفِي ذَا الغِنَى ولهُ جَلالٌ  يَكادُ فُؤادُ صاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنبُهُ والذَّنبُ جَمٌّ  ولكِن لِلغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه « الهوى إله معبود » وتلا قوله عز وجل « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم » . وقال أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل :

تِلكَ عِرسَايَ تَنطِقَانِ على عَمـ  ـدٍ الى اليَومِ قَولَ زُورٍ وهِترِ (٣)
سَأَلَتَانِي الطَّلاقَ أَن رَأَتَا ما  لِي قَلِيلاً قَد جِئتُمانِي بِنُكرِ (٤)
فَلَعَلِّي أَن يَكثُرَ المالُ عِندِي  ويُعَرَّى مِنَ المَغارِمِ ظَهرِي
وتُرَى أَعبُدٌ لنا وأَواقٍ (٥)  ومَنَاصِيفُ مِن خَوادِمَ عَشرِ

المناصيف الخدم واحدهم منصف وناصف ، وقد نصف القوم ينصفهم نصافة اذا خدمهم

وتَجُرُّ الأَذيالَ في نِعمَةٍ زَو  لٍ تَقُولانِ ضَع عَصاكَ لِدَهرِ

نعمة زول حسنة ، والزول الخفيف الظريف وجمعه أزوال

وَيكأَن مَن يَكُن لهُ نَشَبٌ يُحـ  ـبَب ومَن يَفتَقِر يَعِش عَيشَ ضُرِّ
ويُجَنَّبُ سِرَّ النَّجِيِّ ولكِنَّ  أَخا المالِ مُحضَرٌ كلَّ سِرِّ

وقال عبيد بن الابرص فى نحو هذا وليس كمثله :

تِلكَ عِرسِي غَضبَى تُرِيدُ زِيالِي  أَلِبَينٍ تُرِيدُ أَم لِدَلالِ

---

١ الكرم والشرف والاصل والهيئة ٢ بمعنى النادى والندوة ٣ الكذب والسقط من الكلام والخطأ فيه ٤ راجع ص ١٤٦ و ١٤٧ من الصاحبي فى فقه اللغه وسنن العرب فى كلامها للامام أحمد بن فارس ٥ الاواق قصب الحائك يكون فيه لحمة الثوب .

انْ يَكُنْ طِبُّكِ الفِرَاقُ فلاأحـ ـفِلُ أنْ تَعطِفِى صُدُورَ الجِمَالِ
كُنْتِ بيْضاءَ كالمهاةِ وإذْ آتِيـكِ نَشْوانَ مُرْخِياً أذْيالى
فاترُكِى مَطَّ حاجِبَيْكِ وعيشى معنا بالرَّجاءِ والتَّأمالِ
زَعَمَتْ أنَّنِى كَبِرْتُ وأنِّى قَلَّ مالِى وَضَنَّ عنِّى الموالى
وصَحا باطِلِى وأصبحتُ شيخاً لايُواتى أمثالَها أمثالى
إنْ تَرَيْنِى تَغَـيَّرَ الرَّأسُ مِنِّى وعلاالشَّيبُ مَفرِقِى وقَذالى (١)
فبِما أُدْخِلُ الخِباءَ على مَهْـ ـضُومَةِ الكَشْحِ طِفلَةٍ كالغَزالِ

الكشح الخصر . وقوله مهضومة أراد لطيفة . والطفلة الرخصة الناعمة

فَتَعاطَيْتُ جِيدَها ثُمَّ مالَتْ مَيلانَ الكَثِيبِ بينَ الرِّمالِ
ثُمَّ قالتْ فِدىً لِنَفْسِكَ نَفسِى وفِداءٌ لِمالِ أهْلِكَ مالى

قال وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره يوما ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس فقعد فى دهليزه ، فلما رأى شيخا دميما أشغى ثطاً فى عباءة فانكره وأنكر مكانه ، فقال : ياأعرابى أين ربك . قال : بالمرصاد

والشغى تراكب الاسنان واختلافها . ثط صغير اللحية

يقال ان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس

ونظر معاوية الى النخار بن أوس العذرى الخطيب الناسب فى عباءة فى ناحية من مجلسه ، فانكره وأنكر مكانه زراية منه عليه ، فقال : من هذا . فقال النخار : ياأمير المؤمنين ان العباءة لاتكلمك انما يكلمك من فيها

قال ونظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى هرم بن قطبة ملتفًّا فى بت ٢ فى ناحية المسجد ، و رأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم ، فأحب أن يكشفه و يسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا اليك اليوم أيهما كنت تنفر . يعنى علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل . فقال : ياأمير المؤمنين لو قلت فيهما

---

١ القذال : جماع مؤخر الرأس ٢ هو الكساء الغليظ

كلمة لاعدتها جذعة . فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لهذا العقل تحاكمت اليك العرب . ونظر عمر الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتفّ فى بتّ له فترك جميع [1] القوم واستنطقه ، فلما تبعق [2] منه ماتبعق ، وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يزل عنده فى علياء ، ثم صار الى أن عقد له الرياسة ثابتاً له ذلك إلى أن فارق الدنيا

ونظر النعمان بن المنذر الى ضمرة بن ضمرة فلما رأى دمامته وقلته قال : تسمع بالمعيدى لاأن تراه ، هكذا تقول العرب . فقال ضمرة : أبيت اللعن ، إن الرجال لاتكال بالقفزان ، و إنما المرء باصغريه لسانه وقلبه [3] . وكان ضمرة خطيبا وكان فارسا شاعرا شريفا سيدا

وكان الرمق بن زيد مدح أبا جُبيلة الغسانى ، وكان الرمق دميما قصيرا ، فلما أنشده وحاوره قال : عسل طيب فى ظرف سوء

قال وتكلم علباء بن الهيثم السدوسى لدى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وكان علباء أعور دميما ، فلما رأى براعته وسمع بيانه أقبل عمر يصعد فيه بصره ويحدره ، فلما خرج قال عمر : لكل أناس فى جميلهم خبرة

قال أبو عثمان : وأنشدت سهل بن هارون قول سلمة بن خرشب وشعره الذى أرسل به الى سبيع التغلبى [4] فى شان الرُّهن التى وضعت على يديه فى قتال عبس وذبيان ، فقال سهل بن هارون : والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى أبى موسى الاشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم . والقصيدة قوله :

أَبلغ سُبَيْعاً وأنتَ سيّدُنا ... قِدماً وأوفى رجالِنا ذِمما
أنّ بَغِيضاً وأنّ إخوتَها ... ذبيانَ قد ضَرّموا الّذِى اضطَرَما
نُبّئْتُ أنْ حكّمُوكَ بينهمُ ... فلا يقولُنَّ بئسَ ما حكَما
ان كُنتَ ذا خبْرةٍ بشأنِهم ... تعرِفُ ذا حقِّهم ومَنْ ظلَما
وتُنزِلُ الأمرَ فى منازِلِه ... حُكْماً وعِلماً وتُحضِرُ الفَهَما

---

١ خ : جمع ٢ أى انصب فى الكلام بشدة ٣ سبق هذا فى ص ٩٦ من هذا الجزء ، ولكلام ضمرة بقية هناك فراجعها وراجع شرح كلماته ٤ خ : الثعلبى

وَلا تُبالي مَن المُحِقُّ وَلا المُـ ـبطلُ لا إلَّةً ولا ذِمما

فاحكُمْ وأنتَ الحَكيمُ بينهمُ لَنْ تعدَموا الحكمَ ثابتًا صتِماً

الصتم الصحيح القوى ، يقال رجل صتم اذا كان شديدا

واصدَعْ أديمَ السَّواء بينهمُ على رضا مَنْ رَضِى ومن رَغِما

إنْ كانَ مالاً فقَضِّ عِدَّتَهُ مالاً بمالٍ وانْ دَماً فدَما

حتّى ترَى ظاهرَ الحُكومةِ مثْـ ـلَ الصُّبْحِ جَلَّى نَهارُهُ ظُلَما

هذا وانْ لم تُطِقْ حُكومَتَهُمْ فانْبِذْ اليهمْ أُمُورَهمْ سَلَما

وقال العايشى[١] : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالشعر ، ولكنه اذ ابتلى بالحكم بين النجاشى والعجلانى و بين الحطيئة والز برقان كره أن يتعرض للشعراء ، واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم ، فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين ، ويكون هو قدتخلص بعرضه سليما . فلما رآه من لاعلم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره . قال ولقد أنشدوه شعرا لزهير وكان لشعره مقدما فلما انتهوا الى قوله :

وانَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ يَمينٌ أوْ نِفارٌ أوْ جَلاءُ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها و إقامته أقسامها :

وانّ الحقّ مقطعه ثلاث يمين أونفار أوجلاء

يردّد البيت من التعجّب

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطيب الطويلة التى على اللام فلما بلغ المنشد الى قوله :

والمَرْءُ ساعٍ لِأمْرٍ ليسَ يُدْرِكُهُ والعَيْشُ شُحٌّ واشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجبا :

والعيش شحّ واشفاق وتأميل

---

[١] خ : العاشى

يعجبهم من حسن ماقسم وفصل . وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الاسلت التى على العين وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد الى قوله :

الـكَيْسُ والقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ ال ‏ ‏ ‏ إشفاقِ والفَهَّةِ والهَاعِ (١)

أعاد عمر البيت وقال :

الكيس والقوّة خير من ال ‏ ‏ ‏ إشفاق والفهّة والهاع

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه . قال محمد بن سلام الجمحى عن بعض أشياخه : قال كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لايكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر

وقال عمرو بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يقدّم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيّد عليهم مآثرهم ويفخم شانهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الاول :

« الشعر أدنى مروءة السريّ ، وأسرى مروءة الدنى »

قال ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ، ولو كان فى الدهر الاول مازاده ذلك إلا رفعة

وروى مجالد عن الشعبي قال : مارأيت مثلى ، ماأشاء أن ألقى رجلا أعلم منى بشيء الا لقيته . وقال الحسن البصرى : يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا ، ويكون عابدا عاقلا ولا يكون عالما ، وكان مسلم بن يسار عاقلا عابدا عالما . قال : وكان يقال فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة . وقال وذكرت البصرة فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزنى ٢ . قال والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة : قتادة والزهرى والاعمش والكلبي . وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ، فقيل لسليمان فى ذلك فقال : انه فقيه مليح . فقال القحذمى : لا ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه اليهم ولروايته فضائلهم . وكان الاصمعي يقول : وصلت بالعلم ونلت بالملح ٣ . وكان سهل بن هارون يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لايكادان يجتمعان فى واحد ، وأعسر من ذلك أن يجتمع

١ الفهة : العي . والهاع : الجبان ٢ سبق هذا فى ص ٥٦ من هذا الجزء ٣ سبق فى ص ١١٢ .

اذا ارتحلوا عن دار ضيمٍ تعاذلوا عليها وردّوا وفدهم يستقيلها

وأنشدنى آخر :

وانّ عناءً أن تفهّم جاهلاً ويحسب جهلاً انّه منك أفهمُ

وقال جرير :

ولا يعرفون الشرّ حتّى يصيبهم ولا يعرفون الأمر الاّ تدبّرا

وقال الاعرج المعنىّ الطائى :

لقد علم الاقوام أن قد قدرتم ولم تبدؤوهم بالمظالم أوّلا

فكونوا كداعى كرّةٍ بعد فرّةٍ ألا ربَّ من قد فرّ ثمّت أقبلا

فان أنتم لم تفعلوا فتبدّلوا بكلّ سنانٍ معشر العرب مغزلا

وأعطوهم حكم الصبيّ بأهله وانّي لأرجو أن يقولوا بأن لا

ويقال أظلم من صبىّ ، وأكذب من صبىّ ، وأخرق من صبىّ . وأنشد :

ولا تحكما حكم الصبىّ فانّهُ كثيرٌ على ظهر الطّريق مجاهلُهْ

قال سئل دغفل عن بنى عامر . فقال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء . قيل : فما تقول فى أهل اليمن . قال : سيّد وأنوك [1]

## *( باب فى ذكر المعلمين )*

من أمثال العامة « أحمق من معلم كتاب » وقد ذكرهم صقلاب :

وكيف يرجّى العقل والرأى عند من يروح على أنثى ويغدو على طفلِ

وفى قول بعض الحكماء « لاتستشيروا معلما ، ولا راعى غنم ، ولا كثير القعود مع النساء » وقال « لاتدع أم صبيّك تضربه : فانه أعقل منها وان كانت أسن منه » وقد سمعنا فى الامثال « أحمق من راعى ضان ثمانين »

فاما استحماق رعاة الغنم فى الجملة فكيف يكون ذلك صوابا وقد رعى الغنم عدة من جلة الانبياء عليهم السلام ، ولعمرى ان الفدّادين [2] من أهل الوبر ورعاة الابل

١ سيأتى هذا فى ص ٣٩ من الجزء الثانى ٢ الشديدى الصوت

يعجبهم من حسن ماقسم وفصل . وأنشدوه قصيدة أبى قيس بن الاسلت التى على العين وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد الى قوله :

الـكَيْسُ والقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ ال ... إِشفاقِ والفَهَّةِ والهَاعِ (١)

أعاد عمر البيت وقال :

الـكيس والقوّة خير من ال ... إشـفاق والفهـة والهاع

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منـه . قال محمد بن سـلام الجحى عن بعض أشياخه : قال كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لايكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر

وقال عمرو بن العـلاء : كان الشاعر فى الجاهليـة يقدَّم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشـعر الذى يقيّـد عليهم مآثرهم ويفخم شانهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الاول :

« الشعر أدنى مروءة السريّ ، وأسرى مروءة الدنى »

قال ولقد وضع قول الشـعر من قدر النابغة الذبيانى ، ولو كان فى الدهر الاول مازاده ذلك إلا رفعة

وروى مجالد عن الشـعبي قال : مارأيت مثلى ، ماأشاء أن ألقى رجـلا أعلم منى بشىء الا لقيته . وقال الحسن البصرى : يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا ، ويكون عابدا عاقـلا ولا يكون عالما ، وكان مسـلم بن يسار عاقلا عابدا عالما . قال : وكان يقال فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة . وقال وذكرت البصرة فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزنى ٢ . قال والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة : قتادة والزهرى والاعمش والكلبى . وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ، فقيل لسليمان فى ذلك فقال : انه فقيه مليح . فقال القحذمى : لا ولكنه تعصب للقرشـية ولانقطاعه اليهم ولروايتـه فضائلهم . وكان الاصمعى يقول : وصلت بالعلم ونلت بالملح ٣ . وكان سهل بن هارون يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لايكادان يجتمعان فى واحد ، وأعسر من ذلك أن يجتمع

---

١ الفهة : العي . والهاع : الجبان ٢ سبق هذا فى ص ٥٦ من هذا الجزء ٣ سبق فى ص ١١٢ .

اذا ارتحلوا عن دار ضيم تعاذلوا عليها وردّوا وفدهم يستقيلها

وأنشدنى آخر :

وانّ عناء أن تفهّم جاهلاً ويحسب جهلاً انّه منك أفهم

وقال جرير :

ولا يعرفون الشرّ حتى يصيبهم ولا يعرفون الأمر الاّ تدبّرا

وقال الاعرج المعنىّ الطائى :

لقد علم الاقوام أن قد قدرتم ولم تبدؤوهم بالمظالم أوّلا

فكونوا كداعى كرّة بعد فرّة ألا ربّ من قد فرّ ثمّت أقبلا

فان أنتم لم تفعلوا فتبدّلوا بكلّ سنان معشر العرب مغزلا

وأعطوهم حكم الصبيّ بأهله وانّي لأرجو أن يقولوا بأن لا

و يقال أظلم من صبىّ ، وأكذب من صبىّ ، وأخرق من صبىّ . وأنشد :

ولا تحكما حكم الصبىّ فانّه كثير على ظهر الطّريق مجاهله

قال سئل دغفل عن بنى عامر . فقال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء . قيل : فما تقول فى أهل اليمن . قال : سيّد وأنوك [١]

## *( باب فى ذكر المعلمين )*

من أمثال العامة « أحمق من معلم كتاب » وقد ذكرهم صقلاب :

وكيف يرجّى العقل والرأى عند من يروح على أنثى ويغدو على طفل

وفى قول بعض الحكماء « لا تستشيروا معلما ، ولا راعى غنم ، ولا كثير القعود مع النساء » وقال « لا تدع أم صبيّك تضربه : فانه أعقل منها وان كانت أسن منه » وقد سمعنا فى الامثال « أحمق من راعى ضان ثمانين »

فاما استحماق رعاة الغنم فى الجملة فكيف يكون ذلك صوابا وقد رعى الغنم عدة من جلة الانبياء عليهم السلام ، ولعمرى ان الفدّادين [٢] من أهل الوبر ورعاة الابل

---

١ سيأتى هذا فى ص ٣٩ من الجزء الثانى ٢ الشديدى الصوت

ليتلون على رعاة الغنم ويقول أحدهم لصاحبه : إن كنت كاذبا لحلبت قاعدا . وقال الآخر :

تَرَى حالِبَ المِعْزَى اذا سُرَّ قاعِداً ... وحالِبُهُنَّ القائِمُ المتَطاوِلُ

قالت امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مُكَدَّم لجمع غامد وحده :

ألَا هَلْ أتاها عَلى نَأيِها ... بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غامِدُ

تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَي فارِسٍ ... فَرَدَّكُمُ فارِسٌ واحِدُ

فَلَيتَ لَنا بارْتِباطِ الخُيولِ ... ضَأناً لَها حالِبٌ قاعِدُ

وقد سمعنا قول بعضهم « الحمق فى الحاكة والمعلمين والغزالين » قال : والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ، وكذلك الغزالون ، لان الاحمق هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ثم يجئ بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده صواب جيد فى فعال ولا مقال الا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب وليس هو من هذا فى شيء

﴿ وهذا باب آخر ﴾ ويقال « فلان أحمق » فاذا قالوا « مائق » فليس يريدون ذلك المعنى بعينه . وكذلك اذا قالوا « أنوك » وكذلك اذا قالوا « رقيع » ويقولون فلان « سليم الصدر » ثم يقولون « غبى » ثم يقولون « أبله » وكذلك اذا قالوا « معتوه ومسلوس » وأشباه ذلك

قال أبو عبيدة يقال للفارس « شجاع » فاذا تقدم ذلك قيل « بطل » فاذا تقدم شيئا قيل « بهمة » فاذا صار الى الغاية قيل « أليس » قال العجاج :

أَلْيَسُ عن حَوْبائِهِ (١) سَخِيُّ

وهذا المأخذ يجرى فى الصفات كلها من جود وبخل وصلاح وفساد ونقصان ورجحان . وما زلت أسمع هذا القول فى المعلمين ، والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة الى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة ، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسائى ومحمد بن المستنير الذى

---

١ الحوباء : النفس . وفى نسخة « حوباته » وهى جمع حوبة « بفتح الحاء » بمعنى الحاجة والحال والزوجة . وبضم الحاء بمعنى العيال

يقال له قطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ، ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التى دونهم . فان ذهبوا الى معلمى كتاتيب القرى فان لكل قوم حاشية وسفلة فما هم فى ذلك الا كغيرهم . وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء ، مثل كميت بن زيد وعبد الحميد الكاتب وقيس بن سعد وعطاء ابن أبى رباح ، ومثل عبد الكريم بن أبى أمية وحسين المعلم وأبى سعيد المعلم ، ومن المعلمين الضحاك بن مزاحم أبو معبد الجهنى وعامر الشعبى فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان وكان معبد يعلم سعيدا ، ومنهم أبو سعيد المؤدب — وهو غير أبى سعيد المعلم — وكان يحدث عن هشام بن عروة وغيرهم ، ومنهم عبد الصمد بن عبد الاعلى . وكان معلم ولد عتبة بن أبى سفيان ، وكان اسماعيل بن على ألزم بعض بنيه عبدالله بن المقفع ليعلمه ، وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما ، ومنهم محمد ابن السكن . وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبى الوزير وأبى عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا . وقد قال الناس فى أبى البيداء وفى أبى عبد الله الكاتب وفى الحجاج بن يوسف وأبيه ماقالوا وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهدا من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول : « قالوا أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل » قال وكتب الحجاج الى المهلب يعجله فى حرب الازارقة و يسمعه ١ ، فكتب اليه المهلب « ان البلاء كل البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره »

*( وباب آخر )*

قال بعض الربانيين من الادباء وأهل المعرفة من البلغاء ، ممن يكره التشادق والتعمق ، و يبغض الاغراق فى القول والتكلف والاجتلاب ، و يعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن مايقول ، ومايعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذى يورث الاقتدار من التهكم والتسلط ، والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى والخلابة وحسن المنطق ، قال فى بعض مواعظه : أنذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا

١ يشتمه

وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه المتكلم قولا متعشقا صار فى قلبك أحلى ولصدرك أملا ، والمعانى اذا كسيت الالفاظ الكريمة وألبست الاوصاف الرفيعة تحوّلت فى العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زينت وعلى حسب ما زخرفت ، فقد صارت الالفاظ فى معنى المعارض وصارت المعانى فى معنى الجوارى ، والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوى ومدخل خدع الشيطان خفى . فاذكر هذا الباب ولا تنسه وتامله ولا تفرط فيه فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يقل للاحنف — بعد ان احتبسه حولا مجرّما [١] ليستكثر منه وليبالغ فى تصفح حاله والتنقير عن شانه « ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان خوفنا كل منافق عليم وقد خفت أن تكون منهم » الا لما كان راعه من حسن منطقه ومال إليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسحرا » وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن فى طلب حاجة وتاتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن « هذا والله السحر الحلال » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاخلابة » فالقصد فى ذلك أن تجتنب السوقى والوحشى ولا تجعل همك فى تهذيب الالفاظ وشغلك فى التخلص الى غرائب المعانى ، وفى الاقتصار بلاغ وفى التوسط مجانبة للوعورة والخروج من سبيل من لايحاسب نفسه وقد قال الشاعر :

عَليكَ بأوْساطِ الأُمُورِ فانَّها ... نَجاةٌ ولاَ تَرْكَبْ ذَلُولاً ولاَ صَعْبا

وقال الآخر :

لاتَذهبَنَّ في الأُمُورِ فَرَطا ... لاتَسالنَّ ان سالْتَ شطَطا
وكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعا وسَطا

وليكن كلامك بين المقصر والغالى ، فانك تسلم من الهجنة عند العلماء ومن فتنة الشيطان . وقال أعرابى للحسن « علمنى دينا وسطا ، لا ذاهبا شطوطا ولا هابطا هبوطا » فقال الحسن « لئن قلت ذلك ان خير الامور أوساطها » وجاء فى الحديث « خالطوا الناس وزايلوهم [٢] » وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته « وخير الامور أوساطها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى نفس تنجيها خير من امارة لاتحصيها [٣] » وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه « كن فى الدنيا وسطا وامش جانبا » وكانوا

---

١ كاملا ٢ : المزايلة : المفارقة والمباينة ٣ سيأتى هذا الكلام فى ص ٢٧ من الجزء الثانى

يقولون « اكره الغلو كما تكره التقصير » وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاصحابه « قولوا بقولكم ولايستحوذن عليكم الشيطان » وكان يقول « وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم »

## *( باب من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ النساك )*

« وتأديب من تاديب العلماء »

قال رجل لابى هريرة النحوى « أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه » قال « كفى بترك العلم إضاعة » وسمع الاحنف رجلا يقول « التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر » فقال الاحنف « الكبير أكبر الناس عقلا ولكنه أشغل قلبا » وقال أبو الدرداء « مالى أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لايتعلمون » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » قال ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه حين دلى زيد بن ثابت فى القبر « من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه » وقال بعض الشعراء لبعض العلماء :

أَبْعَدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا ... جاوَزْتَ حيثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ
لَوْ كانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ ... نَجَّاكَ مِمَّا أَصابَكَ الْحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
فَهَكَذَا يَفْسُدُ الزمانُ وَيَفْـ ... ـنَي الْعِلْمُ مِنْهُ وَيَدْرُسُ الأَثَرُ

قال وقال قتادة « لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال للعبد الصالح : هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا . أبو العباس التميمى قال قال طاووس « الكلمة الصالحة صدقة » وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذى لالسان له صدقة » [١] وقال الخليل « تكثر من العلم لتعرف وتقلل

---

١ سيأتى هذا فى ص ١٩ من الجزء الثانى وله هناك بقية .

منه لتحفظ » وقال الفضيل « نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه » وكان يقال « اجعل مافى الكتب بيت مال وما فى قلبك للنفقة » وكان يقال « يكتب الرجل أحسن ماسمع ويحفظ أحسن ما كتب » وقال أعرابى « حرف فى قلبك خير من عشرة فى طومارك [١] » وقال عمر بن عبد العزيز « ماقرن شىء بشىء أفضل من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة » وكان ميمون بن سياه اذا جلس الى قوم قال « انا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتحمل بها » قال ونخر سليم مولى زياد برياد عند معاوية فقال معاوية « أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه الا وقد أدركت أكثر منه بلسانى » قال وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال « والله لئن كنا أسانا فى الذنب فما أحسنت فى العفو » فقال الحجاج « أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا » وأمسك عن القتل . وقال بشير الرحال « انى لاجد فى قلبي حرا لايذهبه الابرد العدل أوحر السنان » قال وقدموا رجلا من الخوارج الى عبد الملك لتضرب عنقه — ودخل على عبدالملك ابن صغير له قد ضربه المعلم وهو يبكى — فهمّ عبد الملك بالمعلم فقال « دعه يبكى فانه أفتح لجرمه وأصح لبصره وأذهب لصوته » فقال له عبد الملك « أما يشغلك ماأنت فيه عن هذا » قال « ماينبغى للمسلم أن يشغله عن قول الحق شىء » فامر بتخلية سبيله . وقال ابراهيم بن أدهم « أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا » وأنشد :

نُرَقّعُ دُنْيانَا بتمزِيقِ دِينِنا فَلاَ دِينُنا يَبْقى ولاَ مانُرَقّعُ

قال وقال زياد على المنبر « ان الرجل ليتكلم بالكلمة مايقطع بها ذنب عنز صورى لو بلغت امامه سفك بها دمه » قال وعزل عمر زيادا عن كتابة أبى موسى فى بعض قدماته فقال له زياد « أعن عجز أم عن خيانة » قال « لاعن واحدة منهما ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك » قال و بلغ الحجاج موت أسماء بن خارجة فقال « هل سمعتم بالذى عاش ماشاء ومات حين شاء » قال وكان يقال « كدر الجماعة خير من صفو الفرقة » قال أبو الحسن : مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المنتوف وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثوبه فقال « ياهناة انا لم نجد لك اذ عصيت الله فينا خيرا من أن نطيع الله فيك » وهذا كلام أخذه عمر ابن ذر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين قال عمر « انى والله لا أدع

١ الطومار : الصحيفة

حقا لله لشكاية تظهر ، ولا لغضب يحتمل ، ولا لمحاباة بشر . وانك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه » قال وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سعد بن أبى وقاص « ياسعد سعد بنى وهيب ، ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل الذى لله عندك » قال ومات لعمر بن ذرّ ابن ، فقال « أى بنى ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك » قال وقال رجل من مجاشع : كان الحسن يخطب فى دم فينا فاجابه رجل فقال « قد تركت ذلك لله ولوجوهكم » فقال الحسن « لاتقل هكذا ، بل قل : لله ثم لوجوهكم ، وآجرك الله » قال ومر رجل بابى بكر رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال « أتبيع الثوب » فقال « لا ، عفاك الله » فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه « لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا وعافاك الله » وسال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا عن شىء فقال « الله أعلم » فقال عمر « لقد شقينا إن كنا لانعلم أن الله أعلم ، اذا سئل أحدكم عن شىء لايعلمه فليقل : لاعلم لى » قال وكان أبو الدرداء يقول « أبغض الناس الىّ أن أظلمه من لايستعين علىّ باحد الا بالله » وذكر ابن ذرّ الدنيا فقال « كانكم انما زادكم فى حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها » ونظر أعرابى الى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال « يُنْعَة ، والكل يُنْعَة استحشاف [1] » فباع ماهنالك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه . قال وتمنى قوم عند يزيد الرقاشى فقال « أتمنى كما تمنيتم » قالوا « تمنه » قال « ليتنا لم نخلق ، وليتنا إذ خلقنا لم نعص ، وليتنا اذ عصينا لم نمت ، وليتنا إذ متنا لم نُبعث ، وليتنا اذ بعثنا لم نحاسَب ، وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب ، وليتنا إذ عذبنا لم نخلد » وقال الحجاج « ليت الله إذ خلقنا للآخرة كفانا أمر الدنيا ، فرفع عنا الهم بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح ، أوليته إذ وقعنا فى هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجى من عذابه » فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن أو على بن الحسين فقال « ما علما شيئاً فى التمنى ، ما اختار الله فهو خير » قال أبو الدرداء « من هوان الدنيا على الله أنه لايعصى إلا فيها ، ولا ينال ماعنده الا بتركها » قال شريح « الحدة كناية عن الجهل » وقال أبو عبيدة « العارضة كناية عن البذاء » قال « واذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل ، واذا قالوا للعامل مستقصٍ فهو كناية عن الجور » وقال حبيب

[1] الينعة : واحدة الينع وهى شجر من جل الشجر . والاستحشاف : التقبض واليبس

ابن أوس الشاعر أبو تمام الطائى :

كَذَبْتُمُ لَيسَ يُزْهَى (١) مَنْ لهُ حَسَبٌ    وَمَنْ لهُ نَسَبٌ عمَّنْ لهُ أدَبُ
انّى لَذُو عَجَبٍ مِنكُمْ أُرَدِّدُهُ    فِيكمْ وفِى عَجَبِي مِنْ زَهْوِكم عَجَبُ
لجَاجَةٌ بِىَ فِيكمْ لَيسَ يُشبِهُهَا    الاَ لجاجَتكُمْ فى أنكُمْ عَرَب

وقيل لاعرابيـة مات ابنها « ما أحسن عزاءك عن ابنك » قالت « ان مصيبته آمنتنى من المصائب بعـده » قال وقال سـعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغـنى « أينا أسن أنا أو أنت ياطويس » فقال « بأبى أنت وأمى لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيـك الطيب » فانظر الى حذقـه والى معرفتـه بمخارج الكلام كيف لم يقل : بزفاف أمك الطيبـة الى أبيـك المبارك . وهكذا كان وجـه الكلام فقلب المعـنى . قال وقال رجل من أهـل الشام « كنت فى حلقـة أبى مسهر فى مسـجد دمشـق ، فذكرنا الكلام و براعتـه والصمت ونبـلتـه ، قال : كلا ان النجم ليس كالقمر ، انك تصف الصمت بالكلام ولاتصف الكلام بالصمت » وقال الهيثم بن صالح لابنـه وكان خطيبا « يابنى ، اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصـواب ، واذا أكـثرت من الكلام أقللت من الصـواب » قال « ياأبة ، فان أنا أكثرت وأكثرت » يعـنى كلاما وصوابا ، قال « يابنى ما رأيت موعوظا ٢ أحق بان يكون واعظا منـك » قال وقال ابن عباس « لولا الوسواس ما باليت أن لا أكلم الناس » قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنـه « ماتستبقوا من الدنيا تجـدوه فى الآخرة » وقال رجل للحسن « أنى أكره الموت » قال « ذلك أنك أخرت مالك ، ولو قدمته لسرك أن تلحق به » قال وقال عامر بن الظرب العـدوانى « الرأى نائم والهوى يقظان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأى » وقال « مكتوب فى الحكمة : أشكر لمن أنعم عليـك ، وأنعم على من شـكر لك » وقال بعضهم وهو أبو الدرداء « أيهـا الناس ، لايمنعنـكم سوء ماتعلمون منا أن تقبـلوا أحسن ماتسمعون منا » وقال عبـد الملك على المنبر « ألا تنصفوننا يامعشر الرعيـة ، تريدون منا سـيرة أبى بكر وعمر ولم تسيروا فى أنفسكم ولا فينا سـيرة رعيـة أبى بكر وعمر . نسال الله أن يعين كلا على كل » قال وقال رجـل من العرب « أربع لايشـبعن من أربع : أنثى من ذكر ،

١ لايتيه ولا يتكبر . والخطاب موجه الى بنى لهيعة لانه يهجو عياش بن لهيعة ٢ خ : موعظا

وعين من نظر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر » قال : وقال موسى عليه السلام لاهله « امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر » فقال قال بعض المعترضين : فقد قال « أو آتيكم بشهاب قبس » قال أبو عقيل : لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ومن الجائع المقرور . وقال لبيد بن ربيعة :

وَمَقامٍ ضَيِّقٍ فرَّجْتُهُ ... بِبَيانٍ ولِسانٍ وجَدَلْ
لَوْ يَقومُ الفِيلُ أوْ فَيّالُهُ ... زَلَّ عن مِثلِ مقامي وَزَحَلْ
وَلَدَى النُّعْمانِ مِني مَوْطِنٌ ... بَينَ فاثورِ أُفاقٍ فالدَّحَلْ (١)
إذْ دعَتْني عامِرٌ أنْصُرُها ... فالتقَى الألْسنُ كالنَّبْلِ الدُّوَلْ (٢)
فرَمَيْتُ القومَ رِشقاً صائِباً ... لَيسَ بالعُصْلِ ولاَ بالمُقْتَعِلْ (٣)
وانتَضلْنا وابْنُ سلْمَى قاعِدٌ ... كَعَتيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي ويُجَلّْ
وقَبيلٌ مِن لُكَيزٍ شاهدٌ ... رَهْطَ مَرْجومٍ ورَهْطِ ابنِ المُعَلّْ

وقال :

وأَبيضُ يَجتابُ الخُروقَ على الوَجى (٤) ... خَطيباً اذا التَفَّ المجامِعُ فاصِلاَ

وقال لبيد :

لوْ كانَ حيٌّ فِي الحياةِ مُخلَّداً ... فِي الدَّهرِ أدْرَكهُ أبو يَكسوم
بِكتائِبٍ خُرْسٍ تَعوَّدَ كَبْشُها ... نَطْحَ الكِباشِ شَبيهةٍ بنُجُوم
ولَقدْ بَلَوْتُكَ وابْتَلَيْتُ خَليقَتي ... ولَقدْ كَفاكَ مُعَلِّمي تَعْليمي

وقد قال أيضا لبيد :

ذَهَبَ الّذينَ يُعاشُ فِي أكْنافِهِمْ ... وبَقِيتُ في خَلَفٍ كَجِلدِ الأجرَبِ

---

١ فاثور : موضع أو واد فى نجد . والدحل : ماء نجدى . قال ياقوت أظنه لغطفان ٢ النبل المتداول
٣ الرشق « بكسر الراء » الاسم من رشق النبل وهو رميه . والعصل : جمع أعصل وهو السهم المعوج . والمقتعل : السهم الذى لم يبر بريا جيدا ٤ يجتاب : يقطع . الخروق : جمع خرق وهى الارض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والوجى : الحفا وهو أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر

يتأكَّلون مغالَةً وخيانةً (١) ويُعابُ قائِلُهم وانْ لَمْ يَشْغَبِ

وقال زيد بن جندب فى ذكر الشغب :

ما كانَ أغنى رجالاً ضَلَّ سعيُهمُ عن الجدالِ وأغناهُمْ عن الشَّغَبِ

وقال آخر فى الشغب :

إنّى إذا عاقبْتُ ذُو عِقابِ وإنْ تُشاغِبنى فذُو شِغابِ

وقال أحمر بن العمرّد :

وكَمْ حلّها من تيّحانٍ سَمَيْذَعٍ (٢) مُصافى النّدى ساقٍ بِسَهْماءَ مُطْعِمِ

طَوِى البَطْنِ مِتْلافٍ اذا هبَّت الصَّبا على الامْرِ غوّاصٍ وفى الحيّ شَيْظَمِ (٣)

وقال :

هلْ لامنى قَوْمٌ لِموْقفِ سائلٍ أوْفى مخاصَمةِ اللَّجوجِ الاصْيدِ

وقال فى التطبيق :

فَلمَّا أنْ بَدا الْقَعْقاعُ لجّتْ على شَرَكٍ تُناقِلُهُ نِقالا

تَعاوَرْنَ الحديثَ وطَبَّقتهُ كما طَبَّقْتَ بالنَّعْلِ المِثالا

وهذا التطبيق غير التطبيق الاول . وقال آخر :

لوْ كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لى بالعلمِ بعدَ تَدبُّرِ الامْرِ (٤)

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة ، قال لقمان لابنه « يا بنى ، انى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت » وقال الشاعر :

ماانْ نَدِمْتُ على سكُوتى مرّةً ولَقدْ نَدِمْتُ على الكلامِ مِرارا

وقال آخر :

خَلِّ جَنْبيْكَ لِرامِ وامْضِ عنهُ بسَلامِ

مُتْ بداءِ الصَّمْتِ خيرٌ لكَ من داءِ الكلامِ

---

١ المغالة المهلكة ٢ التيحان : الذى يعرض فيما لا يعنيه · والسميذع : السيد الكريم الشريف
٣ طوى البطن : ضامره · والشيظم : الاسد ٤ سبق هذا فى ص ٣ من هذا الجزء

إنّما المُسْلِمُ من     أَلْجَمَ فاهُ بِلِجامِ

وقال آخر فى التحذير والاحتراس :

اخفِضِ الصَّوتَ ان نطقتَ بِلَيْلٍ     والتفِتْ بالنهارِ قبلَ الكلامِ

وقال فى مثل ذلك :

لاأسألُ النّاسَ عمَّا في ضمائرِهِمْ     مافى ضميري لَهمْ مِنّي سيكفيني

وقال حمزة بن بيض :

لَمْ يكنْ عنْ جِنايةٍ لحِقَتْني     لايَسارِى ولا يَميني جَنَتْني

بَلْ جَناها أَخٌ عليَّ كريمٌ     وعلى أهلها بَراقِشُ تجني

لان هذه الكلبة – وهى براقش – انما نبحت غزيا وقد مرّوا من ورائهم وقد رجعوا خائبين محققين ، فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ، ولو سكتت كانوا قد سلموا . فضرب ابن بيض به المثل . وقال الاخطل :

تَنِقُّ بلا شيءٍ شُيوخُ محاربٍ     وما خِلتُها كانتْ تَريشُ ولا تَبْري

ضفادِعُ في ظَلْماءِ لَيلٍ تجاوَبَتْ     فَدَلَّ عليها صَوْتُها حيَّةَ النَّهرِ

النقيق صياح الضفادع . وقالوا «الصمت حكم وقليل فاعله» وقالوا «استكثر من الهيبة صامت» وقيل لرجل من كلب طويل الصمت «بحق ماسمتكم العلماء خُرْسَ العرب» فقال «أسكت فاسلم وأسمع فاعلم» وكانوا يقولون «لاتعدلوابالسلامة شيئاً» ولاتسمع الناس يقولون : جُلد فلان حين صمت ، ولاقُتل حين سكت . وتسمعهم يقولون : جلد فلان حين قال كذا وكذا ، وقتل حين قال كذا وكذا . وفى الحديث المأثور «رحم الله من سكت فسلم ، أو قال خيرا فغنم» والسلامة فوق الغنيمة لان السلامة أصل والغنيمة فرع . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم «ان الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه كما تخلل الباقرة بلسانها [1]» وقيل «ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» . وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين : انما عاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها ، والاعرابى المتشادق وهو الذى يصنع بفكيه وشدقيه مالا يَستجيزُهُ أهل الادب من خطباء أهل المدر ، فن تكلف ذلك

[1] سبق فى ص ٣٦ من هذا الجزء

منهم فهو أعيب والذم له ألزم . وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعا يتمثلون بها الا لما فيها من المرفق والانتفاع ، ومدار العلم على الشاهد والمثل

وانما حثوا على الصمت لان العامة الى معرفة خطأ القول أسرع منهم الى معرفة خطأ الصمت . ومعنى الصامت فى صمته أخفى من معنى القائل فى قوله ، والا فالسكوت عن قول الحق فى معنى النطق بالباطل

ولعمرى ان الناس الى الكلام لاسرع ، لان فى أصل التركيب أن الحاجة الى القول والعمل أكثر من الحاجة الى ترك العمل والسكوت عن جميع القول . وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ، ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله ، بل قد علمنا أن عامة الكلام أفضل من عامة السكوت . وقد قال الله عز وجل « سماعون للكذب أكالون للسحت » فجعل سمعه وكذبه سواء وقال الشاعر :

بَنى عَدِيّ أَلا يَنْهى سَفِيهُكُمُ ... انّ السَّفيهُ اذا لَمْ يُنْهَ مأمُورُ

وقال الآخر :

فانْ أنا لَمْ آمُرْ ولَمْ أنْهَ عَنْكُما ... ضَحِكْتُ لهُ حتّى يَلِجّ ويَسْتَشْرِي

وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل ، ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص . والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين . وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت . ومواضع الصمت المحمودة قليلة ، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة . وطول الصمت يفسد البيان . وقال بكر بن عبد الله المزنى « طول الصمت حبسة » كما قال عمر « ترك الحركة عقلة » واذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه . وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ، ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت ، وتحقيق الاعراب . لان ذلك يفتق اللهات ، ويفتح الجرم . واللسان اذا أكثرت تحريكه رق ولان ، واذا أقللت تقليبه وأطلت اسكانه جسأ وغلظ . وقال عباية الجعفى « لولا الدربة وسوء العادة لامرت فتياننا أن يتمارى بعضهم بعضا » وأيةُ جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الاعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع . فلم قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم للنابغة الجعدى « لا يفضض الله فاك » ولم قال لكعب بن مالك « ما نسى الله لك مقالك ذلك » ولم قال لهيذان بن شيخ « ربّ خطيب من عبس » ولم قال لحسان لما هيج الغطار يتغ على بنى عبد

مناف « والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام » وما نشك أنه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن المراء وعن التزيد والتكلف وعن كل ماضارع الرياء أو السمعة والنفج [١] والبذخ وعن التهاتر والتشاغب وعن المغالبة والمماتنة . قال فاما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله وهو الذى مدح التبيين وأهل التفضيل. وفى هذا كفاية ان شاء الله

قال دغفل بن حنظلة ان للعلم أربعاً : آفة ونكداً واضاعة واستجاعة . فآفته النسيان ، ونكده الكذب ، واضاعته وضعه فى غير موضعه ، واستجاعته أنك تشبع منه . وانما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء وخرق سياسة أكثر الرواة ، لان الرواة اذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ماقد حصلوه وتدبر ماقد دونوه كان ذلك الازدياد داعياً الى النقصان وذلك الربح سببا للخسران . وقد جاء فى الحديث « منهومان لايشبعان : منهوم فى العلم ومنهوم فى المال » وقالوا « علم علمك وتعلم علم غيرك ، فاذا أنت قد علمت ماجهلت وحفظت ماعلمت » وقال الخليل بن أحمد « اجعل تعليمك دراسة لعلمك ، واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ماليس عندك » وقال بعضهم وأظنه بكر بن عبد الله المزنى « لاتكدوا هذه القلوب ولا تهملوها ، فخير الكلام ما كان عقب الجمام [٢] ، ومن أكره بصره عشي . وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ، ولا تيأسوا من اصابة الحكمة اذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فان من أدام قرع الباب ولج » وقال الشاعر :

اذا المَرءُ أعيَتهُ المُروءةُ ناشئاً فمَطلَبُها كَهلاً عَليهِ شَديدُ

وقال الاحنف « السؤدد مع السواد [٣] » وتقول الحكماء « من لم ينطق بالحكمة قبل الاربعين لم يبلغ فيها » وأنشد :

وَدُونَ النَّدَى فى كلِّ قَلبٍ ثَنيةٌ لَهامَصعَدٌ حَزنٌ ومُنحدَرٌ سَهلُ
وَوَدَّ الفتى فى كلِّ نَيلٍ يُنيلُهُ اذا مااَنقضَى لوأنَّ نائِلَهُ جَزلُ

وقال الهذلى :

وانَّ سيادَةَ الاقوامِ فاعلَمْ لَها صَعَداءُ مَطلَبُها طَويلُ

---

١ نفج الانسان : فخر بما ليس عنده ٢ الراحة ٣ أى مع سواد الشعر ، يريد فى حال الشباب

أَتَرْجُو أَنْ تَسُودَ وَلَنْ تَعَنَّى　　وَكَيْفَ يَسُودُ ذُو الدَّعَةِ الْبَخِيلُ

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال « ما رأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض ، الا ما كان من الحجاج واياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس » أبو الحسن قال سمعت أبا الضعرى الحارثى يقول « كان الحجاج أحمق ، بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم : لا تدخلوها . فلما مات دلفوا اليها من قريب » سمعت قحطبة الجشمى يقول « كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله ابن سالم » وقال معاوية لعمرو بن العاص « ان أهل العراق قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان قصير الرأى ، فأجد الحز وطبق المفصل ، واياك أن تلقاه برأيك كله [١] »

( باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول )

قال الشاعر :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ　　رَخِيمُ الحَوَاشِى لا هُرَاءٌ وَلا نَزْرُ

وقال ابن أحمر :

تَضَعُ الحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ　　وَكَلَامُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال الآخر :

حَدِيثٌ كَطَعْمِ الشَّهْدِ حُلْوٌ صُدُورُهُ　　وَأَعْجَازُهُ الخُطْبَانُ دُونَ المَحَارِمِ

وقال بشار :

أُنُسٌ غَرَائِرُ مَا هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ　　كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

يُحْسَبْنَ مِنْ أُنْسِ الحَدِيثِ زَوَانِيًا　　وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنَا الإِسْلَامُ

وقال بشار :

فَنَعِمْنَا وَالعَيْنُ حَيٌّ كَمِيتٍ　　بِحَدِيثٍ كَنَشْوَةِ الخَنْدَرِيسِ [٢]

وقال بشار :

---

١ سبق هذا فى ص ٩٦ من هذا الجزء　٢ الخمرة

وكأنّ رَفضَ حديثها (١) قِطعُ الرِّياضِ كُسينَ زهرا
وتخالُ ما جمعتْ عليه ثيابُها ذهباً وعطرا
وكأنّ تحت لسانها هاروتَ ينفثُ فيه سحرا

وقال بشار العقيلى :

وفتاةٍ صبَّ الجمالُ عليها بحديثٍ كلذّةِ النشوانِ

وقال بشار :

وبكرٍ كنوّارِ الرّياضِ حديثُها تروقُ بوجهٍ واضحٍ وقوامِ

وقال بشار :

وحديثٍ كأنّهُ قِطعُ الرّوْ ضِ وفيهِ الصّفراءُ والحمراءُ

وقال الاخطل :

فأسرين خمساً ثمَّ أصبحنَ غدوةً يُخبّرنَ أخباراً ألذَّ من الخمرِ

أخبرنا عامر بن صالح أن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب الى امرأته وعنده اخوان له :

إنَّ عندي أبقاكِ ربُّكِ ضيفاً واجباً حقُّهم كهولاً ومُردا
طرقوا (٢) جاركِ الّذي كان قِدماً لا يرى من كرامةِ الضيفِ بُدّا
فلديهِ أضيافهُ قد قراهمْ وهمُ يشتهونَ تمراً وزُبدا
فلهذا جرى الحديثُ ولكنْ قد جعلنا بعضَ المزاحةِ جِدّا

وأنشد الهذلى :

كرّوا الأحاديثَ عن ليلى اذا بعُدتْ انّ الأحاديثَ عن ليلى لتُلهيني

وقال الهذلى فى حلاوة الحديث :

---

١ لعله مستعار من رفض اللبن والماء وهو القليل منه ٢ خ : تركوا

وانَّ حَديثاً مِنكِ لَوْ تَبذُلينَهُ     جنَى النَّحلِ أَو أَلبانُ عوذٍ مَطافِلِ

العوذ جمع عائذ وهى الناقةاذا وضعت . فاذا مشى ولدها فهى مرشح . فاذا تبعها فهى متليه لانه يتلوها . وهى فى هذا كله مطفل . فان كان أول ولد لها ولدته فهى بكر

مَطافِيلُ أَبكارٌ حَديثٌ نتاجُها     تُشابُ بِماءٍ مِثلِ ماءِ المَفاصِلِ

ماء المفاصل فيه قولان : أحدهما أن المفاصل مابين الجبلين واحدها مفصل ، وانما أراد صفاء الماء لانه ينحدر عن الجبال ولا يمر بطين ولا تراب . ويقال انها مفاصل البعير وذكروا أن فيها ماء له صفاء وعذوبة

وفى الكلام الموزون يقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

الزَمِ الصمْتَ انَّ فى الصَّمتِ حكْماً     واذا أَنتَ قلْتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

وقال أبو ذؤيب :

وَسِربٍ يُطَلَّى بالعَبيرِ كأَنَّهُ     دماءُ ظِباءٍ بالنُّحورِ ذَبيحِ

بَذلْتَ لَهنَّ القَوْلَ انَّكَ واجدٌ     لِما شئتَ مِنْ حُلوِ الكَلامِ فَصيحِ

السرب الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء ، بكسر السين ، ويقال فلان آمن السرب بفتح السين وخلى السرب وواسع السرب أى المسالك والمذاهب ، وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب ، وعن الاصمعى فلان واسع السرب مكسور أى واسع الصدر بطئ التانيب

قال وأنشد للحكم بن ريحان من بنى عمرو بن كلاب :

يا أَجدَلَ النَّاسِ انْ جادلْتَهُ جَدَلاً     وأَكثرَ الناسِ ان عاتَبْتَهُ عِللاَ

كانَّما عَسَلٌ رُجْعانُ مَنْطِقِها     انْ كانَ رَجْعُ الكَلامِ يُشْبِهُ العَسَلاَ

وقال القطامى :

وفى الخُدُورِ غَماماتٌ بَرَقْنَ لَنا     حتىَّ تَصَيَّدْنَنا مِنْ كلِّ مُصْطادِ

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ     مَواقِعَ الماءِ مِنْ ذى الغُلَّةِ الصَّادى

ينبذن يلقين . الغلة والغليل العطش الشديد . والصادى العطشان أيضا ، الاسم الصدى . وقال الاخطل :

شمسٌ اذا خَطَلَ (١) الحديثُ أوانِسٌ    يُرْقِبْنَ كلَّ مُرَقَّبٍ تِنْبالُ

التنبال القصير ، والجذر مثله . والشمس النوافر

أُنُفٌ كانَّ حَدِيثَهُنَّ تَنادُمٌ    بِالْكأسِ كلُّ عَقيلَةٍ مِكسالُ

الانف جمع الانفة وهى المنكرة للشيء غير راضية عنه . العقيلة المصونة فى اهلها ، وعقيلة كل شيء خيرته . والمكسال ذات الكسل عن الحركة . وقال أبو العميثل :

لَقيتُ ابنةَ السهمىِّ زَينَبَ مِن غُفْرِ    ونحنُ حَرامٌ (٢) مُسْيَ عاشِرَةِ العَشْرِ

* وانّى واياها لَحَتْمٌ مَبِيتُنا    جَميعاً ومَسْرَانا مُغِذٌّ وذو فَتْرِ (٣)

فَكَلَّمْتُها ثِنْتَيْنِ كالثَّلجِ مِنْهُما    على اللَّوْحِ والأُخرى أحَرُّ مِنَ الجَمْرِ

تقول مايلقانا فلان الا عن غفر أى بعد مدة . مسى أى وقت المساء. ويقال أغذ السير اذا جد فيه وأسرع . واللوح بالفتح العطش يقال لاح الرجل يلوح لوحا ، والتاح يلتاح التياحا اذا عطش ، واللوح أيضا الذى يكتب فيه ، واللوح بالضم الهواء يقال لاأفعل ذلك لو نزوت فى الاوح أو حتى تنزو فى اللوح . وأنشد :

وانّا لَنُجرى بَيْنَنا حِينَ نَلْتَقي    حديثاً لهُ وَشْيٌ كَوَشْيِ المَطارِفِ

حديثٌ كَطَعمِ القَطْرِ في المَحْلِ يُشْتَهَى    بِهِ مِن جوًى في داخِلِ القَلْبِ لاطِف

وقال الشماخ بن ضرار التغلبى :

يَقَرُّ بعَيْنى ان أُنَبَّأ أنّها    وان لمْ أنَلْها أيِّمٌ لمْ تَزَوَّجِ

وكُنتُ اذا لاقَيْتُها كانَ سِرُّنا    ومابَيْننا مِثْلَ الشِّواءِ المُلهوَجِ (٤)

يريد أنهما من خوف الرقباء كانا على عجلة . والملهوج المعجل الذى لم ينتظر به النضج . وقال جران العود :

فَنِلْنا سِقاطاً مِنْ حَديثٍ كأنّهُ    جَنَى النَّحلِ أوْ أبكارُ كَرْمٍ يُقَطَّفُ (٥)

حديثاً لَو انَّ البَقلَ يُولى بِمِثْلِهِ    زَها البَقْلُ واخضَرَّ العِضاهُ المُصَيِّفُ (٦)

١ فسد ٢ يقال رجل وامرأة حرام اذا دخلا فى شيء حرم عليهما به ما كان حلالا كالحج وغيره . وجمعه حرم بضمتين ٣ ذو ضعف ٤ اللحم الذى لم ينعم شيه ٥ ساقطهم الحديث سقاطا : حادثهم شيئا بعد شيء . كرم بكر : حمل أول حمله ٦ العضاه : كل شجر يعظم وله شوك

وقال الكميت :

وحَدِيثهنَّ اذا التقيْنَ     تهاتُفُ البيضِ الغَرَائِرْ (١)
فاذا ضَحِكْنَ عَنِ العذَابِ     لنا المُسـفَّات الثَّواغِرْ (٢)
كانَ التَّهلُّلُ بالتَّبسُّمِ     لاالفهاهةُ بالقراقِرْ (٣)

وقال الآخر :

ولمَّا تلاقينا جرَى مِنْ عُيُونِنا     دُمُوعٌ كففنا غربَها بالاَصابعِ
ونلْنا سِقاطاً مِنْ حدِيثٍ كأنَّهُ     جَنَى النحلُ ممزُوجاً بماءِ الوقائعِ (٤)

وقال الاشعب بن سمى :

هلْ تعرِفُ المَبْدا الى السَّنامِ     ناطَ بهِ سَواحِرَ الكلامِ
كلامُهُنَّ بُرْءُ ذِى السَّقامِ

وقال الراجز و وصف عيون الظباء بالسحر وذكر قوسا صفراء فقال :

صفْراءُ فرْعٌ خطْوُها بوتَرْ     لأمٌ مُمرٌّ مِثلُ حلقُومِ النُّغَرْ (٥)
حدَتْ ظُباتِ أسهُمٍ مِثلِ الشَّرَرْ     فصرَعتْهُنَّ باكْنافِ الحَفَرْ (٦)
حُورَ العُيُونِ بابلِيَّاتِ النَّظَرْ     يَحْسَبُها النَّاظِرُ مِنْ وَحْشِ البَشَرْ

ويروى « البقر »

## *( باب آخر من الاسجاع فى الـكلام )*

قال عمر بن ذر « الله المستعان على ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمـال تخلف »

---

١ تهاتفت النساء : تضاحكت فى فتور كضحك المستهزئ ٢ العذاب : صفة لموصوف محذوف وهو الثنايا . والمسف : المتتبع مداق الامور . وأثغر فلان : دق فمه ٣ الفهاهة : العى . والقراقر : جمع قرقرة وهى الضحك العالى ٤ الوقائع : جمع وقيعة وهى نقرة فى صخرة يجتمع فيها الماء ، واشتقاقه من توقيع الحديدة بالميقعة أى ضربها . والبيتان لذى الرمة ٥ الفرع : القوس غير المشقوقة . سهم لأم : عليه ريش يلائم بعضه بعضا : الممر : المفتول فتلا شديدا . النغر : البلبل ٦ الحفر : البئر الموسعة ٩ الوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره . والدقل : أردأ التمر

ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال « لأعطى من يعصى الرحمن ، ويطيع الشيطان ، ويقول البهتان » وفى الحديث المأثور « يقول العبد : مالى مالى ، وانما لك من مالك ما أكلت فافنيت ، أو أعطيت فامضيت ، أو لبست فابليت » وقال النمر بن تولب :

أعاذلَ ان يُصبحْ صداىَ بقفرةٍ بَعيداً فآتى صاحِبي وقَريبي

تَرَىْ أَنَّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّهُ وانَّ الذى أنفقتُ كانَ نَصيبِي

الصدى طائر يخرج من قبر الميت فينعى اليه ضعف وليه وعجزه ، وهكذا كانت العرب تقوله فى الجاهلية ، وهو هاهنا مستعار أى ان أصبحت أنا

ووصف أعرابى رجلا فقال « صغير القدر ، قصير الشبر ، ضيق الصدر ، لئيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر » الشبر القامة . والنجر الطباع . ووصف بعض الخطباء رجلا فقال « مارأيت أضرب لمثل ، ولا أركب لجمل ، ولا أصعد فى قلل منه » وقال « سأل بعض الامراء رسولا قدم من جهة السند : كيف رأيتم البلاد » فقال « ماؤها وشل ، ولصها بطل ، وتمرها دقل . ان كثر الجند بها جاعوا ، وان قلوا بها ضاعوا » وقيل لصعصعة بن معاوية « من أين أقبلت » قال « من الفج العميق » قال « فاين تريد » قال « البيت العتيق » قالوا « هل من مطر » قال « نعم حتى عفا الاثر . وأنضر الشجر . ودهده الحجر » واستجار عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوج بها امرأة فقال محمد « كيف ترى نصيبين » قال « كثيرة العقارب . قليلة الاقارب » يريد بقوله قليلة كقول القائل « فلان قليل الحياء » ليس يريد أن هنالك حياء وان قل . يضعون قليلا فى موضع ليس . وولى علاء الكلابى عملا خسيسا بعد أن كان على عمل جسيم فقال « العنوق بعد النوق [١] » قال ونظر رجل من العباد الى باب بعض الملوك فقال « باب جديد . وموت عتيد . ونزع شديد . وسفر بعيد » وقيل لبعض العرب « أى شيء تمنى وأى شيء أحب اليك » قال « لواء منشور . والجلوس على السرير . والسلام عليك أيها الامير » وقيل لآخر وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله « أجزعت من الموت » فقال « ان أجزع فقد أرى كفنا منشورا . وسيفا مشهورا . وقبرا محفورا » وقال عبد الملك بن مروان لأعرابى « ما أطيبُ الطعام » قال « بكرة

---

١ العنوق : جمع عناق وهى أنثى المعز قبل استكمالها الحول ، يضرب مثلا : للضيق بعد السعة

سنمة . معتبطة غير ضمنه . فى قدور رذمه . بشفار خذمه . فى غداة شبمه [١] » فقال عبد الملك « وأبيك لقد أطيبت » والشبم البرد . وقالوا « لاتغتر بمناصحة الامير اذا غشك الوزير [٢] » وقالوا « من صادق الكتاب أغنوه ، ومن عاداهم أفقروه » وقالوا « اجعل قول الكذاب ريحا تكن مستريحا »

وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى « لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى واقامة الوزن » قال « ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان [٣] لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره » قالوا فقد قيل للذى قال « يارسول الله ، أرأيت من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس مثل ذلك بطل » ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أسجع كسجع الجاهلية » قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه باس ، ولكنه عسى أن يكون أراد ابطالا لحق فتشادق فى كلامه . وقال غير عبدالصمد : وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قالوا شعرا قليلا كان ذلك أم كثيرا ، وسمعوا واستنشدوا ، فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ماهو أكثر ويحرم ماهو أقل . وقال غيرهما : اذا لم يطل ذلك ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة أو ملتمسة متكلفة وكان ذلك كقول الاعرابى لعامل الماء « حلبت ركابى ، وحرقت ثيابى ، وضربت صحابى ، ومنعت ابلى من الماء والكلأ [٤] » والركاب مايركب من الابل . قال « أو سجع أيضا » فقال الاعرابى « فكيف أقول » لانه لو قال : حلبت ابلى أو جمالى أو نوقى أو بعرانى أو صرمتى لكان لم يعبر عن حق معناه ، وانما حلبت ركابه ، فكيف يدع الركاب الى غير الركاب . وكذا قوله « حرقت ثيابى ، وضربت صحابى » . لان الكلام اذا قل وقع وقوعا لا يجوز تغييره ، واذا طال وجدت فى القوافى مايكون مجتلبا ومطلوبا مستكرها . وفى الحديث المأثور

---

١ البكرة : ناقة فتية • سنمة : عظيمة السنام وهو الحدبة التى فى ظهر البعير والناقة • معتبطة : سخرت لغير علة • غير ضمنة : غير زمنة ومبتلاة فى جسدها من داء أو غيره • قصعة رذمة ورذوم : ممتلئة تصب جوانبها • خذمة : قاطعة • غدوة شبمة : بكرة باردة ٢ سيأتى فى ص ٣٦ من الجزء الثانى
٣ خ : والاذهان

ويدخل على من طعن فى قوله تعالى « تبت يدا أبى لهب» وزعم أنه شعر ، لانه فى تقدير مستفعلن مفاعلن ـ وطعن فى قوله عليه السلام :

هَلْ أنتِ الاّ اِصبَعٌ دَميتِ وفى سَبيلِ اللهِ مالَقيتِ (١)

فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلن كثيرا ، وليس أحد فى الارض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن رجلا من الباعة صاح «من يشترى باذنجان» لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولان ، فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد الى الشعر . ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام . واذا جاء المقدار الذى يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعرا . وهذا قريب والجواب فيه سهل بحمد الله . وسمعت غلاما لصديق لى وكان قد سقى بطنه يقول لغلمان مولاه «اذهبوا بى الى الطبيب وقولوا قد اكتوى» وهذا الكلام يخرج وزنه فاعلاتن مفاعلن مرتين ، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا. ومثل هذا كثير لو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته

وكان الذى كرّه الاسجاع بعينها ـ وان كان دون الشعر فى التكلف والصنعة ـ أن كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رئيا ٢ من الجن مثل (حازى جهينة) ومثل (شق) و(سطيح) و(عزى سلمة) وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع كقوله «والارض والسماء ، والعقاب والصقعاء ٣ ، واقعة ببقعاء ٤ ، لقد نفر المجد بنى العشراء ، للمجد والسناء »وهذا الباب كثير. ألا ترى أن (ضمرة بن ضمرة) و(هرم بن قطبة) و(الاقرع بن حابس) و(نفيل بن عبد العزى) كانوا يحكمون وينفرون بالاسجاع وكذلك (ربيعة بن حذار) قالوا فوقع النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفى صدور كثير منهم . فلما زالت العلة زال التحريم

وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهوا منهم أحدا . وكان الفضل بن عيسى الرقاشى سجاعا فى قصصه وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبى عياش يأتون مجلسه . قال له داود بن أبى هند : لولا أنك تفسر القرآن برأيك لاتيناك فى مجلسك . قال فهل ترانى أحرم حلالا وأحل

١ حقق ابن معصوم ان هذا البيت من انشاده صلى الله عليه وعلى آله وسلم لامن انشائه
٢ جنى يرى فيحجب ٣ الشمس ٤ القطعة من الارض المخالفة لما جاورها . والسنة فيها خصب وجدب

حراما . وانما كان يتلو الآية التى فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت وأشباه ذلك
وقد كان عبد الصمد بن الفضل وأبو العباس بن القاسم بن يحيي وعامة قصاص البصرة
وهم أخطب من الخطباء يجلس اليهم عامة الفقهاء . وقد كان النهى ظاهرا عن مرثية
أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر كقوله :

هَلاَّ بَكَيتَ على الكِرَامِ بَني الكِرَامِ أُولِى المَمادِحْ

وروى ناس شبيها بذلك فى هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة . فلما زالت العلة زال النهى

وقال أبو واثلة بن خليفة فى عبد الملك بن المهلب :

لَقَدْ صَبَرَتْ للذُّلِّ أعْوادُ مِنبَرٍ تَقُومُ عَلَيْها فِى يَدَيْكَ قَضِيبُ
بَكَى المِنْبَرُ الغَرْبِىُّ اذ قُمتَ فَوْقَهُ فَكادَتْ مَسامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ
رَأيْتُكَ لَمّا شِبْتَ أدرَكَكَ الَّذِى يُصِيبُ سَرَاةَ الأزْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهةُ أحلَامٍ وبُخلٌ بنائِلٍ وفِيكَ لِمَنْ عابَ المَزُونَ (١) عُيوب

قال وخطب الوليد بن عبد الملك فقال «ان أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : ان الحجاج جلدة ما بين عينى ، ألا وانه جلدة وجهى كله» وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبى مسلم فقال « انما مثلى ومثل يزيد بن أبى مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فاصاب دينارا» . شبيب بن شيبة قال حدثنى خالد بن صفوان قال : خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال «انى قد أسمع قول الرعاع : قد جاء مسلمة . وقد جاء العباس . وقد جاء أهل الشام . وما أهل الشام الا تسعة أسياف سبعة منها معى واثنان علي . وأما مسلمة فجرادة صفراء . وأما العباس فنسطوس بن نسطوس ، أتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس . انما أقبل اليكم الفلاحون والاوباش كاشلاء اللحم . والله مالقوا أقواماً قط كحدّكم وحديدكم وعدكم وعديدكم . أعيرونى سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم . فانما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا و بين القوم الفاسقين »

ومدح بشار هزار مرد العتكى بالخطب وركوبه المنابر بل ثاه وابنه فقال :

١ مزن مزونا : مضى لوجهه وذهب

مابالُ عينكَ دمعُها مسكوبُ سهرتْ فانتَ بنو مهامحروبُ (١)
وكذاكَ من صحبَ الحوادثَ لم يزلْ تأتى عليهِ سلامةٌ ونكوب
ياأرضُ ويحكِ أكرميهِ فانهُ لم يبقَ للعتكىّ فيكِ ضريبُ (٢)
أنهى على خشبِ المنابر قائماً يوماً وأحزمُ اذ تشبُّ حروبُ

قال كان سوار بن عبد الله أول تميمى خطب على منبر البصرة . ثم خطب عبيد الله بن الحسن . وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء : بلال . وسوار . وعبيد الله . وأحمد بن رباح . وكان بلال قاضيا ابن قاض ابن قاض . وقال رؤبة :

فانتَ ياابنَ القاضيينِ قاضى معتزم على الطَّريقِ ماضى

قال أبو الحسن المداينى كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدى معزيا أعد له كلاما . فبلغه أن الناس قد أعجبهم كلامه . فقال لشبيب بن شيبة : انى والله ماالتفت الى هؤلاء . ولكن سل لى عنها أبا عبيد الله الكاتب . فسأله فقال : ماأحسن ماتكلم به . على أنه أخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عبيد الله : لا والله ان أخطأ حرفا واحدا

وكان محمد بن سليمان له خطبة لايغيرها ، وكان يقول « ان الله وملائكته » فكان يرفع الملائكة ، فقيل له ذلك فقال : خرّجوا لها وجها ، ولم يكن يدع الرفع

قال وصلى بنا خزيمة يوم النحر فخطب فلم يسمع من كلامه الا ذكر أمير المؤمنين الرشيد وولى عهده محمد . قال وكان زهير بن محمد الضبي يداريه اذا قرع المنبر وقال الشاعر :

أميرَ المؤمنينَ اليكَ نشكو وانْ كُنَّا نقومُ بغيرِ عذرِ
غفرْتَ ذُنوبنا وعفوْتَ عنهُ وليستْ منك ان تعفو ببكرِ
فانَّ المنبرَ البصريَّ يشكو على العلاّت اسحق بنَ شمرِ
أضبّىٌّ على خشباتِ ملكٍ كمركبِ ثعلبٍ ظهرَ الهزبرِ (٣)

١ مسلوب ماله ٢ الضريب : والمثل ٣ الاسد

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر :

مازِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قائِمٍ حَتّى اجْتَرَأْتَ على رُكُوبِ المِنْبَرِ
مازالَ مِنْبَرُكَ الذي دَنَّسْتَهُ بالأَمْسِ مِنْكَ كَحائِضٍ لَمْ تَطْهُرِ

وقال آخر :

فَما مِنْبَرٌ دَنَّسْتَهُ باسْتِ أَفْكَلٍ (١) بِزاكٍ ولَوْ طَهَّرْتَهُ بابْنِ طاهِرِ

## *( باب أسجاع )*

عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبي قال قال عيسى بن مريم عليه السلام « البر ثلاثة : المنطق ، والمنظر ، والصمت . فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها » وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه « أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج » وقال يزيد بن المهلب، وهو فى الحبس « والهفاه على طلبة بمائة ألف وفرج فى جبهة الاسد » وقال عمر رضى الله تعالى عنه « استغزروا الدموع بالتذكر » وقال الشاعر :

وَلا يَبْعَثُ الأَحْزانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

حفص قال سمعت عيسى بن عمر يقول سمعنا الحسن يقول « اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة ، واعصوها فانكم ان أطعتموها تنزع بكم الى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور »

اقدعوا كفوا . طلعة أى تطلع الى كل شيء . حادثوا أى اجلوا واشحذوا . والدثور الدروس ، يقال دثر أثر فلان أى ذهب كما يقال درس وعفا

قال فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه . وقال الشاعر :

سَمِعْنا بِهَيْجا أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ ولا يَبْعَثُ الاَحْزانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

الوجيف السير الشديد ، يقال وجف الفرس والبعير وأوجفته ، ومثله الايضاع

---

١ الافكل : الرعدة من برد أو خوف ، فهو على حذف مضاف أى ذى أفكل

وهو الاسراع . أراد بهيجاء أقبلت مسرعة

ومن الاسجاع قول أيوب بن القِرِّيَّة ، وقد كان دعى لكلام فاحتبس القول عليه فقال « قد طال السمر ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فماذا ينتظر » فاجابه فتى من عبد القيس فقال « قد طال الارق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق ، فلينطق من نطق »

اللثق الندى الوحل

وقال أعرابى لرجل « نحن والله آكل منكم للمأدوم ، وأكسب منكم للمعدوم ، وأعطى منكم للمحروم » ووصف أعرابى رجلا فقال « ان رفدك لنحيح [١] ، وان خيرك لسريح ، وان منعك لمريح سريح »

عجل مريح أى مريح من كدّ الطلب

وقال عبد الملك لاعرابى « ماأطيب الطعام » فقال « بكرة سنمة ، فى قدور رذمة ، بشفار خذمة ، فى غداة شبمة » فقال عبد الملك « وأبيك لقد أطيبت »

وسئل أعرابى فقيل له « ماأشد البرد » فقال « ريح جربياء [٢] ، فى ظل عماء ، فى غب سماء »

ودعا أعرابى فقال « اللهم انى أسالك البقاء ، والنماء ، وطيب الاناء ، وحط الاعداء ، ورفع الاولياء » الاناء الرزق

وقال ابراهيم النخعى لمنصور بن المعتمر « سل مسالة الحمقى ، واحفظ حفظ الكيسى » ووصفت عمة حاجز اللص حاجزا ففضلته وقالت « كان حاجز لايشبع ليلة يضاف . ولاينام ليلة يخاف »

ووصف بعضهم فرسا فقال « أقبل بزبرة الاسد . وأدبر بعجز الذئب »

الزبرة مغرز العنق ويقال الشعر الذى بين كتفيه . ووصفه بانه محطوط الكفل

قال ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال « هذا أمير المؤمنين — وأشار بيده الى معاوية — فان مات فهذا — وأشار بيده الى يزيد — فمن أبى فهذا — وأشار بيده الى سيفه » فقال معاوية « أنت سيد الخطباء »

قالوا ولما قامت خطباء نزار عند معاوية فذهبت فى الخطب كل مذهب قام

١ شحيح نحيح : بخيل ٢ شمال باردة . ومثل هذا قول ابنة الخس وقد سئلت : ماأشد البرد ، فقالت « شمال جربياء ، تحت غب السماء »

صبرة بن شبمان فقال « ياأمير المؤمنـين ، إنا حى فعال ولسنا حى مقال ، ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا »

قال ولما وفد الاحنف فى وجوه أهـل البصرة الى عبـد الله بن الزبير تكلم أبو حاضر الاسيدى ــ وكان خطيبا جميلا ــ فقال له عبد الله بن الزبير « أسكت ، فوالله لوددت أن لى بكل عشرة من أهـل العراق رجـلا من أهـل الشام صرف الدينار بالدرهم » قال « ياأمير المؤمنـين ، ان لنا ولك مثلا ، أفتأذن فى ذكره » قال « نعم » قال « مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى حيث يقول :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعلقتْ رَجُـلاً  غيْرِى وعُلِّقَ أُخرى غيْرَها الرَّجلُ

أحبـَّك أهل العراقِ ، وأحببتَ أهـل الشام ، وأحبَّ أهـل الشام عبـد الملك ابن مروان »

على بن مجاهد عن حميـد بن أبى البحترى قال : ذكر معاوية لابن الزبير بيعة يزيد فقال ابن الزبير « انى أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تقدم ، وتفكر قبل أن تنـدم ، فان النظر قبل التقـدم ، والتفكر قبـل التنـدم » فضحك معاوية ثم قال « تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر ، إن فى دون ماسجعت به على أخيك مايكفيك » ثم أخذ بيده فاجلسه معه على السرير

أخبرنا ثمـامة بن أشرس قال : لمـا صرفت اليمانية ــ من أهل مزة [١] ــ المـاء عن أهل دمشق و وجهوه الى الصحارى كتب اليهم أبو الهيذام « الى بنى أستها أهل مزة ، ليمسيننى المـاء أو لتصبحنكم الخيل » قال : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا . أى يصيرون فى وقت عتمة الليل ، وعتمته ظلامه يقال عتم الليل يعتم اذا أظلم وأعتم الناس صاروا فى وقت العتمة . فقال أبو الهيذام « الصدق ينبى عنك لاالوعيد »

وحدثنى ثمـامة عمن قدم عليـه من أهـل الشام قال : لما بايع الناس يزيد بن الوليد وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ [٢] والتحبس كتب اليه « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليـد الى مروان بن محمد . أما بعـد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فاذا أتاك كتابى هـذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام »

---

١ قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق بينهما نصف فرسخ . و يقال لها « مزة كلب » أيضا لان فيها قبر دحية الكلبى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢ التأخر

وهاهنا مـذاهب تدل على أصالة الرأى ومـذاهب تدل على تمام النفس وعلى الصلاح والكمال لاأرى كثيرا من الناس يقفون عليها

واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم ـ وأبان بن عثمان بحذاء المنبر ـ فشتم طلحة والزبير . فلما نزل قال لابان « أرضيتك من المدهنين فى أمير المؤمنين» قال « لاوالله . ولكن سؤتنى . حسبى أن يكونا شركاء فى أمره » فما أدرى أيهما أحسن : كلام أبان بن عثمان هذا أم اسحق بن عيسى فانه قال « أعيذ عليا بالله أن يكون قتل عثمان . وأعيذ عثمان بالله أن يقتله على » فمدح عليا بكلام سديد غير نافر ومقبول غير وحشى . وذهب الى معنى الحديث فى قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أشد أهل النار عذابا من قتل نبيا أوقتله نبى » يقول : لايتفق أن يقتله نبى بنفسه الا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرأهم على معصيته . فيقول : لايجوز أن يقتله علىّ الا وهو مستحق للقتل

*( خطبة من خطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم )*

قال خطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعشر كلمات . حمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس ، ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم . وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . ان المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لايدرى ماالله صانع به ، و بين آجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته . ومن الشبيبة قبل الكبرة . ومن الحياة قبل الموت . فوالذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب . ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار »

أبو الحسن المدائنى قال تكلم عمار بن ياسر يوما فاوجز فقيل له : لو زدتنا . قال : أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باطالة الصلاة وقصر الخطبة

محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار من بنى زريق أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم فسلحه اياه ثم قال « ياجبير ، ممن كان النعمان » قال « من أشلاء قنص بن معد » وكان جبير أنسب العرب . وكان أخذ النسب عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . وعن جبير أخذ سعيد بن المسيب . وروى عن بعض ولد طلحة قال قلت لسعيد ابن المسيب : علمنى النسب . قال : أنت رجل تريد أن تسابّ الناس . قال وثلاثة فى

نسق واحد كانوا أصحاب نسب : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . أخذ ذلك عن الخطاب . وكان كثيرا مايقول « سمعت ذلك عن الخطاب . ولم أسمع ذلك من الخطاب » . والخطاب بن نفيل . ونفيل بن عبد العزى تنافر اليه عبد المطلب وحرب ابن أمية فنفر عبد المطلب . أى حكم لعبد المطلب . والمنافرة المحاكمة

قال والنساب أربعة : دغفل بن حنظلة ، وعميرة أبو ضمضام ، وصبيح الحنفي ، وابن الكيس النمرى . قال الاصمعى دغفل بن حنظلة والنسابة البكرى وكان نصرانيا ولم يسمه

*( ذكر كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك )*

قال « اتخذوا كتاب الله إماما ، وارضوا به حكما ، واجعلوه قائدا ، فانه ناسخ لما قبله ولم ينسخه كتاب بعده » قال : وأول كلام بارع سمعوه منه « الكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لايعنيك خير من الكلام فيما يضرك »

خلاد بن يزيد الارقط قال سمعت من يخبرنا عن الشعبي قال : ماسمعت متكلما على منبر قط تكلم فاحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفا من أن يسيء ، الا زيادا فانه كلما كان أكثر كان أجود كلاما [١]

وكان نوفل بن مساحق اذا دخل على امرأته صمت واذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوما كذلك فقالت : أما عندي فتطرق ، وأما عند الناس فتنطق . قال : لأني أدق عن جليلك ، وتجلين عن دقيق

قال أبو الحسن قاد عياش بن الزبرقان بن بدر الى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا . فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها الى جميع آبائه وأمهاته ، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التى حلف بها على الفرس الآخر . فقال عبد الملك بن مروان « عجبي من اختلاف أيمانه أشد من عجبي من معرفته بانساب الخيل »

وقال كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القمر ، والزبرقان ، والحصين . وكانت له ثلاث كنى : أبو شذرة ، وأبو عياش . وأبو عباس . وكان عياش ابنه

١ سيأتى هذا فى ص ٣١ من الجزء الثانى عقب خطبة زياد التى تسمى « البتراء »

خطيبا ماردا شديد العارضة شديد الشكيمة وجيها ، وله يقول جرير :

أَعَيَّاشُ قَدْ ذَاقَ القُيُونُ (١) مَرَارَتِي  وَأَوْقَدْتُ نَاراً فَادْنُ دُونَكَ فَاصْطَلِي

فقال عياش : انى اذن لمغرور . قالوا فغلب عليه

## *( باب أسماء الخطباء والبلغاء والانبياء ، وذكر قبائلهم وأنسابهم )*

كان التدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم بابا بابا على حدته ، ونقدم من قدمه الله عزوجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النسب وفضله فى الحسب . ولكنى لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم فى الجملة والله المستعان وبه التوفيق ولاحول ولاقوة الا به

كان الفضل بن عيسى الرقاشى من أخطب الناس وكان متكلما ، وكان قاصا مجيدا . وكان يجلس اليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبى عياش وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضيلية واليه ينسبون . وخطب اليه ابنته سوادة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمى فولدت له المعتمر بن سليمان . وكان سليمان مباينا للفضل فى المقالة ، فلما ماتت سوادة شهد الجنازة المعتمر وأبوه ، فقدما الفضل وكان الفضل لايركب الا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر : انك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك . قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قال قلت : مثل أى شىء . قال « لاتستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هى أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعا وأكثر تصريفا وأسهل مرتقى وأخفض مهوى وأقل جماحا وأشهر فارهاً وأقل نظيرا ، يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه » قال ونظر يوما الى حمار فاره تحت سالم بن قتيبة فقال « قعدة نبى وبذلة جبار » قال عيسى بن حاضر « ذهب الى حمار عزير والى حمار مسيح الدجال والى حمار بلعم » وكان يقول « لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزلة أن يدفع بالموسم على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما لانه كان يتاله ٢ وقد ضرب به المثل فقالوا : أصح من عير سيار »

والفضل هو الذى يقول فى قصصه « سل الارض فقل من شق أنهارك وغرس

---

١ جمع « القين » وهو الحداد والعبد  ٢ التاله التعبد

أشجارك وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا » وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب ، قال وحدثنى أبو جعفر الصوفى القاصّ قال : تكلم عبد الصمد فى خلق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة . وكان يزيد بن أبان عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى من أصحاب أنس والحسن ، كان يتكلم فى مجالس الحسن وكان زاهداً عابداً وعالماً فاضلا وكان خطيبا وكان قاصّاً مجيدا . قال أبو عبيدة وكان أبوهم خطيبا ، وكذلك جدهم ، وكانوا خطباء الاكاسرة ، فلما سبوا وولد لهم الاولاد فى بلاد الاسلام وفى جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق فقاموا فى أهل هذه اللغة كمقامهم فى أهل تلك اللغة ، وفيهم شعر وخطب ، ومازالوا كذلك حتى أصهر الغرباء اليهم ففسد ذلك العرق ودخله الخَوَر [1]

ومن خطباء إياد ( قس بن ساعدة ) وهو الذى قال فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول « أيها الناس اجتمعوا ، فاسمعوا وعوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت » وهو القائل فى هذه « آيات محكمات : مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت . ونجوم تمور ، وبحور لاتغور . وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع . وليل داج ، وسماء ذات أبراج . مالى أرى الناس يموتون ولايرجعون ، أرضوا فاقاموا ، أم حبسوا فناموا » وهوالقائل « يامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والاجداد . أين المعروف الذى لم يشكر ، والظلم الذى لم ينكر . أقسم قسّ قسما بالله أن لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا » وأنشدوا له هذه :

فى الذَّاهِبِينَ الاوَّلِينَ … مِنَ القُرُونِ لنا بَصائِرْ
لَمَّا رَأيْتُ مَوَارِداً … لِلمَوْتِ لَيْسَ لَها مَصادِرْ
ورَأيْتُ قَوْمِى نَحْوَها … تَمْضِى الاَكابِرُ والاَصاغِرْ
لايَرْجِعُ المَاضِى وَلا … يَبْقَى مِنَ الباقِينَ غابِرْ
أيْقَنْتُ أنِّى لامَحالَةَ … حَيْثُ صارَ القَوْمُ صائِرْ

ومن الخطباء ( زيد بن على بن الحسين ) وكان خالد بن عبد الله أقرّ على زيد بن

---

١ الضعف

علي وداود بن علي وأيوب بن سلمة المخزومي وعلى بن محمد بن عمر بن علي وعلي بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال : أحلف لك . قال : واذا حلفت أصدقك . قال زيد : اتق الله . قال : أومثلك يازيد يأمر مثلي بتقوى الله . قال زيد : لاأحد فوق أن يوصى بتقوى الله ولادون أن يوصى بتقوى الله . قال هشام : بلغني أنك تريد الخلافة ، ولاتصلح لها لانك ابن أمة . قال زيد: فقد كان اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليه ابن أمة واسحق عليه السلام ابن حرة، فاخرج الله عزوجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم . فعندها قال له : قم . قال : اذن لاتراني الاحيث تكره . ولما خرج من الدار قال : ماأحب أحد الحياة قط الا ذل . فقال له سالم مولى هشام : لايسمعن هذا الكلام منك أحد . وقال محمد بن عمير : ان زيدا لما رأى الارض قد طبقت جوراً ورأى قلة الاعوان ورأى تخاذل الناس كانت الشهادة أحب المنيات اليه . وكان زيد كثيراً ماينشد :

شَرَّدَهُ الخَوْفُ وأَزْرَى بِهِ      كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلادْ
مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يَشْكُو الوَجَى[1]      تَنْكُبُهُ أَطْرافُ مَرْوٍ حِدَادْ[2]
قَدْ كانَ في المَوْتِ لهُ رَاحَةٌ      والمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقابِ العِبادْ

قال وكثيرا ماينشد شعر العبسي فى ذلك :

انّ المُحَكَّمَ مَنْ لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً      أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْحَدَّ القَناجَنَفَا[3]
مَنْ عاذَ بالسيفِ لاقى فُرْصَةً عجباً      مَوْتاً على عَجَلٍ أَوْ عاشَ مُنْتَصِفا

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شبة بن عقال وكلف آل أبي طالب أن يبرؤا من زيد ويقوم خطباؤهم بذلك فاول من قام عبد الله بن الحسن فاوجز فى كلامه ثم جلس . ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فاطنب فى كلامه وكان شاعراً بيّناً وخطيباً لسنا فانصرف الناس وهم يقولون « ابن

١ الوجى : أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر حتى يجد ذوالوجى وجعا فى رجله ٢ نكبت الحجارة الرجل : أصابتها وخدشتها . والمرو : حجارة بيض رقاق براقة تقدح منها النار ٣ الجنف فى الحكم : الميل والجور

الطيار أخطب الناس » فقيل لعبـد الله بن الحسن فى ذلك فقال « لوشئت أن أقول لقلت ، ولـكن لم يكن مقام سرور » فاعجب الناس ذلك منه

ومن أهل الدهاء والنـكراء ومن أهل اللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الصحيح والامثال السائرة والمخارج العجيبة (هند بنت الخس) وهى الزرقاء ، و(جمعة بنت حابس) ويقال إن حابسا من إياد . وقال عامر بن عبد الله الفزارى : جمع بين هند وجمعة ، فقيل لجمعة أى الرجال أحب اليـك قالت : الشنق [1] الـكبد ، الظاهر الجلد ، الشـديد الجذب بالمسد . فقيـل لهنـد : أى الرجال أحب اليـك . قالت : القريب الامد ، الواسع البلد ، الذى يوفد اليـه ولايفد . وقد سئلت هنـد عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت : من جعل بؤسا كاذى . وقد ضرب بها المثل ، فمن ذلك قول ليلى بنت النضر الشاعرة :

وكنز بن جـدْعانٍ دَلالة أمّهِ    وكانَتْ كبنْتِ الخسّ أو هيَ أكْبَرُ

وقال ابن الاعرابى : يقال بنت الخس وبنت الخص وهى الزرقاء وبنت الخسف وقال يونس لايقال الابنت الاخسّ وهى الزرقاء . وقال أبو عمرو بن العلاء « داهيتا نساء العرب هند الزرقاء وعنز الزرقاء » وهى زرقاء اليمامة . قال اليقطرى : قيل لعبد الله بن الحسن « ماتقول فى المراء [2] » قال « ماعسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة ، ويحلل العقدة الوثيقـة ، وان كان لاقل مافيـه أن يكون دربة للمغالبـة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة ، ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتاه السائب ابن صـيفى فقال : أتعرفـنى يارسول الله . قال : كيف لاأعرف شريكى الذى كان لايشاربنى ولايمـاربنى » قال فتحولت الى زيد بن على فقلت له « الصمت خير أم الـكلام » قال « أجزى الله المساكتة فما أفسـدها للبيان وأجلبها للحـصر ، والله للممارأة أسرع فى هدم العى من النار فى يبس العرفج ومن السيل فى الحدور » وقـد عرّف زيد أن المماراة مذمومـة ولـكنه قال : المماراة عـلى مافيها أقـل ضرراً من المساكتـة التى تورث البلدة وتحل العـقدة وتفسد المنـة وتورث عللا وتولد أدواء أيسرها العى ، فالى هذا المعنى ذهب زيد

ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومى من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم ، وقد تكلم عند الخلفاء

---

[1] شديد الشوق [2] المراء والمماراة : المجادلة والمنازعة

ومن خطباء بنى أسيد الحكم بن يزيد بن عمير وقد رأس
ومن أهل اللسن منهم والبيان الحجاج بن عمير بن زيد
ومن الخطباء سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية . قال وقيل لسعيد ابن المسيب : من أبلغ الناس . قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية ، وابنه ، وسعيد ، وابنه ، وما كان ابن الزبير بدونهم ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبوله . فمن العجب أن ابن الزبير ملأ دفاتر العلماء كلاما وهم لايحفظون لسعيد بن العاصى وابنه من الكلام الا مالا بال له . وكان سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفا ، وكان يقال له عكة العسل ، وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فَلا يَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ  تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ وهْوَ صَلِيبُ (١)

وكان أول من خش الابل ٢ فى نفس عظم الانف ، وكان فى تدبيره اضطراب . وقال قائل من أهل الكوفة :

ياويلَنَا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ  وجاءنا مُجَوَّعًا سَعِيدُ
يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ ولا يَزِيدُ

قال والامراء تتحبب الى الرعية بزيادة المكاييل ، ولو كان المذهب فى الزيادة فى الاوزان كالمذهب فى الزيادة فى المكاييل ماقصروا ، كما سال الاحنف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الزيادة فى المكاييل ، ولذلك اختلف أسماء المكاييل كالزيادى والفالج والخالدى حتى صرنا الى هذا الملجم اليوم

ثم من الخطباء (عمرو بن سعيد) وهو الاشدق ، يقال ان ذلك انما قيل له لتشادقه فى الكلام . وقال آخرون بل كان أفقم مائل الذقن . ولذلك قال عبيد بن زياد حين أهوى الى عبد الله بن معاوية « يدك عنه يالطيم الشيطان وياعاصى الرحمن » وقال الشاعر :

وعَمْرُو لَطِيمُ الجِنِّ وابْنُ مُحَمَّدٍ  بأَسْوَءِ هَذَا الأمرِ مُلْتَبِسانِ

ذكر ذلك عن عوانة ، وهذا خلاف قول الشاعر :

---

١ تخدد اللحم : اضطرب من الهزال . والصليب الشديد ٢ جعل فى أنفها الخشاش ، وهو عود يجعل فى أنف البعير

تَشادَقَ حَتَّى مَالَ بالقَوْلِ شِدْقُهُ     وكُلُّ خَطِيبٍ لاأَبالَكَ أَشْدَقُ

قال وكان معاوية قد دعا به فى غلمة من قريش ، فلما استنطقه قال «ان أول كل مركب صعب ، وان مع اليوم غدا» وقال له «الى من أوصى بك أبوك» قال «ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى» قال «وباى شىء أوصاك» قال «بان لايفقد اخوانه منه الا شخصه» قال فقال معاوية عند ذلك : ان ابن سعيد هذا لاشدق . فهذا يدل عندهم على أنه انما سمى بالاشدق لمكان التشادق

ثم كان بعد عمرو بن سعيد (سعيد بن عمرو بن سعيد) وكان ناسبا خطيبا ، وأعظم الناس كبرا . وقيل له عند الموت : ان المريض ليستريح الى الانين والى أن يصف مابه الى الطبيب ، فقال :

أُجالِدُ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ فَلا تَرَى     على هالكٍ عَيْناً لَنا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم ، فتكلموا من قيام وتكلم وهو جالس ، فتبسم عبد الملك وقال : لقد رجوت عثرته ، ولقد أحسن حتى خفت عثرته ، فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب

ومن الخطباء (سهيل بن عمرو الاعلم) أحد بنى حسل بن معيص ، وكان يكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الاسلام . وكان عمر رضى الله تعالى عنه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم : يارسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لاأمثل فيمثل الله بى وان كنت نبيا ، دعه ياعمر فعسى أن يقوم مقاما نحمده» فلما هاج أهل مكة عند الذى بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام خطيبا فقال «أيها الناس ، ان يكن محمد قد مات فان الله حى لم يمت . وقد علمتم أنى أكثركم قتبا فى بر ، وجارية فى بحر ، فاقروا أميركم ، وأنا ضامن ان لم يتم الامر أن أردها عليكم» فسكن الناس . وهو الذى قال يوم خرج اذن عمر وهو بالباب وعتيبة بن حصن والاقرع بن حابس وفلان وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ، أين صهيب ، أين سلمان ، أين عمار . فتمعرت وجوه القوم ، فقال سهيل «لم تتمعر وجوهكم ، دعوا ودعينا فاسرعوا وأبطانا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر»

ومن الخطباء (عبد الله بن عروة بن الزبير) قالوا وكان خالد بن صفوان يشبه به ، وما علمت أنه كان فى الخطباء أحد أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذى يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما ، وما علمنا أن أحدا ولد لهما حرفا واحدا

ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر (الخنف بن زيد بن جعونة) وهو الذى تعرض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له «متى عهدك بسجاح أم صادر» فقال له «مالى بها عهد منذ أضلت أم حلس» وهى بعض أمهات دغفل ، فقال له «أنشدتك بالله ، أنحن كنا لكم أكثر غزوا فى الجاهلية أم أنتم لنا» قال «بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة وقتلناه مرة وأخذنا فى فدائه خدر أمه ، وغزانا أكثركم غزوا وأنبهكم فى ذلك ذكرا فاعرجناه ثم أرجلناه» فقال ابن عامر «أسألكما بالله لما كففتما»

وكان عبد الله بن عامر ومصعب بن الزبير يحبان أن يعرفا حالات الناس ، فكانا يغريان بين الوجوه و بين العلماء فلا جرم أنهما كانا اذا سبا أوجعا

وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنسب هذه الامة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هو الذى نفى الى عنكثة المخزوميين فرفع ذلك الى والى المدينة فجلده الحد . وكان ينشد :

وَيَرْبُوعُ بنُ عنكثةَ ابْنُ أرْضٍ ... وأعْتَقَهُ هُبَيْرَةُ بَعْدَ حِينِ

يعنى هبيرة بن أبى وهب المخزومى

ومن النسابين العلماء عتبة بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرأى والدهاء ، وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف . وعمر بن عبدالرحمن خامس خمسة فى الشرف ، وكان هو الساعى بين الازد وتميم فى الصلح

ومن بنى الحرقوس[١] شعبة بن القلعم ، وكان ذا لسان وجواب وعارضة ، وكان وصافا فصيحا . و بنوه عبد الله ، وعمر ، وخالد ، كلهم كانوا فى هذه الصفة . غير أن خالدا كان قد جمع مع بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف ، وكان الحجاج لا يصبر عنه

ومن بنى أسيد بن عمرو بن تميم أبو بكر بن الحكم ، كان ناسبا راوية شاعرا ،

---

١ خ : حرقوس

وكان أحلى الناس لسانا وأحسنهم منطقا وأكثرهم تصرفا ، وهو الذى يقول له رؤبة :

لقدْ خشيتُ أنْ تـكونَ ساحرا    رَاوِيةً طوْراً وَطوْراً شاعِرا

ومنهم معالل بن خالد أحد بنى أنمار بن الهجيم ، وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا ، وذكر للمنتجع بن نبهان فقال « كان لايجارى ولا يمارى »

ومنهم من بنى العنبر ثم من بنى عمرو بن جندب أبو الخنساء عباد بن كسيب ، وكان شاعرا علامة وراوية نسابة ، وكانت له حرمة بابى جعفر المنصور

ومنهم عمرو بن خولة ، كان ناسبا خطيبا وراوية فصيحا ، من ولد سعيد بن العاصى

والذى أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب هو اسحق بن يحيي بن طلحة

وكان يحيي بن عروة بن الزبير ناسبا عالما ، ضربه ابراهيم بن هشام المخزومى والى المدينة حتى مات لبعض القول

وكان مصعب بن عبد الله بن ثابت ناسبا عالما ، ومن ولده الزبيرى عامل الرشيد على المدينة واليمن

ومنهم ثم من قريش محمد بن جعفر بن حفص ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر. وابنه عبيد الله كان يجرى مجراه ، يكنى أبا عبد الرحمن

ومن خزاعة بن مازن أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء بن عمار بن العريان. فاما أبو عمرو فكان أعلم الناس بامور العرب ، مع صحة سماع وصدق لسان . وحدثنى الاصمعى قال : جلست الى أبى عمرو عشر حجج ماسمعته يحتج ببيت اسلامى . قال وقال مرة لقد كثر هذا المحدَث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته ، يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما. وحدثنى أبو عبيدة قال كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس ، وكانت داره خلف دار جعفر بن سليمان. قال وكانت كتبه التى كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ثم انه تقرأ فاحرقها كلها ، فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن عنده الا ماحفظه بقلبه . وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية . وفى أبى عمرو بن العلاء قول الفرزدق :

مازلتُ أفتحُ أبوَاباً وأُغلقها    حَتى أُتيتُ أبا عمرِو بنَ عمّارِ

فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا

القول فهو الذى لايشك فى خطابته و بلاغته . وقال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس . وقال فى أبى عمرو مكىٌّ بن سوادة :

الجَامِعُ العِـلْمَ نَنساهُ ويَحفَظُهُ والصَّادِقُ القَوْلِ ان أنْدادُهُ كَذبُوا

وكان أبو سفيان بن العلاء ناسبا ، وكلاهما كنّاهما أسماؤهما . وكذلك أبو عمرو ابن لبيد ، وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة

وكان عقيل بن أبى طالب ناسبا عالما بالامهات ، بين اللسان ، شديدالجواب ، لايقوم له أحـد . وكان أبو الجهم بن حـذيفة العـدوى ناسبا شديد العارضـة كثير الذكر للامهات بالمثالب . ورؤساء النسابـين دغفـل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان ، لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا . ومن هذه الطبقـة زيد بن الـكيس النمرى . ومن نسابى كلب ابن محمد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ، وشرقى ابن القطامى . وكان أعلاهم فى العلم ومن ضربت به المثل حماد بن بشر ، قال سماك العكلى :

فَسائِلْ دَغفَلاً وأخا هِلاَلٍ ونخّاراً يُنبّئكَ اليَقِينا

وقد ذكرنا دغفلا . وأخو هـلال هو زيد بن الـكيس ، و بنو هلال حى من النمر ابن قاسط . وقال مسكين بن أنيف الدارمى فى ذلك :

وعِنْدَ الـكَيّسِ النَّمرِىّ عِلمٌ ولَوأَمْسَى بِمُنْخَرقِ الشّمـالِ

وقال ثابت قطنة :

فَمـا العضّانِ لَوْ سئِلا جَميعاً أخُو بَكْرٍ وزيدُ بَني هِلالِ

ولا الـكَلْبِيُّ حَمّادُ بْنُ بِشْرٍ ولامَنْ قادَ فى الزَّمَنِ الخَوالى

وقال زياد الاعجم :

بَلْ لَوْ سَأَلْتَ أخا رَبيعَةَ دَغْفَلاً لَوَجَدْتَ فى شَيْبانَ نِسْبَةَ دَغْفَلِ

ان الاحاينَ والَّذينَ يَلُونَهُمْ شَرُّ الأنامِ ونَسْلُ عَبْدِ الأعزَلِ

يهجو فيها بنى الخنساء . ومنهم إياس النصرى ، كان أنسب الناس ، وهو الذى قال « كانوا يقولون : أشعر العرب أبو داود الايادى ، وعدى بن زيد العبادى » وكان أبو نوفل بن أبى عقرب علامة ناسبا خطيبا فصيحا ، وهو رجل من كنانة أحد

بنى عريج . ومن بنى كنانة ثم من بنى ليث ثم من بنى الشداخ يزيد بن بكر بن دأب وكان يزيد عالما ناسبا وراوية شاعرا ، وهو القائل :

اللهُ يَعْلَمُ في عَلِيٍّ عِلْمَهُ وكَذَاكَ عِلْمُ اللهِ في عُثْمَانِ

وولد يزيد يحيي وعيسى هو الذى يعرف فى العامة بابن دأب ، وكان من أحسن الناس حديثا وبيانا ، وكان شاعرا راوية وصاحب رسائل وخطب ، وكان يجيدها جدا . ومن آل دأب حذيفة بن دأب وكان عالما ناسبا . وفى آل دأب علم بالنسب والخبر وكان أبو الاسود الدؤلى ــ واسمه ظالم ابن عمرو بن جندل بن سفيان ــ خطيبا عالما وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأى وجودة اللسان وقول الشعر والظرف ، وهو يعد فى هذه الاصناف وفى الشيعة وفى العرجان وفى المفاليج ، وعلى كل شىء من هذا شاهد سيقع فى موضعه ان شاء الله تعالى

وقال الخس لابنته هند « أريد شراء فحل لابلى » قالت « ان اشتريته فاشتره أسجح الخدين ، غائر العينين ، أرقب ، أخرم ، أعكى أكوم ، ان عصى غشم ، وان أطيع تجرثم » وهى التى قالت لما قيل لها « ماحملك على أن زنيت بعبدك » قالت « طول السواد ، وقرب الوساد »

السواد السرار . أسجح سهل واسع ، يقال « ملكت فاسجح » . أرقب غليظ الرقبة . أخرم منتفخ موضع المخرم . أعكى العكوة مغرز الوركين فى المؤخر ، تصفه بشدة الوركين . ان عصى غشم ان عصته الناقة غصبها نفسها . تجرثم أى بقى ، مأخوذ من الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها تصفه ، بالصبر والقوة على الضراب . أكوم عظيم السنام . وقال الشاعر فى السواد :

ويَفْهَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُساوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سَوَادُها (١)

يقال فى لسان فلان حكلة اذا كان شديد الحبسة مع لثغ

قالوا وعاتب هشام بن عبد الملك زيد بن على فقال له « بلغنى عنك شىء » فقال « يا أمير المؤمنين ، أحلف لك » قال « واذا حلفت لى أصدقك » قال « نعم . ان الله لم يرفع أحدا فوق أن لا يرضى به ولم يضع أحدا دون أن لا يرضى منه به »

كان زياد بن ظبيان التيمى العايشى خطيبا ، فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو

(١) سبق هذا البيت فى ص ٢٤ من هذا الجزء وتدل اشارة المصنف الى أن هذا البيت قيل فى السواد على أنه لا محل لما ظنناه هناك من وقوع التحريف فى البيت

يكيد بنفسه ، قال «ألا أوصى بك الامير زيادا» قال «لا» قال «ولم» قال «اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت»

وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس . وهو الذى أتى باب مالك بن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره . وقد كان نابه أمر فلم يرسل اليه قبل الناس . فاشرف عليه مالك فقال «مهلا يا أبا مطر . فو الله ان فى كنانتى سهما أنا به أوثق منى بك» قال «وانك لتعدنى فى كنانتك . فو الله لو أن قمت فيها لطلتها ولو قعدت فيها لخرقتها» قال مالك «مهلا . أكثر الله فى العشيرة مثلك» قال «لقد سالت الله شططا»

ودخل عبيد الله [1] على عبد الملك بن مروان – بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزبير ، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل ، فاراد أن يقعد معه على سريره ، فقال له عبد الملك «مابال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك» قال «والله لانا أشبه بأبى من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء . ولكن ان شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه» قال «ومن ذاك» قال «من لم يولد لتمام ، ولم تنضجه الارحام ، ولم يشبه الاخوال والاعمام» قال «ومن ذاك» قال «ابن عمى سويد بن منجوف» قال عبد الملك «أو كذلك أنت يا سويد» قال «نعم» فلما خرجا من عنده أقبل عليه سويد فقال «وريت بك زنادى ، والله مايسرنى أنك نقصته حرفا واحدا مما قلت له وأن لى حمر النعم» قال «وأنا والله مايسرنى بحلمك اليوم عنى سود النعم» قال وأتى عبيد الله عتاب بن ورقاء ، وعتاب على أصبهان ، فاعطاه عشرين ألف درهم فقال «والله ما أحسنت فأحمدك ، ولا أسأت فأذمك ، وانى [2] لاقرب البعداء وأبعد القرباء» . قال وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان «ما أنت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير الى عبد الملك بن مروان» قال «اسكت فانت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان اذا تكلمت الخوارج» فما ظنك ببلاغة رجل عبيدُ الله بن زياد يضرب به المثل . وانما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالةَ على تقديم صعصعة بن صوحان فى الخطب . وأولى من كل دلالة استنطاق علىّ له

وكان (عثمان بن عروة) أخطب الناس ، وهو الذى قال «والشكر وان قل ثمن

---

[1] هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان [2] خ : وانك

لكل نوال وان جل »

وكان (ثابت بن عبد الله بن الزبير) من أبين الناس . ولم يكن خطيبا

وكان (قسامة بن زهير) أحد بنى رزام بن مازن مع زهده ونسكه ومنطقه من أبين الناس ، وكان يعدل بعامر بن عبد قيس فى زهده ومنطقه ، وهو الذى قال « روّحوا هذه القلوب تعى الذكر » وهو الذى قال « يامعشر الناس ، ان كلامكم أكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكر » وهو الذى كان رسول عمر فى البحث عن شان المغيرة وشهادة أبى بكرة

وكان (خالد بن يزيد بن معاوية) خطيباً شاعرا ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأى كثير الادب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء

ومن خطباء قريش (خالد بن سلمة المخزومى) وهو ذو الشفة . وقال الشاعر فى ذلك :

فما كانَ قائلهُمْ دغفلٌ ولا الحَيقطانُ ولا ذُو الشَّفَهْ

ومن خطباء العرب (عطارد بن حاجب بن زرارة) وهو كان الخطيب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال فيه الفرزدق بن غالب :

ومِنّا خَطيبٌ لايُعابُ وحامِلٌ أغرُّ اذا التفّتْ عليهِ المَجامِعُ

ومن الخطباء (عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود) وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعرا . ولما رجع عن قول المرجئة الى قول الشيعة قال :

وأوّلُ ماتُفارِقُ غيرَ شكٍّ نُفارِقُ مايقولُ المُرجِئونا

وقالُوا مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ جورٍ ولَيْسَ المؤْمنونَ بجائِرينا

وقالُوا مُؤْمِنٌ دمُهُ حلالٌ وقَدْ حرُمتْ دِماءُ المؤْمنينا

وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى فك ابن الاشعث ألزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوما « كيف ترى ابن أخيك » قال « ألزمتنى رجلا إن غبت عنه عتب . وان أتيته حجب . وان عاتبته غضب » ثم لزم عمر بن عبد العزيز . وكان ذا منزلة منه . قالوا وله يقول جرير :

ياأيُّها الرَّجُلُ المرخِي عِمامتَهُ هذَا زمانُكَ انّي قدْ مضَى زمَني

أبلغْ خليفتَنا (١) انْ كُنتَ لاقِيَهُ أنِّي لدى الباب كالمَشْدُودِ فى قَرَنِ
وقَدْ رآكَ وُفُودُ الخافِقَينِ معاً ومُذْ وليتَ أُمورَ النَّاسِ لَمْ تَرَنى

وكان ( الجارود بن أبى سبرة ) ـ ويكنى أبا نوفل ـ من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلقا . وكان من رجال الشيعة ، ولما استنطقه الحجاج قال « ماظننت أن بالعراق مثل هذا » وكان يقول « ماأمكننى وال قط من أذنه الا غلبت عليه . ماخلا هذا اليهودى » يعنى بلال بن أبى بردة . وكان عليه متحاملا فلما بلغه أنه دهق [٢] حتى دقت ساقه وجعل الوتر فى خصييه أنشأ يقول :

لَقَدْ قَرَّ عَيْنِى أنَّ ساقَيْهِ دُقَّتا وأَنَّ قوى الأَوتارِ فى البَيْضَةِ اليُسْرَى
بَخِلتَ وراجَعْتَ الخِيانةَ والخَنا فَيَسَّرَكَ اللهُ المُقَدَّسُ للعُسْرَى
فَمَا جِذعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ جَوْفَهُ يُعالِجُهُ النَّجَّارُ يُبْرَى كما تُبْرَى

وانما ذكر الخصية اليسرى لان العامة تقول ان الولد منها يكون

ومن الخطباء الذين لايضاهون ولايجارون ( عبد الله بن عباس ) قالوا خطبنا بمكة ـ وعثمان رضى الله تعالى عنه محاصرا ـ خطبة لو شهدتها الترك والديلم لاسلمتا . قال وذكره حسان بن ثابت فقال :

اذا قالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقالاً لِقائِلٍ بِمُلْتَقَطاتٍ لاتَرَى بَيْنَها فَصْلا
كَفَى وشَفَى مافى النُّفُوسِ ولَمْ يَدَعْ لِذِي اِرْبَةٍ فى القَوْلِ جِدّاً ولاهَزْلا
سَمَوْتَ الى العَلْيا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ فَنِلْتَ ذُراها لادَنِيّاً ولا وَغْلا

وقال الحسن : كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا . وكان والله مثجا يسيل غربا . وكان يسمى « البحر » و « حبر قريش » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل » وقال عمر « غص غواص » ونظر اليه يتكلم فقال :

شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها مِنْ أخْزَمِ

---

١ يريد به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز راجع ص ١٦٦ و ١٦٨ من سيرته ٢ الدهق محركة خشبتان يغمز بهما الساق

الشعر لابى أخزم الطائى وهو جد أبى حاتم طى أوجد جده . وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جـدهم أبى أخزم فادموه ، فقال :

انَّ بَنِيَّ زَمَّلُونِى بالدَّمِ شِنْشِنَةٌ أعرِفُهَا مِنْ أخْزَمِ

أى انهم أشبهوا أباهم فى طبيعته وخلقـه . وأحسبه كان به عاقا . فهـكذا ذكر ابن الكلبي . والشنشنة مثل الطبيعة والسجية . فاراد عمر رضى الله تعالى عنـه انى أعرف فيك مشابهة فى أبيك فى رأيه وعقـله . ويقال انه لم يكن لقرشى مثـل رأى العباس

ومن خطباء بنى هاشم أيضا ( داود بن عـلى ) وكان يكنى أبا سـليمان . وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول . ويقال انه لم يتقـدم فى تحبير خطبـة قط . وله كلام كثير معروف محفوظ . فمن ذلك خطبته عـلى أهـل مكة « شـكرا شـكرا . أما والله ماخرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لنبنى فيكم قصرا . أظن عـدوّ الله أن لم نظفـر به أن أرخى له فى زمامـه . حـتى عـثر فى فضـل خطامـه . فالآن عاد الامر فى نصابه . وطلعت الشمس من مطلعها . وأخـذ القوس باريها . وعاد النبـل الى النزعـة . ورجع الامر الى مسـتقره فى أهـل بيت نبيكـم أهـل بيت الرأفـة والرحمة »

ومن خطباء بنى هاشم( عبد الله بن الحسن ) وهو القـائل لابنه ابراهيم أومحمد « أى بنى ، انى مؤد اليك حق الله فى تاديبك فادالى حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى ، كف الاذى ، وارفض البـذاء ، واستعن على الكلام بطول الفـكر فى المواطن التى تدعوك نفسـك فيها الى القـول . فان للقول ساعات يضر فيها الخطا ولاينفـع فيها الصواب . واحذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحـذر مشورة العاقل اذا كان غاشا ، يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وغرارة الجاهل »

قال الحسن بن خليل : كان المـامون قد استثقل ( سهـل بن هارون ) فدخـل عليـه سهل يوما والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المـامون بكلام فذهب فيـه كل مذهب . فلما فرغ المامون من كلامه أقبل سـهل بن هارون على ذلك الجمع فقال « مالكم تسـمعون ولاتعون ، وتشاهـدون ولاتفهمون . وتفهمون ولا تتعجبون وتنظرون ولا تبصرون . والله انه ليفعل ويقول فى اليوم القصـير مثـل مافعل بنو مروان وقالوا فى الدهر الطويـل . عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم . ولـكن كيف يعرف الدواء من لايشعـر بالداء » قال فرجع له المـامون بعـد ذلك الى الرأى

ومن خطباء بنى ها شم ـ ثم من ولد جعفر بن سليمان ـ (سليمان بن جعفر) والى مكة . قال المكى سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون انه لم يرد عليهم أمير منذ عقلوا الكلام إلا وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما

وكان (داود بن جعفر) اذا خطب اسحنفر [١] فلم يرده شىء . وكان فى لسانه شبيه بالرتة . وكان (أيوب) فوق داود فى الكلام والبيان ولم يكن له مقامات داود فى الخطب . وقال عيسى بن اسحاق لداود بن جعفر : بلغنى أن معاوية قال للنخار بن أوس « أبغنى محدثا » قال « ومتى ياأمير المؤمنين تريد محدثا » قال « نعم ، استريح منك اليه ، ومنه اليك ، وأنا لاأستريح الى غير حديثك ، ولا يكون صمتك فى حال من الحالات أوفق لى من كلامك »

وكان (اسماعيل بن جعفر) من أدق الناس لسانا وأحسنهم بيانا

ومن خطباء بنى هاشم (جعفر بن حسن بن الحسين بن على) وكان أحد من ينازع زيدا فى الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا محاوراتهما فقط

وجماعة من ولد العباس فى عصر واحد لم يكن لهم نظراء فى أصالة الرأى ، وفى الكمال والجلالة ، وفى العلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة ، مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والاقدار الرفيعة . وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الاخبار . وكانوا يجلون عن هذه الاسماء الا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك * منهم (عبد الملك بن صالح) قال وساله الرشيد ـ وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان ـ فقال له « كيف رأيت أرض كذا وكذا » قال « مسافى [٢] ريح ومنابت شيح » قال « فارض كذا وكذا » قال « هضاب حمر ، وبراث عفر » قال حتى أتى على جميع ماأراد . قال فقال عيسى لسليمان « والله ماينبغى لنا أن نرضى لانفسنا بالدون من الكلام »

الهضبة الجبل ينبسط على الارض وجمعها هضاب . والبراث الاماكن اللينة السهلة واحدها برث . وقوله عفر أى حمرتها كحمرة التراب . والظبي الاعفر الاحمر لان حمرته كذلك والعَفَر والعفر التراب ومنه قيل ضربه حتى عفره أى ألحقه بالتراب

ومن هؤلاء (عبد الله بن صالح . والعباس بن محمد . واسحق بن عيسى .

---

١ أى مضى مسرعا ٢ جمع مسفى وهو محل هبوب الريح

واسحق بن سليمان . وأيوب بن جعفر) هؤلاء كانوا أعلم بقريش و بالدولة و برجال الدعوة من المعروفين برواية الاخبار . وكان ابراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشيء هو خلاف مافى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبي ، واذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور

وكان (عبد الله بن على وداود بن على ) يعد لان بامة من الامم . ومن مواليهم ابراهيم ونصر ابنا السندى . فاما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لايعدو حديث ابن الكلبي والهيثم . وأما ابراهيم فانه كان رجلا لانظير له ، وكان خطيبا ، وكان ناسبا ، وكان فقيها ، وكان نحويا عروضيا ، وحافظا للحديث ، رواية للشعر ، شاعرا . وكان فخم الالفاظ ، شريف المعانى . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل فى الخراج بعمل زاذان فروح الاعور . وكان منجما ، طبيبا ، وكان من رؤساء المتكلمين . وعالما بالدولة و برجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لماسمع ، وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر

ومن خطباء تميم ( جحدب ) وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبَحَ الالهُ ولا يُقبِّحُ غَيْرُهُ بَظْراً تَفَلَّقَ عَنْ مَفارِقِ حجدَبِ

وهو الذى كان لقيه خالد بن سلمة المخزومى الخطيب الناسب فقال « والله ماأنت من حنظلة الاكرمين ، ولا سعد الاكثرين ، ولا عمرو الاسدين ، وما فى تميم خير بعد هؤلاء » فقال له جحدب « والله انك لمن قريش ، وما أنت من بيتها ، ولامن ثبوتها ، ولا من شوارها [1] وخلافها ، ولامن أهل سدانتها وسقايتها » وهو شبيه عما قال خالد بن صفوان للعبدرى ، فانه قال له « هشمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها . تفتح لها الابواب اذا أقبلت ، وتغلقها اذا أدبرت »

ومن ولد المنذر (عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن هبيرة بن المنذر) وكان فقيها عالما قاضيا . وكان راوية شاعرا . وكان خطيبا ناسبا . وكان حاضر الجواب مفوها . وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبي . وكان يكنى أبا شبرمة . وقال يحيى بن نوفل :

---

١ هو بالفتح الحسن

لما سألت النّاسَ أينَ المَكرُمَهْ والعزُّ والجُرثومةُ المُقدَّمَهْ
وأينَ فاروقُ الأمورِ المُحكَمَهْ تتابعَ النّاسُ على ابن شبرُمَهْ

وابن شبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى :

وكيفَ تُرجّى لفصلِ القضاء ولمْ تُصِبِ الحكمَ في نفسكا
فتزعمُ أنّكَ لابنِ الجلاحِ وهيهاتَ دعواكَ مِنْ أصلكا

قال وقال رجل من فقهاء المدينة « من عندنا خرج العلم » قال فقال ابن شبرمه « نعم ، ثم لم يرجع اليكم » قال وقال عيسى بن موسى « دلونى على رجل أوليه مكان كذا وكذا » فقال ابن شبرمة « أصلح الله الامير ، هل لك فى رجل إن دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحّ طلبا ولا بالممعن هربا » وسئل عن رجل فقال « إن له شرفا وبيتا وقدما » ونظروا فاذا هو ساقط من السفلة فقيل له فى ذلك فقال « ما كذبت ، شرفه أذناه ، وقدمه التى يمشى عليها ، ولابد من أن يكون له بيت يأوى اليه » قال أبو اسحق « بل كذبت ، انما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال : هو يبيع الدواب ، فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبت لان السنور دابة ــ قال أبو اسحق ــ بل لعمرى لقد كذب . وهذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل فى تزويج امرأة فقال : رزين المجلس ، نافذ الطعنة ، فحسبوه سيدا فارسا ، فنظروا فوجدوه خياطا ، فسئل عن ذلك فقال « ما كذبت انه لطويل الجلوس ، جيد الطعن بالابرة ــ فقال أبو اسحاق ــ بل لعمرى لقد كذب لانه قد غرهم منه » وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال « هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف » فلما بايعه الرجل وجده معدما ضعيف الحيلة ، فلما قيل له فى ذلك قال « ما كذبت لانه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه » حتى عد جميع أعضائه وجوارحه . ومن قال للمستشير هذا القول فقد غره ، وذلك مما لا يحل فى دين ولا يحسن فى الحرية ، وهذا القول معصية لله تعالى والمعصية لاتكون صدقا . وأدنى منازل هذا الخبر لايسمى صدقا . فاما التسمية له بالكذب فان فيها كلاما يطول

ومن الخطباء المشهورين فى العوام والمقدمين فى الخواص (خالد بن صفوان الاهتمى) زعموا جميعا أنه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده ،

ففخر عليه ناس من بلحارث بن كعب وأكثروا فى القول ، فقال أبو العباس «لم لا تتكلم ياخالد» فقال «أخوال أمير المؤمنين وعصبته» قال «فانتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته» قال خالد «وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، وراكب عرد [1] . دل عليهم هدهد ، وغرقهم فارة ، وملكتهم امرأة». فلئن كان خالد قد فكر ودبر هذا الكلام انه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد . ولئن كان هذا شيئا حضره حين حرك وبسط فما له نظير فى الدنيا . فتامل هذا الكلام فانك ستجده مليحا مقبولا وعظيم القدر جليلا . ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا [2] ثم صك بهذه الفقرة ماقامت له قائمة . وكان أذكر الناس لاول كلامه وأحفظهم لكل شىء سلف من منطقه . قال مكى بن سوادة فى صفته له :

عَلِيمٌ بِتَنْزِيلِ الْكَلَامِ مُلَقَّنٌ ... ذَكُورٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلَا
يَبُذُّ قَرِيعَ [3] الْقَوْمِ فى كُلِّ مَحْفِلٍ ... وَانْ كَانَ سَحْبَانَ الْخَطِيبَ وَدَغْفَلَا
تَرَى خُطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجَالِهِ ... كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ عَايَنَّ أَجْدَلَا

الكِروان جمع كَرَوان وهو ذكر الحبارى . والاجدل الصقر

وكان يقارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة . فذكر شبيب عنده مرة فقال «ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية» وهذا كلام ليس يعرف قدره الا الراسخون فى هذه الصناعة . وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأة «انك لجميل ياأبا صفوان» قال «وكيف تقولين هذا وما فىّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه» فقيل له «ماعمود الجمال» قال «الطول واست بطويل ، ورداؤه البياض ولست بابيض ، و برنسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولى انك لمليح ظريف» . وخالد يعد فى الصلعان . ولكلام خالد كتاب يدور فى أيدى الوراقين

وكان (الازهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبى) عالما ناسبا

ومن خطباء بنى ضبة (حنظلة بن ضرار) وقد أدرك الاسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل ، وقيل له «مابقى منك» قال «أذكر القديم وأنسى الحديث ، وآرق بالليل وأنام وسط القوم»

---

١ هو الحمار ٢ كاملا ٣ السيد

ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم (مثجور بن غيلان بن خرشة) وكان مقدما فى المنطق ، وهو الذى كتب الى الحجاج «انهم قد عرضوا على الذهب والفضة فما ترى أن آخذ» قال «أرى أن تاخذ الذهب» فذهب عنه هاربا ، ثم قتله بعد . وذكره القلاح بن حزن المنقرى فقال :

أَمثالُ مَنْجُورٍ قليلٌ ومثلُهُ ... فتى الصِّدقِ انْ صَفَّقتهُ كلُّ مصفقِ

وما كُنتُ أشريهِ بدُنيا عريضةٍ ... ولا بابْنِ خالٍ بينَ غربٍ ومشرقِ

اذا قالَ بذَّ القائلينَ مقالُهُ ... ويأخُذُ مِنْ أكفائهِ بالمُخنَّقِ (١)

ومن خطباء الخوارج (قطرى بن الفجاءة) له خطبة طويلة مشهورة ، وكلام كثير محفوظ . وكانت له كنيتان : كنية فى السلم وهو أبو محمد ، وكنية فى الحرب وهو أبو نعامة . وكانت كنية عامر بن الطفيل فى الحرب غير كنيته فى السلم : كان يكنى فى الحرب بابى عقيل ، وفى السلم بابى على . وكان يزيد بن مزيد يكنى فى السلم بابى خالد ، وفى الحرب بابى الزبير . وقال مسلم بن الوليد الانصارى :

لَوْلا سيُوفُ أَبى الزُّبيرِ وخَيلُهُ ... نَشَرَ الوَليدُ لِسيفهِ الضَّحَّاكا

وفيه يقول :

لَوْلا يزيدُ ومِقْدارٌ لَهُ سَببٌ ... عاشَ الوَليدُ مع الغاوينَ أعواما

سَلَّ الخليفةُ سيفا مِنْ بنى مطرٍ ... يَمضى فيخترقُ الأرواحَ والهاما

اذا الخلافةُ عُدَّتْ كُنتَ أنتَ لها ... عزّاً وكانَ بنو العباسِ حُكّاما

ألا تراه قد ذكر قتل الوليد ، وقد كان خالد بن يزيد اكتنى بها فى الحرب فى بعض أيامه بمصر . وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والاسماء وهو وارد عليكم ان شاء الله تعالى

ومن خطباء الخوارج (ابن صديقة) وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة ، وكان صفريا خطيبا ناسبا ويشوبه ببعض الظرف والهزل

ومن علماء الخوارج (شبيل بن عزرة الضبعى) صاحب الغريب وكان راوية

---

١ المخنق : موضع حبل الخنق من العنق

خطيبا وشاعرا ناسبا ، وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا

ومن علماء الخوارج (الضحاك بن قيس الشيباني) ويكنى أبا سعيد ، وهو الذي ملك العراق وسار في خمسين ألفا وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك وصليا خلفه وقال شاعرهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهُ أَظْهَرَ دِينَهُ     وَصلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

وكان (ابن عطاء الليثي) يسامر الرشيد وكان صاحب أخبار وأسمار وعلم بالانساب وكان أظرف الناس وأحلاهم

وكان ( عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز ) راوية ناسبا وعالما بالعربية فصيحا

وكان ( عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر ) من أبين الناس وأفصحهم ، وكان مسلمة بن عبد الملك يقول : انى لانحى كور العمامة عن أذني لاسمع كلام عبد الاعلى ابن عبد الله . قال وقال بعض الامراء ـ وأظنه بلال بن أبي بردة ـ لابي نوفل الجارود بن أبي سبرة : ماذا تصنعون عند عبد الاعلى اذا كنتم عنده . قال : يشاهدنا باحسن استماع وأحسن حديث ، ثم يأتى الطباخ فيمثل بين عينيه ، فيقول : ماعندك. فيقول : عندى لون كذا وجدى كذا ودجاجة كذا ومن الحلو كذا . قال : ولم يسال عن ذلك . قال : ليقصر كل رجل عما لا يشتهى حتى يأتيه مايشتهى . ثم يأتون بالخوان فيتضايق ونتسع ويقصر ونجتهد ، فاذا شبعنا خوى تخوية الظليم ثم أقبل يأكل أكل الجائع المقرور

قال والجارود هو الذي قال « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وهو الذي قال « عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر ، ويجلو البصر ، ويجلب الخبر ، ويجمع بين ربيعة ومضر » قال وصعد عثمان المنبر فارتج عليه فقال « ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام خطيب » وستاتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى

وشخص يزيد بن عمر بن هبيرة الى هشام بن عبد الملك فتكلم ، فقال هشام « مامات من خلف مثل هذا » فقال الابرش الكلبي « ليس هناك ، أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره » قال يزيد « مالذلك رشح ، ولكن لجلوسك في هذا الموضع » وكان الابرش ثلابة [١] نسابة ، وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك ، فلما أفضت اليه

---

١ أى متنقصا للناس عائبا اياهم

الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه ، والابرش شاهد لم يسجد ، فقال له هشام « مامنعك أن تسجد ياأبرش » قال « ولم أسجد وأنت اليوم معى ماشيا وغدا فوقى طائرا » قال « فان طرت بك معى » قال « أتراك فاعلا » قال « نعم » قال « فالآن طاب السجود » قال دخل يزيد بن عمر على المنصور – وهو يومئذ أمير – فقال « أيها الامير ، ان عهد الله لاينكث ، وعقده لايحل ، وان إمارتكم بكر فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها »

قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوى على المخلوع فقال « ياأمير المؤمنين ، كانت عدتك أرفع من جائزتك » وهو يتبسم ، قال سهل فاغتاظ الفضل بن الربيع ، فقلت له « ان هذا من الحصر والضعف وليس هذا من الجلد والقوة ، أما تراه يفتل أصابعه و يرشح جبينه »

قال وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومى « من أخطب الناس » قال « أنا » قال « ثم من » قال « سيد جذام » يعنى روح بن زنباع قال « ثم من » قال « أخيفش ثقيف » يعنى الحجاج قال « ثم من » قال « أمير المؤمنين » قال « ويحك جعلتنى رابع أربعة » قال « نعم هو ماسمعت »

ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم فى الفتيا وشعرائهم ورؤساء قعدهم ( عمران بن حطان ) ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم ( حبيب بن خدرة الهلالى ) وعداده فى بنى شيبان . وممن كان يرى رأى الخوارج ( أبو عبيدة النحوى معمر بن المثنى ) مولى تيم بن مرة ولم يكن فى الارض خارجى ولاجماعى أعلم بجميع العلم منه . وممن كان يرى رأى الخوارج ( الهيثم بن عدى ) الطائى ثم البحترى . وممن كان يرى رأى الخوارج ( شعيب بن رباب الحنفى أبو بكار ) صاحب أحمد بن أبى خالد ومحمد بن حسان السكسكى . ومن الخوارج من علمائهم و رواتهم ( مسلم بن كرزين ) وكنيته أبو عبيدة وكان أباضيا . ومن علمائهم الصفرية وممن كان مقنعا فى الاخبار لاصحاب الخوارج والجماعة جميعا ( مليل ) وأظنه من بنى ثعلبة . ومن أهل هذه الصنعة ( أصفر بن عبد الرحمن ) من أخوال طوق بن مالك . ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم ( المقعطل ) قاضى عسكر الازارقة أيام قطرى . ومن شعرائهم و رؤسائهم وخطبائهم ( عبيدة بن هلال اليشكرى ) وكان فى بنى السمين ومن بنى شيبان خطباء العرب ، وكان فيهم ذاك فاشيا ولذلك قال الاخطل :

فأَينَ ابنُ السَّمينِ أَلاَ يَقومُ خَطيبُها ... وأَينَ ابنُ ذِى الجَدَّينِ لا يتكلَّمُ

وقال سحيم بن حفص كان ( يزيد بن عبد الله بن رؤبة الشيبانى ) من أخطب الناس عند يزيد بن الوليد ، قام للناس بعطاءين * ومن الخطباء ( معبد بن طوق العنبرى ) دخل على بعض الامراء فتكلم وهو قائم فاحسن ، قال فلما جلس تلهيع [١] فى كلامه ، فقال له « ماأظرفك قائما وأموقك [٢] قاعداً » قال « انى اذا قمت جددت واذا قعدت هزلت » قال « ما أحسن ماخرجت منها » * ومن خطباء عبد القيس ( مصقله بن رقبة بن مصقلة ) و ( كرب بن رقبة ) . والعرب قد ذكروا من خطب العرب ﴿ العجوز ﴾ وهى خطبة لآل رقبة ، ومتى تكلموا فلا بدلهم منها أومن بعضها ﴿ والعذراء ﴾ وهى خطبة (قيس بن خارجة) لانه كان أباعذرها ﴿ والشوهاء ﴾ وهى خطبة ( سحبان وائل ) وقيل ذلك لها من حسنها ، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب . وكان ( أبو عمار الطائى ) خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشعر ، وكان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة الطائى عن منادمته ، فلما قتله رثاه فقال :

انى نَهَيتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ ... لاتأمَنَنْ أحْمَرَ العينَيْنِ والشَّعَرَه

إنَّ المُلُوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ ... تَطِرْ بنارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَه

يا جَفْنَةً كازاءِ الحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا ... ومَنْطِقاً مِثْلَ وَشْي اليُمْنَةِ الحِبَرَه

وقال الاصمعى هو كقوله :

وَمَنْطِقٌ خُرِّقَ بالعَوَاسِلِ ... لَذٍّ كَوَشْىِ اليُمْنَةِ المَرَاجِلِ [٣]

قال وسال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر فقال « انه لمانع لحوزته مطاع فى أذينه » قال الزبرقان « يارسول الله إنه ليعلم منى أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى يارسول الله فى شرفى فقصربى » فقال عمر « وهو والله زمر المروءة ، ضيق العطن ، لئيم الخال » فنظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه فقال « يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت ، وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة » فقال رسول الله صلى الله تعالى

١ تلهيع فى كلامه : أفرط وتبلتع ٢ ماق الرجل : حمق فى غباوة ٣ العواسل : الرماح ، والمرجل : برد يمنى

عليه وسلم « ان من البيان لسحرا ».

قال وتكلم رجل فى حاجة عند عمر بن عبد العزيز ـ وكانت حاجته فى قضائها مشقة ـ قال فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأتى لها فقال عمر « والله ان هذا للسحر الحلال »

ومن أصحاب الاخبار والآثار ( أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة ) وكان القاضى قبل أبى يوسف . ومن أصحاب الاخبار والآثار ( أبو هنيدة ) و ( أبو نعامة ) العدويان * ومن الخطباء ( أيوب بن القرّية ) وهو الذى لما دخل على الحجاج قال « ماأعددت لهذا الموقف » قال « ثلاثة حروف ، كانهن ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف » ثم قال له فى بعض مايقول « أقلنى عثرتى ، وأسغنى ريقى ، فانه لابد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة » قال « كلا والله حتى أوردك جهنم ، ألست القائل برستقاباذ « تغدوا الجدى قبل أن يتعشا كم » . قال ومن خطباء غطفان فى الجاهلية ( خويلد بن عمرو ) و ( العُشَراء بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة ) وخويلد خطيب يوم الفجار . ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب وأهل البيان ( الوضاح ابن خيثمة ) . ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات ( بنو الكوّا ) واياهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمى حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال :

كِلانَا شاعِرٌ مِنْ حَيِّ صدْقٍ ... ولكنَّ الرَّحَى فَوْقَ الثِّقالِ

وَحكِّمْ دَغفَلاً وارْحَلْ اليْهِ ... ولا تُرِحِ المَطِيَّ مِنَ الكَلالِ

تَعالَ الى بَنِى الكَوَّاء يَقضُوا ... بعلمِهِمِ بأَنْسابِ الرِّجالِ

تَعالَ الى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهابٍ ... يُنَبِّيْ بالسَّوافِلِ والعَوالى

وعِنْدَ الكَيِّسِ النَّمَرِيِّ عِلْمٌ ... ولَوْ أضحَى بِمُنْخَرَقِ الشَّمالِ

ومن الخطباء القدماء ( كعب بن لؤى ) وكان يخطب على العرب عامة ويحض كنانة خاصة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤى الى عام الفيل . ومن الخطباء الابناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة (شبيب بن شيبة ) وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور وقد كان

المنصور أقام صالحا فتكلم فقال شبيب «مارأيت كاليوم أبين بيانا ، ولا أجود لسانا ، ولا أربط جنانا ، ولا أبل ريقا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أغمض عروقا ، من صالح . وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدى أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يَطلُبُ شأوَ امرأينِ قدّما حسَناً ... نالا الملوكَ وبَذّا هذهِ السوَقا

هُوَ الجَوادُ فانْ يَلحَقْ بشأوِهما ... على تكاليفَ فمِثلُهُ لَحِقا

أَوْ يَسبِقاهُ على ما كانَ مِنْ مَهَلٍ ... فَمِثلُ ماقدّما مِنْ صالِحٍ سَبَقا

قال وخرج شبيب من دار الخلافة يوما فقال له قائل « كيف رأيت الناس » قال « رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا » قال وقال خالد بن صفوان « اتقوا مجانيق الضعفاء » يريد الدعاء . قال وقال شبيب بن شيبة « اطلب الادب ، فانه دليل على المروءة وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة وصلة فى المجلس » وقال شبيب للمهدى يوما « أراك الله فى بنيك ماأرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ماأراك فى أبيك » وقال أبو الحسن قال زيد بن على بن الحسين « اطلب مايعنيك واترك مالا يعنيك ، فان فى ترك مالا يعنيك دركا لما يعنيك ، وانما تقدم على ماقدمت ولست تقدم على ماأخرت ، فآثر ماتلقاه غدا على مالا تراه أبدا » أبو الحسن عن ابراهيم بن سعد قال قال خالد بن صفوان «ماالانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة » أبو الحسن قال كان (أبو بكر) خطيبا . وكان (عمر) خطيبا وكان (عثمان) خطيبا . وكان (على) خطيبا . وكان من الخطباء (معاوية) و(يزيد) و(عبد الملك) و(معاوية بن يزيد) و(مروان) و(سليمان) و(يزيد بن الوليد) و(وليد بن يزيد) و(الوليد بن عبد الملك) و(عمر بن عبد العزيز) . ومن خطباء بنى هاشم (زيد بن على) و(عبد الله بن حسن) و(عبد الله بن معاوية) خطباء لايجارون . ومن خطباء النساك والعباد (الحسن بن أبى الحسن البصرى) و(مطرف بن عبد الله الحرشى) و(مورّق العجلى) و(بكر بن عبد الله المزنى) و(محمد بن واسع الازدى) و(يزيد بن أبان الرقاشى) و(مالك بن دينار السامى) . وليس الامر كما قال فى هؤلاء القاص المجيد والواعظ البليغ وذو المنطق الوجيز . فاما الخطب فانا لانعلم أحدا يتقدم الحسن البصرى فيها . وهؤلاء وان لم يسموا خطباء فان الخطيب لم يكن يشق غبارهم

أبو الحسن قال حدثنى أبو سليمان الحميرى قال كان هشام بن عبد الملك يقول

« انى لاستصفق العمامة ١ الرقيقة أن تكون على أذنى اذا كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يتكلم ، مخافة أن يسقط عنى من حديثه شيء »

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان (أبو البلا) وكان راوية ناسبا . ومنهم (هاشم بن عبد الاعلى الفزارى)

ومن الخطباء (حفص بن معاوية الغلابى) وكان خطيبا ، وهو الذى قال حين أشرك سليمان بن على بينه و بين مولى له على دارة القتب قال حفص «أشركت بينى و بين غير الكفى ، ووليتنى غير السنى» . ومن بنى هلال بن عامر (زرعة بن ضمرة) وهو الذى قيل « لولا غلو فيه ما كان كلامه الا الذهب » وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية « يا أهل الشام هذا خالى فأتونى بخال مثله » وكان ابنه (النعمان ابن زرعة بن ضمرة) من أخطب الناس ، وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فل ابن الاشعث بالكلام اللطيف . قال سحيم بن حفص ومن الخطباء (عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى) تكلم هو وعبد الله بن الاهتم عند عمر بن هبيرة ففضل عاصما عليه . وقال سحيم فقال قائل يومئذ «الخل الحامض مالم يكن ماء» ومن خطباء بنى تميم (عمرو بن الاهتم) وكان يدعى المكحل لجماله ، وهو الذى قيل فيه « انما شعره حلل منشرة بين أيدى الملوك تأخذ منه ماشاءت » ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطب منه . ومن بنى منقر (عبد الله بن الاهتم) وكان خطيبا ذا مقامات ووفادات . ومن الخطباء (صفوان بن عبد الله بن الاهتم) وكان خطيبا رئيسا . وابنه (خالد بن صفوان) وقد وفد الى هشام وكان من سمار أبى العباس . ومنهم (عبد الله بن عبد الله بن الاهتم) قد ولى خراسان ووفد على الخلفاء وخطب عند الملوك . ومن ولده (شبيب بن شيبة) بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم و (عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم) (وخاقان بن الاهتم) وهو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله الاهتم . ومن خطبائهم (محمد الاحول بن خاقان) وكان خطيب بنى تميم ، وقد رأيته وسمعت كلامه . ومن خطبائهم (معمر بن خاقان) وقد وفد . ومن خطبائهم (مؤمل ابن خاقان) ، وقال أبو الزبير الثقفى « مارأيت خطيبا من خطباء الامصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن خاقان » ومن خطبائهم (خاقان بن المؤمل بن خاقان) . وكان (صباح بن خاقان) ذا علم و بيان ومعرفة وشدة عارضة وكثرة رواية مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام لحق الجار . ومن

١ أى انى أجدها صفيقة : والصفيق ضد الرقيق

بنى منقر ( الحكم بن النضر ) وهو أبو العلاء المنقرى وكان يصرف لسانه حيث شاء من جهارة واقتدار . ومن خطباء بنى صريم بن الحارث ( الخزرج بن الصدى ) . ومن خطباء بنى تميم ثم من مقاعس ( عمارة بن أبى سليمان ) . ومن ولد بنى مالك بن سعيد ( عبد الله ) و ( خير ) ابنا حبيب كانا ناسبين عالمين أديبين دينين . ومن ولد مالك بن سعيد ( عبد الله ) و ( العباس ) أبنا رؤبة ، وكان العباس علامة عالما ناسبا راوية ، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم ، ويكنى أبا الشعثاء وهو العجاج . ومن أصحاب الاخبار والنسب ( أبو بكر الصديق ) رضى الله عنه ثم ( جبير ابن مطعم ) ثم ( سعيد بن المسيب ) ثم ( محمد بن سعيد بن المسيب ) ثم ( قتادة ) و ( عبد الله بن عبيد الله [1] بن عتبة المسعودى ) الذى قال فى كلمات [2] له فى عمر ابن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

فمَّا تُرابَ الارضِ منهُ خُلقتُما ... وَفيهِ المَعادُ والمَصيرُ الى الحَشرِ
ولا تأنفا أنْ تَرجعا فتسَلِّما ... فما حُشِيَ الانسانُ شرّاً من الكِبْرِ
فلَوْ شِئتُ أُولى فيكُما غيْرَ واحدٍ ... عَلانيَةً أو قالَ عندِى فى سِرِّ
فانْ أَنا لَمْ آمُرْ ولَمْ أَنهَ عَنكُما ... ضَحِكْتُ لَهُ حتّى يَلَجَّ ويَستَشرِى

وهو الذى قيل له : كيف تقول الشعر مع النسك والفقه . فقال « ان المصدور [3] لايملك أن ينفث » . وقد ذكر المصدور أبو زبيد الطائى فى صفة الاسد فقال :

لِلصَّدْرِ منهُ عَوِيلٌ فيهِ حَشْرَجَةٌ ... كأنَّما هُوَ مِنْ أَحشاءِ مَصْدُورِ

ومن خطباء هذيل ( أبو المليح الهذلى أسامة بن عمير ) . ومنهم ( أبو بكر ) الهذلى كان خطيبا قاصا وعالما بينا وعالما بالاخبار والآثار ، وهو الذى لما فاخر أهل الكوفة قال « لنا الساج ، والعاج ، والديباج ، والخراج ، والنهر العجاج »

* ( باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان ) *

قالوا : أكهن العرب وأسجعهم ( سلمة بن أبى حية ) وهو الذى يقال له غرى

---

١ خ : عبيد الله بن عبد الله ٢ خ : فى كلمة له ٣ الذى يشكو صدره

سلمة . ومنهم ومن خطباء عمان (مرة بن فهم التليد) وهو الخطيب الذى أوفده المهلب الى الحجاج . ومن العتيك ( بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ) وهو الذى قال لبنى المهلب « يا بنى عمى ، انى والله قد قصرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة المستعتب ، حتى كأنى لست موصولا ولا محروما ، فعدونى امرءا خفتم لسانه أو رجوتم شكره . وانى وان قلت هذا فلما أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى » . ومن خطباء اليمن ثم من حمير (الصباح بن شفى الحميرى) كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الانصار (قيس بن الشماس) ومنهم (ثابت بن قيس بن الشماس) خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . ومنهم (روح بن زنباع) وهو الذى لما هم به معاوية قال « لا تُشمتنّ بى عدوا أنت وقمته [1] ، ولا تسوءن بى صديقا أنت سررته ، ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته . هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلى واساءتى » ومن خطبائهم (الاسود بن الكذاب كعب العنسى) . وكان (طليحة) خطيبا وشاعرا وسجاعا كاهنا ناسبا . وكان (مسيلمة الكذاب) بعيدا من ذلك كله . و (ثابت بن قيس بن شماس) هو الذى قال لعامر حين قال « أما والله لئن تعرضت لعنتى وفنى [2] وذكاء سنى لتولين عنى » فقال له ثابت « أما والله لئن تعرضت لسابى وشبا أنيابى وسرعة جوابى لتكرهن جنابى » قال فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « يكفيك الله وأبناء قيلة » وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا أتهمه . ومن خطباء الانصار (بشر بن عمرو بن محض) وهو أبو عمرة الخطيب . ومن خطباء الانصار (سعد بن الربيع) وهو الذى اعترضت ابنته النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها « من أنت » فقالت « ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع » . ومنهم (خال حسان ابن ثابت) وفيه يقول حسان :

انَّ خالِى خَطِيبُ جابِيَتهُ الجَوْ لانَ عِنْدَ النُّعْمانِ حَيْثُ يقُومُ

واياه يعنى حسان بقوله :

رُبَّ خالٍ لِىَ لَوْ أبْصَرْتَهُ سَبِطَ المِشْيَةِ فى اليوْمِ الخَصِرْ [3]

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء (شرقى بن القطامى الكلبى) و (محمد بن السائب الكلبى) و (عبد الله بن عياش الهمدانى) و (هشام بن محمد بن السائب

---

١ قهرته وأذللته ٢ العنن : الاعتراض . والفن : الحال ٣ سبط المشية : مستقيمها . ويوم خصر : بارد

الكلبي ) و ( الهيثم بن عـدى الطائى ) و ( أبو روق الهمدانى ) واسمه عطيـة بن الحارث و ( أبو مخنف لوط بن يحيي الازدى ) و ( محمد بن عمر الاسلمى الواقدى ) و ( عوانة الكلبي ) و ( ابن عيينـه المهلبي ) و ( الخليـل بن أحمـد الفراهيـدى ) و ( خلف بن حيان الاحمر الاشـعرى ) . قالوا ومنا فى الجاهلية (عبيـد بن شرية ) و ( مناشق بن الصعب ) ومنا ( ربيع بن ربيعـة السطيح الذئبي ) ومنا ( المأمور الحارثى ) و ( الديان بن عبد المدان الحارثى ) الشريفان الكاهنان . ومنهم ( عمرو بن حنظلة بن نهد الحكم ) وله يقول القائل :

حَنظَلَةُ بنُ نَهْدِ خَيرُ ناسٍ مِن مَعَدّ

ومنهم ( أبو الشـطاح اللخمى ) وجمع معاوية بينـه و بين دغفـل بن حنظـلة البكرى . ومنهم ( أبو الكناس الكندى ) ومنهم ( أبو مخوس [1] الكندى ) وكانا ناسبين عالمين . ومن أصحاب الاخبار والآثار ( عبد الله بن عتبـة بن لهيعة ) ويكنى أبا عبـد الرحمن . ومن القـدماء فى الحكمـة والخطابة والرياسـة ( عبيـد بن شرية الجرهمى ) و ( أسـقف نجـران ) و ( أكيـدر ) صاحب دومة الجنـدل و ( أفيعى نجران ) و ( ذرب بن حوط ) و عُـلَيـم بن جناب ) و ( عمرو بن ربيعـة ) وهو لحيّ بن حارثة بن عمرو مزيقيـاء و (جذيـمة بن مالك الابرش) وهو أول من أسرج الشمع و رمى بالمنجنيق

## *( باب ذكر النُّسَّاك والزُّهَّاد من أهل البيان )*

عامر بن عبـد قيس ، وصـلة بن أشـيم ، وعثمان بن أدهم ، وصـفوان بن محرز ، والاسود بن كلثوم ، والربيع بن خثيم ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، وهرم بن حيان ، ومورق العجلى ، و بكر بن عبد الله بن الشخير الحرشى . و بعد هؤلاء مالك بن دينار ، وحبيب أبو محمـد ، ويزيد الرقاشى ، وصالح المزنى [2] ، وأبو حازم الاعرج ، وزياد مولى عياش بن أبى ربيعة ، وعبد الواحـد بن زياد [3] ، وحيان أبو الاسود ، ودهثم أبو العلاء

ومن النساء رابعة القيسية ، ومعاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم ، وأم الدرداء . ومن نساء الخوارج البلجاء ، وغزالة ، وقطام ، وحمادة ، وكحيـلة . ومن نساء

١ خ : أبو منحوس ٢ خ : المرى ٣ خ : زيد

الغالية ليلى الناعطية ١ والصدوق ٢ وهند

وممن كان من النساك ممن أدركناه أبو الوليد وهو الحكم الكندى ، ومحمد بن محمد الحمرانى

ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء لقمان بن عاد ، ولقيم بن لقمان ، ومجاشع بن دارم ، وسليط بن كعب بن يربوع سموه بذلك لسلاطة لسانه وقال جرير :

انَّ سَلِيطاً كاسمهِ سَلِيطُ

ولؤى بن غالب وقُسّ بن ساعدة ، وقصى بن كلاب

ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفى ، وربيعة بن حذار ، وهرم بن قطبة ، وعامر بن الظرب ، ولبيد بن ربيعة

وكان من الشعراء وأسماء الصوفية من النساك ممن يجيد الكلام كلاب ، وكليب ، وهاشم الاوقص ، وأبو هاشم الصوفى ، وصالح بن عبد الجليل

ومن القدماء العلماء بالنسب و بالغريب الخطفى - وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع - وانما سمى الخطفى لابيات قالها :

يَرْفَعنَ بالليلِ اذا ماأسْدَفا     أعناقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفَا (٣)

وَعَنَقاً باقِى الرَّسِيم خَيْطَفا

العَنَق ضرب من السير وهو المسبطرّ فاذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل . والرسيم فوق الذميل . والخطيف السريع أى يخطف كما يخطف البرق ، وخيطف من الخطف والياء زائدة فى خيطف كما قالوا رجل صيرف من الصرف و رجل جيدر من الجدر وهو القصر ، وأصل الخطف الاخذ فى سرعة ثم استعير لكل سريع

﴿ ذكر القصاص ﴾

قص الاسود بن سريع وهو الذى قال :

فانْ تَنجُ مِنها تَنجُ مِن ذِى عَظِيمةٍ     والاَّ فانِّى لا إخالُكَ ناجِيا

---

١ مر ذكرها فى شعر صفوان ص ١٧ من هذا الجزء ٢ ورد هذا الاسم فى شعر صفوان ص ١٧ بالفاء « الصدوف » ٣ أسدف الليل : أظلم . جنان : جمع جان وهو اسم جمع للجن ، وحية بيضاء كحلاء توجد فى البيوت ولا تؤذى

وقص الحسن وسعيد بن أبى الحسن . وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة . وقص ابراهيم التيمى . وقص عبيد الله بن عمير الليثى وجلس اليه عبد الله بن عمر حدثنى بذلك عمرو بن فائد باسناد له

ومن القصاص (أبو بكر الهذلى) وهو عبد الله بن أبى سليمان وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار . وقص ابنه (مطرف بن عبد الله بن الشخير) فى مكان أبيه . ومن كبار القصاص ثم من هذيل (مسلم بن جندب) وكان قاص مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة ، وكان امامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز «من سره أن يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب» . ومن القصاص (عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين) وله مسجد فى بنى شيبان . ومن القصاص (موسى الاسوارى) وكان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحوّل وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدرى بأى لسان هو أبين ، واللغتان اذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منها الضيم على صاحبتها الا ماذكروا من لسان موسى بن سيار الاسوارى . ولم يكن فى هذه الامة بعد أبى موسى الاشعرى أقرأ فى محراب من موسى بن سيار . ثم (عثمان بن سعيد بن أسعد) ثم (يونس النحوى) ثم (المعلى) . ثم قص فى مسجده (أبو على الاسوارى) وهو عمرو ابن فائد ستا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات ، لانه كان حافظا للسير ولوجوه التاويلات ، فكان ربما يفسر آية واحدة فى عدة أسابيع ، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الاحاديث الكثيرة ، وكان يقص فى فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك . وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به ، وخصاله المحمودة كثيرة ، ثم قص من بعده (القاسم بن يحيى) وهو أبو العباس الضرير لم يدرك فى القصاص مثله . وكان يقص معهما وبعدهما (مالك بن عبد الحميد المكفوف) ويزعمون أن أبا على لم يسمع منه كلمة غيبة قط ولا عارض أحدا من المخالفين والحساد والبغاة بشىء من المكافأة . فاما (صالح المرى) [١] فانه كان يكنى أبا بشر ، وكان

---

١ خ : المزنى

صحيح الكلام رقيق المجاس ، فذكر أصحابنا أن سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار قال له مرحوم «هل لك أن تاتى قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه» فاتاه على تكرّه كأنه ظنه كبعض من يبلغه شانه ، فلما أتاه وسمع منطقه وسمع تلاوته للقرآن وسمعه يقول : حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا قتادة عن الحسن ، رأى بيانا لم يحتسبه ومذهبا لم يكن يدانيه ، فاقبل سفيان على مرحوم فقال «هذا ليس قاصا هذا نذير»

## *( باب ماقيل فى المَخَاصِر [1] والعصىّ وغيرهما )*

كانت العرب تخطب بالمخاصر ، وتعتمد على الارض بالقسى ، وتشير بالعصى والقنا ، نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدى الملوك فى مجالسها ، ولذلك قال الشاعر [2] :

فِى كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ ... بِكَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ [3]
يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ الَّاحِينَ يَبْتَسِمُ
انْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمُ ... وانْ تَكَلَّمَ يَوْماً سَاخَتِ الْكَلِمْ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الْحَطِيمِ اذا مَاجَاءَ يَسْتَلِمُ
كَمْ هَاتِفٍ لَكَ مِنْ دَاعٍ وَدَاعِيَةٍ ... يَدْعُونَ يَاقُثَمَ الْخَيْرَاتِ يَاقُثَمُ [4]

وقال الشاعر قولا فمر فيه ماقلنا قال :

مَجَالِسُهُمْ خَفْضُ الْحَدِيثِ وقَوْلُهُمْ ... اذا مَاقَضَوْا في الأَمْرِ وَحْيُ الْمَخَاصِرِ

وقال الكميت بن زيد :

وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ الْمُهَذَّ ... بَ بِالْمُؤَيَّدَةِ السَّرَائِرْ
بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَا ... تِ لِمُفْحِمٍ مِنَّا وشَاعِرْ

---

١ المخاصر « جمع مخصرة بكسر الميم » قضيب يشير به الملك والخطيب اذا خاطب الناس ٢ هو الفرزدق والابيات فى مدح الامام زين العابدين بن على بن الحسين بن على عليهم السلام ٣ الاروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو شجاعته . والعرنين : ماتحت مجتمع الحاجبين من الانف ٤ القثم : المعطاء

أهلِ التَّجاوُبِ والمَحا ... فِلِ والمَقاوِلِ بالمَخاصِرْ

فَهُمْ كَذَلِكَ فِي المَجا ... لِسِ والمَحافِلِ والمَشاعِرْ

وكما قال الانصارى فى الجامع حيث يقول :

وسارتْ بناسيَّارةً ذاتَ سُورةٍ (١) ... بكُومِ (٢) المَطايا والخُيولِ الجَماهرِ

يَؤُمُّونَ مُلكَ الشَّامِ حتىَّ تمكَّنُوا ... مُلُوكاً بأرضِ الشَّامِ فَوقَ المَنابِرِ

يُصيبُونَ فَصلَ القَولِ في كُلِّ خُطبَةٍ ... اذا وَصلوا أيمانَهُم بالمَخاصِرِ

وفى المخاصر والعصى وفى خد ٣ وجه الارض باطراف القسى قال الحطيئة :

أمْ مَنْ لِخَصْمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَّهُمْ ... صُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظامِ المَفْخَرِ

وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالدُّخُولِ كأنَّها ... جِنُّ البَدِيِّ رَواسِياً أقدامُها

وقال فى خدّ وجه الارض بالعصى والقسى :

يَشِينُ صِحاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... بعُوجِ السَّراءِ عِندَ بابٍ مُحَجَّبِ

عوج جمع عوجاء وهى هاهنا القوس . والسراء شجر يعمل منه القوس . وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقتَسَمَ النَّاسُ فَضلَ الفَخارِ ... أطَلنا على الأرْضِ مَيلَ العَصا

وقال الآخر :

كَتبَتْ لَنا فى الأرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقٍ ... أيَّامُنا فى الأرْضِ يَوْماً فَيْصَلا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

ما إنْ أهابُ اذا السُّرادِقُ غَمَّهُ ... قَرْعَ القِسِيِّ وأُرْعِشَ الرِّعْدِيدُ

وقال معن بن أوس المزنى :

---

١ السورة : المنزلة والرفعة ٢ الكوم : القطعة من الابل ، والكوم أيضا : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام ٣ الخد : الشق

أَلا مَنْ مُبلغٌ عَنِّي رَسُولاً ... عُبيدَ اللهِ اذ عَجِلَ الرِّسالا
تُغافِلُ دُونَنا أَبناءَ ثَوْرٍ ... ونحنُ الأكثرونَ حَصىً ومَالا
اذا اجتَمَعَ القبائِلُ جِئتَ رِدفاً ... أَمامَ الماسحينَ لكَ السِّبالا(١)
فلا تُعطَى عَصا الخُطَباءِ فِيهِمْ ... وقَدْ تُكْفَى المقادَةَ والمَقالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إلى امرئٍ لا تَخَطَّاهُ الرِّقابُ ولا ... حُدْبُ الحَوانِ إذا ما استُنْشِئ العَرَقُ
صُلْبُ الحَيازِيمِ لا هَذِرُ الكَلامِ إذا ... هَزَّ القَناةَ ولا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

وكما قال جرير الخطفى :

مَنْ لِلقَناةِ إذا ما عَيَّ قائِلُها ... أَمْ لِلأَعِنَّةِ يا شَبيبُ بنُ عَمَّارِ

قال ومثل هذا قول أبى المجيب الربعى « ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يسرك » يقول اذا قام يخطب . وفى كتاب جبل بن يزيد « احفظ أخاك الا من نفسه » وقال عبد الله بن رؤبة : سأل رجل رؤبة عن أخطب بنى تميم ، فقال : خداش بن لبيد بن بيلبة - يعنى البعيث - وانما قيل له (البعيث) لقوله :

تَبَعَّثَ مِنِّى ما تَبَعَّثَ بَعدما ... أُمِرَّتْ حِبالى كُلَّ مِرَّتِها شَزْرا

وزعم سحيم بن حفص أنه كان يقال « أخطب بنى تميم البعيث اذا أخذ القناة »
وقال يونس « لعمرى لئن كان مغلبا فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب »
ومن الشعراء من يغلب شىء قاله فى شعره على اسمه وكنيته فيسمى به بشر كثير ، فمنهم البعيث هذا ، ومنهم عوف بن حصين بن حذيفة بن بدر غلب عليه (عويف القوافى) لقوله :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي ... اذا قُلْتُ شِعراً لا أُجِيدُ القَوافِيا

فسمى عويف القوافى . ومنهم يزيد بن ضرار التغلبى غلب عليه (المزرد) لقوله :

---

١ السبال : جمع سبلة وهى اللحية المسبلة على الصدر

فقلتُ تزرّدْها عُبيدُ فإنني ... لِدُرْدِ الموالي في السنين مزرّدُ (١)

فسمى المزرد . ومنهم عمرو بن سعيد بن مالك غلب عليه (المرقش) وذلك لقوله :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما ... رقّشَ في ظهرِ الأديمِ قلمْ (٢)

فسمى مرقشا . ومنهم سالم بن نهار العبدى غلب عليه (الممزق) لقوله :

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ ... وإلاّ فأدركني ولمّا أُمزّقِ

فسمى الممزق . ومنهم جرير بن عبد المسيح الضبعى غلب عليه (المتلمس) لقوله :

فهذا أوانُ العرضِ طنّ ذُبابُهُ ... زنابيرهُ والأزرقُ المتلمّسُ

ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو السلمى أبو خنساء بنت عمرو وغلب (الشريد) على اسمه لقوله :

تولّى إخوتي وبقيتُ فرداً ... وحيداً في ديارِهِم شريدا

فسمى الشريد وهذا كثير . قال ودخل رجل من قيس غيلان على عبد الملك بن مروان فقال «زبيرى عمرى والله لايحبك قلبى أبدا» قال «ياأمير المؤمنين انما يجزع من فقدان الحب المرأة ، ولكن عدل وانصاف» . قال عمر لابى مريم الحنفى السلولى قاتل زيد بن الخطاب «لايحبك قلبي أبدا حتى تحب الارض الدم المسفوح» . وهذا مثل قول الحجاج «والله لاقلعنك قلع الصمغة» لان الصمغة اليابسة اذا فرقت عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة ، والارض لاتنشف الدم المسفوح ولا تعمه ، فتى جف الدم وتجلب ٣ لم تره أخذ من الارض شيئا

ومن الخطباء (الغضبان بن القبعثرى) وكان محبوسا فى سجن الحجاج ، فدعابه يوما فلما رآه قال «انك لسمين» قال «القيد والرتعة ٤ ومن يكن ضيفا للامير يسمن»

وقال يزيد بن عياض : لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان وهو يقول «لكل أمة آفة ، ولكل نعمة عاهة ، وان آفة هذه الامة عيابون طعانون ، يظهرون لكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون ، طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق . لقد نقموا على مانقموه على عمر ، ولكن قمعهم ووقمهم ، والله انى لاقرب ناصرا وأعز

١ تزرد اللقمة : ابتلعها : والدرد : جمع أدرد وهو الذى ذهبت أسنانه ٢ رقش الكلام : كتبه ونقطه ٣ الجلبة : القشرة تعلو الجرح عند البرء . وجلب الدم وتجلب : يبس ٤ الرتعة الاتساع فى الخصب ، يريد أنه حسن الحال بحيث لايحتاج الى السعى فى تحصيل الرزق

نفرا ، فضل فضل من مالى فمالى لا أفعل فى الفضل ما أشاء»

قال ورأيت الناس يتـداولون رسالة (يحيى بن يعمر) على لسان يزيد بن المهلب «انا لقينا العـدو فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة بعرائر الاودية وأهضام الغيطان وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه» قال فقال الحجاج : ما يزيد بابى عذرة هذا الكلام . فقيل له : ان معه يحيى بن يعمر . فحمل اليه فلما أتاه قال : أين ولدت . قال : بالاهواز . قال : فانى لك هـذه الفصاحة . قال : أخـذتها عن أبى

عرائر الاودية أسافلها . وعراعر الجبال أعاليها . وأهضام الغيطان مـداخلها . والغيطان جمع غائط وهو الحائط ذو الشجر

ورأيتهم يديرون فى كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا فقال له يحيى «ان سالتك ثمن شكرها وشبرك أنشات تطلها وتضهلها»

قالوا الضـهل القليل . والشكر الجماع . والشـبر البضع . تطلها تذهب بحقها ، يقال دم مطلول . ويقال بئر ضهول أى قليلة الماء

قال فان كانوا انما رووا هـذا الكلام لانه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صـفة البلاغة والفصاحة ، وان كانوا انمـا دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لانه غريب فابيات من شـعر العجاج أو شعر الطرماح أو أشـعار هذيل تاتى لهم مع حسن الوصف على أكثر مما ذكروا . ولو خاطب بقوله «ان سالتك ثمن شكرها وشبرك أنشات تطلها وتضهلها» الاصمعىّ لظننت أنه سـيجهل بعض ذلك ، فهذا ليس من اخلاق الكتاب ولا من آدابهم

أبو الحسن كان غلام يقعر فى كلامه فاتى أبا الاسود الدؤلى يلتمس بعض ما عنده فقال له أبو الاسود «ما فعل أبوك» قال «أخذته الحمى فطبخته طبخا وفتختـه فتخا وفضخته فضخا فتركته فرخا» فتخته أضعفته ، والفتيخ الرخو الضعيف . وفضخته دقته . فقال أبو الاسود «فما فعلت امرأته التى كانت تشاره وتماره وتهاره وتزاره»[١] قال «طلقها وتزوجت غـيره فرضيت وحظيت وبظيت» قال أبو الاسـود «وقد علمنا رضيت وحظيت فما بظيت» قال «بظيت حرف من الغريب لم يبلغك» قال أبو الاسود «يا بنى كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر السنور خرؤها»

قال أبو الحسن مر (أبو علقمـة النحوى) ببعض طرق البصرة وهاجت به مرة

---

١ المشاراة : الملاجة · والمماراة : المجادلة · والمهاراة : تبادل الاستهزاء · والمزارة : التعاتب

فوثب عليه قوم منهم فاقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم فقال «مالكم تتكاكؤن على كانكم تتكاكؤن على ذى جنة افرنقعوا عنى» قالوا «دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية» وقال أبو الحسن هاج بابى علقمة الدم فاتى بحجام فقال للحجام اشدد قصب الملازم، وأرهف ظبات المشارط، وأسرع الوضع، وعجل النزع، وليكن شرطك وخزا، ومصك نهزا، ولا تكرهن أبيا، ولا تردن أتيا» فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف

فحديث أبى علقمة فيه غريب، وفيه أنه لو كان حجاما مرة مازاد على ماقال. وليس فى كلام يحيى بن يعمر شىء من الدنيا الا أنه غريب، وهو أيضا من الغريب يفيض

وذكروا عن محمد بن اسحاق قال لما جاء ابنَ الزبير - وهو بمكة - قتلُ مروان الضحاك بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال «ان ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة[1] فاخطات أسته الحفرة، والهف أم لم تلدنى على رجل من محارب كان يرعى فى جبال مكة فيأتى بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سدادا من عيش. ثم أنشا يطلب الخلافة ووراثة النبوة» وأول هذا الكلام مستكره وهو موجود فى كل كتاب وجار على لسان كل صاحب خبر. وقد سمعت لابن الزبير كلاما كثيرا ليس هذا فى سبيله ولا يتعلق به. وقال أبو يعقوب الاعور السلمى:

وخَالجةِ ظَنٍّ يَسبقُ الطَّرْفَ حَزْمُها  تُشيفُ على غَيْمٍ وتُمكنُ من زَحلٍ (٢)
صَدَعتُ بها والقَوْمُ فَوْضَى كأنَّهمْ  بِكارةُ مِرْباعٍ تُبَصْبِصُ للفحلِ (٣)

خالجة ظن أى ظن سريع. تشيف تشرف. بكارة مرباع أى نوق صغار قد أذلت للفحل، مرباع أى نوق ربيع، والمرباع ربع الغنيمة فى الجاهلية لصاحب الجيش. قال ابن عنمة:

لَكَ المِرْباعُ منها والصَّفايا (٤)  وحُكْمُكَ والنَّشيطةُ والفُضولُ (٥)

وقال رجل من بنى يربوع:

الى اللهِ أشكُو ثمَّ أشكُو اليكُما  وهَلْ تنفعُ الشكْوى الى مَن يَزيدُها

---

١ الارض المستوية ٢ الزحل: الاعياء ٣ البكارة: جمع بكرة وهى الناقة الفتية ٤ مااختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة ٥ النشطية: ماأصاب الرئيس قبل أن يصير الى بيضة القوم. والفضول مايأخذه الرئيس مما يفضل عن قسمة الغنائم

حَزازاتِ حُبٍّ في الفؤادِ وعَبْرَةً أظَلُّ باطرافِ البَنانِ أذودُها

يَحِنُّ فُؤادي مِنْ مَخافَةِ بَيْنِكُم حَنينَ المُزَجَّى وِجْهَةً لا يُريدُها(١)

وقد أحسن الآخر حيث يقول :

وأُكرمُ نَفْسي عَنْ مَناكِحَ جَمَّةٍ ويَقْصُرُ مالي أنْ أنالَ الغَوالِيا

وقال الآخر :

واذا العَبْدُ أغلَقَ البابَ دُوني لم يُحرَّمْ عليَّ مَتْنُ الطَّريقِ

وقال الخليع العطاردي : كنا بالبادية اذ نشأ عارض ، ومافى السماء قزعة ٢ معلقة ، وجاء السيل فاكتسح أبياتا من بنى سعد فقلت :

فَرِحْنا بوَسْمِيٍّ تألَّقَ وَدْقُهُ (٣) عِشاءً فأبْكانا صَباحاً فاسْرَعا

لَهُ ظُلَّةٌ كأنَّ رَيِّقَ وَبْلِها (٤) عَجاجَةُ صَيْفٍ أوْ دُخانٌ تَرَفَّعا

فكانَ عَلَى قَوْمٍ سَلاماً ونِعْمَةً وأَلْحَقَ عاداً آخَرينَ وتُبَّعا

وقال أبو عطاء السندى لعبيد الله بن عباس الكندى :

الي مَعْشَرٍ أرْدوا أخاكَ وكَفَّروا أباكَ فماذا بَعْدَ ذلكَ تَقولُ

وقُلْ لِعُبَيْدِ اللهِ لَوْ كانَ جَعْفَرٌ هُوَ الحَيَّ لَمْ يَبْرَحْ وأنتَ قَتيلُ

فقال عبيد الله « أقول عض أبو عطاء بظر أمه فغلب عليه »

قال أبو عبيدة قال أبو البصير فى أبى رهم السدوسى وكان يلى الاعمال لابى جعفر :

رَأَيْتُ أبا رُهْمٍ يُقَرِّبُ مُنْجِحاً غُلاماً أبي بِشْرٍ ويَجْفُو أبا بِشْرِ

فَقُلْتُ لِيَحْيَى كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحاً فقالَ لَهُ أيْرٌ يَزيدُ عَلَى شِبْرِ

قال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة فى خطبها والقنا والقضيب والاتكاء والاعتماد على القوس والخد فى الارض والاشارة بالقضيب بكلام

١ تزجى الشيء : دفعه برفق ٢ القطعة من السحاب ٣ الوسمى : أول مطر الربيع . والودق : المطر ٤ ريق كل شيء : أوله وأصله

مستنكره نذكره ان شاء الله تعالى فى الجزء الثالث . ولابد أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ويزيد وعبد الملك وابن الزبير وسليمان وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد ، لان الباقين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذى يلحق بالخطب و صناعة المنطق إلا اليسير ، ولابد من أن نذكر فيه أقسام تاليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتاليفه من أكبر الحجج . ولابد من أن يكون فيه ذكر شان اسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب لغته وبيانه بعد أربع عشرة سنة ، وكيف نسى لغته التى ربى فيها وجرى على أعراقها ، وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية من [1] غير تلقين ولا ترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حبسة ولا تعلق بلسانه شىء من تلك العادة . ولابد من ذكر بعض كلام المامون ومذاهبه وبعض مايحضرنى من كلام آبائه وجلة رهطه . ولابد أيضا من ذكر من صعد المنبر فحصر وخلط أوقال فاحسن ، ليكون الكتاب أكمل ان شاء الله تعالى . ولابد من ذكر المنابر ولم اتخذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب فى الجاهلية وفى صدور الاسلام . وهل كانت المنابر لامة غير أمتنا وكيف كانت الحال فى ذلك

وقد ذكرنا أن الامم التى فيها الاخلاق والآداب والحكم والعلم أربع ، وهى : العرب ، والهند ، وفارس ، والروم . وقال حكيم بن عياش الكلبى :

أَلَمْ يَكُ مُلْكُ أَرْضِ اللهِ طُرًّا ... لأَرْبَعَةٍ لَهُ مُتَمَيِّزِينا

لِحِمْيَرَ والنَّجاشِى وابْنِ كِسْرَى ... وقَيْصَرَ غَيْرَ قَوْلِ المُمْتَرِينا

فما أدرى باى سبب وضع الحبشة فى هذا الموضع ، وأما ذكره لحمير فان كان إنما ذهب الى تبع نفسه فى الملوك فهذا له وجه ، وأما النجاشى فليس هو عند الملوك فى هذا المكان ، ولو كان النجاشى فى نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش فى هذا الموضع ، وهو لم يفضل النجاشى لمكان إسلامه ، يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر ، وكان وضع كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك

والدليل [2] على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن

---

[1] خ : عن [2] أى : ولابد أن نذكر الدليل ... الخ وهو استئناف لكلام سابق

أقسام تاليف كلامها أكثر، والامثـال التى ضربت أجود وأسير. والدليل على أن البـديهة مقصورة عليها، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيهـا. وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذى تسميه الفرس والروم شعرا وكيف صار النسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى ألحانهم اءا يقال على ألسنة نسائهم وهـذا لايصاب فى العرب الا القليـل اليسير. وكيف صارت العرب تقطع الالحـان الموزونة على الاشعار الموزونة فتضع موزونا على موزون والعجم تمطط الالفـاظ فتقبض وتبسط حتى تدخـل فى وزن اللحـن فتضع موزونا على غـير موزون

وسنـذكر فى الجزء الثانى من أبواب اللحن والعى والغلط والغفـلة أبوابا ظريفة، ونذكر فيـه النوكى من الوجوه ومجانين العرب ومن ضرب به المثـل منهم ونوادر من كلامهم، ومجانين الشعراء لست أعـنى مثـل مجنون بنى عامر ومجنون بنى جعـدة وانما أعنى مثل أبى حية فى أهـل البـادية ومثل جعيفران فى أهل الامصار ومثـل أرسيموس اليونانى وسنذكر أيضا بقية أسماء الخطباء والنساك وأسماء الظرفاء والملحاء ان شاء الله سبحانه وتعالى. وسنذكر من كلام الحجاج وغـيره ماأمكننا فى بقية هذا الجزء ان شاء الله تعـالى

وقال أبو الحسن المداينى قال الحجاج لانس بن مالك حـين دخـل عليه فى شان ابنه عبـد الله وكان خرج مع ابن الاشعث «لامرحبا بك ولاأهـلا لعنة الله عليك من شيخ جـوال فى الفتنـة مرة مع أبى تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لاقلعنك قلع الصمغـة ولاعصبنك عصب السلمـة [1] ولاجردنك تجريد الضب» قال أنس «من يعنى الامير أبقاه الله» قال «اياك أعنى أصم الله صـداك» قال وكتب أنس بذلك الى عبـد الملك فكتب عبـد الملك الى الحجاج «بسم الله الرحمن الرحـيم. ياابن المستفرمـة بعجم الزبيب [2] والله لقد هممت أن أركلك [3] برجـلى ركلة تهوى بها فى نار جهنم وقاتلك الله أخيفش العينين أصك الرجلين أسود الجاعرتين [4] والسلام» وكان الحجاج أخيفش مسلق الاجفان، ولذلك قال امام بن أرقـم النمـيرى، وكان الحجاج جعـله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلمـا خرج قال:

طَلِيقُ اللهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْـهِ    أَبُو داوُدَ وابْنُ أَبِى كَـثِيرِ

---

١ واحدة من شجر السلم وهو نوع من العضاه يدبغ به، وعصب السلمة: ضم ماتفرق منها ٢ أى المحتشية به تضيق به متاعها ٣ أضربك ٤ حرفا الوركين المشرفان على الفخذين

ولا الحَجّاجُ عَينَىْ بنتِ ماءٍ    تُقَلِّبُ طَرْفَها حذَرَ الصُّقورِ

لان طير الماء لا يكون أبدا الا منسلق الاجفان ، والخفش دون العمش . والعصب ان تعصب الشجرة ذات الشوك بالعصاب . وأصك الرجلين تصك احداها الاخرى

قال وخطب الحجاج يوما فقال فى خطبته «والله مابقى من الدنيا الا مثل مامضى ، ولهو أشبه به من الماء بالماء ، والله ماأحب أن مامضى من الدنيا لى بعمامتى هذه»

المفضل بن محمد الضبى قال : كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم أن ابعث الى بالآدم الجعدى الذى يفهمنى ويفهم عنى . فبعث اليه غدام بن شتير . فقال الحجاج «لله دره ماكتبت اليه فى أمر قط الا فهم عنى وعرف ماأريد»

قال أبو الحسن وغيره أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال «أيها الناس ، انى أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى محمدا هذا وأوصيته فيكم بخلاف ماأوصى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانصار ، ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ، ألا وانى قد أوصيته أن لايقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألا وانكم ستقولون بعدى مقالة مايمنعكم من اظهارها الا مخافتى ، ألا وانكم ستقولون بعدى لاأحسن الله له الصحابة ، ألا وانى معجل لكم الاجابة : لاأحسن الله الخلافة عليكم» ثم نزل

وكان يقول فى خطبته «أيها الناس ، ان الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله»

وقال عمرو بن عبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها «ان الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ومسيء بخذلان الله اياه ، ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيء ، فما أولى من تمت عليه النعمة فى نفسه ورأى العبرة فى غيره بان يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ماعليه منها ولا يتكثر بما ليس له منها ، فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ولا بد من لقاء الله ، فاحذركم الله الذى حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ماأخرته العجزة قبل أن تصيروا الى الدار التى صاروا اليها فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها أوبة ، وأنا

استخلف الله عليكم واستخلفه منكم » وقد روى هذا الكلام عن الحجاج وزيادٌ أحق به منه

## (* باب ماذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام )*

قال جرير :

يُكلّفُني رَدَّ العواقبِ بَعدما ... سبقنَ كَسَبقِ السَّيفِ ماقالَ عاذِلُهْ

وقال الكميت بن معروف :

خُذُوا العقلَ إنْ أعطاكُمُ العقلَ قومُكمْ ... وكُونوا كَمَنْ سِيمَ الهَوانَ فارْبعا

ولا تُكثِروا فيه الضّجاجَ فإنَّهُ ... محا السَّيفُ ماقالَ ابنُ دارةَ أجمَعا

والمثل السائر من قبل هذا « سبق السيف العذل »

ومن أهل الادب (زكريا بن درهم) مولى بنى سليم بن منصور صاحب سعيد بن عمرو الحرشى ، وزكريا هو الذى يقول :

لاتَشكُروا لسَعيدٍ فَضلَ نعمَتِهِ ... لايَشكُرُ اللهَ مَنْ لايَشكُرُ النّاسا

ومن أهل الادب ممن وجهه هشام الى الحرشى (السرادق بن عبد الله السدوسى) الفارسى ولما ظفر سلم بن قتيبة بالازد كان من الجند فى دور الازد انتهاب واحراق وآثار قبيحة فقام شبيب بن شيبة الى سلم بن قتيبة فقال «أيها الامير ، ان هريم بن عدى بن أبى طلحة ــ وكان غير منطيق ــ قال ليزيد بن عبد الملك فى شأن المهالبة : ياأمير المؤمنين ، انا والله مارأينا أحدا ظلم ظلمك ، ولا نصر نصرك ، فافعل الثالثة نقلها »

قال الهيثم بن عدى قام (عبد الله بن الحجاج التغلبى) الى عبد الملك بن مروان وقد كان أراد الاتصال به وقد كان عبد الملك حنقا عليه فاقام ببابه حولا لايصل ثم ثار فى وجهه فى بعض ركباته فقال :

أدنُو لِترحَمَني وتَرْتُقَ خلّتي ... وأراكَ تدفعُني فأينَ المَدفَعُ

فقال عبد الملك « الى النار » فقال :

ولَقدْ أذقتَ بَني سَعيدٍ حرَّها ... وابنَ الزُّبيرِ فرأسُهُ متضعضِعُ

فقال عبد الملك « قد كان بعض ذاك ، وأنا استغفر الله »

وقال أبو عبيدة كان بين الحجاج و بين (العديل بن فرخ العجلى) بعض الامر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العديل :

أُخوَّفُ بالحَجَّاجِ حتَّى كأنَّما يُحرَّكُ عظمٌ فى الفُؤادِ مهيضُ
ودُونَ يدِ الحَجَّاجِ مِنْ أنْ تنالني بساطٌ لأيْدى اليعْمَلاتِ عَريضُ (١)
مَهامِهُ أشباهٌ كأنَّ سَرابَها (٢) مُلاءٌ بأيْدى الغاسلاتِ رَحيضُ (٣)

ثم ظفر به الحجاج فقال له « ياعديل ، هل نجاك بساطك العريض » فقال : أيها الامير ، أنا الذى أقول فيك :

ولَوْ كُنْتُ بالعَنقاءِ أوْ بأسومِها لَكانَ لِحَجَّاجٍ عَلَىَّ دَليلُ
خليلُ أميرِ المُؤْمنينَ وسَيفُهُ لكلِّ إمامٍ مُصطَفىً وخليلُ
بَنى قُبَّةَ الاسْلامِ حتىَّ كأنَّما هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلالِ رسُولُ

فقال له الحجاج « اربع نفسك ، واحقن دمك ، واياك واختها ، فقد كان الذى بينى و بين قتلك أقصر من ابهام الحبارى »

قال أبو الحسن وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان خطيبا بالمدينة وكان واليها ينعى معاوية ويدعو الى بيعة يزيد فلما رأى روح بن زنباع ابطاءهم قال « أيها الناس ، انا لاندعوكم الى لخم وجذام وكلب ولكنا ندعوكم الى قريش ، ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت ، وعندنا ان أجبتم وأطعتم من المعونة والفائدة ماشئتم » فبايع الناس

قال وخطب ابراهيم بن اسماعيل من ولد المغيرة المخزومى فقال :

أنا ابنُ الوَحيدِ مَنْ شاءَ أحرَزَ نفسَهُ (٤) صقراً يلوذُ حمامُهُ بالعرفجِ (٥)

ثم قال :

---

١ اليعملات : جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل ٢ المهامه : جمع مهمه وهى المفازة البعيدة ٣ الملاء جمع ملاءة وهو ثوب يلبس على الفخذين . والرحيض : المغسول ٤ كذا فى الاصل ٥ العرفج : شجر سهلى

اسْتوْسِقي أحمِرَةَ الوَجين (١)   سَمِعْنَ حِسَّ أسَدٍ حَرُون
فَهنَّ يَضرِطْنَ ويَنْتَزِين (٢)

ثم قال «والله انى لابغض القرشى أن يكون فظا ، ياعجبا القوم يقال لهم : من أبوكم ؟ فيقولون : أمنا من قريش» فتكلم رجل من عرض الناس وهو يخطب ، فقال له غيره «صه ، فان الامام يخطب» فقال «انما أمرنا بالانصات عند قراءة القرآن ، لا عند ضراط أحمرة الوجين »

وقال آخر : سمعت ابن هبيرة على هذه الاعواد وهو يقول فى دعائه «اللهم انى أعوذ بك من عدوّ يسرى ٣ ، ومن جليس يفرى ٤ ، ومن صديق يطرى ٥ »

قال أبو الحسن : كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهرا سيفه لا يغمده ، و بلغه أن فتى من بنى سهم يذكره بكل قبيح ، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى «لاتعجل علىّ ، ودعنى أتكلم» قال « أو بك كلام » قال « نعم وأزيد . يانافع ، وليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، و بنيت ياقوتة بين الصفا والمروة - يعنى داره - وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث ، أحسن الناس وجها وأكرمهم حسبا ، وليس لنا من ذلك الا التراب ، فلم نحسدك على شىء منه ولم ننفسه عليك ، ونفست علينا أن نتكلم » فقال « تكلم حتى ينفك فكاك »

على بن مجاهد عن جعد بن أبى الجعد قال صعصعة بن صوحان «ماأعيانى جواب حد ماأعيانى جواب عثمان ، دخلت عليه فقلت له : أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله . قال : نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ، فمنا من مات بارض الحبشة ومنا من مات بالمدينة»

قال وقال الحجاج على منبره «والله لالحونكم لحو العصا ، ولاعصبنكم عصب السلمة ، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . ياأهل العراق ، ياأهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق ، انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ،

١ استوسق : اجتمعى . الاحمرة : جمع حمار . الوجين : شط الوادى ٢ النزو : الوثوب
٣ يسير عامة الليل ٤ يكذب ٥ يبالغ فى المدح

ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب ، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف فتنة ـ أى بنى اللكيعة وعبيد العصا و بنى الاماء ، والله لئن قرعت عصا لاتركنكم كامس الدابر [١] »

مالك بن دينار قال « ربما سمعت الحجاج يخطب و يذكر ماصنع به أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه ، وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه بالحجج »

قال وقسم الحجاج مالا ، فاعطى منه مالك بن دينار فقبل ، وأراد أن يدفع منه الى حبيب أبى محمد فابى أن يقبل منه شيئا . ثم مرحبيب بمالك واذا هو يقسم ذلك المال ، فقال له مالك « أبا محمد ، لهذا قبلناه » فقال له حبيب « دعنى مما هناك ، أسالك بالله : الحجاج اليوم أحب اليك أم قبل اليوم » قال « بل اليوم » فقال حبيب « فلا خير فى شىء حبب اليك الحجاج »

ومر غيلان بن خرشة الضبى مع عبد الله بن عامر على نهر عبدالله الذى يشق البصره ، فقال عبد الله « ماأصلح هذا النهر لاهل هذا المصر » فقال غيلان « أجل أيها الامير ، يعلم القوم فيه صبيانهم السباحة ، و يكون لشفاههم ومسيل مياههم ، وتاتيهم فيه ميرتهم » قالوا ثم مر غيلان يساير زيادا على ذلك النهر ، وكان قد عادى ابن عامر ، فقال زياد « ماأضر هذا النهر بأهل هذا المصر » فقال غيلان « أجل والله أيها الامير ، تنزمنه دروهم ، و يغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله تكثر بعوضهم »

فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب ، فاما نفس حسن البيان فليس يذمه الامن عجز عنه ، ومن ذم البيان مدح العى وكفى بذلك جهلا وخبالا وبخالد بن صفوان فى الجبن المأكول كلام ذهب فيه شبيها بهذا المذهب

قال ورجع طاووس عن مجلس محمد بن يوسف ـ وهو يومئذ والى اليمن ـ فقال : ماظننت أن قول « سبحان الله » يكون معصية لله حتى كان اليوم ، سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما ، فقال له رجل فى المجلس « سبحان الله » كالمستعظم لذلك الكلام ، فغضب ابن يوسف

قال أبو الحسن وغيره قالوا : دخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك ـ وكان دميما ـ فلما رآه قال « على رجل أجرك رسنك وسلطك على المسلمين لعنة

١ سيرد هذا قبل آخر الجزء الثانى

الله » فقال « يا أمير المؤمنين ، انك رأيتني والامر عني مدبر ولو رأيتني والامر على مقبل استعظمت من أمرى ما استصغرت » قال فقال سليمان « أفترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد » فقال يزيد « يا أمير المؤمنين ، يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضا على يمين أبيك وشمال أخيك ، فضعه من النار حيث شئت »

قال وذكر يزيد بن المهلب يزيد بن أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم ، وهم بان يستكفيه مهما من أمره ، فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله « ألا أدلك على من هو أزهد في الدينار والدرهم منه ، وهو شر الخلق » قال « بلى » قال « ابليس »

قال وقال أسيلم بن الاحنف للوليد بن عبد الملك قبل أن يستخلف « أصلح الله الامير ، اذا ظننت ظنا فلا تحققه واذا سالت الرجال فسلهم عما تعلم ، فاذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لا تعلم . ودس من يسال لك عما لا تعلم » . وكان أسيلم بن الاحنف الاسدى ذا بيان وأدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ ... بِسَيِّدِ أهْلِ الشَّامِ تَحْبُوا وَتَرْجِعُوا
أُسَيْلِمُ ذَاكُمْ لا خَفَا بِمَكَانِهِ ... لِعَيْنٍ تُرَجَّى أوْ لأُذْنٍ تَسَمَّعُ
مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الَّذِينَ إذَا انْتَمَوْا ... وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ البَابِ قَعْقَعُوا
جَلا الأذْفَرُ الأحْوَى مِنَ المِسْكِ فَرْقَهُ ... وَطِيبُ الدِّهَانِ رَأْسَهُ فَهْوَ أنْزَعُ
إذَا النَّفَرُ السُّودُ اليَمَانُونَ حَاوَلُوا ... لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أرَقُّوا وأوْسَعُوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة

الهيثم بن عدى قال : قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعد ما استخلف ، فامرهم بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم « ان عدوّ الله الحجاج كان عبدا زبابا [1] . قنوّر بن قنور [2] . لا نسب له في العرب » قال سليمان أى شتم هذا . ان عدو الله الحجاج كتب الى « انما أنت نقطة من مداد .

١ بائع زبيب ٢ القنور : السيء الخلق والشرس الصعب

فان رأيت فى مارأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما . والا فانا الحجاج وأنت النطفة . فان شئت محوتك وان شئت أثبتك » فالعنوه لعنه الله . فاقبل الناس يلعنونه . فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فقال « ياأمير المؤمنين . إنا نخبرك عن عدو الله بعلم » قال « هات » قال « كان عدو الله يتزين تزين المومسة . ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار . فاذا نزل عمل عمل الفراعنة . وأكذب فى حديثه من الدجال » فقال سليمان لرجاء بن حيوة « هذا وأبيك الشتم . لاما تاتى به السفلة »

وعن عوانة قال : قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف ، فكتب اليهم : «من الحجاج بن يوسف أمابعد فانكم استخاصتم الفتنة ، فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون . وأيم الله إنى لاهم أن يكون أول مايرد عليكم من قبلى خيل تنسف الطارف والتالد ، وتدع النساء أيامى ، والابناء يتامى ، والديار خرابا و والسواد بياضا . فايما رفقة مرت باهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذى يليه ، تقدمة منى اليكم ، والسعيد من وعظ بغيره والسلام »

مسلمة بن محارب قال كان الحجاج يقول « أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، إذا شاء خطب ، واذا شاء سكت » يعنى الحسن يقول انه لم ينصب نفسه للخطب

قال ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يريد وفيهم الاحنف قام رجل من حمير فقال « انا لانطيق أفواه الكمال - يريد الجمال - عليهم المقال ، وعلينا الفعال » وهذا من الحميرى يدل على تشادق خطباء نزار

سفيان بن عيينة قال قال ابن عباس « اذا ترك العالم قول لاأدرى أصيبت مقاتله » . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله « من قال لاأدرى فقد أحرز نصف العلم » لان الذى له على نفسه هذه القوة فقد دلنا على جودة التثبت وكثرة الطلب وقوة المنة

قال وقيل للمسيح بن مريم صلوات الله عليه « من نجالس » قال « من يزيد فى علمكم منطقه ، وتذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم فى الآخرة عمله » . فقال ومر المسيح بقوم يبكون فقال « مالهؤلاء يبكون » قالوا « يخافون ذنوبهم » قال « اتركوها يغفر لكم »

قال الوصافى دخل الهيثم بن الاسود بن العريان - وكان شاعرا خطيبا - على

عبد الملك بن مروان فقال له « كيف تجدك » قال « أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود . واسود منى ما كنت أحب أن يبيض . واشتد منى ما كنت أحب أن يلين . ولان منى ما كنت أحب أن يشتد » ثم أنشد [١] :

إسمَعْ أُنبئْك بآياتِ الكِبَرْ نَوْمُ العشاءِ وسُعالٌ بالسَّحَرْ
وقِلّةُ النومِ إذا اللَّيلُ اعتكَرْ وقِلّةُ الطُّعمِ إذا الزّادُ حَضَرْ
وسُرْعةُ الطَّرْفِ وتَحميجُ [٢] النَّظَرْ وحَذَراً أزدادُه إلى [٣] حَذَرْ
وتَرْكِيَ الحسْناءَ فى قُبْلِ الطُّهُرْ والنّاسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشَّجَرْ

وقالوا « مروا الاحداث بالمراء والكهول بالفكر » وقال عبد الله بن الحسين [٤] « المراء رائد فى الغضب . فاخزى الله عقلا يأتيك به الغضب »

وقالوا « أربعة تشتد معاشرتهم : الرجل المتوانى . والرجل العالم ، والفرس المرح [٥] . والملك الشديد المملكة » وقال غاز أبو مجاهد يعارضه « أربعة تشتد مؤنتهم : النديم المعربد . والجليس الاحمق . والمغنى التائه . والسفلة اذ نفروا »

وقال أبو شمر الغسانى « أقبل على فلان باللحظ واللفظ . وما الكلام الازجر أو وعيد »

وقال عمير بن الحباب — وروى ذلك عنه مسعر — « ما أغرت على حى فى الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب . وأحزم رجلا وأعجز امرأة من تغلب » قال وقامت امرأة من تغلب الى الحجاف بن حكيم — حين أوقع بالبشر فقتل الرجال و بقر بطون النساء — فقالت له « فض الله فاك . وأصمك وأعماك . وأطال سهادك وأقل رقادك . فوالله ان قتلت الا نساء أسافلهن دُمى . وأعاليهن ثَدَى [٦] » فقال الحجاف لمن حوله « لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها » فبلغ ذلك الحسن فقال « انما الحجاف جذوة من نار جهنم »

قال وكان عامر بن الظرب العدوانى حكيما وكان خطيبا رئيسا وهو القائل

---

١ سيأتى هذا فى ص٣٣ من الجزء الثانى ٢ حمجت : العين غارت ٣ خ : على ٤ خ : الحسن ٥ أى المختال والمتبختر ٦ الدمى : جمع دمية وهى الصورة من العاج أو الرخام فيها حمرة كالدم . والثدى « بفتح الثاء والدال » لغة فى الثدى

« يامعشر عدوان ان الخير ألوف عزوف [١] . وان يفارق صاحبه حتى يفارقه . واني لم أكن حكيما حتى اتبعت الحكماء . ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم »

وقال أعشى بني شيبان [٢] :

وَلا أَنافي أمرِي وَلا في خَلِيقَتي ... بِمُهْتَضَمٍ حَقِّي وَلا قارِعٍ سِنِّي
وَلا مُسْلِمٍ مَوْلايَ مِنْ شَرِّ ماجَنَى ... وَلا خائِفٍ مَوْلايَ مِنْ شَرِّ ماأَجْنِي
وإِنَّ فُؤاداً بَيْنَ جَنْبَيَّ عالِمٌ ... بِما أَبْصَرَتْ عَيْني وَماسَمِعَتْ أُذْني
وَفَضَّلَني فِي القَوْلِ وَالشِّعْرِ أَنَّني ... أَقُولُ بِما أَهْوَى وأَعْرِفُ ماأَعْني

وقال رجل من ولد العباس « ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق في شيء من العلم الاعلم الاخبار . فاما غير ذلك فالنتف والشذر [٣] من القول » وقال آخر :

وَصافِيَةٍ تُعْشِي العُيُونَ رَقِيقَةٍ ... رَهِينَةِ عامٍ فِي الدِّنانِ وَعامِ
أَدَرْنا بِها الكَأْسَ الرَّوِيَّةَ بَيْنَنا ... مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انجابَ كُلُّ ظَلامِ
فَما ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّنا ... مِنَ العِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشامِ

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال « أف لكم : علم المؤدبين وهمة المحتاجين » وقال ابن عتاب « يكون الرجل نحويا عروضيا وقساما فرضيا وحسن الكتابة جيد الحساب . حافظا للقرآن . راوية للشعر . وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهما . ولو أن رجلا كان حسن البيان حسن التخرج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بالف درهم . لان النحوي الذى لاامتناع عنده كالنجار الذي يدعى ليعلق بابا وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف . وصاحب الامتناع يراد في الحالات كلها »

وقال عبد الله بن يزيد السفياني « عوّد نفسك الصبر على جليس السوء فانه لايكاد يخطئك » وقال سهل بن عبد العزيز « من ثقل عليك بنفسه . وغمك في سؤاله . فالزمه أذنا صماء وعينا عمياء » . سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال : كان أبو هريرة اذا استثقل رجلا قال « اللهم اغفر له وأرحنا منه » وقال ابن أبي أمية شهدت الرقاشي في مجلس وكان الي بغيضا مقيتا

١ لايكاد يثبت على خلة خليل ٢ خ : الاعشى بن شيبان ٣ خ : والشذو

فَقَالَ اقتَرِحْ كُلَّ ماتشتَهِي  فَقُلْتُ اقْتَرَحْتُ عَلَيكَ السُّكُوتا

وقال ابن عباس « العلم أكثر من أن يحصى . فخذوا من كل شيء أحسنه »

المدايني عن العباس بن عامر قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة [1] الى عمر ابن عبد العزيز رحمه الله أخته فقال « الحمد لله رب العزة والكبرياء . وصلى الله على محمد خاتم الانبياء . أما بعد فقد أحسن بك ظنا من أودعك حرمته . واختارك ولم يختر عليك . وقد زوجناك على ما في كتاب الله . في امساك بمعروف أو تسريح باحسان [2] » قال وخطب أعرابي وأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال « الحمد لله غير ملال لذكر الله . ولا ايثار غيره عليه » ثم ابتدأ القول في حاجته

وسال أعرابي ناسا فقال « جعل الله حظكم في الخير ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة »

وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له « كثير المال . كثير الدخل . كثير النض . اما مستسلفا واما سائلا » فكتب اليه الرجل « العيال كثير . والدَّين ثقيل . والدخل قليل . والمال مكذوب عليه » فكتب اليه ابراهيم « ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا . وان كنت محجوجا فجعلك الله محذورا » وقال الشاعر :

لَعَلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمانِ يُفِدْنَنِي  بَنِي صامِتٍ في غَيْرِ شَيْءٍ يَضِيرُها

وقال أعرابي « اللهم لاتنزلني ماء سوء فاكون امرأ سوء » وقال أعرابي « اللهم قني عثرات الكرام » قال وسمع مجاشع الربعي رجلا يقول « الشحيح أعذر من الظالم » فقال « أخزى الله شيئين خيرهما الشح » قال وأنشدنا أبو فروة :

إِنِّي مَدَحْتُكَ كاذِباً فأَثَبْتَنِي  لَمَّا مَدَحْتُكَ ماَيُثابُ الكاذِبُ

وأنشد على بن معاذ :

ثَالَبَنِي عَمْرٌو وثالَبْتُهُ  فَأَثِمَ المَثْلُوبُ والثّالِبُ
قُلْتُ لَهُ خَيْراً وَقالَ الخَنَا  كُلٌّ عَلَى صاحِبِهِ كاذِبُ

---

[1] خ : عتيبة [2] راجع ص ٢٨ من سيرة عمر بن عبد العزيز

أبو معشر قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو ابن سعيد قام خطيبا فقال « إن أبا ذبان قتل لطيم الشيطان ، كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون »

ولما جلس عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه على المنبر قال « يا أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم أفريقية ، وقد بعث اليكم ابن أبى سرح عبد الله ابن الزبير بالفتح ، قم يا ابن الزبير » قال : فقمت وخطبت ، فلما نزلت قال « يا أيها الناس ، انكحوا النساء على آبائهن وأخواتهن ، فانى لم أر لابى بكر الصديق ولدا أشبه به من هذا » وقال الجرمى :

أَعْدَدْتُهُ ذُخراً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ ... وَسَهْمُ المَنايا بالذَّخائِرِ مُولَعُ

وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالادب والخطب :

وَمُسَوِّمٍ لِلْموْتِ يَرْكَبُ دِرْعَهُ[١] ... بَيْنَ القَواضِبِ وَالقَنا الخَطَّارِ

يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّماحُ كأَنَّهُ ... شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالِبِ ضارِ[٢]

فَثَوَى صَرِيعاً وَالرِّماحُ تَنوشُهُ ... انَّ الشُّراةَ قَصِيرَةُ الأَعْمارِ[٣]

أُدَباءُ إمَّا جِئْتَهُمْ خُطَباءُ[٤] ... ضُمَناءُ كُلِّ كَتيبَةٍ جَرّارِ

ولما خطب سفيان بن الابرد الاصم الكلبى ، فبلغ فى الترغيب والترهيب المبالغ ، ورأى عبد الله بن هلال اليشكرى أن ذلك قد فت فى أعضاد أصحابه أنشا يقول :

لَعَمْرِى لَقَدْ قامَ الأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ ... لَها فى صُدُورِ المُسْلِمينَ غَليلُ

لَعَمْرِى لَئِنْ أَعْطَيْتُ سُفْيانَ بَيْعَتِى ... وَفارَقْتُ دِينِى إنَّنِى لَجَهُولُ

فت فى عضدى أى غرنى وخوفنى

وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الاسكندر ميتا « كان أمس أنطق منه اليوم . وهو اليوم أوعظ منه أمس » فاخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال :

بَكَيْتُكَ يا عَلِيُّ بِدَرِّ عَيْنِى ... فَلَمْ يُغْنِ البُكاءُ عَلَيْكَ شَيَّا

---

١ سوم على القوم : أغار عليهم فعاث فيهم ٢ الشلو : كل مسلوخ أكل منه شىء و بقيت منه بقية
٣ الشراة : الخوارج ، سموا بذلك لقولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ　　كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيّاً
كَفَى حَزَناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنِّي　　نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ　　وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيّاً

قال ومن الاسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته الى عامل الماء « أما كان بطنى لك وعاء ، أما كان حجرى لك فناء . أما كان ثديى لك سقاء » فقال ابنها « أصبحت خطيبة رضى الله تعالى عنك » لانها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته . وقال النمر بن تولب :

وقالَتْ ألا فاسْمَعْ لِلَفظى وخُطْبَتى　　فَقُلْتُ سَمِعْنا فانطِقى وأصيبي
فلَمْ تنطقى حقا ولستِ بأهلهِ　　فقبحتِ مِنْ قائلٍ وخطيبِ (١)

وقال أبو عياد كاتب أبى خالد « ماجلس أحد قط بين يدى الا تمثل لى أنى ساجلس بين يديه »

قال الله عز وجل « وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » ليس يريد بلاغة اللسان ، وان كان اللسان لايبلغ من القلوب حيث يريد الا بالبلاغة

قال وكانت خطبة قريش فى الجاهلية — يعنى خطبة النساء — « باسمك اللهم . ذكرت فلانة وفلان بهامشغوف . باسمك اللهم . لك ماسألت ولنا ماأعطيت »

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال « لم أر مثلها مصيبة ، ولم أر مثلها ثوابا : موت أمير المؤمنين والخلافة بعده . انا لله وانا اليه راجعون على المصيبة . والحمد لله على النعمة . انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله » فقام اليه عبد الله بن همام فقال :

اللهُ أعطاكَ التى لافوقَها　　وقد أرادَ الملحدُونَ عَوْقَها
عنكَ ويأبَى اللهُ الاّ سَوْقَها　　إليكَ حتى قلّدوكَ طوقَها

فبايع الناس

وقيل لعمرو بن العاصى فى مرضه الذى مات فيه « كيف تجدك » قال

١ كذا فى الاصل

« أجدنى أذوب ولا أتوب [١] وأجد نجوى أكثر من رزئى [٢] فما بقاء الشيخ على ذلك »

وقيل لاعرابى كانت به أمراض عدة « كيف تجدك » قال « أما الذى يعمدنى فحصر وأسر »

وقال مقاتل : سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط فقال « ياأهل العراق ياأهل السبق والسباق ومكارم الاخلاق ، ان أهل الشام فى أفواههم لقمة دسمة قد رتبت [٣] لها الاشداق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فالبسوا لهم جلود النمور

---

١ ولا أرجع ٢ النجو : مايخرج من البطن من ريح أوغائط . ورزء الشىء رزءا : أصاب منه ، ولعله يريد أن مايخرج منه أكثر مما يصيب من الطعام ٣ ثبتت

آخر الجزء الاول

# فهرس الجزء الاول

## من كتاب

## البيان والتبيين

### لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

صفحة



صفحة

صفحة



(تم)

# جدول الخطأ والصواب

## الجزء الاول

### من البيان والتبيين

| ص | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٢ | ١٣ | عيُّ السكوتِ | عيِّ سَكوتُ |
| ٢ | ١٥ | والتفاتٍ وسعلةٍ | الضم في الكل |
| ٣ | ٢ | ولاعيٍّ | ولاعِيِّيٍ |
| ٣ | ٤ | وفي الصمَّت | الصَّمت |
| ٣ | ٥ | شبيه | شبيه |
| ٣ | ١٤ | في المنطق | في النطق |
| ٣ | ١٤ | الجلا.ح | الجلاح |
| ٥ | ٢١ | لخصومة | الخصومة |
| ٥ | ٢٥ | لحياة | الحياة |
| ٧ | ٢٢ | فان تكلفا | فان تكلفا |
| ٨ | ٥ | والقعيب | والتقعيب |
| ٨ | ١٣ | من بدا | من بدأ |
| ٨ | ١٩ | الهى | النهي |
| ٩ | ١٦ | مناقلة | مناقلة |
| ١١ | ١ | السائلُ | السائلَ |
| ١١ | ٤ | بصفار | بصُفَار |
| ١١ | ١٧ | فد | فدٌ |
| ١١ | ٢٠ | في غيرذلك | الى غيرذلك |
| ١١ | ٢٦ | جهارسوك | الجهارسو |
| ١٣ | ٢ | للفظ | اللفظ |
| ١٥ | ٧ | لحرريّ | لحروريّ |
| ١٧ | ١ | والاحجارُ فاخرةٌ | والاحجارِ فاخرةِ |
| ١٨ | ١ | عج د | عجرد |

| ص | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٨ | ٢ | باقبحُ | ياأقبحَ |
| ١٨ | ٥ | الاكيمه | الأُكيمه |
| ١٨ | ١٣ | الضاع | الضباع |
| ١٩ | ١٦ | كلُّ القوم | كلَّ القوم |
| ٢٣ | ١ | ابوعيدة | ابوعبيدة |
| ٢٣ | ٢٣ | التَّمُل | التَّمْل |
| ٢٤ | ٥ | الحنحة | التحنحنة |
| ٢٤ | ١٣ | مضاربُه | مضاربَه |
| ٢٤ | ٢٠ | الصفر | الصفرى |
| ٢٥ | ١ | ويلُ | ويلَ |
| ٢٦ | ١١ | الطول | الطوال |
| ٢٩ | ٥ | الذرا | الذرى |
| ٣٠ | ١٣ | هدَّم | هدَم |
| ٣٠ | ١٤ | عمرو بنُ | عمرَو بنَ |
| ٣٣ | ١٦ | مشتملُ | مشتملِ |
| ٣٥ | ١٢ | وكان الالحاح على القيس (كذا) اسم محرَّف | |
| ٣٦ | ٢٦ | للسرياني | للسريان |
| ٣٨ | ٧ | سلبسة | سَلِسة |
| ٣٨ | ١٥ | عشية ارامُ | عشية ارامِ |
| ٤٠ | ٨و٩ | الفح | القح |
| ٤٠ | ٢٣ | إن تجهزت | أن تجهزت |
| ٤١ | ٦ | لنكة | لسكنة |

| ص | سطر | خطأ | صواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٤١ | ٢٣ | تذكيرُ وتانيثُ | تذكيرَ وتانيثَ |
| ٤١ | ٢٤ | والسوأةُ | والسوأةَ |
| ٤٨ | ٩ | ههننا | ههنا |
| ٤٩ | ٢١ | المـاس | التماس |
| ٤٩ | ٢٤ | جامع | جاء مع |
| ٤٩ | ٢٥ | المـام | التمام |
| ٥٠ | ١ | العدامة | القدامة |
| ٥٠ | ٦ | ذميما | دميما |
| ٥٠ | ٧ | الذميم | الدميم |
| ٥٣ | ١٠ | الخُلائف | الخلائف |
| ٥٣ | ١٨ | دمالعان | دمالقان |
| ٥٨ | ٧ | مؤنه | مؤنة |
| ٥٩ | ١٥ | ماعفٍ | ماعفً |
| ٦٠ | ١٧ | مثلُ | مثلَ |
| ٦٢ | ٢ | وقوفْ | وقوفِ |
| ٦٥ | ٦ | رو را | زوراً |
| ٦٥ | ٢١ | والذ ّوة | والذُّروة |
| ٦٥ | ٢٥ | البلغ | البليغ |
| ٦٦ | ٨ | بلا | بلى |
| ٦٧ | ١٣ | طول | طوال |
| ٦٨ | ٤ | فاقارة | ياقارةً |
| ٦٨ | ١٦ | يَصْرُفون | يَصْرِفون |
| ٨١ | ٧ | ولاآق | ولاآنق |
| ٨١ | ١٣ | بجتم | بجثم |
| ٨٣ | ١ | معروفةُ | معروفةٌ |
| ٨٤ | ٧ | عينه قراره | عينه فراره |
| ٨٦ | ١٤ | ترى طولَ | تُرى طولُ |
| ٨٨ | ٢ | محامدُ مشاتمُ مخايط | بالكسر |

| ص | سطر | خطأ | صواب |
| --- | --- | --- | --- |
| | ٣ | موادبم متاركُ | الكسر في الجميع |
| ٨٨ | ٦ | طعنٍ | طُعُنٍ |
| ٨٨ | ١٤ | الابرْ | الابَرُ |
| ٨٩ | ٢ | تُذكي | تُذكيَ |
| ٩٠ | ١٧ | هوازها | اهوازها |
| ٩٢ | ١٣ | تذكيرُها وتانيثُ | تذكيرَها وتانيث |
| ٩٣ | ٤ | وأخبارُهم | وأخبارَهم |
| ٩٤ | ١٩ | امالعيش | امالعيشَ |
| ٩٦ | ٢ | مغنجَب | معجِب |
| ٩٦ | ٣ | فلم تبقَ | فلم يبق |
| ٩٧ | ٢ | فلاأردى | فلاادرى |
| ٩٧ | ١٠ | بجرى | نجرى |
| ٩٨ | ٥ | طبقاء | طباقاء |
| ٩٨ | ١٤ | وجدتَها | وجدتُها |
| ٩٩ | ٨ | يُهدى | يَهدى |
| ٩٩ | ١٨ | لوَاقحٌ دُلحٌ | لواقحُ دُلّحٌ |
| ١٠٠ | ١٤ | عاصبَه | عاصبُه |
| ١٠١ | ١٢ | ورقبتُه | ورقبتِه |
| ١٠٤ | ٦ | كنت امرُءًا | كنت امرَءًا |
| ١٠٥ | ١٥ | لايصحبُ الهمَّ قرعُ | لايصحب الهمَّ قرعَ |
| ١٠٦ | ٥ | مرسله | مرسل |
| ١٠٦ | ٢٠ | وأخاُف | وأخلَف |
| ١٠٧ | ١ | موضِمين | موضَمين |
| ١٠٧ | ٥ | ميتُ | ميتٌ |
| ١٠٧ | ١١ | ذوفنونْ ذاجدونْ الخ | التحريك في الكل |
| ١٠٧ | ١٣ | واهل بنو | واهلَ بنى |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٠٨ | ١٥ | وفصل الكلام | وفضل الكلام |
| ١١٠ | ١٢ | اياك | واياك |
| ١١١ | ١٣ | المعاذير | المَعاذير |
| ١١٧ | ١٣ | قديقرض | وقديقرض |
| ١١٨ | ١٥ | يحفظ | لحفظ |
| ١٢٠ | ١٠ | اسلتمه | اسلمته |
| ١٢١ | ١٨ | حمّلته | حَمَّلته |
| ١٢٢ | ١٤ | سائرَه | سائرُه |
| | | كبردِ يمانٍ يُربحُ البيعِ | كبردِ اليمانى يَربحُ البيعَ |
| ١٢٤ | ٩ | تاجرُه | تاجرَه |
| ١٢٤ | ٢١ | البزد | البرود |
| ١٢٥ | ٧ | بَلاءالربط | بِلاءالربط |
| ١٢٦ | ٤ | ماءَ | ماءُ |
| ١٢٧ | ١ | اعاذلُ | اعاذلَ |
| ١٢٧ | ١٠ | وقولٌ | وقولٍ |
| ١٢٨ | ١٥ | وجلدُ وثيقُ | وجلدَ وثيق |
| ١٢٩ | ٢ | ذكرنافى | ذكرناذلك فى |
| ١٢٩ | ١٢ | لغوب | لعوب |
| ١٢٩ | ٢٠ | يهدى المقانبِ | يهدى المقانبَ |
| ١٣٠ | ١٨ | واعلمُ | واعلمَ |
| ١٣٠ | ١٩ | وارفقِ | وارفقَ |
| ١٣١ | ١ | مَدنسا | مُدنسا |
| ١٣١ | ٧ | يتذرك امرا | يتذرك امرٌ |
| ١٣١ | ١٠ | اعمَد | اعمِد |
| ١٣٢ | ٤ | ويَلقى ذا | ويُلفَى ذو |
| ١٣٢ | ١٥ | ثقولان | تقولان |
| ١٣٣ | ٤ | كَبرت | كُبرت |
| ١٣٦ | ٩ | بفرط | لفرط |
| ١٣٨ | ٧ | لاقيت امرءا | لاقيت امرءا |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٣٨ | ١٢ | كلبسة | كلبسته |
| ١٤٤ | ١٩ | صورى | مصوَّر |
| ١٤٥ | ٢٦ | مستقصّ | مستقَص |
| ١٤٦ | ٤ | الاجاجتكم | الاجاجتكم |
| ١٤٧ | ١٣ | وابيضُ | وابيضَ |
| ١٤٨ | ٥ | اذاعاقبتُ | اذاعاقبتَ |
| ١٤٨ | ١٥ | وكيفُ لى | وكيفَ لى |
| ١٤٩ | ١١ | به المثل | بها المثل |
| ١٥٠ | ١٢ | ان السفيهُ | ان السفيهَ |
| ١٥٣ | ١٧ | المَزاحة | المُزاحة |
| ١٥٥ | ١ | يُرقَين كل | يرقَين كلّ |
| ١٥٥ | ٨ | احرُّ | احرَّ |
| ١٥٥ | ٢١ | المصيّف | المصيّفُ |
| ١٥٦ | ٤ | لاالفهاهةً | لاالفهاهةِ |
| ١٥٦ | ٧ | جنى النحلُ | جنى النحلِ |
| ١٥٦ | ٩ | سواحرَ | سواحرُ |
| ١٥٦ | ١٠ | كلامهنّ برءُ | كلامهنّ برءَ |
| ١٥٧ | ١٠ | لنجر | النجر |
| ١٥٧ | ١٧ | بنصيبين | بنصيبين |
| ١٥٩ | ٢١ | الهى | النهى |
| ١٦٠ | ٢٥ | بل ثاه | بل رثاه |
| ١٦٢ | ٥ | أُفكلِ | أَفكل |
| ١٦٤ | ١ | حى | حىُّ |
| ١٦٥ | ٣ | بن نضلة | بن نضلة |
| ١٧٠ | ٢٠ | اجزى | اخزى |
| ١٧١ | ١٣ | بجوّعا | بجوّعا |
| ١٧٣ | ١٧ | بن عنكة | بن عنكة |
| ١٧٥ | ٣ | الجامعُ العلمَ | الجامعُ العلمِ |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٧٩ | ١٦ | فى النفـوسُ | فى النفوسِ |
| ١٧٩ | ٢٢ | شنشنةَ | شنشنةٌ |
| ١٨٣ | ٧ | اولية | اوليّه |
| ١٨٥ | ٥ | امثال ، كلُّ | وامثال، كلَّ |
| ١٨٦ | ٥ | ان اللهُ | ان اللهَ |
| ١٨٧ | ٢٨ | الايقوم | لا تقوم |
| ١٩٢ | ٢٠ | خطبا | خطيبا |
| ١٩٣ | ٢١ | خطيبٌ | خطيبُ |
| ١٩٤ | ٨ | حنظلةُ | حنظلةٌ |
| ١٩٨ | ١٩ | غمةٌ قرعَ | غمّهُ قرعُ |
| ٢٠٩ | ١٩ | حد | احد |
| ٢١٠ | ١٧ | دروهم | دورهم |
| ٢١٣ | ٢١ | ثدى | ثدىٌ |
| ٢١٤ | ١١ | كلَّ ظلام | كلُّ ظلام |
| ٢١٤ | ١٨ | لاامتناع | لاامتاع |
| ٢١٤ | ١٩ | وصاحب الامتناع | وصاحب الامتاع |
| ٢١٦ | ٢ | كذلك | وكذلك |

# البيان والتبيين

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ ه

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواين وهي « أدب الكاتب لابن قتيبة » و « كتاب الكامل للمبرد » و « كتاب البيان والتبيين للجاحظ » و « كتاب النوادر لابي على القالى » وماسوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها

ابن خلدون

## الجزء الثاني

وقف على طبعه

محب الدين الخطيب

المحرر بجريدة المؤيد


طبع على نفقة محمود توفيق الكتبي

القاهرة

١٣٣٢

« مطبعة الجمالية بحارة الروم — بمصر »

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان الجاحظ :

الحمد لله رب العالمين . ولا حول ولا قوة الا بالله . وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة

أردنا أبقاك الله أن نبتدئ صدر هذا الجزء الثانى من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية فى طعنهم على خطباء العرب ، إذ وصلوا أيمانهم بالمخاصر ، واعتمدوا على وجه الارض باطراف القسى والعصى ، أشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا ، و فى كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق والمثل السائر . ولكننا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الانام ، وملح الارض ، وحلى الدنيا ، والنجوم التى لا يضل معها السارى ، والمنار الذى اليه يرجع الباغى ، والحزب الذى كثر الله به القليل ، وأعز به الذليل ، و زاد الكثير فى عدده ، والعزيز فى ارتفاع قدره . وهم الذين جلوا بكلامهم الابصار العليلة ، وشحذوا بمنطقهم الاذهان الكليلة ، فنبهوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها من سوء عادتها ، وشفوها من داء القسوة وغباوة الغفلة ، وداووا من العى الفاضح ، ونهجوا الطريق الواضح . ولولا الذى أملت فى تقديم ذلك وتعجيله من العمل بالصواب وجزيل الثواب ، لقد كنت بدأت بالرد عليهم و بكشف قناع دعاويهم . على نا سنقول فى ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا . والله الموفق والمستعان

وعلى أن خطباء السلف الطيّب ، وأهل البيان من التابعين باحسان ، مازالوا يسمون الخطبة التى لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، و يستفتح كلامه بالتمجيد « البتراء » . و يسمون التى لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « الشوهاء » . وقال عمران بن حطان خطبت عند زياد خطبة ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ولم

أدع لطاعن علة فررت ببعض المجالس فسمعت شيخا يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن . وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الامر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد فقال « أما بعد بغير ملال لذكر الله . ولا إيثار غيره عليه ، فانا نقول كذا ونسال كذا » فرارا من أن تكون خطبته بتراء وشوهاء . وقال شبيب بن شبة « الحمد لله وصلى الله على رسوله . أما بعد فانا نسال كذا ونبذل كذا » . وبنا حفظك الله أشد الحاجة الى أن يسلم كتابنا هذا من البتر القبيح ، واللقب السميج المعيب . بل قد نحب أن نزيد فى بهائه ، ونستميل القلوب الى اجتبائه ، إذ كان الامل فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثميناً

ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ، ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه . ومن الطوال ما يكون مستوياً فى الجودة ، ومشاكلا فى استواء الصنعة . ومنها ذوات الفِقَر الحسان والنتَف الجياد . وليس فيها بعد ذلك شىء يستحق الحفظ ، وإنما حظها التخليد فى بطون الصحف . ووجدنا عدد القِصار أكثرُ رواة العلم الى حفظها أسرع . وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار ، ووفينا حقه من التميز ، ونرجو أن لا نكون قصرنا فى ذلك والله الموفق . هذا سوى ما رسمناه فى كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفصحاء ، وجمل كلام الاعراب الخلص ، وأهل اللسن من رجالات قريش والعرب أهل الخطابة من أهل الحجاز ، ونتف من كلام النساك ، ومواعظ من كلام الزهاد ، مع قلة كلامهم وشدة توقيهم ، ورب قليل يغنى عن الكثير ، كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل ، بل رب كلمة تغنى عن خطبة وتنوب عن رسالة ، بل رب كناية تربى على افصاح ، ولحظ يدل على ضمير ، وان كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية . ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك القدر لفقا ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا بحسن الموقع ، وبانتفاع المستمع ، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عرضه من اعتراض العايبين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور مأهولة . ومتى كان اللفظ أيضاً كريما فى نفسه متخيراً فى جنسه ، وكان سليما من الفضول

بريئا من التعقيد ، حبب الى النفوس ، واتصل بالاذهان ، والتحم بالعقول ، وهشت اليه الاسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره ، وعظم فى الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، و رياضة للمتعلم الرّيض . فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ، ومصلحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يخص ، وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا بأهل الجماعة ، شَنِقا[1] لاهل الاختلاف والفرقة ، جمعت له الحظوظ من أقطارها ، وسيقت اليه القلوب بأزمتها ، وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته ، وجبلت على تصويب ارادته . ومن أعاره الله من معرفته نصيباً وأفرغ عليه من محبته ذنوبا ، حنت اليه المعانى وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد أغنى المستمع من كدّ التكلف ، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم . ولم أجد فى خطب السلف الطّيب ، والاعراب الاقحاح ، ألفاظاً مسخوطة ، ولا معانى مدخولة ، ولا طبعا ردّيا ، ولا قولا مستكرها . وأكثر مانجد ذلك فى خطب المولّدين البلديين المتكلفين ، ومن أهل الصنعة المتأدبين ، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب ، أوكان من نتاج التخير والتفكر . ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كَرِيتا[2] ، و زمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، و يقلّب فيها رأيه ، اتّهاماً لعقله ، وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله ذماماً على رأيه ، و رأيه عياراً على شعره ، إشفاقاً على أدبه ، و إحرازاً لما خوّله الله من نعمته

وكانوا يسمون تلك القصائد «الحوليات» و«المقلدات» و«المنقحات» و«المحكمات» ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً ، وشاعراً مفلقا . وفى بيوت الشعر الامثال والاوابد ، ومنها الشواهد ، ومنها الشوارد

والشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخنذيذ ، والخنذيذ هو التام ، قال الاصمعى قال رؤبة هم الفحولة الرواة . ودون الفحلِ الخنذيذِ الشاعرُ المفلق . ودون ذلك الشاعر فقط . والرابع الشعرور . ولذلك قال الاول فى هجاء بعض الشعراء :

يارَابِعَ الشُّعَرَاءِ فِيمَ هَجَوْتَني ... وَزَعَمتَ أَنِّي مُفْحَمٌ لاَ أَنْطِقُ[3]

---

١) قلب شنق : أي مشتاق طامح الي كل شيء ٢) سنة كريت : أي تامة ٣) المفحم : الضعيف

فجعله سكّيتا مخلّفاً ومسبوقاً مؤخّراً . وسمعت بعض العلماء يقول : طبقات الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وشعرور . قال والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبى حمران سماه بذلك امرء القيس بن حجر . ومنهم ثم من بنى ضبة المفوف شاعر بنى حميس وهو الشويعر ، ولذلك قال العبدى :

أَلاَ تنهى سَرَاةُ بَني حَمِيسٍ          شُوَيْعِرَهَا فُوَيْلِيَةَ الأَفاعِ
قُبَيِّلَةٌ تُرَدِّدُ حَيْثُ شاءَتْ          كَزَائِدَةِ النَّعامةِ فِى الْكُرَاعِ (١)

فويلية الافاع دويبة سوداء فوق الخنفساء . والشويعر أيضاً صفوان بن عبد ياليل من بنى سعد بن ليث ، ويقال ان اسمه ربيعة بن عثمان ، وهو الذى يقول :

فسائلْ جعفراً وَبني أبيها          بنى البرزَا بطِخفةَ وَالمِلاَحِ (٢)
وَأَفلتنا أبو لَيلَى طُفَيلٌ          صَحيحَ الجِلْدِ مِنْ أثرِ السِّلاَحِ

وقد زعم ناس أن الخنذيذ من الخيل هو الخصى ، وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر :

يَالَيلَتِي يَالَيتَ لمْ أرَ مِثلَهَا          أمرَّ قِرًى مِنهاوَأكثرَ بَاكيا
وَأَكْثَرَ خِنذِيذًا يجرُّ عِنانَهُ          إلى الْماءِ لمْ يَترُكْ لهُ الْموتُ سَاقيا

وقال بشر بن ابى خازم :

وَخِنْذِيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ (٣) مِنهُ          كطَيِّ الزِّقِّ عَلَّقَهُ التِّجارُ (٤)

وأبين من ذلك قول البرجمى :

وَخَنَاذِيذَ خِصْيَةً وَفُحُولاَ

---

١) الكراع : من الدواب مادون الكعب ومن الانسان مادون الركبة ٢) بنى البرزا : خ بني البزري . وطخفة : اسم جبل أحمر طويل حذاءه بئار ومنهل وفيه حدثت معركة ( يوم طخفة ) لبني يربوع على قابوس بن المنذر ابن ماء السماء . والملاح اسم موضع ذكره ياقوت . وبين البيتين قوله :

غداة أتتهم حمر المنايا          يسقن الموت بالاجل المتاح

٣) الذكر ٤) الزق : سقاء من جلد

ويدل على ماقلنا قول العبسى :

دَعَوْتُ بَنى سَعْدٍ إلىَّ فَشَمَّرَتْ خَنَاذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ

وكان زهير بن أبى سلمى يسمى كبار قصائده الحوليات ، وقد فسر سويد بن كراع العكلى ماقلنا فى قوله :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ الْقَوَافى كَأَنَّمَا أُصَادِى بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نُزَّعا
أُكَالِئُها حتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَمَا يَكُونُ سَحِيرًا أَوْ بُعَيدًا فَأَهْجَعَا
عَوَاصِىَ إلاَّ مَاجَعَلْتُ أَمَامَهَا عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحُورًا وَأَذْرُعا
أَهَبْتُ بِغُرِّ الآبِدَاتِ وَرَاجَعَتْ طَرِيقًا أَمَلَّتْهُ الْقَصَائِدُ مَهْيَعا
بَعِيدَةَ شَأْوٍ لاَ يَكادُ يَرُدُّها لَها طَالِبٌ حتَّى يَكِلَّ وَيَظْلَعا
إِذَا خِفْتُ أَنْ تَرْدَى عليَّ رَدَدْتُها وَرَاءَ التَّرَاقِى خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعا
وَجَشَّمَنِي خَوْفُ ابنِ عفَّانَ رَدَّها فَثَقَّفْتُها حَوْلاً جَرِيدًا وَمَرْبَعا
وَقَدْ كانَ في نفسي عَلَيْها زِيادَةٌ فَلَمْ أَرَ إلاَّ أَنْ أُطِيعَ وَأُسْمَعا

ولا حاجة بنا مع هذه الفقر الى الزيادة فى الدليل على ماقلنا ، ولذلك قال الحطيئة « خير الشعر الحولىّ المحكك » وكان الاصمعى يقول « زهير بن أبى سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر » وكذلك كل من يجوّد فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى الجودة . وكان يقال : لولا أن الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم ، حتى أدخلهم فى باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الالفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعانى سهلاً ورهوا وتنثال عليهم الالفاظ انثيالا . وانما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدى ورؤبة ، ولذلك قالوا فى شعره « مطرف بآلاف وخمار بواف » وكان يخالف فى جميع ذلك الرواة والشعراء . وكان أبوعبيدة يقوله ويحكى ذلك عن

يونس ، ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الاشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة فى قصائد السماطين و بالطوال التى تنشد يوم الحفل لم يجد بداً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما ، واذا قالوا فى غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ، ولم ترهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم فى طوال القصائد وفى صنعة طوال الخطب ، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتدارا عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك اذا احتاجوا الى الرأى فى معاظم التدبير ومهمات الامور و بيتوه فى صدورهم وقيدوه على أنفسهم فاذا قوّمه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككا منقحا ومصفى من الادناس مهذبا . وقال الربيع بن أبى الحقيق لابى ياسر النضيرى :

فَلاَ تُكْثِرِ النَّجْوَى وَأَنتَ مُحارِبٌ تُؤَامِرُ فِيها كُلَّ نِكْسٍ (١) مُقَصِّرِ

وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول : إياى والرأى الفطير . وكان يستعيذ بالله من الرأى الدبرى . وقال سحبان وائل : شر خليطيك السؤوم المحزم . لان السؤوم لا يصبر ، وانما التفاضل فى الصبر . والمحزم صعب لا يعرف مايراد به ، وليس الحزم الا بالتجارب ، ولان عقل الغريزة مسلم الى عقل التجربة . ولذلك قال علي بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه « رأى الشيخ أحب الى من جلَد الشاب » ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل والمهر الأرِن (٢) الا بعد طول الرياضة ، ولم تحوّل المعانيقُ هماليجَ الا بعد طول التخليع (٣) . ولم يحلبوا الزَّبون الا بعد الابساس (٤) . وسنذكر من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، مما لم يسبقه اليه عربى ولم يشاركه فيه عجمى ولمْ يدّع لاحد ولا ادّعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائرا

فمن ذلك قوله « ياخيل الله اركبى » ومن ذلك قوله « مات حتف أنفه » ومن ذلك قوله « لاينتطح فيه عنزان » ومن ذلك قوله « الآن حمى الوطيس » . ولما قال عدى ابن حاتم فى قتل عثمان رضى الله تعالى عنه « لاتحبق فيه عناق (٥) » قال له معاوية بن أبى

---

١) الرجل الضعيف الدنىء الذي لاخير فيه ٢) النشيط ٣) المعانيق : جمع معناق وهو الفرس الجيد العنق . والهماليج : جمع هملاج وهو البرذون الحسن السير فى سرعة ويعرف بالرهوان . وتخليع الدابة : اطلاقها من القيد ٤) ناقة زبون : دفوع . وأبس الحالب بالناقة : دعاها للحليب بقوله « بس بس » ٥) أى : لاتضرط له الصغيرة من المعزى

سفيان رحمهما الله بعد أن فقئت عينه وقتل ابنه « ياأبا طريف هل حبقت فى قتل عثمان عناق » قال « أى والله ، والتيسُ الاضخم » فلم يصر كلامه مثلا وصار كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا . ومن ذلك قوله لابى سفيان بن حرب « كل الصيد فى جوف الفرا » ومن ذلك قوله « هُدنة على دَخن [١] وجماعة على أقذاء » ومن ذلك قوله « لا يُلسع المؤمن من جحر مرتين » ألا ترى أن الحارث بن خذان حين أُمر بالكلام عند مقتل يزيد بن المهلب قال « ياأيها الناس اتقوا الفتنة فانها تقبل بشبهة وتدبر ببيان ، وان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين » فضرب بكلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المثل ثم قال « اتقوا عصبا تاتيكم من الشام كانها دلاء قد انقطع وَذَمُها [٢] » وقال ابن الاشعث لاصحابه وهو على المنبر : قد علمنا إن كنا نعلم وفهمنا إن كنا نفهم أن المؤمن لا يلسع من جحر مرتين ، وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات ، وأنا أستغفر الله من كل ماخالف الايمان وأعتصم به من كل ماقرب من الكفر

وأنا ذاكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يامحمد وما أنا من المتكلفين . فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط فى موضع البسط والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السوقى ، فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق . وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته ، لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس إسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب الفُلج [٣] الا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطئ ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم

---

١) أي سكون لعلة لا لاصلاح ٢) السيور بين آذان الدلو والعراقى ٣) الظفر والفوز

مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين فى فحواه من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا . ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يرون المتطرّف والمتكلف للغناء ولا يكادون يضعون اسم المتكلف الا فى المواضع التى يذمونها . قال قيس بن خطيم :

فَما الْمالُ وَالاخْلاقُ إلا مُعارَةٌ فَما اسْطَعتَ مِنْ مَعروفِها فتزوّدِ
وَإنّي لأَغنى النّاسِ عَنْ مُتكلّفٍ يَرَى النّاسَ ضُلّالاً وَليسَ بِمُهْتَدِ

وقال ابن قميئة :

وَحمّالِ أثقالٍ إذَا هِيَ أعرَضَتْ عَنِ الأَصْلِ لاَ يَسْطيعُها الْمُتكلّفُ

وقال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب : ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاءنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وقد جمعنا فى هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار . ولعل بعض من لم يتسع فى العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أن تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ماليس عنده ولا يبلغه قدره ، كلا والذى حرم التزيد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء وبهرج الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا الا من ضل سعيه

فمن كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ذكر الانصار فقال « أما والله ماعلمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع » وقال « الناس كلهم سواء كاسنان المشط » و « المرء كثير بأخيه » و « لا خير فى صحبة من لا يرى لك مايرى لنفسه » وقال الشاعر :

سَوَاءٌ كأسْنانِ الحِمارِ فَلاَ تَرَى لِذِي شَيْبَةٍ مِنهُمْ عَلى ناشِيءٍ فَضْلاً

وقال آخر :

شَبابُهُمْ وَشِيبُهُمْ سَوَاءٌ فَهُمْ في اللّوْنِ أسْنانُ الْحِمارِ

واذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقته علمت فضل ما بين الكلامين . وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « المسلمون تتكافأ

دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم » فتفهّم رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه. وقال عليه السلام « اليد العليا خير من اليد السفلى » و « ابدأ بمن تعول » وقال « لاتجن يمينك على شمالك » وذكر الخيل فقال « بطونها كنز وظهورها حرز » وقال « خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة » وقال « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » وقال « نعمت العمة لكم النخلة تغرس فى أرض خوارة [1] وتشرب من عين خرارة » وقال « المطعمات فى المحل الراسخات فى الوحل » وقال « الحمى [2] فى أصول النخل » وذكر الخيل فقال « أعرافها أدفاؤها وأذنابها مذابها » و « الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة » وقال « ليس منا من حلق أو صلق [3] أو شق » وقال « نهيتكم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات [4] » وقال « الناس كالابل المائة لاتجد فيها راحلة [5] » وقال « ما أملق تاجر صدوق » وجاء فى الحديث « ماقل وكفى خير مما كثر وألهى » وقال « يحمل هذا العلم من كل خاف عدد له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين » وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف » وقال « لا يُورَدَنّ مُجْرِبٌ على مصح [6] » وقال « لا تزال أمتى صالحاً أمرها مالم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما » و « رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس » و « لن يهلك امرؤ بعد مشورة » وقال « المستشار مؤتمن » وقال « المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء أمسك » وقال « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم » وقال « افصلوا بين حديثكم بالاستغفار » وقال « استعينوا على طول المشى بالسعى » وقال للختانة « يا أم عطية أشميه ولا تنهكيه فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج [7] » وقال « لاتجلسوا على ظهور الطريق فان أبيتم فغضوا الابصار وردوا

---

١) سهلة ٢) هذا شيء حمى : أى محظور لايقرب ٣) رفع صوته . قال ابن الاثير : يريد رفعه في المصائب وعند الفجيعة بالموت ويدخل فيه النوح ٤) أي عن منع ماعليكم اعطاؤه وطلب ماليس لكم ٥) فى نهاية ابن الاثير « الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة » يعنى أن المرضي المنتجب من الناس في عزة وجوده كالنجيب من الابل القوى على الاحمال والاسفار الذي لايوجد فى كثير من الابل ٦) أي من ابله جرباء على من ابله صحاح ٧) شبه القطع اليسير باشمام الرائحة ، والنهك بالمبالغة فيه . أى اقطعى بعض النواة ولا تستأصليها

السلام واهدوا الضال وأعينوا الضعيف » وقال « ان الله يرضى لكم ثلاثا و يكره لكم ثلاثا : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تتفرقوا وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم . ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال » قال « و يقول ابن آدم مالى مالى ، وانما لك من مالك ما أكلت فافنيت أولبست فابليت أو وهبت فامضيت » وقال « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لسأل اليهما ثالثاً » و « لايملأ جوف ابن آدم الا التراب » و « يتوب الله على من تاب » وقال « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون » وقال « ان أحبكم الىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطّؤن أكنافا الذين يألفون و يؤلفون ، وان أبغضكم الىّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » وقال « إياى والتشادق » وقال « إياى الفرج فى الصلاة » وقال « لا يؤمن ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه » وقال « إياكم والمشارة فانها تميت الغُرّة وتحيي العَرّة [1] » وقال « لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا » وقال « أعوذ بالله من الاعميين وبوار الايم » وكان يقول « أعوذ بالله من دعاء لا يسمع وقلب لايخشع وعلم لا ينفع » وقال رجل يارسول الله أوصنى بشئ ينفعنى الله به قال « أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا وعليك بالشكر فان الشكر يزيد فى النعمة وأكثر الدعاء فانك لاتدرى متى يستجاب لك » وقال « أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم » و « اياك والبغى فان الله قد قضى أنه من بغى عليه لينصرنه الله » و « إياك والمكر فان الله قد قضى لايحيق المكر السيء الا باهله » وقيل يارسول الله أى العمل أفضل فقال « اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله » وقيل له أى الاصحاب افضل فقال « الذى اذا ذكرت أعانك واذا نسيت ذكرك » وقيل أى الناس شر قال « العلماء اذا فسدوا » وقال « دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر . والذى نفس محمد بيده لاتؤمنون حتى تحابوا ، أولا أنبئكم بامر اذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » وقال « تهادوا تحابوا » وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

---

١) أورده ابن الاثير في النهاية « اياكم ومشارة الناس فانها تدفن الغرة وتظهر العرة » الغرة هاهنا الحسن والعمل الصالح والعرة المساوي والمثالب

« أوصانى ربى بتسع : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، وبالعدل فى الرضا والغضب ، وبالقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » وثلاث كلمات رويت مرسلة وقد رويت لاقوام شتّى وقد يجوز أن يكون إنما حكوها ولم يبتدؤها منها قوله « لو تكاشفتم لما تدافنتم » ومنها قوله « الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم » ومنها قوله « ما هلك امرؤ عرف قدره » وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار قال وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الله كره لكم العبث فى الصلاة والرفث فى الصيام والضحك عند المقابر » وقال « اذا أذّنتَ فترسّل واذا أقمتَ فاجزم[١] » وحدثنا اسماعيل ابن عياش الحمصى عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر وهو من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمن الملَق[٢] الا فى طلب العلم » ومن حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « قيّدوا العلم بالكتابة[٣] » قال « ويقول الله لولا رجال خُشَّع وصبيان رُضَّع وبهائم رُتَّع لصببتُ عليكم العذاب صبّا » ومن حديث عبد الله بن المبارك رفعه قال « اذا ساد القبيلَ فاسقُهم وكان زعيمَ القوم أرذلُهم وأُكرم الرجلُ اتّقاءَ شره فلينتظروا البلاء » ومن حديث ابن أبى ذئب عن المغيرة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم « ستحرصون على الامارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة[٤] » ومن حديث عبد الملك ابن عمير عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لايحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان » ومن حديث عبد الله بن المبارك قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « ان قوما ركبوا سفينة فى البحر فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له ماتصنع فقال هو مكانى أصنع فيه ماشئت ، فان أخذوا على يديه نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا » وقال « علق سوطك حيث يراه أهلك » ودخل السائب بن أبى صيفى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال « يارسول الله أتعرفنى » قال « كيف

---

١) أي رتل الاذان ولا تعجل فيه . وأما اقامة الصلاة فلا تمدها ٢) الزيادة فى التودد والدعاء والتضرع فوق ماينبغى ٣) خ : بالكتاب ٤) ضرب المرضعة مثلا للامارة ومنافعها والفاطمة مثلا للموت

لأعرف شريكى الذى كان لا يشاريني ولا يماريني » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يؤتى بالوالى يجلد فوق ما أمر الله به فيقول له الرب : عبدى لم جلدت فوق ما أمرتك به . فيقول : رب غضبت لغضبك . فيقول : أكان ينبغى لغضبك أن يكون أشد من غضبى . ثم يؤتى بالمقصّر فيقول : عبدى لم قصّرت عما أمرتك به . فيقول : رب رحمته . فيقول : أكان ينبغى لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتى . قال فيأمر فيهما بشيء قد ذكره لا أعرفه الا أنه صيرهما الى النار » قال وكيع حدثنا عبدالعزيز ابن عمر عن قزعة قال قال لى ابن عمر أودّعك كما ودّعنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وقال « كل أرض بسمائها » وروى سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن أشياخه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الحضرمى ولقومه « من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة[١] من أهل حضرموت باقام الصلاة وايتاء الزكاة على التّيعة[٢] شاة والتيمة[٣] لصاحبها وفى السيوب[٤] الخمس . لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار[٥] فمن أجبى فقد أربى . وكل مسكر حرام » ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا تغالوا فى النساء فانما هن سقيا الله » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش، أحناه[٦] على ولد فى صغره وأرعاه على بعل فى ذوات يده » وقال مجالد عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « اللهم أذهب ملك غسان وضع مهور كندة »

والذى يدلك على أن الله قد خصه من الايجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم » . ومما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من استعمال الاخلاق الكريمة والافعال الشريفة وكثرة الامر

---

١) الاقيال الملوك . والعباهلة المقرون على ملكهم فلم يزالوا عنه ٢) هي اسم لادنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ٣) الشاة تكون لصاحبها في منزله يحتلبها وليست بسائمة ٤) الركاز ٥) الخلاط أن يخلط الرجل ماشيته بماشية غيره ليبخس المصدق فيما يجب له . والوراط اخفاء الماشية عن المصدق . والشنق مازاد بين الفريضتين فى الزكاة أى لا زكاة في الزيادة على الفريضة الى أن تبلغ الفريضة الاخرى ٦) قال ابن الاثير انما وحد الضمير ذهابا الى المعنى تقديره أحنى من وجد أو خلق . ومثله قول القائل أحسن الناس وجها وأحسنه خلقا وهو كثير في العربية ومن أفصح الكلام

نها والنهى عما خالف عنها قوله « من لم يقبل عـذراً من متنصـل صادقا كان أو كاذبا لم يرد عليّ الحوض » وقال فى آخر وصيتـه « اتقوا الله فى الضعيفين » وكلمتـه جارية فى السبي فقال لها « من أنت » قالت « أنا بنت الرجل الجواد حاتم » فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ارحموا عزيزا ذلّ ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « سرعة المشى تذهب ببهاء المؤمن » وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الاحاديث ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الانبياء من قبلى فما جاءكم عنى فاعرضوا على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقله » وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلق النبي صلى الله تعالى عليـه وسلم فقالت « خلق القرآن » وتلت قول الله « وانك لعلى خلق عظيم » وقال محمد بن على « أدب الله محمداً صـلى الله تعالى عليه وسلم باحسن الآداب فقال : خـذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلـين . فلما وعى قال : ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنـه فانتهوا واتقوا الله » قال حدثنا على بن مجاهد قال حدثنا هشام بن عروة قال سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينشد :

مَتَى تأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ　　تَجِدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقدِ

فقال عمر « ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم »

وقد كان الناس يستحسنون قول الاعشى :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَينِ يَصْطَلِيانِها　　وَباتَ على النَّارِ النَّدَى وَالْمُحلَّقُ

فلما قال الحطيئة البيت الذى كتبناه قبل هذا سقط بيت الاعشى

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا يزال المسروق منه فى تهمة من هو برئ حتى يكون أعظم جرما من السارق » وقال أبو الحسن أجرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقا فجثا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم على ركبتيـه وقال « ماهو الا البحر » وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « كذب الحطيئة حيث يقول :

وَانَّ جِيادَ الْخيـلِ لاَ تَسْتَفِزُّنا　　وَلاَ جاعِلاتُ الْعاجِ فوقَ الْمَعاصِمِ »

وقد زعم ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه ولكنه أراد اظهار حب الخيل وتعظيم شأنها

وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل على الارض ويجلس على الارض . ويلبس العباء . ويجالس المساكين ويمشى فى الاسواق ويتوسد يده الشريفة . ويقص من نفسه . ويلطع [1] أصابعه ولا يأكل متكئا . ولم يرقط ضاحكا ملء فيه . وكان يقول « انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت الى ذراع لاجبت ولو أهدى الىّ كُراع [2] لقبلت » لم يأكل قط وحده ولا ضرب عبده ولا ضرب أحداً بيده الا فى سبيل ربه . ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه الا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من أكمل الكمال . وذلك أنه حين دخل مكة عنوة وقد قتلوا أعمامه وبنى أعمامه وأولياءه وقادة أنصاره بعد أن حصروه فى الشعاب وعذبوا أصحابه بانواع العذاب وجرحوه فى بدنه وآذوه فى نفسه وسفهوا عليه وأجمعوا على كيده ، فلما دخلها بغير حمدهم وظهر عليهم على صغر منهم ، قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أقول كما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين »

وانما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب . واذا عرفتم أول كل باب كنتم خلقاء أن تعرفوا الاواخر بالاوائل والمصادر بالموارد

ومن خطبه صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة حجة الوداع وهى :

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم أشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها . وان ربا

---

١) يلحس ٢) الكراع من الدواب : مادون الكعب . ومن الانسان : مادون الركبة

الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب . وان دماء الجاهلية موضوعة وان أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعمد قَوَد [١] وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس ان النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله . وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض . وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات و واحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق : لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن احداً تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرّح ، فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئاً ، أخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهنّ خيرا ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . فلا ترجعُنّ بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . قالوا نعم . قال فليبلغ الشاهد الغائب . أيها الناس ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث . والولد للفراش وللعاهر الحجر ، من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،

---

١ القود : القصاص ، أى القاتل عمدا يقتل

لا يقبل منه صرف ولا عدل . والسلام عليكم ورحمة الله »

وعن الحسن قال جاء قيس بن عاصم المنقرى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نظر اليه قال : هذا سيد أهل الوبر . فقال : يارسول الله خبّرنى عن المال الذى لا تكون علىّ فيه تبعة من ضيف ضافنى أو عيال ان كثروا علىّ . قال : نعم ، المال الاربعون والاكثر الستون وويل لاصحاب المئين الامن أعطى فى رسلها ونجدتها [١] وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ونحر سمينها وأطعم القانع والمعتر . قال : يارسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها ، وما يحل بالوادى الذى أكون فيه أكثر من ابلى . قال : فكيف تصنع بالطروقة . قال: تغدو الابل ويغدو الناس فمن شاء أخذ براس بعير فذهب به . قال : فكيف تصنع بالافقار [٢] . قال: انى لافقر البكر الضرع والناب المسنة . قال : فكيف تصنع بالمنيحة [٣] . قال : انى لامنح فى كل سنة مائة . قال : فاى المال أحب اليك أمالك أم مال مواليك . قال : بل مالى . قال: فمالك من مالك الا ما أكلت فافنيت أولبست فابليت أو أعطيت فامضيت ، وما سوى ذلك للمواريث

وذكر أبو المقدام هشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظى [٤] قال : دخلت على عمر ابن عبد العزيز رحمه الله فى مرضه الذى مات فيه فجعلت أحدّ النظر اليه . فقال لى: يا ابن كعب مالك تحد النظر الىّ . قلت : لما نحل من جسمك وتغير من لونك . قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى وقد سالت حدقتاى على وجنتى وابتدر فمى وأنفى صديدا ودودا كنت لى أشد نكرة ، أعد علىّ حديثا كنت حدثتنيه عن ابن عباس . قلت : سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « ان لكل شئ شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، ومن أحب أن يكون أعزّ الناس فليتق الله ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده» ثم قال «ألا أنبئكم بشرار الناس» قالوا: بلى يارسول الله . قال «من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده» ثم قال « ألا أنبئكم بشر

١) الرسل : الهينة والتأني والمراد منه الرخاء . والنجدة : الشدة ٢) اعارة البعير للركوب
٣) المنيحة : المنحة ٤) راجع ص ١٠ و ٢٤ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة فى القاهرة

من ذلك » قالوا: بلى يارسول الله. قال « من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة » ثم قال « ألا أنبئكم بشر من ذلك » قالوا: بلى يارسول الله. قال «من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره» ثم قال «ألا أنبئكم بشر من ذلك» قالوا: بلى يارسول الله. قال «من يبغض الناس و يبغضونه. ان عيسى بن مريم قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقال: يابنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تكافؤا ظالما فيبطل فضلكم. يابنى اسرائيل الامور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف فيه فالى الله ردوه » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : كل قوم على زينة من أمرهم ومفلحة فى[١] أنفسهم يزرون على من سواهم. و يتبين الحق من ذلك بالمقايسة بالعدل عند ذوى الالباب من الناس. وقال « من رضى رقيقه فليمسكه ومن لم يرض فليبعه ، ولا تعذبوا عباد الله» وقال فى آخر ماأوصى به « اتقوا الله فى الضعيفين » . ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح قسطنطينية خروج الدجال » ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ثم قال « ان هذا لحق كما أنك هاهنا » أو « كما أنك قاعد» يعنى معاذا . صالح المرى[٢] عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا البلاء بالدعاء » . كثير ابن هشام عن عيسى بن ابراهيم عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «الجمعة حج المساكين » . عوف عن الحسن أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان ، وانما أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » . الواقدى عن موسى بن محمد بن[٣] ابراهيم التيمى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «ان الله يحب الجواد من خلقه » . أبو عبد الرحمن الاشجعى عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ماخلا يهودى بمسلم قط الا هم بقتله » و يقال « حدث نفسه بقتله » أبو عاصم النبيل قال حدثنا عبيد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت

---

١) فى نهاية ابن الاثير «من أنفسهم» ٢) خ : المزني ٣) خ : عن

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من ذبّ عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقاً على الله أن يحرم لحمه على النار » . اسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخصيب ابن جحدر عن رجل عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ليس من أخلاق المؤمن الملَق الا فى طلب العلم » . عبد ربه ابن أعين عن عبدالله بن ثمامة بن أنس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « قيّدوا العلم بالكتاب » وقال « فضل جاهك تعود به على أخيك الذى لاجاه له صدقة منك عليه ، وفضل لسانك تعبّر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقة منك عليه ، وفضل قوّتك تعود بها على أخيك الذى لاقوّة له صدقة منك عليه ، وفضل علمك تعود به على أخيك الذى لاعلم له صدقة منك عليه ، وإماطتك الاذى عن الطريق صدقة منك على أهله » وانما مدار الامر والغاية التى يجرى اليها: الفهم ثم الافهام والطلب ثم التثبت . وقال عمرو بن العاص « ثلاثة لاأملهم: جليسى مافهم عنى ، ودابتى ماحملت رجلى، وثوبى ماستر عورتى » وذكر الشعبى ناسا فقال « مارأيت مثلهم أشد تنابذا فى مجلس لاأحسن تفهما عن محدث » ووصف سهل بن هارون رجلا فقال « لم أر أحسن منه فهما لجليل ولا أحسن تفهماً لدقيق » وقال سعيد بن سلم لامير المؤمنين المأمون « لو لم أشكر الله الا على حسن مابلانى فى أمير المؤمنين من قصده الىّ بحديثه واشارته الىّ بطرفه ، لقد كان ذلك من أعظم ماتفرضه الشريعة وتوجبه الحريه » قال المامون « لان أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدّثت وحسن الفهم اذا حُدّثت مالم يجده عند أحد فيمن مضى ولا يظن أنه يجده فيمن بقى » وقال له مرة « والله انك لتستقفى حديثى وتقف عند مقاطع كلامى وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته » قال أبو الحسن : قالت امرأة لزوجها «مالك اذا خرجتَ الى أصحابك تطلقتَ وتحدثت ، واذا كنت عندى تعقّدت وأطرقت» قال «لانى أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلى » وقال أبو مسهر بن المبارك « ماحدثت رجلا قط الا أعجبنى حسن اصغائه حفظ عنى أم ضيع » وقال أبو عقيل ابن درست « نشاط القائل على قدر فهم المستمع » وقال أبو عياد كاتب ابن أبى خالد « للقائل على المستمع ثلاث : جمع البال ، والكتمان ، وبسط العذر » وقال أبو عياد «اذا

أنكر القائل عيني المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له ، فان وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وان كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة ، وعرفه بسوء[1] الاستماع والتقصير فى حق المحدث » وأبو عياد هذا هو الذى قال « ماجلس بين يدىّ رجل قطّ الا تمثـل لى أنى سأجلس بين يديه » وذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان ـ وعبد الملك يومئذ غلام ـ فقال « انه لآخذٌ بأربع وتارك لاربع : آخذ باحسن الحديث اذا حدّث ، وباحسن الاستماع اذا حُدّث ، وبأيسر المؤنة اذا خولف ، وباحسن البشر اذا لقى . وتارك لمحادثة اللئيم ، ومنازعة[2] اللجوج ، ومداراة[3] السفيه ، ومصاحبة المأفون » وذم بعض الحكماء رجلا فقال « يجزم قبل أن يعلم ، و يغضب قبل أن يفهم » وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى بعض رسائله الى قضاته « الفهم الفهم مما يختلج فى صدرك » ولا يمكن تمام الفهم الامع تمام فراغ البال . وقال مجنون بنى عامر :

أتاني هوَاهَا قبلَ أنْ أعرِفَ الهوَى ... فَصادَفَ قَلْبي فارِغاً فَتَمكَّنا

وكتب مالك بن أسماء بن خارجة الى أخيه عيينة بن أسماء :

أعُيَيْنُ هلاَّ إذْ شُغِفْتَ بهَا ... كُنْتَ استَعَنْتَ بفَارِغِ العَقْلِ

أقبلتَ ترجو الغَوثَ مِنْ قِبَلي ... وَالمُسْتغاثُ إليْهِ في شُغُلِ

وقال صالح المرى[4] « سوء الاستماع نفاق » وقد لا يفهم المستمع الا بالتفهم ، وقد يتفهم أيضا من لا يفهم . وقال الحارث بن جـلذة[5] :

وَحَبسْتُ فِيهَا الرَّكْبَ أحدِسُ في ... كُلِّ الأمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدْسِ

وقال النابغة الجعدى :

أبا لِي البَلاءُ وَأنى امرُؤٌ ... إذَا مَاتَبَيَّنْتُ لَمْ أرْتَبِ[6]

وقال آخر :

---

١) خ : بنسولة ٢) خ : وممازعة ٣) خ : ومماراه ٤) خ : المزني ٥) خ : حازة

٦) سبق فى ص ٥٦ من الجزء الاول

تحلّمْ عنِ الأَدْنَينَ واستبْقِ وِدَّهُمْ ... وَلَنْ تَستطِيعَ الحِلْمَ حتّى تحلّما

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم « العلم بالتعلم » واذا كانت البهيمة اذا أحست بشئ من أسباب القاض أحدّت نظرها واستفرغت قواها فى الاسترواح وجمعت بالها للتسمع كان الانسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف . ولما اتهم قتيبة بن مسلم أبا مجلز[1] لاحق بن حميد ببعض الامر قال له أبو مجلز[1] : أيها الامير تثبت فان التثبت نصف العفو . وقال الاحنف : تعلمت العلم من قيس بن عاصم . وقال فيروز بن حصين : كنت أختلف الى ( دار الاستخراج ) أتعلم الصبر . وقال سهل بن هارون : بلاغة الانسان رفق والعى خرق . وكان كثيراً ينشد قول شُتَيم بن خوَيلد :

وَلاَ يَشعَبُونَ الصَّدْعَ بعْدَ تفاقُمٍ ... وَفي رِفقِ أيدِيكُمْ لذِى الصَّدْعِ شاعِبُ[2]

وقال ابراهيم الانصارى وهو ابراهيم بن محمد المتلوج من ولد أبى زيد القارى : الخلفاء والائمة وأمراء المؤمنين ملوك ، وليس كل ملك يكون خليفة واماما . قال : ولذلك فصل بينهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ان أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك » فرفع الناس رؤسهم فقال « مالكم أيها الناس ، انكم لطمانون عجلون ، إن من الملوك من إذا ملك زهّده الله فيما عنده و رغبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق ، فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة الباءه ، لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِيّ[3] والسراب الخادع ، جذل الظاهر حزين الباطن ، فاذا وجبت نفسه ونصب عمره وضحى ظله حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه . ألا ان الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم . وانكم اليوم على خلافة النبوّة ومفرق المحجة ، وسترون بعدى ملكا عضوضا وملكا عنودا وأمة شعاعا[4] ودما مفاحا . فان كانت للباطل نزوة ولاهل الحق جولة يعفو بها الاثر و يموت لها البشر فالزموا المساجد

---

١) خ : مجلد ٢) سبق في ص ٣ من الجزء الاول ٣) هو ضرب من الزيوف ، أى فضته صلبة رديئة ٤) متفرقة

واستشيروا القرآن والزموا الطاعه ولا تفارقوا الجماعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر . أى بلادكم خرسة إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها »

## ﴿ كلام أبى بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما عند موته ﴾

« انى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله : ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا ، وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا . ان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيآتهم ، فاذا ذكرتهم قلت انى أخاف أن لا أكون مَن هؤلاء . وذكر أهل النار فذكرهم بأسوإ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم ، فاذا ذكرتُهم قلت انى لأرجو أن لا أكون من هؤلاء . وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده الى التهلكة . فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك ، وان ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولستَ بمعجز الله »

***

وأوصى عمر رضى الله تعالى عنه الخليفة من بعده فقال : « أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الاولين خيرا أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالانصار خيراً فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيك باهل الامصار خيرا فانهم ردء العدو وجباة الفىء لا تحمل فيئهم الا عن فضل منهم ، وأوصيك باهل البادية خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام أن تاخذ من حواشى أموال أغنيائهم فترد على فقرائهم ، وأوصيك باهل الذمة خيرا أن تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم اذا أدوا ماعليهم للمؤمنين طوعا أو عن يد وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس وتخشى الناس

فى الله، وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فان ذلك باذن الله سلامة لقلبك وحط لوزرك وخير فى عاقبة أمرك، حتى تفضى من ذلك الى من يعرف سريرتك ويحول بينك و بين قلبك. وآمرك أن تشتد فى أمر الله و فى حدوده ومعاصيه على قريب الناس و بعيدهم، ثم لا تاخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله. واجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب الحق، ثم لا تاخذك فى الله لومة لائم. واياك والاثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسّعه الله عليك وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به ايمانا و رضوانا، وان غلبك الهوى اقترفت به سخط الله. وأوصيك أن لا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة. وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة. وأخترتُ من دَلالتك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى، فان عملت بالذى وعظتك وانتهيت الى الذى أمرتك أخذت به نصيبا وافراً وحظا وافيا، وان لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تنزل معاظم الامور عند الذى يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا و رأيك فيه مدخولا، لان الاهواء مشتركة ورأس كل خطيئة ابليس وهو داع الى كل هلكة وقد أضل القرون السالفة قبلك، فاوردهم النار، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرء موالاة عدو الله الداعى الى معاصيه. ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك. أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فاجللت كبيرهم و رحمت صغيرهم و وقرت عالمهم. ولا تضربهم فيذلوا، ولا تستاثر عليهم بالفئ فتبغضهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم، ولا تجمرهم فى البعوث فتقطع نسلهم، ولا تجعل المال دُولة بين الاغنياء منهم[1]، ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم. هذه وصيتى اياك. وأشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام»

﴿ رسالة عمر رضى الله تعالى عنه الى أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه ﴾

رواها ابن عيينة وأبو بكر الهذلى ومسلمة بن محارب، رووها عن قتادة، و رواها

---

١ أي أن يتداولوه فيكون مرة لهذا ومرة لهذا

أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلى عن أبى المليح بن أسامة أن ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب الى أبى موسى الاشعرى « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة . فافهم اذا أُدلى اليك ، فانه لاينفع تكلّم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس فى مجلسك و وجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك . والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما . ولا يمنعنك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم عند مايتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . اعرف الامثال والاشباه ، وقس الامور عند ذلك ، ثم اعمد الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى ؛ واجعل للمدعى حقا غائبا أو بينة أمداً ينتهى اليه . فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء ؛ فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا فى حد أو مجرّبا عليه شهادة زور أوظنيناً فى ولاء أو قرابة ، فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات . ثم إياك القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكّر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر ، فانه من يخلص نيته فيما بينه و بين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه و بين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام عليك »

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى ﴿ أول خطبة خطبها على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ﴾ حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال « أما بعد فلا يرعين مرع الا على نفسه ، فان من أرعى على غير نفسه شغل عن الجنة والنار أمامه . ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر فى النار ، ثلاثة . واثنان : ملك طار بجناحيه ونبي أخذه الله بيده . ولا سادس . هلك من ادعى وروى من اقتحم ، فان اليمين والشمال مضلة والوسطى الجادة ؛ منهج عليه باقى الكتاب والسنة وآثار النبوة . إن الله داوى هذه الامة بدوائين السوط والسيف فلا هوادة عند الامام فيهما . استتروا ببيوتكم واصطلحوا فيما بينكم والتوبة من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم

تكونوا عندى فيها محمودين ، أما انى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف . سبق الرجلان ونام الثالث كالغراب همته بطنه ، ياويحه ، لو قُصَّ جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له . انظروا ان أنكرتم فانكروا وان عرفتم بازروا . حق وباطل ، ولكل أهل ، ولئن كثر أمر الباطل لقديما فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ، ماأدبر شيء فأقبل . ولئن رجعت عليكم أموركم انكم لسعداء ، وانى لاخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا الا الاجتهاد »

قال أبو عبيدة وروى فيها جعفر بن محمد « ان أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا ، ألا وانا من أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا ، وان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وان لم تفعلوا يهلككم الله بايدينا . معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تاخر عنا غرق . ألا وان بنا ترد دبرة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح وبنا ختم ، لابكم »

ومن خطب على أيضا رضى الله تعالى عنه قالوا أغار سفيان بن عوف الازدى ثم الغامدى على الانبار زمان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعليها ابن حسان أو حسان البكرى فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج علىٌّ حتى جلس على باب السدة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال « أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة وشملة البلاء وألزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النّصف . ألا وانى قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا سرا واعلانا ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريا ، حتى شنت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار ، وقتل حسان أوابن حسان البكرى ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، وقتل منكم رجالا صالحين . وقد بلغنى ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع أحجالها وقلبها ورعثها[1] ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم كلما . فلوأن امرءاً مسلما مات

١) القلب من السوار ما كان قلباً واحدا أوما كان مفتولا من طاق واحد . والرعث : الاقراط

من بعدها أسفا ما كان عنــدى ملوما ، بل كان عندى به جديراً . فياعجبا من جدهؤلاء القوم فى باطلهم وفشلكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى وفيئا ينهب . يُغار عليكم ولا تغيرون ، وتُغزون ولا تَغزون ، و يعصى الله وترضون . فاذا أمرتكم بالسير اليهم فى الحر قلتم : حمارَّة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ[1] عنا الحر . واذا أمرتكم بالسير فى البرد قلتم : أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر . كل هذا فرارا من الحر والقر ، فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فانتم والله من السيف أفر . ياأشباه الرجال ولا رجال ، و ياأحــلام الاطفال وعقول ربات الحجال ، وددت أن الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى الى رحمتــه من بينــكم ، والله لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم ، معرفة والله جرّت ندما ، وورثت صدرى غيظاً ، وجرعتمونى الموت أنفاسا ، وأفسدتم علىّ رأيى بالعصــيان والخذلان ، حتى قالت قريش : ان ابن أبى طالب شجاع ولـكن لا علم له بالحرب ، لله أبوهم ، وهل منهم أحد أشد لها مراسا وأطول لها تجربة منى ، لقد مارستها وما بلغت العشرين فيها ، وقد نيفت على الستين ، ولـكنه لا رأى لمن لا يطاع »

قال فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له فقال : يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله « رب انى لا أملك الا نفسى وأخى » فمرنا بامرك ، فوالله لنضرىن دونك وان حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد . قال فاثنى عليهما وقال لهما خيرا وقال « أين تقعان مما أريد » ثم نزل

وخطبة أخرى بهذا الاسناد فى شبيه بهــذا المعنى ، قام فيهم خطيبا فقال « أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم . كلامكم يوهى الصم الصــلاب ، وفعلكم يطمع فيكم عدوّكم . تقولون فى المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدى حيادِ[2] ماعزّت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم . أعاليل باضاليل . وسالتمونى التاخــير دفاع ذى الدين المَطول ، هيهات لا يمنع الضيم الذليل ، ولا يُدرَك الحق الاّ بالجدّ . أى دار بعد داركم تمنعون ، أم مع أىّ إمام بعدى تقاتلون . المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالســهم الاخيب . أصــبحت والله لا أصــدّق قولــكم

---

١) فى النهج « أمهلنا يسبخ » بمعنى يخف ويسكن ٢) كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه

ولا أطمع فى نصرتكم . فرق الله بينى وبينكم وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم . لوددت أن لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم »

وخطب أيضا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال « أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع . وان المضمار اليوم والسباق غدا . ألا و إنكم فى أيام أمل ، من ورائه أجل ، فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أمله ، ومن قصّر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضرّه أمله . ألا فاعملوا الله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة . ألا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها . ألا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجرُّبه الضلال [الى الردى][1] . ألا وانكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ، و إن أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الامل .

﴿ خطبة عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ﴾

« أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام ، وأحسن السنن سنة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها ، وخير الامور عزائمها . ماقل وكفى خير مما كثر وألهى . نفس تنجيها خير من امارة لاتحصيها . خير الغنى غنى النفس . خير ما ألقى فى القلب اليقين . الخمر جماع الآثام . النساء حبالة الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة . من الناس من لاياتى الجماعة الادبرا ، ولا يذكر الله الا هجرا . أعظم الخطايا اللسان الكذوب . سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية . من يتألى على الله يكذبه ، ومن يستغفر يغفر له . مكتوب فى ديوان المحسنين : من عفا عفى عنه . الشقى من شقى فى بطن أمه . السعيد من وعظ بغيره . الامور بعواقبها . ملاك العمل خواتيمه . أحسن الهدى هدى الانبياء . أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى . أشرف الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه . من لا يعرف البلاء ينكره »

﴿ خطبة عتبة بن غزوان السلمى بعد فتح الايلة ﴾

حمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال :

---

١) من النهج

« أما بعـد فان الدنيا قد تولت حذاء مدبرة ، وقد آذنت أهلها بصرم ، و إنما بقى منها صبابة كصبابة الاناء يصطبها صاحبها ؛ ألا وانكم مفارقوها لامحالة ، ففارقوها باحسن مايحضركم . ألا وان من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : ان الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفا . ولجهنم سبعة أبواب مابين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ولتاتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام . ولقد كنت مع رسول الله سابع سبعة مالنا طعام الاورق البشام حتى قرحت أشداقنا ، فوجدت أناوسعد بن مالك تمرة فشققتها بينى و بينه بنصفين والتقطت بردة فشققتها بينى و بينه فأتزرت بنصفها وأتزر بنصفها ، وما منا أحد اليوم الا وهو أمير على مصر من الامصار . وانه لم يكن نبوة قط الا تناسختها جبرية . وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وفى أعين الناس صغيرا ، وستجربون الامراء من بعدى فتعرفون وتنكرون »

﴿ خطبة من خطب معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما ﴾

رواها شعيب بن صفوان و زاد فيها اليقطرى وغيره . قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ، قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك ، فقال: ويحك ولم ، قال: لاأدرى ، قال : فوالله مالهم بعدى الا الذى يسؤهم . وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال « أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عنود ، و زمن شديد ، يعدّ فيه المحسن مسيئاً ، و يزداد فيه الظالم عتوّا ، لا ننتفع بما علمناه ، ولا نسأل عما جهلناه ، ولا نتخوّف قارعة حتى تحلّ بنا . فالناس على أربعة أصناف : منهم من لايمنعه من الفساد فى الارض إلا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره [1] . ومنهم المصلت لسيفه المجلب بخيله و رجله والمعلن بشره ، قد أشرط نفسه وأو بق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرعه ، ولبئس المتجران تراهما لنفسك ثمنا ولما لك عند الله عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، فقد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف نفسه

---

١) قلة ماله

أناظره . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس . أيها الناس ، انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا . واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه ، ولا مجمراً لكم بعثا . فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم . أسال الله أن يعين كلا على كل . واذا رايتمونى أنفذ فيكم الامر فانفذوه على إذلاله . وايم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى »

قال فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال « أشهد أيها الامير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب » فقال له « كذبت ، ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه » قال فقام الاحنف ابن قيس فقال « إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نثنى حتى نبتلى » فقال له زياد « صدقت » فقام أبو بلال مرداس بن أمية وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ماقلت قال الله « وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ماسعى » وأنت تزعم أنك تاخذ البرىء بالسقيم والمطيع بالعاصى والمقبل بالمدبر » فسمعها زياد فقال « انا لا نبلغ مانريد فيك وفى صحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضا »

خلاد بن يزيد الارقط قال سمعت من يخبر أن الشعبي قال : ماسمعت متكلما على منبر قط تكلم فاحسن الا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسىء ، إلا زياداً فانه كان كلما أكثر كان أجود كلاما . أبو الحسن المدائنى قال قال الحسن : أوعد عمر فعفا وأوعد زياد فابتلى . قال وقال الحسن : تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس

قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبه

« أما بعـد فان الدنيا قد تولت حذاء مدبرة ، وقد آذنت أهلها بصرم ، و إنما بقى منها صبابة كصـبابة الاناء يصطبها صاحبها ، ألا وانـكم مفارقوها لامحالة ، ففارقوها باحسن ما يحضركم . ألا وان من العجب أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : ان الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سـبعين خريفا . ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسـيرة خمسمائة سـنة ولتاتين عليه ساعة وهو كظيظ بالزحام . ولقد كنت مع رسول الله سابع سبعة مالنا طعام الاورق البشام حتى قرحت أشداقنا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتها بينى و بينـه بنصفين والتقطت بردة فشققتها بينى و بينه فأتزرت بنصفها وأتزر بنصفها ، وما منا أحد اليوم الاوهو أمـير على مصر من الامصار . وانه لم يكن نبوة قط الا تناسختها جبرية . وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وفى أعين الناس صغيرا ، وستجربون الامراء من بعدى فتعرفون وتنـكرون »

﴿ خطبة من خطب معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما ﴾

رواها شعيب بن صفوان و زاد فيها اليقطرى وغـيره . قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ، قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك . فقال: ويحك ولم ، قال: لاأدرى ، قال :فوالله مالهم بعدى الا الذى يسوءهم . وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليـه وأوجز ثم قال « أيها النـاس ، إنا قـد أصبحنا فى دهر عنود ، و زمن شديد ، يعدّ فيه المحسن مسيئاً ، و يزداد فيه الظالم عتوّا ، لا ننتفع بما علمناه ، ولا نسأل عما جهلناه ، ولا نتخوّف قارعة حتى تحلّ بنا . فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد فى الارض إلا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره [1] . ومنهم المصلت لسيفه المجلب بخيله و رجله والمعلن بشره ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرعه ، ولبئس المتجران تراهما لنفسك ثمنا ولما لك عند الله عوضاً . ومنهم من يطلب الدنيا بعمـل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، فقـد طامَنَ مِن شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف نفسـه

---

١) قلة ماله

قال « خير أمير نبطى فى حبوته [١] ، عربى فى نمرته [٢] ، أسد فى ناموزته [٣] ، يعدل فى القضية ، ويقسم بالسوية ، وينفر بالسرية ، وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة » فقال عمر « لشر ما تقارضتما الثناء »

قال ولما تورد الحارث بن قيس الجهضمى بعبيد الله بن زياد منزل مسعود بن عمرو العتكى عن غير اذن فاراد مسعود اخراجه من منزله قال عبيد الله « قد أجارتنى بنت عمك عليك ، وعقدها العقد الذى يلزمك ، وهذا ثوبها علىّ وطعامها فى مذاخرى [٤] وقد التف علىّ منزلك » وشهد له الحارث بذلك

قال مر الشعبى بناس من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال « لئن أصلحتموه إنكم لاول من أفسده »

قال وتكلم عبد الملك بن عمير وأعرابى حاضر فقيل له : كيف ترى هذا الكلام . قال : لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا . وقال : العذر طرف من البخل . وقال أيضاً : الخرس خير من الخلابة . وقال أبو عمر الضرير : البكم خير من البذاء . قال وقدم الهيثم بن الاسود بن العريان على عبد الملك بن مروان فقال : كيف تجدك . قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحبّ أن يسودّ واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ولان منى ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد :

إِسمَعْ أُنَبِّئْكَ بِآياتِ الكِبَرْ ... نَومُ العِشاءِ وَسُعالٌ بِالسَّحَرْ
وَقِلَّةُ النومِ إِذَا اللَّيلُ اعتَكَرْ ... وَقِلَّةُ الطُّعْمِ إِذَا الزادُ حَضَرْ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَرْ [٥] ... وَتَرْكِيَ الحَسْناءَ فى قَبْلِ الطُّهُرْ
وَحذَراً أَزْدَادُهُ إِلى حَذَرْ ... وَالناسُ يَبلُونَ كَما يَبلَى الشَّجَرْ

وقال أكثم بن صيفى : الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء الفطنة . وقال أكثم :

---

١) أي فى أبويه وفى نسخة أخري « فى حبوته » ٢) بردته أو شملته ٣) الناموزة : مصيدة تربط فيها شاة، أو حديدة لها كلاليب تجعل فيها لحمة ٤) الاجواف والامعاء ٥) حمجت العين : غارت

الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لا يزول .
أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية .
ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه ، من تركم
الضعيف يقهر ويؤخذ ماله . هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة فى النهار
المبصر ، والعدد غير قليل . ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار .
قرّبتم القرابة وباعدتم الدّين . تعتذرون بغير العذر وتغضون على المختلس ، كل امرىء
منكم يذب عن سفيهه : صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا . ما أنتم بالحلماء ،
ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام.
ثم أطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب . حرام علىّ الطعام والشراب حتى أسوّيها
بالارض هدما وإحراقا . إنى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله : لين
فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف . وإنى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم
بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصى والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم ،حتى يلقى الرجل
منكم أخاه فيقول « أنج سعد فقد هلك سعيد » أو تستقيم قناتكم . إن كذبة المنبر بلقاء
مشهورة ، فاذا تعلقتم علىّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتى ، فاذا سمعتموها منى
فاغتمزوها فى ، واعلموا أنّ عندى أمثالها ، من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب
منه . فاياى ودلج الليل . فانى لا أوتى بمدلج الاسفكت دمه ، وقد أجّلتكم فى ذلك
بمقدار ما ياتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم . واياى ودعوى الجاهلية ، فانى لا أجد أحداً
دعا بها إلا قطعت لسانه . وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة .
فمن غرّق قوما غرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش
قبراً دفناه حيا فيه ، فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدى ولسانى .
ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت
بينى وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دبر أذنى وتحت قدمى ، فمن كان منكم محسنا فليزدد
إحسانا ومن كان منكم مسيئا فلينزع من إساءته . إنى لو علمت أن أحدكم قد قتله السل
من بغضى لم أكشف له قناعا ولم أهتك له ستراً حتى يبدى لى صفحته ، فاذا فعل ذلك لم

قال « خير أمير نبطى فى حبوته (١ ، عربى فى نمرته (٢ ، أسد فى ناموزته (٣ ، يعدل فى القضية ، ويقسم بالسوية ، وينفر بالسرية ، وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة » فقال عمر « لشر ما تقارضتما الثناء »

قال ولما تورد الحارث بن قيس الجهضمى بعبيد الله بن زياد منزل مسعود بن عمرو العتكى عن غير اذن فاراد مسعود اخراجه من منزله قال عبيد الله « قد أجارتنى بنت عمك عليك ، وعقدها العقد الذى يلزمك ، وهذاثوبها علىّ وطعامها فى مذاخرى (٤ وقد التف علىّ منزلك » وشهد له الحارث بذلك

قال مر الشعبي بناس من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال « لئن أصلحتموه إنكم لاول من أفسده »

قال وتكلم عبد الملك بن عمير وأعرابى حاضر فقيل له : كيف ترى هذا الكلام . قال : لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا . وقال : العذر طرف من البخل . وقال أيضاً : الخرس خير من الخلابة . وقال أبو عمر الضرير : البكم خير من البذاء . قال وقدم الهيثم بن الاسود بن العريان على عبد الملك بن مروان فقال : كيف تجدك . قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحبّ أن يسودّ واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ولان منى ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد :

إِسمَعْ أُنَبِّئْكَ بِآيَاتِ الْكِبَرْ ... نَوْمُ العِشاءِ وَسُعالٌ بِالسَّحَرْ
وَقِلَّةُ النومِ إِذَا اللَّيلُ اعتَكَرْ ... وَقِلَّةُ الطُّعْمِ إِذَا الزادُ حَضَرْ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجُ النَّظَرْ (٥ ... وَتَرْكِيَ الحَسْنَاءَ فى قُبْلِ الطُّهُرْ
وَحذَراً أَزْدَادُهُ إِلى حذَرْ ... وَالنَّاسُ يَبلُونَ كَمَا يَبلَى الشَّجَرْ

وقال أكثم بن صيفى : الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء الفطنة . وقال أكثم :

---

١) أي فى أبويه وفى نسخة أخري « فى حبوته » ٢) بردته أو شملته ٣) الناموزة : مصيدة تربط فيها شاة أو حديدة لها كلاليب تجعل فيها لحمة ٤) الاجواف والامعاء ٥) حمجت العين : غارت

تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودة . وقال آخر لبنيه : تباذلوا تحابوا

قال ودخل عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عروة بن الزبير وقد قطعت رجله فقال له عيسى « والله ما كنا نعدّك للصراع ، ولقد أبقى الله لنا أكثرك : أبقى لنا سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك واحدى رجليك » فقال له عروة : والله ياعيسى ماعزانى أحد بمثل ماعزيتنى به

قال وكتب الحسن [1] الى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكانك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل

قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : اقرؤا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله . ولن يبلغ حق ذى حق أن يطاع فى معصية الله . ولن يقرّب من أجل ولن يباعد من رزق أن يقوم رجل بحق أو يذكر بعظيم

وقال أعرابى لهشام بن عبدالملك « أتت علينا ثلاثة أعوام : فعام أكل الشحم وعام كل اللحم وعام انتقى العظم ، وعندكم أموال فان كانت لله فادفعوها الى عباد الله وان كانت لعباد الله فادفعوها اليهم وان كانت لكم فتصدّقوا فان الله يجزى المتصدقين » قال : فهل من حاجة غير ذلك . قال : ماضربت اليك أكباد الابل أدّرع الهجير وأخوض الدُّجى لخاص دون عام

قال شداد الحارثى ـ ويكنى أبا عبيدالله ـ قلت لامة سوداء بالبادية : لمن أنت ياسوداء . قالت : لسيدالحضر ياأصلع . قال قلت : أولست بسوداء . قالت : أولست باصلع . قال قلت : ماغضبك من الحق . قالت : الحق أغضبك ، لا تسبب ترهب ، ولان تتركه أمثل

وقال الاصمعى قال عيسى بن عمر قال ذو الرمة : قاتل الله أمة آل فلان ما كان أفصحها ، سألتها : كيف كان المطر عندكم . قالت : غثنا ماشئنا . وأنا رأيت عبداً أسود لبنى أسيد قدم عليهم من شق اليمامة ، فبعثوه ناطورا ، وكان وحشياً محرما لطول تعزبه كان فى الابل وكان لايلقى الا الاكرة [2] ، فكان لايفهم عنهم ولا يستطيع

---

(1) هو الحسن البصرى راجع موعظته السابعة في ص ١٢٦ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبو في القاهرة (2) الحراثين

إفهامهم . فلما رآني سكن الي ّ وسمعته يقول « لعن الله بلاداً ليس فيها عرب ، قاتل الله الشاعر حيث يقول :

حُرُّ الثَّرَى مُسْتَغْرَبُ التُّرَابِ

أبا عثمان ، ان هذه العرب في جميع الناس كمقدار القرحة في جميع جلد الفرس ، فلولا أن الله رقّ عليهم فجعلهم في حاشية لطمست هذه العجمان آثارهم ، أترى الاعيار اذا رأت العتاق [1] لاترى لها فضلا ، والله ماأمر الله نبيه بقتلهم الا لضنه بهم ولا ترك قبول الجزية منهم الا تنزيها لهم »

قال الاحنف : أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار . قال : ولما مات أسماء بن خارجة الفزارى فبلغ الحجاج موته قال : هل سمعتم بالذى عاش ماشاء ثم مات حين شاء . وقال سلم بن قتيبة : ربُّ [2] المعروف أشد من ابتدائه

أبو هلال عن قتادة قال قال أبو الاسود : اذا أردت أن تكذب صاحبك فلقنه . وقال أبو الاسود : إذا أردت أن تعظم فمت . وقال أبو الاسود : اذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا

قال قيل لاعرابى : مايدعوك الى نومة الضحى . قال : مبردة فى الصيف مسخنة فى الشتاء . وقال أعرابى آخر : نومة الضحى معجزة مبخرة . وجاء فى الحديث : الولد مجبنة مبخلة . قال : ونظر أعرابى الى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال : أما والله لئن ثرتموه لتمسكنّ منه بذنابى عيش أغبر . وقال أسماء بن خارجة : اذا قدُمت المصيبة تركت التعزية . وقال : اذا قدم الاخاء قبح الثناء . وقال اسحاق بن حسان : لاتشمّت الامراء ولا الاصحاب القدماء [3] . وسئل أعرابى عن راع له فقال : هو السارح الآخر ، الرائح الباكر ، الحالب العاصر ، الحاذق الكاسر

قال : وقال عتبة بن أبى سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده « ليكن أول ماتبدأ به من اصلاح بنىّ إصلاح نفسك ، فان أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم مااستحسنت والقبيح عندهم مااستقبحت . وعلمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم

١) الاعيار : جمع عير . وهو الحمار . والعتاق : الخيل النجائب ٢) رب الامر : أصلحه وأتمه
٣) أى لاتقل للذي يعطس منهم : يرحمك الله

منه فيهجروه ، ثم روّهم من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أشرفه . ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم . وتهددهم بى وأدبهم دونى وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء . وجنبهم محادثة النساء . وروّهم سير الحكماء . واستزدنى بزيادتك اياهم أزدك . و إياك أن تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك . وزد فى تأديبهم أزدك فى برى ان شاء الله تعالى »

محمد بن حرب الهلالى قال : كتب ابراهيم بن أبى يحيي الاسلمى الى المهدى يعزيه على ابنته « أما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه من عظّم حق الله عليه فيما أبقى له . واعلم أن الماضى قبلك هو الباقى لك ، وأن الباقى بعدك هو المأجور فيك ، وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه »

وقال سهل بن هارون : التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة

وقال صالح بن عبدالقدوس :

إنْ يَكُنْ مَابِهِ أُصِبْتَ جَلِيلاَ    فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ
كُلُّ آتٍ لاَ شَكَّ آتٍ وَذُو الْجَهْـ    ـلِ مُعَنًّى وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ

وقال لقمان لابنه : يابنى إياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق . قال وكان يقال « أربع لا ينبغى لاحد أن يأنف منهن وان كان شريفا أو أميراً : قيامه من مجلسه لابيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه ، وخدمته للعالم » وقال بعض الحكماء : اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم . وكان يقال : لا تغتر بمودة الامير إذا غشك الوزير . وكتب آخر « أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ، ولا ترض الا بالكل منا لك » ووصف بعض البلغاء اللسان فقال « اللسان أداة يظهر بها حسن البيان ، وظاهر يخبر عن الضمير ، وشاهد ينبئك عن غائب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الحقائق ، ومعز ينفى به الحزن ، ومؤنس تذهب به الوحشة ، وواعظ ينهى عن القبيح ، ومزين تدعو الى الحسن ، وزارع يحرث المودة ، وحاصد يستأصل

الضغينة ، وملهم يوفق الاسماع » وقال بعض الاوائل: إنما الناس أحاديث فان استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل . ولما وصل عبد العزيز بن زرارة الى معاوية قال « ياأمير المؤمنين ، لم أزل أستدل بالمعروف عليك ، وأمتطى النهار اليك ، فاذا ألوى بى الليل فقبض البصر وعفى الاثر أقام بدنى وسافر أملى . والنفس تلوم والاجتهاد يعذر ، و إذ بلغتك فقطنى [1] » قال وقال لقمان « ثلاثة لايعرفون إلا فى ثلاثة مواطن: لايعرف الحليم الاعند الغضب ، ولا الشجاع الا فى الحرب ، ولا تعرف أخاك الا عند حاجتك اليه » وقال أبو العتاهية :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَاحِبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَاذَا احْتَجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً مَجَّكَ فُوهُ

وقال على بن الحسين لابنه « يابنى ، اصبر على النائبة ، ولا تتعرض للحقوق ، ولا تجب أخاك الى شىء ضرره عليك أعظم من منفعته له » وقال الاحنف « من لم يصبر على كلمة سمع كلمات » وقال « ربّ غيظ تجرعته مخافة ماهو أشد منه » وقال « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن طال صمته كثرت سلامته » وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله « من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل [2] » وقال محمد بن حرب الهلالى عن أبى الوليد الليثى قال : خطب صعصعة بن معاوية الى عامر بن الظرب العدوانى ابنته عمرة وهى أم عامر بن صعصعة فقال « ياصعصعة ، انك أتيتنى تشترى منى كبدى وأرحم ولدى عندى ، أبغيتك أو زودتك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك ، أفرّ من السر الى العلانية أنصح ابنا وأودع ضعيفا قويا . يامعشر عدوان ، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة ، أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ماترك الاول للآخر مايعيش به » قال : وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه « أوصيكم بخمس لوضربتم اليها آباط الابل لكنّ لها أهلا : لايرجونّ أحدكم الاّ ربه ، ولا يخافنّ إلا ذنبه ، ولا

---

١) يكفينى ٢) رواه ابن الجوزي في ص ٦٦ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة في القاهرة « أكثر التنقل » أى انه لايثبت على مذهب

ستحى أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، واذا لم يعلم الشىء أن يتعلمه . واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان » قال وقال الاصمعى : أثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فافرط ، فقال على وكان يتهمه « أنا دون ماتقول وفوق مافى نفسك » وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه « قيمة كل انسان مايحسن[١] » وقال له مالك الاشتر « كيف وجد أمير المؤمنين امرأته » قال « كالخير من النساء الا أنها قباء[٢] » قال « وهل يريد الرجل من النساء غيرذلك ياأمير المؤمنين » قال « لا ، حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع » قال وقف رجل على عامر الشعبي فلم يدع قبيحا الا رماه به . فقال له عامر « ان كنت كاذبا فغفر الله لك ، وان كنت صادقا فغفر الله لى » وقال ابراهيم النخعى لسليمان الاعمش وأراد أن يماشيه فقال « ان الناس اذا رأونا معا قالوا أعور وأعمش » قال « وما عليك أن يأثموا ونؤجر » قال ابراهيم « وما عليك أن يسلموا ونسلم » . قال أبو الحسن : كان هشام بن حسان إدا ذكر يزيد بن المهلب قال « انه كانت السفن لتجرى فى جوده » قال : مكتوب فى الحكمة « التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والوحدة خير من قرين السوء » قال : وكان مالك بن دينار يقول « ماأشد فطام الكبير » و ينشد قول الشاعر :

وتَرُوضُ عِرسَكَ بعدَ ماهرِمتْ ... وَمِنَ العَناءِ رِياضَةُ الْهَرِمِ

وقال صالح المرى[٣] « كن الى الاستماع أسرع منك الى القول ، ومن خطا الكلام أشد حذرا من خطأ السكوت » وقال الحسن بن هانىء :

خَلِّ جَنْبَيكَ لِرَامِ ... وَامضِ عَنهُ بسَلامِ
مُتْ بداءِ الصَّمتِ خيرٌ ... لكَ مِنْ دَاءِ الكَلامِ
إنَّمَا السَّالِمُ مَنْ ... أَلْجَمَ فاهُ بلجامِ
رُبَّما استفتحتَ بالمزْ ... حِ مَغَاليقَ الحِمامِ[٤]

---

١) سبق في ص ٤٧ من الجزء الاول ٢) يقال قب الخصر والبطن اذا رق وضمر ٣) خ : المزنى
٤) الموت

قال أبو عبيـدة وأبو الحسن : تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبـد الملك فاسهبوا فى القول. ثم افترع المنطقَ رجل من أخريات الناس لايخرج من حسن الآ الى أحسن منه . فقال مسلمة : ماشبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء الا بسحابة لبـدت عجاجة . قال أبو الحسن : علم أعرابى بنيه الخراءة فقال : اتبعوا الخلاء وابعدوا من الملاء واعلوا الضراء واسـتقبلوا الريح وأفجوا فِجاج النعامة [١] وامتسحوا بأشملكم . ويروى عن الحسن أنه قال لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال « يابنى احفظوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى : إذا مت فسوّدوا كبارکم ،ولا تسوّدوا صغاركم فيسـفّه الناس كباركم وتهونوا عليهم . وعليكم باسـتصلاح المال ، فانه منبهة للـكريـم و يستغنى به عن اللئيم . و إياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل [٢] » . سئل دغفل النسابة عن بنى عامر بن صعصعة قال : أعناق ظباء وأعجاز نساء . قيل : فتميم . قال : حجر أخشن، إن دنوت منـه آذاك وان تركته أعفاك . قيل : فاليمن . قال : سـيد وأنوك

قال : وكانوا يقولون « لاتستشيروا معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء »

عفان بن شبه [٣] قال : كنت رديف أبى ، فلقيه جرير على بغل فحياه أبى وألطفه فقلت له : أبعد ماقال لنا ماقال . قال : يابنى أفوسع جرحى . قال ودعا جرير رجلا من شعراء بنى كلاب الى مهاجاته ، فقال الكلابى : ان نسائى بأمتعتهن ، ولم تدع الشـعراء فى نسائك مترقعاً . وقال جرير : أنا لا أبتدى ولـكنى أعتدى

وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهمّ الرجل بالرجوع ، فقال الحسن: ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك . قال أبو عبيدة : لقى المخبل القريعى الزبرقان فقال : كيف كنت بعدى أبا شذره . قال : كما يسرك محيـلا مجربا. قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زرعة ـ يعنى روح بن زنباع ـ طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز

وذُكر لعمر بن الخطاب اتلاف شباب من قريش أموالهم ، فقال عمر : خرقة [٤]

---

(١) أى اسلـكوا مسالـكها (٢) خ : أخرد كسب الرجـل . والخارد : الساكت حياء لاذلا
(٣) خ : شيبة ٤ الخرقة « اذا كانت بضم الخاء » فهى بمعنى الحمق والبلادة . و « بالـكسر » القطعة من الثوب . والعيـلة :الافتقار . وهى أيضاً أهل بيت الرجل الذين يتكفل بهم

أحدهم أشد عليّ من عيلته . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس . وقال زياد : لو أن لى ألف ألف درهم ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ، ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه

وقال عمرو بن العاص : البطنة [١] تذهب الفطنة . وقال معاوية بن أبى سفيان مارأيت رجلا مستهترا بالباءة الا تبينت ذلك فى منته [٢] . قال الاصمعى قال أبو سليمان الفقعسى لاعرابى من طىء : أبامرأتك حمل . قال : لاوذو بيته فى السماء ، ماأدرى والله مالها ذنب تشال به ، وما أتيتها الا وهى ضَبِعة [٣] . قال أبو الحسن المداينى : اتخذ يزيد بن المهلب بستانا بخراسان فى داره ، فلما ولى قتيبة خراسان جعل ذلك لابله ؛ فقال له مرزبان مروان : هذا كان بستانا ليزيد وقد اتخذته لابلك ، فقال قتيبة : ان أبى كان اشتربان — يعنى رئيس الجمالين — وأبو يزيد كان بستان بان . قال وقال الحجاج ابن يوسف لعبد الملك بن مروان يوما : لو كان رجل من ذهب لكنتُه ، قال : وكيف ذلك . قال : لم تلدنى أمة بينى و بين آدم ماخلا هاجر . فقال له : لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب

قال ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المرى [٤] فقال : إن كانت مصيبتك فى ابنك أحدثت لك عظة فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى ميتك . قال وعزّى عمرو بن عبيد أخاه على ابن مات له فقال : ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك ، فما حال الباقى بعد ذهاب أصله وفرعه

قال وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول: احذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة [٥] . قال وقال رجل من بنى تميم لصاحب له : اصحب من يتناسى معروفه عندك و يتذكر حقوقك عليه . وعذل عاذل شعيب بن زياد على شرب النبيذ ، فقال : لا أتركه حتى يكون شر عملى . وقال المأمون : أشربه مااستبشعته حتى اذا سهل عليك فاتركه

---

١) الامتلاء من الطعام ٢) المنة : القوة ٣) ضبعت الناقة : أرادت الفحل . وكذلك المرأة
٤) خ : المزنى ٥) سبق هذا فى ص ٩٣ من الجزء الاول

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اذا كتب أحدكم فليترب كتابه ، فان التراب مبارك ، وهو أنجح للحاجة » ونظر صلى الله تعالى عليه وسلم الى رجل في الشمس فقال « تحول الى الظل فانه مبارك »

وقال المغيرة بن شعبة: لايزال الناس بخير ماتعجبوا من العجب . وكان يقال: ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب

قال وقدم سعيد بن العاصى على معاوية فقال: كيف تركت أبا عبد الملك . قال : منفذاً لامرك ضابطا لعملك . فقال معاوية : انما هو كصاحب الخبزة كُفِيَ انضاجها فأكلها . فقال سعيد : كلا انه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاما كوقع النبل سهما لك وسهما عليك . قال : فما باعد بينك وبينه . قال : خفته على شرفى وخافنى على مثله . قال: فاى شىء كان له عندك فى ذلك . قال : أسوءه حاضراً وأسره غائبا . قال : يا أبا عثمان تركتنا فى هذه الحروب . قال : نعم تحملت الثقل ، وكفيت الحزم ، وكنت قريباً لو دعيت لاجبت ولو أمرت لاطعت . قال معاوية : ياأهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم

قال وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك - والحجاج حاضر - قال زياد : ياأمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لاينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه . وقال شبيب بن شيبة[1] لمسلم بن قتيبة : والله ما أدرى أى يومك أشرف ، أيوم ظفرك أم يوم عفوك . قال وقال غلام لابيه - وقد قال لست لى ابنا - : والله لانا أشبه بك منك بأبيك ولانت أشد تحصيناً لامى من أبيك لأمك

قال وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين الى رجل من اخوانه « أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب ، فاطمعنى أولك فى إخائك وآيسنى آخرك فى وفائك ، فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا ولا أنا فى غد وانتظاره منك على ثقة ،

١ خ : شبة

فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيك ، فاقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام » وكتب الى أبى مسلم صاحب الدعوة أيضاً من الحبس « من الاسير فى يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه . أما بعد فآتاك الله حفظ الوصية ، ومنحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية . فانك مستودع ودائع ، ومولى الصنائع ، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك ، فالودائع عارية ، والصنائع مرعية . وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ، ولا ببلوغ مداها . فنبه للتفكير قلبك ، واتق الله ربك ، وأعط من نفسك من هو تحتك ماتحب أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والامن من المخافة . فقد أنعم الله عليك بان فوض أمرنا اليك فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت . فان علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديد ، مع معالجة الاغلال وقلة رحمة العمال ، الذين تسهيلهم الغلظة ، وتيسيرهم الفظاظة ، وايرادهم علينا الغموم ، وتوجيهم الينا الهموم ، زيارتهم الحراسه ، وبشارتهم الاياسة . فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى ، فمتى تمل الينا طرفا وتولنا منك عطفا ، تجد عندنا نصحا صريحا ، وودا صحيحا ، لايضيع مثلك مثله ، ولا ينفى مثلك أهله . فارع حرمة من أدركت بحرمته واعرف حجة من فلجت [١] بحجته ، فان الناس من حوضك رواء ونحن منه ظماء ، يمشون فى الابراد ونحن نحجل فى الاقياد ، بعد الخير والسعة والخفض والدعة ، والله المستعان وعليه التكلان ، صريخ الاخبار منجى الابرار . الناس من دولتنا فى رخاء ونحن منها فى بلاء ، حين أمن الخائفون ورجع الهاربون . رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمنن ، فانك أمين مستودع ورائد مصطفى [٢] والسلام ورحمة الله »

قال هشام بن الكلبي حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال شكت بنو تغلب السنة الى معاوية فقال : كيف تشكون الحاجة مع ارتجاج [٣] البكارة واختلاف المهارة

وقال ابن الكلبي كتب معاوية الى قيس بن سعد « أما بعد فانك يهودى ابن

---

١) غلبت وظهرت ٢) خ : مصطنع ٣) خ : ارتجاع

يهودى ان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك ، و إن ظفر أبغضهما اليك قتلك ونكل بك . وقد كان أبوك وتّرقوسه ورمى غير غرضه ، فأكثر الحن [١] وأخطأ المفصل ، نخذله قومه وأدركه يومه ، ثم مات طريدا بحوران . والسلام » فكتب اليه قيس بن سعد « أما بعد فانما أنت وثن بن وثن ، دخلت فى الاسلام كرها ، وخرجت طوعا ، لم يقدم ايمانك ، ولم يحدث نفاقك . وقد كان أبى وتّرقوسه ورمى غرضه ، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ، ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى دخلت فيه . والسلام »

وقال أبو عبيدة وأبو اليقظان وأبو الحسن : قدم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الاحنف ، فخرج الآذن فقال : ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لايتكلم أحد الالنفسه . فلما وصلوا اليه قال الاحنف « لولاعزيمة أمير المؤمنين لاخبرته أن دافة [٢] دفت ونازلة نزلت ونائبة نابت ونابتة نبتت ، كلهم بهم حاجة الى معروف أمير المؤمنين وبره » قال « حسبك ياأبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد »

قال : وقال غيلان بن خرشة للاحنف « مافيه بقاء العرب » قال « اذاتقلدوا السيوف وشدوا العمائم وركبوا الخيل ولم تاخذهم حمية الاوغاد » قال « وماحمية الاوغاد » قال « أن يعدّوا التواهب فيما بينهم ضيما » وقال عمر « العمائم تيجان العرب » وقيل لاعرابى « مالك لاتضع العمامة عن رأسك » قال « ان شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون » وقال على رضى الله تعالى عنه « جمال الرجل فى كُمته [٣] وجمال المرأة فى خفها » وقال الاحنف « استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال » قال : وجرى ذكر رجل عند الاحنف فاغتابوه فقال الاحنف « مالكم وماله ، ياكل رزقه وتحمل الارض ثقله ويكفى قرنه »

مسلمة بن محارب قال : قال زياد لحرقة بنت النعمان « ماكانت لذة أبيك » قالت « ادمان الشراب ومحادثة الرجال » قال : وقال سليمان بن عبد الملك « قد ركبنا الفاره ، وتبطنا الحسناء ، ولبسنا اللين حتى استخشناه ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه . فما أنا

١ لعلها « فأكثر الحز »   ٢ هو الجيش يدفون نحو العدو   ٣ القلنسوة

اليوم الى شيء أحوج مني الى جليس يضع عني مؤنة التحفظ » وأشاروا على عبيد الله بالحقنة فتفحشها فقالوا « انما يتولاها منك الطبيب » فقال « أنا بالصاحب آنس » . وقال معاوية بن أبي سفيان للنخار بن أوس العذرى « أبغني محدثا » قال « أومعي ياأمير المؤمنين » قال « نعم أستريح منه اليك ومنك اليه » قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابي مريم الحنفي « والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم المسفوح » . قال « فتمنعني لذلك حقا » قال « لا » قال « لاضير ، إنما يأسف على الحب النساء » وقال عمر لرجل هم بطلاق امرأته « لم تطلقها » قال « لاأحبها » قال « أوكل البيوت بنيت على الحب ، فاين الرعاية والتذمم » قال وأتى عبد الملك بن مروان برجل فقال « زبيرى عميرى ، والله لايحبك قلبي أبدا » قال « ياأمير المؤمنين انما تبكى على الحب المرأة ، ولكن عدل وانصاف »

عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة قال : نازع مروانُ ابنَ الزبير عند معاوية فرأى ابن الزبير أن ضلع معاوية مع مروان فقال ابن الزبير « يا أمير المؤمنين إن لك حقا وطاعة علينا ، وان لك بسطة وحرمة فينا ، فأطع الله نطعك ، فانه لاطاعة لك علينا إلا فى حق الله . ولا تطرق اطراق الافعوان فى أصول السخبر [١] »

أبوعبيدة قال قيل لشيخ مرة « مابقى منك » قال « يسبقني من بين يدى ويلحقني من خلفي ، وأنسى الحديث وأذكر القديم ، وآنس فى الملاء وأسهر فى الخلاء ، واذا قمت قربت الارض مني واذا قعدت تباعدت عني » الاصمعى قال قلت لاعرابي معه ضاجعة من شاء « لمن هذه » قال « هي لله عندى » قال ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعبا ودخل بالكوفة قال لهيثم بن الاسود النخعى « كيف رأيت الله صنع » قال « قد صنع الله خيراً نخفف الوطاة وأقل التثريب »

قال وقال ابن عباس « اذا ترك العالم قول لاأدرى أصيبت مقاتله » قال : وكانوا يستحبون أن لا يجيبوا فى كل ماسئلوا عنه . قال وقال ابن عمر « من قال عند مالا يدرى لاأدرى فقد أحرز نصف العلم »

---

١ هو شجر يشبه الاذخر

قال وقال ابن عباس « ان لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية »

واعتذر رجل الى مسلم بن قتيبة فقال مسلم « لا يدعونك أمر قد تخلصت منه الى الدخول فى أمر لعلك لاتخلص منه » قال وكان يقال « دعوا المعاذر فان أكثرها مفاجر » قال وقال ابراهيم النخعى لعبد الله بن عوف « تجنب الاعتذار فان الاعتذار يخالطه الكذب » قال واعتذر رجل الى أحمد بن أبى خالد فقال لابى عياد « ما تقول فى هذا » قال « يوهب له جرمه و يضرب على عذره أربعمائة » وقد قال الاول « عذره أعظم من ذنبه »

قال وقيل لابن عباس « ولد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمى باسمه » فقال ابن عباس « أى حق رفع وأى باطل وضع » وقال عبد الله بن جعفر لابنته « يابنية إياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق ، واياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمى أن أزين الزينة الكحل وأطيب الطيب الماء » قال ولما نازع ابن الزبير مروان عند معاوية قال ابن الزبير « يامعاوية لاتدع مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه و يضرب صفاتهم بمعاوله [١] ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشة وأقل فى نفوسنا من خشاشه [٢] ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك طبقا تخافه » قال معاوية « إن يطلب هذا الامر فقد طمع فيه من هو دونه وان يتركه يتركه لمن هو فوقه، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله اليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ، ولايذ كركم عند ملمة ، يسومكم خسفا ، و يوردكم تلفا » فقال ابن الزبير « إذن والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد [٣] حافاتها الاسل ، لهادوى كدوى الريح ، تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه براعية ثلة » قال معاوية « انا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب فاكلت ذروة السنام ، وشربت عنفوان المكرع ، وليس للآكل الا الفلذة ولا للشارب الا الرنق [٤] »

بكر بن الاسود قال قال الحسن بن على لحبيب بن مسلمة « رب مسير لك فى غير طاعة الله » قال « أما مسيرى الى أبيك فلا » قال « بلى ، ولكنك أطعت معاوية

---

١ المشاقص والصفارة : الحجر الاملس ٢ احدى حشرات دواب الارض ٣ نبت كالبقلة اليمانية ٤ الماء الكدر

على دنيا قليلة ، فلعمرى لئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى دينك ، ولو أنك إن فعلت شرا قلت خيراً كنت كما قال الله تعالى : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً ، ولكنك كما قال الله تعالى : كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »

قال أبو الحسن سمعت أعرابياً فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول « أما بعد فانا أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وفل سنة [1] . تصدقوا علينا ، فانه لاقليل من الاجر ولاغنى عن الله ولا عمل بعد الموت . أما والله انا لنقوم هذا المقام وفى الصدر حزازة ، وفى القلب غصة »

وقال الاحنف بخراسان « يابنى تميم ، تحابوا تجتمع كلمتكم ، وتباذلوا تعتدل أموركم ، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولاتغلوا يسلم لكم جهادكم » . ومن كلام الاحنف السائر فى أيدى الناس « الزم الصحة يلزمك العمل »

وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة « نحن منابتنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وسماؤنا رطب ، وأرضنا ذهب » . وقال الاحنف « نحن أبعد منكم سرية ، وأعظم منكم تجربة ، وأكثر منكم ذرية ، وأغذى منكم برية » وقال أبو بكر الهذلى « نحن أكثر منكم ساجا ، وعاجا ، وديباجا ، وخراجا ، ونهراً عجاجا »

قال كتب صاحب لابى بكر الهذلى الى رجل يعزيه عن أخيه « أوصيك بتقوى الله وحده ، فانه خلقك وحده ، ويبعثك يوم القيامة وحده ، والعجب كيف يعزى ميت ميتاً عن ميت والسلام [2] »

قال وقال رجل لابن عباس : أيما أحب اليك رجل قليل الذنوب قليل العمل أو رجل كثير الذنوب كثير العمل . قال « ما أعدل بالسلامة شيئا »

وقال آخر « حماقة صاحبي عليّ أشد ضررا [3] منها عليه » . شعبة أبو بسطام قال قال عبد الرحمن بن أبى ليلى « لا أمارى أخى : فاما أن أكذبه ، وأما أن أغضبه » قال واحتد [4] على ابن أبى ليلى رجل من جلسائه فقال ابن أبى ليلى له « اهد

---

١ أنضاء طريق : أى ان قطع المفاوز قد أنهكهم . وقوم فل : أى منهزمون . والسنة : الجدب ٢ هذا من كلام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله وقد كتب به الى عمر بن عبد الله بن عتبة يعزيه في أبيه . اجع ص ٢١٤ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة فى القاهرة ٣ خ : ضرارا ٤ خ : وأخذ

الينا من هذا ماشئت » فلما مات ابن أبي ليلى وعمرو بن عبيد رحمهما الله قال أبو جعفر المنصور « مابقى أحد يستحيي منه » قال ولما مات عبد الله بن عامر قال معاوية « رحم الله أبا عبد الرحمن بمن يفاخر مسلمة بن محارب »

قال قال زياد « ماقرأت كتاب رجل قط الا عرفت عقله فيه »

أبو معشر قال لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الاشدق قام خطيبا فقال « ان أبا ذبان قتل لطيم الشيطان ، كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » ولما جاءه قتل أخيه مصعب بن الزبير قام خطيبا بعد خطبته الاولى فقال « ان مصعبا قدم أيره وأخر خيره وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حلبة أهل الشام ، حتى غشيته فى داره ولئن هلك مصعب ان فى آل الزبير خلفا منه ».

قال ولما قدم ابن الزبير بفتح أفريقية أمره عثمان فقام خطيبا ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان « أيها الناس أنكحوا النساء على آبائهن واخوتهن ، فانى لم أر فى ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أشبه به من هذا »

قال وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابيا يقول « اللهم اغفر لام أو فى » قال : ومن أم أو فى . قال « امرأتى ، وانها لحمقاء مرغامة [١] أكول قامة ، لاتبقى لها حامة . غير أنها حسناء فلاتفرك [٢] ، وأم غلمان فلا تترك »

قال ودفعوا الى أعرابية علكا لتمضغه فلم تفعل فقيل لها فى ذلك فقالت « مافيه الا تعب الاضراس وخيبة الحنجرة »

قال وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين ورد عليه كتاب المنصور فى القدوم عليه بذلك فلم يشر عليه ، فلما قتل أبو مسلم أذكره ذلك فقال « ان أخاك ابراهيم الامام حدث عن أبيه محمد بن على أنه قال : لايزال الرجل يزاد فى رأيه اذا نصح لمن استشاره . فكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك »

وقال الحسن « التقدير نصف الكسب ، والتودد نصف العقل ، وحسن طلب الحاجة نصف العلم » قال رجل لعمرو بن عبيد : انى لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : أفتسمعنى أقول فيهم شيئاً . قال : لا . قال : إياهم فارحم . قال : ومدح نصيب

١ المرغامة : المغضبة لبعلها ٢ لاتبغض

أبو الحجناء عبد الله بن جعفر فاجزل له من كل صنف . فقيل له : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الاسود . فقال : أما والله لئن كان جلده أسود فان ثناءه لابيض وان شعره لعربى ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وانما أخذ رواحل تنضى وثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطى مديحا يروى وثناء يبقى

قال وقف اعرابى فى بعض المواسم فقال : اللهم ان لك على حقوقا فتصدق بها علىّ ، وللناس تبعات قبلى فتحملها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قرى ، وأنا ضيفك فاجعل قراى فى هذه الليلة الجنة . قال ووقف أعرابى فسال قوما فقالوا له : عليك بالصيارفة . قال : هناك والله قرارة اللؤم

وقال مسلمة « ثلاثة لا أعذرهم: رجل أحفى شعره ثم أعفاه ، ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ، ورجل كان عنده سرارى فتزوج حرة »

أبو اسحق قال قال حذيفة « كن فى الفتنة كابن لبون : لاظهر فيركب ، ولا لبن فيحلب » وقال الشاعر ـ وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا : ـ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النابَ تُحْلَبُ عُلْبَةً ... وَيُتْرَكُ ثِلْبٌ لَاضِرَابٌ وَلَاظَهْرُ[1]

عتبة بن هرون قال قلت لرؤبة كيف خلفت ماوراءك . قال التراب يابس ، والمرعى عابس . قال وقال معاوية بن أبى سفيان لابن عباس : انى لاعلم أنك واعظ نفسه ، ولكن المصدور اذا لم ينفث جوى[2] . قال وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه . قال « لا بد للمصدور من أن ينفث »

قال أبو الذيال قال شويس « أنا والله العربىُّ لاأرفع الجربان ، ولاألبس التبان ولاأحسن الرطانة ، ولأنا أرسى من حجر ، وما قرقمنى[3] الا الكرم » أبو الحسن

---

١ الناب :الناقة المسنة . والعلبة : الصلبة . وبضم العين: قدح ضخم من جلود الابل يؤطرحولها قضيب فيحلب فيها ، وقد تكون من الخشب . والثلب : البعير انكسرت أنيابه من الهرم وتناثر ذنبه . والضراب : نكاح الفحل للناقة    ٢ أصابته حرقة وشدة وجد    ٣ الجربان : شىء يوضع فيه السيف وغمده وحمائله . والتبان : معرب « تنبان » بالفارسية وهو سروال صغير يكون للملاحين والمصارعين . قرقم الصبي : أساء غذاءه . والمقرقم الذي لا يشب

وغيره قال قال عمرو بن عتبة بن أبى سفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو بالنجراء من أرض حمص « ياأمير المؤمنين ، انك تستنطقنى بالانس بك ، وأكف عن ذلك بالهيبة لك ، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك ، أفأسكت مطيعا أم اقول مشفقا » قال « كل ذلك مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه » ونعود فنقول قال فقتل بعد أيام . قال كان أيوب السختيانى يقول « لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف » قال بعضهم : كنت أجالس ابن صغير فى النسب ، فجلست اليه يوما فسألته عن شىء من الفقه فقال « ألك بهذا حاجة ، عليك بذلك » وأشار بذلك الى سعيد ابن المسيب ، فجلست اليه لا أظن أن عالما غيره ، ثم تحولت الى عروة ففتقت به ثبج بحر . قال وقلت لعثمان البرى : دلنى على باب الفقه . قال : اسمع الاختلاف

قال وقيل لاعرابى : عند من تحب أن يكون طعامك . قال : عند أم صبى راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع . وقال بعضهم : اذا اتسعت المقدرة نقصت الشهوة . قال قلت : فمن أسوأ الناس حالا . قال : من اتسعت معرفته وبعدت همته ، وقويت شهوته ، وضاقت مقدرته . وذكر عند عائشة الشرف فقالت « كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به » قال ودخل رجل على أبى جعفر فقال له « اتق الله » فانكر وجهه فقال « ياأمير المؤمنين ، عليكم نزلت ، ولكم قيلت ، واليكم ردت » وقال رجل عند مسلمة : ما استرحنا من حائك كندة حتى جاءنا هذا المزونى . فقال مسلمة « أتقول هذا لرجل سار اليه فريقا قريش – يعنى نفسه والعباس بن الوليد ويزيد بن المهلب – حاول عظيما ، ومات كريما » عبد الله بن الحسن قال قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه « خصصنا بخمس : فصاحة ، وصباحة ، وسماحة ، ونجدة ، وحظوة – يعنى عند النساء – » على بن مجاهد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها » وقال الاصمعى : كتب كتاب حكمة فبقيت منه بقية ، فقالوا : ما نكتب فيه . فقال « أكتبوا : يسأل عن كل صناعة أهلها » وقال شبيب بن شيبة للمهدى « ان الله لم يرض أن يجعلك

دون أحد من خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد أخوف لله منك » قال يحيي ابن أكثم « سياسة القضاء أشد من القضاء » وقال « ان من إهانة العلم أن تجارى فيه كل من جاراك » قال وحمّل رقبة بن مصقلة من خراسان رجلا الى أمه خمسمائة درهم فابى الرجل أن يدفعها اليها حتى تكون معها البينة على أنها أمّه فقالت لخادم لها : اذهبي حتى تأتينا ببعض من يعرفنا . فلما أتاها الرجل برزت وقالت « الحمد لله أشكو الى الله الذى أبرزنى وشهر بالفاقة أهلى » فلماسمع كلامها قال : أشهد أنك أمه فردى الخادم ولا حاجة بنا الى أن تجيء البينة . قال وكان الحسن يقول فى خطبة النكاح بعد حمد الله والثناء عليه « أما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الارحام المنقطعة ، والانساب المتفرقة ، وجعل ذلك فى سنة من دينه ، ومنهاج واضح من أمره . وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة » عامر بن سعيد [١] قال سمعت الزبير يعزى عبدالرحمن على بعض نسائه فقال وهو قائم على قبرها « لايصفر ربعك ، ولا يوحش بيتك ، ولايضيع أجرك . رحم الله متوفاك ، وأحسن الخلافة عليك » قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدى صاحبه ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم » قال وليم ابن الزبير على طول خطبته عشية عرفة فقال « أنا قائم وهم جلوس ، وأتكلم وهم سكوت ، ويضجرون » وقال موسى بن يحيي : كان يحيي بن خالد يقول « ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه ، والرسول على مقدار عقل مرسله ، والهدية على مقدار مهديها » قال وذكر أعرابى أميراً [فقال] : يقضى بالعشوة ، ويطيل النشوة ، ويقبل الرشوة . وقال يزيد بن الوليد « ان النشوة تحل العقدة وتطلق الحبوة » وقال « إياكم والغناء فانه مفتاح الزنا » وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « اذا توجه أحدكم فى وجه ثلاث مرات فلم يصب خيراً فليدعه » قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه « لاتكونن كمن يعجز عن شكر ماأوتى ، ويبتغى الزيادة فيما بقى ، وينهى ولا ينتهى ، ويامر الناس بما لايأتى ، يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم ، ويبغض المسيئين

١) خ : سعد

وهو منهم ، ويكره الموت لكثرة ذنوبه لايدعها فى طول حياته » قال أعرابى « خرجت حيث انحدرت أيدى النجوم ، وشالت أرجلها ، فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع لى الفجر » وسالت أعرابيا عن مسافة مابين بلدين فقال « عمر ليلة ، وأديم يوم » وقال آخر « سواد ليلة أو بياض يوم » وقال بعض الحكماء « لا يضرك حب امرأة لا تعرفها » وقال رجل لابى الدرداء : فلان يقرئك السلام . فقال « هدية حسنة ومحمل خفيف » قال وسرق مزبد نافجة مسك ، فقيل له : ان كل من غلّ يأتى يوم القيامة بحمله على عنقه، قال « اذن والله أحملها طيبة الريح ، خفيفة المحمل » قال « ومن أبخل البخل ترك رد السلام » قال ابن عمر « لعمرى إنى لارى حق رجع جواب الكتاب كرد السلام » وجاء رجل الى سليمان فقال : ياأبا عبدالله فلان يقرأ عليك السلام فقال « أما انك لو لم تفعل لكانت أمانة فى عنقك » قال مثنى بن زهير لرجل: احتفظ بكتابى حتى توصله الى أهلى . فمن العجب أن الكتاب ملقى والسكران مؤتى . وكان عبدالملك بن حجاج يقول « لانا للعاقل المدبر أرجى من الاحمق المقبل » قال « و إياك ومصاحبة الاحمق فانه ربما أراد أن ينفعك فضرك » وكتب الحجاج الى عامل له بفارس « ابعث الىّ بعسل من عسل خُلاّر [1] ، من النحل الابكار ، من الدستفشار ، الذى لم تمسه النار » وقال الشاعر :

وَما المَرْء إلاّ حَيْثُ يَجْعلُ نَفْسَهُ      فَفي صالحِ الأَخلاَقِ نَفْسَكَ فاجْعلِ

قال ونظر أبو الحارث جمين الى برذون يستقى عليه الماء فقال « وما المرء الا حيث يجعل نفسه ، لو أن هذا البرذون هملج [2] مافعل به هذا » عمران بن هداب قال قال مسلم بن قتيبة « دأب المعروف أشد من ابتدائه » وقال محمد بن واسع « الاتقاء على العمل أشد من العمل » وقال يحيى بن أكثم « سياسة القضاء أشد من القضاء » وقال محمد بن محمد الحمرانى « من التوقى ترك الافراط فى التوقى » وقال أبو قرة « الجوع للحمية أشد من العلة » وقال الجماز « الحمية احدى العلتين » وقال القمى « من احتمى فهو على يقين من تعجيل المكروه ، و فى شك مما يامل من دوام الصحة » وقال « اعتبر

١) موضع بفارس يجلب منه العسل    ٢) مشى مشية حسنة

عزمه بحميته ، وحزمه بمتاع بيته » قال وذكر أعرابى رجلا فقال « حناءالمبتلى حنوط المعافى » وقالوا « أمران لا ينفكان من الكذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار » وقيل لرجل من الحكماء : ماجماع البلاغة . قال « معرفة السليم من المعتل ، وفصل مابين المضمّن والمطلق ، وفرق مابين المشترك والمفرد ، وما يحتمل التاويل من المنصوص المقيّد » وقال سهل بن هرون فى صدر كتاب له « واجب على كل ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها » وقال أبوالبلاد :

إنَّا وَجدنا النَّاسَ عُودَين: طَيِّباً ... وَعُوداً خَبيثاً لا يَبِضُّ[1] عَلى العَصْرِ
تَزِينُ الفتى أخلاقُهُ وَتَشِينُهُ ... وَتُذكَرُ أخلاقُ الفَتى وَهُوَ لا يَدري

وقال آخر فى هذا المعنى :

سابِقْ إلى الخَيرات أهلَ العُلى ... فإنَّما النَّاسُ أحاديثُ
كلُّ امرئٍ في شأنهِ كادِحٌ ... فَوارِثٌ مِنهُ وَمَوروثُ

ولما قال حمل بن بدر لبنى عبس ـ والاسنة فى ظهورهم والبوارق فوق رؤسهم ـ « نؤدى السبق وندى الصبيان ، وتخلون سربنا ، وتسودون العرب » انتهره حذيفة وقال « اياك والكلام المأثور » وقال الشاعر :

اليومَ خَمرٌ وَيَبدُو في غدٍ خَبَرٌ ... وَالدَّهرُ مِن بَينِ إنعامٍ وإبآسِ

قال وقال أعرابى « ان المسافر ومتاعه لعلى قلت[2] الا ماوقى الله » وقالوا « السفر قطعة من العذاب » و « صاحب السوء قطعة من النار » قال وجلس معاوية رضى الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البراءة من على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فجاءه رجل من بنى تميم فأراده على ذلك فقال « ياأمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم » فالتفت الى المغيرة فقال : ان هذا رجل فاستوص به خيراً .

وقال الشاعر :

---

١) لا يقطر منه ماء  ٢) القلت : الهلاك

قالت أمامةُ يومَ بَرْقةِ واصلٍ ... يا ابنَ العَذِيرِ لقد جعلتَ تَغَيَّرُ
أصبحتَ بعدَ زمانِك الماضي الذي ... ذهبتْ شبيبتُه وغصنُك أخضرُ
شيخاً دِعامتُك العصا ومُشيَّعاً ... لا تبتغي خبراً ولا تُستخبَرُ

وكان الربيع بن خيثم [١] لا يخبر ولا يستخبر . وكان مطرف بن عبد الله يستخبر ويخبر . قالوا : فينبغى أن يكون أعقلهم . وقال أبو عبيدة : كان ابن سيرين لا يستخبر ولا يخبر ، وأنا أخبر وأستخبر . وقال أبو عمرو بن العلاء لاهل الكوفة « لكم حذاقة النبط وصلفهم ، ولنا دهاء فارس وأحلامهم » وأنشدوا للحارث بن حلّزة اليشكرى :

لا أعرفنّك إن أرسلتَ قافيةً ... تُلقي المعاذيرَ إن لم تنفعِ العِذَرُ [٢]
إنّ السعيدَ له في غيرِه عِظَةٌ ... وفي التجاربِ تحكيمٌ ومُعتبَرُ

ومعنى المعاذير هاهنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » هاهنا الستور

وقال أراد رجل الحج فسلم على شعبة بن الحجاج فقال له « أما انك ان لم تعدّ الحلم ذلا والسفه أنفا سلم لك حجك » قالوا : كان على رضى الله تعالى عنه بالكوفة قد منع الناس من القعود على الطريق فكلموه فى ذلك فقال : أدعكم على شريطة . قالوا : وماهى ياأمير المؤمنين . قال : غض الابصار و رد السلام وارشاد الضلال . قالوا : قد قبلنا . فتركهم . وكان نوفل بن أبى عقرب لا يجلس الا على باب داره ، وكان عامرا بالمارة . فقيل له : ان فى ذلك نشرة وصرف النفوس عن الامانى واعتبارا لمن اعتبر وعظة لمن فكر . فقال : ان فى ذلك حقوقا يعجز عنها ابن خيثمة . قالوا وما هى ؟ قال : غض الطرف ، و رد التحية ، وارشاد الضال ، وضم اللقطة ، والتعرض لطلاب الحوائج ، والنهى عن المنكر ، والشغل بفضول النظر الداعية الى فضول القول والعمل ، وعادة ان قطعتها اشتدت وحشتك وان وصلتها قطعتك عن أمور هى أولى بك . قال فضيل بن عياض لسفيان الثورى : دُلنى على جليس أطمئن اليه . قال : هيهات ،

١) خ : جثم . وخ : حبثم ٢) جمع عذرة بمعنى المعذرة

تلك ضالة لاتوجد . وقيل لبعض العلماء : أى الامور أمتع . قال : مذاكرة العلماء . وقيل لعبد الرحمن بن أبى بكرة : أى الامور أمتع . قال : الامانى . وقال رجاء بن حَيْوَة لعبد الملك بن مروان فى أسارى ابن الاشعث : ان الله قد أعطاك ما تحب من الظفر ، فاعط الله ما يحب من العفو . وقال هزيم بن عدى بن أبى طحمة ليزيد ابن عبد الملك بعد ظفره بيزيد بن المهلب : مارأينا أحدا ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك . قال : وذم رجل رجلا فقال : هو سيئ الروية ، قليل التقية ، كثير السعاية ، قليل النكاية . قال معاوية لماوية بن خديج الكندى : ماجرأك على قتل قريش . قال : ماأنصفتمونا ، تقتلون حلماءنا وتلوموننا على قتل سفهائكم . وهو الذى قال لام الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نكحتِ فما استكرمتِ وولدتِ فما أنجبتِ . قال أبو بكر بن مسلمة عن أبى اسحق القيسى قال لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال : من كان فى يديه شىء من مال عبد الله بن حازم فلينبذه ، وان كان فى فيه فليلفظه ، وان كان فى صدره فلينفثه . فعجب الناس من حسن مافصل وقسم . قال ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن حازم وما بخراسان أحسن مالا منهم . عنبسة القطان قال شهدت الحسن[1] وقال له رجل : بلغنا أنك تقول « لو كان علىّ بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيرا له مما صنع » فقال الحسن « يالُكع ، أما والله لقد فقدتموه سهما من مرامى الله ، غير سؤوم لامر الله ، ولا سروقة لمال الله ، أعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله ، فأحل حلاله وحرم حرامه ، حتى أورده ذلك رياضاً مونقة ، وحدائق مغدقة ، ذاك ابن أبى طالب يالكع » يزيد بن عقال قال عبد الملك ابن صالح يوصى ابنه وهو أمير سرية ونحن ببلاد الروم فقال له « انت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيّس الذى ان وجد ربحا تجر والا احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك » وقال بعض الحكماء « لا تصطنعوا الى ثلاثة معروفاً : اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة ، والفاحش فانه يرى الذى صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه ، والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه . فاذا اصطنعت الى الكرام فازدرع المعروف

---

١) هو الحسن البصرى

واحصد الشكر » قال « وواضع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ » ومثله البيت السائر فى الناس :

وَمن يصنعِ المعرُوفَ في غيرِ أهلهِ  يُلاقِي الَّذِى لاقَى مُجِيرُ امِّ عامِرِ

وقالوا « من لم يعرف سوء مايولى لم يعرف حسن مايولى » وقال الايادى صاحب الصرح الذى اتخذ سلما لمناجاة الرب وهوالذى كان يقول « مرضعة وفاطمة : القطيعة والفجيعة، وصلة الرحم وحسن الكلم » قال « زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا و بالشر عقابا. ان من فى الارض عبيد لمن فى السماء . هلكت جُرْهُمْ وَرَبَلَتْ [1] اياد ، وكذلك الصلاح والفساد . من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فارفضوه . كل شاة برجلها معلقة » واياه عنى الشاعر بقوله :

وَنحنُ إيادٌ عَبيدُ الإِلَهِ  وَرَهطُ مُناجِيهِ في السُّلَّمِ
وَنحنُ وُلاةُ حِجابِ الْعَتيقِ  زَمانَ الرّعافُ عَلى جُرْهُمِ

تعزية امرأة للمنصور على أبى العباس مقدمه من مكة * قالت « أعظم الله أجرك فلا مصيبة أجل من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك »

وقال عثمان بن حزيم للمنصور حين عفا عن أهل الشام فى اجلائهم مع عبد الله ابن على عمه « ياأمير المؤمنين ، لقد أعطيت فشكرت ، وابتليت فصبرت ، وقدرت فعفوت » وقال آخر « ياأمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حد المنصف . فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه باوكس النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » وقال آخر « من انتقم فقد شفى غيظ نفسه ، وأخذ أقصى حقه . واذا انتقمت فقد انتقصت ، واذا عفوت تطولت . ومن أخذ حقه ، وشفى غيظه ، لم يجب شكره ، ولم يذكر فى العالمين فضله . وكظم الغيظ حلم ، والحلم صبر ، والتشفى طرف من العجز . ومن رضى أن لا يكون بين حاله و بين حال الظالم الاستر رقيق ، وحجاب ضعيف ، فلم يجزم فى تفضيل الحلم ، وفى الاستيثاق من ترك دواعى الظلم . ولم تر أهل النهى والمنسوبين الى الحجا والتقى مدحوا الحكام بشدة

---

١) كثر عددها ونمت

العقاب ، وقد ذكروهم بحسن الصفح و بكثرة الاغتفار وشدة التغافل . و بعد فالمعاقب مستعد لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مستدع لشكرهم آمن من مكافاتهم أيام قدرتهم . ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن يثنى عليك بضيق الصدر . على أن إقالتك عثرة عباد الله موجب لاقالتك عثرتك من رب عباد الله ، وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك ، وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك »

قال « والموت الفادح خير من اليأس الفاضح » وقال الآخر « لا أقل من الرجاء» فقال الآخر « بل الياس المريح » وقال عبد الله بن وهب الراسبي « ازدحام الجواب مضلة للصواب . وليس الرأى بالارتجال : وليس الحزم بالاقتضاب ، فلا تدعونك السلامة من خطأ موبق [1] أوغنيمة من صواب نادر الى معاودته والتماس الارباح من قبله . ان الرأى ليس بنهبى ، وخمير الرأى خير من فطيره ، ورب شيء غابه [2] خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه » ولما قدم بعبد الجبار بن عبد الرحمن الى المنصور قال « يا أمير المؤمنين ، قتلة كريمة » قال : تركتها وراءك يا ابن اللخناء . ولما احتال أبو الازهر المهلب بن عبيثر المهرى لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن معداق وأسلمه الى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد الى المنصور ولما صار الى المنصور قال « لا عذر فاعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى » قال « لست أقتل أحداً من آل قحطبة، بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم » قال « ان لم يكن فىّ مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم » قال « أخرج فانك جاهل وأنت عتيقهم ماحييت » قال زياد بن ظبيان التيمى لابنه عبيد الله [3] بن زياد ـ وزياد يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام ـ « ألا أوصى بك الامير زيادا » قال «لا» قال «ولم» قال « اذا لم يكن للحىّ الا وصية الميت ، فالحىّ هو الميت » ودخل عمرو ابن سعيد على معاوية بعد موت أبيه ـ وعمرو يومئذ غلام ـ فقال له معاوية « الى من أوصى بك أبوك يا غلام » قال « ان أبى أوصى الىّ ولم يوص بى » قال «وباى شيء أوصاك » قال « أوصانى أن لا يفقد اخوانه منه الاوجهه » قال معاوية لاصحابه « ان ابن سعيد هذا لاشدق » قال ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شان

---

١ مهلك ٢ بائته ٣ خ : عبد الله

ابراهيم بن عبد الله وصار سفيان الى المنصور أمر الربيع فخلع سواده [١] ووقف به على رؤس اليمانية فى المقصورة فى يوم الجمعة ثم قال « يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من احسانى اليه ، وحسن بلائى عنده ، والذى حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الاعداء . وقد رأى أمير المؤمنين أن يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفيكم » قال يونس بن حبيب « المفحم [٢] يأتيه دون ما يرضى و يطلب فوق ما يقوى » وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيد البحر بن [٣] فقال « البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب الزوائد ، فافسدوا بقليل الكذب كثير الصدق ، وأدخلوا مالا يكون فى باب ماقد يكاد أن يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب الاحاديث سلما الى ادّعاء المحال » وقال بعض العرب « حدّث عن البحر ولا حرج » و « حدث عن بنى اسرائيل ولا حرج » و « حدث عن معن ولا حرج » وجاء فى الحديث « كفى بالمرء حرصا ركوبه البحر » وكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يصف له البحر فقال « ياأمير المؤمنين ، البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير ، دود على عود » وقال الحسن « املاء الخير خير من الصمت » فالصمت خير من املاء الشر . وقال بعضهم « مروا الاحداث بالمراء ، والكهول بالفكر ، والشيوخ بالصمت » عبد الله بن شداد قال « أرى داعى الموت لا يقلع ، وأرى من مضى لا يرجع . لا تزهدن فى معروف ، فان الدهر ذو صروف . كم من راغب قد كان مرغوبا اليه ، وطالب أصبح مطلوبا اليه . والزمان ذو ألوان ، من يصحب الزمان يرى الهوان . وان غلبت يوما على المال ، فلا تغلبن على الحيلة على حال . وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا ، أقل ما تكون فى الباطن مالا » وقيل لقيس بن عاصم « بم سدت قومك » قال « ببذل الندى ، وكف الاذى ، ونصر المولى » وقيل لشيخ « أين شبابك » قال « من طال أمده ، وكثر ولده ، ودف [٤] عدده ، وذهب جلده ، ذهب شبابه » وقال زياد « لا يعدمنك من الجاهل كثرة

---

١ أى رداءه الاسود . وقد كان السواد شعار الدولة العباسية والبياض شعار الدولة الاموية ولعل الخضرة كانت اللون الغالب على رايات الخلفاء الراشدين ٢ العي ومن لا يقدر أن يقول شعرا
٣ لعله البحريين ٤ سار

الالتفات وسرعة الجواب » وقال عبد الرحمن بن أم الحكم [١] « لولا ثلاث ما باليت متى مت : تزاحف الاحرار الى طعامى ، و بذل الاشراف وجوههم الىّ فى أمر أجد اليه السبيل ، وقول المنادى الصلاة أيها الامير » وقال ابن الاشعث « لولا أربع خصال ما أعطيت بشرياً طاعة : لو ماتت أم عمران يعنى أمه ، ولو شاب رأسى ، ولو قرأت القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيرا » وقال معاوية « أعنت على علىّ بثلاث خصال : كان رجلا يظهر سره وكنت كتوما لسرى ، وكان فى أخبث جند وأشده خلافا وكنت فى أطوع جند وأقله خلافا ، وخلا باصحاب الجمل فقلت إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وهنا فى دينه [٢] وان ظفروا به كانوا أهون علىّ شوكة منه وكنت أحب الى قريش منه . فكم شتيت جامع الىّ ومفرق عنه » جهم بن حسان السليطى قال رجل للاحنف « دلنى على حمد بلا مرزئة » قال « الخلق السجيح [٣] والكف عن القبيح ، ثم اعلموا أن أدوأ الداء اللسان البذئ ، والخلق الردىء » وقال محمد بن حرب الهلالى قال بعض الحكماء « لا يكونن منكم المحدّث ولا ينصت له ، والداخل فى سر اثنين لم يدخلاه ، ولا آتى الدعوة لم يدع اليها ، ولا الجالس المجلس لا يستحقه ، ولا الطالب الفضل من أيدى اللئام ، ولا المتعرض للخير من عند عدوه ، ولا المتحمق فى الدالة [٤] »

## ﴿ باب مزدوج الكلام ﴾

قالوا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى معاوية رضى الله تعالى عنه « اللهم علمه الكتاب والحساب ، وقه العذاب » وقال رجل من بنى أسد : مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه فقام اليه شيخ منا فقال « اصبر أبا أمامة ، فانه فرط أفرطته ، وخير قدمته ، وذخر ادخرته » فقال مجيبا له « ولد دفنته ، وثكل تعجلته ، وغيب وعدته . والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد » قال الاصمعى قال ابن قصير [٥] خير الخيل الذى اذا استدبرته حبا [٦] واذا استقبلته أقعى ، واذا استعرضته استوى ، واذا مشى ردى [٧] واذا ردى دحا » ونظر ابن قصير الى خيل عبد الرحمن بن

١ خ : أم عبد الحكم ٢ أي عددت قتله لهم منقصة فى دينه ٣ السهل اللين ٤ الجرأة
٥ هو من بني أسد بن خزيمة ٦ الحابى : المرتفع المنكبين الى العنق ٧ ردت الفرس :

أم الحكم فاشار الى فرس منها فقال « تجيء هذه سابقة» قالوا « وكيف » قال « رأيتها مشت فكتفت [1] وخبت فوجفت [2] وعدت فنسفت » . وذكرت امرأة زوجها فقالت «ذهب زفره ، وأقبل بخره ، وفتر ذكره » . وكان مالك بن الاخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال « جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر » فقال « الذى يغرف من بحر أشعرهما »

قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الاحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال . وسنذكر من الخطب المسندة الى أربابها مقداراً لا يستفرغ مجهود من قرأها ، ثم نعود بعد ذلك الى ماقصر منها وخف ، والى أبواب قد تدخل فى هذه الجملة وان لم تكن مثل هذه باعيانها والله الموفق :

قال أبو الحسن عن يحيي بن سعيد عن ابن خربوز البكرى عن خالد بن صفوان قال : دخل عبد الله بن الاهتم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مع العامة فلم يفجأ عمر الا وهو ماثل بين يديه يتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال [3] « أما بعد فان الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم ، آمنا لمعصيتهم . والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشر تلك المنازل أهل الوبر وأهل المدر تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاعة عيشتها . ميتهم فى النار ، وحيهم أعمى ، مع مالا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث اليهم رسولا منهم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ، فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه فى جسمه ولقبوه فى اسمه ، ومعه كتاب من الله لا يرحل الا بامره ، ولا ينزل الا باذنه ، واضطروه الى بطن غار . فلما أمر بالعزامة اصفر لامر الله لونه فافلج الله حجته وأعلى كلمته وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا نقيا تقيا صلى الله تعالى عليه وسلم * ثم قام بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سنته وأخذ بسبيله ، وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا الذى كان قابلا منهم ، فانتضى السيوف من أغمادها وأوقد النيران من شعلها ، ثم ركب باهل الحق أهل الباطل ، فلم

---

رجفت الارض بحوافرها ١ كتفت الخيل « من باب ضرب » : ارتفعت فروع أكتافها « ومن باب علم » : حصل فى أعالى غضاريف كتفها انفراج ٢ ضرب من سير الخيل . وفى نسخة « فرجفت »

٣ راجع ص ١٣٦ من سيرة عمر بن عبد العزيز المطبوعة فى القاهرة

يبرح يفصل أوصالهم و يسقى الارض دماءهم حتى أدخلهم فى الذى خرجوا عنه وقررهم بالذى نفروا منه . وقد كان أصاب من مال الله بكراً يرتوى عليه وحبشية ترضع ولداً له ، فرأى ذلك غصة عند مونه فى خلقه ، فادى ذلك الى الخليفة من بعده وبرىء اليهم منه ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه * ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمصر الامصار ، وخلط الشدة باللين ، فحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه وأعد للامور أقرانها وللحرب آلتها . فلما أصابه قن[1] المغيرة بن شعبة أمر ابن عباس يسال الناس هل يثبتون قاتله ، فلما قيل له قن المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق فى الفىء فيستحل دمه بما استحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفا ، فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله و ولده ، فادى ذلك الى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما * ثم انا والله ما اجتمعنا بعدهما الا على ظلع[2] * ثم انك ياعمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها وألقمتك ثديها ، فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله . فالحمد لله الذى جلا بك حوبتها وكشف بك كربتها . امض ولا تلتفت فانه لا يغنى من الحق شيئاً . أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات » قال ولما أن قال : ثم انا والله ما اجتمعنا بعدهما الا على ظلع سكت الناس كلهم الا هشاما فانه قال « كذبت »

## ﴿ خطبة عمر بن عبد العزيز[3] ﴾

أبو الحسن قال حدثنا المغيرة ابن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه قال خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى ، وان لكم معادا يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء وحرم الجنة التى عرضها السموات والارض . واعلموا أن الامان غدا لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بباق ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تردوا الى خير الوارثين . ثم أنتم فى كل يوم تشيّعون غاديا

---

١ القن : عبد ملك هو وأبوه أوالذى ولد عندك ولا تستطيع اخراجه عنك ٢ ظلع البعير غمز فى مشيه . وظلعت الارض بأهلها : ضاقت بهم ٣ راجع ص ٢٢٢ من سيرته

ورائحا الى الله قد قضى نحبه و بلغ أجله ، ثم تغيبونه فى صدع من الارض ، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الاسباب وفارق الاحباب و واجه الحساب غنيا عما ترك فقيرا الى ماقدم. وأيم الله انى لاقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى ، فاستغفر الله لى ولكم . وما تبلغنا حاجة يتسع لها ماعندنا الا سددناها ولا أحد منكم الا وددت أن يده مع يدى ويحمى الذين يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم . وأيم الله ان لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا عالما باسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته » ثم بكى فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه ، ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله

﴿ خطبة أخرى ذهب عنى اسنادها ﴾

أما بعد فانك ناشىء فتنة وقائد ضلالة قد طال جثومها واشتدت غمومها وتلونت مصائد عدو الله فيها وما نصب من الشرك لاهل الغفلة عما فى عواقبها فلن يهد عمودها ولن ينزع أوتادها الا الذى بيده تلك الاشياء وهو الله الرحمن الرحيم . ألا وان لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمتها ولم يشايعوا أهلها على شبهتها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ، ركبوا نهج السبيل وقاموا على العلم الاعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم وبهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد ، فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم . أسأل الله أن يجعلنا منهم

﴿ خطبة أبى حمزة الخارجى ﴾

دخل أبو حمزة الخارجى مكة ـ وهو أحد نساك الاباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار ـ فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس ، ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم الا باذن الله وأمره ووحيه ، أنزل الله له كتابا بين له فيه مايأتى وما يتقى فلم يكن فى شك من دينه ولا شبهة فى أمره ، ثم قبضه الله اليه وقد علم المسلمين معالم دينهم وولى أبا بكر صلاتهم فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر دينهم ، فقاتل أهل الردة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عمر بن الخطاب رضى

الله تعالى عنه فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفئ وفرض الاعطية وجمع الناس فى شهر رمضان وجلد فى الخمر ثمانين وغزا العدو فى بلادهم ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عثمان بن عفان فسار ست ستين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ، ثم سار فى الست الاواخر بما أحبط به الاوائل ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى على ابن أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى معاوية بن أبى سفيان لعين رسول الله وابن لعينه اتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، ودينه دغلا ، ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية يزيد الخمور و يزيد القرود و يزيد الفهود الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه ـ ثم اقتصهم خليفة خليفة فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ولم يذكره ثم قال ـ ثم ولى يزيد ابن عبد الملك الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه الذى لم يؤنس منه رشد ، وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى « فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » فامر أمة محمد أعظم ، يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة قوّمت بألف دينار قد ضربت فيها الابشار وهتكت فيها الاستار وأخذت من غير حلها ، حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى اذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قدّ ثوبه ثم التفت الى أحدهما فقال « ألا أطير » نعم فطر الى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه . وأما بنو أمية ففرقة ضلالة و بطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى و يقتلون على الغضب و يحكمون بالشفاعة و يأخذون الفريضة من غير موضعها و يضعونها فى غير أهلها ، وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين و فى سبيل الله وابن السبيل » فاقبل صنف تاسع ليس منهم فأخذ كلها ، تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله . وأما هذه الشيع فشيع ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ولا بعلم نافذ فى القرآن ، ينقمون المعصية على أهلها ويعملون اذا ولوا بها ، يصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة عن القرآن أتباع كهان ، يؤملون الدول فى بعث الموتى و يعتقدون الرجعة الى الدنيا ، قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . ثم أقبل على أهل الحجاز فقال : يا أهل الحجاز ، أتعيّرونني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب ، وهل كان

أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا شبابا ، أما والله انى لعالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الاخذ فوق أيديكم ، شباب والله مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم أنضاء[١] عبادة وأطلاح[٢] سهر ، فنظر الله اليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مرّ أحدهم بذكر آية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الارض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى اذا رأوا السهام قد فوقت ، والرماح قد أشرعت ، والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلف رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فاسرعت اليه سباع الارض وانحطت اليه طير السماء ؛ فكم من عين فى مناقير طير طال ما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله . ثم قال « أوه أوه أوه » ثم بكى ثم نزل

## ﴿ خطبة قطرى بن الفجاءة ﴾

صعد قطرى بن الفجاءة منبر الازارقة ـ وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن تميم ـ فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال: أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة ؛ حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور ، لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها ، غرّارة ضرارة خوّانة غدّارة ، وحائلة زائلة ونافدة بائدة ، أكالة غوّالة بذلة نقالة ، لاتعدو اذا هى تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى « كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا » مع أن امرءاً لم يكن منها فى حبرة الا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ، ولم تطله غيثة رخاء الا أهطلت عليه مزنة بلاء . وحرىّ اذا أصبحت له منتصرة أن

١ جمع نضو وهو الخفيف اللحم من التعب ٢ جمع طلح « بكسر الطاء » وهو المهزول
٣ اسرخؤ

تمسى له خذلة متنكرة ، وان جانبٌ منها اعذوذب واحلولى أمر عليه جانب وأوبى ،
وان أتت امرءاً من غضارتها ورفاهتها نعما أرهقته من نوائبها تبعا ، ولم يمس امرء
منها فى جناح أمن الا أصبح منها على قوادم خوف ، غرّارة غرور مافيها ، فان ماعليها ،
لاخير فى شيء من زادها الا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر
منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكى عينيه . كم واثق بها قد أفجعته وذى
طمأنينة اليها قد صرعته وذى اختيال فيها قد خدعته وكم من ذى أبّهة بها قد صيرته
حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا وكم من ذى تاج قد كبته لليدين والفم ، سلطانها دول
وغيثها رنق [1] وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام وقطافها سلع ،
حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام ، مليكها مسلوب
وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب ، مع أن وراء ذلك سكرات الموت
وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ، ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى
الذين أحسنوا بالحسنى . ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأوضح منكم
آثارا وأعد عديدا وأكثف جنودا وأعند عنودا ، تعبدوا للدنيا أى تعبد وآثروها أىّ
ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار ، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية أو
أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ، بل قد أرهقتهم بالقوادح وضعضعتهم بالنوائب ،
وعفرتهم بالمصائب ، وقد رأيتم تنكرها لمن زان لها وأخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق
الابد الى آخر المسند ، هل زوّدتهم الا الشقاء وأحلتهم الا الضنك أو نورت لهم الا الظلمة
أو أعقبتهم الا الندامة ، أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم عليها تطمئنون .
يقول الله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ،
أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون .
فبئست الدار لمن أقام فيها فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد ، فانما هى كما وصفها
الله باللعب واللهو وقد قال الله تعالى : أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع
لعلكم تخلدون . وذكر الذين قالوا من أشد منا قوة ثم قال: حملوا الى قبورهم فلا يدعون

---

١) كدر

ركبانا وأنزلوا فلا يدعون ضيفانا ، وجعل لهم من الضريح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران ، فهم جيرة لايجيبون داعيا ولايمنعون ضيما ، ان أخصبوا لم يفرحوا وان أقحطوا لم يقنطوا ، جمع وهم آحاد وجيرة وهم أبعاد ، متناؤن [1] لايزورون ولا يزارون ؛ حلماء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لايخشى فجعهم ولايرجى دفعهم ، وكما قال الله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ، استبدلوا بظهر الارض بطنا و بالسعة ضيقا و بالاهل غربة و بالنور ظلمة ، فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة فرادى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة والى خلود الابد ، يقول الله تعالى : كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين . فاحذروا ماحذركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ورزقنا واياكم أداء حقه »

﴿ خطبة محمد بن سليمان يوم الجمعة ـ وكان لا يغيّرها ﴾

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون . من يعتصم بالله و رسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى وسعد فى الاولى والآخرة . ومن يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا . أسال الله أن يجعلنا واياكم ممن يطيعه و يطيع رسوله و يتبع رضوانه و يتجنب سخطه . فانما نحن له و به . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعة الله وأرضى لكم ماعند الله . فان تقوى الله أفضل ماتحاثّ الناس عليه وتداعوا اليه وتواصوابه . فاتقوا الله ما استطعتم ولاتموتنّ الا وأنتم مسلمون »

﴿ خطبة عبيد الله بن زياد ﴾ صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية وحيث بلغه أن سلمة بن ذؤيب الرياضى قد جمع الجموع يريد خلعه فقال « يا أهل البصرة انسبونى فوالله مامها جرأ بى الا اليكم ومامولدى الا فيكم وما أنا الا رجل منكم . والله لقد وليكم أبى وما مقاتلتكم الا أربعون ألفا فبلغ [2] بها ثمانين ألفا وما ذريتكم الا ثمانون

---

١) مبتعدون ٢) خ : فتبلغ

ألفا وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف . وأنتم أوسع الناس بلاداً وأكثره جنوداً وأبعد مقادا وأغنى الناس عن الناس . أنظروا رجلا تولونه أمركم يكف سفهاءكم ويجبي لكم فيئكم ويقسمه فيما بينكم فانما أنا رجل منكم »

فلما أبوا غيره قال : انى أخاف أن يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بامرى

﴿ خطبة معاوية ﴾

الهيثم بن عدى عن أبى بكر بن عياش عن أشياخه قال [ لما ] حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المرى [1] والضحاك بن قيس الفهرى فقال « أبلغا عنى يزيد وقولا له : أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده . وانظر [الى] أهل العراق ، فان سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله عنهم ، فانّ عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لاتدرى على ماأنت عليه منهم . ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار [2] ، فان رابك من عدوك ريب فارمهم بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدّبوا بغير أدبهم . لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وحسين بن على ، فاما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه [3] الورع ، وأما الحسين فانى أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وأما ابن الزبير فانه خب ضب »وفى غير هذه الرواية : فان ظفرت بابن الزبير فقطعه أربا

فمات معاوية ، فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال : « ان أمير المؤمنين معاوية كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ، ومخلون بينه وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره » فصلى عليه الضحاك بن قيس ثم قدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولى فانشأ يقول :

إصبرْ يزيدُ فقدْ فارقتَ ذا كَرَمٍ     وَاشكُرْ حِبَاءَ الّذِى بالمُلْكِ أصفاكَ

---

١) خ : المزنى ٢) الشعار : الثوب الذي يلي الجسد . والدثار : الثوب الذى فوقه ٣) ضربه حتى استرخى وأشرف على الموت

لا رُزْءَ أصبحَ في الأقوامِ قد علِموا ... كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكَ

أصبحتَ راعِيَ أهلِ الدِّينِ كلِّهِمِ ... فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرعاكَ

وفي معاويةَ الباقي لنا خلَفٌ ... إذا نُعيتَ ولا نسمعْ بمنعاكَ

فافتتح الخطباء للكلام بعد ذلك

## ﴿ خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي ﴾

قام بخراسان حين خلع فقال : أتدرون من تبايعون ، انما تبايعون يزيد بن ثوران ـ يعني هبنقة القيسي ـ كاني بامير مزجاء وحكم [١] قد أتاكم يحكم في أموالكم وفروجكم وأبشاركم . ثم قال : الاعراب وما الاعراب ، فلعنة الله على الاعراب ، جمعتكم كما يجمع قزع [٢] الخريف من منابت الشيح والقيصوم ومنابت الفلقل [٣] وجزيرة ابن كاوان ، تركبون البقر وتاكلون العضية [٤] فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح ، حتى منع الله بكم البلاد وأفاء بكم الفيء

قالوا : مرنا بامرك قال : غرّوا غيرى

قال وخطب مرة أخرى فقال « يا أهل العراق ، ألست أعلم الناس بكم ، أما هذا الحى من أهل العالية فنعم الصدقة ، وأما هذا الحى من بكر بن وائل فعلجة بظراء لاتجمع [٥] رجليها ، وأما هذا الحى من عبد قيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحى من الازد فعلوج خلق الله وأنباطه . وايم الله لوملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، فاما هذا الحى من تميم فانهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان »

وخطب مرة أخرى فقال « ياأهل خراسان ، قد جربتم الولاة قبلي ، أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأى وأمية الدين ، فكتب الى خليفته : ان خراج خراسان وسجستان لوكان في مطبخه لم يكفه . ثم أتاكم بعده أبو سعيد فدوخ بكم البلاد لاتدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية . ثم لم يجب فيئا ولم ينكأ عدوًّا . ثم أتاكم

---

١) حكم قبيلة وهى حكم بن سعد العشيرة في مذحج وليست عندهم بشريف ٢) خ : قزع الخريف ٣) شجر يقارب الرمان يحمل حملا أسود مستديراً وعرقه المغاث . وجزيرة ابن كاوان بين عمان والبحرين في الخليج الفارسي وتسمي جزيرة لافت ٤) اسم نبات ٥) خ : لا تمنع

بنوه بعده مثل أطباء[١] الـكلبة ، منهم ابن الرحمة حصان يَضرب فى عانه ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده . ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد وأمنّ لـكم السبل حتى أن الظعينة لتخرج من مرو الى سمر قند فى غير جواز »

﴿ خطبة الاحنف بن قيس ﴾ قال بعد حمـد الله والثناء عليـه وصلى على نبيه « يامعشر الازد وربيعة ، أنتم اخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصهر وأشقاقنا فى النسب وجـيراننا فى الدار ويدنا على العدو . والله لازد البصرة أحب إلينا من تميم الـكوفـة ولازد الـكوفة أحب الينا من تميم الشام . فان استشرف شنآنكم وأبى حسد صدوركم ففى أموالنا وسعة أحلامنا لنا ولـكم سعة »

﴿ خطبة جامع المحاربى ﴾ ومن محارب جامع كان شيخا صالحا خطيبا لسِناوهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط « بنيتها فى غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك . وكذلك من قطعهُ العجز عن الاستشارة ، والاستبداد عن الاستخارة »

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتنقم مـذهبهم وتسخط طريقتهم فقال له جامع « أما انهم لو أحبوك لاطاعوك ، على أنهم ماشنؤك لنسبك ولا لبلدك ولالذات نفسك ، فدع مايبعدهم منك الى مايقربهم اليك ، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك . وليكن ايقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك » قال الحجاج « انى والله ماأرى أن أردبنى اللـكيعة الى طاعتى الابالسيف[٢] » فقال « أيها الامير ، ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار » فقال الحجاج « الخيار يومئذ لله » قال « أجل ، ولـكن لاتدرى لمن يجعله الله » فغضب الحجاج وقال « ياهناه ، انك من محارب » فقال جامع:

وَلِلحَرْبِ سُمِّينا وَكانَ مُحارِباً ... إذا ما القَنا أمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أحْمَرا

والبيت للخضرى . فقال الحجاج « والله لهممت أن أخلع لسانك فاضرب به وجهك » فقال جامع « ان صدقناك أغضبناك ، وان غششناك أغضبنا الله ، فغضب الامير أهون علينا من غضب الله » قال « أجل » وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر . وانسلّ جامع فمر بين صفوف خيـل الشام حتى جاوز الى خيل أهل العراق ــ وكان الحجاج

---

١) جمع طبي وهو الثدى لذوات الخف والظلف والحافر ٢) خ : الا بالوفـسيـ

لايخالطهم - فابصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق وتميم العراق وأزد العراق وقيس العراق، فلما رأوه اشرأبوا اليـه ، و بلغهم خروجـه ، فقالوا له « ماعنـدك ? دافع الله لنا عن نفسك » فقال « ويحكم ، عموه بالخلع كما يعمكم بالعـداوة ، ودعوا التعادى ما عاداكم ، فاذا ظفرتم به تراجعتم وتعافيتم . أيها التميمى هـو أعـدى لك من الازدى ، وأيها القيسى هو اعدى لك من التغلبى ، وهل ظفر بمن ناوأه منكم الا بمن بقى معه منكم » وهرب جامع من فوره ذلك الى الشام فاستجار بزفر بن الحارث

وخطب الحجاج فقال « اللهم أرنى الغى غيا فاجتنبه ، وأرنى الهـدى هـدى فاتبعه ، ولا تكلنى الى نفسى فاضل ضلالا بعيدا . والله ما أحب أن مامضى من الدنيا بعمامتى هذه ، ولما بقى أشبه بما مضى من الماء بالماء »

وخطبة له * الهيثم بن عدى قال أنبانى ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة فسمع تكبيراً فى السوق فراعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال « يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق ، و بنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء ، والفقع بالقرقر [1] إنى سمعت تكبيراً لا يراد الله به وانما يراد به الشيطان ، وانما مثلى ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهمدانى :

وَكُنتُ إِذَا قَومٌ غَزَونِي غَزَوتُهُمْ ... فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالَ هَمدَانَ ظَالِمُ
مَتَى تَجمَعِ القَلبَ الذَكِيَّ وَصَارِماً ... وَأَنفاً حَمِيّاً تَجتَنِبكَ المَظَالِمُ

أما والله لاتقرع عصا عصا الاجعلتها كامس الدابر »

﴿ خطبة عمرو بن كلثوم ﴾ أما بعد فانه لايخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه . ولا يعبر عنه فى تزكية أصحابه أصدق من اعتماده اياهم برغبته ، وائتمانه اياهم على حرمته

﴿ خطبة يزيد بن الوليد ﴾

ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان قام خطيبا بعد أن

---

١) الفقع : الكمأة البيضاء الرخوة . والقرقر : الارض المنخفضة . أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لا تمتنع على من اجتناها . وهو من أمثال العرب

حمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها الناس والله ماخرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة فى الملك ، ومابى اطراء [1] نفسى وانى لظلوم لها ، ولقد خسرت ان لم يرحمنى ربى . ولكنى خرجت غضباً لله ودينه ، وداعيا الى الله وسنة نبيه ، لما هدمت معالم الهدى ، وأطفىء نور التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ، ولا يصدق بالثواب والعقاب ، وانه لابن عمى فى النسب وكفئى فى الحسب . فلما رأيت ذلك استخرت الله فى أمره ، وسألته أن لا يكلنى الى نفسى ، ودعوت الى ذلك من أجابنى من أهل ولايتى ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى . أيها الناس ان لكم علىّ أن لا أضع حجرا على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، ولا أكرى نهرا ولا أكنز مالا ، ولا أعطيه زوجا ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلد الى بلد ، حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم ، فان فضل فضل نقلته الى البلد الذى يليه ممن هو أحوج اليه منه . وان لا أجمركم [2] فى ثغوركم فافتنكم وأفتن أهاليكم ، ولا أغلق بابى دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم . ولكم عندى أعطياتكم فى كل سنة ، وأرزاقكم فى كل شهر ، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم . فاذا أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن الموازرة والمكاتفة ، وان أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلعونى ، الا أن تستتيبونى فان أنا تبت قبلتم منى ، وان عرفتم أحداً يقوم مقامى ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فاردتم أن تبايعوه فانا أول من بايعه ودخل فى طاعته . أيها الناس ، لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » فلما بويع مروان بن محمد نبشه وصلبه . وكان يقرؤن فى الكتب « يامبذر الكنوز ، ياسجاداً بالاسحار ، كانت ولايتك رحمة ، وعليهم حجة ، أخذوك فصلبوك »

---

١) خ : اطرى ٢) التجمير : الحبس . وفيه اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تجمروا الجيش فتفتنوهم »

## ﴿ خطبة يوسف بن عمر ﴾

قام خطيبا فقال « اتقوا الله ، فكم من مؤمل أملا لا يبلغه ، وجامع مالا لا يأ كله ، ومانع عما سوف يتركه ، ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، أصابه حراما ، وأورثه عدوًّا ، فاحتمل إصره ، وباء بوزره ، وورد على ربه آسفا لاهفا ، قد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين »

## ﴿ كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة والاحنف بن قيس عند عمر ﴾

بشار بن عبدالحميد عن أبي ريحانة قال وفد هلال بن وكيع والاحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر . فقال هلال بن وكيع « يا أمير المؤمنين ، إنّا لباب من خلفنا وغرّة مَن وراءنا مِن أهل مصرنا ، فانك إن تصرفنا بالزيادة فى أعطايتنا والفرائض لعيالاتنا يزيد ذلك الشريفَ تاميلا وتكن لذوى الاحساب أبا وصولا ، فانا ان نكن — مع ماتمتّ[1] به من فضائلك وندلى من أسبابك — كالجدّ الذى لا يحل ولا يرحل ، نرجع بانف مصلومة وجدود عاثرة ، فمحنا[2] وأهالينا بسجل من سجالك المترعة »

وقام زيد بن جبلة فقال « ياأمير المؤمنين ، سود الشريفَ وأكرم الحسيب ، وازرع عندنا من أياديك ماتسد به الخصاصة وتطرد به الفاقة ، فانا بقف من الارض يابس الاكناف مقشعر الذروة لا شجر فيه ولا زرع ، وانا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومسمع »

فقام الاحنف فقال « يا أمير المؤمنين ، ان مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان ، فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيئا يكفيك وفادة الوفود واستماحة الممتاح ، فان كل امرئ إنما يجمع فى وعائه ، إلا الاقل ممن عسى أن تقتحمه الاعين ، وتخونهم الالسن ، فلا يوفد اليك يا أمير المؤمنين »

## ﴿ خطبة الحجاج بعد دير الجماجم ﴾

خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال « ياأهل العراق ، ان الشيطان قداستبطنكم

---

١) نتصل ونتوسل ٢) كذا في النسخ التى بين أيدينا

تخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشغاف ، ثم أفضى الى الانخاخ والاصماخ ، ثم ارتفع فعشش ، ثم باض وفرخ ، فحشا كم نفاقا وشقاقا ، وأشعركم خلافا . آخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا تستشيرونه . فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجركم اسلام ، أو ينفعكم بيان . ألستم أصحابي بالاهواز ، حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا وتنهزمون سراعا . ثم يوم الزاوية ، وما يوم الزاوية ، بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم ، اذ وليتم كالابل الشوارد الى أوطانها ، النوازع الى أعطانها ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح وقصمكم الرماح . ثم يوم دير الجماجم ، وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق ، الكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات ، والنزوة بعد النزوات . ان بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم ، وان أمنتم أرجفتم ، وان خفتم نافقتم ، لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة . هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاو ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع ، إلا تبعتموه وآويتموه ، ونصرتموه ورحبتموه . يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر الا كنتم أتباعه وأنصاره . يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ ، ألم تزجركم الوقائع »

ثم التفت الى أهل الشام فقال « يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم [1] الرامح عن فراخه ، ينفي عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنّها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذباب . يا أهل الشام ، أنتم الجُنّة والرداء ، وأنتم العدة والحذاء »

***

وقال رجل لحذيفة « أخشى أن أكون منافقا » فقال « لو كنت منافقا لم تخش ذلك » . وقال آخر « اعلم أن المصيبة واحدة ان صبرت ، وان لم تصبر فهما مصيبتان ،

---

١) ذكر النعام

ومصيبتك باجرك أعظم من مصيبتك بميتك » وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يَكُنْ مَابِهِ أُصِبْتَ جَليلاً      فَذَهابُ العَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ

وقال آخر « تعزّ عن الشيء إذا منعته ، لقلة مايصحبك اذا أعطيته . وما خفف الحساب وقلله ، خير مما كثره وثقله »

وقال حدثنا أبو بكر الهذلى واسمه سلمى قال « اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل : اذا كان حلالا ، وكثرت الايدى عليه ، وسمى الله فى أوله ، وحمد فى آخره »

## ﴿ خطبة زياد ﴾

وخطب زياد فقال « استوصوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتينى شيخ بشاب قد استخف به الا أوجعته ، ولا يأتينى عالم بجاهل استخف به الا نكلت به ، ولا يأتينى شريف بوضيع استخف به الا انتقمت له منه »

على بن سلم قال قال حاتم طى لعدى ابنه « أى بنىّ ، ان رأيت أن الشر يتركك ان تركته فاتركه » قال وقال عدى بن حاتم لابن له « قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف » قال « لا والله ، لا يكون أول شىء وليته من الدنيا منع قوم من طعامك » قال وقال مدينى لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه « أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك »

وقال ابن شبرمة « ذهب العلم الاعبارات فى أوعية سوء »

الهيثم بن عدى عن ابن عياش عن أبيه قال : خرج الحجاج الى الفارسان ، فاذا هو باعرابى فى زرع ، فقال له « ممن أنت » قال « من أهل عمان » قال « فمن أىّ القبائل » قال « من الازد » قال « علمك بالزرع » قال « انى لاعلم من ذلك علما » قال « فاى الزرع خيره » قال « ماغلظ قصبه ، وأعتم نبته ، وعظمت جثته ، وطالت سنبلته » قال « فاى العنب خير » قال « ماغلظ عموده ، واخضر عوده ، وعظم عنقوده » قال « فما خير التمر » قال « ماغلظ لحاؤه ، ودق نواه ، ورق سحاؤه »

## ﴿ باب من اللغز فى الجواب ﴾

قالوا : كان الحطيئة يرعى غنما وفى يده عصا ، فمرّ به رجل ، فقال « ياراعى الغنم ،

ماعنــدك » قال « عجراء من ســلم » يعني عصاه قال « انى ضيف » قال « للضيفان أعددتها »

وقال ابن سليم : ان قيس بن سعد بن عبادة قال « اللهم ارزقنى حمدا ومجــدا ، فانه لاحمد الا بفعال ، ولا مجد الا بمال »

قال خالد بن الوليد لاهل الحيرة : أخرجوا الىّ رجلا من عقلائــكم . فأخرجوا اليه عبدالمسيح بن عمرو بن قيس بن حبان بن نفيلة الغسانى ، وهو الذى بنى القصر ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة . فقال له خالد « من أين أقصى أثرك » قال « من صلب أبى » قال « فمن أين خرجت » قال « من بطن أمى » قال « فعــلام أنت » قال « على الارض » قال « ففيم أنت » قال « فى ثيابى » قال « ماسنك » قال « عظم » قال « أتعقل لاعقلت » قال « أى والله وأقيــد » قال « ابن كم أنت » قال « ابن رجل واحد » قال « كم أتى عليك من الدهر » قال « لو أتى على شىء لقتلنى » قال « ماتزيدنى مسالتك الا غمّا » قال « ماأجبتك الا عن مسالتك » قال « أعرب أنتم أم نبط » قال « عرب استنبطنا ونبط استعربنا » قال « فحرب أنتم أم ســلم » قال « سلم » قال « فما بال هــذه الحصون [1] » قال « بنيناها للسفيه ، حتى يجىء الحليم فينهاه » قال « كم أتت عليك سنة » قال « خمسون وثلثمائة » قال « ماأدركت » قال « أدركت سفن البحر ترفأ الينا فى هذا الجرف ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تاخــذ مكتلها [2] على رأسها ولا تتزود الا رغيفا واحدا ، فلا تزال فى قرى مخصــبة متواترة حتى ترد الشام ، ثم قد أصبحت خرابا يبابا ، وذلك دأب الله فى العباد والبلاد »

قال وأتى أزهرَ بن عبد الحارث رجل من بنى يربوع فقال « ألا أدخــل » قال « وراءك أوسع لك » فقال « ان الشمس أحرقت رجلىّ » قال « بُلْ عليهما تبردا » قال « يا آل يربوع » قال « ذليــلا دعوت . يابنى حريص أطعمتكم عاما أول جلة فا كلتم جلتكم وأغرتم على جلة الضيفان »

قال وقال الحجاج لرجل من الخوارج « أجمعت القرآن » قال « أمتفرقا كان فاجمعه »

---

١) خ : الخصومة ٢) خ : ماكلها

قال « أتقرأ ظاهرا » قال « بل أقرؤه وأنا أنظر اليه » قال « أتحفظه » قال « أخشيت فراره فاحفظه » قال « ماتقول فى أمير المؤمنين عبد الملك » قال « لعنه الله ولعنك معه » قال « انك مقتول فكيف تلقى الله » قال « ألقاه بعملى وتلقاه بدمى »

وقال لقمان لابنه وهو يعظه « يابنى ، إزحم العلماء بركبتيك ، ولاتجادلهم فيمقتوك . وخذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فضول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كَلاًّ ، وصم صوما يكسر شهوتك ، ولاتصم يوما يضرّ بصلواتك فان الصلاة أفضل من الصوم . وكن كالاب لليتيم ، وكالزوج للارملة ، ولا تحابّ القريب ولا تجالس السفيه ، ولاتخالط ذا الوجهين ألبتة »

وسمع الاحنف رجلا يطرى يزيد عند معاوية ، فلما خرج من عنده اسحنفر [1] فى ذمهما ، فقال الأحنف « مهْ، إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها » وقال سعيد ابن أبى عروبة « لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان — على مافيهما من قبح المنظر وعجز المخبر — أحب الىّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قوالين مختلفين »

وقال أيوب السختيانى « النّمام ذو الوجهين أحسنَ الاستماع وخالف فى الابلاغ »

حفص بن صالح الازدى عن عامر الشعبى قال : كتب عمر الى معاوية « أما بعد فانى كتبت اليك بكتاب فى القضاء لم آلك ونفسى فيه خيرا . الزم خمس خصال يسلم لك دينك وتأخذ فيه بافضل حظك : اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة واليمين القاطعة ، وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به ، وآس بينهم فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصل القضاء »

أبو يوسف عن العرزمى عمن حدثه عن شريح أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب اليه « لاتشار ولا تمار ولا تبع ولا تبتع فى مجلس القضاء ، ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان »

وقال عمر بن عبد العزيز « اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم ما كان

---

١) مضى واتسع وأسرع

قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ، واقتداء بالائمة ، ومشاورة أهل الرأى »

قال الهلالى : لما ولّى يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان قال له « ان أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا ، فلا تتكلنّ على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك . و إياك منى قبل أن أقول اياى منك ، فان الظن اذا أخلف منك أخلف منى فيك . وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك فلا تريحنّ نفسك ، وكن لنفسك تكن لك ، واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد ان شاء الله تعالى »

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الاشداق ، قال المازنى :

مَنْ كانَ يَزْعُمُ أن بِشْرًا مُلْصَقٌ[1]    فاللهُ يَجزِيهِ وَرَبُّكَ أعْلَمُ
يُنْبِيكَ ناظِرُهُ وَقِلَّةُ لَحْمِهِ    وَتَشادُقٌ فِيهِ وَلَوْنٌ أسْحَمُ
إن الصَّرِيحَ المَحْضَ فِيهِ دَلالَةٌ    وَالعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
أمَّا لِسانُكَ وَاخْتِباؤكَ قاعِدًا    فَزَرارَةُ العُذْرِيُّ عِنْدَكَ أعْجَمُ
إنى لأرْجُو أنْ يَكُونَ مَقالُهُمْ    زُورًا وَشانِيكَ الحَسُودُ المُرْغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مورق العبدى :

قَدْ عَلِمَ الغَرْبِيُّ وَالمُشَرِّقُ    أنَكَ فِي القَوْمِ صَمِيمٌ مصلقُ
عُودَاكَ نَبعٌ وَهَشِيمٌ بورقُ    وَأنتَ جذبٌ وَرَبِيعٌ مُغْدِقُ
وَأنْتَ لَيلٌ وَنَهارٌ مُشْرِقُ    لَوْلا عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ
وَصاحِبٌ جَمُّ الحَدِيثِ مُونِقُ    كَيفَ الفَوَاتُ وَالطَّلُوبُ مورقُ
شَيْخٌ مغيظٌ وَسِنانٌ يبْرِقُ    وَحنجرٌ رَحْبٌ وَصوتٌ مصلقُ
وَشِدْقُ ضِرْغامٍ وَنابٌ يحرقُ    وَشاعِرٌ باقِي الرُّسُومِ[2] مُفْلِقُ

---

١) دعي   ٢ خ : الوسوم

## ﴿ باب فى صفة الرائد للغيث ، وفى نعته للارض ﴾

قال أبو المجيب : وصف رائد أرضا جدبة فقال « اغبرّت جادتها ، وذَرَع مرتعها ، وقَضِم شجرها ، ورقت كرشها ، وخور عظمها ، والتقى سرحاها ، وتميز أهلها ، ودخل قلوبهم الوهل [١] ، وأموالهم الهزل »

قال الجادة الطريق الى الماء ، والجمع جواد . والتقى سرحاها يقول اذا أكل كل سارح مايليه التقيا عند الماء . واذا لم يكن للجمال مرعى الا الشجر وحده رقت اكراشه . وقوله تميز أهلها تفرقوا فى طلب الكلأ . ومرتع مذرع اذا كان بعيدا من الماء ، ومرتع قاصر اذا كان قريبا من الماء ، ويقولون كلأ قاصر للقريب ، ويقولون ماء مطنب وماء مطاب اذا ألجأهم الى طلبه من بعده

ووصف أعرابى أرضا أحمدها فقال « خَلَع شيحُها ، وأبقل رِمْثها [٢] ، وخضب عرفجها [٣] ، واتسق نبتها ، واخضرت قَريانها [٤] ، وأخوصت بُطنانها [٥] ، وأحلست أكامها ، وأعتم [٦] نبت جراثيمها ، وأجرت بقلتها وذرقتها وخبازتها ، واحورت خواصر ابلها ، وشكرت حَلوبتها [٧] ، وسمنت قتُوبتها [٨] ، وعمد ثراها ، وعقدت تناهيها ، وأماهت ثمارها [٩] ، ووثق الناس بصائرها »

قال ويقال خلع الشيح اذا أورق ، الخالع من العضاه الذى لايسقط ورقه أبدا وكذلك السدر لايتجرد ، وكل شجر له شوك فهو عضاه والواحد عضه الا القتاد ، ولا يعبل الا الارطى . ويقال كلح الشجر اذا أخوصت بطنانها اذا نبت فيه قضبان رقاق . وخضب عرفجها يقول اسود . وأخوص الشجر وهو الذى لاشوك له ، ومن العضاه قشره وقصده ، فاذا يبست فهى عود . اتسق نبتها أى تتام . أجرت بقلتها أى نبت فيها مثل الجراء جمع جرو . والعلفة ثمرة الطلح والحبلة للسلم . واحورت خواصر ابلها تشد أحناها على خواصرها كى لاتحبط ، والحبط انتفاخ بطنها من مرعى

---

١) الفزع ٢) الرمث : مرعى الابل . وشجر يشبه الغضا ٣ العرفج : شجر سهلى
٤) القريان : مجاري السيل ٥) جمع باطن ٦) أبطأ ٧) الحلوبة : المحلوبة ٨) الابل التي تقتبها بالقتب وهو اكاف صغير على قدر سنام البعير ٩) امتلات ماء

ترعاه ، قيل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : أيضر العبط ، قال : نعم كما يضر الخبط . وشكرت يقول غزرت . وقوله عمد ثراها وذلك اذا قبضت منه على شيء فتعقد واجتمع من ندوته ، يقال عمد الثرى يعمد عمدا وهو ثرى عمد ، فالعمد أن يجاوز الثرى المنكب ، وهو أن تقيس السماء بالمرفق ، فيقول بلغت وضح الكف ثم الرسغ ثم العظمة ثم المرفق ثم ينصف العضد ثم يبلغ المنكب ، فاذا بلغ المنكب قيل عمد الثرى ، فيقال ان ذلك حيا سنين . والتناهي واحدتها تنهية وهو مستقر السيل ، وعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى اذا انتهى منتهاه دار بالاباطح حتى يلتقي طرفا السيل . والصائرة الكلأ والماء

قالوا قاتل الحجاج ابن الاشعث في المربد فخطب ابن الاشعث الناس فقال « أيها الناس ، انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها يمينا وشمالا ، فما تلبث الا أن تموت » فمر به رجل من بني قشير فقال : قبح الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ، و يعدهم الاضاليل ، و يمنيهم الباطل . وناس كثير يرون ان ابن الاشعث هو الحسن دون القشيري . قال بشار :

وَحمدٍ كَعَصْبِ البُرْدِ حَمَّلتُ صاحِبي ... إلى مَلِكٍ لِلصّالِحاتِ قَرِينِ

وقال آخر :

وَبِكرٍ كنُوّارِ الرِّياضِ حَدِيثُها ... تَرُوقُ بِوَجهٍ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

أبو الحسن كان معاوية يأذن للاحنف أول من يأذن له . فأذن له يوما ثم أذن لمحمد بن الاشعث حتى جلس بين معاوية والاحنف ، فقال له معاوية « لقد أحسست من نفسك ذلا ، إني لم آذن له قبلك الا ليكون الي في المجلس دونك ، وانا كما نملك أموركم نملك تاديبكم ، فاريدوا مايراد بكم فانه أبقى لنعمتكم وأحسن لادبكم »

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاصيل الخزاعي « يا أصيل ، كيف تركت مكة » قال « تركتها وقد أحجن ثمامها ، وأمشر سلمها ، وأعذق أذخرها » فقال عليه السلام « دع القلوب تقر »

قال وسال أبو زياد الكلابي الصقيل العقيلي حين قدم من البادية عن طريقه فقال

« انصرفت من الحج فاصمدت الى الرّبذَة فى مقاط الحرة ووجدت بها صلالا من الربيع من خضمة خمص وصليان وقرمل حتى لو شئت لانخت الى فى أذن القفعاء، فلم أزل فى مرعى لاأحسن منه شيئا حتى بلغت أهلى »

وقال سلام الكلابى « رأيت ببطن فلج منظرا من الكلأ لاأنساه ، ووجدت الصفراء والحمراء يضربان نحور الابل ، تحتهما قفعاء وحريث قد أطاع وأمسك بافواه الماء ـ أى لاتقدر أن ترفع رؤسها ـ وتركت الحوران ناقعة فى الاجارع » وذم أرضا فقال « وجدنا أرضا ماحلة مثل جلد الاجرب ، تصىء حيّاتها ولا يسكت ذيبها ، ولا يقيد راكبها »

وقال النضر قلت لابى الخضير « ماأعجب مارأيتَ من الخصب » قال « كنت أشرب رثئة تحرها الشفتان جرا ، وقارصا ممارصا اذا تجشأت جدع أنفى . ورأيت الكمأة تدرسها الابل بمناسمها ، والوضر يشمه الكلب فيعطس »

قال الاصمعى قال المنتجع بن نبهان قال رجل من أهل البادية « كنت أرى الكلب يمر بالخصفة عليها الخلاصة فيشمها ويمضى عنها »

محمد بن كناسة قال أخبرنى بعض فصحاء أعراب طىء قال : بعث قوم رائدا فقالوا : ما وراءك . قال « عشب وتعاشيب ، وكماة متفرقة شيب ، تقلعها باخفافها النيب » قالوا : لم تصنع شيئا ، هذا كذب . فارسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك . قال «عشب ثأد مأد ، مولى وعهد ، متدارك جعد ، كافخاذ نساء بنى سعد ، تشبع منه الناب وهى تعد » وقال لان النبت اذا كان قليلا وقفت عليه الابل واذا كان كثيرا أمكنها الاكل وهى تعد

وقالوا بعث رجل أولاده يرتادون فى خصب ، فقال أحدهم « رأيت بقلا ، وماء غيلا ، يسيل سيلا ، وخوصة تميل ميلا ، يحسبها الرائد ليلا » وقال الثانى « رأيت ديمة على ديمة فى عهدها غير قديمة ، وكلأ تشبع منها الناب قبل العظيمة »

وقال أبو مجيب قيل لاوفى بن عبيد : ائت وادى كذا وكذا فارتده لنا . فقال « وجدت به خشبا هرمى ، وعشباشرمى » قال والهرمى الذى ليس له دخان اذا أوقد من يبسه وقدمه . والشرمى العشب الضخم يقال هذا عشب شرم

وقال هرم بن زيد الكلبي اذا أحيا الناس قيل « قد أكلأت الارض واخرنفشت العنز لاختها ولحس الكلب الوضر »

وقال اخرنفاش العنز أن ينتفش شعرها وتنصب روقيها فى أحد شقيها لتنطح صاحبتها ، وانما ذلك من الاشر حين ازدهت وأعجبتها أنفسها . ولحس الكلب الوضر لما يفضلون منه لانهم فى الجدب لايدعون للكلب شيئا يلحسه

قال أبو نجيب اذا أجدب الرائد قال « وجدت أرضا أرمى عشمى » فاما العشمى فالتى يرى فيها الشجر الاعشم وانما يعشم من الهبوة ، و يقال للشيخ انما هو عشمة . فاما الارمى فالتى أرمت فليس فيها أصل شجرة

قال أبو عبيدة قال بعض الاعراب « تركت جرادا عرادا كانها نعامة باركة » يريد التفاف نبتها وهى من نبت بلاد تميم

وقيل لاعرابى : ما وراءك . قال « خلفت أرضا تظالم معزاها » يقول سمنت وأشرت فتظالمت ، وتقول العرب : ليس أظلم من حية ، وتقول العرب : ليس أظلم من ورل ، وأظلم من ذئب ، كما تقول : أغدر من ذئب ، وكما تقول : أكسب من ذئب ، قال الاسدى :

لَعَمْرُكَ لو أني أُخاصِمُ حَيَّةً ... إلى فقعسٍ ماأنصفتني فقعسُ[1]

إذاقلتُ مات الداءُ بيني وبينهمْ ... أتى حاطبٌ منهم لآخرَ يقبسُ

فمالكمُ طُلْساً إليَّ كأنكمْ ... ذِئابُ الغضَاوالذئبُ بالليلِ أطلسُ

وقال الفزارى :

ولو أُخاصِمُ أفعَى نابُها لثق[2] ... أو الأساودَ مِن صُمِّ الأهاضيبِ

ولو أُخاصِمُ ذِئباً فى أكيلته[3] ... لجاءَني جمعهمْ يسعَى معَ الذيبِ

يقول بلغ من ظلم قومنا لنا انا لو خاصمنا الذئاب والحيات ـ وبها يضربون المثل فى الظلم ـ لقضوا لهما علينا

١) فقعس: قبيلة من بني أسد سميت باسم جدها ٢) مبتل ٣) هى التي يأكل منها ثم تستنقذ منه

وقالت العرب « اذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة » هـذا فى قلة العشب ، وانما تلحسه الناقة لقلته وقصره

وحدثنا أبو زياد الكلابى قال : بعث قوم رائدا لهم بعد سنين تتابعت عليهم ، فلما رجع اليهم قالوا له : ماوراءك ، قال « رأيت بقلا يشبع منه الجمـل البروك ، وتشكت منه النساء ، وهمّ الرجل باخيه »

قال أما قوله الجمـل البروك يقول لو قام قائما لم يتمكن منـه لقصره . وأما قوله وتشكت منه النساء فانه ماخوذ من الشّكوة والشّكاء أصغر الوطاب . يقول لم يكثر اللبن بعد فيمخض فى الوطاب . وقوله وهم الرجل باخيه أى هم أن يدعوه الى منزله كما يصنعون فى أيام الخصب

وقال غيره « الخصب يدعو الى طلب الطوائل ، وغزو الجـيران ، والى أن ياكل القوى من هو أضعف منه » وقالوا فى الكلأ « كلأ تشبع منه الابل معـقلة » وكلأ حابس فيه كمرسل » يقول : من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها . وتقول كلأ يتجع منه كبد المصرم . وأنشد الباهلى :

ثُمَّ مُطِرْنا مَطْرَةً رَوِيَّهْ فَنَبَتَ البَقْلُ وَلاَ رَعِيَّهْ

وأنشد الاصمعى :

فجَنَّبكَ الجُيُوشَ أبا زُنَيبٍ وَجادَ على مَسارِحكَ السَّحابُ

يكون أن يكون دعاء عليه ويكون أن يكون دعاء له . وقال الآخر :

أمْرَعَتِ الأرْضُ لوَ انَّ مالاَ * لوَ انَّ نُوقًالكِ أوْجِمالاَ * أوْ ثَلَّةً منْ غنَمٍ إمَّالا

وقال ابن الاعرابى : سأل الحجاج رجـلا قدم من الحجاز عن المطر فقال « تتابعت علينا الاسمية ، حتى منعت السُّفار ، وظالمت المعزى ، واحتلبت الدرة بالجرة » لقيط قال دخل رجل على الحجاج فسأله عن المطر ، فقال « ماأصابنى من مطر ، ولـكنى سمعت رائدا يقول « هلم أظعنكم الى محلة تطفأ فيها النـيران ، وتتنافس فيها

المعزى ، وتبقى بها الجرّة ، حتى تنزل الدرة »

أبو زيد قال : تخاصمت امرأتان الى ابنة الخس فى مراعى أبويهما ، فقالت الاولى « إبل أبى ترعى الاسيلح » قالت ابنة الخس « رغوة وصريح ، وسنام اطريح » قالت الاخرى « مرعى إبل أبى الخلة » قالت ابنة الخس « سريعة الدرة والجرة »

وقال الاخوص بن جعفر بعد ما كبر وعمى و بنوه يسوقون به « أىّ شىء ترتعى الابل » قالوا « عرف الثمام والضعة » قال « سوقوا » ثم انها عادت فارتعت بمكان آخر فقال « أىّ شىء ترتعى الابل » قالوا « العضاه والقضة [1] » قال « عود عويدٌ شبع بعيد » وقال « سوقوا » حتى اذا بلغوا بلدا آخر قال « أى شىء ترتعى الابل » قالوا « نصيّا وصليانا » قال « مكفية لرعاتها ، مطولة لذراها ، أرعوا واشبعوا » ثم سالهم فقال « أىّ شىء ترتعى الابل » قالوا « الرمث » قال « خلقت منه وخلق منها »

قال أبو صاعد : وزعم الناس أن أول ماخلقت الابل من الرمث ، وعلامة ذلك أنك لاترى دابة تريده الا الابل

قال وقيل لرؤبة « ماوراءك » قال « الثرى يابس ، والمرعى عابس »

قال وقالت امرأة من الاعراب « أصبحنا مايرقد لنا فرس ، وما ينام لنا حرس »

قالوا كان أبو الجبيب كثيرا مايقول « لا أرى امرأة تصبّر عينيها ، ولا شريفا يهنأ بعيرا [2] ، ولا امرأة تلبس نطاق يمنة »

وخطب بلال ابن أبى بردة بالبصرة فعرف أنهم قد استحسنوا كلامه فقال « لا يمنعكم سوء ماتعلمون منا أن تقبلوا أحسن ماتسمعون منا »

قال وقال عمر بن عبدالعزيز « ماقوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم »

وقال غيلان أبو مروان « اذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب »

قال رجل من بنى سليم وسأله الحجاج عن المطر فقال « أصابتنا سحائب ثلاث سحابة بحوران بقطر صغار وقطر كبار فكان الصغار للكبار لحمة . ثم أصابتنا الثانية بسوء ، فلبدت الدماث ، و رحضت العزاز ، وأسالت التلاع ، وحرقت الرجع ،

---

١) ماتفتت من الحصى ٢) يطليه بالقطران

وصدعت الكمأة عن أما كنها، ثم أصابتنا الثالثة بالقريتين ، فملأت الآحاد وأفعمت كل واد ، وأقبلنا فى ماء بحر الضبع و يستخرجها من وجارها »

وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مروان وساله عن المطر فقال « ظهر الاعصار ، وكثر الغبار ، وأكل ماأشرف من الحبئة ، وأيقنا أنه عام سنة »

قال أبو الحسن بن العتاب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الاسكندر كان لايدخل مدينة الا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها فخرج اليه فالطفه الاسكندر وأعظمه ، فقال له « أيها الملك ، ان أحق من زين لك أمرك وأتاك على كل ماهويت لانا ، وان أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك ، وأحب أن لا تشفعنى فيهم وأن تخالفنى فى كل ماسالتك لهم » فاعطاه من ذلك مالا يقدر على الرجوع عنه . فلما توثق منه قال « فان حاجتى أن تدخلها وتخربها وتقتل أهلها » قال « ليس الى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك »

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه « أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج »

وقال يزيد بن المهلب وقد طال عليه حبس الحجاج « والهفاه على فرج فى جبهة أسد ، وطلبة بمائة ألف »

قال الاصمعى : دخل درست بن رباط الفقهى على بلال بن أبى بردة وهو فى الحبس ، فعلم بلال أنه شامت به ، فقال بلال «مايسرنى بنصيبى من المكره حمر النعم » فقال درست « فقد أكثر الله لك منه »

قال الهيثم بن عدى : كان سجان يوسف بن عمر يرفع الى يوسف بن عمر أسماء الموتى ، فقال له عبدالله بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى اقبض هذه العشرة الآلاف درهم وارفع اسمى فى الموتى ، قال فرفع اسمه فى الموتى ، فقال يوسف بن عمر « جئنى به » فرفع اليه فاعلمه فقال « ويحك اتق الله فىّ فانى أخاف القتل » قال وأنا أيضاً أخاف ماتخاف » ثم قال « قتلك أهون من قتلى ، ولا بد من قتلك » فوضع على وجهه مخدة فذهبت نفسه مع المال

وأما عبد الله بن المقفع فان صاحب الاستخراج لما ألح عليه في العذاب قال لصاحب الاستخراج « أعندك مال ، وأنا أربحك ربحا ترضاه ، وقد عرفت وفائي وسخائي وكتماني ، فعيني مقدار هذا النجم » فاجابه الى ذلك ، فلما صار عليه مال ترفق به مخافة أن يموت تحت العذاب فيتوى ماله

وقال رجل لعمرو الغزال « مررت بك البارحة وأنت تقرأ » قال « لو أخبرتني أي آية كنت فيها لاخبرتك كم بقى من الليل »

وسمع مورج البصرى رجلا يقول « أمير المؤمنين يرد على المظلوم » فرجع الى مصحفه فرد على براءة بسم الله الرحمن الرحيم [1]

وكان عبد الملك بن مروان في مرضه الذى مات فيه يعطش ، وقيل له : ان شربت الماء مت . فأقبل ذات يوم بعض العواد فقال : كيف حال أمير المؤمنين . قال : أنا صالح الحمد لله . ثم أنشا يقول :

وَمُسْتَخبِرٍ عنَّا يُرِيدُ بنا الرَّدَى ... وَمُسْتَخبِرَاتٍ وَالعُيُونُ سَوَاجِمُ

ويلكم اسقوني ماء ولو كان فيه تلف نفسي . فشرب ثم مات

وكان حبيب بن مسلمة الفهرى رجلا غزّاءً للترك ، فخرج ذات مرة الى بعض غزواته ، فقالت له امرأته « أين موعدك » قال « سرادق الطاغية ، أو الجنة ان شاء الله تعالى » قالت « انى لارجو أسبقك الى أى الموضعين كنت به » فجاء فوجدها في سرادق الطاغية تقاتل الترك

ولما مدح الكميت بن زيد الاسدى مخلد بن يزيد المهلب قال له ابن بيض « انك يا أبا المستهل لكالجالب التمر الى هجر » قال « نعم ، ولكن تمرنا أجود من تمركم »

وكان السيد الحميرى مولعا بالشراب فمدح أميراً من أمراء الاهواز ، ثم صار اليه ليمدحه له ، فلم يصل اليه وأغب الشراب ، فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل اليه فجلس من بعد ، فقربه وشم منه ريح الشراب فقال له « ما كنت أظن أبا هاشم يفعل هذا ،

---

١ أى انه رأى سورة التوبة غير مبدوءة بالبسملة فكتب البسملة في أولها

ولكن يحتمل لمادح آل رسول الله أكثر من هذا» يمازحه . ثم قال : «ياجارية ، هلمى الدواة » ثم كتب الى بعض وكلائه « ادفع الى أبى هاشم مائتى دورق ميبختجا [1] » قال السيد « لقد كنت أظن الامير أبلغ مما هو » قال قال « وأى شىء رأيت من العى » قال « جمعك بين حرفين وأنت تجتزىء باحدهما ، امح هذه الخيشة بختجا ودع ميبا على حالها » ففعل . وحمل الكتاب فاخذها غبيطا عبد الله بن قائد قال قالت امرأة الحصين بن المنذر للحصين « كيف سدت قومك ، وأنت بخيل ، وأنت ذميم » قال « لانى شديد الرأى شديد الاقدام »

قال وقال مسلمة بن عبد الملك لهشام بن عبد الملك « كيف تطمع فى الخلافة ، وأنت بخيل ، وأنت جبان » قال « لانى حليم ، وانى عفيف » قال زبان :

إنَّ بنى بَدرٍ يرَاعٌ جُوفُ * كلُّ خَطيبٍ مِنهُمُ مَؤُوفُ [2]

أهوَجُ لا ينفَعهُ التثقيفُ

وقال لبيد بن ربيعة :

وَأَبيضُ يَجتابُ الخُرُوقَ على الوَجا  خطيباً إذا التفَّ المَجامِعُ فيصلا

وقال فى تفضيل العلم والخطابة وفى مدح الانصاف وذم الشغب :

وَلقَد بَلَوْتُكَ وَابتَلَيتُ خَلِيقَتي  وَلقَد كَفاكَ مُعَلِّمى تَعليمى

وقال لبيد :

ذَهبَ الَّذينَ يُعاشُ فى أكنافِهِمْ  وَبقِيتُ فى خَلفٍ كَجلْدِ الأَجرَبِ

يَتأكلُونَ مَغالَةً وَخِيانَةً  وَيُعابُ قائِلُهُمْ وَإنْ لمْ يَشغَبِ

---

١ لعله « ميبختجا » وهى فارسية معربة معناها العنب المطبوخ ، فاذا محا « بختجا » بقيت « مى » وهو الشراب بالفارسية والله أع   ٢ مؤوف : مصاب بالآفة

وقال زيد بن جندب :

مَا كانَ أغْنَى رِجالاً ضلَّ سعيهمُ     عنِ الْجِدالِ وَأغناهُمْ عنِ الْخُطَبِ

وقال لقيط بن زرارة :

إني إذا عاقبْتُ ذُو عِقابِ     وَإنْ تشاغِبني فذو شِغابِ

وقال ابن أحمر :

وَكمْ حلّها مِن تَيحانٍ سَمَيذع     مُصافي الندَى سارٍ بيَهماء مُطْعِمِ

طوِى البطْنِ مِتلاف إذا هبّتِ الصّبا     على الأمْرِ غوّاصٍ وفي الحيّ شيْظمِ

وقال الآخر :

وَأغرُّ مُنْخَرِقُ القميصِ سَمَيْذَعٌ     يَدْعُو لِيَغْزُو ظالِماً فيُجابُ

قدْ مدَّ أرسانَ الجيادِ مِنَ الوَجا     فكأنَّما أرسانُها أطْنابُ

وقال الآخر :

كريمٌ يَغُضُّ الطّرْفَ عِنْدَ خِيانَةٍ     وَيدْنُو وَأطْرافُ الرِّياحِ رَوانِ

وَكالسّيفِ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مَتْنُهُ     وَحدّاهُ إنْ خاشَنْتَهُ خشِنانِ

وقال آخر :

يُقطِّعُ طَرْفَهُ عَنِّي سُوَيْدٌ     وَلَمْ أذْكُرْ بسيئَةٍ سُوَيْدَا

تَوَقَّ حِدادَ شَوْكِ الأرْضِ تَسْلَمْ     وَغيْرَ الأُسْدِ فاتَّخِذَنَّ صَيْدَا

وقال آخر :

لا تحْسَبَنَّ المَوْتَ مَوْتَ البِلى     فإنَّما المَوْتُ سُؤالُ الرجالْ

كِلاهُما مَوْتٌ وَلكنَّ ذا     أشدُّ مِنْ ذاكَ لِذُلِّ السُّؤالْ

وللحسين بن مطير :

رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى بِوَافِرِ لَحْمِهِ  طِلاَبُ المَعالي واكْتِسابُ الْمَكارِمِ

خَفِيفَ الحَشَا ضَرْبًا كَأَنَّ ثِيابَهُ  على قاطِعٍ مِنْ جَوْهَرِ الْهِنْدِ صارِمِ

فَقُلْتُ لها لاَ تَعْجَبَنَّ فإِنَّنِي  أَرَى سِمَنَ الْفِتْيانِ إحْدَى الْمَشاتِمِ

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى عبد الله بن عباس فى الامر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « غص غواص »

وقال ابن أحمر :

هلْ لامَنِي قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سائِلٍ  أَوْ فى مُخاصَمَةِ اللَّجُوجِ الأَصْيَدِ

وقال لبيد بن ربيعة فى التطبيق على قوله :

ياهَرِمَ بْنَ الأَكْرَمِينَ مَنْصِبا  انَّكَ قدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبا

فَطَبِّقِ المَفْصِلَ وَاغْنَمْ طَيِّبا [1]

وقال آخر :

فلَمَّا أَنْ بَدَا القَعْقاعُ لَجَّتْ  على شَرَكٍ تُناقِلُهُ نِقالاَ

تَعاوَرْنَ الحَدِيثَ وَطَبَّقْتَهُ  كما طَبَّقْتَ بالنَّعْلِ الْمِثالا [2]

وقال ابن أحمر :

لوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكيفَ لى  بِالعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ [3]

وقال :

لَيْسَتْ بِشَوْثاةِ الحَدِيثِ وَلا  فتق مُغالِبَة على الأَمْرِ

١) سبق فى ص ٦٠ من الجزء الاول  ٢) تقدم فى ص ١٤٨ من الجزء الاول  ٣) مر فى ص ٣و١٤٨ من الجزء الاول

وقال :

تَضَعُ الحَدِيثَ على مَوَاضِعِهِ ... وَكَلَامُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وقال :

وَخَصْمٍ مُضِلٍّ فى الضَّجَاجِ تَرَكْتُهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا شَغْبٍ فَوَلَّى مُوَاثِبَا

وذكر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أكتل بن شماخ العكلى فقال «الصبيح الفصيح» وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسه فى داره

عبد الله بن المبارك عن معمر عن الحسن عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « سيكون بعدى أمراء يعطون الحكمة على منابرهم وقلوبهم أنتن من الجيف »

جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار قال : غدوت الى الجمعة فجلست قريبا من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال « امرؤ زوّر عمله ، امرؤ حاسب نفسه ، امرؤ فكر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، امرؤ كان عند قلبه زاجرا وعند همه ذاكرا ، امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله فان قاده الى طاعة الله قبله وتبعه وان قاده الى معصية الله كفه »

وبعث عدى بن أرطاة الى المهالبة أبا المليح الهذلى وعبد الله بن عبد الله بن الاهتم والحسن البصرى ، فتكلم الحسن فقال عبد الله : والله ماتمنيت كلاماقط أحفظه الا كلام الحسن يومئذ

قال وتنقص ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير عليًّا رضى الله تعالى عنه فقال له أبوه « والله مابنى الناس شيئاً قط إلا هدمه الدين ، وما بنى الدين قط شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه . ألم تر الى علىّ كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمّه ؛ والله لكأنما يأخذون بنا صيته رفعا الى السماء . وما ترى مايندبون به موتاهم من التأبين والمديح ، والله لكأنما يكشفون به عن الجيف »

أبو الحسن قال قال عبد الله بن الحسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء « أى بنىّ ، إنى مؤدّ اليك حقّ الله فى حسن تأديبك ؛ فادّ الىّ حق الله فى حسن الاستماع .

أى بنى ، كف الاذى وارفض البذاء واستغن عن الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها الى القول ، فان للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه . احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشًّا ، فانه يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل »

وكان يقال « من لانت كلمته وجبت محبته ، ومن طال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه ومن الوحشة مايضره »

## ﴿ باب أن يقول كل انسان على قدر طبعه وخُلُقه ﴾

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر : ماالسرور . قال « امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفرس فاره مرتبط بالفناء » وقيل لضرار بن الحسين : ما السرور . قال « لواء منشور ، وجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الامير » . وقيل لعبد الملك بن صالح : ماالسرور . قال :

كلُّ الكرامة نِلتُها ❊ إلاَّ التَّحيَّةَ بالسَّلامِ

وقيل لعبد الله بن الاهتم : ما السرور . قال « رفع الاولياء ، وحط الاعداء ، وطول البقاء ، مع القدرة على النماء » وقيل للفضل بن سهل : ما السرور . قال « توقيع جائز ، وأمر نافذ »

أبو الحسن المداينى قال قيل لانسان بحرى : أى شيء تمنى . قال « شربة من ماء الفنطاس ، والنوم فى ظل الشراع ، وريحاً ذُنبداذاً »

وقيل لطفيلى : كم اثنتين فى اثنتين . قال « أربعة أرغفة » . وقال الفلاس القصاص « كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وستين درهما » وقلت لملاح لى وذلك بعد العصر فى رمضان : أنظركم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الارض . قال « أكثر من مرديين ونصف[1] » وقال آخر :

١) المردى : عود يدفع به الملاح السفينة

« وقع علينا اللصوص ، فأول رجل دخل علينا السفينة كان فى طول هذا المَردى ، وكانت نخذه أغلظ من هذا السكان ، واسودّ وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سوادا من هـذا القير » . وأردت الصعود مرة فى بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان يوم مطر وزلق ، فزلق حمارى فكاد يلقينى بجنبى ، لكنه تماسك فاقعى على عجزه ، فقال الشيخ الملاح « لا اله الا الله ماأحسن ماجلس على كوثله [١] » ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسين النحاس فلما نظر الى الطين قال « أى ادارى يجىء من هـذا الطين » ومررنا بالخلد بعد خرابه . فقال « أى اصطبلات تجىء من هـذا الموضع »

وقيـل لبعضهم : ما المروءة . قال « طهارة البـدن ، والفعل الحسن » . وقيل لمحمد بن عمران : ما المروءة . قال « أن لا تعمل فى السر شيئا تستحى منه فى العلانية » . وقيـل للاحنف : ما المروءة . قال « العفة والحرفة » . وقال طلحة بن عبيـد الله « المروءة الظاهرة الثياب الظاهرة » وقيـل لابى هريرة : ما المروءة . قال « تقوى الله ، واصلاح الصنيعة [٢] ، والغداء والعشاء بالافنية »

قال ونظر بكر بن الاشعر ـ وكان سجانا ـ مرة الى سوردا ربجالة بن عبدة . فقال « لا اله الا الله ، أى سجن يجىء من هذا » . وقال انسان صيرفى « باعنى فلان عشرين جريبا ودانقين ونصفاً ذهبا »

قال ونظر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنـه الى عـير مقبلة فقال لابى ذر : ما كنت تحب أن تحمل هذه . فقال أبوذر « رجالا لأمثـل عمرى » وقيل للزهرى : ما الزهـد فى الدنيا . قال « أما انه ليس بشعث اللمـة ، ولاقشف الهيئة ، ولـكنه ظلف النفس عن الشهوة » . وقيل للزهرى : ما الزهد فى الدنيا . قال « أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك » ونظر زاهد الى فاكهة فى السوق ، فلما لم يجـد ما يبتاعها عزىء نفسه وقال « يافاكهة ، موعدى و إياك الجنة »

قال : مرّ المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه بخلق [من] بنى اسرائيل

---

١) الـكوثل : مؤخر السفينة ٢) خ : الضيعة

فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال المسيح خيراً فقال له سمعون الصفى « أكلما قالوا شرٌّ قلت خيرا » قال المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه « كل امرىء يعطى ماعنده »

وقال بعضهم قيل لامرىء القيس بن حجر : ما أطيب عيش الدنيا . قال « بيضاء رعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، بالشحم مكروبة » . وسئل عن الدنيا الاعشى فقال « صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صوب غادية » . وقيل مثل ذلك لطرفة فقال « مطعم شهى ، وملبس وفى ، ومركب وطى »

وقال كان محمد بن راشد البجلى يتغدى ، و بين يديه شيوطة ، وخياط يقطع له ثيابا وراءه يلحظ الشيوطة ، فقال : قد زعمت أن الثوب يحتاج الى حرقة فكم مقدارها . قال : ذراع فى عرض الشيوطة . ودخل آخر على رجل يا كل أترجة بعسل ، فاراد أن يقول : السلام عليكم ، فقال عسليكم ، ودخلت جارية رومية على راشد البستى لتسال به عن مولاتها فبصرت بحمار قد أدلى فى الدار ، فقالت : قالت مولاتى كيف أيرحماركم فيما زعم أبو الحسن المداينى وأنشد ابن الاعرابى :

وَاذا أظهرْتَ أمراً حسناً فَليَكُنْ أحسنَ منهُ مايُسَرّْ
فَمُسِرُّ الخيرِ مَوسُومٌ بهِ وَمُسِرُّ الشرِّ موسُومٌ بشَرّْ

وأنشد ابن الاعرابى :

أرَى النّاسَ يَبْنُونَ الحصُونَ وَانّما غَوائِلُ آجالِ الرِّجالِ حُصونُها
وَإنّ مِنَ الأعمالِ دُونا وصالِحاً فَصالِحُها يَبقى وَيَهلِكُ دُونُها

وأنشد ابن الاعرابى :

حَسْبُ الفتى مِن عَيشهِ زَادٌ يُبلِّغُهُ المَحلاّ

---

١) جمل رباع ويروذون رباع : الذى ألقى رباعيته وهى السن التى بين الثنية والناب

خُبزٌ وَماءٌ بارِدٌ وَالظِّلُّ حينَ يُرِيدُ ظِلاّ

وقال بعض الاعراب :

وَما العيشُ إلا شبعَةٌ وَتشرُّقٌ وَتَمرٌ كأخفافِ الرِّباعِ وَماءُ

محمد بن حرب الهلالى قال قلت لاعرابى « انى لك لوادّ » قال « وان لك من قلبى لرائد » قال وأتيت أعرابيا فى أهله مسلما عليه فلم أجده ، فقالت امرأته « عشر الله خطاك » أى جعلها عشرة أمثالها . قال وكان مسلم بن قتيبة يقول « لم يضيع امرؤ صواب القول حتى يضيع صواب العمل »

أبو الحسن قال قال الحجاج لمعلم ولده « علم ولدى السباحة قبل الكتابة ، فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم » أبو عقيل بن درست قال رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر فقلت له « فى أى شىء كنت اليوم » قال « فى تعليم ماليس ينسى ، وليس لشىء من الحيوان عنه غنى » قال قلت « وما ذلك » قال « السباحة » حدثنا على بن محمد وغيره قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى ساكنى الامصار « أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ، ورووهم ماسار من المثل وحسن من الشعر » وقال ابن التوءم « علم ابنك الحساب قبل الكتاب ، فان الحساب أكسب من الكتاب ، ومؤنة تعلمه أيسر ، ووجوه منافعه أكثر » وكان يقال « لاتعلموا بناتكم الكتاب ولا ترووهن الشعر ، وعلموهن القرآن ، ومن القرآن سورة النور » وقال آخر « بنو فلان يعجبهم أن يكون فى نسائهم أباضيات ، ويؤخذون بحفظ سورة النور » وكان ابن التوءم يقول « من تمام مايجب على الآباء من حفظ الابناء أن يعلمه الكتاب والحساب والسباحة »

خطب رجل امرأة أعرابية فقالت له « سل عنى بنى فلان وبنى فلان وبنى فلان » فعدت قبائل ، قال « وما علمهم بك » قالت « فى كلهم قد نكحت » قال

« أرى بك جلنفعة (١) قد حزمتك الحزائم » قالت « لا ، ولكنى جوالة بالرجل شمر بس »

وقال الفرزدق لامرأته نوار « كيف رأيت جريرا » قالت « رأيتك ظلمته أولا ثم شغرت عنه برجلك (٢) آخرا » قال « أنا أبى (٣) » قالت « نعم أما انه قد غلبك فى حلوه وشاركك فى مره »

قال وتغدى صعصعة بن صوحان عند معاوية يوما ، فتناول من بين يدى معاوية شيئا فقال « يابن صوحان لقد انتجعت من بعيد » قال « من أجدب انتجع »

و بصر الفرزدق بجرير محرما فقال « والله أفسدت على ابن المراغة حجه » ثم جاءه مستقبلا له فجهزه بمشقص (٤) كان معه ثم قال :

إنكَ لاقٍ بالمَشاعِرِ مِنْ مِنًى فَخاراً فَخبّرْني بِمَنْ أَنْتَ فاخِرُ

فقال جرير « لبيك اللهم لبيك » ولم يجبه

قال وأدخل مالك بن أسماء سجن الكوفة فجلس الى رجل من بنى مرة فاتكأ المرى عليه يحدثه حتى أكثر وغمه ثم قال « هل تدرى كم قتلنا منكم فى الجاهلية » قال مالك « أما فى الجاهلية فلا ، ولكنى أعرف من قتلتم منا فى الاسلام » قال المرى « ومن قتلنا منكم فى الاسلام » قال « أنا قد قتلتنى غما »

قال ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن زيد (٥) الهلالى وهو عامل على أرمينية ، وقد بات فى موضع غدير قريب منه فيه ضفادع ، فقال عبد الله للمحاربى « ما تركتنا أشياخ محارب ننام فى هذه الليلة لشدة أصواتها » قال المحاربى « أصلح الله الامير انها أضلت برقعا لها فهى فى بغائه » أراد الهلالى قول الاخطل :

تَنِقُّ بِلا شَيءٍ شُيوخُ مُحارِبٍ وَما خِلْتُها كانَتْ تَرِيشُ وَلا تَبْرِي

---

١) الجلنفعة : الناقة التى أسنت وفيها بقية ٢) شغر الكلب : رفع احدي رجليه ليبول ٣) كذا في الاصل ، وان لم يكن ثمة تحريف فمعناه : هل أنا أضعف وأعيا ٤) سهم فيه نصل عريض يرمى به الوحش ٥) خ : يزيد

ضَفادِعُ في ظَلْماءِ لَيْلٍ تَجاوَبَتْ ... فَدَلَّ عليها صَوتُها حَيَّةَ البَحْرِ (١)

وأراد المحار بى قول الشاعر :

لِكُلِّ هِلالِيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ بُرْقُعٌ ... وَلابْنِ هِلالٍ بُرْقُعٌ وَقَمِيصُ

وقال العتبي :

رَأَيْنَ الغَوانِي الشَّيْبَ لاحَ بعارِضي ... فأعرَضْنَ عَنّي بالخُدُودِ النَّواضِر

وَكُنَّ إذا أبصَرْنَني أو سَمِعْنَ بِي ... سَعَيْنَ فرقَّعْنَ الكُوى بالمَحاجِرِ (٢)

لَئِنْ حُجِبَتْ عَنِّي نَواظِرُ أعيُنٍ ... رَمَيْنَ بأحْداقِ المَها والجآذِرِ

فإنِّي مِنْ قَوْمٍ كِرامٍ أُصُولُهُمْ ... لِأَقْدامِهِمْ صِيغَتْ رُؤُوسُ المَنابِرِ

خَلائِفُ في الإسلامِ في الشِّرْكِ قادَةٌ ... بِهِمْ وَإليهِمْ فَخْرُ كُلِّ مُفاخِرِ

قال لبيد :

وَالشَّاعِرُونَ النَّاطِقُونَ إذاهُمُ ... سَلَكُوا طَرِيقَ مُرَقِّشٍ وَمُهَلْهِلِ

وقال آخر :

أَمْ مَنْ لِبابٍ إذا ما اشْتَدَّ حاجِبُهُ ... أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ بَعِيدِ الغَوْرِ مِغْوارِ

وقال حاجب بن دينار المازني :

نَحْنُ بَنُو الفَحْلِ الذِي سالَ بَوْلُهُ ... بِكُلِّ بِلادٍ لا يَبُولُ بِها فَحْلُ

أَبَى النَّاسُ وَالأَقْلامُ أَنْ يَحْسُبُوهُمُ ... إذا حَصَلَ الأخماسُ أو يُحْسَبُ الرَّمْلُ

فإنْ غَضِبُوا شَدُّوا المَشارِقَ مِنْهُمُ ... مُلُوكٌ وَحُكَّامٌ كَلامُهُمُ فَصْلُ

---

٦) سبق هذا فى ص ١٤٩ من الجزء الاول ٧) الكوى : الخروق في الحائط . لمحاجر : ماحول العيون . يقول : انهن يسددن خروق الحائط بعيونهن لينظرن اليه

وقال أعرابي من بني حنيفة وهو يمزح :

مَرَّ الجرادُ على زرعي فقلتُ له  إلزَمْ طريقكَ لا تُولَعْ بإفسادِ
فقامَ منهمْ خطيباً فوقَ سُنبلةٍ  إنّا على سفرٍ لابُدَّ من زادِ

وقال آخر يهجو بعض الخطباء :

يُمانُ ولا يَمونُ وكانَ شيخاً  شَديدَ اللَّقمِ صِلقاماً خطيبا (١)

ذهب الى قول الاحوص :

ذَهبَ الَّذينَ أُحِبُّهمْ فُرُطاً (٢)  وبقيتُ كالمقمورِ في خَلَفِ
مِنْ كلِّ مَطويٍّ على عنقٍ  مُتَضَجِّعٍ (٣) يُكفى ولا يَكفي

وقال الحسن بن هانئ :

إذا نابَهُ أمرٌ فإمّا كَفيتَهُ  وإمّا عليهِ بالكَفيِّ تُشيرُ

وقال آخر :

ذَريني لا أُعنّي بما حلَّ ساحتي  أسُودُ وأُكفى أوْ أُطيعُ المُسَوَّدا

وقال بشار :

وفي العَبَراتِ الغُرِّ صَبْرٌ على النَّدى  أولئكَ حيٌّ من خزيمةَ أغلبُ
والأمُّ منْ يَمشي ضَبيعةُ إنَّهمْ  زَعانفُ لَمْ يَخطُبْ إليهمْ مُحَجَّبُ

وكذلك قول أعشى بن ثعلبة :

ما ضَرَّ غازي نِذارٍ أن يُفارقهُ  كلبٌ وجَرمٌ إذا أبناؤهُ اتَّفقوا
قالتْ قُضاعةُ إنّا منْ ذوي يَمنٍ  اللهُ يعلمُ ما بَرُّوا ولا صَدَقوا

---

١ اللقم : سرعة الاكل ، والصلقام : القارع بعض أنيابه ببعض   ٢ الفرط : الامر المجاوز فيه الحد   ٣ خ : مضطجع

يَزدادُ لَحمُ المَناقِي[1] في مَنازِلِنا ... طِيباً إذا عزّ في أعدائِنا المَرَقُ

وَما خَطَبْنا إلى قومٍ بَناتِهِمِ ... إلا بأزعَنَ في حافاتِهِ الحُرَقُ

قوله خطبنا هاهنا من الخطبة وقولهم فى الشعر الاول من الخطبة . وقال بلعاء ابن قيس :

أبستُ[2] لنفسي الخَسفَ لمّا رَضُوا بهِ ... وَدَلَّيتُهُمْ شتمى وما كُنتُ مُفحما

وقال بلعاء بن قيس لسراقة بن مالك بن جعشم[3]

ألا أبلغْ سُراقةَ بنَ مالِكٍ[4] ... فَبئسَ مَقالةُ الرَّجلِ الخَطيبِ

أترجُو أن تَوَدّ بِظَعنِ لَيثٍ ... فهذا حِينَ تُبصرُ مِن قريبُ

وقال منصور الضبي :

لَيتَ الفَتى عَجرَداً مِنّا مَكانَهُمُ ... وَلَيتَهُم مِن وراءِ الاخضرِ الجاري

قد قامَ سَيّدُهم عمرانُ يَخطُبُهُمْ ... ما كانَ لِلخيرِ عمرانٌ بأمّارِ

تقول العرب « الخلة تدعو الى السلة » وكانوا اذا أسروا أسيرا قال المادح « أسره فى مزاحفة ولم يأسره فى سلة » وفى الحديث « لااسلال ولا اغلال » قال وفى المثل « الحاجة تفتح باب المعرفة ».

ونذكر ها هنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة . قال سويد المرائد الحارثى أوغيره :

بَني عَمِّنا لا تَذكُروا الشِّعرَ بَعدَما ... دَفَنتُمْ بِصَحراءِ الغَميمِ[5] القَوافِيا

فَلَسنا كَمَنْ كُنتُمْ تُصِيبُونَ سَلّةً ... فَنقبَلَ عَقلاً أو نُحَكِّمَ قاضِيا

---

١) ذوات الشحم ٢) لعلها « أبيت لنفسى » . وأبس : بمني وبخ وذلل ٣) خ : جعثم
٤ كذا في الاصل ٥ بفتح الغين وكسر الميم : موضع بين رابغ والجحفة قرب المدينة . وبضم الغين وفتح الميم : واد فى ديار حنظلة من بنى تميم

وَلكنَّ حُكْمَ السيفِ فيكُمْ مُسلَّطٌ　　فنرضَى إذا ما أصبحَ السيفُ رَاضيا
فإنْ قلتُمُ انَّا ظَلَمنا فإنَّكُمْ　　بدَأتمْ وَلكنَّا أسأنا التقاضِيا
وَقدْ ساءَنى ما جرَّتِ الحربُ بيننا　　بني عَمِّنا لوْ كانَ أمراً مُدانِيا

وقال ضابىء بن حارث :

وَرُبَّ أُمورٍ لا تَضيرُكَ ضَيْرَةً　　وَلِلقلبِ مِن مَخْشاتِهِن وَجيبُ

وقال حارثة بن بدر :

وَقلْ لِلفؤَادِ إنْ نَزا بكَ نَزْوَةً
مِنَ الرُّوعِ أفْرِخْ أكثرُ الرَّوعِ باطِلُهْ [١]

وقال لبيد :

وَاكْذِبِ النفسَ إذا حَدَّثتَها　　إنَّ صِدقَ النفسِ يُزْرِي بالأمَلْ

وقال الشاعر وهو حبيب بن أوس الطائى :

وَطولُ مُقامِ المَرْءِ فى الحيِّ مُخلِقٌ　　لِديباجَتَيْهِ فاغترِبْ تتجدَّدِ
فإنى رَأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً　　إلى الناسِ أنْ ليْسَتْ عَليهِمْ بِسَرْمَدِ

وقال آخر :

هُوَ الشمسُ إلا أنَّ لِلشمسِ غَيبةً　　وَهذا الفتى الجَرْميُّ ليسَ يَغيبُ
يَرُوحُ وَيغدُو ليسَ يَفترُ ساعةً　　وَإنْ قِيلَ ناءٍ مِنكَ فهْوَ قريبُ

وقال آخر :

خلافاً لِقولى مِن فِيالَةِ رَأيِهِ　　كما قِيلَ قبلَ اليومِ خالِفْ فتُذْكَرا

---

١ أفرخ روعك : أخرج الفزع من قلبك

وقال حارث بن بدر :

إذَا ما مُتُّ سَرَّ بَنِي تَمِيمٍ ... على الْحَدَثانِ لو يَلقَونَ مِثْلِي

عَدُوٌّ عَدُوِّهِم أبداً عَدُوِّي ... كَذَلِكَ شَكْلُهُمْ أبداً وَشَكْلِي

وهذا شبيه بقول الاعشى :

عُلِقْتُها عَرَضاً وَعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَها الرَّجُلُ

وقال عمرو لمعاوية « من أصبر الناس » قال « من كان رأيه راداً لهواه » واختلفوا بحضرة الزهرى فى معنى قول القائل « فلان زاهد » فقال الزهرى « الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صبره ، ولا الحلال شكره » وقال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض بنيه « لا تكونن أول مشير ، واياك والهوى والرأى الفطير ، وتجنب ارتجال الكلام ، ولا تشر على مستبد ولا على وغد ولا على متلون ولا على لجوج ، وخف الله فى موافقة هوى المستشير فان التماس موافقته لؤم وسوء الاستماع منه خيانة » وقال « من كثر كلامه كثر سقطه ومن ساء خلقه قل صديقه » وقال عمر للاحنف « من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن أكثر من شئ عرف به ، ومن كثر مزاحه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل ورعه ، ومن قل ورعه ذهب حياؤه ، ومن ذهب حياؤه مات قلبه » وقال المهلب « يابنى ، تباذلوا تحابوا ، وان بنى الام يختلفون فكيف بنو العلات . ان البر ينسأ فى الاجل ويزيد فى العدد ، وان القطيعة تورث القلة وتعقب النار بعد الذل . واتقوا زلة اللسان فان الرجل تزل رجله فينتعش ويزل لسانه فيهلك . وعليكم فى الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدة ، فان القتال اذا وقع وقع القضاء ، فان ظفر فقد سعد وان ظفر به لم يقولوا فرط » ولقى الحسين رضى الله تعالى عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال « القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر فى السماء » وقال بعضهم حجب أعرابى على باب سلطان فقال :

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسِي لِأُكْرِمَها بِهِمْ ... وَلَا يُكْرِمُ النَّفْسَ الَّذِي لَا يُهِينُها

وقال جرير :

قومٌ إذا حضرَ الملوكَ وُفودُهمْ ... نُتِفت شَوارِبُهُمْ على الأبْوابِ

وقال آخر :

نَهَيتُ جميعَ الحضرِ عن ذِكرِ خطةٍ ... يُدَبِّرُها فى رَأْيِهِ ابنُ هِشامِ

فلمَّا وَرَدْتُ البابَ أيقنتُ أنَّنا ... على اللهِ وَالسُّلْطانِ غيرُ كِرامِ

وقال آخر :

وَافي الوُفُودُ فَوافَى مِن بَنِى جَملٍ ... بِكرُ الحَمالَة فانِى السِّنِّ عَرْزَومُ

وقال تميم :

فَدَيْتُكِ أنْ لاَ تُسْمِعِيني مَلامَةً ... وَلا تنكئي قَرْحَ الفُؤَادِ فَيَيْجعَا

وقال آخر :

قليلَ التَشَكِّى لِلمَصائِبِ ذَاكِراً ... مِنَ اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غَدِ

وقالوا « أشد من الموت ما يُتمنى له الموت » وقال الفرزدق وهو يصف طعنة :

يَوَدُّ لكَ الأَدْنَوْنَ لوْ مُتَّ قبلَها ... يَرَوْنَ بِها شَرًّا عليكَ مِنَ القتلِ

قال وقيل للاحنف « ما بلغ من حزمك » قال « لا ألى ما كفيت ولا أضيع ما وليت » وقال آخر « لا تقيموا ببلاد ليس فيها نهر جار ، وسوق قائمة ، وقاض عدل » وقالوا « لا تبنى المدن الا على الماء والمرعى والمحتطب » وقال مالك بن دينار « لربما رأيت الحجاج يتكلم على منبره ، ويذكر حسن صنيعه الى أهل العراق وسوء صنيعهم اليه ، حتى أنه ليخيل الىّ أنه صادق مظلوم » أبو عبدالله الثقفى عن عمه قال سمعت الحسن يقول « لقد وقذتنى كلمة سمعتها من الحجاج » قلت « وان كلام الحجاج ليقذك » قال « نعم ، سمعته على هذه الاعواد يقول: ان امرءاً ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لحرى أن تطول عليها حسرته » وقال بعضهم : كان يقال « ماوجدنا أحدا أبلغ فى

خير وشر من صاحب عبد الله بن سلمة » قال « دخل الزبرقان بن بدر على زياد وقد كف بصره فسلم تسليما جافيا فأدناه زياد فاجلسه معه » وقال : ياأباعياش القوم يضحكون من جفائك ، قل : وان ضحكوا فوالله ان منهم رجلا الايودّ أنى أبوه دون أبيه لغيه أو لرشده » قال ونظر هشام بن عبد الملك الى قبر عثمان بن حيان المرى فقال « جثوة من جثى النار » قال وكان يقال « صاحب السوء قطعة من النار، والسفر قطعة من العذاب » قال آخر : وكان يقال « عذابان لا يكترث لهما الداخل فيهما : السفر الطويل ، والبناء الكثير » وقال رجل من أهل المدينة « من ثقل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه بمالا يعلمون » وقال سهل بن هرون « ثلاثة يعودون الى أجن المجانين وان كانوا أعقل العقلاء : الغضبان والغيران والسكران » فقال له أبو عبدان المخلع الشاعر « ماتقول فى المنعظ » فضحك حتى استلقى ثم قال :

وَمَا شَرُّ الثَّلاَثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِى لاَ تُصْبِحِينَا

وقال أبو الدرداء « أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب » قال وقال ناس « البخل قيد والغضب جنون والسكر مفتاح الشر » وقال بعض البخلاء « مانصب الناس لشىء نصبهم لنا ، هبهم يلزموننا الذم فيما بيننا و بينهم ، مالهم يلزموننا التقصير فيما بيننا و بين أنفسنا » قال وقال ابراهيم بن عبدالله بن حسن لابيه « ماشعر كثيّر عندى كما يصفه الناس » فقال له أبوه « انك لن تضع كثيرا بهذا ، إنما تضع بهذا نفسك »

قال أنشد رجل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قول طَرَفة :

فَلَوْلاَ ثَلاَثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِى [1]

فقال عمر « لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أبال أن أكون قد متّ » وقال عامر بن

---

١) فى ديوانه المطبوع فى قازان « من لذة الفتى » . والجد بمعنى الحظ والبخت . وعود : جمع عائد وعائدة من عيادة المريض

عبد قيس « ما آسى من العراق الا على ثلاث : على ظمأ الهواجر ، وتجاوب المؤذنين ، واخوان لى منهم الاسود بن كلثوم » وقال آخر « ما آسى من البصرة الا على ثلاث : رطب السكر ، وليل الخزير ، وحديث أبى بكر » وقال سهل بن هرون :

وَلكِنَّنِي أبكي بعَينٍ سخينةٍ     على جَلَلٍ تبكي له عينُ أمثالي
فِرَاقِ خليلٍ أو شَجىً يستشفُّني     لِخَلَّةِ أمرٍ لا يقومُ لها مالي
فيا كَبِدي حتىَّ متى القلبُ موجعٌ     بشكلِ حبيبٍ أو تعذُّر أفضالي
وَما العَيشُ إلا أنْ تَطُولَ بنائِلٍ     وَإلا لقاء الأَخ ذِي الخُلُقِ العالى

وقال أعرابى « لولا ثلاث هن عيش الدهر ، الماء والنوم وأم عمرو ، لما خشيت من مضيق القبر » قال وقال الاحنف « أربع من كن فيه كان كاملا ، ومن تعلق بخصلة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، أو عقل يسدده ، أو حسب يصونه ، أو حياء يقناه » وقال « المؤمن بين أربع : مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يجاهده وشيطان يفتنه . وأربع ليس أقل منهن : اليقين ، والعدل ، ودرهم حلال ، وأخ فى الله » وقال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما « من أتانا لم يعدم خصلة من أربع : آيةً محكمة ، أو قضية عادلة ، أو أخاً مستفاداً ، أو مجالسة العلماء » وقالوا « من أعطى أربعا لم يمنع أربعا : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب »

قال أبو ذر الغفارى « كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه » وقالوا « تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين ، وبالحياء حتى ذهب الحياء ، وبالمروءة حتى ذهبت المروءة ، وقد صاروا الى الرغبة والرهبة وأحر بهما أن تذهبا » وقال بعضهم : دعا رجل على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه الى طعام فقال « نأتيك على أن لا تتكلف لنا ماليس عندك » . وقال الحصين بن المنذر :

وَكلُّ خفيفِ السَّاقِ يسعى مُشمِّرًا     إذَا فتحَ البوَّابُ بابَكَ إصبَعا

وَنَحْنُ الجلُوسُ الماكِثُونَ توَقُّرًا ... حيَاءً إلى أنْ يُفْتَحَ البَابُ أجْمعا

وقال آخر :

وَنفسكَ أكْرِمها فانَّكَ إنْ تَهُنْ ... عليكَ فلَنْ تَلْقى لهَا الدّهرَ مُكرما

اعتذر ابن عوف [١] الى ابراهيم النخعى فقال له « اسكت معذورا فان الاعتذار يخالطه الكذب » أبو عمرو الزعفرانى قال : كان عمرو بن عبيد عند حفص بن سالم فلم يساله أحد من حشمه فى ذلك اليوم شيئاً الا قال « لا » فقال عمرو « أقلّ من قول لا ، فانه ليس فى الجنة قول لا ، وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا سئل مايجده أعطى واذا سئل مالا يجد قال يصنع الله » قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « أكثروا لهن من قول لا ، فان قول نعم يضربهن على المسألة » قال وانما خص عمر رضى الله تعالى عنه بذلك النساء . وقال بعضهم : ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال على « الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا الذى يذمها وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وشبهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيبا وترهيبا . فياأيها الذامّ للدنيا المعلل نفسه ، متى خدعتك الدنيا ، أم متى استذمت اليك بمصارع آبائك فى البلى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى ، كم مرضت بيديك وكم عللت بكفيك ، تطلب له الشفاء وتستوصف له الاطباء ، غداة لا يغنى عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك » وقال عمر رضى الله تعالى عنه « مابال أحدكم ثانى وساده عند امرأة مغيبة ، ان المرأة لحم على وضم ، الا ماذب عنه »

وقال بعضهم : مات ابن لبعض العظماء فعزاه بعضهم فقال « عش أيها الملك العظيم سعيدا ولا أراك الله بعد مصيبتك ماينسيكها » . وقال : لما توفى معاوية جلس ابنه يزيد ودخل عليه عطاء بن أبى صيفى الثقفى فقال « ياأمير المؤمنين ، أصبحت وقد

---

١) خ : ابن عون

رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، وقد قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنوبه ، وقد أعطيت بعده الرئاسة ووليت السياسة ، فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية » . ولما توفى عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لايدرون أيهنؤنه أم يعزونه ، فاقبل غيلان بن مسلمة الثقفى فسلم عليه ثم قال « ياأمير المؤمنين ، أصبحت قد رزئت خير الآباء ، وسميت خير الاسماء ، وأعطيت أفضل[1] الاشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك فى ذلك نوافل الاجر ، وأعانك على حسن الولاية والشكر . ثم قضى عبد الملك بخير القضية ، وأنزله باشرف المنازل المرضية ، وأعانك من بعده على الرعية » فقال له الوليد « من أنت » فانتسب له ، قال « فى كم أنت » قال « فى مائة دينار » قال فالحقه باهل الشرف . ولما توفى المنصور دخل ابن عتبة مع الخطباء على المهدى فسلم قال « آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لامير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين ، فاقبل ياأمير المؤمنين من الله أفضل العطية ، واحتسب عند الله أفضل الرزية » وكتب ميمون بن مهران الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يعزيه عن ابنه عبد الملك فكتب اليه عمر « كتبت الى تعزينى عن ابنى عبد الملك ، وهذا أمر لم أزل أنتظره فلما وقع لم أنكره[2] » وقال الشاعر[3] :

تَعزَّيْتُ عنْ أوْفى بِغَيْلاَنَ بعْدَهُ ... عَزاءً وَجفْنُ العَيْنِ ملآنُ مُتْرَعُ
وَلمْ تُنْسِني أوْفى المُصيبَاتُ بعدَهُ ... وَلَكِنَّ نكْأ القَرْحِ بِالقَرْحِ أوْجَعُ

وقيل « قدّم ماعندك ولا تدخر عنا ماعندك » وقال آخر : كان شيخ يأتى ابن المقفع ، فالح عليه يساله الغداء عنده ، وفى ذلك يقول « انك تظن أنى أتكلف لك

---

١) خ : أعظم ٢) راجع ص ٢٧١ من سيرة عمر بن عبد العزيز ٣) هو مسعود بن عقبة أخو غيلان بن عقبة المشهور بذى الرمة . وقد قال هذين البيتين لما مات ذو الرمة بعد موت أخيهما الثالث أوفى

شيئا » لاوالله ، لاأقدم اليك الا ماعندى » قال فلما أتاه اذا ليس فى منزله الا كسرة يابسة وملح جريش ، ووقف سائل بالباب فقال له « بورك فيك » فلما لم يذهب قال « والله لئن خرجت اليك لادقن ساقيك » فقال ابن المقفع للسائل « انك لو تعرف من صدق وعيده مثل ماأعرف من صدق وعده لم تراده كلمة ولم تقف طرفة عين »

قال وكان يقال « أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره » وقال آخر كان يقال « لاوحشة أوحش من عجب ، ولاظهير أعون من مشورة ، ولافقر أشد من عدم العقل » وقال مورق العجلى « ضاحك معترف بذنبه خير من الباكى المدل على ربه » وقال « خير من العجب بالطاعة أن لا يأتى بطاعة » وقال شبيب لابى جعفر « ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعلن فوق شكرك شكرا » وقال آخر لابى جعفر فى أول ركبة ركبها « ان الله قد رأى أن لايجعل أحداً فوقك فر نفسك أهلا أن لايكون أحد أطوع لله منك » وسفه رجل على ابن له فقال « والله لانا أشبه بك منك بابيك ، ولانت أشد تحصينا لامى من أبيك لامك » وقال عمرو بن عبيد لابى جعفر « ان الله قد وهب لك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها »

وقال الاحنف « ثلاث لا أناة فيهن عندى » قيل « وماهن يا أبابحر » قال « المبادرة بالعمل الصالح ، واخراج ميتك ، وأن تُنكح الكفء أيمك » وكان يقول « لافعى تحكك فى ناحية بيتى أحب الى من أيم رددت عنها كفؤا » وكان يقال « مابعد الصواب الا الخطأ ، وما بعد منعهن من الاكفاء الا بذلهن للسفلة والغوغاء »

وكان يقال « لا تطلبوا الحاجة الى ثلاثة : الى كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويباعدها وان كانت قريبة ، ولا الى الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا الى رجل له الى صاحب الحاجة حاجة فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته » وكان الاحنف يقول « لامروءة لكذوب ، ولا سؤدد لبخيل ، ولا ورع لسيء الخلق » وقال الشعبى « عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فانه ينفعك ، واجتنب الكذب فى موضع ترى أنه ينفعك فانه يضرك » قالوا « لاتصرف حاجتك الى من معيشته من رؤس

المكاييل وألسنة الموازين » وقالوا « انفرد الله عز وجل بالكمال ولم يبرىء أحداً من النقصان » وقال قال عامر بن ظرب العدوانى « يامعشر عدوان ، ان الخير ألوف عزوف وان يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وانى لم أكن حليما حتى اتبعت الحلماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبّدت لكم » قال وقال الاحنف « لان أدعى من بعيد أحب الى من أن أقصى من قريب » وكان يقول « إياك وصدر المجلس وان صدّرك صاحبه فانه مجلس قلعة » قال وقال زياد « ما أتيت مجلساً قطّ إلاّ تركت منه مالو أخذته كان لى ، وترك مالىَ أحب الىّ من أخذى ماليس لى » وقال الاحنف « ما كشفت أحداً عن حالى عنده إلاّ وجدتها دون ما كنت أظن » قال وأثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فأفرط وكان علىّ له متهما فقال « أنا دون ماتقول وفوق ما فى نفسك » قال وكان يقال « خمس خصال تكون فى الجاهل : الغضب فى غير غضب ، والكلام فى غير نفع ، والعطية فى غير موضع ، والثقة بكل أحد ، وان لا يعرف صديقه من عدوه » وأثنى أعرابى على رجل فقال « ان خيرك لسريح ، وان منعك لمريح ، وان رفدك لربيح »

وقال سعيد بن مسلم : كنت واليا بارمينية فغبر أبو زهمان العلاتى على بابى أياما ، فلما وصل الىّ مثل بين يدى قائما بين السماطين وقال « والله إنى لاعرف أقواما لوعلموا أن سفّ التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم ، ايثارا للتنزّه عن عيش رقيق الحواشى . أما والله انى لبعيد الوثبة بطىء العطفة ، انه والله مايثنينى عليك الامثل مايصرفنى عنك ، ولان أكون مقلا مقرباً أحب الىّ من أن أكون مكثراً مبعداً . والله مانسال عملا لا نضبطه ، ولا مالا إلا نحن أكثر منه . وهذا الامر الذى صار اليك فى يديك كان فى يد غيرك فامسوا والله حديثا ، ان خيراً فخير وان شراً فشر . فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب ، فان حبّ عباد الله موصول بحب الله و بغضهم موصول ببغض الله ، لانهم شهداء الله على خلقه و رقباؤه على من اعوج عن سبيله »

ودخل عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام على خالد بن عبد الله

القسرى، بعد حجاب شديد وكان عتبة سخيًّا فقال خالد يعرّض به « إن هاهنا رجالا يدانون فى أموالهم فاذا فنيت أدانوا فى أعراضهم » فعلم عتبة أنه يعرض به فقال « أصلح الله الامير، إن رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فاولئك تبقى لهم أموالهم ، ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فاذا نفدت أدانوا على سعة ماعند الله » فخجل خالد وقال « انك لمنهم ما علمت »

قال وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كوز [1] « هلا أجبت أمير المؤمنين اذ يسألك عن مالك » قال « انه ان استكثره حسدنى وان استقله حقرنى » أبو الحسن قال : ووعظ عروة بنيه فقال « تعلموا العلم فانكم ان تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين » ثم قال « الناس بازمانهم أشبه منهم بآبائهم ، واذا رأيتم من رجل خلة فاحذروه واعلموا أن عنده لها أخوات » قال وقال رجل لرجل « هب لى دريهما » قال « أتصغره ، لقد صغرت عظيما : الدرهم عُشر العَشرة ، والعَشرة عُشر المائة ، والمائة عُشر الالف ، والالف عُشر الدية » قال الاصمعى : خرجت بالدرامى قرحة فى جوفه ، فبزق بزقة خضراء ، فقيل له « قد برئت اذ بزقتها خضراء » قال « والله لو لم يبق فى الدنيا زمردة خضراء الا بزقتها مانجوت »

مر الوليد بن عبد الملك بمعلم صبيان فرأى جارية فقال « ويلك ما لهذه الجارية » قال « أعلمها القرآن » قال « فليكن الذى يعلمها أصغر منها »

اسحق بن أيوب قال : هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل « ياأمير المؤمنين ، ان الله يقول : لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الاقليلا » قال « ذلك القليلَ تريد » وهرب رجل من الطاعون الى النجف أيام شريح فكتب اليه « أما بعد فان الفرار لن يبعد أجلا ولن يكثر رزقا ، وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل الرزق ، وان من بالنجف من ذى قدرة لقريب »

قال ودخل على الوليد فتى من بنى مخزوم فقال له « زوجنى ابنتك » فقال « هل قرأت القرآن » قال « لا » قال « أدنوه منى » فادنوه فضرب عمامته بقضيب كان فى

---

١) خ : كورز

بيده وقرع رأسه به قرعات ثم قال لرجل « ضمّه اليك فاذا قرأ زوجناه »

ولما استعمل يزيدُ ابنَ أبى مسلم بعد الحجاج قال « أنا كمن سقط منه درهم فوجد ديناراً » وقال يزيد لابن أبى مسلم « قال أبى للحجاج : انما أنت جلدة ما بين عينيّ . وانا أقول : انك جلدة وجهى كله » ومع هذا انه صعد المنبر فقال « على بن أبى طالب لَص بن لُص ، صب عليه شؤبوب عذاب » فقال أعرابى كان تحت المنبر « ما يقول أميركم هذا » وفى قوله لص بن لص أعجوبتان احداهما رميه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه لص ، والاخرى أنه بلغ من جهله مالم يجهله أحد أنه ضم اللام فى لص

بكر بن عبد العزيز الدمشقى قال : سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولى الخلافة وهو يقول « اذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لى عليكم ، واذا وعدتكم فاختلفكم فلا طاعة لى عليكم ، واذا أغربتكم فجمّرتكم (١) فلا طاعة لى عليكم » فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لابيه «يا أمير المؤمنين اقتل أبى فديك » وقال مرة أخرى « ياغلام ، رد الفرسان الصادان عن الميدان » قال وقال عبد الملك « أضرّ بالوليد حبنا له فلم نوجهه الى البادية » قال ولحن الوليد على المنبر ، فقال النكروس « لا والله ان رأيته على هذه الاعواد قط فامكنني أن أملأ عيني منه من كثرته فى عيني وجلالته ، فاذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كبعض أعوانه » وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التى تذكر فيها الحاقة فقرأ « ياليتها كانت القاضية » فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال « أما انه ان كان قالها انه لاحد الاحدين » قالوا : وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ، ولم يكن فى ولده أفصح من هشام ومسلمة . قال وقال صاحب الحديث أخبرنى أبى عن اسحق بن قبيصة قال : كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة ، وكذلك كتب محمد ، فقلت لمولى لمحمد « ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة » فاخبره المولى بقولى ، فاذا كتاب قد ورد على « أما بعد فقد أخبرنى فلان بما قلت ، وما أحسبك تشك أن قريشا أفصح من الاشعرين والسلام »

---

١) جمر الجيش : حبسهم في أرض العدو

ومن بنى الصريم الصُّدَىّ بن الخلق وفد به الحجاج على الوليد بن عبد الملك فقال له « ممن أنت » فقال له « من بنى صريم » قال له « ماسمك » قال « الصدى ابن الخلق » قال « دعًّا فى عنقه ، خارجى خبيث » هذا يدل على أن عامة بنى صريم كانوا خوارج . وكان منهم البرك الصريمى واسمه الحجاج الذى ضرب معاوية بالسيف ، وله حديث . والخزرج بن الصدى بن الخلق كان خطيبا . وقال الشاعر فى بنى صريم :

أُصلّي حيثُ تُدرِكُنى صلاتى ... وبئسَ الدِّينُ دِينُ بنى صريمِ

قِياماً يطعَنُونَ على مَعَدٍّ ... وكلُّهمُ على دِينِ الخَطِيمِ

والخطيم باهلى . قال الاصمعى وأبو الحسن : دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما « نجدك تملك عشرين سنة » وقال الآخر « كذبت بل نجدك تملك ستين سنة » قال فقال الوليد « ماالذى قال هذا لائط بصفرى ، ولاماقال هذا يغرّ مثلى ، والله لاجمعن المال جمع من يعيش أبدا ولافرّقنه تفريق من يموت غدا » وخطب الوليد فقال « ان أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : ان الحجاج جلدة مابين عينى ، ألا وانه جلدة وجهى كله »

---

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾

# باب اللحن

قال أبو عثمان عمرو بن بحر: حدثنا عثام أبو يحيي عن الاعمش عن عمارة بن عمير قال « كان أبو معمر يحدثنا فيلحن يتبع ماسمع » أبو الحسن قال : أوفد زياد عبيد الله بن زياد الى معاوية فكتب اليه معاوية « ان ابنك كما وصفت ولكن قوّم من لسانه » وكانت فى عبيد الله لكنة لانه كان نشأ بالاساورة مع أمه مرجانة ، وكان زياد تزوجها من شيرويه الاسوارى ، وكان قال مرة « افتحوا سيوفكم » يريد : سلّوا سيوفكم فقال يزيد بن مفرغ :

وَيومَ فتحتَ سيفَكَ من بعيدٍ أضعتَ وَكلُّ أمرِكَ لِلضياعِ

ولما كلمه سويد بن منجوف فى الهثهاث بن ثور قال له « يا ابن البظراء » فقال له سويد « كذبت على نساء بنى سدوس » قال « اجلس على أست الارض » قال سويد « ما كنت أحسب أن للارض أستاً » قالوا قال بشر بن مروان — وعنده عمر بن عبد العزيز — لغلام له « ادع لى صالحا » فقال الغلام « ياصالحاً » فقال له بشر « ألق منها ألف » وقال له عمر « وأنت فزد فى ألفك ألفا » وزعم يزيد مولى عون قال : كان رجل بالبصرة له جارية تسمّى ظمياء فكان اذا دعاها قال « ياضمياء » بالضاد فقال له ابن المقفع « قل ياظمياء » فناداها « ياضمياء » قال فلما غيّر عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا قال « هى جاريتى أو جاريتك » قال نصر بن سيار « لا تسم غلامك الا باسم يخف على لسانك » وكان محمد بن الجهم ولى المكىّ صاحب النظام موضعاً من مواضع كسكر ،

وكان المكى لا يحسن أن يسمى ذلك المكان ولا يتهجاه ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك شاتمتنا . وقيل لابى حنيفة « ماتقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أُتقيدهُ به » قال « لا ، ولو ضرب رأسه بأبا قبيس » وقال يوسف بن خالد التيمى لعمرو بن عبيد « ماتقول فى دجاجة ذبحت من قفائها » قال له عمرو « أحسن » قال « من قفاؤها » قال « أحسن » قال « من قفائها » قال له « من عناك هذا ، قل من قفاها واسترح » قال وسمعت من يوسف بن خالد يقول « لاحتى بشجه » بكسر الشين يريد حتى يشجه بضم الشين . وكان يوسف يقول « هذا أحمر من هذا » يريد هذا أشد حمرة من هذا . وقال بشير المريسى « قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها » فقال قاسم التمار هذا على قوله :

إنَّ سُلَيْمَى وَاللهُ يَكْلَؤُها      ضَنَّتْ بشَيْءٍ ماكانَ يَرْزَؤُها

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر . وقال مسلم بن سلام حدثنى أبان بن عثمان قال : كان زياد النبطى أخو حسان النبطى شديد اللكنة وكان نحويا ، قال وكان بخيلا ، دعا غلامه ثلاثا فلما أجابه قال « فمن لدن دأوتك فقلت لبى الى أن أجبتنى ما كنت تصنأ » يريد من لدن دعوتك الى أن أجبتنى ما كنت تصنع . قال وكانت أم نوح و بلال ابنى جرير أعجمية فقال لها « لا تكلمى اذا كان عندنا رجال » فقالت يوما « يانوح جُرْذان دخل فى عجان أمك » وكان الجرذ أكل من عجينها . قال أبو الحسن أهدى الى فيل مولى زياد حمار وحش فقال لزياد « أهدوا لنا همار وهش » قال « أى شىء تقول ويلك » قال « أهدوا لنا أيراً » يريد عيراً ، قال زياد « الثانى شر من الاول » قال يحيى بن نوفل :

وَإنْ يَكُ زَيْدٌ فصيحَ اللِسانِ      خطيباً فإنَّ اسْتَهُ تلحَنُ
عليْكَ بِسُكٍ[1] وَرُمَّانَةٍ      وَمِلْحٍ يُدَقُّ وَلاَ يُطحَنُ

---

١) السك : طيب يعرف عند الاطباء بسك المسك

وَحلتيتِ كَرمانَ أوْ نانخاه[١] وَشمعٍ يُسَخَّنُ فى مُدْهنِ[٢]

وهذا الشعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مناذر :

إذَا أنتَ تعلَّقتَ بحبلٍ من أبى الصَّلْتِ
تعلَّقتَ بحبلٍ وَاهِنِ القُوّةِ مُنبَتِّ
فخُذْ من شَعرِ كيسانٍ وَمن أظفارِ سبَّختِ
ألمْ يَبلغكَ تَسآلى لَدى العلاّمةِ البُرْتِ[٣]
وَقالَ المَرْءُ ما سرجيس[٤] داءُ المرءِ من تحتِ

وقال البردحت :

لقد كانَ في عينَيكَ يا حفصُ شاغلٌ وَأنفٍ كثيلِ العَوْدِ عمّا تَتبّعُ[٥]
تَتبّعُ لحناً في كلامٍ مُرقّشٍ وَخلقُكَ مَبنىٌّ على اللّحنِ أجمعُ[٦]
وَعينُكَ إقواءٌ وَأنفُكَ مُكْفأٌ وَوَجهُكَ إيطاءٌ فأنتَ المُرقّعُ[٧]

وقال الميسانى فى هجائه أهل المدينة :

---

١) الحلتيت : صمغ الانجزان ، وكرمان: مقاطعة في شمال الخليج الفارسي ، والنانخاه : حب في حجم الخردل قوي الرائحة والحدة والحراقة يسمى الكمون الملوكي ٢) المدهن : آلة الدهن وقارورته ، وفي قافية البيت اقواء ٣) البرت الدليل ٤) هو ماسرجويه الطبيب البصرى الذى ترجم لعمر بن عبد العزيز كتاب أهرن القس فى الطب ويقال له ماسرجيس كما يقال له ماسرجويه.

٥) الثيل : نبات يتداوى به يقال له النجم والنجيل ويسميه بعض العوام التين ، يقول : لقد كان في عينيك ياحفص وفى أنفك الذي كهذا النبات شاغل عما تتبع ٦) رقش الكلام : زخرفه وحسنه وقومه ٧) الاقواء في الشعر :مخالفة اعراب قوافيه برفع بيت وجر آخر ، والاكفاء : مخالفة حروف القوافى بأن تكون قافية بيت في القصيدة ميما وقافية البيت الآخر فيها حاء أو باء ونحو ذلك ، والايطاء : تكرير القافية لفظا ومعني

وَلحنُكُمُ بتقصيرٍ وَمَدٍّ وَالأمُ مَنْ يدبُّ على العفار

على بن معاذ قال : كتبت الى فتى كتاباً فأجابنى ، فاذا عنوان الكتاب « الى ذاك الذى كتب الىّ » وقرأت على عنوان كتاب لأبى أمية الشمرى « للموت أنا قبله » وكتب ابن المرادى الى بعض ملوك بغداد « جُعلت فداك برحمته » وقال ابراهيم بن سيار « أنا لا أقول : متّ قبلك ، لانى اذا متّ قبلك مات هو بعدى ، ولكن أقول مت بدلك » وكتب عقال بن شبة بن عقال الى زهير بن المسيب :

لِلأميرِ المُسيّبِ بنِ زُهيرٍ مِنْ عِقالِ بنِ شبةَ بنِ عقالِ[1]

ولما كتب بشير بن عبيد الله على خاتمه « بشير بن عبيد الله بالرحمن لا يشرك » قرأه أبوه على خاتمه قال « هذا أقبح من الشرك » وقال عبد الملك بن مروان « اللحن هجنة على الشريف ، والعجب آفة الرأى » وكان يقال « اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه » . وقال يحيي بن نوفل فى خالد بن عبد الله القسرى :

وَألحنُ النّاسِ كلّ النّاسِ قاطبةً وكانَ يُولعُ بالتّشديقِ فى الخُطبِ

و زعم المدائنى أن خالد بن عبد الله – وكان يولع بالتشديق – قال « ان كنتم رجبيون فانا رمضانيون » ولولا أن تلك العجائب قد صحت على الوليد ماجوزت هذا على خالد . قال وكتب الحصين بن الحر كتابا الى عمر فلحن فى حرف فيه ، فكتب اليه عمر أن قنّع كاتبك سوطا[2] . و بلغنى عن كثير بن أحمد بن زهير بن سيار أنه كان ينشد بيت أبى دلف :

ألبسينى الدّرعَ قدْ طا لَ عَنِ الحرْبِ جِماحي

فسألته عن ذلك فخالف أنه انما قال :

ألبسينى الدّرعَ قدْ طا لَ عَنِ الحرْبِ جماصي

---

١) راجع ص ٢٢٩ من كتاب الصاحبي فى فقه اللغة وسنن العرب في كلامها للامام أحمد ابن فارس المطبوع في القاهرة ٢) قنع فلان رأس فلان بالسيف والسوط والعصا : غشاه

قال الله تبارك وتعالى « ولتعرفنهم فى لحن القول » فاللحن فى ذلك الموضع غير اللحن فى ذلك الموضع . وكان سليمان بن عبد الملك يقول : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث يفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الاعراب . وقال الشاعر فى نحو ذلك :

لَعَمْرِى لَقَدْ قَعَّبْتَ حِينَ لَقِيتَنَا ... وَأَنْتَ بِتَقْعِيبِ الْكَلَامِ جَدِيرُ (١)

وقال خلف الاحمر :

وَفَرْقَعَهُنَّ بِتَقْعِيبِهِ ... كَفَرْقَعَةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ

وقال الميسانى :

وَأَلْحَنُكُمْ بِتَقْعِيبٍ وَمَدٍّ ... وَأَلْأَمُ مَنْ يَدُبُّ عَلَى الْعَفَارِ

وقال الاصمعى : خاصم عيسى بن عمر النحوى الثقفى رجلا الى بلال بن أبى بردة ، فجعل عيسى يشبع الاعراب وجعل الرجل ينظر اليه ، فقال له بلال « لان يذهب بعض حق هذا أحب اليه من ترك الاعراب ، فلا تتشاغل به واقصد بحجتك » . وقدّم رجل من النحويين رجلا الى السلطان فى دين له عليه فقال : أصلح الله الامير لى عليه درهمان . قال خصمه : لا والله أيها الامير ، ان هى الا ثلاثة دراهم ، لكنه لظهور الاعراب ترك من حقه درهما . قال خاصم رجل الى الشعبى أو الى شريح رجلا فقال : ان هذا باعنى غلاما فصيحا صبيحا . قال هذا محمد بن عمر بن عطارد بن حاجب بن زرارة . قال مرّ ماسرجويه الطبيب بجد معاذ بن سعيد بن حميد الحميرى فقال : يا ماسرجويه انى أجد فى حلقى بححا . قال : انه عملُ بلغمٍ . فلما جاوزه قال : أنا أحسن أن أقول بلغم ، ولكنه كلمنى بالعربية فكلمته بالعربية . وروى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ « انا من المجرمون المنتقمون » وقد زعم رؤبة بن العجاج وأبو عمرو بن العلاء أنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج . وغلط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله « ص والقرآن » والحرف الآخر « وماتنزلت به الشياطون » . أبو الحسن قال : كان سابق الاعمى يقول « الخالق البارىء المصوَّر »

---

١) التقعيب في الكلام : التكلم بأقصى الحلق ، وفتح الفم لذلك حتى يكون كانه قعب

فكان ابن جابان اذا لقيه قال : ياسابق مافعل الحرف الذى تشرك بالله فيه . قال وقرأ « ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنون » وقال ابن جابان : وان آمنوا أيضاً لم تنكحهم . وقال مسلمة بن عبد الملك : انى لاحبّ أن أسال هذا الشيخ يعنى عمرو ابن مسلم فما يمنعنى منه إلا لحنه . قال وكان أيوب السختيانى يقول « تعلموا النحو ، فانه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف » وقال عمر أيضاً « تعلموا النحو كما تعلّمون السنن والفرائض » قال رجل للحسن « يا أبى سعيد » فقال : كسب الدوانيق شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد . قالوا وأول لحن سمع بالبادية « هذه عصاتى » وأول لحن سمع بالعراق « حىّ على الفلاح »

﴿ باب ﴾ ومن اللحانين البلغاء خالد بن عبد الله القسرى ، وخالد بن صفوان الاهتمى ، وعيسى بن المدور . وقال بعض النساك « أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ، ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا » قال أخبرنا الربيع بن عبد الرحمن السلمى قال : قلت لاعرابى « أتهمز اسرائيل » قال « إنى إذن لرجل سوء » قال قلت « فتجر فلسطين » قال « انى اذن لقوى [1] » . وكان هشيم يقول « حدثنا يَوْنِس عن الحسن » يقولها بفتح الياء وكسر النون . وكان عبد الاعلى بن الاعلى السامى يقول « فاخذه فصرعهِ فذبحه فاكله » بكسر هذا أجمع . وكان مهدى بن مهلهل يقول « حدثنا هشامْ » مجزومة ثم يقول « ابنْ » ويجزمه ثم يقول « حسانْ » ويجزمه لانه حين لم يكن نحوياً رأى أن السلامة فى الوقف

وأما خالد بن الحارث و بشر بن المفضل الفقيهان فانهما كانا لا يلحنان . وممن كان لا يلحن ألبتة حتى كأن لسانه لسان أعرابى فصيح أبو زيد النحوى ، وأبو سعيد المعلم

قال خلف : قلت لاعرابى « ألقى عليك بيتا سا كنا » قال « على نفسك فألقه [2] » وقال أبو الفضل العنبرى لعلى بن بشير : انى التقطت كتابا من الطريق فانبئت أن فيه شعرا أفتريده حتى آتيك به . قال : نعم ان كان مقيدا . قال : والله ما أدرى أمقيد هو

---

١) راجع ص ٨ من كتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لابن فارس المطبوع في القاهرة ٢) لانه لم يفهم من كلمة البيت الا معنى المنزل لجهله بما اصطلح عليه أهل الادب والعلم بالعربية . وفي كتاب الصاحبي كلام مسهب في هذا الباب

أم مغلول . الاصمعى قال قيل لاعرابى : أتهمز الرمح . قال : نعم . قيل له : فقلها مهموزة . فقالها مهموزة . قال : أتهمز الترس . قال : نعم . فلم يدع سيفا ولا ترسا الا همزه . فقال له أخوه ـ وهو يهزأ به ـ دعوا أخى فانه يهمز السلاح أجمع

وقال بعضهم : ارتفع الى زياد رجل وأخوه فى ميراث ، فقال « ان أبونا مات وان أخينا وثب على مال أبانا فا كله » فقال زياد : الذى أضعت من لسانك أضرّ عليك مما أضعت من مالك . وأما القاضى فقال : فلا رحم الله أباك ولا تنح عظم أخيك ، قم فى لعنة الله . وقال أبو شيبة قاضى واسط « آتيتمونا بعد أن أردنا أن نقم »

قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب من الجزء الاول وفى بعض الجزء الثانى كلاما من كلام العقلاء البلغاء ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد روينا نوادر من كلام الصبيان والمجرمين من الاعراب ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المره [١] من الموسوسين ومن كلام أهل الغفلة من النوكى وأصحاب التكلف من الحمقى ، فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة ، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له، ولا بد لمن استكده الجد من الاستراحة الى بعض الهزل

قال أبو عبيدة أرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا له فى حلبة فجاء سابقا ، فقال لابيه « ياأبت باى شىء أسميه » فقال « افقأ احدى عينيه وسمه الاعور » وشعراء مضر يحمقون رجال الازد و يستخفون أخلاقهم ، قال عمر بن لجاء :

تَصْطَكُّ أَلْحِيْها على دِلاَئِها [٢] تلاَطُمَ الأَزْدِ على عطَائِها

وقال بشار :

وَكأَنَّ غَلْيَ دِنانِهِمْ في دُورِهِمْ لَغَطُ العَتيكِ على خِوَانِ زِيَادِ [٣]

وقال الراجز :

لبيْكَ بى أَرْفُلُ في بِجَادِى [٤] حازِمُ حقْوَىَّ وَصدْرِى بادِي [٥]

١) الذين ايضت حماليق أعينهم وبواطن أجفانهم ٢) تصطك : تضطرب . والالحى : جمع لحية . والدلاء : جمع دلو ٣) العتيك : فخذ من الازد ٤) أرفل : أتبختر . والبجاد كساء مخطط يشتمل به ٥) الحقو : الخصر ، وسمى به الازار لانه يشد عليه

أُفرِّخُ الظَّلماء عَنْ سوادِ أقوى لِشَوْلٍ بَكَرَتْ صوادِي[١]
كأنما أصواتها بالوادِي أصواتُ حجٍّ عن عُمانَ غادِ[٢]

وقال الآخر:

وَإذا سمعتَ هديلهنّ حسبتهُ لغطَ المَعاول في بُيُوتِ هدادِ

و بسبب هذا يدخلون فى هذا المعنى قبائل اليمانية . وقال ابن أحمر :

إخالُها سمعتْ عَزفاً فتحسَبُهُ إهابَةَ القَسْرِ ليْلاً حينَ تنتشِرُ[٣]

وقال الكميت :

كأنَّ الغطامِطَ[٤] من غليها أراجيزُ أسلَمَ تهجُو غفارا

فجعل الاراجيز التى شبهها فى لغطها والتفافها بصوت غليان القدر لاسلم دون غفار

## ﴿ باب النوكى ﴾

قالوا ومن النوكى ( مالك بن زيد مناة بن تميم ) الذى لما دخل على امرأته فرأت مارأت به من الجفاء والجهل وجلس فى ناحية منقبضا مشتملا قالت : ضع علبتك . قال : يدى أحفظ لها . قالت : فاخلع نعليك . قال : رجلاى أحفظ لهما . قالت : فضع شملتك . قال : ظهرى أولى بها . فلما رأت ذلك قامت فجلست الى جانبه فلما شم ريح الطيب وثب عليها[٥]

ومن المجانين والموسوسين والنوكى ابن فتيان[٦] وصباح الموسوس ، وريسموس اليونانى ، وأبو حية النميرى ، وأبو يس الحاسب[٧] ، وجعيفران الشاعر ، وجرنفش . ومنهم سارية الليل ، ومنهم ريطة بنت كعب بن سعد بن تميم بن مرة وهى التى نقضت غزلها أنكاثا فضرب الله تبارك وتعالى بها المثل وهى التى قيل لها « خرقاء وجدت

---

١) الشول : جمع شائلة وهى من الابل ماأتي على حملها ووضعتها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . والصوادى : العطاش ٢) عمان : امارة عربية على ساحل الخليج الفارسى ٣) الاهابة : الزجر والدعاء للابل والخيل والغنم ٤) غطمطت القدر : غلت ٥) خ : على جانبها
٦) خ : ابن فتان ٧) خ : الحاجب

صوفا» . ومنهم دغة ، وجهيزة ، وشولة ، وذراعة المعدية . ولـكل واحد من هؤلاء قصة سنذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى

فاما ( ريسموس ) فكان من موسوسى اليونانيين . قال له قائل : مابال ريسموس يعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله . قال : مثله مثل المسن الذى يشحذ ولا يقطع . و رآه رجل يا كل فى السوق فقال : مابال ريسموس يا كل فى السوق . قال : اذا جاع فى السوق أ كل فى السوق . وألح عليه بالشتيمة رجل وهو سا كت فقيل له : يشتمك مثل هـذا وأنت سا -كت . قال : أرأيت ان نبحك كاب أتنبحه ، و رمحك حمار أترمحه . وكان اذا خرج فى الفجر يريد الفرات ألقى فى دوارة بابه حجرا حتى لا يعانى دفع بابه اذا رجع . وكان كلمارجع الى بابه وجد الحجر مرفوعا والباب منصفقا فعلم أن أحد ياخذ الحجر من مكانه ، فـكمن لصاحبه يوما فلما رآه قد أخذ الحجر قال: مالك تاخذ ماليس لك . قال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمت أنه ليس لك

أما ( جعيفران ) الموسوس الشاعر فشهدت رجلا أعطاه درهما وقال : قل شعرا على الجيم . فانشا يقول :

عادَنِى الْهَمُّ فاعتَلَجْ ... كلُّ همٍّ إلى فرَجْ
سلِّ عنكَ الْهُمُومَ بالْـ ... ـكأسِ وَالرَّاحِ تنفرِجْ

وهى أبيات . وكان يتشيع ، قال له قائل : أتشتم فاطمة وتاخذ درهما . قال : لا بل أشتم عائشة وآخذ نصف درهم . وهوالذى يقول :

ما جعفرٌ لِأبيـهِ ... وَلاَ لهُ بشَبيهِ
أضحَى لقَوْمٍ كثـ ... ـيرٍ فكُلُّهُمْ يَدَّعيه
هـذا يقُولُ بُنَيّ ... وَذَا يُخاصِمُ فيـهِ
والأمُّ تَضحكُ منهُمْ ... لِعلمِها بأبيـهِ

وهو الذى يقول فى قوم لاطة :

كأنَّهُمْ وَالأيُورُ عامِدَةٌ ... صيَاقِلٌ فى جلاَبَةِ النَّصلِ

وأما ( أبو يَس الحاسب ) فان عقله ذهب بسبب تفكره فى مسالة ، فلما جن كان يهذى أنه سيصير ملكا ، وقد ألهم مايحدث فى الدنيا من الملاحم . وكان أبو نواس والرقاشى يقولان على لسانه أشعارا على مذاهب أشعار ابن عقب الليثى ويرويانها أبا يَس اذا حفظها لم يشك أنه الذى قالها . فن تلك الاشعار قول أبى نواس :

مَنَعَ النَّوْمَ ادِّكَارِى زَمَناً ... ذَا تَهاوِيلٍ وَأَشْياءَ نُكُرْ

وَاعْتِرَاكُ الرُّومِ فِي مَعْمَعَةٍ ... لَيْسَ فيها لِجَبانٍ مِنْ مَفَرْ

كَائِناتٌ لَيْسَ عَنْها مَذْهَبٌ ... خَطَّهَا يُوشَعُ فِى كُتْبِ الزُّبُرْ

وَعَلَامَاتٌ سَتَأْتِى قَبْلَهُ ... جَمَّةٌ أَوَّلُها سَكْرُ النَّهَرْ

وَيَلِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ هاشِمٍ ... أَقْنَصُ النَّاسِ جَمِيعاً لِلْحُمُرْ

يَبْتَنِي فِى الصَّحْنِ مِنْ مَسْجِدِهِمْ ... لِلْمُصَلِّينَ مِنَ الشَّمْسِ سُتُرْ

وَرَجاءٌ يَبْتَنِى مَطْهَرَةً ... ضَخْمَةً فِي وَسْطِها طَشْتٌ صُفُرْ

فَهُنا كُمْ حِينَ يَفْشُو أَمْرُكُمْ ... وَهُنا كُمْ يَنْزِلُ الأَمْرُ النُّكُرْ

فاتْبَعُوهُ حَيْثُ ماسَارَ بِكُمْ ... أَيُّها النَّاسُ وَإِنْ طالَ السَّفَرْ

وَدَعُوا بِاللهِ أَنْ تَهْزُوا بِهِ ... لَعَنَ الرَّحْمٰنُ مَنْ مِنْهُ سَخِرْ

والبصريون يزعمون ان أبا يَس كان أحسب الناس

أما ( أبو حية النميرى ) فانه أجن من جعيفران ، وكان أشعر الناس وهوالذى يقول :

أَلا حَىِّ أَطْلَالَ الرُّسُومِ الْبَوالِيا ... لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيالِيا

وهو الذى يقول :

فَأَلْقَتْ قِناعاً دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وحدثنى أبو المنجوف قال قال أبو حية « عنَّ لى ظبى فرميته ، فراغ عن سهمى ، فعارضه والله السهم ، ثم راغ ، فراوغه حتى صرعه ببعض الجنارات » وقال « والله

رميت ظبية ، فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت وراء السهم حتى قبضت على قذذه [١] » وكان يكلم العمار ويخبر عن معاوضته للجن

وأما (جرنفش) فانه لما خلع الفرزدق لجام بغلته وأدنى رأسها من الماء قال له جرنفش « نح بغلتك حلق الله ساقيك » قال « ولم عافاك الله » قال « لانك كذوب المبخرة ، زانى الكمرة » قال ابو الحسن وبلغنى أن الفرزدق لما أن قال له الجرنفش ماقال نادى « يابنى سدوس » فلما اجتمعوا اليه قال « سوّدوا الجرنفش عليكم فانى لم أر فيكم أعقل منه »

ومن مجانين الكوفة (عينادة) و (طاق البصل). حدثنى صديق لى قال : قلت عينادة « أيما أجن : أنت أو طاق البصل » قال : أنا شيء وطاق البصل شيء

ومن مجانين الكوفة (بهلول) وكان يتشيع ، قال له اسحق بن الصباح « أكثر الله فى الشيعة مثلك » قال « بل أكثر الله فى المرجئة مثلى ، وأكثر فى الشيعة مثلك » وكان جيد القفاء فربما مر به من يحب العبث فيقفده ، فحشا قفاه خرءاً وجلس على قارعة الطريق ، فكلما قفده انسان تركه حتى يجوز ثم يصيح به « يافتى شم يدك » فلم يعد بعده أحد يقفده . وكان يغنّى بقيراط ويسكت بدانق . وكانت بالكوفة امرأة رعناء يقال لها مجيبة فقفد بهلولا فتى كانت مجيبة أرضعته ، فقال له بهلول « كيف لاتكون أرعن وقد أرضعتك مجيبة ، فوالله لقد كانت تزق لى الفرخ فارى الرعونة فى طيرانه »

قال حدثنى حجر بن عبد الجبار قال مر موسى بن أبى ردقاء فناداه (صباح) الموسوس « ياابن أبى الردقاء ، أسمنت برذونك وأهزلت دينك ، أما والله ان أمامك لعقبة ولا يجاوزها الا المخف » فحبس موسى برذونه وقال « من هذا » فقيل له « هذا صباح الموسوس » فقال « ماهو بموسوس ، هذا نذير »

قال أبو الحسن دعا بعض السلاطين مجنونين ليحركهما فيضحك مما يجيء منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضب ودعا بالسيف ، فقال أحدهما لصاحبه « كنا مجنونين فصرنا ثلاثة »

---

١) جمع قذة وهى ريش السهم

وقال عمرو بن عثمان : شيعت عبد العزيز بن عبد الملك المخزومى وهو قاضى مكة الى منزله و بباب المسجد مجنونة تصفق وهى تقول :

أَرَّقَ عَيْنِي طَرَاطِرُ القَاضِي ‏ ‏ هَذَا المقِيمُ لَيْسَ ذَاكَ المَاضِي

فقال « ياأبا حفص ، أتراها تعنى قاضى مكة »

وقال تذاكروا اللثغ فقال قوم : أحسن اللثغ ما كان على السين ، وهو أن يصير ثاء . وقال آخرون : على الراء ، وهو أن يصير غينا . فقال مجنون البكرات « أنا أيضا ألثغ اذا أردت أن أقول شرائط قلت رشيط »

قال و بعث عبيد الله بن مروان عم الوليد الى الوليد بقطيفة حمراء فكتب اليه الوليد « قد وصلت الىّ القطيفة وأنت ياعم أحمق أحمق »

وقال محمد بن بلال لوكيله زيد « اشتر طيبا سيرافيا » قال « تريده سيرافى أو سيرافى سيرافى » وقال محمد بن الجهم للمكى « أراك مستبصرا فى اعتقاد الجزء الذى لا يتجزأ ، فينبغى أن يكون عندك حقا حقا » قال « أما أن يكون عندى حقاحقا فلا ، ولكنه عندى حق »

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد على أن يشترى طعاما من طعامها فى بعض البيادر فقال لها « انى قد رأيت متاعك » قالت هاشمية « قل طعامك » قال « وقد أدخلت يدى فيه فاذامتاعك قد ضم وحمى وصار مثل الجيفة » قالت « ياأبا طالب ألست قد قبلت الشعير فاعطنا ماشئت وان وجدته فاسدا » ودخل أبو طالب على المأمون فقال « كان أبوك يابا خيرٌ لنا منك ، وأنت يابا ليس تعدنا وليس تبعث الينا ، ونحن يابا تجارك وجيرانك » والمامون فى كل ذلك يتبسم

قيل للمثنى بن يزيد بن عمرو بن هبيرة وهو على اليمامة : ان هاهنا مجنونا له نوادر ، فاتوه به ، فقال « ماهجاء النشاش » قال « الفلج القادى » فغضب ابن هبيرة وقال : ماجئتمونى به الا عمدا ، ماهذا بمجنون

والنشاش يوم كن لقيس على حنيفة ، والفلج يوم كان لحنيفة على قيس . وأنشدوا

تَرَى القَوْمَ أَسْوَاءً إذَا حُسِبُوا معاً     وَفي القَوْمِ زَيْفٌ مثلُ زَيْفِ الدّراهِمِ

وقال :

فتىً زادَهُ عِزُّ المَهابَةِ ذِلَّةً     وكلُّ عَزيزٍ عِندَهُ مُتَواضِعُ

وقال :

قد يَنفعُ الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ     وَلَيسَ يَنفعُ بعدَ الكَبْرَةِ الأدبُ

إنَّ الغُصُونَ إذَا قوَّمتَها اعتَدَلَتْ     وَلَنْ تَلِينَ إذَا قوَّمتَها الخَشَبُ

## ﴿ باب فى العى ﴾

قال جعفر ابن اخت واصل : كتب رجل الى صديق له « بلغنى أن فى بستانك آسا يهمنى ، فهب لى منه امرأ من أمر الله عظيم »

وقال أبو عبد الملك ـ وهو الذى كان يقال له عناق ـ « كان عياش وثمامة حى كان يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله ، فلما مات ثمامة صار ليس يعظمنى تعظيما ليس فى الدنيا مثله » وقال له عياش بن القاسم « باى شيء تزعمون أن أبا على الاسوارى أفضل من سلام أبى المنذر » قال « لانه لما مات سلام أبو المنذر ذهب أبو على فى جنازته ، فلما مات أبو على لم يذهب سلام فى جنازته » وكان يقول « فيك عشر خصال من الشر ، أما الثانية والرابعة كذا وأما السابعة كذا وأما العاشرة كذا »

قال قلنا للفقعسى : كيف ثناؤك على حمدان بن حبيب . قال « هو والله عندى الكذا الكذا »

وقال الخردادى « آجرك الله وعظم أجركم وآجركم » فقيل له فى ذلك فقال : هذا كما قال عثمان بن الحكم « بارك الله لكم و بارك الله عليكم و بارك الله فيكم » قالوا له : و يلك ان هذا لا يشبه ذلك . وكتب الى بعض الامراء « أبقاك الله وأطال بقاءك ومد فى عمرك »

وكان أبو ادريس السمان يقول « وأنت فلا صبحك الله الا بالخير » و يقول « وانت

فلا حيا الله وجهك الا بالسلام ، وانتم فلا بيتكم الله الا بالخير »

ومرّ ابن أبي علقمة فصاح به الصبيان فهرب منهم وتلقاه شيخ وعليه ضفيرتان فقال له « ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض »

وقال المهلب لرجل من بنى ملكان أحد بنى عدى « متى أنت » قال « أيام عتيبة ابن الحارث بن شهاب » وأقبل على رجل من الازد فقال له « متى أنت » قال « أكلت من حبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عامين » قال « أطعمك الله لحمك » وأنشد المعيطى :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ الَّذِى لَا أُشَاكِلُهُ
فَحَامَقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهُ

قال وخطب عتاب بن ورقاء يحث على الجهاد : فقال « هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

وخطب والى اليمامة فقال « ان الله لايقارّ عباده على المعاصى ، وقد أهلك الله أمة عظيمة فى ناقة ما كانت تساوى مائتى درهم » فسمى مقوّم ناقة الله

وهؤلاء من الجفاة والاعراب المحرمين وأصحاب المعجرفية ومن قل فقهه فى الدين اذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين

وخطب وكيع بن أبى سواد [1] بخراسان فقال « ان الله خلق السموات والارض فى ستة أشهر » فقيل له « انها ستة أيام » قال « وأبيك لقد قلتها وانى لاستقلها » وصعد المنبر فقال « ان ربيعة لم تزل غضابا على الله مذ بعث نبيه من مضر ، ألا وان ربيعة قوم كشف ، فاذا رأيتموهم فاطعنوا الخيل فى مناخرها فان فرسا لم يطعن فى منخره الا كان أشد على فارسه من عدوه »

وضربت بنو مازن الحتات بن يزيد المجاشعى فجاءت جماعة منهم فيهم غالب أبو الفرزدق فقال « ياقوم كونوا كما قال الله : لايعجز القوم اذا تعاونوا »

وتزعم بنو تميم أن صبرة بن شيبان قال فى حرب مسعود والاحنف « ان جاء

---

١) : خ ابن ابى سود

حتات جئت ، وان جاء الاحنف جئت ، وان جاء حارثة جئت ، وان جاؤا جئنا ، وان لم يجيئوا لم يجىء » وهذا باطل ، وقد سمعنا لصبرة كلاما لاينبغى أن يكون صاحب ذلك الكلام يقول هذا الكلام

ولما سمع الاحنف فتيان بنى تميم يضحكون من قول العرندس :

لحَا اللهُ قوماً شَوَوْا جارَهُمْ ۞ إذَا الشَّاةُ بالدِّرْهمَيْنِ الشُّصُبْ[1]

أرَى كلَّ قومٍ رَعَوْا جارَهُمْ ۞ وَجارُ تميمٍ دُخَانٌ ذَهبْ

قال « تضحكون ، أما والله ان فيه لمعنى سوء »

قال وكان قبيصة يقول « رأيت غرفة فوق البيت » و رأى جرادا يطير فقال « لايهولنّكم ماترون ، فان عامتها موتى » وانه فى أول ماجاء الجراد قبّل جرادة و وضعها على عينيه على أنها من الباكورة

وهذه الاشياء ولدها الهيثم بن عدى عند صنيع داود بن يزيد فى أمر تلك المرأة ماصنع

قال أبو الحسن وتغدى أبو السرايا عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولىّ عهد وقدامه جدى فقال « كل من كليته فانه يزيد فى الدماغ » فقال « لو كان هذا هكذ لكان رأس الامير مثل رأس البغل »

قال أبو كعب : كنا عند عياش بن القاسم ومعنا سيفويه القاصّ فاتينا بفالوذجة حارّة فابتلع سيفويه منها لقمة فغشى عليه من شدّة حرها فلما أفاق قال « مات لى ثلاثة بنين مادخل جوفى عليهم من الحرقة مادخل جوفى من حرقة هذه اللقمة »

سعيد بن مالك قال جالسنى رجل فقير لايكلمنى ساعة ثم قال لى « جاست قط على رأس تنور لخريت فيه آمنا مطمئنا » قال قلت « لا » قال « فانك لم تعرف شيئا من النعيم قط »

قال وقال هشام بن عبد الملك ذات يوم لجلسائه « أى شىء ألذّ » قال له الابرش

---

١) الشصب : الشاة المسلوخة

ابن حسان « أأصابك جرب قط فحككته » قال مالك « أجرب الله جلدك ولا فرج الله عنك » وكان آنس الناس به

ومن غرائب الحمق المذهب الذى ذهب اليه الكميت بن زيد فى مديح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يقول :

فاعْتَتَبَ الشَّوْقُ من فُؤَادِي وَالشِّعْـ ... ـرُ إلى مَنْ إليهِ مُعْتَتَبُ (١)
إلى السِّرَاجِ المُنِيرِ أَحْمَدَ لاَ ... تَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ
عنهُ إلى غيرهِ وَلَوْ رَفعَ النَّـ ... ـاسُ إليَّ العُيُونَ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ أفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ ... عَنَّفَنِي القَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
إلَيكَ يا خيرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ الْـ ... أرْضُ وَلَوْ عابَ قَوْلِيَ العُيَبُ
لَجَّ بتَفْضِيلِكَ اللِّسانُ وَلَوْ ... أُكْثِرَ فِيكَ اللَّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن رأى شاعرا مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم أن ناسا يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه ، ولقد مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زاد على قوله :

وَبُورِكَ قبرٌ أنتَ فيهِ وَبُورِكتْ ... بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بذلِكَ يثْرِبُ

يعنى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويثرب يعنى المدينة

لقدْ غَيَّبُوا بِرًّا وَحزْماً وَنَائِلاً ... عَشِيَّةَ وَارَاهُ الصَّفِيحُ المُنَصَّبُ (٢)

وهذا شعر يصلح فى عامة الناس

وكتب مسلمة بن عبدالملك الى يزيد بن المهلب « انك والله ماأنت بصاحب هذ الامر ، صاحبُ هذا الامر مغمور وموتور وأنت مشهور غير موتور » فقال له رجل من الازد يقال له عثمان بن المفضل « قدم ابنك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا »

---

١) أى انصرف الشوق والشعر من فؤادى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢) ويروى « لقدغيبوا برا وصدقا ونائلا » والصفيح : جمع صفيحة وهى الحجارة العريضة . والمنصب : المنصوب

وقال جاء ابن الخداع بن على — وكان ابن خال يزيد بن المهلب — فقال ليزيد « زوجنى بعض ولدك » فقال له عثمان بن المفضل « زوّجه ابنك مخلدا فانه إنما طلب بعض الولد ولم يستثن شيئا »

ومن الحمقاء كثيّر عزة ، ومن حمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان فمدح بمديح استجاده فقال له « سلنى حوائجك » فقال « تجعلنى فى مكان ابن زمانة » قال « ويلك ، ذلك رجل كاتب وأنت شاعر » فلما خرج ولم ينل شيئا قال :

عَجِبْتُ لِأَخْذِى خِطَّةَ الغَيِّ بعدما    تَبَيَّنَ من عَبْدِ العَزِيزِ قَبُولُها
فإِنْ عادَ لى عبدُ العَزِيزِ بِمِثْلِهَا    وَأَمْكَنَنِي مِنْها إِذَنْ لاَ أُقِيلُها

قال أبو الحسن قال طارق قال ابن جابان : لقى رجل رجلا ومعه كلبان فقال « هب لى أحدهما » قال « أيهما تريد » قال « الاسود » قال « الاسود أحب الى من الابيض » قال « فهب لى الابيض » قال « الابيض أحب الى من كليهما »

قال وقال رجل لرجل « بكم تبيع الشاة » قال « أخذتها بستة وهى خير من سبعة وقد أعطيت بها ثمانية فان كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة »

قال أبو الحسن قال طارق بن المبارك : دخل رجل على بلال فكساه ثوبين فقال « كسانى الامير ثوبين فاتزرت بالآخر وارتديت بالآخر » وقال : مرض فتى عندنا فقال له عمه « أى شىء تشتهى » قال « رأس كبشين » قال « لا يكون » قال « فرأسىْ كبش » . طارق قال : وقع بين جار لنا وجار له يكنى أبا عيسى كلامٌ فقال « اللهم خذ منى لابى عيسى » قالوا « أتدعو الله على نفسك » قال « فخذ لابى عيسى منى »

أبو زكريا العجلانى قال : دخل عمرو بن سعيد على معاوية وهو ثقيل فقال « كيف أصبحت يا أمير المؤمنين » قال « اصبحت صالحا » قال « أصبحت عينك غائرة ، ولونك كاسفا ، وأنفك ذابلا ، فاعهد عهدك ولا تخدعن عن نفسك »

قال وقال عبد الله بن زياد بن ظبيان التيمى « يرحم الله عمر بن الخطاب ، كان يقول : اللهم انى أعوذ بك من الزانيات وأبناء الزانيات » فقال عبيدالله بن زياد بن أبيه

« رحم الله عمر ، كان يقول : لم يقم جنين فى بطن حمقاء تسعة أشهر الا خرج مائقا »(١)
وكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون « كونوا بُلهاً كالحمام »
وقال قائل « حماقة صاحبي عليّ أشد ضرراً منها عليه »

وقالوا : شرد بعير لهبنقة القيسى ـ وبجنونه يضرب المثل ـ فقال « من جاء به فله بعيران » فقيل له « أتجعل فى بعير بعيرين » فقال « انكم لا تعرفون فرحة الوجدان »
واسمه يزيد بن ثروان وكنيته أبو نافع . قال الشاعر :

عِشْ بجَدٍّ ولا يَضُرُّكَ نَوْكٌ(٢) ... إنَّما عَيشُ مَنْ تَرَى بالجُدُودِ
عِشْ بجَدٍّ وكُنْ هَبنَّقةَ القيْـ ... ـسِيَّ نَوْكاً أوْ شَيْبَةَ بْنَ الوَليدِ

وهبنقة هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة

ولما خلع قتيبة بن مسلم سليمان بن عبدالملك بخراسان قام خطيبا فقال « يا أهل خراسان ، أتدرون من وليكم ، إنما وليكم يزيد بن ثروان » كنى به عن هبنقة وذلك أن هبنقة كان يحسن من إبله الى السمان ويدع المهازيل ويقول « انما أكرم من أكرم الله وأهين من أهان الله » وكذلك كان سليمان يعطى الاغنياء ولا يعطى الفقرا ويقول « أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله »

وقال الفرزدق : ما عييت بجواب أحد قط ما عييت بجواب مجنون بدير هرقل دخلت فاذا هو مشدود الى أسطوانة فقلت « بلغنى أنك حاسب » قال « ألق عليّ ما شئت » قال فقلت « أمسك معك خمسة وجلدتها » قال « نعم » قلت « أمسك معك أربعة وجلدتها » قال « نعم » فقلت « كم معك » قال « تسعة وجلدتها مرتين »

وكان زريق الفزارى يمر بالليل وهو شارب فيشتم أهل المجلس ، فلما أن كان بالغداة عاتبوه قال « نعم زنيت أمهاتكم فما ذا عليكم »

قال وخطب يوما عتاب بن ورقاء فقال « هذا كما قال الله تبارك وتعالى : إنما يتفاضل الناس بأعمالهم وكل ما هو آت قريب » قالوا له « ان هذا ليس من كتاب الله » قال « ما ظننت الا أنه من كتاب الله »

---

١) المئق : الباكى ٢) الجد : الحظ والسعد

قال خطب عدى بن زياد الايادى فقال « أقول كما قال العبد الصالح : ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » قالوا له « ليس هـذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » قال « من قاله فقد أحسن » . وقال أعرابى :

خلَقَ السَّماءَ وَأهلها فى جُمْعةٍ وَأَبُوكَ يَمْدُرُ حوضَهُ فى عام [١]

وكان عبد الملك بن مروان أول خليفة من بنى أمية منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه وقال « ان جامعة عمرو بن سعيد بن العاصى عندى ، وانى والله لا يقول أحدكم هكذا الا قلت به هكذا » وفى خطبة له أخرى « وانى والله ما أنا بالخليفة المستضعف — وهو يعنى عثمان بن عفان — ولا أنا بالخليفة المداهن — يعنى معاوية — ولا أنا بالخليفة المأبون — يعنى يزيد بن معاوية — » قال أبو اسحق « والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العيوق ، والله ما أخذتها من جهة الميراث ولا من جهة السابقة ولا من جهة القرابة ، ولا تدعى شورى ولا وصية »

قال أبو الحسن دخل كردم السدوسى على بلال بن أبى بردة فدعاه الى الغداء فقال « قد أكلت » قال « وما أكلت » قال « قليل رُزّ فأكثرت منه » ودخل كردم الذرّاع أرض قوم يذرعها ، فلما انتهى الى زنقة منها لم يحسن تذريعها قال « هذه ليس لكم » قالوا « هى لنا ميراث ، وما نازعنا فيها انسان قط » قال « لا والله ماهى لكم » قالوا « فحصل لنا حساب مالا نشك فيه » قال « عشرين فى عشرين مائتين » قال قالوا « من أجل هذا الحساب صارت الزنقة ليست لنا »

قال ودخل عكابة بن نميلة النميرى دار بلال بن أبى بردة فرأى ثورا مجللا فقال « ما أفرهه من بغل ، لولا أن حوافره مشقوقة »

ومن النوكى وممن ربما عدوه فى المجانين ابن فنان الازدى ، وضرب به المثل ابن ضب العتكى فى قوله بجديع بن على خال يزيد بن المهلب حيث قال :

لوْلاَ المُهلَّبُ ياجَديعُ وَرُسْلُهُ تَغدُو عليكَ لكُنْتَ كَابْنِ فنان

---

١) مدر الحوض : شد خصاص حجارته بالمدر

أَنْتَ الْمُرَدَّدُ فِي الْجِيادِ وَإِنَّما ... تأتِي سُكَيتاً كُلَّ يَومِ رِهانِ

وقال آخر يهجو امرأته بأنها مضياع خرقاء :

وَإِنَّ بَلائِي مِن دَرِينَةَ كُلَّما ... رَجَوْتُ انْتِعاشاً أَدْرَكَتْنِي بِعاثِرِ

تُبَرِّدُ ماءَ السُّعْنِ فِي لَيْلَةِ الصَّبا [1] ... وَتَسْتَعْمِلُ الْكَرْكُورَ فِي شَهْرِ نَاجِرِ

وفى خطأ العلماء قال أبو الحسن قال الشعبى سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف فكان بينى و بين أبى الزناد فقال « بينكما عالم أهل المدينة » فسألته امرأة عن مسالة فاخطا فيها . وقال طرفة بن العبد يهجو قابوس بن هند الملك :

لَعَمْرُكَ إِنَّ قابُوسَ بنَ هِنْدٍ ... لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كَثِيرُ

قَسَمْتَ الدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِيٍّ ... كَذاكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ

لَنا يَوْمٌ وَلِلْكِرْوانِ يَوْمٌ [2] ... تَطِيرُ الْبائِساتُ وَلا تَطِيرُ

فَأَمَّا يَوْمُنا فَنَظَلُّ رَكْباً ... وُقُوفاً ما نَحِلُّ وَما نَسِيرُ

وَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمُ سُوءٍ ... يُطارِدُهُنَّ بِالْجَذْبِ الصُّقُورُ

الفلوشكى قال قلت لاعرابى « أى شىء تقرأ فى صلاتك » قال « أم الكتاب ، ونسبة الرب ، وهجاء أبى لهب »

وكان الفلوشكى البكرادى أجن الناس وأعيى الخلق لسانا وكان شديد القمار شديد اللعب بالودع قال ابن عم له : وقفت على بقية تمر فى بيدر لى ، فأردت أن أعرفه بالحزر ومعنا قوم يجيدون الخرص [3] وقد قالوا فيها واختلفوا . فهجم علينا الفلوشكى ، فقلت له : كم تحزر فى هذا التمر . فقال : أنا لا أعرف الا كرار وحساب القفزان ، ولكن عندى مرجل أطبخ فيه تمر نبيذى ، وهو يسع مكوكين ، وهذا التمر يكون فيه مائتين وستين مرجلا . قال : فلا والله ان أخطا بقفيز واحد

---

١) السعن : قربة تقطع من نصفها وينبذ فيها وقد يستقى بها كالدلو ٢) الكروان : طيور الحجل ٣) الحدس والحزر والتقدير بالظن

قال المهلب والازد : حوله أرأيتم قول الشاعر :

إذا غَرَزَ المَحالِبَ أتاقته [1] · يَمُجُّ على مناكبِهِ الثُّمالا [2]

والى جنب غيلان بن خرشة شيخ من الازد فقال له : قل « هو ابن الفحل » فقالها ، فقال المهلب « ويلكم ما جالستم الناس » وأنشد بعض أصحابنا :

ألِكْني إلى مَوْلى أكيمةَ وانهَهُ · وهل يَنتَهي عن أوَّلِ الزَّجرِ أحمقُ [3]

وزعم الهيثم بن عدى عن رجاله أن أهل يبرين [4] أخف بنى تميم أحلاما وأقلهم عقولا

قال الهيثم ومن النوكى عبيد الله بن الحر وكنيته أبو الابرش

قال الهيثم خطب قبيصة وهو خليفة أبيه على خراسان وأتاه كتابه فقال « هذا كتاب الامير ، وهو والله أهل لان أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى »

وكان فيما زعموا ابن السعيد الجوهرى يقول « صلى الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم »

قال أبو الحسن صعد عدى بن أرطاة المنبر فلما رأى جماعة الناس حصر فقال « الحمد لله الذى يطعم هؤلاء و يسقيهم »

وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رآهم قد شفنوا أبصارهم [5] وفتحوا أسماعهم نحوه قال « نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم ، فان المنبر مركب صعب ، واذا يسر الله فتح قفل تيسر »

قالوا وصعد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه المنبر فأرتج عليه فقال « إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا ، وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام خطيب »

---

١) يقال غرزت الناقة أي قل لبنها · والمحالب جمع محلب وهو الاناء يحلب فيه · وأتأقته : ملأته
٢) يمج : يلقى · المناكب : جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد ، وهو أيضا من كل شيء ناحيته وجانبه · والثمالة : الرغوة ٣) ألكنى : أبلغني الالوكة وهى الرسالة ٤) قرية بحذاء لا حساء من بنى سعد بالبحرين ٥) نظروا بمؤخر أعينهم

قال قالوا لزياد الاعجم : لم لاتهجو جريراً . فقال : أليس الذى يقول :

كأنَّ بَني طُهيَّةَ رَهطَ سَلمَى  حِجَارَةُ خارِيءٍ يَرمِي كِلابا

قالوا : بلى ، قال : ليس بينى و بين هذا عمل

قال أبو الحسن خطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال « لقنوا موتاكم قول لا اله الا الله » فقالت أم الجارية « عجّل الله موتك ، ألهذا دعوناك »

وخطب أمير المؤمنين الموالى ـ وهكذا لقبه ـ خطبة نكاح فحصر فقال « اللهم انا نحمدك ونستعينك ولا نشركك [1] »

وقال مولى لخالد بن صفوان « زوجنى أمتك فلانة » قال « قد زوجتكها » قال « أفأُدخل الحيّ حتى يحضروا الخطبة » فقال « أدخلهم » فلما دخلوا ابتدأ خالد فقال « أما بعد فان الله أجلّ وأعزّ من أن يذكر فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زوجنا هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة »

قال وقال ابراهيم النخعى لمنصور بن المعتمر « سل مسالة الحمقى واحفظ حفظ الاكياس »

قال ودخل كثيّر عزة ـ وكان محمقا ويكنى أباصخر ـ على يزيد بن عبد الملك فقال « يا امير المؤمنين مايعنى الشمّاخ بن ضرار بقوله :

إذَا الأَرطَى توَسَّدَ أَبرَدَيهِ  خُدُودُ جوَازِيءٍ بالرَّملِ عِينِ [2]

قال يزيد « ومايضر أمير المؤمنين أن لا يعرف ماعنى هذا الاعرابى الجلف » واستحمقه وأخرجه

قالوا وكان عامر بن كريز يحمق ، قال عوانة قال عامر لامّه « يا أمّه ، مسست اليوم برد العاصى بن وائل السهمى » فقالت « ثكلتك أمك ، رجل بين عبد المطلب بن هاشم و بين عبد شمس بن عبد مناف يفرح أن تصيب يده برد رجل من بنى سهم »

١) خ : ولا نشرك بك  ٢) الارطى : شجر له ثمر كالعناب ، الجوازىء : الوحش سميت كذلك لاتجتزىء بالكلأ عن كثرة الماء

ولما حصر عبد الله بن عامر على منبر البصرة فشق ذلك عليه قال له زياد « أيها الامير انك ان أقمت عامة من ترى أصابه أكثر مما أصابك »

وقيل لرجل من الوجوه « قم فاصعد المنبر وتكلم » فلما صعد حصر وقال « الحمد لله الذي يرزق هؤلاء » وبقي ساكتا ، فانزلوه . وصعد آخر فلما استوى قائما وقابل بوجهه وجوه الناس وقعت عينه على صلعة رجل فقال « اللهم العن هذه الصلعة » وقيل لوازع اليشكرى « قم فاصعد المنبر وتكلم » فلما رأى جمع الناس قال « لولا أن امرأتى لعنها الله حملتنى على اتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا » ولذلك قال الشاعر :

وَما ضَرَّنِى أَنْ لاَ أَقُومَ بِخُطْبَةٍ     وَما رَغْبَتِي فِي ذَا الَّذِى قالَ وَازِعُ

قال ودخلت على أنس بن أبى شيخ واذا رأسه على مرفقه والحجام ياخذ من شعره فقلت له : مايحملك على هذا . قال : الكسل . قال قلت : فان لقمان قال لابنه « إياك والكسل ، وإياك والضجر ، فانك اذا كسلت لم تؤد حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق » قال « ذاك والله أنه لم يعرف لذة الكسولة »

قال وقيل لبحر بن الاحنف « مايمنعك أن تكون مثل أبيك » قال « الكسل » وقال الآخر :

أَطالَ اللهُ كَيْسَ بَنِى رَزِينٍ     وَحُمْقِي أَنْ شَرِبْتُ لَهُمْ بِدِينِي
أَأَكْتُبُ إِبْلَهُمْ شاءً وَفِيها     بِرَبْعِ فِصالِها بِنْتا لَبُونِ
فَما خُلِقُوا بِكَيْسِهِمُ دُهاةً     وَلاَ مُلْجاءً بَعْدُ فَيُعْجِبُونِى [1]

وذكر آخر الكيس فى معاتبته لبنى أخيه حين يقول [2] :

عِفَارِيتاً عَلَىَّ وَأَكْلِ مالِى     وَعَجْزاً عَنْ أُناسٍ آخَرِينا
فَهَلاَّ غَيْرَ عَمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ     إِذَا ما كُنْتُمُ مُتَظَلِّمِينا [3]

١) المليح : الرضيع . والرجل الجليل ٢) سبق هذا فى ص ١٠٤ من الجزء الاول
تظلم (٣ فلانا حقه : ظلمه اياه

فلو كُنتمْ لِكَيِّسةٍ أكاسَتْ　　وَكَيسُ الامِّ أكيَسُ لِلْبنينا

وقال بعضهم «عيادة النوكى الجلوس فوق القدر والمجيء في غير وقت» وعاد رجل رقبة بن الحر (١) فنعى رجالا اعتلوا مثل علته فنعى بذلك اليه نفسه، فقال له رقبة «إذا دخلت على المرضى فلا تنع اليهم الموتى، واذا خرجت من عندنا فلا تعد الينا»

وسئل معاوية بن الكواء عن أهل الكوفة فقال «أبحثُ الناس عن صغيرة وأتركه لكبيرة» وسئل شريك عن أبي حنيفة فقال «أعلم الناس بما لا يكون، وأجهل الناس عما يكون» وسال معاوية دغفلا النسابة عن اليمن فقال «سيد وأنوك» وذكر عتبة بن حصين عند النبي صلى الله تعالى وسلم فقال «الاحمق المطاع»

قال وجن أعرابي من أعراب المربد ورماه الصبيان فرجم فقالوا له «أما كنت وقورا حليما» فقال «بلى، بابي أنتم وأمي، والله ما استحمقت الا قريبا» وكان أول جنونه من عبث الناس به. ورمى إنسانا فشجه فتعلق به وهو لا يعرفه وضمه الى الوالي فقال له الوالي «ولم رميت هذا وشججته» قال «أنا لم أرمه، هو دخل تحت رميتي»

وكان وكيع بن الدورقية يحمق. قال الوليد بن هشام القحذمي أبو عبد الرحمن قال أخبرني أبي قال: لما قدم أمية خراسان قيل له «لم لا تدخل وكيع بن الدورقية في صحابتك» قال «هو أحمق» فركب يوما وسايره فقال له «ما أعظم رأس برذونك» قال «قد كفاك الله حمله» ثم سايره قليلا فقال «أصلحك الله، أرأيت يوم لقيت أبا فديك ما منعك أن تكون قدمت رجلا وأخرت رجلا وداعست بالرمح حتى يفتح الله عليك» قال «اعزب، قبحك الله» وأمر به فنحي

وساير سعيد بن مسلم موسى أمير المؤمنين، والحربة في يد عبد الله بن مالك، وكانت الريح تسفي التراب الذي تثيره دابة عبد الله بن مالك في وجه موسى وعبد الله لا يشعر بذلك، وموسى يحيد عن سنن التراب وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ مسير موسى فيتكلف أن يسير على محاذاته واذا حاذاه ناله ذلك التراب، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن مسلم فقال «ألا ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا» قال «والله

---

١) خ: الحري

يا أمير المؤمنين ماقصر فى الاجتهاد ولكنه حرم التوفيق »

وساير البطريق الذى خرج الى المعتصم من سور عمورية محمد بن عبد الملك والافشين بن كاوس فساوم كلّ واحد منهما ببرذونه ، وذكر أنه كان يرغبهما أو يربحهما . فاذا كان هذا أدب البطريق مع محله من الملك والمملكة فما ظنك بمن هو دونه منهم .

ولما استجلس المعتصم بطريق خرشنة تربّع ومدّ رجليه

وقال زياد : وقرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثى ، ماكتب الىّ الاّ فى اجترار منفعة أو دفع مضرة ، وما كان فى موكبى قط فتقدم عنان دابته عنان دابتى ولامست ركبته ركبتى ولا شاورت الناس قط فى أمر إلا سبقهم الى الرأى فيه

كان على شرط زياد عبد الله بن الحصين صاحب مقبرة بنى حصين والجعد بن قيس النمرى صاحب طاق[1] الجعدى ، وكانا يتعاقبان مجلس صاحب الشرطة . فاذا كان يوم حمل الحربة سارا بين يديه معاً ، فجرى بينهما كلام وهما يسيران بين يديه ، فكان صوت الجعد أرفع وصوت عبد الله أخفض ، فقال زياد لصاحب حربته : تناول الحربة من يد الجعد ومره بالانصراف الى منزله

وعدا رجل من أهل العسكر بين يدى المامون فلما انقضى كلامه قال له بعض من يسير بقربه « يقول لك أمير المؤمنين : اركب » قال قال المامون « لا يقال لمثل هذا : اركب ، انما يقال لمثل هذا : انصرف »

وكان الفضل بن الربيع يقول « مساءلة الملوك عن أحوالهم من تحية النوكى ، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الامير . فقل : صبحك الله الامير بالكرامة . فاذا اردت أن تقول : كيف يجد الامير نفسه ، فقل : أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة » والمسالة توجب الجواب فان لم يجبك اشتد عليك وان أجابك اشتد عليه

وقال محمد بن الجهم : دخلت على المامون فقال لى « مازال اميرالمؤمنين اليك مشتاقا » فلم أدر ماجواب هذه الكلمة بعينها وأخذت لا أقصر فيما قدرت عليه من الدعاء ثم الثناء

---

١) خ : طاقة

قال أبو الحسن قال ابن جابان قال المهدى كان شبيب بن شيبة يسايرنى فى طريق خراسان فيتقدّمنى بصدر دابته ، فقال لى يوما ينبغى لمنساير خليفة أن يكون بالموضع الذى إذا اراد الخليفة أن يساله عن شيء لا يلتفت اليه ، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس . قال فبينا نحن كذلك اذ انتهينا الى مخاضة فاقحمت دابتى ولم يقف واتبعنى فملأ ثيابى ماء وطينا . قال فقلت يا أبا معمر ، ليس هذا فى الكتاب

قال الهيثم بن عدى : كنت قائما الى حميد بن قحطبة وهو على برذون فتفاج [1] البرذون ليبول ، فقال لى : تنح لا يهريق عليك البرذون الماء

وجاء رجل الى محمد بن حرب الهلالى بقوم فقال : ان هؤلاء الفساق مازالوا فى مسيس هذه الفاجرة . قال : ماظننت أنه بلغ من حرمة الفواجر ماينبغى أن يكنى عن الفجور بهن

وقلت لرجل من الحساب : كيف صار البروذ المتحصن الى البغلة أحرص منه على الرمكة [2] والرمكة أشكل بطبعه . قال : بلغنى أن البغلة أطيب حلوة

وقال صديق لنا بعث رجل وكيله الى رجل من الوجوه يقتضيه مالا له عليه ، فرجع اليه مضروبا ، فقال : مابالك ويلك . قال : سبك فسببته فضربنى . قال : وباى شيء سبنى . قال : قال هن الحمار فى حر أم من أرسلك . قال : دعنى من افترائه علىّ أنت كيف جعلت لاير الحمار من الحرمة مالم تجعله لحرأمى ، فهلا قلت أير الحمار فى هن أم من أرسلك

أبو الحسن قال كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرة أراد الوثوب بالشام ، فحمل الى المهدى فخلى سبيله وأكرمه وقرب مجلسه ، فقال له يوما : أنشدنى قصيدة زهير التى أولها «لمن الديار بقنة الحجر» وهى التى على الراء :

لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحَجْرِ [3] أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ [4]

فانشده ، فقال المهدى : ذهب والله من يقول مثل هذا . قال السمرى : وذهب والله

١) فرج ما بين رجليه ٢) الفرس والبرذونة تتخذ للنسل ٣) القنة : أعلى الجبل وأراد بها هنا ما أشرف من الارض . والحجر : هو حجر اليمامة

٤) أقوين : خلون وأقفرن . والحجج : السنون . يريد أقفرن من مر الزمان عليهن

من يقال فيه مثل هذا [١] فغضب المهدى واستجهله ونحاه ولم يعاقبه واستحمقه الناس

ولما دخل خالد بن طليق على المهدى مع خصومه وأنشد قول شاعرهم :

إِذَا القُرَشِيُّ لَمْ يَضْرِبْ بِعِرْقٍ        خُزَاعِيٍّ فَلَيْسَ مِنَ الصَّمِيمِ

فغضب المهدى وقال «أحمق» فانشد خالد فقال :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ فَحَاوَلْتَ رِحْلَةً        فَدَعْهَا وَفِيهَا إِنْ أَرَدْتَ مَعَادُ

فسكن عند ذلك المهدى . وقال بشار :

خَلِيلَيَّ إِنَّ العُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ        وَإِنَّ يَسَاراً مِنْ غَدٍ لَخَلِيقُ

وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا        صَحَوْتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ

قالوا ومن النوكى ابو الربيع العامرى واسمه عبد الله ، وكان ولى بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ        وَأَنَّ الرَّبِيعَ العَامِرِيَّ رَقِيعُ

أَقَادَ لَنَا كَلْباً بِكَلْبٍ وَلَمْ يَدَعْ        دِمَاءَ كِلَابِ المُسْلِمِينَ تَضِيعُ [٢]

قالوا ومن النوكى ربيعة بن عسل أحد بنى عمرو بن يربوع وأخوه ضبيع بن عسل . وفد ربيعة على معاوية فقال معاوية « حاجتك » قال « زوجنى ابنتك » قال « اسقوا ابن عسل عسلا » فأعاد عليه ، فأعاد عليه العسل ثلاثاً ، فتركه وقد كاد تنقدّ بطنه . قال « فاستعملنى على خراسان » قال « زياد أعلم بثغوره » قال « فاستعملنى على شرطة البصرة » قال « زياد أعرف بشرطته » قال « فاكسنى قطيفة » أو قال « هب لى مائة ألف جذع لدارى » قال « وأين دارك » قال « بالبصرة » قال « كم ذرعها » قال « فرسخان فى فرسخين » قال « فدارك فى البصرة ، أو البصرة فى دارك »

قال عوانة استعمل معاوية رجلا من كلب ، فذكر يوما المجوس وعنده الناس فقال

---

١) قصيدة زهير قيلت في مدح هرم بن سنان    ٢) القود : القصاص . وأقاد الحاكم القاتل بالقتيل : قتله به قوداً

« لعن الله المجوس ، ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمىّ » فبلغ ذلك معاوية فقال « قاتله الله ، أترونه لو زاده على مئة ألف فعل » فعزله

أبو الحسن وفد ربيعة بن عسل على معاوية بن يربوع [1] وهو من بنى عمرو بن يربوع فقال لمعاوية أعنى بعشرة آلاف جذع فى بناء دارى بالبصرة » فقال له معاوية « كم دارك » قال « فرسخان فى فرسخين » قال معاوية « هى فى البصرة أم البصرة فيها » قال « بل هى فى البصرة » قال معاوية « فان البصرة لا تكون هذا »

وقال أبو الاحوص الرياحى :

لَيْسَ بِيَرْبُوعٍ إلى العقلِ حاجةٌ ... سِوَى دَنَسٍ تَسْوَدُّ مِنْهُ ثِيابُها

فكيفَ بنو كى مالكٍ إن كفرتمُ ... لهُمْ هذهِ أوْ كيفَ بعْدُ خطابُها

مَشائِمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عشيرَةً ... وَلاَ ناعِبٌ إلاّ بِبَيْنٍ غُرابُها

الهيثم عن الضحاك بن رُمَل قال ، بينا معاوية بن مروان واقف بدمشق ينتظر عبدَ الملك على باب طحان وحمار له يدور بالرحى فى عنقه جلجل اذ قال للطحان « لم جعلت فى عنق هذا الحمار هذا الجلجل » قال « ربما أدركتنى سآمة أو نعسة ، فاذا لم أسمع صوت الجلجل علمتُ أنه قد قام فصحت به » قال معاوية « أفرأيت إن قام ثم قال برأسه [2] هكذا هكذا ــ وجعل يحرك رأسه يمنة ويسرة ــ ومايدريك أنت أنه قائم » قال الطحّان « ومن لى بحمار يعقل مثل عقل الامير » ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لابى امرأته « ملأتنا ابنتك البارحة بالدم » قال « إنها من نسوة يخبأن ذلك لازواجهن »

وصعد يوسف بن عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « قد قتل الله زيدا ونصر ابن سيار » يريد نصر بن حزيمة . وقال على الاسوارى « عمر بن الخطاب معلق بشعرة » قلت « وماصيره الى ذلك » قال « لما صنع بنصر بن سيار » يريد نصر بن الحجاج بن علاط

---

١) كذا فى الاصل ولعله « وفد على معاوية ربيعة بن عسل بن يربوع وهو من بني عمرو ابن يربوع » ٢) قال برأسه : أى أشار

وقالوا أحب الرشيد أن ينظر الى أبى شعيب القلال كيف يعمل القلال ، فادخلوه القصر وأتوه بكل ما يحتاج اليه من آلة العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد قائم فوق رأسه ، فلما رآه نهض قائما فقال له الرشيد « دونك مادعيت له ، فانى لم آتك لتقوم الى ، و إنما أتيتك لتعمل بين يدى » قال « وأنا لم آتك ليسوء أدبى ، و إنما أتيتك لازداد بك فى كثرة صوابى » فقال له الرشيد « إنما تعرضت لى حين كسدت سوقك » قال أبو شعيب « ياسيد الناس ، وما كساد عملى فى جلال وجهك » فضحك الرشيد حتى غطى وجهه ثم قال « والله ما رأيت أنطق منه أولا ، ولا أعيي منه آخرا ، ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو آجن الناس »

عبد الله بن شداد قال « أرى داعى الموت لا يقلع ، وأرى من مضى لا يرجع ، ومن بقى فاليه ينزع . ولا تزهدن فى معروف ، فان الدهر ذو صروف . فكم من راغب قد كان مرغوبا اليه ، وطالب قد كان مطلوبا اليه . والزمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان يرى الهوان »

الفرج بن فضالة عن يحيي بن سعيد عن محمد بن على عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء : اذا أكلوا الاموال دولا ، واتخذوا الامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبرّ صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الاصوات فى المساجد ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وإذا لبس الحرير ، وشربت الخمور ، واتخذت القيان ، والمعازف ، ولعن آخر هذه الامة أولها . فليرتقبوا بعد ذلك ثلاث خصال : ريحا حمراء ، ومسخا ، وخسفا »

الهيثم قال أخبرنا الكلبي قال : كانت قريش تعد أهل الجزالة فى الرأى العباس ابن عبد المطلب وأبا سفيان وبنيهما وأمية بن خلف . قال وقال ابن عباس « لم يكن فى العرب أمرد ولا أشيب أشد عقلا من السائب بن الاقرع » قال حدثنى الشعبي أن السائب شهد فتح مهرجان قذق [١] ودخل منزل الهرمزان وفى داره ألف بيت فطاف فيه فاذا ظبي من جص فى بيت منها مادّ يده فقال « أقسم بالله أنه يشير

١) خ : قذف

الى شيء» انظروا » فنظروا فاستخرجوا سَفط [١] كنز الهرمزان فاذا فيه ياقوت وزبرجد ، فكتب فيه السائب الى عمر ، وأخذ منه فصا أخضر وكتب الى عمر « ان رأى أمير المؤمنين أن يهبه لى فليفعل » فلما عرض عمر السفط على الهرمزان قال « فاين الفص الصغير » قال عمر « سالنيه صاحبنا فوهبته له » فقال « ان صاحبك بالجوهر لعالم » قال أخبرنا مجالد عن الشعبي قال قال السائب لجميل بن بصبهرى « أخبرنى عن مكان من القرية لايخرب حتى أقتطع ذلك المكان » قال « ما بين الماء الى دار الامارة » قال فاختط لثقيف فى ذلك الموضع قال الهيثم « بت عندهم ليلة فاذا ليلتهم مثل النهار »

أبو الحسن قال قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية « أما والله لوكنا على السواء بمكة لعلمت » قال معاوية « إذن كنتُ أكون معاوية بن أبى سفيان منزلى الابطح ينشق عنى سيله ، وكنت أنت عبد الرحمن بن خالد منزلك أجياد أعلاه مدرة وأسفله عذرة »

وقال سهيل بن عمرو « أشبه امرءا بعض بزه » فصار مثلا . وقال محرز بن علقمة:

لقدْ وارَى المقابرُ منْ شَريكٍ ... كثيرَ تحلُّمٍ وَقليلَ عابِ
صَمُوتاً فى المجالِسِ غيرَ عَىٍّ ... جديراً حِينَ يَنْطِقُ بالصَّوابِ

وقال ابن الرقاع :

أُممٌ تداخلَتِ الحتُوفُ عليهِمُ ... أبوابَهمْ فكَشفْنَ كلَّ غِطاء
فاِذَا الّذِى فى حِصنِه متَحرِّزٌ ... مِنهُمْ كآخرَ مُصْحِرٍ بفَضاء
وَالمرءُ يورثُ مجدَهُ أبناءَهُ ... وَيمُوتُ آخرُ وَهوَ فى الأحياء
وَالقومُ أشباهٌ وَبينَ حلُومِهمْ ... بوْنٌ كذاكَ تفاضُلُ الأَشياء

وقال بعضهم :

---

١) السفط : وعاء كالقفة وقد حرفه الترك بلفظ «سبت» واستعمل فى مصر بهذا التحريف وورد فى بعض النسخ «واستخرجوا سقط كنز» والسقط : ناحية الخباء

بَيضاء ناصِعةُ البَياضِ كأنّها　　قمرٌ توسَّطَ نِصفَ ليلٍ مُبْرِدِ
مَوْسُومَةٌ بالحُسْنِ ذاتُ حواسدٍ　　إنّ الحِسانَ مَظِنّةٌ لِلْحُسَّدِ
وَتَرَى مآقِيها تُقَلِّبُ مُقْلَةً　　حوزاءَ تَرْغَبُ عن سوادِ الإِثْمِدِ

وقال الآخر :

خُودٌ إذا كثُرَ الحَديثُ تعوَّذَتْ　　بِحِمَى الحَياءِ وَإنْ تكلَّمْ تَقْصِدِ

وقال :

لِسانُكَ خيرٌ وَحْدَهُ من قَبيلَةٍ　　وَما عُدّ بَعْدٌ في الفَتَى أنْتَ فاعِلهْ
سِوَى طبعِ الأَخلاقِ والفُحْشِ وَالخَنا　　أبتْ ذا كُمُ أخلاقُهُ وَشمائِلهْ (١)

وقال الآخر :

على امْرِىءٍ هَدَّ عرشَ الحَيِّ مَصْرَعُهُ　　كأنَّهُ من ذَوِي الأَحْلامِ من عادِ

وقال النابغة :

أحلامُ عادٍ وأجسامٌ مُطَهَّرَةٌ　　مِنَ المَعَقَّةِ وَالآفاتِ وَالأَثَمِ

وقالت الخنساء :

خَطّابُ مُعْضِلَةٍ فَرّاجُ مَظْلَمَةٍ　　إنْ جاءَ مُفْظِعَةً هَيّا لها بَابا

وعد الاصمعي (٢) خصال معدّ فقال :

كانوا أديماً ماعِزاً شاتُهُ　　أخلَصَ فيهِ القَرَظَ الآهِبُ (٣)
أوْ مُرْقِئٌ عِرقَ دَمٍ مُفْرَجٍ　　أوْ سائِلٌ في لِزْبَةٍ زاعِبُ (٤)

---

١) الطبع : الشين والعيب　٢) خ : الاسمع　(٣ الاديم : الجلد المدبوغ . ومعز الاديم وغيره : صار صلبا فهو ماعز . والقرظ : ورق السلم يدبغ به . والآهب ربما كان اسم الصانع الاهاب ودابغه . والاهاب الجلد الذى لم يدبغ　٤) أرقأ العرق : رفعه . وأرقأ الدم : سكنه . وأرقا دم فلان : حقنه . والمفرج : القتيل يوجد في فلاة بعيدة من القرى ولا يدرى من قتله . واللزبة : القحط والشدة . والزاعب : الذى يهدي السياح في الارض . وسيل زاعب : أى يملا الوادى ( ولا يبعد أن يكون في هذا الشطر تحريف )

أَوْ ذِمَّةٌ يُوفِي بِهَا عَاقِدٌ    أَوْ عُقْدَةٌ يُحْكِمُهَا آرِبُ[١]
أَوْ حَائِطٌ مِنْ غَيْرِ لا نِعْمَةٍ    أَوْ رَحِمٌ مَتَّتْ بِهَا جَانِبُ[٢]
أَوْ خُطْبَةٌ بِزِلَاءِ مَفْصُولَةٌ    يَرْضَى بِهَا الشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ[٣]

وقال ابن نوفل[٤] يهجوه :

وَأَنْتَ كَسَاقِطٍ بَيْنَ الْحَشَايَا    يَصِيرُ إِلَى الْخَبِيثِ مِنَ الْمَصِيرِ[٥]
وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيراً    تَعَاظَمُهَا إِذَا مَا قِيلَ طِيرِي
وَإِنْ قِيلَ احْمِلِي قَالَتْ فَإِنِّي    مِنَ الطَّيْرِ الْمُرِبَّةِ بِالْوُكُورِ[٦]
وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَيْرَ سَوْءٍ    تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ لِلزَّئِيرِ
لِأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ    كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرِ
تَقُولُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي    شَرَاباً ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

وقال عبد يغوث :

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا    فَمَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا    قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا[٧]
فَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ    نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا[٨]
أَبَا كَرِبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا    وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا

---

١) لعله اسم فاعل من الأربة  ٢) الحائط : الحافظ والمتعهد . والرحم : القرابة . مت بها : وهى العقدة التي لا تنحل حتى تحل اتصل بها . الجانب : الغريب  ٣) خطبة بزلاء : تفصل بين الحق والباطل  ٤) خ : ابن مسلم  ٥) الحشايا : جمع حشية وهو الفراش المحشو . والمرفقة تعظم بها المرأة بدنها  ٦) أرب الطير بالوكر : لزمه  ٧) الشمال : الخلق  ٨) نجران : موضع فى مخاليف اليمن من ناحية مكة

جزى اللهُ قومى بالكُلاب ملامةً ... صريحَهمُ والآخرينَ المواليا [١]

أقولُ وقد شدُّوا لسانى بنِسعةٍ ... أمعشرَ تيمٍ أطلِقوا عن لسانيا

وتضحكُ منى شيخةٌ عبشميةٌ [٢] ... كأن لم ترَ قبلى أسيرًا يمانيا

قال أبو عثمان : وليس فى الارض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ،وذلك أنّا إذا قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الامن والرفاهية

وأبو عبيدة قال حدثنى أبو عبد الله الفزارى عن مالك بن دينار قال : مارأيت أحدا أبين من الحجاج ، إن كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم و إساءتهم اليه ، حتى أقول فى نفسى إنى لاحسبه صادقا وانىّ لاظنهم ظالمين له

قال وكانت العرب تخطب على رواحلها ، وكذلك روى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قس بن ساعدة . قال أخبرنى عبد الرحمن بن مهدى عن مالك بن أنس قال : الوقوف على ظهور الدواب بعرفة سنة ، والقيام على الاقدام رخصة . وجاء فى الاثر : لاتجعلوا ظهور دوابكم مجالس . ووقف الهيثم بن مطهّر [٣] الفافاءعلى على ظهر دابته على باب الخيزران ينتظر بعض من يخرج من عندها ، فلما طال وقوفه بعث اليه عمر الكلوازى [٤] فقال انزل عن ظهر دابتك ، فلم يرد عليه شيئاً ، فكرر الرسول اليه ،فقال : انى رجل أعرج وان خرج صاحبي من عند الخيزران فى موكبه خفت أن لا أدركه ، فبعث اليه : ان لم تنزل أنزلناك ، فبعث اليه قال : هو حبيس فى سبيل الله ان أنزلتنى عنه أن أقضمته [٥] شهرًا ، فانظر أيهما خير له أراحة ساعة أو جوع شهر ،قالوا له : هذا الهيثم بن مطهر ، قال : هذا شيطان

وقال أبو علقمة النحوى « ياآسى ، إنى رجعت الى المنزل وأنا تَسنِق لَقِس ،

---

١) كلاب : أحد أيام العرب ، كان بين سعد والرباب ، وقد أسر فيه ناظم هذه الابيات عبد يغوث ابن صلاة الحارثى وقتل ٢) عبشمية : منسوبا الى عبد شمس ٣) خ : ابن طاهر ٤) خ : السكواذى ٥) خ : اقضمه . و خ : أقض منه

فاتيت لِشَنشِـنَة من لِوَيّة ولـكيك [١] وقطيع أقرن قد غدرن [٢] هناك من سمن و رقاق [٣] سر شصان وسقيط [٤] عطمط ، ثم تناولت عليها كاسا [٥] » فقال له الطبيب « خذ خرفقا وسفلقا وجرفقا » فقال « ويلك ، أيّ شيء هذا » قال « وأي شيء ما قلت »

وقال الزبرقان « أحب صبياننا الينا العريض الورك ، السبط الغرة ، الطويل الغُرْلة ، الأبله العقول [٦] . وأبغض صبياننا إلينا الاقيعس الذكر ، الذى كانما ينظر من حجر ، واذا سأله القوم عن أبيه هرّ في وجوههم [٧] » . قال الهيثم قال الاشعث « اذا كان الغـلام سائل الغرة ، طويل الغرلة ، ملثات الازرة ، كأن به لوثة ، فما يشك فى سؤدده [٨] »

قال أبو المخش « كان المخش أشـدقَ خُرْطُمانيًّا سائـلا لعابه كأنما ينظر من قلتين . كأنّ تَرْقُوته بُوان أوخالفة وكأن كاهله كِرْكرة جمل ، فقأ الله عينيَّ هاتين ان كنتُ رأيت بعده ولاقبله مثله [٩] »

وكان زياد حوّل المنبر وبيوت الاموال والدواوين الى الازد وصلى بهم وخطب فى مسجد حدان [١٠] فقال عمرو بن العرندس :

فأَصْبحَ في الْحُدّانِ يَخْطُبُ آمِناً وَلِلأَزْدِ عِزٌّ لا يَزالُ تِلادُ

وقال الاعرج :

وَالْقائِلِينَ فلاَ يُعابُ خَطِيبُهُمْ يومَ الْمَقامَةِ بِالْكَلامِ الْفاصِلِ

١) الآسى : الطبيب . السنق : المصاب بالتخم . اللقس : الشرهالنفس الحريص على كل شيء . الشنشنة : المضغة أو القطعة من اللحم . اللوية : ماخبيته وأخفأته لغيرك من الطعام . اللـكيك : اللحم المكتنز ٢) خ : عذرنا ٣) خ : وراق ٤) خ : وسقية ٥) لا تخلو الجملة التي أولها « وقطيع أقرن » وآخرها « عطمط » من تحريف ارتـكبه النساخ ٦) الورك : ما فوق الفخذ . سبط الغرة : سهلها ومسترسلها ، وهو ضد الجعد . الغرلة : جلدة عضو التناسل ٧) الاقيعس : مصغر الاقعس وهو الذى خرج صدره ودخل ظهره وهو ضد الاحـدب . هر فلان في وجه السائل : استقبله بوجه كريه ٨) ملثات الازرة : ثابت هيئـة الائتزار ، والائتزار لبس الازار . اللوثة الحبسة فى اللسان ، والبطء والتمكث ، ومس الجنون ٩) سبق تفسير هذا في ص ٦٧ من الجزء الاول . والقلت : النقرة فى الصخرة ١٠) ليراجع كلام ياقوت الحموي على (حدان) في ج ٣ ص ٢٣٠ من معجم البلدان المطبوع في القاهرة

وقال ابن مفرغ :

وَمتى تقُمْ يومَ اجتِماعِ عشيرةٍ … خُطَباؤُنا بينَ العَشيرَةِ تفصِلِ

وقال :

فيارُبَّ خصمٍ قد كُفيتُ دِفاعَهُ … وَقوّمتَ منهُ دَرْأَهُ فتَنكَّبا (١)

وقال آخر :

وَحامِلِ ضبٍّ ضِغنٍ لم يَضِرْني (٢) … بعيدٍ قلبُهُ حُلوِ اللِّسانِ

وَلو أَنّي أشاءُ نقمتُ منهُ … بِشَغْبٍ من لِسانٍ تَيِّحانِ (٣)

وقال :

عَهِدتُ بهِ هِندًا وَهِندُ عزيزةٌ … عنِ الفُحْشِ بَلْهاءُ العِشاءِ نؤُومُ

رَواحُ الضُّحَى ميّالةٌ بَختَريّةٌ (٤) … لها مَنطِقٌ يُصْبي الحَليمَ رَخيمُ

وقال آخر :

وَخَصمٍ يَركبُ العَوصاءَ طاطٍ (٥) … على المُثلى قُصاراهُ القِراعُ

وَمَلمومٍ جوانِبُها رَداحٍ … تُزَجّى بالرِّماحِ لها شُعاعُ (٦)

وقال محلم بن فراس يرثى منصورا وهماماً ابنى المسجاح :

كم فيهمُ لو تمتّعنا حياتَهمُ … من فارسٍ يومَ رَوحِ الحيِّ مِقدامِ

وَمِن فتىً يملأُ الشِّيزى مُكلَّلةً … شحمَ السَّديفِ نديِّ الحَمدِ مِطعامِ (٧)

---

١) قومت دره : عدلت اعوجاجه • وتنكب : عدل وتنحى ٢) الضب : الغيظ والحقد الخفي
٣) التيحان : الذى يعرض فيما لا يعنيه ٤) نسبة الى البخترة وهى المشية الحسنة ٥) يركب العوصاء : يركب أصعب الامور • طاط : شجاع ٦) الرداح : الكتيبة الثقيلة الجرارة • تزجى : تدفع
٧) الشيزى : خشب أسود قيل هو الآبنوس ، وأراد به هنا الجفان المصنوعة من هذا الخشب • وشحم السديف : شحم السنام • أي ان هذا الفتى كريم يملأ الجفان من شحم السنام حتى يكللها فيطعم الناس منها

وَمِنْ خَطِيبٍ غَدَاةَ الْحَفْلِ مُرْتَجِلٍ ... ثَبْتِ الْمَقَامِ أَرِيبٍ غَيْرِ مِقْحَامِ

وقال خالد للقعقاع « أنافرك على أيّنا أطعنُ بالرماح ، وأطعم للسجاح ، وأنزل بالبراح » قال « لا بل على أيّنا أفضل أباً وجدّاً وعما ، وقديما وحديثا » قال خالد « أعطيت يوما من سأل ، وأطعمت حولا من أكل ، وطعنت فارساً طعنة شككت فخذيه بجنب الفرس » قال القعقاع وأخرج نعلين فقال « ربع أبي عليهما أربعين مرباعا لم تشكل فيهن تميمية ولدا »

كان مالك بن الاخطل التغلبي — وبه كان يكنى — أتى العراق فسمع شعر جرير والفرزدق ، فلما قدم على أبيه سأله عن شعرهما فقال « وجدت جريرا يغرف من البحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر » فقال الاخطل « الذى يغرف من بحر أشعرهما » . وقال بعضهم :

وما خيرُ من لا ينفعُ الأهلَ عيشُهُ ... وإنْ ماتَ لمْ يجزعْ عليهِ أقاربُهْ

كهامٌ على الأقصي كليلٌ لسانُهُ [1] ... وفي بَشَرِ الأدنى حِدادٌ مخالبُهْ

وقال العماني :

إذا مشى لكلّ قِرْنٍ مُقْرِنِ ... ثُمَّ مشى القِرْنُ له كالأرْعَنِ [2]

بصارمٍ يَفري صفيحَ الجوشَنِ ... مُقرْطَنٌ ذافَ إلى مُقرْطَنِ [3]

يَقضي إلى أُمِّ الفِراخِ المُكْمِنِ ... حيثُ يقولُ الهامةُ اسقِني اسقِني [4]

كمْ لأبي مُحمّدٍ من موْطِنِ

وقال العماني :

---

١) كهام : كليل عى بطيء ٢) القرن : الكفء والنظير في الشجاعة . والمقرن : الرامى بسهمين ، أو راكب الناقة الحسنة المشى . والارعن : الاهوج والاحمق ٣) الجوشن : الدرع . وصفيحه : وجهه . والمقرطن : ربما كان مشتقا من القرطان وهو كالبرذعة للسرج . وذاف : مشى في اقرب خطو ٤) الهامة في أساطير العرب : صدى طائر يخرج من رأس الميت

ومِقْوَلٌ نِعْمَ لِزَازُ الْخَصْمِ    أَلَدُّ يَشْتَقُّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ [1]

بِباطِلٍ يَدْحَضُ حَقَّ الْخَصْمِ    حتى يَصِيرُوا كَسَحَابِ الْيَكْمِ

وقال عبيد فى حديث على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه حين رأى فلانا يخطب فقال « هذا الخطيب الشحشح » قال هو الماهر الماضى . قال الطرماح :

كَأَنَّ الْمَطَايَا لَيْلَةَ الْخِمْسِ عُلِّقَتْ    بِوَثَّابَةٍ تَنْضُو الرَّوَاسِمَ شَحْشَحِ

وقال ذو الرمة :

لَدُنْ غُدْوَةً حتى إِذَا امْتَدَّتِ الضُّحَى    وَحَثَّ الْقَطِينَ الشَّحْشَحَانُ الْمُكَلَّفُ

يعنى الحادى . قال وكان أسد بن كرز يقال له خطيب الشيطان ، فلما استعمل ابنه على العراق قيل له خطيب الله ، فجرت الى اليوم ، قال أبو السلم الهذلى :

أَصَخْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا    فَإِنَّكَ لَا تُهْدِى الْقَرِيضَ لِمُفْحَمِ

وقال بلعاء بن قيس :

أَبَيْتُ لِنَفْسِى الْخَسْفَ لَمَّا رَضُوا بِهِ    وَوَلَّيْتُهُمْ سَمْعِى وَمَا كَانَ مُفْحَمَا

وقال عبد الله بن مصعب : وقف معاوية على امرأة من بنى كنانة فقال لها « هل من قرًى » قالت « نعم » قال « وماقراك » قالت « عندى خبز خمير ، ولبن قطير ، وماء نمير » وقال أحيحة :

والصَّمْتُ أَكْرَمُ بِالْفَتَى    مالَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهْ

والْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا    مالَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ [2]

وقال أبو ثمامة الضبي :

ومِنَّا حُصَيْنٌ كَانَ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ    يَقُولُ أَلَا مِنْ نَاطِقٍ مُتَكَلِّمِ

---

١) المقول : البين الظريف اللسان . لزاز الخصم : ملازمته وملاصقته فى المخاصمة . يشتق فى الخصومة: ياخذ يمينا وشمالا مع ترك القصد   ٢) سبق فى ص ٣ من الجزء الاول

وقال عبيد بن أمية الضبي، واستب هو والحارث بن شبيبة المجاشعي عند النعمان، فقال :

تُرَى بيوتٌ وتُرَى رِماحُ ونَعَمٌ مُزَنَّمٌ سِحاحُ (١)

وَمَنْطِقٌ لَيسَ لهُ نَجاحُ يا قَصَباً طارَ بِهِ الرِّياحُ

وأَذرُعاً لَيسَتْ لَها أَلواحُ

وقال قيس بن الخطيم :

وبعضُ القَولِ لَيسَ لهُ حَصاةٌ كَمَخْضِ الماءِ لَيسَ لهُ إتاه (٢)

وهذا شبيه بقوله :

كُسالَى إذا لاقَيتَهُمْ غيرَ مَنطِقٍ يُلَهَّى بِهِ المَتبُولُ وهوَ عَناه (٣)

وقال أبو ثمامة :

أُخاصِمُهُمْ مرَّةً قائماً وأَجثُو إذا ماجَثَوْا لِلرُّكَبْ

إذا مَنطِقٌ قالهُ صاحِبي تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذا مُعْتَقَبْ

وقال الشماخ :

ومرتَبةٍ لاَ يُستَطاعُ بها الرَّدَى تَركتُ بها الشّكَّ الّذِي هُوعاجزُ

ويروى :

تَلاَفَى بِهَا حِلْمِي عنِ الْجَهْلِ حَاجزُ

## ﴿ باب من الكلام المحذوف ﴾

ثم نرجع بعد ذلك الى الكلام الاول . هيثم عن يونس عن الحسن يرفعه أن

١) المزنم : صغار الابل . سحاح : سمان ٢) الاتاه : مايخرج من أكال الشجر ٣) البيت للمكبر الضبي وقد سبق فى ص ٦ من الجزء الاول

المهاجرين قالوا « يارسول الله إن الانصار فضلونا بانهم آووا ونصروا وفعلوا وفعلوا » قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أتعرفون ذاك لهم » قالوا « نعم » قال « فان ذاك » ليس فى الحديث غير هذا ، يريد : ان ذاك شكر ومكافأة

قال وكلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى حاجة ، وجعل يمتّ بقرابة ، فقال عمر « وان ذاك » ثم ذكر حاجته فقال « لعل ذاك » لم يزده على أن قال « فان ذاك ولعل ذاك » فان ذاك كما قلت ، ولعل حاجتك أن تقضى . وقال عبد الله بن قيس :

بَكَرَتْ عليَّ عَوَاذِلِي يَلْحَيْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
وَقُلْنَ شَيْبٌ قدْ علاَ كَ وقدْ كَبِرْتَ فقُلْتُ إِنَّهْ

وقال الاسدى لعبد الله بن الزبير « لاحملت ناقة حملتنى اليك » قال ابن الزبير « انّ وراكبها » . عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن أبى هاشم القاسم بن كثير عن قيس الخارجى أنه سمع عليًّا يقول « سبق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، وخبطتنا فتنة فما شاء الله » ليس فى الحديث أكثر من هذا . ولما كتب أبو عبيدة الى عمر جواب كتاب عمر فى أمر الطاعون فقرأ عمر الكتاب استرجع فقال له المسلمون « مات أبو عبيدة » قال « لا وكان قد » وقال النابغة:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا لمَّا تَزَلْ بِرِحالِنا وَكأَنْ قَدِ

وأنشد ابن الاعرابى:

إذَا قِيلَ أعْمَى قلتُ إنّ وَرُبَّما أكونُ وَإنّي منْ فتىً لَبَصِيرُ
إذَا أبْصرَ القلبُ المُرُوءَةَ والتُّقَى فانَّ عَمَى العَيْنَيْنِ ليسَ يَضِيرُ
وَإنّ العَمى أجْرٌ وذُخْرٌ وعِصْمَةٌ وَإِنّي إلى هذي الثلاَثِ فَقِيرُ

ابن أبى الزناد قال: كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وكان يكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فى المظالم فيراجعه ، فكتب اليه « إنه

ليخيل إلى أنى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة ، لكتبت إلىّ : أضأن أم ماعز ، وان كتبت اليك باحدهما ، كتبت إلىّ : أذكر أو أنثى . فان كتبت اليك باحدهما كتبت إلىّ : صغير أم كبير . فاذا أتاك كتابى فى مظلمة فلا تراجعنى والسلام [١] » وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « انى لاستعين بالرجل الذى فيه » ليس فى الحديث غير هذا ، ثم ابتدأ بالكلام فقال « ثم أكون على قفائه إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف » وأراد هو قول الاسدى :

سُوَيْدٌ فيهِ فابغُونا سِوَاهُ    أبيناهُ وإنْ بهَاهُ تاجُ

ولم يقل فيه كذا وفيه كذا . وقال الراجز :

بِتْنا بحسَّانٍ ومِعزاهُ تَئِطْ    فى سَمِنٍ حَمٍّ وتَمْرٍ وأَقِطْ [٢]

حتىّ إذا كادَ الظّلامُ ينكَشِطْ    جاءَ بمَذْقٍ هل رأيتَ الذِّئْبَ قطْ [٣]

وقيل للمنتجع بن نبهان ـ أو لابى مهدية ـ « ماالنضناض » فاخرج طرف لسانه وحركه . وقيل له « ماالدلنظى » فزحر وتقاعس وفرج مابين منكبيه

ومن الكلام كلام يذهب السامع منه الى معانى أهله والى قصد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى « وترى الناس سكارى وماهم بسكارى » وقال « لايموت فيها ولا يحيي » وقال « ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت » وسئل المفسر عن قوله « لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » فقال ليس فيها بكرة ولا عشى . وقال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم « فان كنت فى شك مما نزلنا اليك فاسال الذين يقرأون الكتاب من قبلك » . قالوا لم يشك ولم يسال . وقال عمر رضى الله تعالى عنه فى جواب كلام قد تقدم وقول قد سلف منه « متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أنهى عنهما وأضرب عليهما » وهذا مثل قائل لو قال « أتضربنا على الكلام

---

١) وكتب مثل هذا الى عروة عامله على اليمن ، أنظر ص ٩٧ من سيرة عمر بن عبد العزيز

٢) تئط : تحن . حم : ذائب . الاقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض ٣) المذق اللبن الممزوج بالماء . يقول ان لونه كلون الذئب

فى الصلاة وعلى التطبيق اذا ركعنا »فيقول « نعم ، أشد الضرب » اذا كان قد تقدم منه إعلامه اياهم بحال الناسخ والمنسوخ . وقد سال رجل بلالا مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه ـ وقد أقبل من جهة الحلبة ـ فقال له « من سبق » قال «سبق المقربون» قال « إنما أسالك عن الخيل » قال « وأنا أجيبك عن الخير » فترك بلال جواب لفظه الى خير هو أنفع له

حدثنا عبد الملك بن شيبان قال حدثنى يعقوب بن الفضل الهاشمى قال : كتب أبوجعفر الى سلم يامره بهدم دور من خرج مع ابراهيم وعقر نخلهم . قال فكتب اليه سلم « باى ذلك نبدأ : بالدور أم بالنخل » فكتب اليه أبو جعفر « أما بعد فانى لو كتبت اليك بافساد تمرهم لكتبت الىّ تستاذننى باية نبدأ : بالبرنى أم بالشهريز » وعزله وولى محمد بن سليمان

وقال ابن مسعود « ان طول الصلاة وقصر الخطبة مئينة من فقه الرجل » مئينة كقولك مخلقة ومجدره ومجرأة قال الاصمعى « مئينة : علامة »

وقال عبد الله « عليكم بالعلم فان أحدكم لا يدرى متى يخيل اليه » ولما أقدم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عمرو بن العاصى من مصر قال له عمر « لقد سرت سير عاشق » قال عمرو « وانى والله ماتابطتنى الاماء ولا حملتنى البغايا فى غُبَّرات المآلى[1] قال له عمر « والله ماهذا بجواب الكلام الذى سالتك عنه ، وان الدجاجة لتفحص فى الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة الى طرفها » وقام عمر فدخل ، وقام عمرو فقال « قد أفحش أمير المؤمنين علينا »

وجاء فى الحديث « لايمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ » وقال أعرابى « اللهم لا تنزلنى ماء سوء فاكون امرء سوء » وقال بلماء بن قيس :

وكمْ كانَ فى آلِ المُلوّحِ منْ فتىً ... مُنادًى مفَدى حينَ تُبْلى سرَائِرُهْ
وكمْ كانَ في آلِ المُلوّحِ منْ فتىً ... يُجيبُ خطيباً لا يُخافُ عوَاثِرُهْ

---

١) غبرات الشيء : بقاياه ، واحدها غبر . والمآلي : جمع مئلاة وهو خرقة الحائض

وقال آخر :

ومُخاصِمٍ قاوَمتُ في كَبَدٍ[١] مِثلِ الرِّهانِ فَصارَ لِيَ العُذرُ

وقال آخر :

وَجهٌ قَبيحٌ ولسانٌ أبكَمُ وَمِشفَرٌ لا يَتَوارَى أضخَمُ

ولما رأى الفرزدق درست بن رباط الفُقَيمي على المنبر وكان أسود دميما قصيرا قال :

بكَى المِنبَرُ الشَّرقيُّ إذ قامَ فوقَهُ أمِيرٌ فُقَيميٌّ[٢] قصيرُ الدَّوارِجِ

وقال :

بكَى المِنبَرُ الشَّرقيُّ والنَّاسُ إذ رأَوْا عليهِ فُقَيمِيًّا قصيرَ القَوائِمِ

وانما كان يعادى بنى فقيم لانهم قتلوا أباه غالبا

قال أبو عبيدة : قال رجل ليونس بن حبيب « إذا أخذتم فى مذاكرة الحديث وقع علىّ النعاس » قال « فاعلم أنك حمار فى مسلاخ انسان » قال : ودخل عبد الله ابن خازم على عبيد الله بن زياد ـ وهو يخطر فى مشيته ـ فقال للمنذر بن الجارود « حرّكه » فقال « يا ابن خازم ، انك لتجر ثوبك كما تجر المرأة البغىُّ ذيلها » قال « أما والله انى مع ذلك لا نفذ بالسرية ، وأضرب هامة البطل المشيح ، ولو كنت وراء هذا الحائط لوضعت أكثرك شعرا » وقد كان قبض عطاءه فصبه بين أيديهم ثم قال « لعنك الله من دراهم ، والله ما تقومين بمؤنة خيلنا » وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه « خذ الحكمة أنّى أتتك ، فان الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن الى صاحبها »

وقال عمرو بن العاصى لاهل الشام يوم صفين « أقيموا صفوفكم مثل قصّ الشارب ، وأعيرونا جماجمكم ساعة من النهار ، فقد بلغ الحق مقطعه ، فوانما هو ظالم أو

---

١) الكبد: المشقة . والكبد أيضا : وسط الرمل ٢) نسبة الى فقيم دارم ، والقياس أن تحذف الياء فيقال « الفقمى » وانما أثبتوها للفرق بينه وبين « الفقمي » نسبة الى فقيم كنانة

مظلوم » وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه يومئذ « عضُّوا على النواجذ من الاضراس ، فانه أنبا للسيوف عن الهام »

وقال رجل « طِدْ[1] رجلك اذا اعتقبت بالسيف والعصا » وأنت مخير فى رفعها ساعة المسالمة والموادعة » ولما أقاموا ابن قميئة بين العقابين قال له أبوه « طِدْ رجليك الارض ، وأصِرّ إصرار الفرس ، واذكر أحاديث غد . وإياك وذكر الله فى هذا الموضع فانه من الفشل »

قال وقيل للحجاج « من أخطب الناس » قال « صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة » يعنى الحسن . وقال الاحنف قال عمر « تفقهوا قبل أن تسودوا » وقال عمر « احذر من فلتات الشباب كل ما أورثك النبز[2] وأعلقك اللقب ، فانه إن يعظم بعدها شأنك يشتد على ذلك ندمك » ولما بنى عتبة بن غزوان وأصحابه بالبصرة بناء اللبن كتب اليهم عمر « قد كنت أكره لكم ذلك ، فاذا فعلتم ما فعلتم فعرضوا الحيطان وارفعوا السمك وقاربوا بين الخشب » ولما بلغه أنهم قد اتخذوا الضياع وعمروا الارضين كتب اليهم « لا تنهكوا وجه الارض فان شحمتها فيه » وقال عمر « بع الحيوان أحسن ما يكون فى عينك » وقال « فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين » وقال « املكوا العجين فانه أحد الريعين » وقال « اذا اشتريت بعيرا فاجعله ضخماً فان أخطأك خبر لم يخطئك سوق » وقال عمر « العمائم تيجان العرب » وقال « نعم المستند الاحتباء » وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الناس كالابل ترى المائة لا تجد فيها راحلة[3] » وأنشدوا :

وكأنَّ من زَهرِ الخُزامى والنَّدَى والأُقْحُوَانِ عليهِ رَيْطَةَ بُرْنُسِ[4]

وَإذا تَرَنَّمَ حولَهُ ذِبَّانُهُ أصْغَى تَسمَّعَ خائفٍ متوَجِّسِ

---

١) طد : أمر ، من وطد الشيء اذا أثبته وثقله ٢) النبز : أن يلقب المرء بلقب مستهجن ، ومنه قوله تعالى « ولا تنابزوا بالالقاب » ٣) راجع ص ١٠ من هذا الجزء ٤) الريطة : الملاءة . والبرنس : كل ثوب رأسه ملتزق به

خرجت عليه من الضراء دواجن ... تحتث نحو ملاذ وان أشوس (١)

يسعى يمثل والصفير كلامه ... ويحي يداه لهن وحي الأخرس (٢)

وقال الراعى :

أبا خالد لاتنبذنا فصاحة ... كوحي الصفا خطت لكم في فؤاديا

وقال الشاعر :

رب طرف مصرح ... عن ضمير بما هجس

وقال آخر :

بلحن القول والطرف الفصيح

وقال المثقب العبدى فى استماع الثور وتوجسه وجمع باله اذا أحس بشىء من أسباب القانص وذكر ناقة :

كأنها أسفع ذو جدة ... يضمه القفر وليل سدي (٣)

كأنما ينظر من برقع ... من تحت روق سلب مذود (٤)

تصيخ للنبأة أسماعه ... إصاخة الناشد للمنشد

ويوجس السمع لنكرائه (٥) ... من خشية القانص والموسد

وقال بعض العبيد شعرا يقع فى ذكر الخطباء وفى ذكر أشداقهم وتشادقهم:

---

١) الضراء الشجر الملتف فى الوادي • والارض المستوية تأوى اليها السباع وبهانبذ من الشجر • الدواجن : جمع داجنة من دجن بالمكان أي أقام فيه ، وصارت تطلق على الحمام والشاء والكلاب لانها تألف البيوت • تحتث : تسرع • وان : أصابه فتور وكلال واعياء • الاشوس : الجرىء

٢) وحى يحى وحيا : أشار ٣) الاسفع : الثور الوحشى الذى فى خديه سواد يضرب الى الحمرة • الجدة : العلامة • ليل سدى : أي ذو سدى ، والسدى لاول الليل كالندى لآخره

٤) الروق والمذود : القرن ٥) النكراء : الفطنة والدهاء

أغرَّكَ مِنّي أنّ مولايَ مَزْيَدًا  سَرِيعٌ إلى دَاعِي الطَّعامِ سَرُوطُ (١)
غُلَامٌ أتاهُ الذُّلُّ من نحوِ شِدْقِهِ  لهُ نسبٌ فى الوَاغِلينَ بَسِيطُ (٢)
لهُ نحوَ دَوْرِ الكاسِ إمّا دَعَوْته  لِسانٌ كذَلْقِ الزّاعِبِيِّ سَلِيطُ (٣)

وقال الاول :

إنّ سَلِيطًا كاسمِهِ سَلِيطُ

وقال بعض العبيد فى بعض العبيد وقد كان مفتوق اللهاة وشاعرا :

أشْدَقُ يَفرِي حِينَ لاَ أحَدٌ يَفرِي

وقال مورق العبد يتوعد مولاه :

لوْلاَ عَجُوزٌ قَحْمَةٌ وَدَرْدَقُ  وَصاحِبٌ جمُّ الحَدِيثِ مُونِقُ (٤)
كيفَ الفوَاتُ والطَّلُوبُ مُورِقُ  شيخٌ مَغيظٌ وَسِنانٌ يَبْرُقُ (٥)
وحنجرٌ رَحْبٌ وصَوْتٌ مُصْلِقُ  وشِدْقُ ضِرْغَامٍ ونابٌ مُخْرِقُ (٦)

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز عن الجمل وصفين فقال « تلك دماء كف الله يدى عنها فلا أحب أن أغمس لسانى فيها » ويقع فى باب التطبيق قول الشاعر :

لأَنتمْ بِبَيْعِ اللَّحْمِ أعْلَمُ مِنْكُمُ  بِضَرْبِ السُّيُوفِ المُرْهَفاتِ القوَاطِعِ

وقال عمرو بن هداب « انما كنا نعرف سؤدد مسلم بن قتيبة انه كان يركب وحده ويرجع فى خمسين » . وقال الاصمعى دخل حبيب بن شوذب الاسدى على جعفر ابن سليمان بالمدينة فقال « أصلح الله الامير ، حبيب بن شوذب وادّ الصدر جميل الذكر يكره الزيارة المملّه والعقدة المنسية » وفى الحديث « زر غبًّا تزدد حبا » وقال

١) سروط : أكول ٢) الواغل : الداخل على الناس فى طعامهم وشرابهم ٣) ذلق الزاعبى : حد السنان المنسوب الي رجل اسمه زاعب كان يعمل الاسنة . والسليط : الطويل
٤) القحمة : الكبيرة السن جدا . الدردق : الاطفال . مونق : معجب ٥) الطلوب : الكثير الطلب . والمورق : الغانم . والمغيظ : الذي ناله أشد الغضب ٦) صوت صلق ومصلق : شديد

بعضهم عن الثورى عن محمد بن عجلان عن عياض بن عبد الله قال « ان الدّين مجمع لكل همٍّ : همٌّ بالليل وذل بالنهار وراية الله فى أرضه ، فاذا أراد الله أن يذل عبدًا جعله طوقا فى عنقه » عمر بن ذرّ قال « الحمد لله الذى جعلنا من أمة تغفر لهم السيئات ولا تقبل من غيرهم الحسنات » ابن أبى زياد « كنا لا نكتب الا سُنة وكان الزهرى يكتب كل شىء ، فلما احتيج اليه عرف أنه أوعى الناس » قال فيروز بن حصين « اذا أراد الله أن يزيل عن عبده نعمة كان أول ما يغيّر منه عقله » وقيل لمحمد بن كعب القرظى « ما علامة الخذلان » قال « أن يستقبح الرجلُ ما كان عنده حسنا ويستحسن ما كان عنده قبيحاً » وقال محمد بن حفص « كن الى الاستماع أسرع منك الى القول ، ومن خطأ القول أشد حذرًا من خطأ السكوت » وقال الحسن « إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ، ولا تقطع على أحد حديثه » سفيان بن عيينه قال « كان يقال : العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه » وقال الشاعر أبو دهمان الغلابى :

لئِنْ مِصْرُ فاتَتْنِى بما كُنْتُ أرتجِى ... وأخلفَنِي مِنْهـا الّذِي كُنْتُ آمـلُ

فمَا كلُّ ما يَخشَى الفتَى بمُصِيبِهِ ... وَما كلُّ ما يَرْجو الفتى هوَ نائِلُ

فما كانَ بَيْنِى لوْ لَقِيتُكَ سالِماً ... وَبيْنَ الغِنَى إلاّ ليَالٍ قلائِلُ

وقال الآخر :

وَإنّ كلامَ المرْءِ فى غيرِ كُنْهِهِ ... لَكالنّبْلِ تَهْوِي ليْسَ فِيها نِصالُها

وقال كعب الاحبار « قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : الهدية تفقأ عين الحكيم ، وتسفّه عقل الحليم » قال زحم رجل سالم بن عبد الله فزحم سالم الذى يليه فقال له « ياشيخ ، ما أحسبك الا شيخ سوء » قال سالم « ما أحسبك أبعدت » قال وسأل رجل محمد بن عمير بن عطارد وعتاب بن ورقاء فى عشر ديات فقال محمد « علىّ دية » فقال عتاب « الباقى علىّ » فقال محمد « نعم العون اليسار على المروءة »

وقال الأحنف :

فلوْ مَـدَّ سَرْوِي بمَالٍ كـثيرٍ لجُدْتُ وكنْتُ بهِ باذِلا

فإنَّ المُرُوءَةَ لا تُستَطَاعُ إِذَا لمْ يَـكُنْ مالُها فاضِلاَ

وقال يزيد بن حجية حين بلغه أن زياد بن خصفة تبعه ولم يلحق به :

أَبلِـغْ زِيادًا أنّني قدْ كـفيتُهُ أُمُورِي وخلّيتُ الّذي هوَ غالِبُهْ

وَبابٍ شَـدِيدٍ دَاؤُهُ قدْ فتحتُهُ عليْكَ وقدْ أعْيَتْ عليكَ مَذاهِبُهْ

هَبِلْتَ فما ترجُو غَنايَ ومَشْهَدِي إِذا كانَ يوْمٌ لا تَوَارَى كوَاكِبُهْ

قال آخر :

وَمَنْطِقٍ حرّقَ بالْعواسِلِ

قال تجردت حضرمية لزوجها ثم قالت «هل ترى فى خلق الرحمن من تفاوت» قال «أرى فطورا» وقال آخر : راودت امرأة شيخا واستهدفت له وأبطا عليـه الانتشار فلامته فقال لها «انك تفتحين بيتا وأنا أنشر ميتا»

على بن محمد عن عمر بن مجاشع أن عمر رضى الله تعالى عنـه كتب الى أبى موسى الاشعرى «أما بعـد فان للناس نفرة عن سلطانهم ، فاعوذ بالله أن تدركنى و إياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة ، فاقم الحـدود ولو ساعة من نهار ، واذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا، فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخِف الفساق وأجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا . واذا كانت بين القبائل نائرة وتداعوا يا آل فلان فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا الى أمر الله وتـكون دعواهم الى الله والى الامام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو يا آل ضبة ، وانى والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا قط ولا منع بها من سوء قط ، فاذا جاءك كتابى هذا فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا ان لم يفقهوا . والصق بغيلان بن خرشة من بينهم ، وعد مرضى المسلمين ،

واشهد جنائزهم ، وافتح بابك ، وباشر أمرهم بنفسك ، فانما أنت امرؤ منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك ولاهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فاياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حتفها فى السمن . واعلم أن للعامل مردا الى الله ، فاذا زاغ العامل زاغت رعيته ، وان أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام »

عوانة قال : قدم علينا أعرابى من كلب ،وكان يحدثنا الحديث فلا يكاد يقطعه ، فقال له رجل « أما لحديثك هذا آخر » فقال « اذا عجز وصلناه »

قال قال معاوية ليونس الثقفى « اتق أن أطير بك طيرة بطيئا وقوعها » قال « أليس لى ولك المرجع بعد الى الله » قال « بلى فأستغفر الله »

رقبة بن مصقلة قال « ماسمعت عمر بن ذر يتكلم الا ذكرت النفخ فى الصور وماسمعت أحدا يحكيه الا تمنيت أن يجلد ثمانين » قال وتكلم عمر بن ذر فصاح بعض الزفانين صيحة فلطمه رجل قال عمر بن ذر « مارأيت ظلما قط أوفق لى من هذا » قال وقال طاوس : كنت عند محمد بن يوسف فابلغه رجل من بعض أعدائه كلاما فقال رجل من القوم « سبحان الله » فقال طاوس « ماظننت أن قول سبحان الله معصية لله حتى كان اليوم » كانه عنده انما سبح ليظهر استعظام الذى كان من الرجل ليوقع به . وقال الآخر:

لَوْ كانَ عدوّاكَ البَطِئُ المُسْهِمُ ... إِذَا بدَا مِنْكَ الّذِي لا يُكْتَمُ
وَجْـهٌ قَبيحٌ وَلسانٌ أَبْكَمُ ... وَمِشْفَرٌ لا يَتوَارَى أضْخَمُ

وقال الآخر :

يُقَعِّرُ القوْلَ لِكَيما تَحْسَبَهْ ... منَ الرِّجالِ الفُصَحاءِ المُعْرِبَهْ
وهوَ إِذَا نَسبْتَهُ مِنْ كربَهْ ... مِنْ نَخلَةٍ نابِتَةٍ في خَرِبَهْ

قالت امرأة الحطيئة للحطيئة حين تحول عن بنى رياح الى بنى كليب « بئس

ما استبدلت من بنى رياح بعر الكبش» لانهم متفرقون وكذلك بعر الكبش يقع متفرقا

على بن محمد عن مسلمة بن محارب عن داود بن أبى حرب بن أبى الاسود عن أبيه قال قال : بعثنى وعمران بن حصين عثمان بن حنيف الى عائشة رضى الله تعالى عنها فقلنا « يا أم المؤمنين ، أخبرينا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم رأى رأيتيه » قالت « بل رأى رأيته حين قتل عثمان ، إنا نقمنا عليه ضربة بالسوط وموقع السحابة المحماة وإمرة سعيد والوليد ، فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحرم الثلاث : حرمة البلد وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام ، بعد أن مصناه كما يماص الاناء ، فاستنقى ، فركبتم منه هذه ظالمين ، فغضبنا لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيفكم » قلت « فما أنت وسيفنا وسوط عثمان وأنت حبيس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمرك أن تقرّى فى بيتك فجئت تضر بين الناس بعضهم ببعض » قالت « وهل أحد يقاتلنى أو تقول غير هذا » قلنا « نعم » قالت « ومن يفعل ذلك ، أزنيم بنى عامر » ثم قالت « هل أنت مبلغ عنى ياعمران » قال « لا ، لست مبلغا عنك خيرا ولا شرا » فقلت « لكنى مبلغ عنك ، فهاتى ماشئت » قالت « اللهم اقتل مذمّما قصاصا بعثمان — تعنى محمد بن أبى بكر — وارم الاشتر بسهم من سهامك لا يشوى ، وأدرك عمارا بحفرته فى عثمان »

حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن أن زيادا بعث الحكم بن عمرو على خراسان فاصاب مغنما ، فكتب اليه زياد « إن أمير المؤمنين معاوية كتب الىّ يامرنى أن أصطفى له كل صفراء و بيضاء ، فاذا أتاك كتابى هذا فانظر ما كان من ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ماسوى ذلك » فكتب اليه الحكم « إنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، ووالله لو أن السماوات والارض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجا والسلام » ثم أمر المنادى فنادى فى الناس أن « اغدوا على غنائمكم » فغدوا فقسمها بينهم

قال وقال خالد بن صفوان « مارأينا أرضا مثل الايلة أقرب مسافة ولا أطيب نطفة

ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد »

قال الكسائى : لقيت أعرابيا فجعلت أساله عن الحرف بعد الحرف والشىء بعد الشىء أقرنه بغيره فقال « تالله مارأيت رجلا أقدر على كلمة الى جنب كلمة منها أشبه شئ بها وأبعدشىء منهامنك » ووصف أعرابى رجلا فقال « ذاك والله ممن ينفع سلمه ، ويتواصف حلمه ، ولا يستمرأ ظلمه » وقال آخر لخصمه « لئن هملجت الى الباطل إنك لقطوف الى الحق » قال ورأى رقبة بن مصقلة العبدى جارية عند العطار فقال له « ماتصنع هذه عندك » قال « أكيل لها حناء » قال « أظنك والله تكيل لها كيلا لا ياجرك الله عليه »

محمد بن سعيد عن ابراهيم بن خويطب قال قال عمرو بن العاصى لعبد الله بن عباس « ان هذا الامر الذى نحن وأنتم فيه ليس باول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الامر بنا وبكم مانرى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبراً ، ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكننا نقول ليتها لم تكن كانت ، فانظر فيما بقى بغيرمامضى فانك رأس هذا الامر بعد علىّ ، وانما هو أمير مطاع ومامور مطيع ومشاور مامون ، وأنت هو

وقال عيسى بن طلحة لعروة بن الزبير حين ابتلى برجله فقطعها « ياأبا عبد الله ذهب أهونك علينا وبقى أكثرك لنا » . قال أبو الحسن خطب الحجاج يوم جمعة فاطال الخطبة فقال رجل « ان الوقت لاينتظرك والرب لايعذرك » فحبسه فاتاه أهل الرجل وكلموه فيه وقالوا « انه مجنون » فقال « ان أقر بالجنون خليت سبيله » فقيل له « أقر بالجنون » قال « لاوالله ، لاأزعم أنه ابتلانى وقد عافانى »

قالت أم هاشم السلولية « ماذكر الناس مذكورا خيرا من الابل أحناه على أحد بخير ، إن حملت أثقلت ، وان مشت أبعدت ، وان نحرت أشبعت ، وإن حلبت أروت »

حدثنى سليمان بن أحمد الخرشى قال حدثنى عبد الله بن محمد بن حبيب قال : طلب زياد رجلا كان فى الامان الذى ساله الحسن بن على لاصحابه ، فكتب فيه الحسن رضى الله تعالى عنه الى زياد « من الحسن بن على الى زياد . أما بعد فقد علمت

ما كنا أخذنا لاصحابنا ، وقد ذكر لى فلان أنك عرضت له فاحب أن لاتعرض له الا بخير » فلما أتاه الكتاب — ولم ينسبه الحسن الى أبى سفيان — غضب فكتب « من زياد بن أبى سفيان الى الحسن ، أما بعد أتانى كتابك فى فاسق يؤويه ١ الفسّاق من شيعتك وشيعة أبيك . وايم الله لاطلبنهم ولو بين جلدك ولحمك . وان أحب لحم الىّ آكله للحم أنت منه » فلما وصل الكتاب الحسن وجّه به الى معاوية فلما قرأه معاوية غضب وكتب « من معاوية بن أبى سفيان الى زياد بن أبى سفيان . أما بعد فان لك رأيين: رأيا من ابى سفيان و رأيا من سُمية ، فاما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم ، وأما رأيك من سمية فكما يكون رأى مثلها . وقد كتب الىّ الحسن بن على انك عرضت لصاحبه فلا تعرضن له فانى لم أجعل لك اليه سبيلا . وان الحسن بن على ممن لا يرمى به الرَّجوان . والعجب من كتابك اليه لا تنسبه الى ابيه ، أفالى امه وكلته وهو ابن فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، فالآن حين اخترت له والسلام »

قدم مصعب بن الزبير العراق فصعد المنبر ثم قال « بسم الله الرحمن الرحيم . طسم . تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون : ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين — واشار بيده نحو الشام — ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين — وأشار بيده نحو الحجاز — ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون — وأشار بيده نحو العراق — »

قال كتب محمد بن كعب القرظى فقيل له « والانصارى » قال أكره أن أمن على الله بما لم أفعل »

قال قام عمرو بن العاصى بالموسم فاطرى معاوية وبنى أمية وتناول بنى هاشم ثم ذكر مشاهده بصفين فقال ابن عباس « يا عمرو ، انك بعت دينك من معاوية فاعطيته مافى يدك ومنّاك مافى يد غيره ، فكان الذى أخذ منك فوق الذى أعطاك ، وكان

---

١) خ : يؤديه

الذى أخذت منه دون ما أعطيته ، وكلّ راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر فى يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقّص حتى لو أن نفسك فيها ألفيتها اليه . وذكرت مشاهدك بصفين فما ثقلت علينا يومئذ وطأتك ولا نكتنا فيها حربك ، وإن كنت فيها لطويل اللسان قصير السنان آخر الحرب إذا أقبلَتْ وأولها اذا أدبرَتْ ، لك يدان: يد لاتبسطها الى خير ويد لا تقبضها عن شر . ووجهان : وجه مؤنس ووجه موحش . ولعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لحرىّ أن يطول حزنه على ماباع واشترى . لك بيان وفيك خطل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك قدر وفيك حسد ، فأصغر عيب فيك أعظم عيب فى غيرك » فقال عمرو « أما والله مافى قريش أحد أثقل وطأة علىّ منك ، ولالأحد من قريش قدر عندى مثل قدرك »

قال ورأى عمرو بن عتبة بن أبى سفيان رجلا يشتم رجلا وآخر يسمع منه فقال للمستمع « نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فان السامع شريك القائل ، وانما نظر الى شر مافى وعائه فافرغه فى وعائك ، ولو ردّت كلمةُ جاهل فى فيه لسعد رادّها كما شقى قائلها »

عوانة قال اختصم الى زياد رجلان فى حق كان لاحدهما على الآخر فقال المدعى « أيها الامير ، إنه ليسطو علىّ بخاصة ذكر أنها له منك » فقال زياد « صدق ، وسأخبرك بمنفعتها له ، إن يكن الحق له عليك أخذتك به ، وان يكن لك عليه حكمت عليه ثم قضيت عنه »

قال ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قامت عائشة رضى الله تعالى عنها على قبره فقالت « نضّر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مُذِلاً بادبارك عنها وللآخرة مُعِزًّا باقبالك عليها ، وان كان لاجلّ الارزاء بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك ، وان كتاب الله ليعد بجميل العزاء حسن العوض منك ، فأنتجز من الله موعده فيك بالصبر عنك وأستخلصه بالاستغفار لك » . وقامت فرغانة بنت أوس بن حجر على قبر الاحنف بن قيس وهى على راحلة فقالت « إنا لله وانا اليه راجعون ، أبا بحر من مِجَنٍّ فى جَنَن ،

ومدرج فى كفن ، فوالذى ابتلانى بفقدك ، و بلّغنا يوم موتك ، لقد عشت حميدا ومت فقيدا ، ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد وارى الزناد منيع الحريم سليم الاديم ، وان كنت فى المحافل لشريفاً وعلى الارامل لعطوفا ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا ، وان كنت لمسوّداً والى الخلفاء لموفّدًا ، وان كانوا لقولك لمستمعين ولرأيك لمتبعين » ثم انصرفت

أبو الحسن قال قال عمرو بن العاصى « مارأيت معاوية قط متكئا على يساره واضعا احدى رجليه على الاخرى كاسراً إحدى عينيه يقول للذى يكلمه ياهناه الاّ رحمت الذى يكلمه »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « كونوا أوعية الكتاب و ينابيع العلم ، وسلوا الله رزق يوم بيوم ، ولا يضيركم أن لا يكثر لكم »

وكتب معاوية الى عائشة أن اكتبي الىّ بشىء سمعتيه من أبى القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ، فكتبت اليه « سمعت أبا القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من عمل بما يسخط الله عاد حامده من الناس له ذامّا »

أوصى بعض العلماء ابنه فقال « أوصيك بتقوى الله ، وليسعك بيتك ، وامْلك عليك لسانك ، وابْك على خطيئتك » بكر بن أبى بكر القرشي قال : قال أعرابى « ماغبنت قط حتى يغبن قومى » قيل « وكيف ذلك » قال « لا أفعل شيئا حتى أشاورهم » وقيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم » قال « نحن ألف رجل ، وفينا حازم ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم »

قال أبو الحسن « أول من أجرى فى البحر السفن المقيّرة المسمّرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجآجىء [١] ، وكان أول من عمل المحامل الحجاج » . قال بعض رجاز الاكرياء [٢]

أوّلُ عبدٍ عَمِلَ المَحامِلا    أخزاهُ رَبى عاجلاً وآجلا

---

١) المقيرة : المطلية بالقار . والجآجئ جمع جؤجؤ وهو من السفينة صدرها ٢) الاكرياء : جمع المكارى .

وقال آخر :

شَيّبَ أصداغي وهُنَّ بِيضُ　　مَحامِلٌ لِقِدْها نَقِيضُ

قال الاصمعى : سمعت أعرابيا يقول « لو تنحل رجل أخا شقيقا لم يأمن أن يبدو منه مايبدو من الثوب ذى الخرق ، فرحم الله رجلا أغضى على الاقذاء واستمتع بالظاهر » وقال الاصمعى : سمعت بعض الاعراب يقول « من ولد الخير أنتج له فراخا تطير بالسرور ، ومن ولد الشر أنبت له نباتا مرّا مذاقه قضبانه الغيظ وثمره الندم »

وأنشد النضر بن شميل :

يُحِبُّ بقائي المُشفِقُونَ ومُدَّتِي　　إلى أجَلٍ لو يَعلَمُونَ قَرِيبِ
وما أرَبي في أرْذَلِ العُمْرِ بعدَ ما　　لَبِثْتُ شَبابِي قَبْلَهُ ومَشِيبِي

وأنشد ابن الاعرابى :

يا ابنَ الزُّبَيْرِ جزاكَ اللهُ لائِمَةً　　هلاّ انتَهَيْتُمْ وفي الأقوالِ تَعتِيبُ
تَنْزُو لِتُدْرِكَ مِنْ كَعْبٍ غَطارِفَهُ　　لا تستوي بُسْرَةُ العُرجُونِ والطِّيبُ[1]
كما تَرَى فَرْخَ عُشٍّ لا حَراكَ بِهِ　　وفَوْقَهُ مِنْ نَسالِ الرِّيشِ تَزْغِيبُ
ما فِيكُمُ قد عَلِمْنا مِنْ مُحافَظَةٍ　　يَوْمَ الحِفاظِ ولا خَيْرًا لِمَنْكُوبِ
وأنتُمْ تحتَ أرْواقِ البُيُوتِ إذا　　هَبَّتْ شآمِيَةٌ دِرْنٌ طَحارِيبُ[2]
أنتمْ مَناخُ الخَنا قُبحًا لِخِلَّتِكُمْ　　فكُلُّكُمْ يا بَني البَلْقاءِ مَقْشُوبُ[3]
في ذِمَّتي أنْ تَضِجُّوا مِنْ مُصادَمَتِي　　كما تَضِجُّ مِنَ الحَرِّ الجَنادِيبُ[4]

---

١) تنزو : تثب وتقفز . البسرة الواحدة من البلح قبل أن يصير رطبا . والعرجون : أصل العذق الذي يبقي على النخل يابساً　٢) درن : لعلها جمع درن بفتح الدال وكسر الراء وهو الوسخ . والطحاريب : ربما كانت من طحرب أى فسا　٣) قشب زيد : اكتسب احمد أو الذم وهو من الاضداد　٤) الجناديب : جمع جندب وهو الصغير من الجراد

ما بينَ أدبسَ نتّاجٍ لهُ ذَفَرٌ ... ومُقصَدِ القلبِ ذِي سَتّينَ معصوبِ (١)

خالِي سَمَاءَـتهُ فاعلمْ لا خفاءَ بهِ ... لقد هوى بكَ يادَ فِينُ شخوبُ (٢)

صعبٌ مَناكِبُـهُ تَعيا الكُماةُ بهِ ... خوفاً وتَصطادُهُمْ منهُ كلاليبُ

وأنشد ابن المعذّل :

تواعدَ لِلْبينِ الخليطُ لِينبتُّوا (٣) ... وقالوا الرّاعي الظّهرِ موعِدُكَ السَّبتُ

فَفاجأنِي بَغتاً ولمْ أخشَ بَينهُمْ ... وأفظعُ شيْءٍ حينَ يَفجَؤُكَ البَغتُ

مَضَى لِسُلَيمَى مُنذُ مالَمْ أُلاقِهَا ... سِنونٌ توالَتْ بينَنا خَمسٌ أوستُّ

وفي النّفسِ حاجاتٌ إليكُمْ كثيرةٌ ... بَرابِها في الحَيِّ لوْ أُخِّرَ الوقتُ

تأيّمتُ حتّى لامَنِي كلُّ صاحبٍ ... رجاءَ سُلَيمَى أنْ تَئيمَ كما إمتُ

لَئِنْ بعتُ حظِّي مِنكِ يوماً بغيرِهِ ... لَبئسَ إذنْ يومَ التّغابُنِ ما بِعتُ

تمنّى رِجالٌ أنْ أموتَ وعهدُهُمْ ... بأنْ يتمنَّوا لوْ حييتِ إذا متُّ

وقدْ عَلِموا عِندَ الحقائقِ أنّني ... أخو ثِقةٍ ما إنْ وَنيتُ ولا إنتُ (٤)

وإنّي وقدْ سَيّرْتُ نَبلِي وإنّنِي ... كأنّي وقدْ وقّعتُ أنصالَها رِشتُ

وقال أحمد بن المعذّل أنشدني أعرابي من طيّ :

ولستُ بِميّالٍ إلى جانبِ الغِنَى ... إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفقرِ

---

١) الادبس من الطير والخيل : الذي لونه بين السواد والحمرة . والذفر : شدة الرائحة طيبة كانت أو خبيثة . والمقصد : الذى يمرض ثم يموت سريعا . والمعصوب : الجائع جدا . وفى هذا البيت وبيت « مافيكم قد علمنا .. الخ » إقواء ٢) كذا فى الاصل ٣) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد . وينبتوا : من البت وهو القطع ٤) ونيت : فترت وضعفت . انت : تأخرت وأبطأت

وإنّي لصبّارٌ على ما ينوبني ... وحسبكَ أنّ اللهَ أثنى على الصبرِ

﴿ خطبة للحجاج [١] ﴾

حدثنى محمد بن يحيى بن على عن عبد الحميد عن عبدالله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : خرج الحجاج يريد العراق واليا عليها فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار ـ وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب الى الحرورية ـ فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال « علىّ بالناس » فحسبوه وأصحابه خوارج فهمّوا به ، حتى اذا اجتمع الناس فى المسجد قام فكشف عن وجهه ثم قال :

أنا ابنُ جلا وطلاّعُ الثنايا ... متى أضعِ العمامةَ تعرفونى

أما والله إنى لاحتمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله . وإنى لأرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها ، و إنى لصاحبها . وإنى لانظر إلى الدما ، ترقرق بين العمائم واللحا ... قدْ شمّرتْ عن ساقِها فشمّرِ

ثم قال :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدّي زِيَمْ ... قدْ لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ [٢]

ليسَ براعي إبلٍ ولا غَنَمْ ... ولا بجزّارٍ على ظهرِ وضَمْ [٣]

وقال أيضاً :

قدْ لفّها الليلُ بعصلبيِّ ... أروعَ خرّاجٍ منَ الدّوّيِّ [٤]

مُهاجرٍ ليسَ بأعرابيِّ

إنى والله يا أهل العراق ، والشقاق والنفاق ، ومساوى الاخلاق ، ما أغمز تغماز

---

١) سبق في ص ٢٠٩ و ٢١٠ من الجزء الاول ٢) الزيم : النافرة . والحطم : الراعي الظلوم
٣) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم ٤) العصلبي : الرجل القوى الشديد الخلق العظيم . الاروع : الشجاع الجميل الذكى الفؤاد . الدوي : يقال أرض دوية أى غير موافقة

التين ، ولا يُقعقع لي بالشّنان . ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وجريت من الغاية . إن أمير المؤمنين كب كنانته ، ثم عجم عيدانها ، فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها عموداً ، فوجهني اليكم . فانكم طالما أوضعتم في الفتن ، واضطجعتم في مراقد الضلال ، وسننتم سنن الغيّ . أما والله لالحونكم لحو العصا[١] ، ولاعصبنّكم عصب السلمة[٢] ، ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . إني والله لاأعد إلا وفيت ، ولا أهمُّ إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فريت . فاياي وهذه الجماعات ، وقالاً وقيلا وما تقول وفيم أنتم وذاك . أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده . من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله[٣] ، ثم دخل منزله

بسم الله الرحمن الرحيم . أبو الحسن قال : كتب الحجاج بن يوسف الى قطرى ابن الفجاءة : « سلام عليك . أما بعد فانك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية . قد علمت حيث تجرثمت ذلك أنك عاصٍ لله ولولاة أمره ، غير أنك أعرابي جاف أمي تستطعم الكسرة وتشتفي بالتمرة والامور عليك حسرة . خرجت لتناول شبعة فلحق بك طغام صُلوا بمثل ما صُليت به من العيش ، يهزون الرماح ، ويستنشؤن الرياح ، على خوف وجهد من أمورهم . وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته . ثم أهلكهم الله بترحتين والسلام »

فاجابه قطرى بن الفجاءة « من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف . سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه . فالحمد لله على ما أظهر من دينه ، وأظلع به أهل السفالة ، وهدى به من الضلالة ، ونصر به عند استخفافك بحقه . كتبت اليّ تذكر أني أعرابي جلف أمي أستطعم الكسرة وأشتفي بالتمرة . ولعمرى يابن أم الحجاج انك لميت في جبلتك ، مُطلخمٌ في طريقتك[٤] ، واهٍ في وثيقتك ،

---

١) لحا العصا : قشرها ٢) السلمة : شجرة السلم . يقول اني أضمكم كما تضم غصون الشجرة ثم تخبط ليسقط ورقها ٣) أي من رأيته بعد ثلاثة أيام من سفر جيش المهلب قد تخلف عن الالتحاق به قتلته ٤) مطلخم : متكبر

لاتعرف الله ، ولا تجزع فى خطيئتك . يئست واستيأست من ربك : فالشيطان قرينك لاتجاذبه وثاقك ، ولا تنازعه خناقك . فالحمد لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك ، وأوضح لى طاعتك . فوالذى نفس قطرى بيده لعرفت ان مقارعة الابطال ليس كتصدير المقال ، مع أنى أرجو أن يدحض الله حجتك ، وأن يمنحنى مهجتك »

خالد بن يزيد الطائى . قال : كتب معاوية الى عدىّ بن حاتم « حاجيتك مالا ينسى » يعنى قتل عثمان . فذهب عدىّ بالكتاب الى علىّ فقال « ان المرأة لاتنسى قاتل بكرها ولا أبا عذرها » فكتب اليه عدىّ « إن ذلك منى كليلة شيباء »

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى « ياغلام ارفع ذلك الشبل » يعنى روثا . وقيل له « أين خرج هذا الجبن [1] » قال « تحت منكبى » وقيل لقتيبة « أين خرج بك هذا الخراج » قال « بين الرانفة والصفنة » قال وقيل لرقبة « مابال القرّاء أشد شئ نهمة وغلمة » قال « أما الغلمة فانهم لايزنون ، وأما النهمة فلانهم يصومون » وعرض عليه رجل الغداء فقال له « ياهذا ان أقسمت علىّ والا فدعنى » وقال مورق العجلى « ماتكلمت بكلمة فى الغضب أندم عليها فى الرضا ، وقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة فما أجابنى ولا يئست منها ، ولا أتكلم الا فيما يعنينى » قال مكتوب فى حكمة داود عليه السلام « على العاقل أن يكون عالما باهل زمانه ، مالكا للسانه ، مقبلا على شانه » قال ولما قدم الفرزدق الشام قال له جرير — وكان هناك — « ماظننت أنك تقدم بلداً أنا فيه » قال الفرزدق « انى طالما خالفت رأى العجزة » وقال يونس ابن حبيب « اذا قالوا غلب الشاعر فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلّبٌ فهو المغلوب » قال امرؤ القيس :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

وقال بعضهم :

إِنِّي امْرُؤٌ يَنْفَعُ قَوْمِي مَشْهَدِي أَذُبُّ عَنْهُمْ بِلِسَانِي وَيَدِي

---

١) الجبن : الدمل المقيح

وقال قتيبة بن مسلم « اذا غزوتم فاطيلوا الاظفار ، وقصروا الشعور » قال ونظر مخنث الى شيخ قبيح الوجه فى الطريق فقال « ألم ينهكم سليمان بن داود عليهما السلام عن الخروج بالنهار » . قال وعزى أعرابى ناساً فقال « يرحم الله فلاناً ، لقد كان كثير الاهالة ، وسم الاشداق » وقال الشاعر :

تَرَى وَدَكَ السَّدِيفِ على لِحاهُم   كلَوْنِ الرَّاءِ لَبَّدَهُ الصَّقيعُ (١)

وقال أعرابى « رحم الله فلانا ، إن كان لضخم الكاهل » ثم جلس وسكت . وقال آخر « كان والله نقى الإظفار ، قليل الاسرار » وسارّ رجل أعرابيًّا بحديث فقال « أفهمت » قال « بل نسيت »

قال واثلة بن خليفة السدوسى يهجو عبد الملك بن المهلّب :

لَقَدْ صبرَتْ لِلذُّلِّ أعوادُ مِنْبَرٍ   تقومُ عليها في يدَيكَ قَضيبُ

بكَى المِنبرُ الغَرْبِيُّ إذ قُمتَ فوقَهُ   وكادَتْ مساميرُ الحديدِ تذوبُ

رأيتُكَ لمَّا شِبْتَ أدرَكَكَ الذي   يُصيبُ سَراةَ الأزْدِ حينَ تَشيبُ

سفاهةُ أحلامٍ وبُخلٌ بنائِلٍ   وفيكَ لِمَنْ عابَ المُزونَ عيوبُ

وقد أوحشَتْ منهُمْ رَساتيقُ فارسٍ   وبالمِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ ودُروبُ

إذا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ من الجُرحِ ناسبَتْ   مَزونِيَّةً إنَّ النَّسيبَ نسيبُ

وقال بشار الاعمى فى عمر بن حفص :

ما بالُ عينِكَ دَمعُها مسكوبُ   حربَتْ فأنتَ بنومِها محرُوبُ

وكذاكَ مَنْ صحِبَ الحوادِثَ لم يزَلْ   تأتي عليهِ سلامةٌ ونكوبُ

يا أرضُ ويحَكِ أكرميهِ فإنَّهُ   لم يبقَ لِلعتَكيِّ فيكِ ضريبُ

١) الودك : الدسم . والسديف : شحم السنام . الراء : نوع من الشجر . لبده : لصق بعضه ببعض

أبقى على خشبِ المنابرِ قائماً يوماً وأحزمُ إن تشبَّ حروبُ
إنّ الرزيّةَ لا رزيّةَ مثلها يومَ ابنُ حفصٍ في الدماء خضيبُ
لا يستجيبُ ولا يحيرُ لسانهُ ولقد يحيرُ لسانهُ ويجيبُ
غلبَ العزاءُ على ابن حفصٍ والأسى إنّ العزاءَ بمثلهِ مغلوبُ
إذ قيلَ أصبحَ في المقابرِ ثاوياً عمرٌ وشُقّ لواؤهُ المنصوبُ
فظللتُ أندبُ سيفَ آلِ محمّدٍ عمراً وعزَّ هنالكَ المندوبُ
فعليكَ يا عمرُ السلامُ فإننا باكوكَ ما هبّتْ صباً وجنوبُ

قال اسمعيل بن غزوان « الاصوات الحسنة والعقول الحسان كثيرة، والبيان الجيد والجمال البارع قليل » . وذكر أبو الحارث صاحبَ مسجد ابن رغبان فقال « إن حدثته سابقك الى ذلك الحديث ، وان سكت عنه أخذ فى الترهات » . وقال أبو وهب « أنا أستثقل الكلام كما يستثقل حُريث السكوت » كما قال ابن شُبرمة لاياس بن معاوية « شكلي وشكلك لا يتفقان : أنت لا تشتهي أن تسكت وأنا لا أشتهي أن أسمع » . وقال أبو مقبل بن درست « اذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل فى منطقه ، وكان النقصان الداخل على قوله بقدر الخلة بالاستماع منه » . وقال ابن بشار البرقي : كان عندنا واحد يتكلم فى البلاغة فسمعته يقول « لو كنت أنا ليس أنا وأنا ابن من أنا منه لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه ، فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه » وقالوا « ثلاث يسرع اليهن الخلف : الحريق ، والتزويج ، والحج » قال المهلب « ليس شيء أنمى من بقية السيف » فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء . وقال على بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه « بقية السيف أنمى عددا ، وأكثر ولدا » ووجد الناس ذلك بالعيان للذى صار اليه ولده من نهك السيف ، وكثرة الذرء ، وكرم النجل . قال الله تبارك وتعالى

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب » وقال بعض الحكماء « قتل البعض احياء للجميع » وقال همام الرقاشي:

أَبلِغْ أبَا مِسْمَعٍ عَنّي مُغَلْغَلَةً[١] وَفِي العِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ

قَدَّمْتَ قَبْلِي رِجالاً لَمْ يَكُنْ لَهُمُ فِي الحَقِّ أَنْ يَلِجُوا الأَبْوَابَ قُدّامي

لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ قَبْرًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذّامِ

حَتّى جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ بِبَابِ قَصْرِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ[٢]

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج « والله لاعدنكم عداً ولاحصدنكم حصداً » فقالت « أنت تحصد والله يزرع ، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق » . ولم يظهر من عدد القتل مثل الذى ظهر فى آل أبى طالب وآل الزبير وآل المهلب . وقال الشاعر فى آل الزبير :

آلُ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ مَرَوْا بِالسُّيُوفِ صُدُورًا احِناقا[٣]

يَمُوتُونَ وَالقَتْلُ دَاءٌ لَهُمْ يُغَيثُونَ يَوْمَ السِّبَاقِ السِّبَاقَا

إِذَا فَرَّجَ القَتْلُ مِنْ عِيصِهِمْ أَبَى ذَلِكَ العِيصُ إِلّا اتِّفَاقَا[٤]

قال احترقت دار ثمامة فقالوا له « ما أسرع خلف الحريق » قال « فأنا أستحرق الله » وقال ثمامة : سمعت قاصا ببعبادان يقول فى دعائه « اللهم ارزقنا الشهادة وجميع المسلمين » قال وتساقط الذبان على وجهه فقال « الله أكبر كثر الله بكم القبور » . قال وسمع أعرابى رجلا يقرأ سورة براءة فقال « ينبغى أن يكون هذا آخر القرآن » قيل له « ولم » قال « رأيت عهودا تنبذ » . وقال أبو عبد العزيز قال الغزال القاص فى قصصه « ليت الله لم يكن خلقنى وأنا الساعة أعور » فحكيت ذلك لابى عتاب الجزار

١) رسالة مغلغلة : محمولة من بلد الي بلد ٢) أدلي برحمه وبقومه : توسل بهم ٣) يقال مرى الدم وغيره : أرسله . ومرى فلاناً مائة صوت : ضربه ٤) عيص المرء : آباؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته

فقال أبو عتاب « بئس ما قال ، وددت والله الذي لا إله إلا هو أن الله لم يكن خلقني وأني الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين » قال ولما استعدى الزبرقان على الحطيئة فأمر عمر بقطع لسانه قال الزبرقان « نشدتك الله ياأمير المؤمنين أن لا تقطعه ، فان كنت لابد فاعلا فلا تقطعه في بيت الزبرقان » قيل له « انه لم يذهب هناك ، انما أراد أن يقطع لسانه عنك برغبة أو رهبة »

وتقول العرب « قتلت أرضٌ جاهلها وقتل أرضا عالمها » وتقول « ذبحني العطش » و « المسك الذبيح » و « ركب بنو فلان الفلاة فقطع العطش أعناقهم » وتقول العرب « فلان لسان القوم ونابهم الذي يفترّون عنه » و « هؤلاء أنف القوم وخراطيمهم » و « ينسان لسان الارض يوم القيامة » و « فلان اصطلمه الوادي » و « فلان عين البلد » . قال الاصمعي قال رجل لابي عمرو بن العلاء « أكرمك الله » قال « محدثة » قال وكان أبو عون يقول « كيف أنت أصلحك الله » وكان الأصمعي يقول : قولهم « جعلت فداك » و « جعلني الله فداك » محدث . وقد روى علماء البصريين أن الحسن لما سمع صراخا في جنازة أم عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فالتفت قال له عبد الاعلى « جعلت فداك ، لا والله ما أمرت ولا شعرت » . قال الاصمعي صلى أعرابيّ فاطال الصلاة والى جانبه ناس فقالوا ماأحسن صلاته قال « وأنا مع هذا صائم »

ل الشاعر :

صَلَّى فأَعْجَبَنِي وصامَ فرَابَنِي ... عَدِّ القَلُوصَ عن المُصَلِّي الصَّائِمِ [1]

وقال طاهر بن الحسين لابي عبد الله المروزى « منذ كم صرت الى العراق ياأبا عبد الله » قال « دخلت العراق منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة » قال « ياأبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فاجبتنا عن مسألتين »

بسم الله الرحمن الرحيم . قال عوانة قال زياد بن أبيه « من سعادة الرجل أن يطول عمره ، ويرى في عدوه ما يسرّه » . قال الباهلي قيل لاعرابي « مابال المراثي أجود أشعاركم » قال « لانا نقول وأكبادنا تحترق » . قال أبو الحسن « كانت بنو أمية

١) عد القلوص : اصرفها . والقلوص من الابل : الشابة وهي دون الناقة سناً

لا تقبل الراوية الا أن يكون راوية للمراثى » قيل « ولم ذاك » قيل « لانها تدل على مكارم الاخلاق » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « من خير صناعات العرب الابيات يقدّمها الرجل بين يدى حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم » وقال شعبة : كان سماك بن حرب اذا كان له الى الوالى حاجة قال فيه أبياتا ثم يسأله حاجته

قال أبو الحسن كان شظاظ لصاً فاغار على قوم من العرب فطرد نعمهم فساقها ليلته حتى أصبح ، فقال رجل من أصحابه « لقد أصبحنا على قصد من طريقنا » قال « إن المحسن معان »

وقال أبو الحسن : أربى غلام من بنى علىّ على عبد الملك — وعبد الملك يومئذ غلام — فقال له كهل من كهولهم لمّا رآه ممسكا عن جواب المربى عليه « لو شكوته الى عمه انتقم لك منه » قال « أمسك يا كهل ، فانى لا أعدّ انتقام غيرى إنتقاما » قال أبو الحسن : خاض جلساء عبد الملك يوما فى قتل عثمان فقال رجل منهم « يا أمير المؤمنين ، فى أىّ سنك كنت يومئذ » قال « كنت دون المحتلم » قال « فما بلغ من حزنك عليه » قال « شغلنى الغضب له عن الحزن عليه »

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا اشترى رقيقا قال « اللهم ارزقنى أنصحهم حياء وأطولهم عمراً » وكان اذا استعمل رجلا قال « إن العمل كير ، فانظر كيف تخرج منه »

قال ومضى أبو عبد الله الكرخى الى الربض فجلس على بابه ونفش لحيته وادّعى الفقه ، فوقف عليه رجل فقال له « إنى أدخلت اصبعى فى أنفى فخرج عليها دم » فقال « إحتجم » قال « جلست طبيباً أو فقيها » . قالوا : بينا الشعبى جالس فى مجلسه وأصحابه يناظرونه فى الفقه واذا شيخ بقربه قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسه فقال له « إنى أجد فى قفاى حكةً أفترى لى أن أحتجم » قال الشعبى « الحمد لله الذى حوّلنا من الفقه الى الحجامة » . قال وذكر ناس رجلا بكثرة الصوم وطول الصلاة وشدّة الاجتهاد فقال أعرابى كان شاهداً لكلامهم « بئس الرجل هذا أيظن أن الله

لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب »

وقال ابن عون « أدركت ثلاثة يتشدّدون فى السماع وثلاثة يتساهلون فى المعانى: فأمّا الذين يتساهلون فالحسن والشعبى والنخعى ، وأما الذين يتشددون فمحمد ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حَيْوَة »

وقال رجل من أصحاب ابن لهيعة « مارأيت أحسن أدبا من عبد الله بن المبارك والمعافى بن عمران » قال أبو الحسن حدثنى عبد الاعلى قال رأيت الطِّرِمّاحَ مؤدِّبا بالرىّ ، فلم أر أحدا آخذ لعقول الرجال ولا أجذب لاسماعهم الى حديثه منه . ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده كانهم قد جالسوا العلماء »

قال : كان رجل يبلغه كلام الحسن البصرى ، فبينا الرجل يطوف بالبيت اذ سمع رجلا يقول « عجبا لقوم أمروا بالزاد ، ونودى فيهم بالرحيل ، وجسس [1] أولهم على آخرهم » قال : فقلت فى نفسى « هذا الحسن »

قال وأربعة من قريش كانوا رواة الناس للاشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار: مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف ، وحويطب بن عبد العزّى ، وعقيل بن أبى طالب

وكان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس ، فعادوه لذلك ، وقالوا فيه وحمقوه ، وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول « قد سمعت الرجل يحمقه » حتى ألّف بعض الاعداء فيه الاحاديث . فنها قولهم « ثلاثة حمقاء كانوا اخوةَ ثلاثةٍ عقلاء والام واحدة : علىّ وعقيل وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وعتبة ومعاوية ابنا أبى سفيان وأمهما هند بنت عتبة بن ربيعة ، وعبد الملك ومعاوية بن مروان وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى » . فكيف وجعدة بن هبيرة يقول:

أبى من بنى مَخزُومَ إنْ كنتَ سائلاً ... وَمنْ هاشمٍ أُمّي لخيْرِ قبيلِ
فمَنْ ذَا الّذِى يَبْأَى علىّ بخالِهِ [2] ... وَخالى علىٌّ ذُو النّدَى وَعَقيلُ

---

١) خ : وحبس ٢) البأى : الفخر

وقال قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون :

وخالي بُغاةُ الخيرِ تعلمُ أنّهُ ... جديرٌ بقولِ الحقّ لا يتوعّرُ (١)
وجدّي عليٌّ ذو التُّقى وابنُ أمّهِ ... عقيلٌ وخالي ذو الجناحين جعفرُ
فنحنُ وُلاةُ الخيرِ في كلّ موطنٍ ... إذا ما ونى عنهُ رجالٌ وقصّروا

وقال حسان :

إنّ خالي خطيبُ جابيةِ الجَوْ ... لانِ عندَ النُّعمانِ حين يقومُ (٢)
وهوَ الصقرُ عندَ بابِ ابنِ سلمى ... يومَ نُعمانُ في الكُبُولِ سقيمُ (٣)
وسطتْ نسبتي الذّوائبَ منهمْ ... كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيمُ (٤)
وأبي في سُمَيحةَ القائلُ الفا ... صلُ يومَ التفّتْ عليهِ الخصومُ (٥)
يَفصلُ القولَ بالبيانِ وذو الرأْ ... يِ منَ القومِ ظالعٌ مكعومُ (٦)
تلكَ أفعالُهُ وفعلُ الزّبعرى ... خاملٌ في صديقهِ مذمومُ (٧)
رُبَّ حِلمٍ أضاعَهُ عدمُ الما ... لِ وجهلٍ غطّى عليهِ النّعيمُ
ولىَ النّاسَ منكمْ إذا أبيتمْ ... أسرةٌ من بني قصيٍّ صميمُ

---

١) توعر الرجل : تشدد . وتوعر في كلامه تحير ٢) جابية الجولان قرية من أعمال دمشق في شمالي حوران وفيها خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة . وباب الجابية من أبواب دمشق منسوب اليها . وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال « أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام وأرواح الكفار في برهوت من أرض حضرموت » . وقال حسان أيضا :

منعنا رسول الله اذحل وسطنا ... على أنف راض من معد وراغم
بيبت حريد عزه وثراؤه ... بجابية الجولان بين الاعاجم

٣) الكبول : جمع كبل وهو أعظم مايكون من القيود ٤) وسطت نسبتي : أى أنا شريف في نسبي . وذؤابة النسب والشرف : أعلاه ٥) سميحة : اسم بئر في المدينة ٦) الظالع : المتهم . والمكعوم : البعير الذي يشد فاه لئلا يعض ٧) الزبعري : السيء الخلق

وقُرَيْشٌ تجولُ منّا لِواذًا أنْ يُقيموا وخفّ منها الحلومُ (١)

لم تُطِقْ حملَهُ العواتِقُ منهم إنّما يحمِلُ اللّواءَ النُّجومُ

وكان عقيل رجلاً قد كُفَّ بصره وله بعدُ لسانه ونسبه وأدبه وجوابه ، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول ، وغاضب عليا وأقام بالشام فكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغي والحاسد فيه . وزعموا أنه قال له معاوية « هذا أبو يزيد ، لولا أنه علم أني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه » فقال له عقيل « أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي » . وقال له مرة « أنت معنا يا أبا يزيد » قال « ويوم بدر قد كنت معكم » . وقال معاوية يوماً « يا أهل الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه تبت يدا أبي لهب وتب » قالوا « نعم » قال « فان أبا لهب عمه » فقال عقيل « فهل سمعتم قول الله عز وجل : وامرأته حمالة الحطب » قالوا « نعم » قال « فانها عمته » قال معاوية « حسبنا ما لقينا من أخيك » . وذكروا أن امرأة عقيل وهي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة قالت « يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً . أين أبي ، أين عمي ، أين أخي ، كأن أعناقهم أباريق الفضة ترد أنفهم قبل شفاههم » قال لها عقيل « إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك »

وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه « فلان لا يعرف الشر » قال « ذلك أجدر أن يقع فيه » . قال وسمع أعرابي رجلاً يقرأ « وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر » قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي « لا يكون » فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء فقال الأعرابي « يكون »

---

## ﴿ باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء ﴾

قال الشاعر :

بدا البرقُ من نحوِ الحجازِ فشاقني وكلُّ حجازيٍّ له البرقُ شائقُ

---

١) لاذ فلان بفلان لواذا : استتر به . ولوذ الشيء : قرابته

سرى مثل نبض العرق والليل دونه ... وأعلام أبلى كلها والأسالق [1]

وقال الآخر:

أرقت لبرق آخر الليل يلمع ... سرى دائباً فيها يهب ويهجع

سرى كاحتساء الطير والليل ضارب ... بأرواقه والصبح قد كاد يسطع

حدثني ابراهيم بن السندي عن أبيه قال: دخل شاب من بني هاشم على المنصور فسأله عن وفاة أبيه قال «مرض أبي رضي الله تعالى عنه يوم كذا، ومات رضي الله تعالى عنه يوم كذا، وترك رضي الله تعالى عنه من المال كذا ومن الولد كذا» فانتهره الربيع وقال «بين يدي أمير المؤمنين توالى بالدعاء لابيك» فقال الشاب «لا ألومك لانك لم تعرف حلاوة الآباء» قال فما علمنا أن المنصور ضحك في مجلسه ضحكا قط افتر عن نواجذه إلا يومئذ. وحدثني ابراهيم بن السندي عن أبيه قال: دخل شاب من بني هاشم على المنصور فاستجلسه ذات يوم ودعا بغدائه فقال للفتى «أدنه» فقال «قد تغديت يا أمير المؤمنين» فكف عنه الربيع حتى ظننا أنه لم يفطن لخطائه، فلما نهض للخروج أمهله فلما كان من وراء الستر دفع في قفاه، فلما رأى ذلك الحجاب منه دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار، فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع الى المنصور، فقال المنصور «ان الربيع لا يقدم على مثل هذا إلا وفي يديه حجة، فان شئتم أغضيتم على ما فيها وإن شئتم سألته وأنتم تسمعون» قالوا «فاسأله» ودعا الربيع وقصوا قصته فقال الربيع «هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف» فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلم عليه من قريب. ثم أمره بالجلوس. ثم تبذل بين يديه وأكل ثم دعاه الى طعام ليأكل معه من مائدته فبلغ به الجهل بفضيلة المرتبة التي صيره فيها الى أن قال حين دعاه الى غدائه: قد تغديت. واذا ليس عنده لمن تغدى مع

---

١) إذا مضيت من المدينة مصعدا الى مكة فتميل الى واد يقال له (عريفطان معن) تكون حذاءه جبال يقال لها (أبلى) فيها آبار كثيرة هي قنان متصل بعضها ببعض. وبعد هذين البيتين قوله:

فوا كبدي مما ألاقي من الهوى ... اذا حن الف أو تألق بارق

أمير المؤمنين الا بسدّ خلة الجوع . ومثل هذا لا يقوّمه القول دون الفعل » . حدثنى ابراهيم بن السندى عن أبيه قال : والله انى لواقف على رأس الرشيد، والفضل بن الربيع واقف فى الايسر، والحسن اللؤلؤى يسائله و يحدثه عن أمور . وكان آخر ماساله عن بيع أمهات الاولاد ، فلولا أنى ذكرت أن سلطان ماوراء الستر للحاجب وسلطان الدار لصاحب الحرس وأن سلطانى انما هو على من خرج من حدود الدار لقد كنت أخذت بضبعه وأقمته . فلما أن صرنا وراء الستر قلت له والفضل يسمع « أما والله لو كان هذا منك فى مسايرة أو موقف لعلمت أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجالسك » . وحدثنى ابراهيم بن السندى قال : بينا الحسن اللؤلؤى فى بعض الليالى بالرقة يحدث المامون — والمامون يومئذ أمير — اذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤى « نمت أيها الامير » ففتح المامون عينه وقال « سوقى والله ، خذ ياغلام بيده » قال وكنا يوما عند زياد ابن محمد بن منصور بن زياد — وقد هيأ لنا الفضل بن محمد طعاما ، ومعنا فى المجلس خادم وكان لايتهم — فجاء رسول الفضل الى زياد فقال « يقول لك أخوك قد أدرك طعامنا ، فتحولوا » ومعنا فى المجلس ابراهيم النظام وأحمد بن يوسف وقطرب النحوى فى رجال من أدباء الناس وعلمائهم فما منا أحد فطن لخطأ الرسول ، فاقبل عليه مبشر الخادم فقال « ياابن اللخناء ، تقف على رأس سيدك فتستفتح الكلام كما يستفتحه الرجل من عرض الناس ، ألا تقول : ياسيدى يقول لك أخوك ترى أن تصير الينا باخوانك فقد تهيأ أمرنا » . واتبعت خادما كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباه الملوك ، فمر به خادم من معارفه ممن قد خدم الملوك فقال « ان الاديب — وان لم يكن ملكا — فقد يجب على الخادم أن يخدمه خدمة الملوك ، فانظر أن تخدمه خدمة تامة » قلت له « وما الخدمة التامة » قال « الخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الامر و بينك و بين النعل ممشى خمس خطا فلا يدعك أن تمشى اليها ولكن ياخذها و يدنيها منك . ومن كان يضع النعل اليسرى قدام الرجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هذا أن يدخل دار ملك ولا أديب . ومن الخدمة التامة أن يكون اذا رأى متكئا يحتاج الى مخدّة أن لاينتظر أمرك . و يتعاهد ليقة الدواة قبل أن تامره أن يصب فيها ماء أو سوادا

وينفض عنها الغبار قبل أن يأتيك بها . وان رأى بين يديك قرطاسا على طية قطع رأسه ووضع بين يديك على كسره وأشباه ذلك » . قال ولما كلم عروة بن مسعود الثقفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى ذلك ربما مس لحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال له المغيرة بن شعبة « نحّ يدك عن لحية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن لاترجع اليك يدك » فقال عروة « ياغدر ، وهل غسلت رأسك من غدرتك الا بالامس » . قال ونادى رجال من وفد بنى تميم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه من وراء الحجرات [ فقال الله تعالى : ان الذين ينادونك من وراء الحجرات] أكثرهم لايعقلون . وقال الله عزوجل ذكره «لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » . وقال ابن هرمة أوغيره :

لِلّهِ دَرُّ سَمَيْذَعٍ فَجَعَتْ بِهِ ... يَوْمَ البَقِيعِ حَوَادِثُ الأَيَّامِ
هَشٍّ إِذَا نَزَلَ الوُفُودُ بِبَابِهِ ... سَهْلِ الحِجابِ مُؤَدَّبِ الخُدَّامِ
فَإِذَ رأيتَ شَقيقَهُ وصَدِيقَهُ ... لمْ تدرِ أيُّهما أخُو الأرْحامِ

قال أبو الحسن بينا هشام يسير ومعه أعرابى اذ انتهى الى ميل عليه كتاب فقال للاعرابى « أنظر أىّ ميل هذا » فنظر ثم رجع اليه فقال « عليه محجن وحلقة وثلاثة كاطباء الكلبة [1] ورأس كانه رأس قطاة » فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الاعرابى وكان عليه « خمسة » وهى من نوادر الاعراب . استشهدوا أعرابيا على رجل وامرأة فقال « رأيته قد تقمّصها ، يحفرها بمؤخره ويجذبها بمقدمه ،وخفى علىّ المسلك » وقال آخر « رأيته قد تبطنها ، ورأيت خلخالها شائلا ، وسمعت نفَسا عاليا ، ولا علم لى بشىء بعدُ » . وقال أعرابى « رأيت هذا قد تناول حجراً فالتف بهذا وحجز الناس بينهم ، واذا هذا يستدمى » .

وقال بعضهم « الشيب نذير الآخرة » وقال قيس بن عاصم « الشيب خطام المنية » وقال آخر « الشيب توأم الموت » وقال الحكيم « شيب الشعر موت الشعر ،

١) الاطباء : جمع طبي وهو ثدى ذوات الخف والظلف والحافر

وموت الشعر علة موت البشر » وقال المعتمر بن سليمان « الشيب أول مراحل الموت » وقال السهمى « الشيب تمهيد الحِمام » وقال العتابى « الشيب تاريخ الكتاب » وقال النمرى « الشيب عنوان الكبر » وقال عدى بن زيد العبادى :

وابيضاضُ السَّوادِ من نُذُرِ الشَّرِّ وهلْ مِثْلُهُ لِحَيٍّ نذيرُ

وقال الآخر :

أصبحَ الشيْبُ في المَفارِقِ شاعا وَاكْتَسَى الرَّأسُ من بياضٍ قِناعا

ثمَّ وَلَّى الشَّبابُ إلاَّ قليلاً ثمَّ يأتى القَليلُ إلاَّ نزاعا

قال وقال رجل لاشعب « ماشكرت معروفى عندك » قال « لان معروفك جاء من عند غير محتسب فوقع الى غير شاكر » . وخفف أشعب الصلاة مرة فقال له بعض أهل المسجد « خففت صلاتك جداً » فقال « لانه لم يخالطها رياء »

---

﴿ كلام بعض المتكلمين من الخطباء ﴾

الحمد لله كما هو أهله ، والسلام على أنبيائه المقربين الطيبين . أخى ، لا تغترَّن بطول السلامة مع تضييع الشكر ، ولا تعملن نعمة الله فى معصيته ، فان أقلّ مايجب لمهديها ألاّ يجعلها ذريعة فى مخالفته . واعلم أن النعم نوافر ، ولقلّما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها . فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم الراهن منها بكرم الجوار ، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، ولا تحسب أن سبوغ ستر نعم الله عليك غير متقلّص عما قريب اذا لم ترج لله وقاراً . وانى لاخشى أن ياتيك أمر الله بغتة أو لاملاء ، فهو أولى مغبّة وأثبت فى الحجة . ولأن لا تعلم ولا تعمل خيرٌ من أن تعلم ولا تعمل : إن الجاهل العامل لم يؤت من سوء نية ، ولا استخفاف بربوبية . وليس كمن قهرته الحجة ، وأعرب له الحق مفصحا عن نفسه ، فآثر الغفلة والخسيسَ من الشهوة على الله تبارك وتعالى ، فاسمحت نفسه عن الجنة وأسلمها لأبد العقوبة . فاستشر عقلك ، وراجع نفسك ، وادرس نعم الله عليك ، وتذكر إحسانه اليك ، فانه مجلبة للحياء ومردعة للشهوة ومشحذة على الطاعة ، فقد أظل البلاء أو كانْ قدْ .

فكفكف عنك غرب شؤبوبه وجوائح سطوانه بسرعة النزع وطول التضرع . ثلاث هى أسرع فى العقل من النار فى يبيس العرفج : اهمال الفكرة ، وطول التمنى ، والاستغراب فى الضحك . ان الله لم يخلق النار عبثا ، ولا الجنة هملا ، ولا الانسان سدى . فاعترف رق العبودية ، وعجز البشرية . فكل زائد ناقص ، وكل قرين مفارق ، وكل غنىّ محتاج ، وان عصفت به الخيلاء ، وأبطره العجب ، وصال على الاقران ، فانه مذال مدبّر ومقهور ميسر . إن جاع سخط المحنة ، وان شبع بطر النعمة . ترضيه اللمحة فيستشرى مرحا ، وتغضبه الكلمة فيستطير شفقا . حتى تنفسخ لذلك منّته ، وتنتقض مريرته ، وتضطرب فريصته ، وتنتشر عليه حجته . وللعجب من لبيب توبقه الحياطة ، ويسلم مع الاضاعة ، ويؤتى من الثقة ، ولا يشعر بالعاقبة . ان أهمل عمى ، وان علم نسى . كيف لم يتخذ الحق معقلا ينجيه ، والتوكل ذائدا يحميه . أعمىً عن الدلائل وعن وضوح الحجة ، أم آثر الخسيس على الاجلّ النفيس . وكيف توجد هذه الصفة مع صحة العقيدة واعتدال الفطرة ، وكيف يشير رائد العقل بايثار القليل الفانى على الكثير الباقى . وما أظن الذى أقعدك عن تناول الحظ مع قرب مجناه — حتى صار لا يثنيك زجر الوعيد ، ولا يقدح فى عزماتك فوت الجنّة ، وحتى ثقلت على سمعك الموعظة ، ونأت عن قلبك العبرة — الا طول مجاورة التقصير ، واعتياد الراحة ، والانس بالهوينا ، وايثار الاخفّ ، وإلف قرين السوء . فاذكر الموت وأدم الفكرة فيه ، فان من لم يعتبر بما رأى لا يعتبر بما لا يرى . وان كان مايوجد بالعيان من مواقع العبرة لا يكشف لك عن قبيح ماأنت عليه ، وهجنة ماأصبحت فيه — من ايثار باطلك على حق الله ، واختيار الوهن على القوة ، والتفريط على الحزم ، والاشفاق على الدون ، واصطناع العار ، والتعرض للمقت ، وبسط لسان العائب — فمستنبطات الغيب أحرى بالعجز عن تحريكك ونقلك عن سوء العادة التى آثرتها على ربك . فاستحي للبـك ، واستبق ماأفضل الخذلانُ من قوّتك ، قبل أن يستولى عليه الطبع ، ويشتد عليه العجز . أو ماعلمت أن المعصية تثمر المذلة ، وتفل غرب اللسان مع السلاطة . بل ما علمت أن المستشعر بذل الخطيئة ، المخرج نفسه من كنف العصمة ، المتحلى بدنس الفاحشة ،

نطف الثناء ، زمر المروءة ، قصى المجلس[١] . لا يشاوَر وهو ذو بذلاء ، ولا يصدَّر وهو جميل الرواء . يسالم من كان يسطو عليه ، و يضرع لمن كان يرغب اليه . يجـذل بحاله المبغض الشانى ، و يثلب بقربه القريب الدانى . غامض الشخص ، ضئيل الصوت ، نزر الـكلام ، متلجلج الحجـة ، يتوقع الاسكات عند كل كلمة . وهو يرى فضـل مزيته ، وصريح لبه ، وحسن فضيلته ، ولـكن قطعه سوء ماجنى على نفسه . ولو لم تطّلع عليه عيون الخليقة ، لهجت العقول باذهانه . وكيف يمتنع من سقوط القدر وظن المتفرس من عَرِيَ من حليـة التقوى ، وسلب طائع الهدى . ولو لم يتغشـه ثوب سريرته ، وقبيح مااحتجن اليه من مخالفة ربه ، لاضرعتـه الحجة ، ولفسـخه وهن الخطيئة ، ولقطعه العلم بقبيح ماقارف عن اقتـدار ذوى الطهارة فى الكلام ، وادلال أهل البراءة فى النداء . وهذه حال الخاطئ فى عاجل الدنيا ، فاذا كان يوم الجزاء الاكبر فهو عان لا يفك ، وأسير لا يفادى ، وعارية لا تؤدى . فاحذر عادة العجز ، و إلف الفكاهة وحب الـكفاية ، وقلة الاكتراث للخطيئة ، والتأسف على الفائت منها ، وضعف الندم فى أعقابها . أخى أنعى اليـك القاسى ، فانه ميت وان كان متحركا ، وأعمى وان كان رائيا . فاحـذر القسوة فانها رأس الخطايا ، وامارة الطبع . وهى الشوهاء العاقر ، والداهية العقام . وأراك تركض فى حبائلها ، وتستقبس من شررها . ولا بأس أن يعظ المقصّر مالم يكن هاذيا ، ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، و ربّ حامل علم الى من هو أعلم منه . علّمنا الله وايا كم مافيه نجاتنا ، وأعاننا وايا كم على تادية ما كلفنا ، والسلام »

قال وقلت لحباب « انك تـكذب فى الحديث[٢] » فقال « وما عليـك اذا كان الذى أزيد فيه أحسن منه ، فوالله ماينفعك صدقه ، ولا يضرك كذبه ، ومايدور الامر الا على لفظ جيـد ومعـنى حسن . ولـكنك والله لو أردت ذلك لتلجلج لسانك ، وذهب كلامك »

قال أبو الحسن سمع أعرابى رجـلا يقول « أشهد أن محمـدا رسول الله » قال

---

١) نطف فلان فلانا : قذفه بالفجور . والزمر : القليل المروءة

٢) يريد حديث الناس لا الحديث النبوى

« يفعل ماذا » قال وكان يقال أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره »

أبو الحسن قال : قرأ رجل فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم » فقال الاعرابى « لا يكون »

قال ودخل على المهدى صالح بن عبد الجليل فساله أن ياذن له فى الكلام فقال « تكلم » فقال « انّا لما سهل علينا ماتوعّر على غيرنا من الوصول اليك قمنا مقام ادلأ اء عنهم وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باظهار مافى أعناقنا من فريضة الامر والنهى عند انقطاع عذر الكتمان فى التقية ، ولا سيما حين اتسمتَ بميسم التواضع ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ماسواه ، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ، ليتم مؤدينا على موعود الاداء عنهم وقابلنا على موعود القبول ، أو يردنا تمحيص الله ايانا فى اختلاف السر والعلانية ويحلينا بحلية الكاذبين . فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون « من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل » وأشد منه عذاباً من أقبل اليه العلم وأدبر عنه . ومن أهدى الله اليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها . فاقبل ماأهدى الله اليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لاقبولا فيه سمعة ورياء ، فانه لايخلفك منا إعلام لما تجهل أو مواطأة على ماتعلم أو تذكير لك من غفلة ، فقد وطّن الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نزولها تعزية عما فات وتحصينا من التمادى ودلالة على المخرج فقال « وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » فاطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إيثار الحق ومنابذة الاهواء ، فانك ان لم تفعل ذلك يُرى أثرك وأثرُ الله عليك فيه . ولا حول ولا قوة الا بالله »

قال ودخل رجل على معاوية وقد سقطت أسنانه فقال « يا أمير المؤمنين ، إن الاعضاء يرث بعضها بعضا . فالحمد لله الذى جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك »

وحدثنا اسماعيل بن عُليَّةَ قال حدثنا زياد بن أبى حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك فلما سوّى عليه قبره بالارض وجعلوا على قبره خشبتين

من زيتون إحداهما عند رأسه والاخرى عند رجليه ثم جعل قبره بينه و بين القبلة واستوى قائما وأحاط به الناس قال « رحمك الله يابنى فقد كنت براً بابيك ، وما زلتُ مذ وهبك الله لى بك مسرورا ، ولا والله ماكنت قط مسروراً بك ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى الموضع الذى صيرك الله اليه . فغفر الله لك ذنبك وجازاك باحسن عملك وتجاوز عن سيآتك ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لامره ، فالحمد لله رب العالمين » ثم انصرف (١)

وحدثنى محمد بن عبيد بن عمر قال أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه قال قال لى عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة : جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن ، كثير العيال ، منتشر الاموال . فكنت لا أكون فى قبيلة الاشهر أمرى . فلما رأيت ذلك عزمت على أن افدى حرمى بنفسى . قال المبارك فارسل إلىّ ان وافنى عند باب الامير سليمان بن عبد الملك . قال : فاتيته ، فاذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشى مسدولة . قال فقلت : ياسبحان الله ما تصنع الحداثة باهلها ، إن هذا ليس من لباس هذا اليوم . قال : ولا والله ، لكن ليس عندى ثوب إلا أشهى ماترى . قال : فاعطيته طيلسانى واخذت طيلسانه ، ولويت سراويله الى ركبتيه . قال : فدخل ثم خرج الىّ مسروراً . قال فقلت له : حدثنا ماجرى بينك و بين الامير . قال : دخلت عليه — ولم يرنى قبل ذلك — فقلت « أصلح الله الامير لفظنى البلاء اليك ، ودلنى فضلك عليك ، فاما قبلتنى غانما ، وإما رددتنى سالما » قال « من أنت أعرفك » قال فانتسبت له فقال « أقعد فتكلم غانما سالما » ثم أقبل على فقال « حاجتك يابن أخى » قال فقلت « ان الحرم اللاتى أنت أقرب الناس اليهن معنا ، وأولى الناس لهن بعدنا ، قد خفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه » قال : فوالله ماأجابنى الا بدموعه ، فقال « يابن أخى ، يحقن الله دمك ، ويحفظ حرمك ، ويوفر عليك مالك . ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت » قال فقلت « أ كون متواريا أو ظاهراً » فقال « كن متوارياً كظاهر » فكنت والله أكتب اليه كما يكتب الرجل الى أبيه وعمه . قال : فلما فرغ

---

١) راجع ص ٢٦٤ وما بعدها من سيرة عمر بن عبد العزيز

من الحديث رددت اليه طيلسانه فقال « مهلا ، إن ثيابنا اذا فارقتنا لم ترجع الينا »

ومن أحاديث النوكى حدثت عن أبى سعيد الرفاعى أنه سئل عن الدنيا والدايسة فقال « أما الدنيا فهذه التى أنتم فيها . وأما الدايسة فهى دار بائنة من هذه الدار لم يسمع أهلها بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، إلا أنه قد صح عندنا أن بيوتهم من قثاء وسقوفهم من قثاء وأنعامهم من قثاء وخيلهم من قثاء وهم فى أنفسهم من قثاء وقثاؤهم أيضاً من قثاء » قالوا له « يا أبا سعيد ، زعمت أن أهل تلك الدار لم يسمعوا بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ، وأراك تخبرنا عنهم باخبار كثيرة » قال « فمن ثمة أعجب زيادة »

قالوا : ذم رجل عند الاحنف الكماة بالسمن فقال « رب ملوم لاذنب له »

عبد الله بن مسلم عن شيبة بن عقال أن رجلا قال فى مجلس عبيد الله بن زياد « ماأطيبُ الاشياء » فقال رجل « ماشىء أطيب من تمرة برسيان[1] ، كانها من آذان النوكى عليتها بزبدة » وقال أوس بن حار لابن عامر :

ظَلَّتْ عُقابُ النُّوكِ تَخْفِقُ فَوْقَهُ … رِخْوٌ طفَاطِفُهُ قَدِيمُ المَلْعَبِ[2]
قَدْ ظَلَّ يُوعِدُنِى وَعَيْنُ وَزِيرِهِ … خَضْرَاءُ خاشِعَةٌ كَعَيْنِ العَقْرَبِ

يعنى بوزيره عبد الله بن عمير الليثى وكان أخاه لامه ، أمهما[3] دجاجة بنت أسماء السلمية . وقال ابن مناذر فى خالد بن عبد الله بن طليق الخزاعى ، وكان المهدى استقضاه وعزل عبيد الله بن الحسن العنبرى :

أَتَى دَهْرُنا وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ … بِآبِدَةٍ وَالدَّهْرُ جَمُّ الأَوَابِدِ
بِعَزْلِ عُبَيْدِ اللهِ عَنّا فَيالَهُ … خِلاً فَوَّ باسْتِعْمالِ ذِى النُّوكِ خالِدِ
بِحَيْرانَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ تَصُدُّهُ … خِيانَةُ سَلاَّمٍ وَلِحْيَةُ قائِدِ

---

١) برسيان : ضرب من التمر ٢) العقاب : طائر من الجوارح يشبه النسر . والنوك : جمع أنوك وهو الاحمق . رخو : هش . الطفاطف : جمع طفطفة وهى الخاصرة أو اللحم المضطرب ٣) خ : أمها

أذلكَ من رَيْبِ الزّمانِ وَصَرْفِهِ وأحداثِهِ أمْ نحنُ في حُلمٍ رَاقِدِ

وقال أيضاً :

قُلْ لِأميرِ المؤمنينَ الّذي من هاشمٍ في سِرِّها واللُّبابْ

إنْ كُنتَ لِلسّخطَةِ عاقبْتَنا بخالدٍ فهوَ أشدُّ العذابْ

أصَمُّ أعمى عنْ سَبيلِ الهُدَى قدضربَ الجهلُ عليهِ بالحِجابْ

ياعَجباً من خالدٍ كيفَ لاَ يُخطِي فينا مَرّةً بالصّوابْ

وقال :

خالدٌ يحكمُ في النّاسِ بحُكْمِ الجاثليقْ[1] ياأبا الهيثمِ ما كُنتَ لهذا بخَليقْ

لاَ ولاَ كُنْتَ لِما حُمّلْتَ منهُ بِمُطيقْ أيُّ قاضٍ أنتَ للظُّلمِ وتعطيلِ الحقُوقْ

وقال :

يقطَعُ كَفَّ القاذفِ المُفتَري وَيجلِدُ اللِصَّ ثمانينا

سقْياً وَرَعْياً لكَ من حاكمٍ يُحْيي لنَا السُّنّةَ وَالدِّينا

وقال زهرة :

ياقومُ من دَلَّ على عالِمٍ يَعلَمُ ما حدُّ حُرٍّ سارِقِ

وقال آخر :

وَإنّي لمضّاءٌ على الهوْلِ وَاحداً وَلوْ ظَلّ ينهانِي أُخَيفِشُ شَاحِجُ[2]

تُشَبَّهُ للنّوكَى أمورٌ كثيرةٌ وَفيها لِأكْياسِ الرّجالِ مَخارِجُ

---

١) الجاثليق : رئيس الاساقفه ٢) الاخيفش : مصغر الاخفش وهو الضعيف البصر . وشحج البغل والغراب : غلظ صوتهما

وقال آخر :

ولا يعرِفونَ الشَّرَّ حتَّى يُصِيبَهُمْ ‏ ‏ وَلا يعرِفونَ الامْرَ إلاَّ تَدَبُّرَا

غيره :

إذَا ظَعَنُوا عنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعاذَلُوا ‏ ‏ عليها وَرَدُّوا وَفْدَهُمْ يَسْتَقِيلُها

وقال النابغة :

وَلا يَحْسَبونَ الخَيْرَ لاشرَّ بعْدَهُ ‏ ‏ وَلا يَحْسَبونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ

والعرب تقول « أخزى الله الرأى الدبرى » وقالوا : وجّه الحجاج الى مطهر بن عمار بن ياسر عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، فلما كان بحلوان أتبعه الحجاج مددا ، وعجل عليه بالكتاب مع تحيت الغلط — وإنما قيل له ذلك لكثرة غلطه — فمر تحيت بالمدد وهم يعرضون بخانقين ، فلما قدم على عبد الرحمن قال له « أين تركت مددنا » قال « تركتهم يخنقون بعارضين » قال « أو يعرضون بخانقين » قال « نعم ، اللهم لاتخانق فى باركين » ولما ذهب يجلس ضرط . وكان عبد الرحمن أراد أن يقول « ألا تغدى » فقال « ألا تضرط » قال « قد فعلت أصلحك الله » قال « ما هذا أردت » قال « صدقت ، ولكن الامير غلط كما غلطنا » فقال « أنا غلطت من فمى وغلط هو من أسته »

﴿ باب من البله الذى يعترى من قِبَل العبادة ﴾

( وترك التعرض للتجارب )

وهو كما قال أبو وائل « أسمعكم تقولون : الدانق والقيراط ، فايما أكثر » قالوا : وكان عامر بن عبد الله بن الزبير فى المسجد ـ وكان قد أخذ عطاءه ـ فقام الى منزله ونسيه ، فلما صار فى منزله وذكره بعث رسولا ليأتيه به فقال له « وأين تجد ذلك المال » قال « سبحان الله ، أو يأخذ أحد ماليس له » أبو الحسن قال قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيرى : سرقت نعل عامر بن عبد الله الزبيرى فلم يتخذ نعلا حتى مات وقال « أكره أن أتخذ نعلا فلعل رجلا أن يسرقها فيأثم » وقالوا : ان الخلفاء والائمة

أفضل من الرعية ، وعامة الحكام أفضل من المحكوم عليهم ولهم ، لانهم أفقه فى الدين وأقوم بالحقوق وأردّ على المسلمين ، وعلمهم بهذا أفضل من عبادة العباد ، ولان نفع ذلك لايعدو قمم رؤسهم ونفع هؤلاء يخص و يعم ، والعبادة لاتدلّه ولا تورث البله الا لمن آثر الوحدة وترك معاملة الناس ومجالسة أهل المعرفة ، فمن هناك صاروا بلهاً ، حتى صار لايجئ من أعبدهم حاكم ولا امام ، وما أحسن ماقال أيوب السختيانى حيث يقول « فى أصحابى من أرجو دعوته ولا أقبل شهادته » فاذا لم يجز فى الشهادة كان من أن يكون حاكما أبعد . وقال الشاعر :

وَعاجِزُ الرَّأْيِ مِضْياعٌ لِفُرْصَتِه ... حتىَّ إذَا فاتَ أمْرٌ عاتَبَ القَدَرَا

ومن غير هذا الباب قوله :

إذا ما الشَّيخُ عُوتِبَ زَادَ شَرًّا ... وَيَعْتِبُ بعدَ صَبْوَتِهِ الوَليدُ

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه « من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج » وقال الشاعر :

إذَا تضَايَقَ أمرٌ فانتَظِرْ فرَجاً ... فأضيَقُ الاَمْرِ أدْناهُ منَ الفَرَجِ

وقال الفرزدق :

إني وَسعدًا كالحُوَارِ وَأمِّهِ ... إذَا وَطِئَتْهُ لمْ يَضِرْهُ اعتِمادُهَا (١)

وقال أعرابى :

تُعلِّمُنى بالعيْشِ عِرْسِى كأنَّما ... تبصِّرُ فى الاَمْرِ الَّذِي أناجاهِلُهْ

يَعيشُ الفَتَى بالفقْرِ يوماً وَبالغِنَى ... وَكلٌّ كأنْ لمْ يلْقَ حينَ يُزَايِلُهْ

وقال آخر :

شَهِدْتُ وَبيتِ اللهِ أنَّكَ بارِدُ الثَّـ ... ـنايا لذِيذٌ لَثْمُها حينَ تُلْثَمُ

---

١) الحوار : ولد الناقة من حين يرضع الي أن يعظم

وقال غيره :

اللهُ يَعلَمُ يا مُغيرَةَ أنني ... قد دُستُها دَوسَ الحِصانِ الهَيكَلِ (١)

وأخذتُها أخذَ المُقصِّبِ شاتَهُ ... عَجلانَ يَشويها لقومٍ نُزّلِ (٢)

وقال آخر :

شَهِدتُ وبيتِ اللهِ أنكَ باردُ الثَّـ ... نايا وأنّ الكَشحَ منكَ لطيفُ

وأنكَ مشبُوحُ الذِّراعينِ خَلجَمٌ ... وأنّكَ إذ تَخلُو بهنّ عَفيفُ (٣)

وقال آخر :

فهلاّ مِن وِزارٍ أو حُصَينٍ ... حَميتُمْ فرجَ حاضِنهِ كَعابِ

وأُقسِمُ أنّهُ قد حلّ منها ... مَحلَّ السّيفِ من قعرِ القِرابِ

وقال آخر:

أترجُو أن تسودَ ولن تَعنّى (٤) ... وكيفَ يَسودُ ذُو الدَّعةِ البَخيلُ

وقال الهذلى:

وإنّ سِيادَةَ الأقوامِ فاعلَمْ ... لها صَعداءُ مَطلَبُها طويلُ (٥)

وقال جرير بن الخطفى :

تُريدِينَ أن أرضَى وأنتِ بخيلَةٌ ... ومن ذَا الّذي يَرضَى الأخِلاّءِ بالبُخلِ

وقال اسحق بن حسان بن فوهى :

وَدُونَ النّدَى فى كلّ قلبٍ ثَنيّةٌ ... لها مَصعَدٌ حَزنٌ وَمُنحَدرٌ سَهلُ

وَوَدَّ الفَتى في كلّ نَيلٍ يُنيلهُ ... إذَا ما انقضَى لوْ أنّ نائلَهُ جَزلُ

---

١) الهيكل: الضخم ٢) قصب القصاب الشاة: فصل قصبها وقطعها عضواً عضواً ٣) مشبوح الذراعين: طويلهما . والخلجم: الطويل المنجذب الخلق ٤) التمنى : الجهد والنصب ٥) الصعداء : المشقة

وقال آخر :

عزمتَ عليَّ إقامةَ ذي صباحٍ ... لِشَيْءٍ ما يُسَوَّدُ من يَسودُ

وقال آخر :

وتَعجَبُ إنْ حاولتَ منكَ تنصُّفاً ... وأعجبُ منهُ ما تُحاولُ من ظُلمي

أبا حسنٍ يَكفيكَ ما فيكَ شاتِماً ... لِعِرضِكَ من شتمِ الرِّجالِ ومن شتمي

وقال آخر :

كما قالَ الحِمارُ لِسهمِ رامٍ ... لقدْ جُمِّعتَ من شتّى لأمرِ

وقال آخر :

أراكَ حديدةً في رأسِ قِدحٍ ... ومتنَ جُلالةٍ من ريشِ نَسرِ [1]

وقال آخر :

إذا ما ماتَ مِثلي ماتَ شيءٌ ... يَموتُ بموتِهِ بشرٌ كثيرُ

وأشعر منه عبدة بن الطبيب حيث يقول فى قيس بن عاصم :

فما كانَ قيسٌ هُلكُهُ هُلكَ واحدٍ ... ولكنّهُ بُنيانُ قومٍ تهدّما

وقال امرؤ القيس فى شبيه بهذا المعنى :

فلوْ أنّها نفسٌ تموتُ سويّةً ... ولكنّها نفسٌ تُساقِطُ أنفُسا

وقال آخر :

وزهّدني في صالحِ العيشِ أنّني ... رأيتُ يدي في صالحِ العيشِ قلّتِ

وقال معن بن أوس :

ولقدْ بدا لِي أنّ قلبكَ ذاهِلٌ ... عنّي وقلبي لوْ بدا لكَ أذهلُ

---

١) القدح : الـ قبل أن ينصل ويراش . وهو سهم الميسر أيضا . والجلالة الناقـة ـنة

كلٌّ يجامِلُ وهْوَ يُخفي بُغضهُ ... إنّ الـكريمَ على القلا يتجمَّلُ [١]

وقال ركاض:

تُرامى فتَرمي نحنُ منهنَّ في الشّوَى ... ويَرمينَ لا يعدِلْنَ عن كبِدٍ سهْما [٢]

إذا ما لَبِسنَ الحَلْيَ والوَشْيَ أشرَقتْ ... وُجوهٌ ولَبّاتٌ يُثلّبِنَنا الحِلْما [٣]

ولَبِسنَ السُّبُوبَ حُمْرَةً قُرَشِيَّةً ... زُبَيرِيّةً يَعْلَمْنَ في لونِها عَلْما [٤]

وقال آخر:

أُعلِّلُ نفسي بمَا لا يَكو ... نُ كما يَفعلُ المائقُ الأحمَقُ [٥]

وقال آخر:

تولّت بَهجةُ الدُّنيا ... فكلُّ جَديدِها خَلَقُ

وخانَ النّاسُ كلُّهُمُ ... فما أدري بمَنْ أثِقُ

رأيتُ معالِمَ الخيرَا ... تِ سُدَّتْ دُونَها الطُّرُقُ

فلا حَسَبٌ ولا أدَبٌ ... ولا دِينٌ ولا خُلُقُ

وقال أبو الاسود الدؤلى:

لنا جِيرَةٌ سَدُّوا المَجازَةَ بينَنا ... فإنْ ذكَّرُوكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكيَسُ

ومنْ خيرِ ما ألصقتَ بالدّارِ حائِطٌ ... يَزِلُّ بهِ صُقْعُ الخطاطِيفِ أملسُ [٦]

---

١) القـلا : البغض ٢) الشوى : ماكان غـير مقتـل من الاعضاء • وعدل السهم : أقامه
٣) اللبات : جمع لبة وهى المنحر من العنق • يثلبننا الحـلم : يحملننا نعيب الرزانة والاناة
٤) السبوب : جمع سب بكسر السين وهو الخمار أو شقة رقيقة من الـكتان • والحمرة : صبغ يحمر اللون • والعلم : الوسم ومنه العلامة ٥) المائق الاحمق فى غباوة ٦) الصقع : جمع أصقع وهو الذى فى رأسه صقعة أى بياض

وقال آخر :

عَقِمَتْ أُمٌّ أتتنا بكُمُ ... لَيسَ فيكُم رَجُلٌ غيرُ دَنِيّ
وَإِذا ما النّاسُ عَدُّوا شرَفاً ... كُنتُمْ من ذاكَ في بالٍ رَخِيّ

وقال آخر :

قدْ بلَوْناكَ بحَمْدِ اللهِ إنْ أغنى البلاء
فاذا كلُّ مَوَاعِيدِكَ والجَحْدُ سواء

وقال آخر :

ولقَدْ هزَزْتُكَ لِلمَدِيحِ فكُنْتَ ذا نفسٍ لَكِيعَهْ
أنتَ الرَّقِيعُ ابنُ الرَّقِيعِ ابنِ الرَّقِيعِ ابنِ الرَّقِيعهْ

وقال آخر :

لِكلِّ أُناسٍ سُنَّةٌ يُرْتَقى بهِ ... وليسَ إلينا في السلالِيمِ مَطْلَعُ
وغايَتُنا القُصْوَى حِجازٌ لمن بهِ ... وكلُّ حِجازٍ إنْ هَبَطْناهُ بَلْقَعُ
ويَنفُرُ مِنّا كلُّ وحْشٍ ويَنتَمِي ... إلى وحْشِنا وحْشُ البِلادِ فيَرْتَعُ

وقال آخر :

لو جرَتْ خيلٌ نُكوصاً ... لجرَتْ خيلٌ دِفافه[1]
هيَ لا خيلُ رجاء ... لا ولا خيلُ مخافَهْ

وقال الخزرجى :

إخلَعْ ثيابَكَ مِنْ أبى دُلَفٍ ... واهرُبْ منَ الفجفاجةِ الصَّلِفِ[2]

---

١) النكوص : الاحجام والرجوع . دف الرجل : مشى خفيفا . ودفّت الابل : سارت لينا
٢) الفجفاجة : الكثير الكلام المتشبع بما ليس عنده . والصلف : المتمدح بما جاوز قدر الظرف اعجابا وتكبرا

لا يُعجبنّك من أبي دُلَفٍ — وجهٌ يُضِئ كدُرّةِ الصَّدَف
إنِّي رأيتُ أخي أبا دُلَفٍ — عندَ الفعالِ مُوَلّدَ الشَّرَفِ

وانشد ابن الاعرابى :

أهلكتني بفلانٍ ثِقتي — وظنونٌ بفلانٍ حَسَنَه
ليس يستوجبُ شكراً رجلٌ — نِلتَ خيراً منهُ من بعدِ سَنَه
كنتُ كالهادي من الطّيرِ رأى — طَمعاً أدخلهُ في سجنه
زادني قربُ صديقي فاقةً — أورثت من بعدِ فقرٍ مسكنَه

وأنشدنا :

إذا المرءُ أولاكَ الهوانَ فأوْلِهِ — هَواناً وإن كانت قريباً أواصِرُه
فإنْ أنتَ لم تقدِرْ على أنْ تُهينَهُ — فذَرْهُ إلى اليومِ الّذي أنتَ قادِرُه
وقارِبْ إذا ما لم تكُنْ لكَ قُدرةٌ — وصَمِّمْ إذا أيقنتَ أنّكَ عاقِرُه

وقال بعض ظرفاء الاعراب :

وإذا خَشيتَ منَ الفؤادِ لجاجةً — فاضرِبْ عليه بجرعةٍ من رائبِ

وهذا من شكل قوله :

ذَكَرتُكِ ذِكرةً فاصطَفَتْ ضَبّاً — وكُنت إذا ذكرتُكِ لا أخيبُ

وقال بعض المحدثين :

ما أشبهَ الإمرةَ بالوَصْلِ — وأشبهَ الهِجرانَ بالعزلِ

وقالت الخنساء :

لمْ ترَهُ جارةٌ يَمشي بساحَتِها — لِريبةٍ حينَ يُخلي بيتَهُ الجارُ

مثلُ الرُّدَينيِّ لمْ تدنَسْ عِمامَتُهُ كأنّهُ تحتَ طيِّ البُرْدِ إسْوَارُ[1]

وقال آخر :

نادَيتَ هيذَانَ والأَبوَابُ مُغلَقةٌ ومثلُ هيذَانَ سَنّى فتحةَ البابِ

كالهِنْدُوَانيِّ لمْ تَفلُلْ مَضارِبُهُ وَجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ

وقال آخر :

أرَى كلَّ رِيحٍ سوفَ تسكُنُ مرَّةً وَكلَّ سَماءٍ ذَاتِ دَرٍّ سَتُقلِعُ

ولستُ بِقَوَّالٍ إذَا قامَ حالِباً لكَ الوَيلُ لا تجهدْ لعلَّكَ تُرضِعُ

ولكنْ إذَا جادَتْ بمادُونَ صُلْبِها[2] جهدْنا وَلمْ نَمذُقْ بما نتَوَسَّعُ

وقال آخر :

تمنّى رِجالٌ أنْ أموتَ وغايَتي إلى أجَلٍ أقصى مَداهُ قريبِ

وما رَغبتي في آخِرِ الدّهرِ بعدَ ما لبِستُ شَبابي كلَّهُ وَمَشيبي

وأصبحتُ في قومٍ كأنْ لستُ منهمُ وَبادَ قرُونِي مِنهُمُ وضُرُوبي

وقال :

رأيتُ النّاسَ لمّا قلَّ مالِي وأكْثرْتُ الغَرَامَةَ وَدَّعُوني

فلمّا أنْ غَنِيتُ وثابَ وفْرِي إذَا همْ لا أبالكَ رَاجعُوني

وقال آخر :

وكُنّا نستَطِبُّ إذَا مَرِضْنا فصارَ سَقامُنا بيَدِ الطَّبيبِ

---

١) الرديني : الرمح نسبة الى ردينة وهي امرأة كانت تقوم الرماح . والاسوار الرامي بالسهام والثابت على ظهر الفرس ٢) خ : حلبها

فكيفَ نُجيزُ غُصَّتَنا بشيءٍ ونحنُ نَغَصُّ بالماءِ الشَّريبِ

وقال عدي بن زيد :

لوْ بغيرِ الماءِ حلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعتِصاري (١)

وقال التوت اليماني – ويروى اللوب (٢) بالباء والتوت هو الصواب – وهو المعروف بتويت فكبره هنا :

على أيِّ بابٍ أطلبُ الإذنَ بعدَ ما حُجِبْتُ مِنَ البابِ الَّذي أنا حاجِبُه

وقال آخر :

لا تَضجرَنَّ ولا تدخُلْكَ مَعجزةٌ فالنُّجحُ يَهلِكُ بينَ العَجزِ والضَّجرِ

وقال محمد بن بشر :

إنَّ الأُمورَ إذا انسدَّتْ مَسالِكُها فالصَّبْرُ يَفتحُ منها كلَّ ما ارْتَتَجا

لا تَيأسَنَّ وإنْ طالتْ مُطالَبةٌ إذا استعنتَ بصَبْرٍ أنْ ترى فرَجا

أخلِقْ بذِي الصَّبْرِ أنْ يَحظَى بحاجتِهِ ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أنْ يَلِجا

وقال بعض الاعراب :

فإنَّ طعاماً ضَمَّ كفي وكفَّها لعَمْرُكَ عِندي في الحَياةِ مُبارَكُ

فمِنْ أجلِها أستوعِبُ الزّادَ كلَّهُ ومنْ أجلِها تَهْوي يَدِي وتُدارِكُ

وقال آخر :

كأنِّيَ لمَّا مسَّني السَّوطُ مُقرَمٌ منَ العُجْمِ صعبٌ أنْ يُقادَ نَفورُ (٣)

فكمْ قدْ رأينا منْ لئيمٍ مُوَطّإٍ صبورٌ على مَسِّ السِّياطِ وَقورُ

١) اعتصر بالماء : شربه قليلا ليسيغ به ما غص به من الطعام ٢) لعله «التوب»
٣) المقرم : الفحل الذى ترك عن الركوب والعمل للفحلة

وَذِي كَرَمٍ في القَوْمِ نَهْدٍ مُشَيَّعٍ    جَزُوعٌ على مَسِّ السِّيَاطِ ضَجُورُ (١)

وقال أحيحة بن الجلاح :

اسْتَغْنِ عن كلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ    إِنَّ الغَنِيَّ مَنِ استغنَى عَنِ النَّاسِ
وَالْبِسْ عَدُوَّكَ في رِفْقٍ وَفي دَعَةٍ    لِبَاسَ ذِي إِرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لَبَّاسِ (٢)
ولا يَغُرَّنْكَ أضغانٌ مُزَمَّلَةٌ    قد يُضْرَبُ الدَّبُرُ الرَّامِي بأحْلاسِ (٣)

وقال أحيحة أيضاً :

استغنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذُو نَشَبٍ    مِنِ ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ
إني أُكِبُّ على الزَّوْرَاءِ أَعْمُرُها    إنّ الكَرِيمَ على الأقوام ذو المالِ
يَلْوُونَ ما عِنْدَهُمْ عن حقِّ أَقْرَبِهِمْ    وعن عشيرتِهِمْ والمالُ بالوَالِي

وقال آخر :

سأَبْغِيكَ مالاً بالمَدِينَةِ إنّني    أَرَى عازِبَ الأموالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُه

وقال آخر :

ولا خَيْرَ في فَضْلٍ إذا لم يكن لهُ    على طُولِ مَرِّ الحادِثاتِ بَقَاءُ

وقال العباس بن الاحنف :

لَمْ يَصْفُ حُبٌّ لِمَعْشُوقَيْنِ لَمْ يَذُقَا    وَصْلاً يُمَرُّ على من ذَاقَهُ العَسَلُ

وقال بعض سفهاء الاعراب :

لا خَيْرَ في الحُبِّ أبا السَّنَوَّرِ (٤)    أو يَلْتَقِي أَشْعَرُها وأَشْعَرِي

---

١) النَّد : الكريم الذي ينهد الى معالي الامور. والمشيع : الشجاع كأنه قد شيع قلبه بما يركب كل هول أو بقوة قلبه ٢) الاربة : الدهاء ٣) أحلاس : جمع حلس وهو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج كالمرشحة تكون تحت اللبد ٤) السنور : كل سلاح من حديد

وَأُطبِقُ الخُصيةَ فوقَ المبعرِ

وقال آخر :

وحظُّكَ زورَةٌ في كلِّ عامٍ ... موافقةً على ظهرِ الطَّريقِ
سلاماً خالياً من كلِّ شيءٍ ... يعودُ بهِ الصَّديقُ على الصَّديقِ

وقال عطارد :

ولا يَلبثُ الحبلُ الضَّعيفُ إذا التوى ... وَجاذَبهُ الأَعداءُ أنْ يتَخَذَّما[1]
وما يستوي السَّيفانِ سَيفٌ مؤنَّثٌ ... وَسيفٌ إذا ما عَضَّ بالعظمِ صَمَّما

وقال طريح بن اسمعيل فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

سعَيتُ ابتِغاءَ الشُّكرِ فيما صنَعْتَ بي ... فقصَّرتُ مغلوباً وإني لشاكرُ
لأنكَ تُعطيني الجزيلَ بَداهةً ... وأنتَ لما استكثرتَ من ذاكَ حاقرُ
فأرجعُ مغبُوطاً وأرجعُ بالتي ... لها أوَّلٌ في المكرُماتِ وآخرُ
وقد قُلتُ شِعراً فيكَ لكن تقولُه ... مَكارِمُ فيما تبتَني ومفاخرُ
قواصِرُ عنها لم تُحِطْ بصِفاتِها ... يُرادُ بها ضَربٌ من الشِّعرِ آخرُ

وقال آخر :

فكم من مُليمٍ لم يُصِب بملامةٍ ... ومُتَّبَعٍ بالذَّنبِ ليسَ لهُ ذنبُ
وكم من محبٍّ صدَّ عن غيرِ علةٍ ... وإن لم يكن في وَصلِ خلَّتهِ عَتبُ

وقال آخر :

---

١) يتقطم

لعل لهُ عُـذْرًا وأنْتَ تلُومُ     وكَمْ لائِمٍ قدْ لامَ وهْوَ مليمُ

كما قال الاحنف: رُبَّ مَلُومٍ لا ذنْبَ لهُ . وقال ابن المقفع:

فلاَ تَلُمِ الْمرْءَ فى شـأْنِهِ     فرُبَّ مَلُومٍ ولمْ يُذْنِبِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى:

وإنّ امْرَءًا يُمْسِي وَيُصبِحُ سالِماً     من النَّاسِ إلاّ مَا جنَى لَسَـعِيدُ

---

﴿ تم الجزء الثانى ﴾



# ﴿ الجزء الثاني من كتاب البيان والتبيين ﴾

## ﴿ لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ﴾

﴿ تم الفهرست ﴾



# جدول الخطأ والصواب

## الجزء الثانى

### من البيان والتبيين

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ٥ | ١٠ | وافلتنا ابو ليلى الخ | لعله وافلتنا ابا ليلى طفيلا |
| ٦ | ٦ | سَحيرا او بَعيدا | سُحيرا او بُعيدا |
| ١٠ | ١٠ | كالا بل المائة | كابل مائة |
| ١٩ | ١٢ | لااحسن | ولااحسن |
| ١٩ | ١٥ | اقدكان | اكان |
| ٢٨ | ٢١ | يفرعه | يقرعه |
| ٣٠ | ١٢ | بالقسيم | بالسقيم |
| ٣٤ | ٧ | لم نزل | لم تزل |
| ٣٤ | ١٢ | كل اللحم | اكل اللحم |
| ٣٨ | ١ | ستحى | يستحى |
| ٤٤ | ١٦ | وآنس | وانمس |
| ٥٥ | ١١ | زمان الرعاف | زمان الرعاف |
| ٥٩ | ٨ | م | م |
| ٦٤ | ٢٢ | ربع | زيع |
| ٦٠ | ٣ | متساؤن | متناؤن |
| ٦٨ | ٢ | وامسن | وامَنّ |
| ٧٦ | ١٢ | واختباؤك | واحتباؤك |
| ٧٦ | ٢٠ | يحرق | يخرق |
| ٨١ | ١٧ | يكون ان يكون | يجوز ان يكون |
| ٨١ | ١٧ | ويكون ان يكون | وان يكون |
| ٨٢ | ٧ | والقضة | والغَضّة |
| ٨٢ | ٩ | صلبانا | صِلّيانا |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ٨٢ | ١٥ | بهنا | بهنأ |
| ٨٥ | ١١ | الثقيف | التثقيف |
| ٨٦ | ١٢ | ويدنو واطراف الخ | لعله : ويدنو واطراف الرماح دوانى |
| ٩٣ | ٨ | بحرير | بجرير |
| ٩٣ | ٨ | ابن المراعة | ابن المراغة |
| ٩٣ | ١٠ | انك لاق | وانك لاق |
| ٩٥ | ٣ | فقام منهم خطيبا | لعله : خطيبه |
| ٩٥ | ٧ | فرطا | فرَطا |
| ٩٥ | ١٤ | جزيمة | خزيمة |
| ٩٦ | ٨ | من قريب | من قريب |
| ٩٧ | ٨ | الرُّوع | الرَّوع |
| ٩٨ | ٢ | مت سرّبنى | مت سرّبنو |
| ٩٨ | ٢ | لو يلقون | لا يلقون |
| ١٠٠ | ٣ | رجلا | رجل |
| ١٠١ | ٦ | افضالى | افضال |
| ١٠٧ | ١١ | فاختلفكم | فاخلفتكم |
| ١١١ | ٩ | كثيل العود | لعله: كتيل العود |
| ١١١ | ٩ و ١٠ | تتبع | تتبّع |
| ١١٣ | ١ | ولتعرفهم | ولتعرفنّهم |
| ١١٤ | ٣ | لم تنكحهم | لم تنكحهم |
| ١١٥ | ١٠ | واهل المره | لعله واهل المرّة |
| ١١٥ | ٢١ | حازم | حازمَ |

| ص | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١١٦ | ٢ | غاد | غادِي |
| ١١٨ | ٦ | مفسَّر | مفسِّر |
| ١١٨ | ١٠ | يتنى | يبتنى |
| ١١٨ | ١٤ | تهزُوا | تهزَوا |
| ١٢٥ | ٢١ | ولاتخدعن عن نفسك | ولاتخدعنّ نفسك |
| ١٣٤ | ١١ | البروذ | البرذون |
| ١٣٩ | ٥ | خُودٌ | خَودٌ |
| ١٤٤ | ١٧ | موطَن | موطِن |
| ١٤٥ | ٥ | شَحشح | شحشح |
| ١٤٥ | ٧ | لدن غدوة | لدن غدوةٍ |
| ١٦٠ | ٢ | الفيتها | الفيتها |
| ١٦٢ | ١ | بلمنا | بلغنا |
| ١٦٣ | ٤ | اعضى | اغضى |
| ١٦٣ | ٥ | ولّد | ولدَ |
| ١٦٣ | ١ | معصوبِ | معصوب |
| ١٦٣ | ٦ | بعتاً | بغتاً |
| ١٦٣ | ٩ | نَئِمَّ | نَئِمَ |
| ١٦٣ | ١١ | لوحييت | لوحييت |
| ١٦٣ | ١٢ | ونُبت | ونَبَت |
| ١٦٥ | ٨ | انم | اتم |
| ١٦٥ | ١٤ | بجرعت | تجرعتَ |
| ١٦٦ | ٢٠ | مثلَ | مثلُ |
| ١٦٧ | ١٩ | للعشكيّ | للمتشكيّ |
| ١٦٨ | ٩ | الجيد | الجيد |

| ص | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٦٩ | ٣ | اقوامَ | اقوامِ |
| ١٧٠ | ٨ | ومابهم | ونابهم |
| ١٧٠ | ٩ | و بلسان لسان | و بيان لسان |
| ١٧٠ | ١٦ | ل | قال |
| ١٧١ | ٤ | بن هرب | لعله : بن حرب |
| ١٧١ | ١٦ | كبر | كِبر |
| ١٧٥ | ٣ | آخر الليلَ | آخر الليلِ |
| ١٧٥ | ٣ | ذائباً | دائباً |
| ١٨٣ | ١٨ | بعقَبٍ | بعقبِ |
| ١٨٤ | ٥ | بالحجاب | الحجاب |
| ١٨٤ | ٨و٩ | خالد يحكم الى قوله وتعطيل الحقوق | جعل البيت بهذه الصورة شطر لو كان ينبغي ان يكتب أربعة أسطر وبالتحريك بدل السكون |
| ١٨٦ | ٨ | لفرصتهُ | لفرصتهِ |
| ١٨٦ | ١٥ | انى وسمدا | وانى وسمدا |
| ١٨٦ | ١٧ | تُبصِرُ | تَبصَّرُ |
| ١٨٧ | ١٥ | يَرضي | يُرضي |
| ١٨٨ | ٢ | عزمت على اقامة | عزمتُ على اقامة |
| ١٨٨ | ٢ | ما يُسوِّدُ | مايسوَّد |
| ١٩٠ | ٦ | والجحدُ | والجحدِ |
| ١٩١ | ١ | كدرّهِ | كدرَّة |
| ١٩١ | ٦ | ادخله في سجنه | لعله ازحله وسجنه |
| ١٩٢ | ٤ | كالهندوانيّ | كالهندوانيّ |

| ص | سطر | خطا | صواب |
|---|---|---|---|
| ١٩٣ | ١٠ | مالرتَتَجا | مالرُتِجا |
| ١٩٣ | ١٥ | تُهوى | تَهوى |
| ١٩٤ | ٣ | استغنْ | استغنِ |
| ١٩٥ | ٣ | موافقةً | موافقة |
| ١٩٥ | ١٠ | لماأستكثرتَ | لما استكثرت |
| ١٩٥ | ١٣ | آخِرُ | آخَرُ |
| ١٩٥ | ١٥ | مُليم لم يُصِب | مَليم لم يُصَب |

# البيان والتبيين

لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المتوفى بالبصرة فى المحرم سنة ٢٥٥ هـ

سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهى « أدب الكاتب لابن قتيبة » و « كتاب الكامل للمبرد » و « كتاب البيان والتبيين للجاحظ » و « كتاب النوادر لابى على القالى » وماسوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها

ابن خلدون

## الجزء الثالث

وقف على طبعه

محب الدين الخطيب

المحرر بجريدة المؤيد

طبع على نفقته ونفقة عارف المحايرى

القاهرة

١٣٣٢

« مطبعة الفتوح الادبيه ـ بمصر »

بسم الله الرحمن الرحيم

## هذا كتاب العصا

الحمد لله ولا حول ولاقوة الا بالله وصلى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة

هـذا أبقاك الله تعالى الجزء الثالث من القول فى البيـان والتبيين ، وما شابه ذلك من غرر الاحاديث ، وشاكلـه من عيون الخطب . ومن الفـقر المستحسنة ، والنتف المتخيرة ، والمقطعـات المستخرجـة ، وبعض مايجوز فى ذلك من أشعار المذاكرة ، والجوابات المنتخبة

ونبـدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبيـة ، ومَن يتحلى باسم التسوية ، وبمطاعنهـم على خطباء العرب ، بأخذ المخصرة عنـد مناقلة الكلام ، ومساجـلة الخصوم بالموزون والمقفّى ، والمنثور الذى لم يُقفّ ، وبالارجاز عنـد المتح ، وعنـد مجاثاة الخصم ، وساعـة المشاولة ، وفى نفس المجادلة والمحاولة . وكذلك الاسجاع عنـدالمنافرة والمفاخرة ، واستعمال المنثور فى خطب الحمالة ، وفى مقامات الصلح وسـلّ السخيمة ، والقول عند المعاقرة والمعاهـدة ، وترك اللفظ يجرى على سجيتـه وعلى سلامتـه ، حتى يخرج على غـير صنعـة ، ولا اختـلاف تأليف ، ولا التماس قافيـة ، ولاتـكلف لوزن . مع الذى عابوا من الاشارة بالعصىّ ، والاتكاء على أطراف القسىّ ، وخدّ وجه الارض بها ، واعتمادها عليهـا ، اذا استحفزت فى كلامها ، وافتنت يوم الحفـل فى مذاهبها . ولزومهـم العمائم فى أيام الجوع ، وأخـذ المخاصر فى كل حال ، وجلوسها فى خطب النكاح ، وقيامها فى خطب الصلح ، وكل مادخـل فى باب الحمالة ، وأكد شأن المحالفـة ، وحقق حرمة المجاورة . وخطبهـم على رواحلهم فى المواسم العظام ، والمجامع الكبار . والتماسح بالاكفّ ، والتحالف على النـار ، والتعاقـد على الملح ، وأخـذ العهـد المؤكد ، واليمـين الغموس ، مثـل قولهم « ماسرى نجم ، وهبت ريح ، وبلّ بحر صوفـة ، وخالفت جرة درة » ولذلك قال الحارث بن حلزة اليشكرى :

واذكُرُوا حِلفَ ذِي المَجازِ وما قُـ ... ـدِّمَ فِيهِ العُهُودُ والكُفَلاءُ

حَذَرَ الخَوْنِ والتَّعَدِّي وهَل تَنْـ ... ـقُضُ ما في المَهارِقِ الاهْواءُ

الخون الخيانة ويروى « الجور » . وقال أوس بن حجر :

إذا استَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ ... كما صَدَّ عَنْ نارِ المُهَوِّلِ حالِفُ (١)

وقال الكميت :

كَهُولَةِ ما أَوقَدَ المحلِفُون ... لدَى الحالفِينَ وما هوَّلُوا (٢)

وقال الاول :

حَلَفْت بالمِلحِ والرَّمادِ وبالنَّـ ... ـارِ وباللهِ نُسلِمُ الحَلَقَهْ

حَتَّى يَظَلَّ الجَوادُ مُنْعَفِراً ... وتُخْضَبَ النَّبْلُ غُرَّةَ الوَرَقَهْ

وقال الاول :

حَلَفْتُ لَهُمْ بالمِلْحِ والجَمْعُ شُهَّدٌ ... وبالنَّارِ واللاتِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ

وقال الحطيئة فى إضجاع القسىّ :

أمْ مَنْ لِخَصْمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَّهُمْ ... صُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظَامِ المَفْخَرِ

وقال لبيد بن ربيعة فى خدّ وجه الارض بالقسىّ والعصىّ :

نَشِينَ صِحاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... بِعُوجِ السَّراءِ عِنْدَ بابِ مُحَجَّبِ

ومثله :

إذا اقتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الفَخارِ ... أَطَلْنا عَلَى الأرْضِ مَيْلَ العَصا

ومثله :

حَكَمَتْ لَنا في الأرْضِ يومَ مُحَرِّقٍ ... أَيامُنا في النّاسِ حُكْماً فَيْصَلا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

ما إنْ أَهابُ إذا السُّرادِقُ غَمَّهُ ... قَرْعُ القِسِيِّ وأُرْعِشَ الرِّعْدِيدُ

وقال كثير فى الاسلام :

---

١ المهول : المحلف ٢ الهولة : نار التهويل توقد فى بئر ويطرح فيها ملح وكبريت للحلف عليها

اذا قرعوا المنابرَ ثمّ خطّوا بأطرافِ المخاصرِ كالغضاب

وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخا من بقايا العرب « أى العرب رأيته أضخم شانا » قال « حصين بن حذيفة ، رأيتـه متوكئا على قوسه يقسم فى الحليفين أسد وغطفان » وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحولِ كأنّها جِنُّ البَدِيِّ رواسياً أقدامُها (١)

وقال معن بن أوس المزنى :

ألا مَنْ مُبْلغٌ عَنّى رَسُولاً عُبَيْدَ اللهِ اذْ عَجِلَ الرِّسالا

تُعاقِلُ (٢) دُونَنا أبناءَ ثَوْرٍ ونحنُ الأكثرُونَ حَصًى ومالاً

إذا اجتمعَ القبائلُ جِئْتَ رِدفاً أمامَ الماسِحِينَ لكَ السِّبالا

فلا تُعطى العَصا الخُطباءَ يَوْماً (٣) وقَدْ تَكفى المَقادَةَ والمَقالا

فذكر عصا الخطباء كما ترى . وقال الآخر فى حمل القناة :

إنّى امرُؤٌ لا تَخطّاهُ الرِّفاقُ ولا جَدْبُ الخِوانِ إذا ما استُشْنِىَ المَرَقُ

صُلْبُ الحَيازِيمِ لا هَذْرُ الكلامِ اذا هزَّ القناةَ ولا مُستَعجِلٌ زَهِقُ (٤)

وقال جرير الخطفى فى حمل القناة :

مَنْ لِلقَناةِ إذا ما عَىَّ قائِلُها ولِلأَعِنَّةِ يا عمرو بنَ عمّارِ (٤)

قالوا : وهـذا مثـل قول أبى المجيب الربعى حيث يقول « لا تزال تحفظ أخاك حتى يأخـذ القناة ، فعنـد ذلك يفضحك أو يمدحك » يقول : اذا قام يخطب فقـد قام المقام الذى لابد من أن يخرج منـه مذموما أو محمودا . وقال عبـد الله بن رؤبة : سال رجـل رؤبة عن أخطب بنى تميم فقال « خـداش بن لبيد بن بيبة بن خالد » يعنى البعيث الشاعر ، وانمـا قيل له البعيث لقوله :

تَبعّثَ منّى ما تَبعّثَ بَعْدَ ما أُمِرّتْ حِبالى كُلَّ مِرّتِها شَزْرا (٤)

---

١ الغلب : جمع الاغلب · تشذر : تتفرق · الدحول : جمع دحل وهو نقب ضيق الاعلى واسع الاسفل ٢ فى ص ١٩٩ من الجزء الاول : تغافل ٣ فى ص ١٩٩ من الجزء الاول « فلا تعطى عصا الخطباء فيهم » ٤ سبق فى ص ١٩٩ من الجزء الاول

وقال أبو اليقظان : كانوا يقولون « أخطب بنى تميم البعيث اذا أخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الارض ثم رفعها » قال يونس « لعمرى لئن كان مُغلبا فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب »

واذا قالوا « غَـلَبَ » فهو الغالب واذا قالوا « مغلبا » فهو المغلوب

وفى حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه جاء البقيع ومعه مخصرة فجلس فنكت بها الارض ثم رفع رأسه فقال « مامن نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار » وهو من حديث أبى عبد الرحمن السلمى

ومما يدلك على استحسانهم شان المخصرة حديث عبد الله بن أنيس ذي المخصرة وهو صاحب ليلة الجهنى ، وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعطاه مخصرة فقال « تلقانى بها فى الجنة » وهو مهاجر عقبى أنصارى وهو ذو المخصرة فى الجنة

وقالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية « القضيب للايقاع ، والقناة للقار ، والعصا للقتال ، والقوس للرمى . وليس بين الكلام و بين العصا سبب ، ولا بينه و بين القوس نسب . وهما الى أن يشغلا العقل و يصرفا الخواطر و يعترضا على الذهن أشبه . وليس فى حملها مايشحذ الذهن ، ولا فى الاشارة بها مايجلب اللفظ . وقد زعم أصحاب الغناء أن المغنى اذا ضرب على غنائه قصّر عن المغنى الذى لايضرب على غنائه . وحمل العصا باخلاق الفدّادين [1] أشبه ، وهو بجفاة الاعراب وعنجهية أهل البدو ومزاولة اقامة الابل على الطرق أشكل و به أشبه »

قالوا « والخطابة شيء فى جميع الامم و بكل الاجيال اليه أعظم الحاجة ، حتى أن الزنج — مع الغثارة ومع فرط الغباوة ومع كلال الحد وغلظ الحس وفساد المزاج — لتطيل الخطب وتفوق فى ذلك جميع العجم ، وان كانت معانيها أجفى وأغلظ وألفاظها أخطا وأجهل . وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس ، وأخطب الفرس أهل فارس ، وأعذبهم كلاما وأسهلهم مخرجا وأحسنهم ولاء وأشدهم فيه تحنكا أهل مرو ، وأفصحهم بالفارسية الدرية و باللغة الفهلوية أهل قصبة الاهواز . فاما نغمة الهزبذة ونغمة الموبذان فلصاحب تفسير الزمزمة . قالوا : ومن أحب أن يبلغ فى صناعة البلاغة و يعرف الغريب و يتبحر فى اللغة فليقرأ ( كتاب كاروند ) ، ومن احتاج الى العقل والادب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات والالفاظ الكريمة والمعانى الشريفة فلينظر الى سير الملوك . فهذه الفرس

[1] هم الرعاة والفلاحون الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم

ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها ، وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها ، وهذه كتبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطا من الصواب ، وهذه كتب الهند فى حكمها وأسرارها وسيرها وعللها . فمن قرأ هذه الكتب عرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم ، وعرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة . فكيف سقط على جميع الامم من المعروفين بتدقيق المعانى وتخير الالفاظ وتمييز الامور أن يشيروا بالقنا والعصى والقضبان والقسى ، كلا ولكنكم كنتم رعاة بين الابل والغنم ، فحملتم القنا فى الحضر بفضل عادتكم لحملها فى السفر ، وحملتموها فى المدر بفضل عادتكم لحملها فى الوبر ، وحملتموها فى السلم بفضل عادتكم لحملها فى الحرب . ولطول اعتيادكم لمخاطبة الابل جفا كلامكم وغلظت مخارج أصواتكم حتى كانكم انما تخاطبون الصمان اذا كلمتم الجلساء . وانما كان جل قتالكم بالعصى ، ولذلك فخر الاعشى على سائر العرب فقال :

لَسْنا نُقاتِلُ بالعِصِىّ ولا نُرامِى بالحِجارَهْ
إلا عُلالَةَ أو بَداهَةَ قارِحٍ نَهْدِ الجُزارَهْ (١)

وقال الآخر :

فَانْ تَمنَعُوا مِنَّا السِّلاحَ فعِندَنا سِلاحٌ لَنا لا يُشتَرَى بالدَّراهِمِ
جَنادِلُ أملاءِ الأكفِّ كأنَّها رُؤُوسُ رِجالٍ حُلِّقَتْ بالمَواسِمِ (٢)

وقال جندل الطهوى :

حَتَّى إذا دارَتْ رَحىً لا تجْرِى صاحَتْ عِصِىٌّ مِنْ قَناً وسِدْرِ (٣)

وقال آخر :

دعا ابْنُ مُطِيعٍ لِلبِياعِ فَجِئْتُهُ إلى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَها غَيْرُ آلِفِ (٤)

---

١ العلالة : بقية السير . والبداهة : أول كل شيء . والقارح : الفرس الذى شق نابه وطلع . وهو أيضا الناقة التى استبان حملها . والنهد : المرتفع . والجزارة أطراف الجزور وهى يداه ورجلاه ورأسه ٢ الاملاء : جمع ملء ٣ القنا : جمع قناة وهى العصا . والسدر : شجر النبق . ٤ ابن مطيع هو عبد الله بن مطيع العدوى راجع ص ٥٣ من الجزء الاول

فناولني خشناء لما لمستها بكفي ليست من أكف الخلائف
من الشثنات الكزم أنكرت مسها وليست من البيض الرقاق اللطائف (١)
معاودة حمل الهراوى لقومها فروراً إذا ما كان يوم التنائف

وقال آخر:

ما للفرزدق من عز يلوذ به إلا بنى العم فى أيديهم الخشب

قالوا: وانما كانت رماحكم من مران، وأسنتكم من قرون البقر، وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء، فان كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أدم، ولم يكن ذا ركاب، والركاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه، وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما. وكان فارسكم يطعن بالقناة الصماء، وقد علمنا أن الجوفاء أخف محملا وأشد طعنة. وتفخرون بطول القناة ولا تعرفون الطعن بالمطارد، وانما القنا الطوال للرجالة والقصار للفرسان والمطارد لصيد الوحش. وتفخرون بطول الرمح وقصر السيف فلو كان المفتخر بقصر السيف الراجل دون الفارس لكان الفارس يفخر بطول السيف، وان كان الطول فى الرمح انما صار صوابا لانه ينال به البعيد ولا يفوته العدو، ولان ذلك يدل على شدة سير الفارس وقوة يده، فكذلك السيف العريض الطويل. وكنتم تتخذون للقناة زجا وسنانا حين لم يقبض الفارس منكم على أصل قناته ويعتمد عند طعنته بفخذه ويستعين بحمية فرسه، وكان أحدكم يقبض على وسط القناة ويخاف منها على مثل ماقدم، فانما طعنكم الدره والنهزة ٢ والخلاس والزج. وكنتم تتساندون فى الحرب، وقد علم أن الشركة ردية فى ثلاث أشياء: فى الملك والحرب والزوجة. وكنتم لاتقاتلون بالليل، ولا تعرفون البيات ولا الكمين، ولا الميمنة ولا الميسرة ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفاضة ولا الدراجة، ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة ولا المجانيق ولا الدباب ولا الخنادق ولا الحسك، ولا تعرفون الاقبية ولا المراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود والتجافيف ولا الجواشن ولا الخود ولا السواعد ولا الاجراس ولا الوهق ولا الرمى

١ الشثنات: جمع شثنة أى خشنة. الكزم: جمع كزماء أى قصيرة ٢ الدره: الهجوم. النهزة: الفرصة

بالبنجكان ولا الزرق بالنفط ولا النيران ، وليس لكم فى الحرب صاحب علم يرجع اليه المنحاز ويتذكره المنهزم ، وقتالكم إماسلة وإما مزاحفة ، والمزاحفة على مواعد متقدمة والسلة مسارقة وفى طريق الاستلاب والخلسة

قالوا : والدليل على أنكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامرى :

يَاشِدَّةً ماشددنا غَيْرَ كاذِبَةٍ على سَخِينَةَ لَوْلا اللَّيْلُ والحَرَمُ

ويدل على ذلك أيضا قول الحارث بن ضرار :

وعَمْرٌو إذ أتانا مُسْتَميتاً كَسَوْنا رَأْسَهُ عَضْباً صَقِيلا

فَلَوْلا اللَّيْلُ ما آبُوا بِشَخْصٍ يُخَبِّرُ أَهْلَهُمْ عَنْهُم قَلِيلا

وقال أمية بن الاشكر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ غِضَابٌ حَبَّذا غَضَبُ المَوالى

تَرَكْتُ مُصَرِّفاً لَمَّا التَقَيْنا صَرِيعاً تَحْتَ أَطْرافِ العَوالى

ولَوْلا اللَّيْلُ لَمْ يَفْلِتْ ضِرارٌ ولا رَأْسُ الحِمارِ أَبُو جُفالِ

قلنا : ليس لكم فيما ذكرتم فى هذه الاشعار دليل على أن العرب لاتقاتل بالليل ، وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون ماله المدن وهول الليل ، وربما تحاجز الفريقان وان كان كل واحد منهما يرى البيات ويرى أن يقاتل اذا بيتوه . وهذا كثير . والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك فى قتل كعب بن مزيقيا الملك الغسانى :

وَلَيْلَةَ تُبَّعٍ وَخَمِيسِ سَعْدٍ أَتَوْنا بَعْدَ مانِمْنا دَبِيبا

فَلَمْ نَهْدَأْ لِبَأْسِهِمِ ولكِنْ رَكِبْنا حَدَّ كَوْكَبِهِمْ رُكُوبَا

بِضَرْبٍ تُفْلَقُ الهاماتُ مِنْهُ وَطَعْنٍ يَفْصِلُ الحَلَقَ الصَّلِيبا

وقال بشر بن أبى حازم :

فأما تَمِيمٌ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ فألفاهُمُ القَوْمُ رَوْبَى نِياما

يقول شربوا اللبن الرائب فسكروا منه ، وهو اللبن الذى قد أخرجت زبدته .

وقال عياض السندى :

وَنَحْنُ نَجَلْنَا لابْنِ مِيْلاءَ نَحْرَهُ ... بِنَجْلاءَ مِنْ بَيْنِ الجَوَانِحِ تَشْهَقُ (١)

وَيَوْمَ بَنِى الذَّبَّانِ نالَ أَخاهُمُ ... بارِماحنا بالسَّبْيِ مَوْتٌ مُحَدِّقُ

وَمِنَّا حُماةُ الجَيْشِ لَيْلَةَ أَقْبَلَتْ ... إِيادٌ يُزَجِّيها الهُمامُ مُحَرِّقُ

وقال آخر :

وعلى شُتَيرٍ راحَ مِنَّا رائحٌ ... بأَبِى قَبِيصَةَ كالفَتِيقِ المُقْرَمِ (٢)

يَرْدِى بِشَرْخافِ المَغادِرِ بَعْدَما ... نَشَرَ النَّهارُ سَوادَ لَيْلٍ مُظْلِمِ (٣)

وقال عياض السندى :

لِحمامِ بِسْطامِ بْنِ قَيْسٍ بَعْدَما ... جَنَحَ الظَّلامُ بِمِثْلِ لَوْنِ العِظْلِمِ (٤)

وقال أوس بن حجر :

باتُوا يُصِيبُ القَوْمُ ضَيْفاً لَهُمْ ... حَتَّى إِذا مالَيْلُهُمْ أَظْلَما

فَرَدَّهُمْ شَهْباءُ مَلْمُومَةٌ ... مِثْلَ حَرِيقِ النّارِ أَوْ أَضْرَما

واللهِ لَوْلا قُرْزُلٌ مانَجا ... وكانَ مَثْوى خَدِّكَ الأَخْرَما

نَجّاكَ جَيّاشٌ هَزِيمٌ كَما ... أُحْمِيَتْ وَسْطَ الوَبَرِ المِيسَما (٥)

وبعد فهل قتل ذواب الاسدى عتيبة بن الحارث بن شهاب الا وسط الليل الاعظم حين تبعوهم فلحقوهم . وكانوا اذا اجتمعوا للحرب دخنوا بالنهار وأوقدوا بالليل ، قال عمرو بن كلثوم وذكر واقعة لهم :

وَنَحْنُ غَداةَ أُوقِدَ فِى خَزازَى ... رَفَدْنا فَوْقَ رَفْدِ الرّافِدِينا (٦)

---

١ نجلنا : طعنا . النجلاء : الطعنة الواسعة . الجوانح : الاضلاع تحت الترائب ممايلى الصدر كالضلوع ممايلى الظهر ، واحدها جانحة ٢ الفتيق من الجمال : الذى ينفتق سمنا . المقرم : البعير المكرم الذى لايحمل عليه شىء وانما هو للفحلة ٣ ردى الفرس : رجم الارض بحوافره ٤ العظلم : نبت يصبغ به ٥ الجياش : الفرس الذى اذا حركته بعقبك جاش أى ارتفع وهاج . والهزيم : الفرس الشديد الصوت . والميسم : المكواة يوسم به الحيوان ٦ خزازى جبل أوقد عليه قائد جيش كليب بن وائل نارا ليهتدى الجيش بناره . رفدنا : أعطينا

وقال خمخام السدوسى ١ :

وَإنا بالصُّلَيبِ ببَطْنِ نَخّ (٢) جَمِيعاً واضِعِينَ بِهِ لَظانا
نُدَخّنُ بالنَّهارِ لِيُبْصِرُونا ولا نَخْفَى على أحَدٍ أتانا

وأما قولهم « لايعرفون الكمين » فقد قال أبو قيس بن الاصلت :

وَأحرَزْنا المَغانِمَ واستَبَحْنا حِمَى الأعْداءِ واللهُ المُعِينُ
بغَيرِ خلابَةٍ وبغَيرِ مَكرٍ مُجاهَرَةً وَلَمْ يُخبأ كَمِينُ

وأما ذكرهم للركب فقد أجمعوا على أن الركب كانت قديمة إلا أن ركب الحديد لم تكن فى العرب إلا أيام الازارقة ، وكانت العرب لاتعود أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها فى الركب ، وانما كانت تنزو نزواً . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « لانخور قوى ما كان صاحبها ينزو وينزع » يقول أى لاتنتكث قوته مادام ينزع فى القوس وينزو فى السرج من غير أن يستعين بركاب . وقال عمر « الراحةُ عقلة ، واياكم والسمنة فانها عقلة » ولهذه العلة قتل خالد بن سعيد بن العاصى حين غشيه العدو وأراد الركوب ولم يجد من يحمله ، ولذلك قال عمر حين رأى المهاجرين والانصار لما أخصبوا وهمّ كثير منهم بمقاربة عيش العجم « تمعددوا ، واخشوشنوا ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزواً » وقال « احفوا وانتعلوا ، فانكم لاتدرون متى تكون الجفلة » وكانت العرب لاتدع اتخاذ الركاب للرحل فكيف تدع الركاب للسرج ، ولكنهم كانوا وان اتخذوا الركب فانهم لايستعملونها الا عند مالابد منه كراهية أن يتكلوا على بعض مايورثهم الاسترخاء والتفتخ ٣ ويضاهؤن أصحاب الترفّه والنعمة . قال الاصمعى : قال العمرى « كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأخذ بيده اليمنى أذن فرسه ٤ اليسرى ثم يجمع جراميزه ٥ ويثب . فكانما خلق على ظهر فرسه » وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد وهو يومئذ ولى عهد هشام ثم أقبل على مسلمة بن هشام فقال له « أبوك يحسن مثل هذا » فقال مسلمة « لابى مائة عبد يحسنون مثل هذا » فقال

١ عزا ياقوت فى معجم البلدان هذين البيتين للاعشى ٢ فى معجم البلدان « وبطن فلج » . والصليب جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبنى عمرو بن تميم ٣ الفتخ : استرخاء المفاصل ولينها ٤ خ : أذن نفسه ٥ جرمز الرجل : انقبض واجتمع بعضه الى بعض

الناس : لم ينصفه فى الجواب

وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك الا وهو جامع لاسباب الفروسية.

وأما ماذكروا فى شان رماح العرب فليس الامر فى ذلك على مايتوهمون . وللرماح طبقات فمنها (النيزك) ومنها (المربوع) ومنها (المخموس) ومنها (التام) ومنها (الخطل) وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لافراط طوله . فاذا أراد الرجل أن يخبر عن شدة أسر صاحبه ذكره كما ذكر متمم بن نويرة أخاه مالكا فقال « كان يخرج فى الليلة الصنبرة ، عليه الشملة الفلوت ، بين المزادتين النضوحين ، على الجمل الثفال ، معتقل الرمح الخطل ١ » قالوا والله وأبيك ان هذا لهو الجلد . ولا يحمل الرمح الخطل منهم الا الشديد الايدى والمدل بفضل قوته عليه الذى اذا رآه الفارس فى تلك الهيئة هاب وحاد عنه ، فان شد عليه كان أشد لاستخدامه له . والحال الاخرى أن يخرجوا فى الطلب بعقب الفارة ، فربما شد على الفارس المولى فيفوته بان يكون رمحه مربوعاً أو مخموسا وعند ذلك يستعملون النيازك ، والنيزك أقصر الرماح ، واذا كان الفارس الهارب يفوت الفارس الطالب زجه بالنيزك ، وربما هاب مخالطة فيستعمل الزج دون الطعن ، صنيع ذواب الاسدى بعتيبة بن الحارث ابن شهاب . وقال الشاعر :

وَأَسْمَرَ خَطِّيّا كأَنَّ كُعُوبَهُ  نَوَى القَسْبِ قدأُرْمِىَ ذِراعاعلى العَشْرِ (٢)

وقال آخر :

هاتِيكَ تَحمِلُنى وأَبيَضَ صارِماً  ومُحرَّباً في مارِنٍ مَخمُوسِ (٣)

وقال آخر :

تَوَلَّوْا وأَطرَافُ الرِّماحِ عَلَيهِمُ  بَوادِرُ مَرْبُوعاتُها وطِوالُها

وهم قومٌ الغارات فيهم كثيرة . وبقدر كثرة الغارات كثر فيهم الطلب . والفارس ربما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فضل قوته ، ويخبر عن قصر سيفه ليخبر

١ ليلة صنبرة : باردة أوحارة ، وهى من الاضداد . شملة فلوت لايضم طرفاها عليها من ضيقها أو صغرها فهى تفلت دائما . مزادة نضوح : تنضح بالماء . جمل ثفال : بطىء ٢ الكعوب : جمع كعب وهو عقدة قصب الرمح بين كل أنبوبتين . والقسب : تمر يابس صلب النوى ٣ المحرب السنان المحدد . والمارن : الصلب اللدن

عن فضل نجدته . قال كعب بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا  قدماً وَنُلْحِقُها إِذا لَمْ تَلْحَقِ

وقال آخر :

إِذا الْكُماةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنالَهُمْ  حَدُّ الظُّباةِ وصَلْناها بِأَيْدِينا

وقال رجل من بنى تيم نمير :

وَصَلْنا الرِّقاقَ الْمُرْهَفاتِ بِخَطْوِنا  على الْهَوْلِ حَتَّى أَمْكَنَتْنا الْمَضارِبُ

وقال حميد بن ثور الهلالى :

وَوَصْلُ الْخُطا بالسَّيْفِ والسَّيْفِ بالخُطا  إِذا ظَنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيْفِ قاصِرُ [١]

وقال آخر :

الطّاعِنُونَ فى النُّحُورِ وَالْكُلَى  شَزْراً ووُصّالُ السُّيوفِ بالخُطا [٢]

وأما ماذكروا من اتخاذ الزج اسافلة الرمح والسنان لعاليته فقد ذكروا أن رجلا قتل أخوين فى تقاب - تقول العرب « لقيته سقابا وتقابا » أى مواجهة - أحدهما بعالية الرمح والآخر بسافلته ، وقدم فى ذلك راكب من قبل بنى مروان على قتادة يستثبت الخبر فأثبته له من قبله . وقال الآخر :

إِنَّ لِقَيْسٍ عادَةً تَعْتادُها  سَلَّ السُّيُوفِ وخُطاً تَزْدادُها

وقد وصفوا السيوف أيضا بالطول فقال عمارة بن عقيل :

بِكُلِّ طَوِيلِ السَّيْفِ ذِى خَيْزُرانَةٍ  جَرِىءٍ على الأَعْداءِ مُعْتَمِدِ الشَّطْبِ [٣]

وجملة القول أنا لانعرف الخطب الا للعرب والفرس

وأما الهند فانما لهم معان مدونة وكتب مجلدة لاتضاف الى رجل معروف ولا الى عالم موصوف . وانما هى كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق . وكان صاحب المنطق نفسه بكئ اللسان [٤]، غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه .

---

١ أى اذا ظن ذو السيف أن السيف قاصر ٢ شزره شزرا وطعنه شزرا : أى عن يمينه وشماله ٣ الشطب : الاخضر لرطب من جريد النخل ٤ البكئ : القليل الكلام

وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة

وفى الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فانما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكر ودراسة الكتب ، وحكاية الثانى علم الاول ، وزيادة الثالث فى علم الثانى ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم

وكل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال ، وكانه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا اجالة فكرة ، ولا استعانة . وانما هو أن يصرف وهمه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، أوحين أن يمتح على رأس بئر ، أو يحدو ببعير ، أو عند المقارعة والمناقلة ، أو عند صراع ، أوفى حرب ، فما هو الا أن يصرف وهمه الى جملة المذهب ، والى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا ، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحدا من ولده . وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون . وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر . وكل واحد فى نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع . وخطباؤهم أوجز ، والكلام عليهم أسهل . وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ أو يحتاجوا الى تدارس . وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله . فلم يحفظوا الا ماعلق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب . وان شيئا الذى فى أيدينا جزء منه لبالمقدار الذى لا يعلمه الا من أحاط بقطر السحاب ، وعدد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما كان ، والعالم بما سيكون

ونحن أبقاك الله اذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والارجاز ، ومن المنثور والاسجاع ، ومن المزدوج ومالا يزدوج ، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقول فى مثل ذلك الا فى اليسير والنبذ القليل . ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التى فى أيدى الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، اذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هرون وأبى عبيد الله وعبد الحميد وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير . وأخرى أنك متى أخذت بيد الشعوبى فأدخلته

بـلاد الاعراب الخلص ، ومعدِن الفصاحـة التامـة ، و وقفتـه على شاعر مفلق ، أو خطيب مصقع ، علـم أن الذى قلت هو الحق ، وأبصر الشاهـد عيانا ، فهـذا فرق ما بيننا و بينهم

فتفهم عنى فهمك الله ماأنا قائل فى هـذا . واعلم أنك لم تر قوما قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولاأعدى على دينه ، ولا أشـد استهـلاكا لعرضـه ، ولا أطول نصبا ، ولاأقل غنما ، من أهل هذه النحلة . وقـد شفى الصدور منهـم طول جثوم الحسد على أكبادهـم ، وتوقد نار الشنآن فى قلوبهـم ، وغليان تلك المراجـل الفائرة ، وتسعّـر تلك النيران المضطرمة . ولو عرفوا أخـلاق كل مـلة ، وزى كل لغـة ، وعللهم فى اختـلاف اشاراتهـم وآلاتهم ، وشمائلهـم وهيآتهم ، وماعـلة كل شىء من ذلك ، ولم اختلقوه ولم تكلفوه ، لاراحـوا أنفسـهم ، وتخفـفت مؤنتهـم على من خالطهم

والدليـل على أن أخـذ العصا ماخوذ من أصل كريم ، ومن معـدِن شريف ، ومن المواضع التى لايعيبها الاجاهـل ، ولايعـترض عليها الامعاند ، اتخاذ سليمان ابن داود صـلوات الله تعالى وسلامـه على نبينا وعليـه العصا لخطبته وموعظتـه ، ولمقاماته وطول صلاته ، ولطول التلاوة والانتصاب . فجعلها لتلك الخصال جامعة ، قال الله عز وجـل وقوله الحق « فلما قضينا عليـه الموت مادلهـم على موته الادابة الارض تاكل منسأته . فلما خرتبينت الجن أن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العـذاب المهـين » والمنساة هى العصا . وقال أبو طالب حـين قام بدم الرجـل الذى ضرب زميله بالعصا فقتله حين تخاصما فى حبل وتجاذبا :

أَمِنْ أجلِ حَبلٍ لاأباكَ عَلَوْتَهُ ... بِمِنسأةٍ قَدْ جاءَ حَبْلٌ وأحبُـلُ

وقال آخر :

إذا دَبَبْتَ على المِنْساةِ مِنْ كِبَرٍ ... فَقَدْ تَباعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ

قال أبو عثمان : وانما بدأنا بذكر سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسـلام لانه من أنبياء العجم . والشـعوبية اليهم أميـل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعطاهم الله أكثر وصـفا وذكرا . وقـد جمع الله لموسى بن عمران فى عصاه من الـبرهانات العظام ، والعـلامات الجسام ، ماعسى أن يفى ء ذلك بعلامات عدّة من المرسـلين ، وجماعة من النبيـين . قال الله تبـارك وتعـالى فيما يذكر فى عصـاه « ان هـذان

لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ـ الى قوله ـ ولا يفلح الساحر حيث أتى » فلذلك قال الحسن بن هانئ [١] فى شان خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه :

فَانْ تَكُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ    فَانَّ عَصا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم الا بالعصا ، ولا عارضهم موسى الا بعصاه . وقال الله عز وجل « وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين . حقيق على ألا أقول على الله الا الحق . قد جئتكم ببينة من ربكم . فارسل معى بنى اسرائيل . قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين . فالقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين » وقال الله عز وجل « قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين . قال ألقوا . فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم . وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف مايأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصى والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى اعطاء البرهان ماجعل للعصا . وقدرة الله على تصريف الحبال فى الوجوه كقدرته على تصريف العصا . وقال الله تبارك وتعالى « فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كانها جانّ ولّى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين » . فبارك الله كما ترى على تلك الشجرة وبارك فى تلك العصا ، وانما العصا جزء من الشجرة . وقال الله عزوجل « والارض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها » وقالت الحكماء « انما تبنى المدائن على الماء والكلأ والمحتطب » فجمع بقوله « أخرج منها ماءها ومرعاها » النجم [٢] والشجر والملح واليقطين والبقل والعشب ، فذكر مايقوم على ساق ومايتفنن [٣] ومايتسطح ، وكل ذلك مرعى . ثم قال على النسق « متاعا لكم ولانعامكم » فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله ، لان الملح لايكون الابالماء ولاتكون النار الامن الشجر . وقال تبارك وتعالى « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه

---

١ هو أبو نواس شاعر الدور العباسى ٢ النجم : مانجم من النبات على غير ساق وهو خلاف الشجر ٣ لعله من الفنن وهو الغصن المستقيم طولا وعرضا

توقدون » وقال « أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين » والمرخ والعفار والسواس والعراجين وجميع عيدان النار وكل عود يقدح على طول الاحتكاك فهو غني بنفسه بالغ للمقوى وغير المقوى . وحجر المرو يحتج الى قراءة الحديد وهما يحتاجان الى العطبة ثم الى الحطب . والعيدان هى القادحة وهى المورية وهى الحطب . قال الله عز وجل « الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون » والماعون الماء والنار والكلأ .
وقال الاسدى :

وكأنَّ أرحُلَنا بأرضٍ مُحَصَّبٍ ... بلوى عُنيزةَ من مَقيلِ التُّرمُسِ (١)

في حَيثُ خالَطتِ الخُزامى عَرفَجاً ... يأتيكَ قابسُ أهلِها لم يَقبِسِ (٢)

وانما وصف خصب الوادى ولدونة عيدانه ورطوبة الورق ، وهذا خلاف قوله :

فانَّ السِّنانَ يركبُ المرءُ حَدَّهُ ... مِنَ العارِ أو يَعدُو على الأسدِ الوَرْدِ

وإنَّ الذي ينهاكُمُ في طِلابِها ... يُناغي نساءَ الحيِّ في طُرَّةِ البُرْدِ (٣)

يُعَلَّلُ والأيامُ تَنقُصُ عُمْرَهُ ... كما تَنقُصُ النيرانُ من طَرَفِ الزَّنْدِ (٤)

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة فقال « أصلها ثابت وفرعها فى السماء » وذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمة الحرم فقال « لايختلى خلاها ، ولايعضد شجرها » وقال الله عزوجل « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » وتقول العرب « ليس شيء ادفأ من شجرة ، ولاأظل من شجرة » ولم يكلم الله موسى إلا من شجرة ، وجعل أكثر آياته فى عصاه وهى من الشجرة . ولم يمتحن الله عز وجل صبر آدم وحواء ـ اذ هما أصل هذا الخلق وأوله ـ الا بشجرة ، ولذلك قال « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وجعل بيعة الرضوان تحت شجرة . وقال

---

١ اللوى : منقطع الرملة . وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . المقيل : مكان القيلولة وهى نوم الظهر . الترمس : نبات له حب معروف ٢ الخزامى : خيرى البر زهره أطيب الازهار نفحة . والعرفج : شجر سهلى ٣ ناغى المرأة : غازلها . والطرة : جانب الثوب أو البرد الذى لاهدب له ٤ الزند : العود الاعلى الذى يقتدح به النار . والاسفل الذى فيه الفرضة تسمى الزندة . واذا اجتمعا قيل زندان

«وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين» وسدرة المنتهى التى عندها جنة المأوى شجرة . وشجرة سرتحتها سبعون نبيا لاتعبل ولاتسرف . وحين اجتهد ابليس فى الاحتيال لآدم وحواء عليهما السلام لم يصرف الحيلة الا الى الشجرة وقال « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى » وفيما ضرب من الامثال بالعصا قالوا قال جميل بن بصبهرى حين شكا اليه الدهاقين شر الحجاج قال « أخبرونى أين مولده » قالوا « الحجاز » قال « ضعيف معجب » قال « فمنشؤه » قالوا « الشام » قال « ذاك شر » ثم قال « ماأحسن حالكم ان لم تبتلوا معه بكاتب منكم » يعنى من أهل بابل ، فابتلوا بزاذان فروخ الاعور . ثم ضرب لهم مثلا فقال : ان فاسا ليس فيه عود ألقى بين الشجر ، فقال بعض الشجر لبعض « ماألقى هذا ها هنا لخير » قال فقالت شجرة عادية « ان لم يدخل فى أست هذا منكن عود فلا تخفنه » وقال يزيد بن مفرغ :

العَبْـــدُ يُقْرَعُ بالعَصا ... والحُرُّ تَـكفيهِ المَلامَهْ

قالوا أخذه من الفلتان الفهمى حيث قال :

العَبْـــدُ يُقْرَعُ بالعَصا ... والحُرُّ تَـكفيهِ الاشارَهْ

وقال مالك بن الريب :

العَبْـــدُ يُقْرَعُ بالعَصـا ... والحُرُّ يَـكفيهِ الوَعيدُ

وقال بشار :

الحُرُّ يُلحَى والعَصا لِلعَبْـــدِ ... ولَيْسَ لِلمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وقال أخر :

حاوَلْتُ حِـــينَ صَرَمْتَنى ... والمَرْءُ يَعْجَزُ لامَحالَهْ

والدَّهْرُ يَلْعَبُ بالفَـتى ... والدَّهْرُ أرْوَغُ مِنْ ثُعالَه (١)

والمَرْءُ يَكْسِبُ مالَهُ ... بالشُّحِّ يُوَرِّثُهُ الكَلالَهْ (٢)

والعَبْـــدُ يُقْرَعُ بالعَصـا ... والحُرُّ تَـكفيهِ المَقالَهْ

---

١ ثعالة : علم لانثى الثعلب ٢ الكلالة : من تكلل نسبه بنسبك كابن العم والاخوة لام وبنى العم الاباعد

ومما يدخل فى باب الانتفاع بالعصا أن عامر بن الظرب العدوانى حكم العرب فى الجاهلية لما أسن واعتراه النسيان أمر بنته أن تقرع بالعصا إذا هو فه[١] عن الحكم وجار عن القصد ، وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت فى ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وجمعة بنت حابس بن مليل الاياديين ، وكان يقال لعامر ذوالحلم ولذلك قال الحارث بن وعلة :

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لاحُلُومَ لَنَا ... إِنَّ العَصَاقُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ

وقال المتلمس :

لِذِى الحِلمِ قَبْلَ اليَوْمِ ماتُقْرَعُ العَصَا ... وَمَا عُلِّمَ الانسانُ الاّ لِيَعْلَمَا

وقال الفرزدق بن غالب :

فانْ كُنتُ أُنسانى حُلُومَ مُجاشِعٍ ... فَانّ العَصَا كانَتْ لِذِى الحِلْمِ تُقْرَعُ

ومن ذلك حديث سعيد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة واعتزام الملك على قتل أخيه ان هو لم يصب ضميره فقال له سعيد « أبيت اللعن ، أتدعنى حتى أقرع بهذه العصا أختها » فقال له الملك « وما علمه بما تقول العصا » فقرع بها وأشار بها مرة ثم رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فاخبره ونجا من القتل

وذكر العصا يجرى عندهم فى معان كثيرة ، تقول العرب « العصا من العصية والافعى بنت حية » تريد أن الامر الكبير يحدث عن الامر الصغير . ويقال « طارت عصا فلان شققا » وقال الاسدى :

عَصِىُّ الشَّمْلِ مِنْ أَسَدٍ أَراها ... قَدِ انْصَدَعَتْ كَمَا انْصَدَعَ الزُّجاجُ

يقال « فلان شق عصا المسلمين » ولا يقال شق ثوبا ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق . وقال العتابى فى مدح بعض الخلفاء :

إمامٌ لَهُ كَفٌّ تَضُمُّ بَنانُها ... عَصَاالدِّينِ مَمْنُوعٌ مِنَ البَرْيِ عُودُها

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها ... سَواءٌ عَلَيْهِ قُرْبُها وبَعِيدُها

وقال المضرس الاسدى :

وأَلقَتْ عَصاها واستَقَرَّتْ بِها النَّوى ... كَما قَرَّ عَيناً بالايابِ المُسافِرُ

---

١ فه عن الشيء : نسيه

وقال المضرس أيضا :

فألقتْ عصا التَّسيارِ عنها وخيَّمتْ بأرجاءِ عذبِ الماءِ بيضٍ محافرُهْ

يقال لبنى أسد « عبيد العصا » يعنى أنهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء . قال بشر بن أبى حازم :

عَبيد العصا لم يتَّقوكَ بذمةٍ سِوى شيبِ سعدٍ إنَّ شيبكَ واسعُ

وتسمى العرب كل صغير الرأس « العصا » . وكان عمر بن هبيرة صغير الرأس . قال سويد :

فمن مبلغٌ رأسَ العصا أنَّ بيننا ضغائنَ لا تُنسى وإنْ قدُمَ الدَّهرُ

وقال آخر :

فمن مبلغٌ رأسَ العصا أنَّ بيننا ضغائنَ لا تُحصَى وإن قيلَ سلَّتِ

رضيتَ لقيسٍ بالقليلِ ولم تكنْ أخا راضيًا لو أنَّ نعلكَ زلَّتِ

وكان والبة صغير الرأس ، فقال أبو العتاهية فى رأس والبة ورؤس قومه :

رؤسُ عصيٍّ كُنَّ من عودِ أثلةٍ (١) لها قادحٌ يفرى وآخرُ مُجربُ

والدليل على أنهم كانوا يتخذون المخاصر فى مجالسهم كما يتخذون القنا والقسى فى المحافل قول الشاعر فى بعض الخلفاء ٢ :

فى كفِّهِ خيزرانٌ ريحها عبقٌ من كفِّ أروعَ في عرنينهِ شممُ

يُغضى حياءً ويُغضى من مهابتهِ فما يُكلَّمُ إلاّ حينَ يبتسمُ

وقال الآخر ٢ :

مجالسهمْ خفضُ الحديثِ وقولُهمْ إذا ما قضوا في الأمرِ وحيُ المخاصرِ

وقال الانصارى ٣ :

يُصيبونَ فصلَ القولِ فى كلِّ خُطبةٍ إذا وصلوا أيمانَهمْ بالمخاصرِ

---

١ الأثلة : شجرة الطرفاء جمعها أثلات ٢ سبق هذا فى ص ١٩٧ من الجزء الاول

٣ سبق فى ص ١٩٨

قال وحدثني بعض أصحابنا قال كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر ، وكان لبثنا عنده يطول ، فقال بعضنا : إن رأيت أن تجعل لنا أمارة اذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثل الذي قلنا لك فقال أمارة ذلك أن أقول « اذا شئتم » وقيل ليزيد مثل ذلك فقال اذا قلت « على بركة الله » وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال « اذا ألقيت الخيزرانة من يدى » قالوا فاى شيء تجعل لنا أصلحك الله . قال : اذا قلت « ياغلام ، الغداء » . وفى الحديث أن رجلا ألح على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى طلب بعض المغنم وبيده مخصرة فدفعه بها فقال « يارسول الله أقصنى [1] » فلما كشف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه . وفى تثبيت شان العصى وتعظيم أمرها والطعن على ذم حاملها قالوا : كانت لعبد الله بن مسعود عشر خصال أولها السواد وهو سرار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اذنك علىّ أن يرفع الحجاب وتسمع سوادى » وكان معه مسواك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت معه عصاه . قال ودخل عمر بن سعد على عمر بن الخطاب حين رجع اليه من عمل حمص — وليس معه الاجراب واداوة [2] وقصعة وعصاة — فقال له عمر « ماالذى أرى بك من سوء الحال أم تصنّع » قال « وما الذى ترانى ، أو لست ترانى صحيح البدن ، معى الدنيا بحذافيرها » قال « وما معك من الدنيا » قال « معى جرابى أحمل فيه زادى ، ومعى قصعتى أغسل فيها ثوبى ، ومعى أداوتى أحمل فيها مائى لشرابى ، ومعى عصاى ان لقيت عدوا قاتلته وان لقيت حية قتلتها ، ومابقى من الدنيا فهو تبع لما معى »

وقال الهيثم بن عدى عن الشرقى بن القطامى وساله سائل عن قول الشاعر :

لايعدلنّ أتاويّون تضربهم — نكباء صرّ — بأصحاب المُحلّات [3]

قال أليس المحلات الدلو والقدحة والقربة والفأس . قال فاين أنت عن العصا ، والصّفن [4] خير من الدلو أجمع . وقال النمر بن تولب :

---

١ أى مكنى من أخذ القصاص ٢ الاداوة : اناء صغير من جلد ٣ الاتاويون : الغرباء . والنكباء : الريح المنحرفة عن مهاب الرياح الاربع فتقع بين ريحين منها . والصر : الباردة . يقول ان الغرباء الذين تضربهم هذه الريح الباردة لايتساوون مع أصحاب المحلات ٤ الصفن : شيء كالركوة يتوضأ فيه ، وخريطة الطعام وزناده وأداته وما يحتاج اليه

أفرغتُ فى حوضها صفنى لتشربه  فى داثرٍ خلَقِ الاعضاءِ أهدامِ (١)

وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسى كله بخصالها لفعلت

وتقول العرب فى مدح الرجل الجلد الذى لايفتات عليه بالرأى « ذلك الفحل لايقرع أنفه » وهذا كلام يقال للخاطب اذا كان على هذه الصفة . لان الفحل اللئيم اذا أراد الضراب ضرب أنفه بالعصا . وقد قال ذلك أبو سفيان بن حرب بن أمية عند ما بلغه من تزويج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بام حبيبة وقيل له مثلك تنكح نساؤه بغير اذنه فقال « ذلك الفحل لايقرع أنفه . والحمار الفاره يفسده الصوت وتصلحه المقرعة » وأنشد لسلامة بن جندل :

إنّا إذا ماأتانا صارخٌ فزِعٌ  كانَ الصراخُ لهُ قرْعَ الظنابيبِ (٢)

وقال الحجاج « والله لاعصبنكم عصب السلمة . ولاضربنكم ضرب غرائب الابل ٣ » وذلك لان الاشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان . ودخل أبومجلز على قتيبة بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصى فقال « أيها الامير ، ان الله قد جعل لكل شىء قدرا ، ووقت فيه وقتا ، فالعصى للانعام والبهائم ، والسيوط للحدود والتعزير ، والدرة للادب ، والسيف لقتال العدو والقود » ثم قال الشرقى « دعنا من هذا ، خرجت من الموصل وأنا أريد الرقة مستخفيا ـ وأنا شاب خفيف الحال ـ فصحبنى من أهل الجزيرة فتى مارأيت بعده مثله ، فذكر أنه تغلبى من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود وركوة وعصاً ، فرأيته لايفارقها وطالت ملازمته لها ، فكدت من الغيظ عليه أرمى بها فى بعض الاودية ، فكنا نمشى فاذا أصبنا دوابّ ركبناها واذا لم نُصب الدواب مشينا . فقلت له فى شان عصاه ، فقال لى : ان موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه حين آنس من جانب الطور ناراً وأراد الاقتباس لاهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة الا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادى المقدس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك واخلع نعليك . فرمى نعليه راغبا عنهما حين نزه الله

---

١ الصفن : الركوة . وثوب داثر : أى أصابه البلى . والخلق مثله . والاهدام مثله أيضا

٢ الفزع هنا بمعنى الاستنجاد لابمعنى الخوف . والظنابيب : جمع ظنبوب وهو حرف الساق من قدم . يقال قرع للامر ظنبوبه اذا جد فيه ولم يفتر . ومعنى البيت انا اذا استغاث بنا مستغيث جددنا فى نصرته ٣ سبق فى ص ٢٠٩ من الجزء الاول وفى أواخر الجزء الثانى

ذلك الموضع عن الجلد غير الذكى ، وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه و برهاناته فى عصاه ، ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف انسان ولا جان » قال الشرقى « إنه ليكثر من ذلك و إنى لاضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلف المكارى ، فكان حماره يمشى فاذا تلكأ أكرهه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق وأعلم أنه ليس فى يدى شىء يكرهه ، فسبقنى الفتى الى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البراح ، حتى وافانى المكارى فقلت هذه واحدة . فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شىء نركبه ، فكنا نمشى ، فاذا أعيا توكا على العصا ، وربما أحفز [1] ووضع العصا على وجه الارض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم ، وألحّ حتى انتهينا الى المنزل وقد تفسختُ من الكلال ، واذا فيه فضل كبير ، فقلت هذه ثانية . فلما كان فى اليوم الثالث — ونحن نمشى فى أرض ذات أخاقيق [2] وصدوع — إذ هجمنا على حيّة منكرة فساورتنا [3] فلم تكن عندى حيلة الا خذلانه و إسلامه اليها والهرب منها ، فضربها بالعصا ، فثقلت ، فلما بهشت له ورفعت صدرها ضربها حتى وقذها ، ثم ضربها حتى قتلها ، قلت هذه ثالثة وهى أعظمهن . فلما خرجنا فى اليوم الرابع والله قرمت الى اللحم ، وأنا هارب معدم ، اذا أرنب قد اعترضت نخذها فما شعرت والله الا وهى معلقة وأدركنا ذكاتها [4] فقلت هذه رابعة . وأقبلت عليه فقلت له : لوأن عندنا ناراً لما أخرت أكلها الى المنزل ، قال : فان عندك ناراً ، فأخرج عويدا من مزوده ثم حكه بالعصا فأورت ايراء المرخُ والعَفارُ عنده لاشىء [5] ، ثم جمع ماقدر عليه من الغُثاء والحشيش [6] وأوقد ناره وألقى الارنب فى جوفها فاخرجناها — وقد لزق بها من الرماد والتراب مانغصها الى — فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأعراضها ضرباً رقيقا حتى انتثر كل شى عليها ، فاكلناها وسكن القرم وطابت النفس ، فقلت هذه خامسة . ثم انا نزلنا ببعض الخانات واذا البيوت ملأى روثاً وترابا ، ونزلنا بعقب جند وخراب متقدم ، فلم نجد موضعا نظل فيه ، فنظر الى حديدة مسحاة مطروحة فى الدار فاخذها فجعل العصا نصابا لها ، ثم قام فجرب [7] جميع ذلك الروث والتراب

---

١ لعله « احتفز » أى استوفز واحتث واجتهد ٢ واحدها « خق » و « أخقوق » و « أخقيق » وهو الشق فى الارض ٣ أى واثبتنا ٤ ذكا الذبيحة ذكاة : ذبحها ذبحا ٥ المرخ والعفار : كل منهما شجر سريع الورى يقتدح به ٦ الغثاء : البالى من ورق الشجر المخالط زبد السيل ٧ لعل الباء زائدة فى قوله « فجرب »

وجرد الارض بها جردا حتى ظهر [1] بياضها وطابت ريحها ، فقلت هـذه سادسة . وعلى أى حال لم تطب نفسى أن أضع طعامى وثيابى على تلك الارض ، فنزع والله العصا من حديدة المسحاة فوتدها فى الحائط وعاق ثيابى عليها ، فقلت هـذه سابعة . فلما صرت الى مفرق الطرق وأردت مفارقته قال لى : لوعدلت معى فبت عندى كنت قد قضيت حق الصحبة ، والمنزل قريب . فعـدلت معـه ، فادخلنى فى منزل يتصل ببيعـة ، قال فمازال يحـدثنى ويطرفنى ويلطفنى الليـل كله ، فلما كان السحر أخـذ خشبة ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها فاذا ناقوس ليس فى الدنيا مثـله واذا هو أحـذق الناس بضربه ، فقلت له : ويلك أما أنت مسلم وأنت رجـل من من العرب من ولد عمرو بن كلثوم . قال : بلى . قلت : فلم تضرب بالناقوس . قال : جعلت فـداك ، ان أبى نصرانى ، وهو صاحب البيعـة ، وهو شيخ ضعيف ، فاذا شهدته بررته بالكفاية . واذا هو شيطان مارد ، واذا أظرف الناس كلهم وأكثرهم أدبا وطلبا . فخـبرته بالذى أحصيته من خصال العصا بعـد أن كنت هممت أن أرمى بها . فقال : والله لو حدثتك عن مناقب نفع العصا الى الصبح لما استنفدتها

ومن جمل القول فى العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق تفسير شعر غنيـة الاعرابيـة فى شأن ابنهـا ، وذلك أنها كان لهـا ابن شـديد العـرامة [2] كثيـر التلفت الى النـاس مع ضـعف أسر [3] ودقـة عظـم ، فواثب مرة فـتى من الاعراب ، فقطـع الفـتى أنفـه ، وأخـذت غنيـة دية أنفـه ، فحسـنت حالهـا بعـد فقـر مـدقع . ثم واثب آخـر ، فقطـع أذنه فاخـذت الدية ، فزادت دية أذنه فى المـال وحسن الحال . ثم واثب بعد ذلك آخر ، فقطع شفته . فلما رأت ماقـد صار عنـدها من الابل والغـنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيـه فذكرته فى أرجوزة لهـا تقول فيها :

أَحْلِفُ بالمَرْوَةِ يَوْماً والصَّفا    أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفارِيقِ العَصا

فقيل لابن الاعرابى : ماتفاريق العصا . قال : العصا تقطع ساجورا [4] وتقطع عصا الساجور فتصـير أوتادا ، ويفرق الوتد فتصير كل قطعـة شظاظا [5] ، فان كان رأس الشظاظ كالفلكة [6] صار للبختى [7] مهارا - وهو العود الذى يدخـل فى

---

١ خ : ذهب ٢ لعله « العرام » وهو الجهل والشراسة والاذى ٣ أى انه ضعيف الخلقة
٤ الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب ٥ الشظاظ خشبة عقفاء تدخـل فى عروتى الجوالق
٦ كل مستدير يسمى فلكة ٧ البختى : الجمل الخراسانى

أنف البختى - ، واذا فرق المهار جاءت منه تواد ١

والسواجير تكون للكلاب والاسرى من الناس . وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « يؤتى بناس من هاهنا يقادون الى حظوظهم بالسواجير »

واذا كانت قناة فكل شقة منها قوس بندق ، قال فان فرقت الشقة صارت سهاما ، فان فرقت السهام صارت حظاء - وهى سهام صغار - قال الطرماح « كحظاء الغلام » والواحدة حظوة وسروة ٢ فان فرقت الحظاء صارت مغازل ٣ فان فرقت المغزل شعب به الشعّاب ٤ أقداحه المصدوعة المشقوقة ، على أنه لايجد لها أصلح منها . وقال الشاعر :

نَوافِذَ أَطرافِ القَنَا قَدْ شكَكْتُهُ (٥) كَشكِّكَ بالشَّعْبِ الاناءَ المُثَلَّما

فاذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الاوساط والصغار مالا يحصيه أحد . واذافرقت ففيها مثل الذى ذكرنا وأكثر . فاى شىء يبلغ فى المرفق والرد مبلغ العصا . وفى قول موسى على نبينا وعليه السلام « ولى فيها مآرب أخرى » دليل على كثرة المرافق فيها ، لانه لم يقل ولى فيها ماربة أخرى والمآرب كثيرة ، فالذى ذكرنا قبل هذا داخل فى تلك المآرب . ولا نعرف شعرا يشبه معنى شعر غنية بعينه لايغادر منه شيئا : ولكن زعم أصحابنا أن أعرابيين ظريفين من شياطين الاعراب حطمتهما السنة فانحدرا الى العراق واسم أحدهما ( حيدان ) . فبينما هما يتماشيان فى السوق فاذا فارس قد أوطأ دابته رجل حيدان فقطع إصبعا من أصابعه . فتعلقا به حتى أخذا منه أرش الاصبع ٦ - وكانا جائعين مقرورين - فحين صار المال فى أيديهما قصدا لبعض الكرابج ٧ فابتاعا من الطعام مااشتهيا . فلما أكل صاحب حيدان فشبع أنشا يقول :

فَلاغَرثٌ ما كانَ فِي النّاسِ كُرْبَجٌ (٨) وَما بَقِيتْ فِى رِجلِ حَيْدانَ إِصبَعُ

وهذا الشعر وشعر غنية من المظرف الناصع الذى سمعت به ، وظرف الاعراب لايقوم له شىء

---

١ كذا فى الاصل ٢ الحظوة : سهم صغير قدر ذراع . والسروة : السهم الصغير القصير ٣ المغازل : عمد النورج وهى الآلة التى تداس بها الاكداس ٤ الشعاب : الذى حرفته الشعابة أى الذى يلئم صدع الاناء المصدوع ٥ القنا : الرماح جمع قناة . والنوافذ : جمع نافذة وهى الطعنة المنتظمة شقين ٦ الارش : دية الجراحات ٧ جمع كربج بمعنى الحانوت وقيل متاع حانوت البقال ٨ الغرث : الجوع . والكربج : حانوت البقال كما تقدم

وناس كثير لا يستعملون فى القتال الا العصا . منهم الزنج قبيلة كنجوبة والنمل والكلاب وتكفوا وثبتوا على ذلك يعتمدون فى حروبهم . ومنهم النبط ولهم بها ثقافة وشدة وغلبة . وأثقف ماتكون الاكراد اذا قاتلت بالعصى . وقتال الخارجات كلها بالعصى ، ولهم هناك ثقافة ومنظر حسن ، ولقتالهم منزلة بين السلامة والعطب والناس يضربون المثل قتال البقار بقناته . ويقال فى المثل « ماهو الا ابنة عصا ، وعقدة رشا » ويقال للراعى « انه لضعيف العصا » اذا كان قليل الضرب بها للابل شديد الاشفاق عليها . قال الراعى :

ضَعيفُ العَصا بادِى العُرُوقِ تَرَى لَهُ ... عليها إذا ما أَجْدَبَ النّاسُ إصْبَعَا

واذا كان الراعى جلداً قويا عليها قالوا « صلب العصا » ولذلك قال الراجز :

صُلْبُ العَصا باقٍ على أَذاتِها

وقال الآخر فى معنى الراعى :

لاتَضْرِباها وأشْهِرا العِصِيّا

ويقولون « قد أقبل فلان ولانت عصاه » إذا أصابه السواف [١] فرجع وليس معه الا عصاه ، لانه لايفارقها كانت له إبل أم لا . ويقولون « كلما قرعت عصا بعصا ، وعصا على عصا ، وعصا عصا ـ قالوا ـ أخذوا فلانا بذلك » وقال حميد بن ثور :

اليَوْمَ تُنْتَزَعُ العَصا من رَبِّها ... ويَلُوكُ ثِنْىَ لِسانِهِ المِنْطِيقُ

ويكتب مع قوله :

تَخْشَى العَصا والزَّجْرَ إنْ قِيلَ حَلِ ... يُرْسِلُها التَّغْمِيضُ إنْ لَمْ تُرسَلِ [٢]

وقال آخر :

هـذا وَوِرْدٌ بُزَّلٍ وسُدُسٍ [٣] ... يُغْلِى بها كُلُّ مُسِيمٍ مُرْغِسِ [٤]

---

١ السواف : مرض الابل وهلاكها ٢ حل : اسم صوت تزجر به الابل • والتغميض : الركوب على العمياء ٣ البزل : جمع بازل وهو البعير الذى انشق نابه بدخوله فى السنة التاسعة • والسدس : جمع سدس ـ بفتح السين والدال ـ وهو السن قبل البازل ٤ أغلى بالشىء : اشتراه بثمن غال • المسيم : الذى يخرج الابل الى المرعى • المرغس : الذى ينعم نفسه

رُدَّتْ مِنَ الغَوْرِ وأَكْنافِ الرِّسِيّ (١) مِنْ عُشُبٍ أَحْوَى وَحَمْضٍ مُورِسِ (٢)

وَذائِدٍ جَلْدِ العَصا وَكِهْمِسِ (٣) إنْ قِيلَ قُمْ قامَ وإنْ قِيلَ اجْلِسِ

داسَتْ (٤) سِماطَيْ عَفَرٍ مُدَعَّسِ (٥)

ويدل على شدة قتالهم بالعصا قول بشامة بن حزن النهشلي :

فِدًى لِرِعاءٍ بالبُحَيْرَةِ ذَبَّبُوا بِأَعْصِيِهِمْ والماءُ بَرْدُ المَشارِبِ (٦)

إلاّ نُعَيْمٌ لاتَجُوزُ بِحَوْضِهِ فَقُلْتُ تَحَلَّلْ يانُعَيْمَ بْنَ قارِبِ

فَإِنَّ زِياداً لَمْ يَكُنْ لِيَرُدَّها وَسَبْرَةَ عَنْ ماءِ النَّضِيحِ المُقارِبِ (٧)

أَغَرَّكَ أَنْ جاءَتْ ظِماءً وباشَرَتْ بِأَعْناقِها بَرْدَ النِّصابِ الصُّباصِبِ (٨)

تَناوَلْنَ مافِي الحَوْضِ ثُمَّ امْتَذَيْنَهُ (٩) بِجِذْعٍ وَأَعْناقٍ طِوالِ الذَّوائِبِ

ويقولون فلان « ضعيف العصا » اذا كان لايستعمل عصاه . ولذلك قال البعيث :

وَأَنْتَ بِذاتِ السِّدْرِ مِنْ أُمِّ سالِمٍ ضَعِيفُ العَصا مُسْتَضْعَفٌ مُتَهَضِّمُ (١٠)

وقال الآخر :

وَماصادِياتٌ حُمْنَ يَوْماً وَلَيْلَةً عَلَى الماءِ يَخْشَيْنَ العِصِيَّ حَوانِ (١١)

لَوائِبُ لايَصْدُرْنَ عَنْهُ بِوِجْهَةٍ (١٢) وَلا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الحِياضِ دَوانِ

يَرَيْنَ حَبابَ الماءِ والمَوْتُ دُونَهُ فَهُنَّ لأَصْواتِ السُّقاةِ رَوانِ

١ الغور : ماانحدر من الارض · والرسي : العمود الثابت فى وسط الخباء ٢ الاحوى : الذى خالط خضرته سواد وصفار · والحمض : فاكهة تأكلها الابل · مورس : مصفر الورق ٣ الكهمس : القصير من الرجال ٤ لعله « داس » ٥ سماطا الطريق : جانباه · والعفر : وجه الارض ٦ الرعاء : جمع راعى · ذببوا : أكثروا الدفع والمنع · الاعصى : جمع العصا ٧ النضيح : الحوض ٨ النصاب : أول الشيء وأصله · الصباصب : الغليظ الشديد ٩ مذى الدابة وأمذاها : أرسلها ترعى ١٠ السدر : شجر النبق ، المتهضم : والمتكسر الوجه من الحزن ١١ الصاديات : العطاش · حمن على الماء : درن حوله · حوان : جمع حانية من الحنو وهو الميل والانعطاف ١٢ لوائب : حائمات عطشا

بأوجعَ مِنّيَ جَهْدَ شوقٍ وغُلّةٍ ... إليك ولكنَّ العدوَّ عداني

وقال الآخر:

فما وَجدُ مِلواحٍ من الهِيمِ حُلِّئَتْ ... عن الماءِ حتّى جوفُها يتصلصَلُ (١)

تحومُ وتَغشاها العِصيُّ وحَولَها ... أقاطِعُ أنعامٍ تَعلُّ وتنهَلُ (٢)

بأعظمَ منّي غُلّةً وتَعطُّفاً ... إلى الوِرْدِ إلّا أنّني أتجمّلُ

ويقال « ضرب فلان ضرب غرائب الابل » وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب. وقال الحارث بن صخر:

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهامَ عن سَكَناتِهِ ... كما ذِيدَ عن ماءِ الحِياضِ الغرائِبِ

وقال الآخر:

لِلهامِ ضَرّابونَ بالمناصِلِ ... ضَرْبَ المُذيدِ غُرَبَ النَّواهِلِ

وقال ابن أحمر:

رَوْدُ الشَّبابِ كأنّها غُصُنٌ ... بِحَرامِ مَكّةَ ناعِمٌ نَضِرُ (٣)

وقال الآخر:

أما تَرَيْني قائماً في جُلِّ ... جَمَّ الفُتُوقِ خَلَقٍ هَمَلِّ (٤)

مُحاذِراً أبغضَ عن تَحَتِّلِّ (٥) ... عِندَ اعتِلالِ دَهرِكِ المُعتَلِّ

فقدْ أرَى في اليَلْمَقِ الرِّفَلِّ (٦) ... أصُونُ للانسِ جَميلَ الدَّلِّ

لدْناً كخُوطِ البانَةِ المُبتَلِّ (٧)

وتكون العصا محراثا ، وتكون مخصرة ، وتكون المخصرة قضيب حبرة ، وعود ساجور . ثم تكون تودية . ويقال للرجل اذا كانت فيه ابنة « فلان يخبأ العصا » وقال الشاعر:

---

١ الملواح: السريعة العطش . الهيم : جمع هيماء وهي الناقة المصابة بداء الهيام وهو شدة العطش . حلئت : طردت ومنعت • يتصلصل : يسمع له صوت ٢ تعل : تشرب مرة ثانية • والنهل : أول الشرب ٣ رود الشباب : لعله من قولهم « ريح رود » أي لينة الهبوب ٤ همل : صغير ٥ كذا في الاصل ٦ اليلمق : القباء • والرفل : الواسع ٧ الخوط : الغصن الناعم لسنته

زَوْجُكِ زَوْجٌ صالِحٌ لَكِنَّهُ يَخْبا العَصا

وفي الامثال « تحذفه بالقول كما تحذف الارنب بالعصا » . وقال إياس بن قتادة العبشمي :

سأنحرُ أُولاها وأحذفُ بالعَصا على اثْرِها إنّي لِما قُلْتُ عازِمُ

قال ابن كناسة في شرط الراعي على صاحب الابل « ليس لك أن تذكر أمي بخير ولاشر ، ولك حذفي بالعصا عند غضبك أصبت أم أخطأت ، ولي مقعدي من النار وموضع يدي من الحار والقار [١] » كان العتبي يحدث في هذا بحديثين أحدهما قوله عن الاعرابي « وكان اذا خرست الالسن عن الرأي حذف بالصواب كما تحذف الارنب بالعصا » وأما الحديث الآخر فذكر أن قوما أضلوا الطريق فاستأجروا أعرابيا يدلهم على الطريق فقال « اني والله لاأخرج معكم حتى أشرط لكم وأشرط عليكم » قالوا له « فهات ما لك » قال « يدي مع أيديكم في الحار والقار ، ولي موضعي من النار موسع عليّ مافيه ، وذكر والدي عليكم محرم » قالوا « فهذا لك ، فما لنا عليك ان أذنبت » قال « إعراضة لاتؤدي الى تعب وعتب ، وهجرة لاتمنع من مجامعة السفرة » قالوا « فان لم تعتب » قال « فحذفة بالعصا أخطأت أم أصابت » وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم وانما قرأتهما في بعض الكتب من المستحدثين

ولاهل المدينة عصيّ في رؤسها عُجر لاتكاد أكفهم تفارقها اذا خرجوا الى ضياعهم ومتنزهاتهم ، ولهم فيها أحاديث حسنة وأخبار طيبة . وكان الافشين يقول « اذا ظفرت بالعرب شدخت رؤس عظمائهم بالدبوس » والدبوس شبيه بهذه العصا التي في رأسها عجرة . وقال جحشوية :

يارَجُلاً هامَ بِلَيّادِ مُعْتَدِلٍ كالغُصْنِ مَيّادِ
هامَ بِهِ غَسّانُ لَمّا رأى أيْراً لَهُ مِثلَ عَصا الحادِي
ولَمْ يَزَلْ يَهْوى أَبُو مالِكٍ كُلَّ فَتىً كالغُصنِ مُنّادِ
يُعجِبُهُ كُلُّ مَتينِ القُوى لِلطَّعنِ في الأَدبارِ مُعْتادِ

١ أي له أن يصطلي على نار صاحب الابل وأن يأكل من حار الطعام و بارده

وقالوا « تغميض الناقة عينها كى تركب العصا الى الحوض » وهو معنى قول أبى النجم :

تَخشَى العَصا والزَّجرَ إنَّ قِيلَ حَلِ ‏ ‏ ‏ ‏ يُرسِلُها التَّغميضُ ان لَم تُرسَلِ (١)

وهذا مثل قول الهذلى :

ولأنتَ أشجَعُ مِنْ أُسامةَ إذْ ‏ ‏ ‏ ‏ شَدُّوا المناطِقَ فوقَها الحَلَقُ (٢)

حَدُّ السُّيُوفِ على عَواتِقِهِمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وعلى الأكُفِّ ودُونَها الدَّرَقُ (٣)

كَغَماغِمِ الثِّيرانِ بَينَهُمُ ‏ ‏ ‏ ‏ ضَرْبٌ تغمِّضُ دُونَهُ الحَلَقُ

وقال حميد بن ثور الهلالى :

اليومَ تُنتَزَعُ العَصا مِنْ رَبِّها ‏ ‏ ‏ ‏ ويَلُوكُ ثِنْىَ لِسانِهِ المِنْطِيقُ (١)

يقال « رجل كالقناة وفرس كالقناة » وقال الشاعر :

مَتَى ما يَجِئْ يَوْماً إلى المالِ وارِثى ‏ ‏ ‏ ‏ يَجِدْ جَمعَ كَفٍّ غيرَ مَلأَى ولا صِفْرِ (٤)

يَجِدْ فَرَساً مِثْلَ القَناةِ وصارِماً ‏ ‏ ‏ ‏ حُساماً إذا ما هُزَّ لَم يَرضَ بالهَبْرِ (٥)

وجاء فى الحديث « أجدبت الارض على عهد عمر رضى الله تعالى عنه ، حتى ألفت الرعاء العصى ، وعطلت النعم ، وكسر العظم . فقال كعب : يا أمير المؤمنين ، ان بنى اسرائيل كانوا اذا أصابتهم السنة استسقوا بعصبة الانبياء . فكان ذلك سبب استسقائه بالعباس بن عبد المطلب » . وساورت حية أعرابيا فضربها بعصاه وسلم منها فقال :

لَوْلا الهَراوَةُ والكَفّانِ أنهَلَنى ‏ ‏ ‏ ‏ حَوضَ المَنِيَّةِ قَتّالٌ لِمَنْ وَرَدا

وقال الآخر ٦ :

دَعا ابنُ مُطِيعٍ للبِياعِ فَجِئْتُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ إلى بَيعَةٍ قَلْبِي لَها غَيرُ آلِفِ

فَناوَلَنى خَشْناءَ لَمّا لَمَسْتُها ‏ ‏ ‏ ‏ بِكَفِّى لَيْسَتْ مِنْ أكُفِّ الخَلائِفِ

مِنَ الشَّثِناتِ الكُزْمِ أنكَرتُ لَمسَها ‏ ‏ ‏ ‏ ولَيْسَتْ مِنَ البِيضِ الرِّقاقِ اللَّطائِفِ

---

١ سبق فى ص ٢٥ من هذا الجزء ٢ أسامة : من أسماء الاسد ٣ الدرق : جمع درقة وهى الترس ٤ صفر : خالية ٥ الهبر : بضع اللحم لاعظم فيها ٦ سبق فى ص ٥٣ من الجزء الاول وص ٦ من هذا الجزء

مُعاوِدَةً حَمْلَ الهَرَاوَى لِقَوْمِها فَرُوراً إِذا ما كانَ يَوْمُ التَّنائُفِ

وقال الحجاج بن يوسف لانس بن مالك « والله لاقلعنك قلع الصمغة ، ولاعصبنك عصب السلمة ، ولاجردنك تجريد الضب [1] » وقال عمر رضى الله تعالى عنه لابى مريم الحنفى « والله لاأحبك حتى تحب الارض الدم المسفوح [2] » لان الارض لاتقبل الدم فاذا جف الدم تقلع جلبا . وقد أسرف المتلمس حيث يقول :

أحارِثُ إِنّا لَوْ تُساطُ دِماؤُنا [3] تَزايَلْنَ حَتَّى لايَمَسَّ دَمٌ دَما

وأشد سرفا منه قول أبى بكر الشيبانى قال « كنت أسيراً مع بنى عم لى من بنى شيبان ـ وفينا من موالينا جماعة ـ فى أيدى التغالبة فضربوا أعناق بنى عمى وأعناق الموالى على وهدة من الارض ، فكنت والذى لااله الا هو أرى دم العربى ينماز من دم الموالى حتى أرى بياض الارض بينهما ، فاذا كان هجينا قام فوقه ولم يعتزل » وأنشد الاصمعى :

يُذَدْنَ وَقَدْ أُلقيت فى قَعْرِ حُفْرَةٍ كما ذِيدَ عَنْ حَوْضِ العراكِ غَرائِبُهْ

وقال العباس بن مرداس :

نُقاتِلُ عَنْ أَحْسابِنا بِرِماحِنا فَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ المُذِيدِ الخَوامِسا [4]

وقال الفرزدق بن غالب :

ذَكَرْتَ وقَدْ كادَتْ عَصا البَيْنِ تَنْشَظِى خَيالَكَ مِنْ سَلْمَى وذو اللُّبِّ ذاكِرُ

وقال الاسدى :

إِذا المَرْءُ أَوْلاكَ الهَوانَ فأَوْلِهِ هَواناً وَإِنْ كانَتْ قَرِيباً أَواصِرُهْ

وَلا تَظْلِمِ المَوْلَى ولاتَضَعِ العَصا عَلى الجَهْلِ إِنْ طارَتْ إِلَيْكَ بَوادِرُهْ

وقال جرير بن عطية :

أَلا رُبَّ مَصْلُوبٍ حَمَلْتَ عَلى العَصا وَبابُ استِهِ عَنْ مِنْبَرِ المُلْكِ زائِلُ

وقالوا فى مدح العصا نفسها مع الاغصان وكرم جوهر العصى والقسى :

---

١ سبق فى ص ٥٢ من الجزء الاول فراجعه ٢ سبق فى ص ٢٠٠ من الجزء الاول فراجعه ٣ تساط : تخلط ٤ الخوامس : الابل التى ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع

اذا قامتْ لِسُبْحَتِها تثنَّتْ ... كأنَّ عظامَها مِنْ خيزُرانِ

وقال المؤمل بن أثيل :

والقَوْمُ كالعيدانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ ... بَعْضاً كذاكَ يَفُوقُ عُودٌ عُودا

لَوْ تَستطيعُ عَنِ القَضاء حِيادَةً ... وعَنِ المَنِيَّةِ أَنْ تُصيبَ مَحيدا

كانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنزِلُ مَنْزِلاً ... فالآنَ صارَ لَها الكَلالُ قُيودا

وقال آخر :

وأسلمها الباكُونَ الاّ حمامةٌ ... مُطوَّقةٌ ورقاءُ بانَ قَرِينُها

تُجاوِبُها أُخرَى على خَيْزُرانةٍ ... يَكادُ يُدَنِّيها مِنَ الأرْضِ لِينُها

وقال الآخر :

أَلا أيُّها الرَّكْبُ المُخبُّونَ هلْ لَكم ... بأُختِ بَنِي هِندٍ عُتَيْبَةَ مِنْ عَهْد

أألقَتْ عَصاها واستَقَرَّتْ بِها النَّوى ... بأرْضِ بَنِي قابُوسَ أمْ ظَعَنَتْ بَعْدِي

وقال الآخر :

ألا هتَفَتْ وَرْقاءُ في رَوْنَقِ الضُّحَى ... على غُصُنٍ غَضِّ النَّباتِ مِنَ الرَّنْد (١)

وقال آخر فى امرأة رآها فى شارة و بزة ، فظن بها جمالا ، فلما سفرت فاذ هى غول ، فقال :

وأظهرَها رَبِّي بِمَنٍّ وَقُدْرَةٍ ... عليَّ ولَوْلا ذاكَ مُتُّ مِنَ الكَرْبِ

فَلَمّا بَدَتْ سَبَّحْتُ مِنْ قُبْحِ وَجْهِها ... وَقُلْتُ لَها السّاجُورُ خَيْرٌ مِنَ الكَلْبِ (٢)

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يؤتى بقوم من هنا يقادون الى حظوظهم فى السواجير » والساجور يسمى « الزمارة » قالوا وفى الحديث « فاتى الحجاج بسعيد بن جبير وفى عنقة زمارة » وقال بعض المسجنين :

وَلِي مِسْمَعانِ وزَمّارَةٌ ... وَظِلٌّ مَدِيدٌ وحِصْنٌ أمَقّ (٣)

---

١ الرند : شجر من شجر البادية طيب الرائحة ٢ الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب ٣ بعيد الارجاء

وكَمْ عائدٌ لى وكَمْ زائرٌ   لَوْ أبْصَرَنِي زائراً قَدْ شَهَقْ

المسمعان القيدان . وسمى الغل الذى فى عنقه زمارة . وأما قول الوليد :

اسْقِنِي يازُبَيْرُ بالقَرقارَهْ [١]   قَدْ ظَمِينا وَحَنَّتِ الزَّمارَهْ

اسْقِني اسقِني فَانَّ ذُنُوبِي   قَدْ أحاطَتْ فَمالَها كَفارَهْ

فالزمارة هاهنا المزمار . وقال أيضا صاحب الزمارة فى صفة السجن :

فَبِتُّ بأحْصَنِها مَنْزِلاً   ثَقِيلاً عَلى عُنُقِ السَّالِكِ

وَلَسْتُ بِضَيفٍ وَلا في كِرا   وَلا مُسْتَعِيرٍ ولا مالِكِ

وَلِي مِسْمَعانِ فَادْناهُما   يُغَنِّي ويُمْسِكُ في الحَالِكِ

وَلَيْسَ بِغَصْبٍ ولا كالرُّهُونِ   ولا يُشْبِهُ الوَقْفَ عَنْ هالِكِ

وأقْصاهُما ناظِرٌ في السَّماءِ   عَمْداً وأوسَخُ مِنْ عارِكِ

المسمعان هاهنا أحدهما قيده والآخر صاحب الجرس

قال أخبرنى الكلابى قال : قاتلت بنو عم لى بعضهم بعضا ، فجعل بعضهم ينضم الى بعض لواذا منى ، وليس لى فى ذلك هجير الا قولى :

قَدْ جَعَلَتْ تَأْوِي الى جُثْمانِها   وَكِرْسِها العادِيِّ مِنْ أعْطانِها [٢]

فلما طلبوا القصاص قلت « دونكم يا بنى عمى حقكم ، فنحن اللحم وأنتم الشفرة ، إن وهبتم شكرت ، وإن اعتقلتم عقلت ، وإن اقتصصتم صبرت »

قال سألت يونس عن قوله « نسيا منسيّا » قال : تقول العرب اذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه « انظروا الى أنسائكم » وهى العصا والقدح والشظاظ والحبل . قال فقلت « إنى ظننت أن هذه الاشياء لا ينساها أربابها إلا لانها أهون المتاع عليهم » قال « ليس ذلك كذلك والمتاع الجافى يذكر بنفسه وصغار المتاع تذهب عنها العيون ، وانما تذهب نفوس العامة الى حفظ كل شىء ثمين وان صغر جسمه ولا يقفون على أقدار فوت الماعون عند الحاجة وفقد الحلاّت فى الاسفار »

١ القرقارة : كوب من زجاج طويل العنق ولعلها سميت بذلك لصوت الماء عند افراغها ٢ الكرس : أبيات من الناس مجتمعة . والاعطان جمع عطن وهو المنزل والموطن

وقال يونس « المنسى ماتقادم العهد به ونسى حينا لهوانه ، ولم تكن مريم لتضرب المثل فى هذا الموضع بالاشياء النفيسة التى الحاجة اليها أعظم من الحاجة الى الشىء الثمين فى الاسواق » وقال الاشهب بن زميلة أو نهشل بن حرى :

قالَ الاقاربُ لاتَغرُرْكَ كَثْرَتُنا ... وَأَغنِ نَفسَكَ عنَّا أيُّها الرَّجُلُ
عَلَّ بَنِىَّ يَشُدُّ اللهُ أعظُمَهُمْ ... والنَّبعُ يَنبُتُ قُضباناً فيكتَهِلُ (١)

وكان فرس الاخنس بن شهاب يسمى « العصا » والاخنس « فارس العصا » وكان لجذيمة الابرش فرس يقال لها « العصا » ولبنى جعفر بن كلاب « شحمة » و « الغدير » و « العصا » ، فشحمة فرس جزء بن خالد ، والعصا فرس عوف بن الاحوص ، والغدير فرس شريح بن الاحوص . و « العصا » أيضا فرس شبيب ابن كعب الطائى . وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :

وَلَيسَ عَصاهُ مِنْ عَراجِينِ نَخلَةٍ ... وَلا ذاتَ سَيْرٍ مِنْ عِصِيِّ المسافِرِ
وَلٰكِنَّها إمَّا سَألتَ فَنَبعَةٌ ... وَمِيراثُ شَيْخٍ مِنْ جِيادِ المَخاصِرِ

والرجل يتمنى اذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز فيقول « لوكان فى العصا سير » وكذلك قال حبيب بن أوس :

مالَكَ مِن هِمَّةٍ وَعَزمٍ ... لَوْ أنَّهُ فى عَصاكَ سَيْرُ
رُبَّ قَليلٍ حَدا كَثيراً ... كَمْ مَطَرٌ بَدْؤُهُ مُطَيْرُ
صَبْراً على النَّائِباتِ صَبْراً ... مافَعَلَ اللهُ فَهوَ خَيْرُ

واذا لم يجعل المسافر فى عصاه سيرا سقطت من يده اذا نعس

وسئل عن قوله « ولى فيها مآرب أخرى » قال « لست أحيط بجميع مآرب موسى عليه السلام ، ولكنى سأنبئكم جملا تدخل فى باب الحاجة الى العصا : من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج واعير العانة فى زمن هيج الفحول ، وكذلك فحول الجحور فى المروج ، ويتوكأ عليها الكبير الدالف والسقيم المدنف والاقطع الرجل والاعرج فانها تقوم مقام رجل أخرى » . وقال

(١) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام

أعرابي مقطوع الرجل :

اللهُ يَعلمُ أنِّي مِنْ رجالِهِم　　وإنْ تَخدَّدَ عَنْ مَتنَيَّ أطماري
وإنْ رُزِئتُ يَداً كانَتْ تُجمِّلُني　　وإنْ مَشيتُ على زُجٍّ ومِسمارِ (١)

والعصا تنوب للاعمى عن قائده ، وهى للقصار والفاشكار والدباغ ، ومنها المفأد للملة ٢ ، ومحراك للتنور ، قال الشاعر :

إذا كانَ ضَربُ الخبزِ مَسحاً بخِرقةٍ　　وأُخمِدَ دُونَ الطارقِ التَّنُّورُ

كانه يكره أن ينفض عنها الرماد بعصا فيستدل على أنه قد انضج خبزته ، يصفه بالبخل

وهى لدق الجص والجبين والسمسم ، قال الشماخ بن ضرار :

وَجَرُّ شِواءٍ بالعصا غَيرَ مُنْضَجِ

ولخبط الشجر ، وللفيج وللمكارى فانهما يتخذان المخاصر ، فاذا طال الشوط و بعدت الغاية استعانا فى حضرهما وهرولتهما فى أصناف ذلك بالاعتماد على وجه الارض ، وهى تعدّل من ميل المفلوج ، وتقيم من ارتعاش المبرسم ، و يتخذها الراعى لغنمه ، وكل راكب لمركبه ، ويدخل عصاه فى عروة المزود و يمسك بيده الطرف الآخر ، وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل ، وتكون ان شئت وتداً فى حائط ، وان شئتَ ركزتها فى الفضاء وجعلتَها قبلة ، وان شئت جعلتها مظلة ، وان جعلت فيها زجًّا كانت عنزة ٣ وان زدت فيها شيئا كانت عكازاً وان زدت فيها شيئا كانت مِطردا ٤ ، وان زدت فيها شيئا كانت رمحا ، والعصا تكون سوطا وسلاحا

وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب بالقضيب ، وكفى بذلك دليلا على عظم غنائها وشرف حالها ، وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء

وقد كان مروان بن محمد ٥ ـ حين أحيط به ـ دفع البرد والقضيب الى خادم وأمره أن يدفنهما فى بعض تلك الرمال ، ودفع اليه بنتا له وأمره أن يضرب عنقها .

---

١ الزج : الحديد التى فى أسفل الرمح ٢ المفأد : خشبة يحرك بها التنور . والملة : الرماد الحار والجمر ٣ العنزة : شبيه العكازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زج من أسفلها ٤ المطرد : رمح قصير يطعن به الوحش ٥ آخر خلفاء بنى أمية

فلما أخذ الخادم فى الاسرى قال « ان قتلتموه ١ ضاع ميراث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم » فأمّنوه على أن يسلم ذلك لهم

وقال فى صفة قناة :

وَأَسْمَرُ عاتِقٌ فِيهِ سِنانٌ شُراعِىٌّ كَساطِعَةِ الشُّعاعِ (٢)

وقال آخر :

هَوْنَةٌ فى العنانِ تَهْتَزُّ فِيهِ كاهْتِزازِ القَناةِ تَحْتَ العُقابِ (٣)

ومما يجوز فى العصا قول الشاعر :

لِلْهامِ ضَرّابُونَ بالمَناصِلِ ضَرْبَ المُذِيدِ غُرَّبَ النَّواهِلِ (٤)

وقال عباس بن مرداس :

نُطاعِنُ عَنْ أَحْسابِنا بِرِماحِنا وَنَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ المُذِيدِ الخَوامِسا (٥)

وقال الآخر

دافَعَ عَنْها جَلَبٌ وَحَشِى فَهْوَ كَعُودِ النَّبْعَةِ الأَجَشّ (٦)

وقال نصيب الاسود :

وَمَنْ يُبْقِ مالاً عُدَّةً وصِيانَةً فَلا الدَّهْرُ مُبْقِيهِ وَلا الشُّحُّ وافِرُهْ
وَمَنْ يَكُ ذا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فالدَّهْرُ كاسِرُهْ

وقال آخر :

تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمانَ عُودَ أَراكَةٍ لِهِنْدٍ وَلٰكِنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدا (٧)
خَلِيلَيَّ عُوجا بارَكَ اللهُ فِيكُما وإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لأَرْضِكُما قَصْدا
وَقُولا لَها لَيْسَ الضَّلالُ أَجارَنا وَلٰكِنَّنا جُرْنا لِنَلْقاكِ عَمْدا (٨)

---

١ لعله « ان قتلتمونى » ٢ رمح شراعى : طويل منسوب الى رجل اسمه شراع كان يعمل الاسنة والرماح ٣ الهونة : المرأة المتئدة . والعقاب : الراية ٤ سبق فى ص ٢٧ من هذا الجزء ٥ سبق فى ص ٣٠ من هذا الجزء ٦ النبعة : شجرة تتخذ منها القسى . الاجش : الذى له صوت غليظ ٧ نعمان : واد ينبت الاراك ويصب الى ودان . وهو بين مكة والطائف ٨ أجارنا : أى عدل بنا عن الطريق

وقال الآخر :

وَتلكَ ثِيابِى لَمْ تُدَنَّسْ بِغَدْرَةٍ (١)   وَوَرْىُ زِنادى فى ذُرَى المجدِ ثاقِبُ
وَلَوْ صادَفَتْ عُوداً سِوَى عُودِ نَبْعَةٍ   وَهَيهاتَ أَفنَتْهُ الخطوبُ النَّوائِبُ

وقال الآخر :

عَصا شَرْيانَةٍ دُهِنَتْ بِزُبْدٍ   تَدُقُّ عِظامَهُ عَظماً فَعَظما (٢)

وليس هذا مثل قول لقيط بن زرارة :

إذا دهنوا رِماحَهُمُ بِزَيتٍ   فَانَّ رِماحَ تيم لاتضيرُ

وقال صالح بن عبد القدوس :

لاتَدْخُلَـنَّ بِنَميمَـةٍ   بَيْنَ العَصا وَلِحائِها (٣)

وقال شبل بن معبد البجلى :

بَرَتْني صُرُوفُ الدَّهرِ مِنْ كلِّ جانِبٍ   كما يَنْبَرِى دُونَ اللحاءِ عَسيبُ (٤)

وقال أوس بن حجر :

لحوْتُهُمُ لحوَ العصا فطَرَدْتُهُمْ   إلى سَنَةٍ جُرْذانُها لَمْ تُحَلِّمِ (٥)

وقال الرقاشى فى صفة القناة التى تبرى منها القسىّ :

مِنْ شُقَقٍ خُضْرٍ بَرُوصِيَّاتِ   صُفْرِ اللحاءِ وحَلُوفِيَّاتِ
جُدِلْنَ حَتَّى إضْنَ كالحيَّاتِ (٦)   وَشائِقاً غَيْرَ مُؤَنَّباتِ (٧)
آنقَهُـنَّ مُتَمَطِّـراتِ   عَمْرُو بنُ عُصْفُورٍ على استِثْبَاتِ

وقال محمد بن يسير :

وَمُشَمِّرِينَ عَنِ السَّواعِدِ حُسَّرٍ   عَنها بِكُلِّ دَقِيقَـةِ التَّوْتِيرِ
لَيسَ الذِى تَشْوِى يَداهُ رَمِيَّـةً   فِيهِـمْ بِمُعْتَذِرٍ ولا مَعْـذُورِ

---

١ خ : بعذرة ٢ الشريان : شجر القسى ٣ اللحاء : قشر الشجر ٤ العسيب : عظم الذنب ، وظاهر القدم ، وسعف النخل ، والشق فى الجبل ٥ أى لم يقبل شحمها ولم تكتنز ٦ اضن : رجعن ٧ الوشائق : جمع وشيقة وهى اللحم المقدد

عطفِ السّيات مَوانعٍ في عِطفِها[1] تعْزَى إذا نُسِبَتْ إلى عُصْفُورِ

ذهب الى قوله : في كَفِّهِ مُعْطيـةٌ مَنُوعُ

وهذا مثل قوله : خَـرْقاءُ إلاّ أنَّها صَـناعُ

وهذا مثل قوله : غادَرَ داءً ونَجا صَحِيحا

ومثـل قـوله : حَتّى نَجا مِنْ جَوْفِهِ وَما نَجا

واذا طال قيام الخطيب صار فيه انحناء وجناء وقال الاسدى :

أنا ابْنُ الخالِدِينَ إذا تَلاقَى مِنَ الأيّامِ يَوْمٌ ذُو ضِجاجِ
كأنَّ اللُّبَّ والخُطباءَ فِيـهِ قِسِيٌّ مُثَقِّفٍ ذاتُ اعْوِجاجِ

وعلى هذا قال الشماخ بن ضرار :

فاضْحَتْ تَفالى[2] بالسّتارِ كأنّها رِماحُ نَحاها وِجهةَ الرِّيحِ راكِزُ

وقال العماني :

عاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرِّجالِ مَغْنَما إذا رَأى مصَـدِّقاً تَجَهَّما
وَهزَّ في الـكَفِّ وأبْدَى مِعْصَمَا هِرَاوَةً بِنَبْعَةٍ أو سَلَمـا
تَتْرُكُ مارامَ رُفاتاً رِمَمَا

وقال أمية بن الاسكر :

هَلاّ سألْتِ بنا إنْ كُنْتِ جاهِلَةً فَفِي السُّؤالِ مِنَ الاعياءِ شافِيها
تُخْبِرْكِ عنَّا مَعَدٌّ إنْ هُمُ صَدَقُوا وَمِنْ قَبائِلِ نَجْرانٍ يَمانِيها
وبالجيادِ نَجُرُّ الخيْـلَ عابِسَـةً كأنَّ مَذْرُورَ مِلْحٍ في هَوادِيها
قَوْمٌ إذا فَزَعُ الأقوامِ طافَ بِهِمْ ألْقَى العَصِيَّ عَصِيُّ الجَهْلِ بارِيها

قال والرجل اذا لم يكن معه عصا فهو « باهل » و « ناقة باهل وباهلة » اذا كانت

---

١ السيات : جمع سية وهى ماعطف من طرفى القوس ٢ يحتك بعضها على بعض

بغير صرار ، وقال الراجز :

أبهلها ذا يدها وسبّجا ودقّت المركوّ حتّى ابلندحا (١)

احتجنا أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من العرجان بالعصيّ عند ذكر العصا وتصرفها فى المنافع . والذى نحن ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليل من كثير ماذكرناه فى ( كتاب العرجان) فان أردتموه فهو هناك موجود ان شاء الله تعالى

قالوا ولما شاع هجاء الحكم بن عبدل الاسدى لمحمد بن حسان بن سعد وغيره من الولاة والوجوه هابه أهل الكوفة واتقى لسانه الصغير والكبير - وكان الحكم أعرج لانفارقه عصاه - فترك الوقوف بابوابهم وصار يكتب على عصاه حاجته و يبعث بها مع رسوله فلا يحبس له رسول ولا يؤخر لقراءة الكتاب ثم تأتيه الحاجة على أكثر ماقدر وأوفر ماأمّل ، فقال يحيي بن نوفل :

عَصا حكَمٍ في الدَّارِ أوَّلُ داخِلٍ وَنَحنُ على الابوابِ نُقصَى ونُحجَبُ

وأما قول بشر بن أبى حازم :

لِلهِ دَرُّ بَنِي حذّاءَ مِن نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانِهِ كَلِبُ

إذا غدَوا وعِصيُّ الطَّلحِ أرجُلُهُمْ كما تُنصَبُ وَسطَ البِيعَةِ الصُّلُبُ

وإنما يعنى أنهم كانوا عرجا فأرجلهم كعصيّ الطلح ، وعصى الطلح معوجة . وكذلك قال معدان الاعمى فى قصيدته الطويلة التى صنف فيها الغالية والرافضة والتميمية ٢ والزيدية :

والَّذِى طَفَّفَ الجِدارَ منْ الذُّعْـ ـرِ وقَدْ باتَ قاسِمَ الانفالِ (٣)

فَغَدا خامِعًا بِوَجْهٍ هَشِيمٍ و بساقٍ كعُودِ طَلحٍ بالِ (٤)

وقال بعض العرجان ممن جعل العصا رجلا :

ما لِلكَواعِبِ يادَهْماءُ قَدْ جعَلتْ تَزوَرُّ عَنِّي وتُلقَى دُونِيَ الخُمُرُ (٥)

١ المركو : الحوض الكبير . وابلندح : انهدم ٢ خ : التيمية ٣ يقال طف الحائط طفا أى علاه . والانفال : جمع نفل وهو الغنيمة والهبة والزيادة ٤ يقال خمعت الضبع اذا مشت كأن بها عرجا ٥ الخمر : جمع خمار بكسر الخاء وهو النصيف الذى تغطى به المرأة رأسها

لاأسمعُ الصّوتَ حتّى أستديرَ لهُ ... لَيْلاً طَويلاً يُناغيني لهُ القمرُ
وكُنتُ أمشي على رِجلَينِ مُعتدِلاً ... فَصِرتُ أمشي على رِجلٍ مِنَ الشَّجَرِ

وقال رجل من بنى عجل :

وَشَى بِيَ واشٍ عِندَ لَيلى سَفاهَةً ... فقالَتْ لهُ لَيْلى مقالةَ ذى عقلِ
وَخَبّرَها أنّي عَرَجتُ فَلَمْ تَكُنْ ... كَوَرْهاءَ تجتَرُّ المَلامَةَ للبَعلِ
وَما بِيَ مِنْ عَيبِ الفَتَى غَيْرَ أنّني ... جعَلْتُ العَصا رِجلاً أُقيمُ بِها رِجلي

وقال أبو ضبة فى رجله :

وَقَدْ جعَلَتْ إذا ما نُمتُ أَوْجَعَني ... ظَهْرِي وَقُمْتُ قيامَ الشّارِفِ الظَّهري (١)
وَكُنتُ أَمشي على رِجلَينِ مُعتدِلاً ... فَصِرتُ أَمشي على رِجلٍ مِنَ الشَّجرِ

وقال أعرابى من بنى تميم :

وَما بِيَ مِنْ عَيْبِ الفَتَى غَيْرَ أنَّني ... أَلِفتُ قَناتي حِينَ أَوْجَعَني ظَهرِي

قال : ودخل الحكم بن عبدل الاسدى وهو أعرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج وكان صاحب شرطه أعرج ، فقال ابن عبدل :

أَلْقِ العَصا وَدَعِ التَّخادُعَ والتَمِسْ ... عَمَلاً فَهٰذي دَوْلَةُ العُرْجانِ
لأَميرِنا وأَميرِ شُرْطَتِنا معاً ... لِكِلَيْهِما يا قَوْمَنا رِجلانِ
فاذا يَكونُ أَميرُنا وَوَزيرُنا ... وَأَنا فانّ الرّابِعَ الشَّيطانُ

ومما يدلك على أن للعصا موقعاً منهم وأنها تدور مع أكثر أمورهم قول مزرّد ابن ضرار :

فجاءَ على بِكرٍ ثِفالٍ يَكُدُّهُ ... عَصاأُستِهِ وَحْيَ العجابَةِ بالفِهرِ (٢)

ويقولون « اعتصى بالسيف » اذا جعل السيف عصا ، وانما اشتقوا للسيف

---

١ الشارف من الابل : المسن الهرم . والظهرى : البعير المعد للحاجة ان احتيج اليه ٢ الثفال : البطىء من الدواب . الوحى : الاشارة

اسما من العصا لان عامة المواضع التى تصلح فيها السيوف تصلح فيها العصى وليس كل موضع تصلح فيه العصا يصلح فيه السيف . وقال الآخر :

وَنَحْنُ صَدَعْنَا هامَةَ ابنِ مُحَرِّقٍ    كذَلِكَ نَقضِي بالسُّيُوفِ الصَّوارِمِ

وقال عمرو بن الاطنابة :

وَفَتىً يَضْرِبُ الكَتِيبَةَ بالسَّيْـ    ـفِ إِذا كانَتِ السُّيُوفِ عِصِيا

وقال عمرو بن محرز :

نَزَلُوا إِلَيهِمْ والسُّيوفُ عِصِيُّهُمْ    وتَذَكَّرُوا دِمَنَالَهُمْ وذُحُولا (١)

وقال الفرزدق بن غالب بن همام :

إِنَّ ابنَ يوسُفَ مَحمُودٌ خَلائِقُهُ    سِيَّانِ مَعرُوفُهُ في النَّاسِ والمطرُ

هُوَ الشِّهابُ الذِي يُرْمَى العَدُوُّ بِهِ    والمَشْرَفِيُّ الذِي تَعْصَي بِهِ مُضَرُ

يقال « عصى بالسيف » و « اعتصى به »

قال العريان بن الاسود فى ابن لهمات :

وَلَقدْ تَحمِلُ المُشاةُ كَرِيماً    لَيِّنَ العُودِ ماجِدَ الأَعْراقِ

ذاكَ قَوْلِي ولا كَقَوْلِ نِساءٍ    مُعْوِلاتٍ يَبْكِينَ لِلأَوْراقِ

وكتب عمرو بن العاصى الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « إن البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير ، كأنهم دود على عود » وقال وائلة السدوسى ٢ :

وَأَيْتُكَ لَما شِبتَ أَدرَكَكَ الذِي    يُصِيبُ سَراةَ الأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ

سَفاهَةُ أَحلامٍ وَبُخْـلٌ بِنائِلٍ    وفِيكَ لِمَنْ عابَ المَزُونَ عُيُوبُ

لَقدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أَعْوادُ مِنبَرٍ    تَقُومُ عَلَيها في يدَيْكَ قَضِيبُ

وَقدْ أَوْحَشَتْ مِنهُمْ رَساتِيقُ فارِسٍ    وفي المِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ

---

١ الدمن : جمع دمنة وهى هنا الحقد القديم . والذحول : جمع ذحل وهو الثأر والحقد والعداوة

٢ سبق هذا فى ص ١٦٠ من الجزء الاول

وأنشد الاصمعى :

أَعْدَدْتَ لِلضِّيفانِ كلباً ضاريا ... وهِرَاوَةً مَجلُوزَةً مِن أَرْزَنِ [١]

ومعاذِراً كذِباً وَوَجهاً باسراً ... وَتَشكِّياً عضَّ الزَّمانِ الأَزَنِ [٢]

وشَذاةَ مَزهُوبِ الأَذَى قاذُورةٍ ... خَشِنٍ جوانِبُهُ دَلُوظٍ ضَيْزَنِ [٣]

وَ بِكفَّ مَحبوكِ اليَدَينِ عن العُلَى ... والباعِ مُسوَدِّ الذِّراعِ مُقحَزَنِ [٤]

وَتَجَنُّباً لهُمُ الذُّنوبَ وأَتَّقى ... بِغليظِ جلدِ الوَجنَتَينِ عَشَوْزَنِ [٥]

وقال جرير :

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغيرُكُم يَعصِى بِها ... يا ابنَ القُيُونِ وذاكَ فِعلُ الصَّيقلِ

وقال الراعى :

تَبِيتُ وَرِجلاها اذ أنان لاستِها ... عصا أُستِها حَتَّى يَكلَّ قعودُها

وقال أعرابى للحطيئة « ماعندك ياراعى الغنم » قال « عجراء من سلم » قال « انى ضيف » قال « للضيفان أعددتها » . وقال الشماخ بن ضرار :

إلى بَقَرٍ فِيهِنَّ لِلعينِ منظرٌ ... وَمَلْهَى لِمَنْ يَلهو بِهِنَّ أَنِيقُ

رَعَينَ النَّدَى حتَّى إذا وقدَ الحصا ... وَلَمْ يَبقَ مِنْ نَوءِ السِّماكِ بُرُوقُ

وقال امرؤ القيس :

قُولا لِدودانِ عَبِيدِ العَصا ... ماغَرَّكُمْ بالاسَدِ الباسِلِ [٦]

وقال على بن العذير :

وإِذا رَأَيتَ المرءَ يَشعَبُ أَمرَهُ ... شَعْبَ العصا وَيُلِحُّ فى العِصيانِ

---

١ مجلوزة : ربط بها جلاز وهو سير يشد فى طرف السوط . والارزن : شجر صلب تتخذ منه العصى ٢ المعاذر : جمع معذرة وهى الحجة . ووجه باسر : أى متكره متقطب . وزمان أزن : أى شديد كلب ٣ الشذاة : واحدة الشذى وهو هنا الاذى . قاذورة : سيء الخلق فاحش . دلوظ : ربما كانت من دلظه دلظا أى دفعه فى صدره . والضيزن : من يزاحمك عند الاستقاء فى البئر ٤ محبوك اليدين : مشدودهما . مقحزن : مضروب بالقحزنة وهى العصا ٥ العشوزن : الصلب الغليظ ٦ اراد بالاسد الباسل أباه

فاعمد لما تعلو فمالك بالذى لاتستطيع من الأمور يدان

وقال الآخر:

وهجهاجة لايملأ الليل صدره إذا النكس أغضى طرفه غير أروع (١)
صحيح برىء العود من كل أبنة وجماع نهب الخير من كل مجمع (٢)

وقال مسكين الدارمى:

تسمو بأعناق وتحبسها عنها عصى الذادة العجر (٣)

حباب بن موسى عن مجالد عن الشعبى عن جرير بن قيس قال: قدمت المدائن بعد ماضرب على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى « ماالخبر » فقلت « ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها » قال « لوجئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لايموت حتى يذودكم بعصاه » وقال الله تبارك وتعالى « وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ... الآية » وقال الشاعر:

رأيت الغانيات نفرن منى نفور الوحش من رام مفيق (٤)
رأين تغيرى وأردن لدنا كغصن البان ذي الفنن الوريق

وقال أبو العتاهية:

عريت من الشباب وكان غضاً كما يعرى من الورق القضيب
ألاليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما صنع المشيب

وقال الآخر:

فلئن عمرت لقد عمرت كأننى غصن تثنيه الرياح رطيب
وكذاك حقاً من يعمر يبله كر الزمان عليه والتقليب

---

١ الهجهاجة: الذى لاعقل له ولا رأى . النكس: الرجل الضعيف الدنىء الذى لاخير فيه. الاروع: الشهم الذكى الفؤاد ٢ الابنة: العقدة فى العود ٣ العجر: جمع عجراء صفة للعصى وهى ذات العقد ٤ أفاق السهم: وضع فوقه فى الوتر ليرمى به . والفوق: شق رأس السهم حيث يقع الوتر

حتّى يَعودَ مِنَ البِلا وكأنّهُ ... في الكَفِّ أفْوَقُ ناصِلٌ مَعصُوبُ (١)
مَرِطُ القِذاذِ فَليسَ فِيهِ مَصْنعٌ ... لا الرّيشُ يَنفَعهُ ولا التّعْقيبُ (٢)

وقال عروة بن الورد :

أليسَ وَرائي أنْ أدِبَّ على العَصا ... فيأمَنَ أعدائي وَيَسأمَني أَهلي

وأنشد :

عَصَوْا بِسيُوفِ الهِندِ وَاعترَكَتْ بِهِم ... بَراكاءُ موتٍ لا يَطِيرُ غُرابُها (٣)

وقال لبيد :

أليسَ وَرائي إنْ تَراخَتْ مَنِيّتِي ... لُزُومُ العصا تُحنَى عليها الأصابِعُ

وقال آخر :

تُقيمُ العصا ما كانَ فِيها لُدُونَة ... وَتأبى العَصا في يُبْسِها أنْ تقَوَّما (٤)

وقال الآخر :

إنّ الغُصُونَ إذا قَوَّمتَها اعتدَلت ... وَلَنْ تَلِينَ إذا قَوّمتَها الخَشبُ

وقال جرير :

ما لِلفرزْدَقِ مِنْ عِزٍّ يَلوذُ بهِ ... إلاّ بَنُو العمِّ في أيدِيهم الخَشَبُ
سِيرُوا بَنِي العمِّ فالأهوازُ مَنزِلُكُمْ ... ونَهرُ تِيرَى فما تَدرِيكُمُ العَرَبُ (٥)

وقال جرير في هجائه بني حنيفة :

أَبْناءُ نَخلٍ وَحِيطانٍ ومَزْرَعةٍ ... سُيُوفُهُمْ خَشَبٌ فِيها مساحِيها
قَطعُ الدّيارِ وَسَقْيُ النّخلِ عادَتُهُمْ ... قِدَما وما جاوَزَتْ هذا مساعِيها
لوْ قِيلَ أينَ هَوادِي الخيلِ ما عَلِموا ... قالوا لأعجازِها هذي هَوادِيها

١ الافوق : السهم الذى كسر فوقه ٢ مرط القذاذ : منتوف الريش يعنى بذلك السهم الذى يصفه ٣ البراكاء : اسم لدوام الحرب على الركب وهو اسم من الابتراك ٤ اللدونة : اللين ٥ نهر تيرى : فى نواحى الأهواز حفره أردشير الاصغر بن بابك التيرى من ولد جودرز الوزير فسمى به . ولهذا النهر ذكر فى أخبار الفتوح والخوارج

أَوْ قِيلَ إِنَّ حِمَامَ المَوْتِ آخِذُكُمْ    أَوْ تُلْجِمُوا فَرَساً قَامَتْ بَوَاكِيهَا
لَمَّا رَأَتْ خَالِداً بِالعِرْضِ أَهْلَكَهَا    قَتْلاً وَأَسْلَمَهَا مَاقَالَ طَاغِيهَا [1]
دَانَتْ وَأَعْطَتْ يَداً لِلسِّلْمِ طَائِعَةً    مِنْ بَعْدِ مَاكَادَ سَيْفُ اللهِ يُفْنِيهَا

وقال سلامة بن جندل :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ    كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ [2]

ويقال للخطاب اذا كان مرغوبا فيه كريما « ذاك الفحل الذى لايقرع أنفه » لان الفحل اللئيم إذا هب على الناقة الكريمة ضربوا وجهه بالعصا . وقال آخر :

كَأَنَّهَا إِذَا رُفِعَتْ عَصَاهَا    نَعَامَةٌ أَوْحَدَهَا رَأْلَاهَا [3]

وممن أضافوه الى عصاه داود ماكين اليشكرى وقدكان ولى شرطة البصرة

وجاء فى الحديث أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه أفاض من جمع وهو يحرش بعيره بمحجنه . وقال الاصمعى : المحجن العصا المعوجة . وفى الحديث المرفوع « أنه طاف بالبيت يستلم الاركان بمحجنه ، ثم يجذبه اليه » يريد بذلك تحريكه . وقال الراعى :

فَأَلْقَى عَصَا طَلْحٍ وَنَعْلاً كَأَنَّهَا    جَنَاحُ السُّمَانَى رَأْسُهَا قَدْ تَصَوَّعَا [4]

والعصا أيضا فرس شبيب بن كريب الطائى . أبوالحسن عن على بن سليمان قال : كان شبيب بن كريب الطائى يصيب الطريق فى خلافة على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ، فبعث اليه أحمر بن شميط العجلى وأخاه فى فوارس ، فهرب شبيب وقال :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ابْنَيْ شُمَيْطٍ    بِسِكَّةِ طَيِّءٍ وَالبَابُ دُونِي

---

١ العرض : هو عرض اليمامة ينصب من مهب الشمال ويفرغ فى مهب الجنوب ممايلى القبلة وباسفله المدينة وما حوله من القرى تسمى السفوح ، وهو كله لبنى حنيفة الذين يهجوهم جرير بهذه الابيات الا شىء منه لبنى الاعرج من بنى سعد بن زيد مناة ٢ سبق فى ص ٢١ من هذا الجزء ٣ أوحدها : تركها . الرأل : ولد النعامة ٤ السمانى : من الطيور القواطع . وتصوع الشعر : تشقق وتقبض . وتصوع النبت : هاج . وصوع الطير برأسه : حركه

تَجلَّلْتُ العصا وعلِمتُ أنّي ... رَهِينُ مُخَيَّسٍ إنْ يَثقفُونى (١)
وَلَوْ أَنْظَرْتُهُمْ شيئاً قَليلاً ... لَساقونى إلى شيخٍ بَطينِ
شَديدِ مَجالِزِ الكَتِفينِ صُلْبٍ ... على الحدَثانِ مُجتَمعِ الشُّؤُنِ (٢)

وقال النجاشى لام كثير ابنة الصلت :

وَلَست بِهِنديٍّ ولكنَّ ضيعةً ... على رَجُلٍ لوْ تَعلَمين مُزِيرِ
وَأَعْجَبْتِنى لِلسَّوطِ والنَّوطِ والعَصا ... وَلَمْ تُعْجِبِينِى خُلّةً لأَميرِ (٣)

وقال أعشى بن ربيعة :

وكانَ الخلائِفُ بَعدَ الرَّسُو ... لِ كلُّهُمْ أُسوَةً خاشِعا
شَهيدَينِ مِنْ بَعدِ صِدّيقِهِمْ ... وكانَ ابنُ صَخرٍ هُوَ الرّابِعا
وكانَ ابنُهُ بعدَهُ خامِسا ... مُطيعا لِمَنْ قَبلَهُ سامِعا
وَمرْوانُ سادِسُ مَنْ قدْ مَضى ... وكانَ ابنُهُ بعدَهُ سابِعا
وَبِشرٌ يُدافِعُ عبدَ العزيزِ ... مضى ثامِناً ذا وذا تاسِعا
وَأَيُّهمْ مايكنْ سائِساً ... لها لمْ يَكنْ أمرُها ضائِعا
فَإمّا تَرَيْنى حَليفَ العصا ... فَقدْ كُنتُ مِنْ وَثْبةٍ خامِعا (٤)
فَساوَمَنِى الدَّهرُ حتّى اشترى ... شَبابِى وكُنتُ لهُ مانِعا

وقال عوف بن الخرع :

ألا أَبلِغا عنّى جُرَيحةَ آيةً ... فهلْ أنتَ عنْ ظُلمِ العَشيرةِ مُقصِرُ
وإنْ ظَعَنَ الحيُّ الجَميعُ لِطيّةٍ (٥) ... فأمرُكَ مَعصِيٌّ وشرْبُكَ مُغْوِرُ

---

١ المخيس : السجن ، سمى كذلك لانه موضع التخييس أى التذليل ٢ الجلز : هو الشد والعصب والضم ٣ النوط : التعليق . والخلة : الخليلة والزوجة ٤ الخامع : الذى يمشى كأن به عرجا ٥ قال الخليل ابن أحمد : الطية تكون منزلا وتكون منتأى تقول منه مضى لطيته أى لنيته التى انتواها وبعدت عنا طيته وهو المنزل الذى انتواه

أفى صِرمَةٍ عشرينَ أوْ هىَ دُونَها (١) قشرتُم عصاكُمْ فانظرُوا كيفَ تُقشَرُ
زعمتُمْ مِنَ الهجْرِ المُضَلَّلِ أنَّكمْ (٢) ستَنصُرُكُمْ عمرٌو وعَلَيْنا ومِنقرُ
فياشجَرَ الوادِى ألا تَنصُرُونَهمْ وقدكانَ بالمرُّوتِ رِمثٌ وسَخبَرُ (٣)
ألمْ تجعلُوا تيماً على شُعْبتَىْ عصاً فما يُنطِقُ المعرُوفَ إلاّ مُعذَّرُ

وقال رجل من محارب يرثى ابنه :

ألمْ يَكُ رَطباً يعصرُ القومُ ماءَهُ وما عُودُهُ لِلكاسِرينَ بيابسِ

وقال حاجب زرارة « والله ماالقعقاع برطب فيعصر ، ولا بيابس فيكسر » وقال حماد عجرد :

وَجرَوْا على ماعُوِّدُوا وَلِكُلِّ عِيدانٍ عُصارَهْ

وقال أيضا :

فأنتَ أكرَمُ مَنْ يَمشى على قدَمٍ وَأنضَرُ النّاسِ عندَ النّاسِ أغصانا
لوْمَجَّ عُودٌ على قوْمٍ عُصارَتَهُ لمَجَّ عودُكَ فِينا المِسكَ والبانا

وقال آخر :

وإنّا وجدْنا النّاسَ عُودَينِ طيِّباً وعُوداً خبيثاً مايَبِضُّ على العَصرِ (٤)
تَزينُ الفتى أخلاقُهُ وتَشينُهُ وتُذكَرُ أخلاقُ الفتى وهوَلا يَدرى

وقال المؤمل بن أميل ° :

كانَتْ تُقيَّدُ حينَ تنزِلُ منزِلاً فاليَومَ صارَ لَها الكَلالُ قيُودا
والقَوْمُ كالعيدنِ يَفضُلُ بعضُهُمْ بعضاً كَذاكَ يَفُوقُ عودٌ عُودا

---

١ الصرمة : القطعة من الابل ٢ الهجر : الافحاش فى المنطق ٣ المروت : واد بالعالية قرب النباج من ديار بنى تميم به كانت الواقعة التى قتل فيها بجير بن عبد الله بن عكبر بن قشير قتله قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع وهزموا جيشه وأسروا أكثرهم والمروت أيضا من ديار ملوك غسان . والرمث : مرعى للابل من الحمض وشجر يشبه الغضا . والسخبر : شجر يشبه الاذخر ٤ بض الماء : سال قليلا قليلا . وبض الحجر : نشغ منه الماء شبه العرق ٥ سبق فى س ٣١ من هذا الجزء

وقالت ليلى الاخيلية :

نَحنَ الأخايِلُ لايَزالُ غُلامُنا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى العَصا مَذكُورا

أنظر أبقاك الله فى كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق، وفى كم وجه صرّفه الشعراء وضرب به المثل . ونحن لو تركنا الاحتجاج لمخاصر البلغاء وعصىّ الخطباء لم نجد بدًّا من الاحتجاج لجلة المرسلين وكبار النبيينَ ، لان الشعوبية قد طعنت فى جملة هذا المذهب على قضيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنزته وعلى عصاه ومخصرته وعلى عصا موسى ـ لان موسى عليه السلام قد كان اتخذها من قبل أن يعلم ماعند الله فيها والى مايكون صيُّور أمرها ، ألا ترى أنه لما قال الله عز وجل « وما تلك بيمينك ياموسى » قال « هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » وبعد ذلك قال « ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى . ومن يستطيع أن يدعى الاحاطة بما فيها من مآرب موسى الا بالتقريب وذكر ماخطر على البال ـ وقد كانت العصا لاتفارق يد سليمان بن داود عليهما السلام فى مقاماته ولاصلواته ولافى موته ولافى أيام حياته ، حتى جعل الله تسليط الارضة عليها وسليمان ميت وهو معتمد عليها من الآيات عند من كان لايعلم أن الجن لم تكن تعلم الا ماتعلم الانس

ولو علم القوم أخلاق كلّ ملة وزىّ أهل كل لغة وعللهم فى ذلك واحتجاجهم له لقل شغبهم وكفونا مؤنتهم . وهذه الرهبان تتخذ العصى من غير سقم ولانقصان فى جارحة ، ولابد للجاثليق [1] من قناع ومن مظلة وبُرْطُلَّة [2] ومن عكازة ومن عصا من غير أن يكون الداعى الى ذلك كبرا ولاعجزا فى الخلقة . وما زال المطيل القيام بالموعظة أوالقراءة أوالتلاوة يتخذ العصا عند طول القيام ويتوكأ عليها عند المشى كأن ذلك زائد فى التكهل والزمانة وفى نفى السخف والخفة

وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة الى أن يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها . قال الفرزدق :

بِهِ نَدَبٌ مِمّا يقُولُ ابْنُ غالِبٍ يَلُوحُ كَالاحَتْ وُسُومُ المَصَدِّقِ (٣)

١ هو رئيس الاساقفة ٢ هى المظلة الصيفية نبطية استعملت فى لفظ العربية ٣ الندب : أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجرح . ووسوم المصدق : السمة التى يجعلها آخذ الصدقات لابل الصدقة

وقال الآخر:

أنارَ حتّى صَدَقتْ سِماتُهُ    وظَهرتْ مِنْ كَرَمٍ آياتُهُ

وأنشد أبوعبيدة :

سَقاها مِيسَمٌ مِنْ آلِ عَمْرٍو    إذاما كانَ صاحِبُها جَحِيشا[1]

وذكر بعض الاعراب ضروبا من الوسم فقال :

بِهِنّ فى خُطّافِها عَلْطُ وَسَمْ    وَحَلَقٌ في آخِرِ الزِّفْرَى نُظِمْ[2]

مَعْها نِظامٌ مِثْلَ خَطٍّ بالقَلَمْ    وَقَرْمَةٌ وَلَسْتُ أَدري مَنْ قَرَمْ[3]

عَرْضٌ وَخَبْطٌ لمجلّيها الوَسَمْ[4]

وقال الله تبارك وتعالى « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » وكما خالفوا بين الاسماء للتعارف وقال عز وجل « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

فعند العرب العمة وأخذ المخصرة من السيما ، وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء ، والذى لا بد منه العمة والمخصرة . وربما قام فيهم وعليه ازاره قد خالف بين طرفيه ، وربما قام فيهم وعليه عمامته وفى يده مخصرته ، وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة . وفى القنا ماهو أغلظ من الساق ، وفيها ماهو أدق من الخنصر ، وقد تكون محككة الكعوب مثقفة من الاعوجاج قليلة الأُبَن[5] وربما كان العود نبعا وربما كان شوحطا وربما كان من أبنوس ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ومن تلك الملس المصفاة وربما كانت لب غصن كريم ، فان للعيدان جواهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت فى خزائن الخلفاء والملوك ، ومنها مالا تقربه الارضة ولا يؤثر فيه القوادح . والعكاز اذا لم يكن فى أسفله زج فهو عصا ، لان أطول القنا أن يقال رمح خطل ثم رمح نائر ثم رمح مخموس ثم رمح مربوع ثم رمح مطرد ثم عكاز ثم

١ الجحيش : الفريد الذى لا يزحمه فى داره مزاحم ٢ لعل الخطاف هنا من قولهم « خطاطيف السباع » اى مخاليبها . العلط : أثر الوسم فى سالفة البعير ٣ القرمة الموضع الذى يقوم أى يقطع من أنف البعير ٤ عرض البعير عرضا : وسمه بالعراض وهو سمة أو خط فى فخذ البعير عرضا . وخبط البعير : وسمه بالخباط وهى سمة فى الوجه طويلة عرضا وهى لبنى سعد ٥ الابن: جمع ابنه وهى العقدة فى العود

عصا ثم من العصي نصب المساحي والمرور والفدم والفؤوس والمعاول والماجل والطبرزينيات ثم تكون من ذلك نصب السكاكين والسيوف والمشامل وكل سهام نبعية وغير ذلك من العيدان التي امتدحها أوس بن حجر أوالشماخ بن ضرار أوأحد من الشعراء فانما هي من كل عصا وكل قوس بندق فانما جيء بقناتها من بروض ومدخ بيريها وصنعتها عصفور القواس . وقال الرقاشي :

أَنْعتُ قوساً نَعتَ ذِي انتقاء ... جاءَ بها جالبُ بِرْوصاء
عِنْدَ اعتيامٍ منهُ وانتصاء ... كافيةَ الطُّول على انتهاء
مَجلوزةَ الأكعُبِ في استواء (١) ... سالمةً مِنْ أُبَنِ السِّيساء (٢)
فلَمْ تَزَلْ مَساحِلُ البرّاء (٣) ... تأخُذُ مِنْ طوائِفِ اللّحاء (٤)
حتَّى بدَتْ كالحيَّةِ الصَّفراء ... ترْنُو إلى الطائِرِ في السَّماء
بِمُقْلةٍ سَريعةِ الإِقْذَاء (٥) ... لَيستْ بِكَحلاءَ ولا زرقاء

وقال الآخر :

قَدْ أغتَدِي مَلْثَ الظلامِ بِفِتْيَةٍ ... لِلرَّمي قد حَسَرُوا الْعَنْ أذرُعِ (٦)
مُتَنَكِّبِينَ خَرائِطاً لِبنادِقٍ ... مِنْ بينِ مَضْفُورٍ وَبينِ مُرَسَّعِ (٧)
بأكُفِّهِمْ قُضْبانُ بَرْوَصَ قدْ عدَوْا ... لِلطَّيرِ قبلَ نُهُوضِها لِلمرتَعِ
تَقْذِي مَنيَّاتُ الطُّيُورِ عُيُونَها ... يوْماً إذا رَمِدَتْ بأيدِي النُّزَّعِ
صُفْرِ البُطونِ كأنَّ لِيطَ مُتُونِها ... سَرَقُ الحريرِ نواضِرٌ لم تُشبَعِ (٨)

١ مجلوزة : محكمة ٢ الابن : جمع ابنة وهى العقدة . والسيساء : منتظم فقار الظهر ٣ المساحل جمع مسحل وهو المبرد . البراء : صانع السهم ٤ اللحاء : ماعلى العود من قشره ٥ الاقذاء : اخراج القذى من العين وادخاله فيها فهو من الاضداد . واقتذى الطائر اقتذاء : فتح عينه ثم أغمضها ٦ ملث الظلام : وقت اختلاطه ٧ متنكبين : ملقين على مناكبهم . خرائط : جمع خريطة وهى وعاء من أدم أو غيره يشرج على مافيه . المرسع : الملزق . والسير المرسع : الذى خرق وأدخل فيه سير آخر ٨ صفر البطون : خاليتها . ليط كل شيء : قشره ومتن كل شيء : ماظهر منه . سرق الحرير : الشقق منه

وكانت العنزة التى تحمل بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وربما جعلوها قبلة ـ أشهر وأذكر من أن يحتاج فى تثبيتها إلى ذكر الاسناد . وكانت سيماء أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم الى الحل فى غير الاشهر الحرم أن يتقلدوا القلائد ويعلقوا عليهم العلائق ، واذا أوذم أحدهم الحج [1] تزيا بزى الحاج واذا ساق بدنة أشعرها [2] . وخالقوا بين سمات الابل والغنم ، وأعلموا البحيرة [3] بغير علم السائبة ، وأعلموا الحامى [4] بغير علم الفحول . وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة [5] من الغنم ، وكذلك سائر الاغنام السائمة . واذا كانت الابل من حباء ملك غرزوا فى اسنمتها الريش والخرق ، ولذلك قال الشاعر :

يَهَبُ الهِجانَ بريشها وَرِعائِها      كالليلِ قبلَ صباحهِ المُتَبَلِّجِ

وإذا بلغت الابل ألفا فقؤا عين الفحل ، فان زادت فقؤا العين الاخرى ، فذلك « المفقأ » « والمعمى » . وقال شاعرهم :

فَقأتُ لَها عينَ الفَحيلِ تَعَيُّفاً      وفِيهِنَّ رَعلاءُ المسامِعِ والحام [6]

وقال الآخر :

وَهَبْ لَنا وأَنتَ ذُو امتِنانِ      تُفقَا فِيها أعينُ البُعْرانِ

وقال الآخر :

فكانَ شُكرَ القَوْمِ عِندَ المِنَنِ      كَيُّ الصَّحيحاتِ وفقءُ الأَعْيُنِ

واذا كان الفحل من الابل كريما قالوا « فحيل » واذا كان الفحل من النخل كريما قالوا « فحال » وقال الراعى :

كانت نَجائِبُ مُنذِرٍ ومُحرِّقٍ      أُمّاتُهِنَّ وطَرْقُهُنَّ فَحِيلا

١ أوذم الحج : أوجبه على نفسه ٢ البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة . وأشعرها : أعلمها أى جعل لها علامة وهو ان يشق جلدها أو يطعنها فى اسنمتها حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدى ٣ البحيرة : المشقوقة الاذن بنت السائبة التى تخلى مع أمها ٤ الحامى من الابل : الذى طال مكثه فترك لاينتفع منه بشيء ٥ الفرع أول النتاج وكان عرب الجاهلية يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك . والرجبية : شاة كانوا يذبحونها فى رجب لآلهتهم . ومثلها العتيرة . والوصيلة : شاة تلد ذكرا ثم أنثى فتصل أخاها فلا يذكون أخاها لاجلها ٦ الفحيل ذو الفحلة . التعيف : التكهن وزجر الطير . الرعلاء الطويلة الاذن . والناقة تشق جلدة من أذنها فتعلق فى مؤخرها

وكان الكاهن لايلبس المصبغ ، والعراف لابدع تذييل قميصه وسحب ردائه ، والحكم لايفارق الوبر . وكان لحرائر النساء زى ، وللكل مملوك زى ، ولذوات الرايات زى . وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره الشاعر فقال :

وأشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقانِ المُعَصْفَرا(١)

وكان أبو أحيحة سعيد بن العاصى إذا اعتمّ لم يعتمّ معه أحد ، هكذا فى الشعر ، ولعل ذلك أن يكون مقصورا فى بنى عبد شمس ، وقال أبوقيس بن الاسلت :

وَكانَ أبو أُحَيْحَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَضَمٍ ذَمِيمِ

إِذا شَدَّ العِصابَةَ ذاتَ يَوْمٍ وقامَ إلى المَجالِسِ والخُصُومِ

فَقَدْ حَرُمَتْ على مَنْ كانَ يَمْشِي بِمَكَّةَ غَيْرَ مُدْخَلٍ سَقِيمِ

وَكانَ البَخْتَرِيُّ غَداةَ جَمْعٍ يُدافِعُهُمْ بِنُعْمانَ الحَكِيمِ

بِأَزْهَرَ مِنْ سَراةِ بَنِى لُؤَىٍّ كَبَدْرِ اللَّيْلِ راقَ على النُّجُومِ

هُوَ البَيْتُ الذِى بُنِيَتْ عليهِ قُرَيْشُ السِّرِّ فى الزَّمَنِ القَدِيمِ

وَسِطْتَ ذَوائِبَ الفَرْعَيْنِ مِنْهُمْ فَأَنْتَ لُبابُ سِرِّهِم الصَّمِيمِ

وقال غيلان بن خرشة الاحنف ٢ « ياأبا بحر ، مابقاء مافيه العرب » قال « إذا تقلدوا السيوف ، وشدّوا العمائم ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حميّة الاوغاد » قال « وماحمية الاوغاد » قال « أن يعدوا التواهب ذلا » وقال الاحنف « استجيدوا النّعال فانها خلاخل الرجال » والعرب تسمى السيوف بحمائلها « أردية » وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قولا أحسن من هذا قال « تمام جمال المرأة فى خفها ، وتمام جمال الرجل فى لمته » ومما يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر :

أأعْقِرُ مِنْ جَرّا كَرِيمَةَ ناقَتِى وَوَصْلِى مَفْرُوشٌ لِوَصْلِ مَنازِلِ

إذا جاءَ قَعْقَعْنَ الحُلِىَّ وَلَمْ أَكُنْ إذا جِئْتُ أَرْجُو صَوْتَ تِلْكَ الخَلاخِلِ

١ راجع ص ٧٤ من كتاب الصاحبي لابن فارس ٢ سبق فى ص ٣٤ من الجزء الثانى

وَلَمْ تُغْنِ سيجانَ العِراقين نقرةٌ دِرَفشُ القلنسى بالرِّجالِ الأطاولِ

والعصابة والعمامة سواء ، واذا قالوا « سيد معمم » فانما يريدون أن كلُّ جناية يجنيها الجانى فى تلك العشيرة فهى معصوبة برأسه وقال دُريد بن الصمة :

أبلِـغ نُعيماً وأوفى إنْ لَقيتَهُما إنْ لم يكنْ كانَ في سَمْعَيهِما صَمَم

فَلا يَزالُ شِهابٌ يُستَضاءُ بهِ يَهْدِي المَقانِبَ مالمْ تُهلكِ الصِّمَمُ (١)

عاري الاشاجعِ مَعْصوبٌ بِلِمَّتِهِ أمْرُ الزَّعامةِ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ (٢)

وقال الكنانى :

تَخَيَّرْتُها للنَّسلِ وَهيَ غَريبةٌ فَجاءتْ بِهِ كالبَدْرِ خِرْقاً مُعَمَّما (٣)

فَلَوْ شاتَمَ الفِتْيانَ فى الحيِّ ظالِماً لَمَا وَجَدُوا غيرَ التَّكذُّبِ مَشتَما

ولذلك قيل لسعيد بن العاصى « ذوالعصابة » وقد قال القائل :

كَعابٌ أبوها ذُو العِصابَةِ وابنُهُ وعُثمانُ ماأ كْفاؤُها بِكَثيرِ

يقولها خالد بن يزيد . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « العمائم تيجان العرب » قال وقيل لاعرابى « إنك لتكثر لبس العمامة » قال « ان شيأ فيه السمع والبصر لجدير أن يوقى من القرّ » وذكرت العمامة عند أبى الاسود الدؤلى فقال « جُنَّة فى الحرب ، ومكنة من الحر ، ومدفأة من القرّ ، ووقارٌ فى الندىّ ، وواقية من الاحداث ، وزيادة فى القامة ، وهى تعد عادة من عادات العرب » وقال عمرو بن امرئ القيس :

يامالِ والسيِّدُ المعمَّمُ قدْ يُبْطِرُهُ بَعدَ رأيِهِ الشَّرفُ (٤)

نَحنُ بما عِندَنا وأنتَ بما عِنـ ـدَكَ راضٍ والرَّأيُ مُختَلِفُ

وكان من عادة فرسان العرب فى المواسم والجموع وفى أسواق العرب كايام ( عكاظ ) و ( ذى المجاز ) وماأشبه ذلك التقنّع ، إلاما كان من أبى سليط

---

١ المقانب : جمع مقنب وهو الجيش . والصمم : جمع صمة وهو الشجاع ٢ الاشاجع : جمع الاشجع وهى عروق ظاهر الكف . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الاذن . العرنين الانف ٣ الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة ٤ يامال : ترخيم « يامالك »

طريف بن تميم أحد بنى عمرو بن جندب فانه كان لا يتقنع ولا يبالى ان يثبت عينه جميع فرسان العرب . وكانوا يكرهون أن يعرفوا ، فلا يكون لفرسان عدوهم همّ غيرهم . ولما أقبل حميصة الشيبانى يتأمل طريفا قال طريف

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ ... بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

فَتَوَسَّمُونِى إِنَّنِى أَنَا ذَاكُمُ ... شَاكٍ سِلَاحِى فِى الْحَوَادِثِ مُعْلَمُ

تَحْتِى الأَغَرُّ وَفَوْقَ جِلْدِى نَثْرَةٌ ... زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيْفَ وَهُوَ مُثَلَّمُ (١)

وَلِكُلِّ بَكْرِىٍّ إِلَيَّ عَدَاوَةٌ ... وَأَبُو رَبِيعَةَ شَانِئٌ وَمُحَلِّمُ

فكان هذا من شأنهم ، وربما مع ذلك أعلم الفارس منهم نفسه بسيما ، كان حمزة يوم بدر معلما بريشة نعامة حمراء ، وكان الزبير معلما بعمامة صفراء ، ولذلك قال درهم بن زيد :

إِنَّكَ لَاقٍ غَداً غُوَاةَ بَنِى الْمَلْـ ... ـكَاءِ فَانْظُرْ مَا أَنْتَ مُزْدَهِفُ (٢)

يَمْشُونَ فِى الْبَيْضِ وَالدُّرُوعِ كَمَا ... تَمْشِى جِمَالٌ مَصَاعِبٌ قُطُفُ (٣)

فَأَبْدِ سِيمَاكَ يَعْرِفُوكَ كَمَا ... يُبْدُونَ سِيمَاهُمُ فَتَعْتَرِفُ

وكان المقنع الكندى الشاعر ـ واسمه محمد بن عمير ـ كان الدهر مُقَنَّعا ، والقناع من سيماء الرؤساء ، والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكاد يُرى الامقنعا ، وجاء فى الحديث حتى كأنّ الموضع الذى يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهّان . وكان المقنع الذى خرج بخراسان يدّعى الربوبية لا يدع القناع فى حال من الحالات ، وجهل ادعاء الربوبية من جهة المناسخة فادّعاها من الوجه الذى لا يختلف فيه الاحمر والاسود والمؤمن والكافر أن باطله مكشوف كالنهار لا يُعرف فى شىء من الملل والنحل القول بالتناسخ الا فى هذه الفرقة من الغالية ، وهذا المقنع كان قصارا من

١ الاغر : فرسه والنثرة : الدرع السلسلة الملبس . والزغف : الدرع الواسعة الطويلة ٢ الازدهاف : الدنو . والتقدم فى الشر . والعداوة . والاهلاك ٣ البيض : جمع بيضة وهى هنا بيضة الحديد ومصاعب : جمع مصعب بضم الميم وهو الفحل الذى تركته فلم تركبه ولم يمسسه حبل حتى صار صعبا والقطف : جمع قطوف وهى الدابة التى تسئ السير

أهل مرو ، وكان أعور ألكن ، فما أدرى أيهما أعجب : أدعواه بانه رب أو إيمان من آمن به وقاتل دونه ، وكان اسمه عطاء . وقال الآخر :

إذا المرءُ أثرى ثمَّ قال لقومه أنا السيدُ المُفضَى اليهِ المعمَّمُ
ولمْ يُعطِهمْ شيئاً أبَوا أنْ يَسُودَهُمْ وهانَ عليهمْ زَعمهُ وهوَ ألوَمُ (١)

وقال آخر :

إذا كَشفَ اليومُ العَماسُ مِنْ اُستِهِ فلا يرتدِى مِثلى ولا يتعمَّمُ (٢)

قالوا وكان مصعب بن الزبير يتعمم المقداء وهو ان يعقد العمامة فى القفاء وكان محمد بن سعد بن أبى وقاص الذى قتله الحجاج يعتم الميلاء وقال الفرزدق

ولوْ شهِدَ الخيلَ ابنُ سعْدٍ لقنَّعُوا عِمامتَهُ الميْلاءَ عضْباً مُهنَّدا

وقال شمعلة بن أخضر الضبى :

جلبْنا الخيلَ مِنْ أطرافِ فلجٍ ترى فِيها مِنَ الغزْوِ اقورارا (٣)
بكلِّ طِمرَّةٍ وبكلِّ طِرْفٍ يَزِينُ سوادُ مُقلتِهِ العِذارا (٤)
حَوالَى عاصِبٍ بالتَّاجِ مِنَّا جبينَ أغرَّ يَستلِبُ الدُّوارا (٥)
رَئيسٌ ما يُنازِعهُ رَئيسٌ سِوى ضَرْبِ القِداحِ إذا استشارا

وأنشد :

إذا لَبِسوا عمائِمَهُمْ طوَوْها على كرَمٍ وإنْ سفَرُوا أناروا
يَبِيعُ ويَشتَرِى لَهُمُ سِواهُمْ ولكنْ بالطِّعانِ هُمُ تِجارُ
إذا ما كُنتَ جارَ بَنِى لؤَيٍّ فأنتَ لأكرَمِ الثَّقلَيْنِ جارُ

وأنشد

وداهيَةٍ جرَّها جارِمٌ جعَلْتَ رِداءَكَ فِيها خِمارا

---

١ أى وهو حقيق بأن يلام ٢ يوم عماس : أى شديد ٣ فلج : اسم بلد ومنه قيل لطريق تأخذ من طريق البصرة الى اليمامة « طريق بطن فلج » . والاقورار : الضمور والتغير
٤ الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثوب والعدو . والطرف : الكريم الطرفين من الاباء والامهات
٥ الدوار : شبه الدوران يأخذ فى الرأس فيخيل لصاحبه أن المنظورات تدور عليه

ولذكر العمائم مواضع ، قال زيد بن كثوة العنبرى :

مَنَعتَ مِنَ العُهَّارِ اطْهارَ أُمَّهِ ... وَبَعْضُ الرِّجالِ المدَّعِينَ زَناءُ (١)

فَجاءَتْ بِهِ عَبْلَ القَوامِ كأنَّما ... عِمامَتُهُ فَوْقَ الرِّجالِ لِواءُ (٢)

لان العمامة ربما جعلوها لواء ، ألا ترى أن الاحنف بن قيس يوم مسعود بن عمرو حين عقد لعبس بن طاق اللواء انما نزع عمامته من رأسه فعقدها له

وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند الجهدة واذا طالت العقبة ولذلك قال شاعرهم :

فَسِيرُوا فقدْ جَنَّ الظلامُ عَليكُمُ ... فَباسَتِ الذِى يرْجو القِرَى عِندَ عاصِمِ

دَفَعْنا إليهِ وَهوَ كالذِّيخِ حاظِياً ... نَشُدُّ على أكْبادِنا بالعَمائِمِ (٣)

وقال الفرزدق :

بَنِى عاصِمٍ إنْ تَلحَبوها فانَّكُمْ ... مَلاحِي لِلسوْآتِ دُسْمُ العَمائِمِ (٤)

وقال آخر :

خَلِيلَىَّ شُدَّا لى بفَضلِ عِمامتِى ... على كَبِدٍ لمْ يَبْقَ إلاّ صَمِيمُها

العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف . وفى الحديث المأثور أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون . وأما قول شاعرهم :

إذا اخْضَرَّتْ نِعالُ بَنِى غُرابٍ ... بَغَوْا وَوَجَدْتَهُمْ أشْرَى لِئاما

لم يُرد صفة النعل وانما أراد بانهم اذا اخضرت الارض وأخصبوا طغوا وبغوا ، كما قال الآخر :

وأطْوَلُ فى دارِ الحِفاظِ إقامةً ... وأوزَنُ أحْلاماً إذا النَّعلُ أخْضَلا

ومثل قوله :

يا ابنَ هِشامٍ أهلَكَ النَّاسَ اللبَنْ ... فَكُلُّهُمْ يَسْعَى بِسَيفٍ وقَرَنْ

١ الزناء : القصير المجتمع ٢ العبل : الضخم ٣ الذيخ الذئب الجرئ . وذكر الضباع ٤ عمامته دسماء : أى سوداء

وأما قول الآخر :

وَكيفَ أُرَجّى أنْ أسُودَ عَشِيرَتى ... وأُمّى مِنْ سَلْمَى أبُوها وَخالُها

رَأيْتُكمُ سُوداً جِعاداً ومالِكٌ ... مُخَصَّرَةٌ بِيضٌ سِباطٌ نِعالُها

فلم يذهب الى مدح النعال فى أنفسها وانما ذهب الى سباطة أرجلهم وأقدامهم ونفى الجعودة والقصر عنهم ، وقال النابغة :

رِقاقُ النِّعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ ... يُحَيّونَ بالرَّيحانِ يومَ السَّباسِبِ [1]

يَصونُونَ أجْساداً قَدِيماً نَعِيمُها ... بِخالِصَةِ الأرْدانِ خُضْرِ المناكِبِ

قال و بنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حماراً قط ولم تلبس نعلا قط اذا نقبت ، وقد قال قائلهم :

وَنُلْقِى النِّعالَ إذا نُقِّبَتْ ... ولا نَسْتَعِينُ بأخلاقِها

وَنَحْنُ الذُّؤابَةُ مِنْ وائِلٍ ... إلَيْنا تَمُدُّ بأعْناقِها

وهم رهط خالد بن معمر يقول فيه شاعرهم :

مُعاوِىَ أمِّرْ خالِدَ بنَ مُعَمَّرٍ ... فانَّكَ لوْلا خالِدٌ لمْ تُؤَمَّرِ

وقائلهم يقول :

أغاضِبَةٌ عَمْرُو بنُ شَيْبانَ أنْ رَأتْ ... عَدِيدَيْنِ مِنْ جُرْثُومَةٍ ودَخِيسِ [2]

فَلَوْ شاءَ رَبّى كانَ أيْرُ أبيكُمُ ... طَوِيلاً كأيْرِ الحارِثِ بنِ سَدُوسِ

وكان عمر رضى الله تعالى عنه جعل رياسة بكر لجزأة بن ثور ، فلما استشهد مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المعمر ، ثم ردها عثمان على شقيق بن مجزأة بن ثور ، فلما خرج أهل البصرة الى صفين تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك على الى حضين بن المنذر فرضى كل واحد منهما وكان يخاف أن يصيرها الى خصمه ، فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير على رضى الله تعالى عنه فى ذلك .

١ طيب حجزاتهم : أى أعفاء . والحجزة : معقد الازار . والسباسب : أيام السعانين أو الشعانين من أعياد النصارى وكان المدوح وهو عمرو بن الحارث الاعرج نصرانيا وقد هرب النابغة الى دمشق لما بلغه أن مرة بن قريع وشى به الى النعمان فى أمر المتجردة ٢ الجرثومة : الاصل . والدخيس العدد الكثير

وأما قول الآخر :

يالَيتَ لى نَعلَينِ مِنْ جلدِ الضَّبُعْ ... وَشُرُكاً مِنْ اُستِها لاتَنقَطِعْ
كلَّ الحذاء يَحتذِى الحافِى الوَقِعْ [1]

فهذا كلام محتاج والمحتاج يتجوز . أما قول النجاشى لهند بن عاصم :

إذا اللهُ حيَّا صالحاً مِنْ عبادِهِ ... كريماً فحيَّا اللهُ هِندَ بنَ عاصِمِ
وكلُّ سَلُولىٍّ إذا مالَقيتَهُ ... سَرِيعٌ إلى داعى النَّدَى والمكارِمِ
وَلا يأكُلُ الكَلبُ السَّرُوقُ نِعالَهمْ ... ولا تَنتقِى المُخَّ الذى فى الجماجِمِ

فقال يونس « كانوا لايأكلون الأدمغة ولاينتعلون الا بالسبت [2] » وقال كثير :

إذا نُبِذَتْ لمْ تُطبِ الكلبَ رِيحُها ... وإنْ وُضِعَتْ فى مَجلِسِ القَومِ شُمَّتِ

وقال عتيبة بن الحارث وهو ابن فسوة :

إلى مَعشَرٍ لايَخصِفُونَ نِعالَهمْ ... ولايَلبَسُونَ السِّبْتَ مالمْ يُخصَّرِ

واذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لابسها قبل أن يمدحها قال الله تبارك وتعالى لموسى على نبينا وعليه السلام « إخلع نعليك إنك بالوادى المقدّس طوى » وقال بعض المفسرين « كان من جلد غير ذكىّ » وقال الزبيرى « ليس كما قال ، بل أعلمه حق المقام الشريف والمدخل الكريم . ألا ترى أن الناس إذا دخلوا الى الملوك ينزعون نعالهم خارجا » قال وحدثنا سلام بن مسكين قال « مارأيت الحسن إلا وفى رجليه النعل ، رأيته على فراشه وهى فى رجليه ، وفى مسجده وهو يصلى وهى فى رجليه » وكان بكر بن عبد الله تكون نعله بين يديه فاذا نهض الى الصلاة لبسها ، وروى ذلك عن عمرو بن عبيد وهاشم الاوقص وحوشب وكلاب وعن جماعة من أصحاب الحسن ، وكان الحسن يقول « ماأعجب قوما يروون أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى فى نعليه فلما انفتل من الصلاة علم أنه قد كان وطئ على كذا وكذا وأشباهاً لهذا الحديث ثم لانرى أحداً

---

١ الوقع : الذى يشتكى لحم قدمه من غلظ الارض والحجارة ٢ السبت : جلود البقر وكل جلد مدبوغ

منهم يصلى منتعلا » وأما قوله :

قامَ بَناتي بالنّعالِ حَواسِراً … وألصقنَ وقعَ السِّبْتِ تحتَ القلائِدِ

فان النساء ذوات المصائب اذا قمن فى المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال . وقال محمد بن يسير :

كم أرى مِنْ مُستَعْجبٍ مِنْ نِعالٍ … ورِضائي مِنها بِلُبْسِ البَوالي

كلّ جَرْداءَ قد تَحيَّفَها الخَصْـ … ـفُ بأقطارِها بِسرْوِ النعالِ [1]

لا تُدانى ولَيسَ تشبهُ في الخِلْـ … ـقةِ إنْ أُبْرِزَتْ نِعالَ المَوالى

لا ولا عن تَقادُمِ العهدِ منها … بليتْ لا ولا لِكرِّ اللّيالى

ولقدْ قُلتُ حينَ أوثِرُ ذا الوِدْ … دِ عليها بِثَرْوتى وبِمالى

مَنْ يُغالى مِنَ الرِّجالِ بِنَعلٍ … فَسَوائى إذا بِهِنَّ يُغالى

أو بَغاهُنَّ لِلجَمالِ فإنّى … فى سِواهُنَّ زِينَتى وجَمالى

فى إخائى وفي وَفائى ورَأيي … وعفافى ومَنطِقي وفعالى

ما وَقانى الحَفا وبَلّغني الحا … جَةَ منها فإننى لا أُبالى

وقال خلف الاحمر :

سَقى حُجاجَنا نَوءُ الثُّريّا … على ما كانَ مِنْ مَطْلٍ وبُخْلِ

هُمُ جمَعُوا النِّعالَ فأحرَزُوها … وسَدُّوا دُونَها بابا بِقُفْلِ

إذا أهْدَيْتُ فاكِهةً وشاةً … وعَشرَ دَجائِجٍ بَعثُوا بِنعل

ومِسواكَيْنِ طُولُهُما ذراعٌ … وعَشرٌ مِنْ رَدىّ المُقْلِ خَشْلِ [2]

فإنْ أهدَيْتُ ذاكَ لِتَحمِلُونى … على نَعلٍ فدقّ اللهُ رِجلي

وقال كثير :

---

١ الجرداء : المجردة من الشعر . تحيفها : تنقصها من أطرافها ٢ المقل : ثمر شجر الدوم ينضج ويؤكل ، والدوم شجرة تشبه النخلة فى حالاتها ، ويقال للمقل خشل اذا كان يابسا

كأنَّ ابنَ ليلى حينَ يبدُو فتنجلي سُجُوفُ الخِباءِ عن مهيبٍ مُشمَّتِ (١)

مقاربُ خطوٍ لا يُغيِّرُ نعلَهُ رَهيفَ الشِّراكِ سهلةَ المُتَسمَّتِ (٢)

إذا طُرِحتْ لم تطبِ الكلبَ ريحُها وإنْ وُضِعتْ في مجلسِ القومِ شُمَّتِ

وقال بشار :

إذا وُضِعتْ في مَجلسِ القومِ نعلُها تَضوَّعَ مِسكاً ما أصابتْ وعنبرا

ولما قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان فى المنذر بن الجارود ما قال . قال صعصعة « يا أمير المؤمنين ، لئن قلت ذاك انه لنظار فى عطفيه ، تفال فى شراكيه ، تعجبه حمرة برديه . » وذم رجل بن التوام فقال « رأيته مشحم النعل ، دَرِن الجورب ، مغضَّن الخف ، دقيق الجرّبان ٣ » وقال الهيثم « يمين لايحلف بها الاعرابى أبداً أن يقول لا أورد الله لك صادرا ولا أصدر لك واردا ولا حططت رحلك ، ولاخلعت نعلك » وقال آخر :

عَلِقَ الفُؤادُ بريِّقِ الجَهلِ (٤) وأبرَّ واستعصَى على الأهلِ

وصَبا وقدْ شابتْ مفارقُهُ سفهاً وكيفَ اصابةُ الكهلِ

أدرَكتُ مُعتَصَرى وأدركني حِلمي ويَسَّرَ قائدِي نَعلِي (٥)

## *( ثم رجع الكلام الى القول فى العصا )*

قال بن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تعظيم شأن عصا موسى على نبينا وعليه السلام « الدابة ينشق عنها الصفا ، معها عصا موسى وخاتم سليمان ، تمسح المؤمن بالعصا وتختم الكافر بالخاتم »

---

١ السجوف : جمع سجف وهو الستران المقرونان بينهما فرجة . وملك مشمت : أى محيي من معنى، حياه اذا دعا له بالتحية ٢ رهيف الشراك : رقيق سير النعل . ومسمت النعل : أسفل من مخصرها الى طرفها ٣ درن : وسخ . مغضن : مجعد وجربان القميص : طوقه الذى فيه الازرار مخيطة فاذا أريد ضمه أدخلت الازرار فى العرى فضم الصدر الى النحر ٤ ريق كل شىء : أوله وأصله
٥ المعتصر : الهرم والعمر

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في السواك وحض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم . والمسواك لايكون الا عصا . وقال أبو الوجيه « قضبان المساويك البشام والضرو والعنم والاراك والعرجون والجريد والاسحل »

وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء اذا دخلوا على الخلفاء وعلى الامراء وعلى السادة والعظماء ، لان ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والاجلال وأبعد من التبذل والاسترسال وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم

وللخلفاء عمة [1] وللفقهاء عمة وللبغالين عمة وللاعراب عمة وللصوص عمة وللابناء عمة وللروم والنصارى عمة ولاصحاب التشاجي عمة

ولكل قوم زى فللقضاة زى ولاصحاب القضاة زى وللشرط زى وللكتاب زى ولكتاب الجند زى ، ومن زيهم أن يركبوا الحمير وان كانت الهماليج [2] لهم معرضة

وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب فنهم من يلبس المبطنة ومنهم من يلبس الدراعة ومنهم من يلبس القباء ومنهم من يلبس الباز بكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرز [3] ويتخذ الجمة

وزى مجالس الخلفاء في الصيف القطن وفي الشتاء فرش الصوف ، وترى أن ذلك أجزل وأكمل وأفخم وأقبل ، ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤسها التيجان وجلست على الاسرة وظاهرت بين الفرش . وهل يملأ عيون الاعداء ويرعب قلوب المخالفين ويحشو صدور العوام افراط التعظيم وتعظيم شأن السلطان والزيادة في الاقدار الا الآلات ، وهل دواؤهم الا في التهويل عليهم ، وهل يصلحهم الا اخافتك اياهم ، وهل ينقادون لما فيه الحظ لهم ويسلمون بالطاعة التي فيها صلاح أمورهم الا بتدبير يجمع المحبة والمهابة

وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات والاردية السود وكل ثوب مشهّر ، وقد كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر يتزيا بزى الماضين وكان له برد أسود يلبسه في الصيف والشتاء فهجاه بعض الطياب من الشعراء فقال في قصيدة له :

---

١ العمة هيئة الاعتمام ٢ الهماليج : البراذين ، ودابة هملاج : حسنة السير في سرعة وبخترة
٣ الجرز بالضم : عمود من حديد أوفضة

بِعْ بُرْدَكَ الأَسْوَدَ قَبلَ البَرْدِ ... فى قِرَّةٍ تأتيكَ صمَّاصَرْدِ [١]

وكان لجربان قميص بشار الاعمى وجبته لبنتان [٢] فكان اذا أراد نزع شيء منهما أطلق الازرار فسقطت الثياب على الارض ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط . وقُدُوَيْه العدوى الشحاجى لم يلبس قميصا قط وهو اليوم حى وهو شيخهم . وسعيد بن العاصى الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط . فقدويه الشحاجى ضد سعيد بن العاصى الاموى . وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فلا تَغرُرْكَ قِلَّةُ لَحمِهِ ... تَخدَّدَ عنهُ اللَّحمُ وَهوَ صَليبُ [٣]

وكان شديد السواد نحيفا . ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم ، فاذا أشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أخر . ويدلك على ذلك قول الانصارى حيث يقول [٤] :

وَسارَتْ لَنا سيَّارَةٌ ذاتُ سُؤْدُدٍ [٥] ... بِكُومِ المَطايا والخُيولِ الجَماهِرِ

يَؤُمُّونَ مَلْكَ الشَّامِ حتَّى تمكَّنُوا ... مُلوكًا بأرضِ الشَّامِ فَوقَ المَنابِرِ

يُصيبُونَ فَصلَ القَوْلِ فى كلِّ خُطْبَةٍ ... إذا وَصَلُوا أَيمانَهُمْ بالمَخاصِرِ

وقال الكميت بن زيد [٦] :

وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ المُهَذْ ... ذَبَ بالمُؤَيَّدَةِ السَّوائِرْ

بالمُذهَباتِ المُعجِبا ... تِ لِمُفْحَمٍ مِنَّا وشاعِرْ

أَهْلِ التَّجارِبِ في المحا ... فِلِ والمَقاوِلِ بالمخاصِرْ

وأيضا ان حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للاطناب والاطالة ، وذلك شيء خاص فى خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب اليهم ، حتى انهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر فى أيديهم إلقاء وتوقعا لبعض مايوجب

---

١ القرة : ماأصاب الانسان وغيره من البرد . وصماصرد : شديدةالبرودة ٢ اللبنة بنيقة القميص
٣ تخدد اللحم : هزل ونقص ٤ سبق فى ص ١٩٨ من الجزء الاول ٥ وردت فى الجزء الاول « ذات سورة » السورة المنزلة والرفعة . والكوم القطعة من الابل . وهى أيضا جمع كوماء بمعنى الناقة الضخمة السنام ٦ سبق فى ص ١٩٣ من الجزء الاول باختلاف فى بعض الالفاظ فليراجع

حملها والاشارة بها

وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمالى [1] وهن قيام فى المناحات . وعلى ذلك المثال (ضربن الصدور بالنعال)

وإنما يكون العجز والذلة فى دخول الخلل والنقص على الجوارح فاما الزيادة فيها فالصواب فيه ، وهل ذلك الا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة القلانس العظام فى حمارَّة القيظ واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ، فان كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة رؤسها حتى تكون فوق قلانس جميع الامة ، وكذلك القناع لانه أهيب

وعلى ذلك المعنى كان يتقنّع العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى وأشباههم وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر واسحق بن عيسى ومحمد ابن سليمان ثم الفضل بن الربيع والسندى بن شاهك وأشباههما من الموالى لان ذلك أهيب فى الصدور وأجل فى العيون والمتقنع أروع من الحاسر لانه إذا لم يفارقه الحجاب وان كان ظاهراً فى الطرق وكان أشبه بملابسة العوام وسياسة الرعية . وطرح القناع ملابسة وابتذال ومؤانسة ومقاربة

والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ومن صنائعهم ورجال دعوتهم وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم وأن ذلك هو صلاح شأنهم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أكثر الناس قناعا . والدليل على أن ذلك كان فى الاسلاف المتبوعين أنا نجد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل على ذلك . ولذلك اتخذوا فى الحروب الرايات والاعلام ، وإنما ذلك كله خرق سود وحمر وصفر وبيض . وجعلوا اللواء علامة للعقد ، والعلم فى الحروب مرجعا لصاحب الجولة . وقد علموا أنها وان كانت خرقاً على عصىّ أن ذلك أهيب فى القلوب وأهول فى الصدور وأعظم فى العيون . ولذلك أجمعت الامم رجالها ونساؤها على اطالة الشعور لان ذا الجمة أضخم هامة وأطول قامة والكاسى أفخم من العارى ، ولولا أن حلق الرأس طاعة وعبادة وتواضع وخضوع ، وكذلك السعى ورمى الجمار ، لما فعلوا ذلك . وفى الحديث أنه لايفتح عمورية الا رجال ثيابهم ثياب الرهبان وشعورهم شعور النساء وكل مازادوه فى الابدان ووصلوه فى الجوارح فهو زيادة فى فى تعظيم تلك الابدان

---

[1] خ : بالمائلى

والعصى والمخاصر – مع الذى عددناه ومع الذى ذكرناه ونريد ذكره من خصال منافعها – كله باب واحد فى المعنى

والمغنى قد يوقع بالقضيب على أوزان الاغانى ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الالفاظ وضروب المعانى ، ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه . وقال عبد الملك بن مروان « لوألقيت الخيزرانة من يدى لذهب شطر كلامى » وأراد معاوية سحبان وائل على الكلام وقد كان اقتضبه اقتضابا فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة فرطلها بيده فلم تعجبه حتى أتوه بمخصرته من بيته . والمثل المضروب بعصا الاعرج يقولون « أقرب من عصا الاعرج ويضربون المثل بعصا النهدى »

وقال علقمة فى صفة فرس انثى :

سُلاءَةٌ كَعَصا النَّهْدِي غُلَّ لَها   مُنَظَّمٌ مِنْ نَوَى قُرَّانَ معجُومُ (١)

ويضربون المثل برمح أبى سعد ، وكان أبو سعد أعرج وفدفى وفد عدوان ، قال ذوالاصبع العدوانى :

إنْ تَكُنْ شِكَّتِي رُمحَ أَبِى سَعْـ   ـدٍ فقَدْ أَحْمِلُ السلاحَ معًا (٢)

قال عباس بن مرادس :

جَزَى اللهُ خيراً خيرَنا لِصدِيقِهِ   وَزَوَّدَه زاداً كزَادِ أَبِى سعْدِ

وَزَوَّدَهُ صِدقًا وَبِرًّا وَنائِلاً   وَماكانَ فى تِلكَ الوِفادةِ مِنْ حَمْدِ

وقال آخر :

فآبَ بِجدْوَى زامِلٍ وَابْنِ زامِلٍ   عَدُوّكَ أوْجَدْوَى كلَيْب بْنِ وائِلِ

ويقولون « لوكان فى العصاسير » ويقولون « ماهو الا ابنة عصا ، وعقدة رشا » ويقولون « أخرج عوده كعصا البقار ٣ » « وأخرج عوده كعصا الحادى » وكان أبو العتاهية أهدى الى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع وعصا شريان وعصا أبنوس وعصا أخرى كريمة العيدان شريفة الاغصان وأردية قطرية وركاء يمانية

---

١ سلاءة : نوع من الطير . قران قرية فى اليمامة دون الطائف . ويقال اعجمت النوى : أى بلغته بالطبخ . والعجام نوى كل شىء . وفى نسخة « معجون » ٢ الشكة : السلاح . وخشبة عريضة تجعل فى خرت الفأس يضيق بها ٣ البقار : راعى البقر

ونعالا سبتية ، فقبل من ذلك عصا واحدة ورد الباقي . وبعث اليه مرة أخرى بنعل وكتب اليه

نَعْلٌ بعثتُ بها لِتَلْبَسَها  تسعى بها قَدَمٌ الى المجدِ
لو كُنتُ أقدرُ أنْ أُشرّ كها  خدّى جعلتُ شرا كها خدّى

فقبلها الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الشجرة التي نودى منها موسى على نبينا وعليه السلام هي عوسج ، وأنه نودى من جوف العوسج ، وأن عصاه كانت من آس الجنة ، وأنها كانت من العود الذى فى وسط الورقة فكان طولها طول موسى عليه السلام . وقالوا من العُلَّيق وقال آخر :

صفراءُ مِن نَبعٍ كلَوْنِ الوَرْسِ  أبدؤها بالدّهنِ قبلَ نفسى

وأنشد الاصمعي عن بعض الاعراب :

ألا قالتِ الخَنساءُ يومَ لقيتُها  كَبِرْتَ ولَم تجزَعْ مِنَ الشَّيبِ مجزَعا
رأتْ ذا عصاً يمشي عليها وشَيبةً  تقنَّعَ منها رأسُهُ ماتقنّعا
فقلتُ لها لاتهزئي بي فقلّما  يسُودُ الفتى حتّى يَشيبَ ويصلَعا
وللقارِحُ اليعبُوبُ خيرٌ علالةً  مِنَ الجذعِ المجرى وأبعدُ منزَعا(١)

وقال اسحق بن سويد :

فى رداءِ النّبيّ أقوى دليلٍ  ثمّ فى العقبِ والعصا والقضيبِ

وقال أبو الشيص الاعمى فى هارون الرشيد :

يابَني هاشمٍ أفيقوا فانّ الـ  ـمُلكَ منكم حيثُ العصا والرّداءُ
مالها دونَ فى قُرَيش كفاءٌ (٢)  وقُرَيشٌ ليستْ لَهُمْ أكفاءُ

وقال الآخر :

على خشَباتِ المُلكِ منهُ مَهابةٌ  وفي الحَربِ عبلُ الساعِدَينِ قَرُوعُ(٣)

١ القارح : الفرس المسن · والعيبوب : البعير القوى فى الجرى · والجذع : الفرس فى السنة الثانيه · والمجرى : المهزول الجسم ٢ أى مثيل ٣ عبل الساعدين : ضخمهما

يَشُقُّ الوَغَى عن رأسِهِ فَضْلُ نَجْدَةٍ … وَأبيضُ مِنْ ماءِ الحَدِيدِ وَقِيعُ

ومما يجوز أيضا فى العصا قول أبى الشيص :

أنْعَى فتى الجودِ إلى الجودِ … ما مِثْلُ مَنْ أنْعَى بموجودِ

أنْعَى فَتى مصَّ الثرَى بعدهُ … بقيةَ الماءِ مِنَ العودِ

ومن هذا الباب قول عبد الله بن جُدعان :

فَلَمْ أرَ مِثْلَهُمْ حَيَّيْنِ أبْقَى … على الحَدَثانِ إنْ طَرَقَتْ طُرُوقا

وَأصبَرَ عِنْدَ ضَنْكِ الامرِ مِنْهُمْ … وأسلَكَهُمْ لأحزَنِهِ طريقا

شَرَيْتُ صَلاحَهُمْ بتلادِ مالى … فَعادَ الغُصْنُ مُعْتَدِلاً وَرِيقا

ويقولون للرجل اذا أفادو أثرى وكثرت نعمته « ضع عصاك » « وقد وضع عصاه » وقال أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل :

وَتَجُرُّ الأذْيالَ فى نعْمَةٍ زَوْ … لٍ تقُولانِ ضَعْ عَصاكَ لِدهرِ (١)

ويقولون للمستوطن فى البلد والمستطيب للمكان « قد ألقى عصاه » وقال زهير ابن أبى سُلمى :

فَلَمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ … وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ (٢)

# كتاب الزهد

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ باسم الله وعونه بشىء من كلام النسك فى الزهد ، و بشىء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم

---

١ الزول : الحسن المعجب ٢ أراد بالماء مياه المحاضر التى كانوا يقيمون عليها فى غير زمن المرتبع . بالجمام : جمع جمة وجم وهو مااجتمع من الماء وكثر . ووصفه بالزرقة لصفائه وسبقهن اليه قبل ان يتحرك باستعمال الناس له . الحاضر المتخيم الذين حضروا الماء وأقاموا عليه وضربوا حوله خيامهم

عوف عن الحسن قال « لاتزول قدما بن آدم حتى يسأل عن ثلاث : شبابه فيم أبلاه ، وعمره فيم أفناه ، وماله من أين كسبه وفيم أنفقه » . قال وقال يونس بن عبيد : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن قول حسان بن أبى سنان « ماشئ أهون من ورع ، اذا رابك أمر فدعه » وقول بن سيرين « ماحسدت أحداً على شيء قط » وقول مؤرق العجلى « لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ماقضاها ولايئست منها » فقيل لمؤرق ماهى قال « ترك مالا يعنينى » وقال أبو حازم الاعرج « ان عوفينا من شرما أعطينا لم يضرنا فقد مازوى عنا » وقال أبو عبد الحميد لم أسمع أعجب من قول عمر « لوأن الصبر والشكر بعيران ماباليت أيهما ركبت » وقال بن ضُبارة « انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة أهون من الصبر على عذاب الله » وقال زياد عبد عياش بن أبى ربيعة « أنا من أن أمنع الدعاء أخوف منى من أن أمنع الاجابة » وقال له عمر بن عبد العزيز رحمة الله « يازياد ، إنى أخاف الله مما دخلت فيه » قال « لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لاتخاف » وقال بعض النساك « كفى موعظة أنك لاتموت الابحياة ولاتحيا الا بموت » وهو الذى قال « اصحب من ينسى معروفه عندك » وهو الذى قال « لاتجعل بينك وبين الله منعما ، وعدّ النعم منه عليك مغرما » ودخل سالم بن عبد الله مع هشام بن عبد الملك البيتَ فقال له هشام « سلنى حاجتك » قال « أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله » وقيل لرابعة القيسية « لوكلمنا رجال عشيرتك فاشتروا لك خادما تكفيك مؤنة بيتك » فقالت « والله انى لاستحى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لايملكها » وقال بعض النساك « دياركم أمامكم وحياتكم بعد موتكم » وقال السموأل بن عادياء اليهودى :

مَيتاً خلقتُ ولمْ أكنْ منْ قبلها  شيئاً يموتُ فمتُّ حين حَييت

وقال أبو الدرداء « كان الناس ورقا لاشوك فيه وهم اليوم شوك لاورق فيه » . الحسن بن دينار . قال : رأى الحسن رجلا يكيد بنفسه فقال « ان امرأ هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله ، وإن أمرًا هذا أوله لجدير أن يخاف آخره » وقال أبو حازم « الدنيا غرّت أقواما ، فعملوا فيها بغير الحق ، ففاجأهم الموت ، فخلفوا مالهم لمن لايحمدهم ، وصاروا الى من لايعذرهم . وقد خلفنا بعدهم فينبغى لنا أن ننظر الى الذى كرهناه منهم فنجتنبه ، والى الذى غبطناه به فنستعمله » موسى

ابن داود رفع الحديث قال « النظر الى خمسة عبادة : النظر الى الوالدين ، والنظر الى البحر ، والنظر الى المصحف ، والنظر الى الصخرة ، والنظر الى البيت » . عبد الله بن شداد قال « أربع من كن فيه برئ من الكبر : من اعتقل البعير ، وركب الحمار ، ولبس الصوف ، وأجاب دعوة الرجل الدون » وذكر عند أنس الصوم فقال « ثلاث من أطاقهن فقد ضبط أمره : من تسحر ، ومن قال ، ومن أكل قبل أن يشرب وشرب ثم لم يأكل فقد ضبط نفسه » وقال الجماز « ليس يقوى على الصوم الا من كثر لقمه وأطاب أدمه »

مجالد بن سعيد عن الشعبي قال حدثني مُرَّةُ الهمداني ـ قال مجالد : وقد رأيته ـ وحدثنا اسماعيل بن أبي خالد أنه لم يرمثل مُرَّةَ قط ، كان يصلي في اليوم والليلة خمسمائة ركعة . وكان مرة يقول لما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه « حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من قتله ، فصليت مائة ركعة ، فلما وقع الجمل وصفّين حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من تلك الحروب وزدت مائتي ركعة ، فلما كانت وقعة النهروان حمدت الله اذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة ، فلما كانت فتنة ابن الزبير حمدت الله اذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة » وأنا أسأل الله أن يغفر لمرة ، على أنا لانعرف لبعض ماقال وجها ، لانك لانعرف فقيها من أهل الجماعة لايستحل قتال الخوارج كما أنا لانعرف أحدا منهم لايستحل قتال اللصوص ، وهذا ابن عمر وهو رئيس الحلسية وزعيمهم قد لبس السلاح لقتال نجدة . وقيل لشريح « الحمد لله الذي سلمك من القتال في شيء من هذه الفتن » قال « فكيف أصنع بقلبي وهواي » وقال الحسن « قتل الناقة رجلٌ واحد ، ولكنّ الله عمّ القوم بالعذاب لانهم عمّوه بالرضا » وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان وخاذليه وناصريه فقال « تلك دماء كفّ الله يدي عنها فأنا أحبّ ألا أغمس لساني فيها »

ودخل أبو الدرداء على رجل يعوده فقال « كيف تجدك » قال « أفرق من الموت » قال « فمن أصبت الخير كله » قال « من الله » قال « فلم تفرق ممن لم تصب الخير كله الا منه » ولما قذف ابراهيم عليه السلام في النار قال له جبرائيل عليه السلام « ألك حاجة ياخليل الله » قال « أما اليك فلا » وقال : رأى بعض النساك صديقا له من النساك مهموما فسأله عن ذلك فقال « كان عندي يتيم أحتسب فيه الاجر ، فمات » قال « فاطلب يتيما غيره ، فان ذلك لايعدمك ان شاء الله تعالى »

قال « أخاف ألا أصيب يتيما فى سوء خلقه » قال « أما انى لو كنت مكانك لم أذكر سوء خلقه » قال : ودخل بعض النساك على صاحب له وهو يكيد بنفسه فقال ( أطب نفسا فانك تلقى ربا رحيما ) قال « أما ذنوبى فانى أرجو أن يغفرها الله لى ، وليس اغتمامى الا لمن أدَعُ من بناتى » قال له صاحبه « الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه يحفظ بناتك » قال : وكان مالك بن دينار يقول « لو كانت الصحف من عندنا لاقللنا الكلام » وقال يونس بن عبيد « لو أمرنا بالجزع لصبرنا » وكان يقول كسبت فى هذه السوق ثمانين ألف درهم مافيها درهم الا وأنا أخاف أن أسأل عنه » قال سمع عمرو بن عبيد عبد الرحمن بن حذيفة يقول : قال الحطيئة « إنما أنا حسب موضوع » فقال عمرو « كذب ترحمه الله ، ذلك التقوى » وقال أبو الدرداء نعم صومعة المؤمن منزل يكف فيه نفسه و بصره وفرجه ، واياكم والجلوس فى هذه الاسواق فانها تلغى وتلهى

وقال الحسن « يابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولاتبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . يابن آدم ، اذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، واذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم فيه . الثواء ههنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أمتكم آخر الامم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون المعاينة فكأن قد . هيهات هيهات ، ذهبت الدنيا بحال بالها ، و بقيت الاعمال قلائد فى أعناق بنى آدم ، فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة . أما انه والله لاأمة بعد أمتكم ، ولا نبىّ بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم . أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وانما ينتظر بأوّلكم أن يلحقه آخركم . من رأى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا ، لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر اليه . فالوحاء الوحاء ، والنجاء النجاء علام تعرجون ، أتيتم ورب الكعبة ، قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون . إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا عليه السلام على علم منه ، اختاره لنفسه ، و بعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ورسوله الى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضع ينظر اليه أهل الارض ، وأتاه منها قوتا و بلغة ، ثم قال « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا مارضى له ربه فأبعدهم الله وسحقهم . يابن آدم طأ الارض بقدمك فانها عن قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . رحم الله رجلا نظر فتفكر ، وتفكر فاعتبر

فابصر فصبر ، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ماطلبوا ولم يرجعوا الى مافارقوا . يا ابن آدم ، اذكر قوله « وكلّ انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك . خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها ، فليس الصفو ماعاد كدرا ولا الكدر ماعاد صفوا . دعوا مايريبكم الى مالا يريبكم . ظهر الجفاء ، وقلت العلماء ، وعفت السنة ، وشاعت البدعة . لقد صحبت أقواما ماكانت صحبتهم الا قرة العين ، وجلاء الصدور . ولقد رأيت أقواما كانوا لحسناتهم أشفق من أن تردّ عليهم منكم من سيآتكم أن تعذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيماحرم الله عليكم منها . مالى أسمع حسيسا ، ولا أرى أنيسا . ذهب الناس وبقى النسناس . لو تكاشفتم ماتدافنتم . تهاديتم الاطباق ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطاب « رحم الله امرأ أهدى الينا مساوينا » أعدوا الجواب فانكم مسؤلون . المؤمن لم ياخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه من قبل ربه . ان هذا الحق قد جهد أهله وحل بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبر عليه الا من عرف فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة وليس يكره لقاء الله الا مقيم على سخطه يابن آدم ، الايمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكنه ماوقر فى القلب وصدقه العمل »

وكان اذا قرأ « ألهاكم التكاثر » قال « عمَّ ألهاكم عن دار الخلود وجنة لاتبيد ، هذا ، والله فضح القوم ، وهتك الستر، وأبدى العَوار تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفاً ، وتمنع فى حق الله درهما . ستعلم يالكع . الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق . فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف ، وقوّمه ذكر العرض . وأما الكافر فقد قمعه السيف ، وشرده الخوف فاذعن بالجزية وسمح بالضريبة . وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات ، يسرّون غير مايعلنون ، ويضمرون غير مايظهرون . فاعتبروا انكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ، قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته »

وكان يقول « رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه ، فان وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله ، وان خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب . رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال : ياأهلى صلاتكم صلاتكم ، زكاتكم زكاتكم ، جيرانكم جيرانكم ، اخوانكم اخوانكم ، مساكينكم مساكينكم ، لعل الله يرحمكم . فان الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال « وكان يأمر أهله بالصلاة

والزكاة وكان عند ربه مرضيا » يابن آدم ، كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك ، وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس

وكان يقول « لا يستحق أحد حقيقة الايمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يامر باصلاح عيوبهم حتى يبدأ باصلاح ذلك من نفسه فانه اذا فعل ذلك لم يصلح عيبا الا وجد فى نفسه عيبا آخر ينبغى له أن يصلحه . فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره . وانك ناظر الى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرنّ شيئا من الخير وان صغر ، فانك اذا رأيته سرك مكانه ، ولا تحقرنّ شيئا من الشر وان صغر ، فانك اذا رأيته ساءك مكانه »

وكان يقول « رحم الله عبدا كسب طيبا ، وأنفق قصدا ، وقدم فضلا . وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمر الله ، فان من كان قبلكم كانوا ياخذون من الدنيا بلاغهم ، ويؤثرون بالفضل . ألا ان هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ماوجد ذواب فيها فرحا . فاياكم وهذه السبل المتفرقة التى جماعها الضلالة ، وميعادها النار . أدركت من صدر هذه الامة قوما كانوا اذا اذا جنّهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ، اذا عملوا الحسنة سرتهم وسالوا الله أن يتقبلها منهم ، واذا عملوا سيئة ساءتهم وسالوا الله أن يغفرها لهم . يابن آدم ، ان كان لا يغنيك مايكفيك فليس هاهنا شيء يغنيك ، وان كان يغنيك مايكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك . يابن آدم ، لا تعمل شيئا من الحق رياء ، ولا تتركه حياء »

وكان يقول « ان العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا مالا يقضى أهل الدنيا بدنياهم فيها . وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لاهل العلم رغبة فى علمهم فاصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لاهل الدنيا رغبة فى دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم و زهدوا فى علمهم لما رَأَوْا من سوء موضعه عندهم »

وكان يقول لأذهب الى من يوارى عنى غناه ويبدى لى فقره ويغلق دونى بابه ويمنعنى ماعنده وأدع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه ويدعونى الى ماعنده »

وكان يقول « يابن آدم ، لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أفقر ، مؤمن مهتم ، وعلج اغتم ، وأعرابى لافقه له . ومنافق مكذب ،

ودنيـاوى مترف . نعق بهم ناعق فاتبعوه ، فراش نار وذبان طمع . والذى نفس الحسن بيـده ماأصبح فى هذه القرية مؤمن الا أصبح مهموما حزينا ، وليس لمؤمن راحـة دون لقاء الله . الناس ماداموا فى عافية مستورون . فاذا نزل بلاء صاروا الى حقائقهم : فصار المؤمن الى ايمـانه ، والمنافق الى نفاقـه . أى قوم ، ان نعمة الله عليكم أفضل من أعمـالكم ، فسارعوا الى ربكم فانه ليس لمؤمن راحـة دون الجنة ، ولايزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه »

وقال الحسن فى يوم فطر ـ وقد رأى الناس وهيآتهم ـ « ان الله تبارك وتعالى جعـل رمضان مضماراً لخلقه ، يستبقون فيـه بطاعته الى مرضاته ، فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخافوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيـه المحسـنون ويخسر فيـه المبطلون . أما والله أن لوكشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن ترجيل شعر أوتجديد ثوب »

وحـدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنـه أنه قال « الناس طالبان : طالب يطلب الدنيـا فارفضوها فى نحره ، فانه ربمـا أدرك الذى طلب منها فهلك بمـا أصاب منها ، وربمـا فاته الذى طلب منها فهلك بمـا فاته منها . وطالب يطلب الآخرة . فاذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه »

وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعـالى عنـه أنه قال « أيها الناس : انه أتى علىّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن أنه انمـا يريد به الله وما عنـده الا وقد خيـل الىّ أن أقواما يقرؤن القرآن يريدون به ماعنـد النـاس . ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه باعمالكم . فانا كنا نعرفكم اذا الوحى ينزل واذا النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم بين أظهرنا . فقد رفع الوحى وذهب النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم فانمـا أعرفـكم بمـا أقول لـكم . ألا فمن أظهـر لنا خـيرا ظننا به خـيرا وأثنينا به عليـه ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليـه . أقـدعوا هـذه النفوس عن شهواتها فانها طلعة فانكم إلا تقدعوها تنزع بكم الى شرّ غاية . ان هـذا الحق ثقيل مرىء . وان الباطل خفيف وبىء ، وترك الخطيئة خـير من معالجـة التوبة . ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا »

وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز « أمابعـد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل »

وقال أبو حازم الاعرج « وجدت الدنيا شيئين : شيئا هو لى لن أعجله دون أجله

ولو طلبته بقوة السموات والارض . وشيئا هو لغيرى لم أناله فيما مضى ولا أناله فيما بقى . يمنع الذى لى كما يمنع الذى لغيرى منى . ففى أى هذين أفنى عمرى وأهلك نفسى »

ودخل على بعض ملوك بنى مروان فقال « ياأبا حازم . ماالمخرج مما نحن فيه » قال « تنظر الى ماعندك فلا تضعه الافى حقه . وماليس عندك فلا تأخذه الابحقه » قال « ومن يطيق ذلك ياأبا حازم » قال « فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين » قال « ماما لك » قال « مالان » قال « ماهما » قال « الثقة بما عند الله . واليأس مما فى أيدى الناس » قال « ارفع حوائجك الينا » قال « هيهات . رفعتها الى من لاتختزل الحوائج دونه . فان أعطانى منها شيئا قبلت . وان زوى عنى شيئا رضيت »

وقال الفضيل بن عياض « يا ابن آدم ، انما يفضلك الغنىُّ بيومك أمس قد خلا ، وغد لم يأت ، فان صبرت يومك أحمدت أمرك وقويت على غدك ، وإن عجزت يومك اذممت أمرك وضعفت عن غدك ، وان الصبر يورث البرء ، وان الجزع يورث السقم ، و بالسقم يكون الموت ، وبالبرء يكون الحياة ،

وقال الحسن « أيافلان ، أترضى هذه الحال التى أنت عليها للموت اذا نزل بك » قال « لا » قال « أفتحدث نفسك بالانتقال عنها الى حال ترضاها للموت اذا نزل بك » قال « حديثا بغير حقيقة » قال « أفبعد الموت دار فيها مستعتب » قال « لا » قال « فهل رأيت عاقلا رضى لنفسه بمثل الذى رضيت به نفسك »

قال عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه « الا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها ، فأماتوا منها ماخشوا أن يميت قلوبهم ، وتركوا منها ماعلموا أن سيتركهم » . ورأوه يخرج من بيت مومسة فقيل « ياروح الله ، ماتصنع عند هذه » قال « انما ياتى الطبيب المرضى » وقال حين مر ببعض الخلق فشتموه ثم مر بآخرين فشتموه فكلما قالوا شرًّا قال خيرا فقال له رجل من الحواريين « كلما زادوك شرًّا زدتهم خيرا ، حتى كانك انما تغريهم بنفسك وتحثهم على شتمك » قال « كل انسان يعطى مما عنده » وقال « ويلكم ياعبيد الدنيا ، كيف تخالف فروعكم أصولكم ، وعقولكم أهواؤكم . قولكم شفاء يبرى الداء ، وعملكم داء لايقبل الدواء . ولستم كالكرمة التى حبر ورقها وطاب ثمرها وسهل

مرتقاها . بل أنتم كالثمرة التى قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها . ويلكم ياعبيد الدنيا . جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه . وجعلتم الدنيا فوق رؤسكم لايستطاع تناولها . لاعبيد أتقياء ولاأحرار كرام . ويلكم أجَراءَ السوء . الاجر تاخذون والعمل تفسدون . سوف تلقون ماتحذرون . يوشك رب العمل أن ينظر فى عمله الذى أفسدتم وفى أجره الذى أخذتم . ويلكم غرماء السوء . تبدؤن قبل قضاء الدين بالنوافل . تطوعون ومماأمرتم به لاتؤدون ان ربّ الدين لايقبل الهدية حتى يقضى دينه »

وكان أبو الدرداء يقول « أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا غضب . واحذر أن تظلم من لا ناصر له الا الله . وقال وزر العبد :

لَعَمْرُ أَبِي المَمْلُوكُ ماعاشَ إِنَّهُ وَإِنْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ لَذَلِيلُ
تَرَي النّاسَ أَنصاراً عَلَيْهِ ومالَهُ مِنَ النّاسِ إلا ناصِرُونَ قَلِيلُ

وقال شيخ . من أهل المدينة « المعرّض بالناس اتقى صاحبه ولم يتق ربه »
وكان بكر بن عبد الله يقول «اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم » وقال « من كان له من نفسه واعظ عارضه ساعة الغفلة وحين الحمية » وقال على رضى الله تعالى عنه للاشتر « أنظر فى وجهى » حين جرى بينه وبين الاشعث بن قيس ماجرى . وكانت العجم تقول « اذا غضب الرجل فليستلق . واذا أعيي فليرفع رجليه » وقال أبو الحسن : كان لرجل من النساك شاة وكان معجبا بها فجاء يوما فوجدها على ثلاث قوائم فقال « من صنع هذا بالشاة » قال غلامه « أنا » قال « ولم » قال « أردت أن أغمك » قال « لاجرم لاغمن الذى أمرك بغمى . اذهب فانت حر » سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول « ماأنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه من ذلك الصبر الا كان ماعاضه الله أفضل مما انتزع منه » ثم قرأ « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » أخبرنا أبو الحسن على بن محمد عن أصحابه قال : حضرت عمر بن عبيد الوفاة فقال لعديلة « نزل بى الموت ولم أتاهب له . اللهم انك تعلم انه لم يسنح لى أمران لك فى أحدهما رضى ولى فى الآخر هوى الا آثرت رضاك على هواى فاغفرلى » ولما خبر أبوحازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين قال « فاين رحمة الله » قال ابوحازم « قريب من المحسنين » قالوا : وخرج عثمان بن عفان

عفان رضى الله تعالى عنه من داره فرأى فى دهليزه أعرابيا فى بَتّ [١] أشنى غائر العينين مشرف الحاجبين ، فقال « ياأعرابى ، أين ربك » قال « بالمرصاد » وكان الاعرابى عامر بن قيس وكان ابن عامر سيره اليه . قال وغدا أعرابى من طيئ مع امرأة له فاحتلبا لبنا ثم قعدا يتمججان [٢] فقالت له امرأته « أنحن أنعم عيشا أم بنو مروان » قال «هم أطيب طعاما منا ، ونحن أردى كسوة منهم . وهم أنعم منا نهارا ونحن أظهر منهم ليلا » قال وعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال « لايلهك الناس عن نفسك فان الامر يصير اليك دونهم ، ولا تقطع النهار سادرا فانه محفوظ عليك ماعملت . واذا أسأت فاحسن فانى لم أر شيئا أشدّ طلبا ولا أسرع دركا من حسنة حديثة لذنب قديم » قال كان بلال بن مسعود يقول «زاهدكم راغب ، ومجتهدكم مقصر ، وعالمكم جاهل ، وجاهلكم مفتر» مسلمة بن محارب قال قال عامر بن عبد قيس « الدنيا والدة للموت ، ناقضة للمبرم ، مرتجعة للعطية ، وكل من فيها يجرى إلى مالا يدرى ، وكل مستقر فيها غير راض بها ، وذلك شهيد بأنها ليست بدار قرار » قال الحسن « من أيقن بالخلف جاد بالعطية » وقال أسماء بن حارجة « اذا قدمت المودة سمج الثناء » وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظى «عظنى» قال لاأرضى نفسى لك ، إنى لاصلى بين الغنى والفقير فأميل على الفقير وأوسع على الغنى » قال قال الحسن « ماأطال عبد الامل إلا أساء العمل » قال كان أبو بكر رضى الله عنه إذا قيل له « مات فلان » قال « لااله الا الله » وكان عثمان يقول « فلا اله الا الله » وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ماينشد :

لاتَزالُ تَنْعَى مَيِّتاً حتَّى تَكُونَهُ ... وقَدْ يَرْجُو الفتَى الرجا فيَموتُ دُونَهُ

وركب سليمان بن عبد الملك يوما فى زى عجيب فنظرت اليه جارية فقالت « إنك لمعنى بيتى الشاعر » قال « وماهما » فأنشدته :

أَنتَ نِعمَ المَتاعُ لَوْ كُنْتَ تَبقَى ... غيرَ أَنْ لابَقاءَ لِلإنسانِ
لَيْسَ فِيما بَدالَنا مِنكَ عَيبُ ... كانَ فِي النَّاسِ غيرَ أنَّكَ فانِ

قال « ويلك نعيت الى نفسى » قال : صام رجل سبعين سنة ثم دعا الله فى حاجة لم يستجب له فرجع الى نفسه فقال « منك أتيت » فكان اعترافه أفضل من

١ البت : الطيلسان من خز ونحوه . الاشنى : مختلف نبتة الاسنان فى الطول والقصر والدخول والخروج ٢ أى يأكلان تمرا ويشربان عليه لبنا

صومه . «وقال من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباده» وقال الحسن «اذا سرك أن تنظر الى الدنيا بعدك فانظر اليها بعد غيرك» وكان الحسن يقول «ليس الايمان بالتمنى ، ولا بالتحلى ، ولكن ماوقر فى القلوب وصدقه العمل» قال مات ذر بن أبى ذر الهمدانى من بنى مرهبة - وهو ذر بن عمر بن ذر - فوقف أبوه على قبره فقال «ياذر ، والله مابنا إليك من فاقة ، ومابنا الى أحد سوى الله من حاجة . ياذر ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك» ثم قال «اللهم إنك وعدتنى بالصبر على ذرّ ، صلواتك ورحمتك اللهم ، وقد وهبت ماجعلت لى من أجر على ذرّ لذرّ فلا تعرفه قبيحا من عمله . اللهم وقد وهبت له إساءته إلى فهب لى إساءته الى نفسه فانك أجود وأكرم» فلما انصرف عنه التفت الى قبره فقال «ياذرّ ، قد انصرفنا وتركناك ؛ ولو أقمنا مانفعناك» سحيم بن حفص قال قال هانئ بن قبيصة لحرقة ابنة النعمان - ورآها تبكى - «مالك تبكين» قالت «رأيت لاهلك غضارة ، ولم تمتلئ دار قط فرحا الا امتلأت حزنا» ونظرت امرأة اعرابية الى امرأة حولها عشرة من بنيها كأنهم الصقور فقالت «لقد ولدت أمكم حزنا طويلا» وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لازواجه «أسرعكن لحاقا بى أطولكن يداً» فكانت عائشة تقول «أنا تلك أطولكن يدا» فكان زينب بنت جحش ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعا تصنع بيدها وتبيعه وتصدق به . قال الشاعر:

فَمـا انْ كانَ أَكْثَرَهُمْ سَواماً ... وَلـكِنْ كانَ أَطْوَلَهُمْ ذِراعا

قال : كان الحسن يقول «ماأنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه فيها تبعة ، إلا ما كان من نعمته لسليمان على نبينا وعليه السلام فان الله عز وجل قال عز ذكره : هذا عطاؤنا فامنن أوأمسك بغير حساب» قال : باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفا ، فقيل له لواتخذت لولدك من هذا المال ذخرا ، قال «انا أجعل هذا المال ذخرا لى عند الله ، واجعل الله ذخرا لولدى» وقسم المال . وقال رجل : صحبت الربيع بن خيثم سنتين ، فما كلمنى الا كلمتين ، قال لى مرة «أمك حية» وقال لى مرة أخرى «كم فى بنى تيم من مسجد» وقال أبو فروة : كان طارق صاحب شرط خالد بن عبد الله القسرى مرّ بابن شبرمة - وطارق فى موكبه - فقال بن شبرمة :

أُراها وإنْ كانَتْ تحبُّ فانَّها ... سَحابَةُ صَيفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم فاستعمل بن شبرمة على القضاء بعد ذلك ، فقال ابنه « أتذكر قولك يوم مرّ طارق فى موكبه » فقال « يابنى ، إنهم يجدون مثل أبيك ولايجد أبوك مثلهم . يابنى ، ان أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم » قال الحسن « من خاف الله أخاف منه كل شىء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شىء » وقال الحسن « ماأعطى رجل من الدنيا شيئا الا قبل له خذه ومثله من الحرص » قال : مرّ مروان بن الحكم فى العام الذى بويع فيه بزرارة بن جزى الكلابى – وهم على مالهم – فقال « كيف أنتم آل جزى » قالوا « بخير ، زرعنا الله فأحسن زرعنا وحصدنا فأحسن حصادنا » وقال الحسن أبن آدم « انما أنت عدد ، فاذا مضى يوم فقد مضى بعضك » مسلمة قال وقال الحسن أبن آدم « ان كان يغنيك من الدنيا مايكفيك فادنى مافيها يغنيك ، وان كان لايغنيك منها مايكفيك فليس فيها شىء يغنيك » قال : نزل الموت بفتى كان فيه رهق فرفع رأسه فاذا أبواه يبكيان عند رأسه فقال « مالكما تبكيان » قال تخوّفا عليك من الذى كان منك من اسرافك على نفسك » فقال « لاتبكيا ، فوالله مايسرنى أن الذى بيد الله بأيديكما » أبو الحسن عن على عن عبد الله القرشى قال قال قتادة « يعطى الله العبد على نية الآخرة ماشاء من الدنيا ولايعطى على نية الدنيا الا الدنيا » عوانة قال قال الحسن « قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة وأمير المصرين وأشبّ الناس ، فاقام عندنا أربعين يوما ، ثم طعن فى قدمه فمات فأخرجناه الى قبره ، فلما صرنا به الى الجبانة فاذا نحن باربعة سودان يحملون صاحبا لهم الى قبره ، فوضعنا السرير فصلينا عليه ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه ، ثم حملنا بشرا الى قبره وحملوا صاحبهم الى قبره ، ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ثم التفتُّ التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشى فلم أر شيأ قط كان أعجب منه » وقال عبد الله بن الزبعرى :

والعَطِيّاتُ خساسٌ بَيْنَنا ... وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

وتقول الحكماء ثلاثة أشياء يستوى فيها الملوك والسوقة والعلية والسفلة : الموت والطلق والنزع » وقال الهيثم بن عدى عن رجاله : بينا حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسى يتذاكرون أعاجيب الزمان وتغير الايام – وهما فى عرصة ايوان كسرى – وكان أعرابى من غامد يرعى شويهات له نهارا فاذا كان الليل صيّرهن

الى داخل العرصة وفى العرصة سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه - فصعدت غنيات الغامدى على سرير كسرى فقال سلمان « ومن أعجب ماتذاكرنا صعود غنيات الغامدى على سرير كسرى » . قال لما انصرف على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من صفين مر بمقابر فقال « السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قيل لاحقون . اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم الحمد لله الذى جعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا . والحمد لله الذى منها خلقكم وعليها يحشركم ومنها يبعثكم . طوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب وقنع بالكفاف » وقال عمر رضى الله تعالى عنه « استغزروا العيون بالتذكر وقال الشاعر :

سَمِعْنَ بِهَيْجا أوجفتْ فذكرْتَهُ ... وَلا يَبْعثُ الاحزانَ مِثلُ التَّذَكُّرِ

وقال أعرابى :

لاتَشْرُفَنَّ يَفاعاً إنَّهُ طرِبٌ ... وَلاتُغَنِّ إذا ما كُنتُ مُشتاقا (١)

قال بن الاعرابى : سمعت شيخا اعرابيا يقول « انى لاسر بالموت ولادين ولا بنات » على بن الحسن قال قال صالح المرى ٢ : دخلت دار المور يانى فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله استخرجتها حين ذكرت الحال فيها قوله « فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا » وقوله « ولقد تركناها آية فهل من مدكر » وقوله « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » قال فخرج الى أسود من ناحية الدار فقال « ياأبا بشر هذا سخط المخلوق فكيف سخط الخالق » قال : وأصاب ناسا مطر شديد وريح وظلمة ورعد وبرق فقال رجل من النساك « اللهم انك قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك » عوانة قال قال عبد الله بن عمر : فاز عمر بن أبى ربيعة بالدنيا والآخرة غزا البحر فأحرقوا سفينته فاحترق . قال وطلق امرأته أبو الخندق أم الخندق فقالت « أتطلقنى بعد طول الصحبة » فقال « مادهاك عندى غيره » وكان أبو اسحق يقول « ماالأمها من كلمة » قال : مرّ عمر بن الخطاب بقوم يتمنون فلمارأوه سكتوا قال ( فيم كنتم ) قالوا ( كنا نتمنى ) قال ( فتمنوا وأنا أتمنى معكم ) قالوا ( فتمن ) قال أتمنى رجالا ملء هذا البيت مثل أبى عبيدة بن

---

١ لاتشرفن يفاعا : لاتعلون تلا مشرفا ٢ خ : المزنى

الجراح وسالم مولى أبى حذيفة ، إن سالما كان شديد الحب لله لولم يخف الله ماعصاه . وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح شعبة عن عمر بن مرة قال : قدم وفد من أهل اليمن على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقرأ عليهم القرآن فبكوا فقال أبو بكر « هكذا كنا حتى قست القلوب » وقال أبو بكر « طوبى لمن مات فى نأ أة الاسلام » وقال سعد بن مالك أومعاذ ( مادخلت فى صلاة فعرفت من عن يمينى ولامن عن شمالى ، ولاشيّعت جنازة قط الا حدثت نفسى بما يقال له ومايقول ، وماسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال شيئا قط الا علمت أنه كما قال ) قال أبو الدرداء ( أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل لايغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدرى اساخط ربه أم راض . وأبكانى هول المطلع ، وانقطاع العمل ، وموقفى بين يدى الله ولا يُدْرَى أيومر بى إلى الجنة أم الى النار سحيم بن حفص قال : رأى إياس بن قتادة العبشمى شيبة لحيته فقال « أرى الموت يطلبنى وأرانى لاأفوته ، أعوذ من فجا آت الامور و بغتات الحوادث . يا بنى سعد ، إنى قد وهبت لكم شبابى فهبوا لى شيبتى » ولزم بيته فقال له أهله ( إنك تموت هزلا ) فقال ( لان أموت مؤمنا مهزولا أحب الىّ من أن أموت منافقا سمينا ) وذكر قوم ابليس فلعنوه وتغيظوا عليه . وقال أبو حازم الاعرج ( وما ابليس لقد عُصى فما ضَرّ وأطيع فما نفع ) قال قال بكر بن عبد الله المزنى ( الدنيا مامضى منها فحلم ، وما بقى منها فأمانى ) قال ودخل أبو حازم مسجد دمشق فوسوس اليه الشيطان انك قد أحدثت بعد وضوئك ، قال فقال له ( أو قد بلغ هذا من نصحك ) وقال بعض الطياب :

عَجِبْتُ مِنْ ابْلِيسَ فِى كِبْرِهِ وَخُبْثِ ماأظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهْ
تاهَ عَلَى آدمَ فى سَجْدَةٍ وصارَ قَوّاداً لِذُرِّيَّتِهِ

قال فأنشدتها مسمع بن عاصم فقال ( وأبيك لقد ذهب مذهب الفضل بن مسلم ) قال قال مطرف بن عبد الله بن الشخير ( لاتنظروا الى خفض عيشهم ولين ثيابهم ، ولكن انظروا الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم ) قال أبو ذر لقد ( أصبحت وان الفقر أحب الىّ من الغنى ، والسقم أحب الىّ من الصحة ، والموت أحب الىّ من الحياة ) قال وهشم « لكنى لاأقول ذلك » قال قال داود النبى صلى الله تعالى على

نبينا وعليه وسلم (اللهم لاصحة تطغيني ولا مرض يضنيني ، ولكن بين ذلك) قال وقال الحسن (ان قوما جعلوا تواضعهم فى ثيابهم وكبرهم فى صدورهم ، حتى لصاحب المدرعة بمدرعته أشد فرحا من صاحب المطرف بمطرفه) وقال داود النبى على نبينا وعليه السلام (ان لله سطوات ونقمات ، فاذا رأيتموها فداووا قرحكم بالدعاء ، فان الله تبارك وتعالى يقول لولا رجال خُشَّع وصبيان رُضَّع وبهائم رُتَّع لصبيت عليكم العذاب صبًّا) قال اشترى محرز بن صفوان بدنة بتسعة دنانير فقيل له (تشترى بدنة بتسعة دنانير وليس عندك غيرها) قال (سمعت الله تبارك وتعالى يقول لكم فيها خير) وقيل لمحمد بن سوقة تحج وعليك دين) قال (هو أقضى للدين) وقال : وأتى ناسك ناسكا ومعه خف فقال (ماتصنع بهذا) قال (أعده للشتاء) قال (كانوا يستحيون من هذا) قال أبو ذر (تخضمون ونقضم والموعد الله [1]) قال الزبير (يكفينا من خضمكم القضم ، ومن نصكم العنق) وقال أيمن بن خريم :

رجَوْا بالشِّقاقِ الأكلَ خَضماً فقد رَضُوا ... أخيراً من أكلِ الخَضمِ أن يأكُلوا القَضْما

وقال عمرو لمعاوية (من أصبر الناس) قال (من كان رأيه راداً لهواه) وتواصفوا حال الزهد بحضرة الزهرى فقال الزهرى (الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ، والحلال شكره) قال وذكر عند أعرابى رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة فقال (هذا رجل سوء ، ومايظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب) قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه (ماظنك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر ، وماظنك بخالق الهوان لمن يريد هوانه وهو عليه قادر) وزعم أبو عمرو الزعفرانى قال : كان عمرو بن عبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من أهله وحشمه حاجة الا قال (لا) فقال عمرو « أقل من قول لا ، فانه ليس فى الجنة لا) قال وقال عمرو (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سئل مايجد أعطى ، واذا سئل مالايجد قال يصنع الله) قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (أكثروا لهن من قول لا ، فان نعم يضريهن على المسأله) قال : وانما يخص عمر بذلك النساء . قال الحسن (أدركت أقواما كانوا من حسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها) قال أبو الدرداء (من يشترى منى عادا وأموالها بدرهم) ودخل على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه المقابر فقال (أما المنازل فقد سكنت ، وأما الاموال فقد قسمت ، وأما الازواج فقد

[1] الخضم : الاكل بجميع الفم . والقضم دون ذلك

نكحت ، فهذا خبر ماعندنا فما خبر ماعندكم ) ثم قال ( والذى نفسى بيده لوأذن لهم فى الكلام لاخبروا أن خير الزاد التقوى ) قال أبو سعيد الزاهد عيرت اليهود عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه بالفقر فقال ( من الغنى أتيتم ) وقال آخر ( لولم يعرف من شرف الفقر الا أنك لاترى أحدا يعصى الله ليفتقر ) وهذا الكلام بعينه مدخول . قال سأل الحجاج أعرابيًّا عن أخيه محمد بن يوسف ( كيف تركته ) فقال ( تركته عظيما سمينا ) قال ( ليس عن هذا أسالك ) قال ( تركته ظلوما غشوما ) قال ( أوما علمت أنه أخى ) قال ( أتراه بك أعزّ منى بالله ) وقال بعضهم نجد فى زبور داود صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليه ( من بلغ السبعين اشتكى من غير علة ) جعفر بن سليمان قال قال محمد بن حسان النبطى ( لاتسال نفسك العام ماأعطتك فى العام الماضى ) أبو اسحق بن المبارك قال قيل لخالد بن يزيد بن معاوية ( ماأقرب شىء ) قال ( الاجل ) قيل ( فما أبعد شىء ) قال ( الأمل ) قيل ( فما أوحش شىء ) قال ( الميت ) قيل ( فما آنس شىء ) قال ( الصاحب المواتى ) وقال آخر ( آنس شىء الموتى ) وقال الآخر، نسى عامر بن عبد الله بن الزبير عطاءه فى المسجد فقيل له قد أخذ ) فقال ( سبحان الله ، وهل ياخذ أحد ماليس له ) جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن عبدة الثقفى قال ( لايشهد علىّ الليل بنوم أبدا ولا يشهد علىّ النهار باكل أبدا ) فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعزم عليه فكان يفطر فى العيدين وأيام التشريق . وقال الحسن بن أبى الحسن يكون الرجل عالما ولايكون عابدا ويكون عابدا ولايكون عاقلا وكان مسلم بن بدر عالما عابدا عاقلا وقال عبادة بن الصامت من الناس من أوتى علما ولم يؤت حلما وشداد بن أوس اوتى علما وحلما قال ابراهيم كان عمرو بن عبيد عالما عاقلا عابدا وكان ذابيان وحلم وصاحب قرآن ابراهيم بن سعيد عن ابى عبد الله القيسى قال قال أبو الدرداء لايحرز المؤمن من شرار الناس الا قبره وقال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى على نبينا وعليه الدنيا لابليس مزرعة وأهلها له حراثون عبد الملك بن عمير عن قبيصة ابن جابر قال ماالدنيا فى الآخرة الا كنفجة [1] الارنب قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لولا ان أسير فى سبيل الله وأضع جبهتى لله وأجالس أقواما ينتقون لى أحسن الحديث كما ينتقى أطايب التمر لم أبال أن أكون قد مت قال عامر بن عبد

[1] الوثبة

قيس ما آسى من العراق الا على ثلاث ظمأ الهواجر وتجاوب المؤذنين واخوان لى منهم الأسود بن كلثوم وقال المورق العجلى ضاحك معترف بذنبه خير من باك مُدِلّ على ربه وقال خير من العجب بطاعة أن لا تأتى بطاعة قالوا كان الربيع بن خيثم يقول لا تطعم الا صحيحا ولا تكس الا جديدا ولا تعتق الا سويا وقال بعض الملوك لبعض العلماء اذمم لى الدنيا فقال أيها الملك الآخذة لما تعطى المورثة بعد ذلك الندم السالبة ما تكسو المعقبة بعد ذلك الفضوح تسد بالاراذل مكان الافاضل و بالعجزة مكان الحزمة تجد فى كل من كل خلفا وترضى بكل من كل بدلا تسكن دار كل قرن قرنا وتطعم سؤر كل قوم قوما وكان سعيد بن أبى العروبة يطعم المساكين السكر و يتأول قوله تعالى و يطعمون الطعام على حبه قال وكان محمد بن على اذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة وكان لا يسمع من داره للسائل بورك فيك ولا ياسائل خذ هذا وكان يقول سموهم باحسن أسمائهم قال وتمنى قوم عند يزيد الرقاشى فقال يزيد سأتمنى كما تمنيتم قالوا تمن قال ليتنا لم نخلق وليتنا اذ خلقنا لم نمت وليتنا اذ متنا لم نبعث وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد قال وقال رجل لأم الدرداء انى لأجد فى قلبى داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملا بعيدا قالت (اطلع فى القبور واشهد الموتى) ابن عون قال قلت للشعبى أين كان علقمة من الأسود قال كان الأسود قواما صواما وعلقمة مع البطىء وهو يسبق السريع قال وقيل لغالب بن عبد الله الجهضمى (انا نخاف على عينيك العمى من طول البكاء قال هو لهما شهادة) محمد بن طلحة بن مُضَرّب عن محمد بن جحادة قال (لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه أتى قوم الربيع بن خيثم فقالوا لنستخرجن اليوم منه كلاما فقالوا قتل الحسين قال الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وأتته بنية له فقالت (ياأبت أذهب ألعب فقال اذهبى فقولى خيرا وافعلى خيرا) وقال أبو عبيدة استقبل عامر بن عبد قيس رجل فى يوم حلبة قال فقال من (سبق ياشيخ) قال (المقربون) على بن سليم قال قيل للربيع بن خيثم (لو أرحت نفسك قال اراحتها أريد إن عمر كان كيسا [٣]) وقال أبو حازم (ليتق الله أحدكم على دينه كما يتقى على نعله) جعفر ابن سليمان الضبعى قال أتى بن مطرف بن عبد الله بن الشخير أبى فجلس مجلس مالك ابن دينار وقد قام فقال أصحابه لو تكلمت قال هذا ظاهر حسن وإن تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وقال رجل لآخر و باع منه ضيعة له أما والله لقد

١ أحزن ٢ ظماء كسحاب العطش ٣ ظريفا عاقلا

أخذتها ثقيلة المؤونة قليلة المعونة فقال الآخر أنت لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق واشترى رجل من رجل دارا فقال لصاحبه لوصبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير فقال وأنت لوصبرت لبعتك الذراع بدرهم ورأى ناسكٌ ناسكا فى المنام فقال له كيف وجدت الامر يا أخى قال وجدنا ماقدمنا وربحنا ماأنفقنا وخسرنا ماخلفنا قال وقال بكر بن عبد الله المزنى اجتهدوا فى العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصى قال قال أعرابى أنه ليقتل الحبارى جوعا ظلم الناس بعضهم لبعض قال قيل لمحمد بن على من أشد الناس زهدا قال من لايبالى الدنيا فى يد من كانت وقيل له من أخسر الناس صفقة قال من باع الباقى بالفانى وقيل له من أعظم الناس قدرا قال من لايرى الدنيا لنفسه قدرا الأصمعى عن شيخ من بكر بن وائل ان هانئ بن قبيصة أتى حُرَقَةَ بنت النعمان وهى باكية فقال لها لعل أحدا أذاك قالت لا ولكن رأيت غضارة ١ فى أهلكم وقل ماامتلأت دار سرورا الا امتلأت حزنا وقالوا يهرم بن آدم وتشب له خلتان ٢ الحرص والامل الأصمعى قال قال محمد بن واسع ما آسى من الدنيا الاعلى ثلاث ٣ بلغة من عيش ليس لأحد علىّ فيها منة ولالله علىّ فيها تبعة وصلاة فى جمع أُكْفىَ سهوها ويدخر لى أجرها وأخ اذا ماأعوججت قومنى وقال آخر ما آسىَ من العراق الا على ثلاث ليل الحريق ٤ ورطب الشكر وحديث بن أبى بكرة وقال آخر اذا سمعتَ حديث أبى نضرة وكلام بن أبى بكرة فكانك مع لسان ٥ الحُمَّرَة وقال أبو يعقوب الحزيمى الأعور تلقانى مع طلوع الشمس سعيد بن وهب فقلت اين تريد قال أدور على المجالس فلعلى أسمع حديثا حسنا ثم لم أجاوز بعيداحتى تلقانى أنس بن أبى شيخ فقلت له أين تريد قال عندى حديث حسن فأنا أطلب له إنسانا حسن الفهم حسن الاستماع قال قلت حدثنى فانا كذاك قال أنت حسن الفهم ردىء الاستماع وما أرى لهذا الحديث الا اسماعيل بن غزوان ، هشام قال أخبرنى رجل من أهل البصرة قال ولد للحسن بن أبى الحسن غلام فقال له بعض جلسائه بارك الله لك فى هبته وزادك فى أحسن نعمته فقال الحسن الحمد لله على كل حسنة واسأل الله الزيادة فى كل نعمة ولا مرحبا بمن إن كنت عائلا انصبنى وإن كنت غنيا اذهلنى لاأرضى بسعيي له سعيا ولا بكدى له فى الحياة كداحتى أشفق عليه من الفاقة

١ نعمة وسعة ٢ مثنى خلة بالفتح وهى الخصلة ٣ بالضم مايتبلغ به من العيش ٤ الحريق موضع بالبصرة لم ير الناس هواء أعدل ولانسيما أرق ولاماء أطيب منها فى ذلك الموضع ٥ المعروف ابن لسان الحمرة كسكرة خطيب بليغ نسابة واسمه عبد الله بن حصين أو ورقاء بن الاشعر

بعد وفاتى وأنا بحال لا يصل الىّ من همه حزن ولا من فرحه سرور وقال الحسن للمغيرة بن مُخَارش التميمى ان مَن خوفك حتى تلقى الأمن خير لك ممن آمنك حتى تلقى الخوف وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ماأحسن الحسنة فى اثر الحسنة وما أقبح السيئة فى اثر السيئة الحسن قال مارأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من أمر نحن فيه قال وكان الحسن اذا ذكر الحجاج قال كان يتلو كتاب الله على لخم وجذام ويعظ عظة الازارقة [1] ويبطش بطش الجبارين وكان يقول اتقوا الله فان عند الله حجاجين كثيرا قال وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول اتقوا الله فان عند الله أياما مثل شوال قال خالد بن صفوان بت ليلتى أتمنّى كلها فَكَسَيْتُ البحر الاخضر بالذهب الاحمر فاذا الذى يكفينى من ذلك رغيفان وكوزان وطمران [2] وكان الحسن يقول انكم لاتنالون ماتحبون الا بترك ماتشتهون ولاتدركون ماتؤملون الا بالصبر على ماتكرهون ودخل قوم على عوف بن أبى جميلة فى مرضه فاقبلوا يثنون عليه فقال دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء وقال أبو حازم نحن لانريد ان نموت حتى نتوب ونحن لانتوب حتى نموت وكان الحسن يقول يا ابن آدم نهارك ضيفك فأحسن اليه فانك ان أحسنت اليه ارتحل بحمدك وان أسأت اليه ارتحل بذمك وكذلك ليلك وقيل لبعض العلماء من أسوأ الناس حالا قال عبد الله ابن عبد الأعلى الشيبانى القائلُ عند موته دخلتها جاهلا واقمت فيها حائراً وأخرِجتُ منها كارها يعنى الدنيا وقيل لآخر من أسوء الناس حالا قال من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته وقيل لآخر من شرّ الناس قال من لايبالى أن يراه الناس مسيئا وقيل لآخر من شر الناس قال القاسى فقيل له ايما شرّ الوقاح [3] ام الجاهل ام القاسى قال القاسى وذكر أبو صفوان عن البطال أبى العلاء من بنى عمرو بن تميم قال قيل له قبل موته كيف تجدك يا ابا العلاء قال اجدنى مغفوراً لى قالوا قل ان شاء الله قال قد شاء الله ثم قال

أُوصِيكُمُ بالجِلّةِ التِّلَادِ فانّما حَوْلَكُمُ الأعادي

قال ابن الاعرابى كان العباس بن زفر لايكلم أحداً حتى تنبسط الشمس فاذا انفتل [4] عن مصلاه ضرب الأعناق وقطع الأيدى والأرجل وكان جرير بن الخطفى لايتكلم حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قذف المحصنات قال ومرت به

---

١ أصحاب نافع بن الازرق وهم طائفة من الخوارج ٢ مثنى طمر بالكسر الثوب الخلق ٣ بالفتح القليل الحياء ٤ انصرف

جنازة فبكى وقال احرقتنى هذه الجنازة قيل فلم تقذف المحصنات قال يدولى ولا أصبر وكان يقول انا لا بتدىء ولكن اعتدى ، الحسن بن الربيع الكندى باسناد له قال قال رجل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم دلنى على عمل اذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس قال بلغنى عن القاسم بن مخيمرة الهمدانى انه قال انى لا غُلِقُ بابى فما يجاوزه همّى قال أبو الحسن وجد فى حجر مكتوب ابن آدم لو أنك رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طول ماترجو من أملك ولرغبت فى الزيادة فى عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك غداً ندمك لوقد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرّأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت الى أهلك بعائد ولا فى علمك بزائدٍ وقال عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها الا بالعمل قال أوحى الله تبارك وتعالى الى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه وقال من هوان الدنيا على الله انه لا يُعْصَى الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها قال مرّ عيسى ابن مريم صلوات الله على نبينا وعليه بقوم فقال مابالهم يبكون فقالوا على ذنوبهم قال اتركوها تغفرلكم قال قال زياد بن أبى زياد مولى عياش بن أبى ربيعة دخلت على عمر بن عبد العزيز فلما رآنى ترحل عن مجلسه فقال اذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس وقال الحسن ان أهل الدنيا وان دقدقت [1] بهم الهماليج [2] ووطىء الناس أعقابهم فان ذل المعصية فى قلوبهم قالوا وكان الحجاج يقول إذا خطب انا والله ماخلقنا للفناء وإنما خلقنا للبقاء وإنما ننقل من دار الى دار ، وهذا من كلام الحسن ، ولما ضرب عبد الله بن على تلك الأعناق قال له قائل هذا والله جهد البلاء فقال عبد الله ماهذا وشرطة الحجام الاسواء وإنما جهد البلاء فقر مُدْقع [3] بعد غنى موسع وقال آخر أشد من الخوف الشىء الذى يشتد من أجله الخوف وقال آخر أشد من الموت مايتمنى له الموت وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة وقال أهل النار يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون فلما لم يجابوا الى الموت قالوا أفيضوا علينا من الماء وقالوا ليس فى فى النار عذاب أشد على أهله من علمهم بانه ليس لكربهم تنفيس ولا لضيقهم ترفيه [4]

---

١ من الدقدقة وهى أصوات حوافر الدواب ٢ جمع هملاج بالكسر وصف للخيل والبراذين يقال هملج اذا مشى مشية سهلة فى سرعة ٣ كمحسن ملصق بالدقعاء ٤ تنفيس

ولا لعـذابهم غاية ولا فى الجنـة نعيم أبلغ من علمهم ان ذلك الملك لا يزول قالوا قارف الزهرى ذنبا فاستوحش من الناس وهام على وجهـه فقال زيد بن على يا زهرى لقُنُـوطـُـك من رحمـة الله التى وسعت كل شىء أشـد عليك من ذنبك فقال الزهرى الله أعلم حيث يجعـل رسالته ورجع الى أهله وماله وأصحابه قال بن المبارك أفضـل الزهـد أخفاه ، الاوزاعى عن مكحول قال إن كان فى الجماعة الفضيلة فان فى العُـزلة السلامة ، اسماعيل عن عياش عن عبد الله بن دينار قال قال صلى الله عليه وسـلم ان الله كره لـكم اللعب فى الصلاة والرفث فى الصيام والضحك فى مقابر ،وقال أزدشير مرة احذروا صولة الـكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع وقال واصل بن عطاء المؤمن اذا جاع صبر واذا شبع شـكر ، وقيل لعامر بن عبـد قيس ماتقول فى الانسان قال ماعسى ان أقول فيمن اذا جاع ضرع واذا شبع طغى قال ونظر أعرابى فى سفره الى شيخ قد صحبه فرآه يصلى فسكن اليه فلما قال أنا صائم ارتاب به وأنشأ يقول

صَلَّى فأَعْجَبَنِى وصامَ فَرابَنِى ... عَدِّ القَلُوصَ عَنِ المُصَلِّى الصَّائِمِ

وهو الذى يقول

لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مَسْجُونًا تُسائِلُهُ ... مابالُ سِجْنِكَ الاَّ قالَ مَظْلُومُ

الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن يحيى بن جعدة قال كان يقال اعمل وأنت مشفق ودع العمل وأنت تحبه قال وقيل لرابعة القيسـية هل عملت عملا قط ترين انه يقبـل منـك قالت ان كان شىء فخوفى من أن يرد علىّ وقال محمـد بن كعب القرظـى لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين لا تنظرن الى سلعة قد بارت على من كان قبلك تريد ان تجوز عنك ، الحسن قال كان من قبلكم ارق قلوبا وأصفق ثيابا وأنتم ارق منهـم ثيـابا واصـفق قـلوبا ، عبـد الله بن المبـارك قال كـتب عمـر بن عبـد العزيز الى الجراح بن عبد الله الحـكمى (ان استطعت ان تدع ممـا أحـل الله لك مايكون حاجزاً بينك وبين ماحرم الله عليك فافعـل فانه من استوعب الحـلال كله تاقت نفسه الى الحرام) وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنـه لخالد بن الوليد حين وجهه (احرص على الموت توهب لك الحياة) وقال رجل أنا أحب الشهادة فقال رجـل من النساك أحبها ان وقعت عليك ولا تحبها حب من يريد أن يقع عليها ، وقال رجل لداود بن نصير الطائى العابد أوصنى فقال اجعـل الدنيا كيوم صمته واجعـل فطرك الموت فكأن قدوالسلام قال زدنى قال لا يراك الله عند ماتهاك عنه ولا يفقدك عنـد

ما أمرك به قال زدنى قال ارض بالسير مع سلامة دينك كما رضى قوم بالكثير مع هلاك دينهم ، قال رجل ليونس بن عبيد تعلم أحدا يعمل بعمل الحسن قال والله ماأعرف أحدا يقول بقوله فكيف يعمل بمثل عمله قال فصفه لنا قال كان اذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه ١ واذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه وكان اذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق الا له ، وهيب بن الورد قال بينا أنا أدور فى السوق اذ أخذ آخذ بقفائى فقال لى ياوهيب اتق الله فى قدرته عليك واستحى الله فى قربه منك وقال عبد الواحد بن زيد الاتستحيون من طول مالا تستحيون ، الهيثم قال كان شيخ من أعراب طيئ كثير الدعاء بالمغفرة له فقيل له فى ذلك فقال والله ان دعائى بالمغفرة مع قبح إصرارى للؤم وان تركى الدعاء مع قوة طمعى لعجز قال أبو بشير صالح المرى ان تكن مصيبتك فى أخيك أحدثت لك خشية فنعم المصيبة مصيبتك وان تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعا فبئس المصيبة مصيبتك وقال عمرو بن عبيد لرجل يعزيه كان أبوك أصلك وابنك فرعك فما بقاء شىء ذهب أصله ولم يبق فرعه وقال الحسن ان امرأ ليس بينه و بين آدم الا أب قد مات لمعرق ٢ فى الموت وقالوا أعظم من الذنب اليأس من الرحمة وأشدّ من الذنب المماطلة بالتوبة ابن لهيعة عن سيار بن عبد الرحمن قال قال لى بكير بن الاشج مافعل خالك قلت لزم بيته قال أما لئن فعل لقد لزم قوم من أهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان رضى الله تعالى عنه فما خرجوا منها الا الى قبورهم وقال الحسن ان لله ترائك ٣ فى خلقه لولا ذلك لم ينتفع النبيّون وأهل الانقطاع الى الله بشىء من أمر الدنيا وهى الأمل والأجل والنسيان وقال مطرف بن عبد الله لابنه يا بنى لايلهينك الناس عن نفسك فان الأمر خالص اليك دونهم إنك لم تر شيأ هو أشد طلبا ولا أسرع دركا ٤ من توبة حديثة لذنب قديم وفى الحديث أن أبا هريرة مرّ بمروان وهو يبنى داره فقال يا أبا عبد القدوس ابن شديداً وأمّل بعيداً وعش قليلاً وكلْ خضما ٥ والموعد الله قال كان عمر بن خولة أبو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاصى وأمّه خولة من المسامعة وكان ناسكا يجتمع اليه القراء والعلماء يوم الخميس فقال الشاعر

وأصبحَ زَوْرُكَ زَوْرَ الخميس اليكَ كَمرعيّه (٦) وارده

وقال الآخر فى ابن سيرين

---

١ صديقه ٢ اشتدت عروقه فى الموت وهذا مجاز ٣ جمع تريكة ٤ الدرك محركا اللحاق ٥ الخضم الأكل ملء الفم بالمأكول ٦ الماشية الراعية

فأنتَ بالليلِ ذِئبٌ لاحريمَ (١) لَهُ     وبالنهارِ على سمتِ (٢) ابن سيرين

وقال ابن الاعرابى قال بعض الحكماء لايغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك قال وصلى محمد ين المنكدر على عمران بقرة فقيل له فى ذلك فقال انى لاستحى من الله أن أرى ان رحمته تعجز عن عمران بقرة

*( باب )*

وقال محمد بن يسير

كأنَّهُ قدْ قِيل فى مَجلسٍ     قدكنتُ آتِيهِ وأغشاهُ
مُحمَّدٌ صار الى رَبّهِ     يَرحمُنا اللهُ واياهُ

وقال الآخر

لَقلّ عاراً اذا ضَيفٌ تَضيَّفني (٣)     ما كانَ عِندِي اذا أعطيتُ مَجهُودِي
فَضلُ المُقلِّ اذا أعطاهُ مصطبرا     ومُكثِرٌ في الغنى سِيَّانِ في الجُود
لايَعدَمُ السَّائِلون الخيرَ أفعلهُ     إمَّا نوالى وإمَّا حُسنُ مَردُودِي

وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا وقال بن المقفع الجود بالمجهود منتهى الجود قال مطرف ابن عبد الله كان يقال لم يلتق مؤمنان الا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه وكنت أرى أنى أشد حبا المذعور بن طفيل منه لى فلما سير لقينى ليلا فحدثنى فقلت ذهب الليل قال ساعة قلت ذهب الليل قال ساعة فعلمت أنه كان أشد حبالى منى له فلما أصبح سيره بن عامر مع عامر، وقالوا لعيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه من نجالس قال من تذكركم بالله رؤيته ويزيد فى علمكم منطقه ويرغبكم فى الآخرة عمله اسحق بن ابراهيم قال دخلنا على كهمس العابد فجاءنا باحدى عشرة بسرة حمراء فقال هذا الجهد من أخيكم والله المستعان، الاصمعى عن السكن الحرشى قال اشتريت من أبى المنهال سيار بن سلامة شاة بستين درهما فقلت تكون عندك حتى آتيك بالثمن قال ألست مسلما قلت بلى قال فخذها فاخذتها ثم انطلقت بها فاتيته

١ الحريم الشريك ٢ على هيئته وحاله ٣ نزل على

بالستين فاخرج منها خمسة دراهم وقال اعلفها بهذه وقال مساور الوراق لابنه

شَمِّر قميصك واستَعِدَّ لقائل   واحكُكْ جبينك للقضاء بثوم

واجعَلْ صِحَابَكَ كلَّ حِبرٍ ناسِكٍ   حَسَنِ التهجد للصلاة صَؤُم

من (١) ضَرْب حمادٍ هُناك ومسعَرٍ   وسِمَاكٍ العبسيِّ وابنِ حكيم

وعليك بالغنوي فاجلسْ عنده   حتى تنالَ وَديعةً ليتيم

قال بينا سليمان بن عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خاله والغلام يصب عليه اذ خر الغلام ميتا فقال سليمان

قَرِّب وَضُوءكَ ياحُصَينُ فإنما   هذى الحياةُ تعلَّةٌ (٢) ومتاعُ

ونظر سليمان فى مرآة فقال انا الملك الشاب فقالت جارية له

أنتَ نِعم المتاعُ لو كنتَ تبقى   غيرَ أنْ لابقاءَ للإنسانِ

وقيل لسعيد بن المسيب ان محمد بن ابراهيم بن محمد بن طلحة سقط عليه حائط فقتله فقال ان كان لوصولا لرحمه فكيف يموت ميتة سوء وقال اسماء

عيَّرتني خَلَقاً أبليتُ جدَّتَهُ   وهل رأيتَ جديداً لم يَعُد خَلَقاً

وتمثّل عبد الملك بن مروان فقال

وكُلّ جديديا أُميمُ إلى بِلىً   وكلُّ امريءٍ يوماً يصير الى كانا

وقال آخر

فاعمَلْ على مهَلٍ فانك ميتٌ   واكْدَحْ لنفسك أيّها الانسانُ

فكأنَّ ماقدكانَ لم يكُ اذ مضى   وكأنَّ ماهو كائن قد كانا

وكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول انى لاكره أن يأتى عليّ يوم لاأنظر فيه الى عهد الله يعنى المصحف قال وكان عثمان رضى الله تعالى عنه حافظا وكان حجره لايكاد يفارق المصحف فقيل له فى ذلك فقال انه مبارك جاء به مبارك ولما مات الحجاج خرجت عجوز من داره وهى تقول

١ من صنف هؤلاء  ٢ يتعلل بها والمتاع ماتستمتع به

اليومَ يرحَمُنا من كان يَغبِطنا　　　واليومَ نَتبعُ من كانوا لنا تَبعا

حدثنى بكر بن المعتمر عن بعض أصحابه قال قال أبو عثمان النهدى أتت علىّ ثلاثون ومائة سنة مامنى شيء الا وقد أنكرته الا أملى فانه يزيد وقال مسور بن مَخْرَمَةَ لجلسائه لقد وارت الارض أقواما لو رأونى معكم لاستحييت منهم وأنشدنى اعرابى

مامنَعَ الناسُ شيأ جئتُ أَطلبه　　　الاّ أرَي الله يَكفي فَقدَ مامنَعُوا

وجَزِع بكر بن عبد الله على امرأته فوعظه الحسن فجعل يصف فضلها فقال الحسن عند الله خير منها فتزوّج أختها فلقيه بعد ذلك فقال ياأبا سعيد هى خير منها وأنشد

يؤمّل أن يُعمَّر عمر نوح　　　وأَمر الله يَطرُقُ كلَّ ليلهْ

عوف عن الحسن قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للمسلم على أخيه ستّ خصال يسلم عليه اذا لقيه وينصح له اذا غاب ويعوده اذا مرض ويشيع جنازته اذا مات ويجيبه اذا دعا ويشمته (١) اذا عطس وقال اعرابى

تبَصّرُنى (٢) بالعيش عِرسِى (٣) كأنما　　　تُبَصّرُنى الأمر الذى أناجاهِلُهْ

يَعيشُ الفتي بالفقر يوما وبالغنى　　　وكُلاً كأنْ لم يلق حِينَ يُزايلُهْ

وأنشد أبو صالح

ومشيّدٍ داراً ليَسكن دارَه　　　سكن القبور وداره لم تسكن

وكان صالح المرى أبو بشر ينشد فى قصصه وأنشد غيره

فبات يُرَوّى أصول الفَسيل (٤)　　　فعاشَ الفَسيلُ وماتَ الرجلْ

وقال الآخر

اذا أبقتِ الدنيا على المرء دينَه　　　فما فاتَ مِن شيء فليس بضائرِ

فلن يَعدل الدنيا جَناحَ بَعُوضةٍ　　　ولا وَزنَ زِفّ (٥) من جَناحٍ لطائرِ

١ التشميت الدعاء للعاطس ٢ التبصر التأمل والتعرف يريد تحملنى على أن أتأمل وأتعرف
٣ بالكسر : زوجى ٤ النخلة الصغيرة ٥ ألزف بالكسر صغار ريش النعام أوكل طائر

فما رَضى الدنيا ثواباً لمؤمن　　وما رضى الدنيا عقاباً لكافرِ

وقال الآخر

ابعدَ بشرٍ أسيراً فى بيوتهم　　يرجو الخفارة [١] منى آلُ ظلّامِ
فلن أُصالِحَكم مادمتُ ذا فرسٍ　　واشتدّ قبضاً على السّيلانِ [٢] ابهامى
فانّما الناس يالله أُمّهم　　أكائل [٣] الطير أوجثو لآرام
همَ يهلكون ويبقى بعضُ ماصنعوا　　كأن آثارهم خُطّتْ بأقلام

وأنشد لمحمد بن يسير

عَجباً لى ومن رِضائى بحالى　　أنا منها على شفاً [٤] تغريرِ
عالماً لاأشُكّ أنى اذا　　مت الى عَدْنٍ أوعذابِ السعير
كلما مرَّ بى على أهلِ نادٍ　　كنتُ حيناً بهم كثيرَ المرُورِ
قيل مَن ذا على سَرير المنايا　　قيل هذا محمدُ بنُ يَسير

وأنشد

لكل أناسٍ مقبَرَةٌ لِفنائِهم　　فهم ينقصون والقبور تزيدُ
همُ جيرَةُ الاحياء اما مَحلُّهم　　فَدانٍ ولكنَّ اللقاء بعيدُ

وقال أبو العتاهية

سبُحانَ ذى المَلكُوتِ أيّةُ ليلةٍ　　مَخضَتْ [٥] بوجهِ صَباحِ يوم المَوْقفِ
لوأنّ عيناً وهمتها نفسُها　　مافى الفِراق مُصوّراً لم تَطرِفِ

وقال أبو العتاهية

ياخاطِبَ الدُّنيا الى نفسِها　　تَنَحَّ عن خِطبَتِها تَسْلم

---

١ الخفارة مثلثة الامان والصلح ٢ بالكسر سنخ قائم السيف ونحوه ٣ جمع أكيل أو أكيلة
٤ الشفا مقصورا طرف كل شيء وحرفه . والتغرير التعرض للخطر والهلاك ٥ ضربها الطلق دونا ولادها

انّ التي تخطبُ غرَّارةٌ سَريعةُ العُرْسِ من المأتمِ

وقال الآخر

ناداهُمَا بفراقِ بَيْنِهِمَا الزَّمانُ فأسْرعَا وكذاكَ مازالَ الزّمانُ مُفرِّقاً ما جمَّعَا

وقال الآخر

ياوَيح هَذِى الارضِ ماتَصنَعُ أكلَّ حى فوْقَها تَصرعُ
تَزرَعُهُم حتى اذا ماأتوا عادت لهم تَحصُدُ ماتَزرَعُ

وقال الآخر

ذكرتُ أبا أرْوَى فبتُّ كأنني برَدِّ امُور الماضِيات وكيلُ
لِكُلِّ اجتماعٍ من خَليلَيْنِ فُرقةٌ وكلُّ الذي دُونَ المماتِ قليلُ
وانَّ افتقادى واحداً بَعدَ واحدٍ دَليلٌ على أنْ لايدومَ خَليلُ

وقال محمد بن المنتشر اذا أيسر الرجل ابتلى به أربعة مولاه القديم ينتفى منه وامرأته يتسرى عليها وداره يهدمها ويبنى غيرها ودابته يستبدل بها وقال الآخر

يُجَدِّدُ أحزانًا لنا كُلُّ هالكٍ ونُسرِعُ نِسيانًا ولم يأتِنا أمنُ
وإنّا ولا كُفرانَ اللهِ رَبِّنا لَكالبُدْن لاتدرى متى يومُها البُدْنُ

الاوزاعى عن مكحول قال ان كان فى الجماعة فضل فان فى العزلة سلامة أبو جناب الكلبي عن أبى المحجل عن ابن مسعود قال ثلاث من كن فيه دخل الجنة من اذا عرف حق الله عليه لم يؤخره وكان عمله الصالح فى العلانية على قوام من السريرة وكان قد جمع مع ماقد عمل صلاح مايؤمله ، وقال كفى موعظة انك لاتحيي الا بموت ولاتموت الا بحياة وقال أبو نواس

شاعَ فىَّ الفَناءِ عُلْوا وسُفْلاً وأرانى أموتُ عُضوا فعُضوَا
ذَهبَتْ جِدَّتى بطاعَةِ نفسِي وتذكرتُ طاعةَ اللهِ نِضوًا (١)

وقال الآخر

---

(١) النضو بالكسر الضعيف المهزول

وكمْ من أكلةٍ منعت أخاها ... بلذّةِ ساعةٍ أكلاتِ دهرِ
وكم مِن طالب يَسعَى لِشيْءٍ ... وفيه هلاكه لو كان يدرِى

وقال الآخر

كلُّ امرىء مُصبَّح فى أهلهِ ... والموتُ أدنى من شِراكِ نعلِه

وقال آخر

واستَيقِنى فى ظلم البيوت ... أنكِ ان لم تُقتَلِى تموتى

وقال عنترة

بَكرتْ تُخوِفُنى الحُتُوفَ كأنّنى ... أصبحتُ عن غرَضِ الحُتُوفِ بمعزِلِ
فأجبتُها إن المنيّةَ منْهَلٌ ... لابدّ أنْ أُسقَى بكأسِ المنهلِ
فاقنَىْ (١) حياءكِ لاأبا لك واعلمى ... أنّي امرؤٌ سأموتُ ان لم أُقتَلِ
إنّ المنيةَ لو تُصوَّرُ صُورَتْ ... مِثلِى اذا نزَلوا بضَنْكِ المنزلِ

وقال أبو العتاهية

أُذنَ حَيٍّ تسمَّعِى ... واسمَعِى ثم عِى وعِى
عِشتُ تِسعينَ حِجةً ... ثم وافيتُ مضجَعِى
أنا رهنٌ لِمَصرَعِى ... فاحذَرِى مثلَ مَصْرَعِى
ليس زاداً سِوى التقَى ... فخذِى مِنه أودعِى

وقال الخليل بن أحمد

عش ما بدا لك قَصْرُكَ (٢) الموتُ ... لا مَهْرَبٌ منه ولا فَوتُ
بَينا غِنى بيتٍ وبهجتُه ... آلَ الغنيِ وتقَوّضَ البيتُ

وقال أبو العتاهية

---

١ الزمى حياءك وقنى الحياء كرضي قنوا لزمه ٢ نهايتك وغايتك

اسمعْ فقد أسمعكَ الصّوتُ ... ان لم تُبادِر فهُو الفوْتُ
نَلْ كلّما شِئتَ وعِش سالِماً ... آخِرُ هذا كلّهِ الموتُ

وقال الوزيرى

وأعلمُ انّنى سأصِير ميتاً ... اذا سارالنّواجع[1] لا أسِيرُ
وقال السائلون مَن المسجّى[2] ... فقال المُخبرُون لهم وزِيرُ

وقال أبو العتاهية

الحَقّ أوسعُ مِن مُعا ... لجَةِ الهوَى ومَضيقِهِ
لاتعرِضَنّ لِكلّ أمْـ ... ـرٍ أنتَ غيرُ مُطيقِهِ
والعيْشُ يَصلُحُ ان مزجـ ... ـتَ غليظَه برقيقِهِ
لا يَخدعنّك زُخرف الـ ... ـدُّنيا بحُسنِ بَريقِهِ
واذا رأيتَ الرّأى مُضْـ ... ـطرِباً فخُذْ بوثيقِهِ
ولرُبّما غصّ البخيـ ... ـلُ ان استُنيلَ بريقِهِ

وقال أيضا

من أجابَ الهوَى الى كلّ مايدْعـ ... ـوه مِمّا يُضِلّ ضلّ وتاها
ومَن رأى عِبرَةً ففكّر فيها ... آذنَتهُ بالبين حِينَ يراها
رُبّما استغلقتْ أمورٌ على من ... كانَ يأتى الامُورَ مِن مأتاها
وسيأوى الى يدٍ كلُّ ماتأ ... تِى ويأوى الى يدٍ حسناها
قد تكُونُ النجاةُ تكرهها النفـ ... ـس وتأتِى ماكانَ فِيه رداها

وقال أيضا

لَوْ انّ عبداً له خزائنُ مافى الـ ... ـأرضِ ماعاش خوفَ إملاقِ[3]

---

١ جمع ناجع وهو فى الاصل طلب الكلأ فى موضعه استعاره للرحيل ٢ المغطى بكفن الموت
٣ الاملاق الفقر يقال أملق الرجل اذا افتقر

يا عَجبا كُلُّنـا يَحيدُ عن الـ ـحينِ (١) وَكُلٌّ لِحَينه لاقِ
كأَنَّ حيا قَدْ قامَ نادِبُهُ (٢) والتفَّت السَّاقُ منهُ بالسَّاقِ
واستَل مِنهُ حياتَه مَلَكُ المَوْ تِ خَفِيًّا وقِيلَ مَنْ راقِ (٣)

وقال السموال بن عادياء

تُعيرُنا أنّا قليلٌ عَدِيدُنا فقلتُ لها إِنَّ الكرامَ قَليلُ
وما قلَّ مَن كانتْ بقاياهُ مثلَنا شَبابٌ (٤) تَسامَى للعُلى وكُهولُ
وَما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عَزِيزٌ وجارُ الاكثرين ذَليلُ
فَنَحنُ كماء المُزنِ مافي نِصابِنا كَهامٌ (٥) ولا فينا يُعَدُّ بخيل
وأسيافُنا في كُل شَرقٍ وَمَغربٍ بِها مِنْ قِراعِ الدَّارِعِين فُلُولُ
مُعَوَّدة أنْ لاتُسَلَّ نِصالُها فَتُغمَدَ حتى يُسْتَباحَ قَبِيلُ (٦)
سلى إنْ جهلتِ الناسَ عنا وعنهم وليس سواء عالم وجهول

وقال الربيع بن أبي الحقيق

وَمَنْ يَكُ عاقِلاً لم يلقَ بُؤساً يُنخ يوماً بساحته القضاء
تَعاوَرُهُ (٧) بناتُ الدهرِ حتى تَثلّمَهُ (٨) كما ثُلِم الاناء
وكلُّ شدِيدةٍ نزلتْ بحي سيأتي بَعدَ شِدَّتِها رَخاء
وبَعضُ خَلائِقِ الاقوام داءٌ كداءِ الشَّيخِ ليسَ لَهُ دواء

وأنشد

---

١ الحين بالفتح الهلاك ٢ اسم فاعل من ندب الميت اذا بكاه وعدد محاسنه والاسم الندبة بالضم ٣ من قولك رقاه رقيا و رقيا اذ انفث فى عوذته ليسلم من الاذى ٤ جمع شاب وهو الفتى الحدث ٥ الكهام كسحاب العيي البطيء المسن الذى لاغناء عنده ٦ القبيل الجماعة من الثلاثة فصاعدا من أقوام شتى وقد يكونون من نجر واحد وربما كانوا بنى أب واحد . والاستباحة الاستئصال يقال أوقعوا بهم فاستباحوهم ٧ تعاوره بحذف احدى التاءين ومعناه تتناوبه وتتداوله . و بنات الدهر نوائبه واحداثه ٨ أصل الثلم الخلل فى الحائط ونحوه استعير للضعف والوهن

قَدْ حَالَ مِنْ دُونِ لَيْلَى مَعْشَرٌ قُدُمٌ[١] وهُمْ على ذاكَ مِنْ دُونى مَوَالِيهَا
واللهُ يَعْلَمُ أَنِى انْ أَتَتْ حِجَجٌ وحِيلَ مِنْ دُونِهَا أَنْ لَسْتُ نَاسِيهَا

وأنشد

ولَيْلٍ[٢] يَقُومُ القَوم من ظُلُمَاتِه سَوَاءٌ بصيراتُ العيُونِ وعُورُهَا
كأَنّ لنا مِنْهُ بُيُوتًا حَصِينَةً مُسُوحًا[٣] أَعاليهاوساجًا كُسُورُهَا

وقالوا أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو عامل سليمان بن عبد الملك فسأله ان يكلم سليمان فى حاجة له فوعده ان يقضيها فلم يفعل وأتى عمر بن عبد العزيز فكلمه فقضى حاجته فقال سعيد

ذُمِمْتَ ولم تُحْمَدْ وأَدْرَكْتُ حاجتِي تولّى سِواكَ شُكْرَهاواصطناعَهَا
أَبَى لكَ فِعلَ الخَيْرِ رأيٌ مُقَصِّرٌ ونفسٌ أَضاقَ اللهُ بالخَيْرِ باعَهَا
اذا هِيَ حَثَّتْه على الخيرَ مرةً عَصَاها وان هَمَّتْ بِشَرٍّ أطاعَهَا
سَيكْفِيكَ مَاضَيَّعْتَ مِنْها وانّما يُضِيعُ الأمُورَ سَادِرًا[٤] مَنْ أَضَاعَهَا
وَلايَةُ مَنْ ولاّكَ سُوءُ بَلائِها وَوَلِى سِواكَ أَجْرَها واصطِنَاعَهَا

وأنشد

اذا ماأطعتَ النفسَ مالَ بكَ الهَوَى الى كلّ مافِيهِ عليكَ مَقالُ

وأنشد

حَسْبُ الفَتي مِنْ عَيْشِهِ زادٌ يُبَلِّغُه المحَلاَّ
خُبْزٌ وماءٌ بارِدٌ والظلُّ حِينَ يُرِيدُ ظِلا

وأنشد

١ القدم بضمتين الاسخياء ٢ يريد أن السائر يقف عن سيره لشدة ظلمة ذلك الليل ٣ المسوح جمع مسح بالكسر وهو البلاس كسحاب والساج شجر عظيم أسود رزين يجلب من الهند ولا تكاد الارض تبليه . والساج طيلسان مقور ينسج كذلك والساج ماأحيط به على الكرم ونحوه من شوك وشبهه . والكسور جمع كسر بالكسر جانب البيت ٤ السادر الذى لايهتم ولايبالى ماضع

وما العيشُ الاّ شبعةٌ وتشرّقُ ... وتمرٌ كأخفاف الرِّباع [1] وماءُ

فالوا استبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة فى مسيره الى الروم فكتب اليه

لمن الظعائن سيرهن تزحَفُ [2] ... سير السفين اذا تقاعسُ تجدِفُ

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب اليه

ومستعجبٍ مما يرى مِنْ أناتِنا ... وَلوْ زَبنته [3] الحربُ لم يترمرَمِ

ومسلمة هو القائل عند ماولى بعضهم فى قبره فتمثل بعض من حضر فقال

وما كانَ قيسٌ هلكهُ هلكَ واحدٍ ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدّما

فقال مسلمة لقد تكلمت بكلمة شيطان هلا قلت

اذا مقرمٌ [4] مِنا ذَرا حدُّنا بهِ [5] ... تخمطَ فِينا نابُ آخرَ مقرمِ

وكان مسلمة شجاعا خطيبا وبارع اللسان جوادا ولم يكن فى ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده وقال بعض الاعراب يهجو قوما

تصبّرْ للبلاءِ الحتم صبرا ... اذا جاوزتَ حيّ بنى أبانِ

أقاموا الدّيدبانَ [6] على يفاعٍ ... وقالوا الى احترسْ للديدبان

فانْ أبصرْتَ شخصاً مِنْ بعيدٍ ... فصفقْ بالبنانِ على البنانِ

تراهمُ خشيةَ الاضيافِ خرساً ... يقيمونَ الصلاةَ بلا أذانِ

وقال بعض الاعراب يمدح قوما

وَسارٍ تعناه المبيتُ فلم يدعْ ... له حابسُ الظلماءِ والليلِ مذهبا

رأي نار زَيدٍ من بعيدٍ فخالها ... وَقدْ كذَبته النفسُ والظنُ كوكبا

---

١ الرباع جمع ربع كصرد وهو الفصيل ينتج فى الربيع ٢ تزحف : فيه بطء وثقل حركة . والسفين جمع سفينة والتقاعس التأخر . وتجدف : تسير بالمجداف ٣ زبنته : لسعته مستعار من زبنته العقرب اذا ضربته بزباناها وهى ماتزبن به من طرف ذنبها . والترمرم التحرك للكلام يقال ترمرموا . تحركوا للكلام ولم يتكلموا ٤ المقرم كمكوم البعير لايحمل عليه ولايذلل وانما هو للفحلة ٥ يقال ذراحد ناب فلان اذا انسحقت أسنانه وسقطت أعاليها وكنى بذلك عن موته . وتخمط تكبر وغضب ٦ الديدبان الرقيب والطليعه كالديدب وهو معرب . واليفاع مارتفع من الارض

ورفعتُ له بالكف نارا تشبُّها ... شامِيَةٌ نكباء(١) أوعارضٌ صَبَا

وقلتُ ازفعوها بالصعيد كفى بنا ... مُشيراً لِسارِى لَيلةٍ أنْ تأوّبا

فلما أتانا والسماء(٢) تبُلُّه ... نقول له أهلاً وسهلاً ومرحبا

وقمتُ الى البرك(٣) الهواجد فاتّقت ... بكوماء لم يترك لها النِّىُّ(٤) مهربا

فرحّبتُ أعلى الجنب منها بطعنة ... دعت مستكنّ الجوف حتى تصبّبا

وقال الآخر

واستيقنى في ظُلَم البيوتِ ... أنّك إن لم تُقتلى تموتى

وقال أبو سعيد الزاهد من عمل بالعافيه فيمن دونه أعطى العافية ممن فوقه وقال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى على نبينا وعليه فى المال ثلاث خصال قالوا وماهى ياروح الله قال يكسبه من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يمنعه من حقه قالوا فان وضعه فى حقه قال يشغله إصلاحه عن عبادة ربه ، قال قيل لرجل مريض كيف تجدك قال أجدنى لم أرض حياتى لموتى ، سعيد بن بشير عن أبيه ان عبد الملك قال حين ثقل ورأى غسالا يلوى ثوبا بيده وددت انى كنت غسالا لا أعيش الا بما اكتسب يوما فيوما فذكر ذلك لابى حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون مانحن فيه ولا نتمنى عند الموت ماهم فيه ، الهيثم قال أخبرنا موسى بن عبيدة الزبدى عن عبد الله بن خداش الغفارى قال قال أبو ذر فارقت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوتى من الجمعة الى الجمعة مُدٌّ ولا والله لا أزداد عليه حتى ألقاه قال وكان يقول انما مالك لك أوللجائحة أوللوارث فاغن ولاتكن أعجز الثلاثة ، فضيل بن عياض عن المطرح بن يزيد عن عبد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم مولى يزيد بن معاوية عن أبى أمامة الباهلى قال قال عمر رضى الله تعالى عنه أدبوا الخيل وتسوكوا واقعدوافى الشمس ولاتجاورنكم الخنازير ولايرفعن فيكم الصليب ولا تأكلوا على مائدة تشرب عليها الخمر واياكم واخلاق العجم ولايحل

١ النكباء الريح تهب بين ريحين أو بين الصبا والشمال ٢ السماء المطر ٣ البرك بالفتح ابل أهل الحواء كلها التى تروح عليهم بالغة مابلغت والهواجد جمع هاجد وهو البعير يلقى جرانه بالارض ٤ النى الشحم

لمؤمن أن يدخل الحمام الا بمئزر ولا لامرأة الامن سقم فان عائشة رضى الله تعالى عنها حدثتنى قالت حدثنى خليلى على مفرشى هـذا قال اذا وضعت المرأة خمارها فى غـير بيت زوجها هتكت ما بينها و بين الله فـلم تناهى دون العـرش ( نساك البصريين وزهادهم ) عامر بن عبد قيس و بجالة بن عبـدة العنبريان وعثمان بن أدهم والاسود بن كلثوم وصلة بن أشيم ومذعور بن الطفيـل ومن بنى منقر جعفر وحرب ابنا جرفاس كان الحسن يقول انى لا أرى كالجعفر ين جعفرا ، يعنى جعفر بن جرفاس وجعـفر بن زيد العبـدى ومن النسـاء معـاذة العـدوية امرأة صـلة بن أشـيم ورابعـة القيسية ١

( زهاد الـكوفة ) عمرو بن عتـبة وهمـام بن الحرث والربيع بن خيثم وأويس القرنى ١ وقال الراجز

مَنْ عاشَ دهْرا فسيَأْتيه الأجَلْ والمرءُ توّاق الى مالم ينَلْ
الموتُ يتلوه ويُلهيه الأملْ

وقال الآخر

لايغرّنكَ عِشاءٌ ساكِنٌ قدْ يُوافى بالمنيَّاتِ السحَرْ

وقال الآخر

كُلنا يأمل مَدًّا فى الأجَلْ والمنايا هِىَ آفاتُ الأملْ

وقال الآخر

أنتَ وَهبتَ الفتية [٢] السَّلاهبْ وهَجْمة يَحارُ فيها الحالِبْ
وغنماً مِثلَ الجَرادِ السَّارِب متَاعُ ايام وكلُّ ذاهِبْ

وقال المسعودى

إنّ الكِرامَ مَناهِبو كَ المجدَ كلّهم فَناهِبْ
أخلِفْ وأتلفْ كُلَّ شيْ ءٍ زَعزعَتهُ الريحُ ذاهبْ

---

١ أويس القرنى منسوب الى جده قرن بالتحريك بن ردمان بن ناجيه بن مراد ٢ الفتية جمع الفتى وهو من الدواب خلاف المسن فهو كالشاب فى الناس . والسلاهب جمع سلهب وهو ماعظم وطال عظامه من الخيل . والهجمة من الابل أولها أربعون الى مازادت أومابين السبعين الى المائة

وقال التميمى

اذا كانت السبعون سنك لم يكن ... لدائك الا أن تموت طبيب

وان امرأ قد سار سبعين حجة ... الى منهل من ورده لقريب

اذا مامضى القرن الذي كنت فيهم ... وخلفت فى قرن فأنت غريب

اذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب

وقال غسان خال الغدار

ابيض منى الرأس بعد سواد ... ودعا المشيب حليلتى ببعاد

واستحصد القرن الذى أنا منهم ... وكفى بذاك علامة لحصادى

وكان على بن موسى بن ماهان كثيرا مايقول ( ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وكان كثيرا مايقول ويل للظالمين من الله وقال بن واسع الاتقاء على العمل أشد من العمل وكان أبو وائل النهشلى يقول فى أول كلامه ان الدهر لايذوق طعم الفراق ولايذيقه أهله وانما ينغمسون فى ليل ويطفون فى نهار فيوشك شاهد الدنيا ان يغيب وغائب الاخرة أن يشهد ، وقال سأل رجل رجلا حاجة فقال له المسؤل اذهب بسلام فقال له السائل قد أنصفنا من ردنا الى الله الخزامى ، عن سفيان ابن حمزة عن كثير بن الصلت ان حكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين ألف درهم فقيل له غبنك والله معاوية فقال والله ماأخذتها فى الجاهلية الا بزق من خمر أشهدكم انها فى سبيل الله فانظروا أينا المغبون ، قال سفيان الثورى ليس من ضلالة الا عليها زينة فلا تعرضن دينك لمن يبغضه اليك وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل وأتى مسلما نصرانى يعزيه فقال له مثلى لايعزى مثلك ولكن أنظر الى مازهد فيه الجاهل فارغب فيه ، وكان الحسن ابن زيد بن على بن الحسين بن على يلقب ذا الدمعة فاذا عوتب فى كثرة البكاء قال وهل تركت النار والسهام لى مضحكا يريد قتل زيد بن على أبيه ويحيى بن زيد أخيه وقيل لشيخ من الاعراب قمت مقاما خفنا عليك منه قال ماالموت أخاف ، شيخ كبير ورب غفور ولادين ولابنات قال أبو العتاهية

وكما تبلى وجوه فى الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

وقال بشار

كَيفَ يبكي لمحبَس (١) في طُلولٍ ... مَن سيُفضي لحبسِ يومٍ طويلِ

ان في البعث والحساب لشغلاً ... عن وقوفٍ بكلّ رسمٍ (٢) مُحيلِ

وقال محمود الوراق

أليسَ عجيباً بأنّ الفتى ... يُصابُ ببعضِ الذي في يديهِ

فمِن بينِ باكٍ له موجَعٍ ... وبينَ معزٍّ مغذٍّ (٣) اليه

ويسلبه الشيبُ شَرخَ (٤) الشبابِ ... فليسَ يُعزّيهِ خلقٌ عليهِ

وقال أيضاً

بكيتَ لقُربِ الأجَلْ ... وبُعدِ فواتِ الامَلْ

ووافدِ شيبٍ طرا ... بعقبِ شبابٍ رحَلْ

شبابٌ كأنْ لم يكُنْ ... وشيبٌ كأنْ لم يزَلْ

طواكَ بشيرُ البقا ... وحلَّ بشيرُ الاجَلْ

طوى صاحبٌ صاحباً ... كذاكَ اختلافُ الدُوَلْ

وقال محمود أيضاً

رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصلح أهلَه ... ويُعْديهمُ داءُ الفَسادِ اذا فسَدْ

يُعظَّمُ في الدنيا بفضلِ صلاحِهِ ... ويُحفَظُ بعدَ الموتِ في الاهلِ والوَلَدْ

وقال الحسن بن هانئ

أيَّةَ نارٍ قدحَ القادحُ ... وأيَّ جدٍّ بلغَ المازحُ

للهِ درُّ الشَّيبِ من واعظٍ ... وناصحٍ لو حظيَ الناصحُ

---

١ المحبس كمقعد الحبس . والطلول جمع طلل بالتحريك وهو الشاخص من آثار الديار ٢ الرسم الاثر أو بقيته أو مالا شخص له من الآثار . والمحيل اسم فاعل من احالت الدار أتت عليها أحوال ٣ المغذ المسرع . أغذ المسير وفي السير أسرع ٤ شرخ الشباب . اوله

يأبى الفتى الاتباعَ الهوَى ومَنهجُ الحَقّ له واضحُ
فاسْمُ بعينيك الى نسْوةٍ مُهُورُهنَّ العملُ الصالحُ
لا يجتلي العذراءَ من خدرها الا امرُؤ ميزانُه راجحُ
من اتّقى الله فذاكَ الّذي سيقَ اليهِ المَتجرُ الرابحُ

وقال أيضا

خلِّ جنبيكَ لِرامِ وامض عنْهُ بسلامِ
مُتْ بداءِ الصمْتِ خيرٌ لكَ مِن داءِ الكلامِ
انّما السّالمُ مَن ألـ ـجمَ فاهُ بلجامِ
رُبَّما استفتحتَ بالمز حِ مغاليقَ(١) الحمامِ
رُبَّ لفظٍ ساقَ آجا لَ فئامٍ (٢) لفئامِ
فالزمِ الصّمتَ فانَّ الصّمتَ أتقى للجمامِ(٣)
والمنايا آكلاتٌ شاربات للأنامِ
شبتَ ياهـذا وما تتـ ـرُكُ أخلاقَ الغلامِ

وقال أيضا

كُنْ مِنَ اللهِ يكنْ لكْ واتّقِ اللهَ لعلّكْ
لاتكُنْ الاّ مُعدًّا للمنايا فكأنّكْ
انّ للموتِ لسهمًا واقعًا دُونَكَ أو بكْ
نَحْنُ نجرى فى أفانيـ ـنِ سكونٍ ونحرّكْ

---

١ جمع مغلاق وهو فى الاصل مايغلق به الباب . والحمام بالكسر الموت ٢ الفئام بالكسر الجماعة من الناس لاواحد له من لفظه ٣ الجمام بالفتح الراحة

فَعَلى اللهِ توكلْ وبتقواهُ تمسَّكْ

وقال أيضا

يا نُواسيُّ تفكَّرْ وتعزَّ وتصبَّرْ

ساءكَ الدَّهرُ بشيءٍ ولَمَا سرَّكَ أكثرْ

يا كبيرَ الذنبِ عفوُ اللهِ مِنْ ذنبكَ أكبرْ

قال سعيد بن ربيعة بن مالك بن سعيد بن زيد مناة بن تميم

ألا إنما هذا المَلالُ الذي تَرَى    وإدبارُ جسمي من رَدَى العثَرات

وكَم منْ خليلٍ قَدْ تجلَّدتُ بعدَهُ    تقطَّعُ نفسي بَعْدَهُ حسَراتِ

وهذا من قديم الشعر وقال الطرماح فى هذا المعنى

وشيَّبَنِي أنْ لا أزالَ مناهضا (١)    بغيرِ قُوىً أنزُوبها وأبُوعُ

وأنَّ رجالَ المالِ أضحَوْ ومالُهُمْ    لَهُمْ عندَ أبوابِ الملوكِ شفيعُ

أمخترَمِى (٢) رَيْبُ المنون ولم أنَلْ    مِن المالِ ما أعصى به وأطِيعُ

ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد وهو جدا الاحير اللص السعدى

لا لا أعقُّ (٣) ولا أحوبُ ولا أغيرُ على مضرْ    لكنما أعزو إذا ضجَّ المطيُّ من الدَّبَرْ

وقال آدم بن عبد العزيز

وإنْ قالتْ رِجالُ قدْ تولَّى    زَمانُكمْ وذا زمنٌ جديدُ

فما ذَهبَ الزمانُ لنا بمجدٍ    وَلا حسبٍ إذا ذُكر الجدُودُ

---

١ مناهضا : مقاوما . ناهضه قاومه . وأنزو . أثب . وابوع . من البوع وهو ابعاد خطو الفرس فى جريه او بسط اليد بالمال ٢ أمخترمى : أخذى . اختر منه المنية أخذته . والمنون الدهر . وريبه صروفه وحوادثه ٣ أعق : أرمى بالسهم نحو السماء وكانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية اذا أرادوا الصلح بين حيين وذلك السهم يسمى عقيقة وهو سهم الاعتذار . ولا أحوب : لا تأخذنى رأفة ولا رحمة من الحوبة وهى رقة . فؤاد الام . وضج : اذا أعى وضعف وجزع وغلب . والدبر بالتحريك قرحة فى البعير وغيره

وما كنا لِنخلدَ إذ ملكنا ... وأيُّ الناسِ دامَ لهُ الخلودُ

وقيل لاخيه بعد ان رأوه حالا افد حطك الزمان وعضك الحدثان فقال

مافقدنا مِن عيشنا إلاّ الفضول

وقال عروة بن أُذينة الكنانى

نراعُ اذا الجنائزُ قابلتنا ... ويحزِننا بكاءُ الباكِياتِ

كروعةِ ثلةٍ[1] لمُغارِ ذئبٍ ... فلماغابَ عادتْ راتعاتِ

وقالت خنساء بنت عمرو

ترتعُ ماغفلتْ حتي اذا ادّكرتْ ... فانما هِىَ اقبالٌ وإدبارٌ

وقال أبو النجم

فلو ترى التيوسَ مضجعاتِ ... عرفتَ أنْ لسنَ بسالِماتِ

أقولُ إذ جِئنَ مذَبحاتِ ... ألمْ تكنْ مِن قبلُ واقعاتِ

ماأقربَ الموتَ مِنَ الحياةِ

وقال سليمان بن الوليد

رُبَّ مغرُوسٍ يعاشُ بهِ ... عدِمتهُ كفُّ مغترِسهْ

وكذاكَ الدّهرُ مأتمهُ ... أقربُ الأشياءِ مِنْ عرُسهْ

وقال آخر

ياراقِدَ الليلِ مسرُوراً بأوّلهِ ... انَّ الحوادِثَ قدْ يطرُقنَ أسحارا

وقالت امرأة فى بعض الملوك

أبكيكَ لاللنعيم والأنسِ[2] ... بل لِلمعالى والرُّمح والفرَسِ

أبكى على فارِسٍ فجعتُ بهِ ... أرملني قبلَ ليلةِ العرْسِ

١ الثلة بالفتح جماعة الغنم أوالكثيرة منها أومن الضأن خاصة والمغار بالضم من الاغارة وهو الاسراع فى المشي . أغار عجل فى المشى ٢ الانس. بالتحريك هنا و بالضم ضد الوحشة

## *( أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر )*

قال هبيرة بن وهب المخزومى

وانّ مَقَالَ المَرْءِ فى غَيْرِ كُنْهِهِ (١) | لَكالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فيها نِصالُها

وقال الراجز

والقَوْلُ لا تَمْلِكُهُ اذا نَمَى | كالسَّهْمِ لا يَرْجِعُهُ رامٍ رَمَى

والى هـذا ذهب عامر الشعبي حيث يقول وانك على ايقاع مالم توقع أقـدر منك على ردّ ماقد أوقعت وأنشد

فداوَيتُـهُ بالحلْمِ والمرءُ قادِرٌ | على سَهْمِهِ مادامَ فى كَفِّهِ السَّهْمُ

وقال الانصارى

وَبَعضُ القولِ لَيْسَ لهُ حَصاةٌ (٢) | كَمَخْضِ الماءِ لَيْسَ لهُ اناءُ

وَبَعضُ خَلائِقِ الأَقْوامِ داءٌ | كَداءِ الشَّيْخِ ليسَ (٣) دواءُ

وقال الآخر

وَمَولًى كَداءِ البَطْنِ أما لقاؤُهُ | فَحِلْمٌ واما غيبُـه فظُنُونُ

وقال آخر

تقسم أولاد الملمةِ (٤) مغنمى | جِهاراً ولم يغلبك مِثلُ مغلبِ

وقال الثلب

وَهنَّ شرُّ غالِبٍ لمَنْ غلبْ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كتب أحـد كم فليترب كتابه فان التراب مبارك وقال هوانجح للحاجـة وذكر الله عز وجـل آدم الذى هو أصل البشر فقال ان مثـل

---

١ الكنه بالضم جوهر الشيء وغايته وقدره ووقتـه ووجهه ولعل المراد به الوقت أو الوجه والنبـل السهام لاواحد لها والنصل حديدة السهم ٢ الحصاة بالفتح العـقل والرأى وهو حصى كفنى وافر العقل ٣ تقـدم هذا البيت منسوبا الى غـيره مع ابيات اخرى ٤ الملمة : بكسر الميم وفتح اللام المراة يجتمع عندها الرجال ورجل ملم كمجن يجمع القوم اوعشيرته فهوذم فى المراة ومدح فى الرجل - والمغلب هنا المغلوب مرارا

عيسى عنـد الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ولذلك كنى النبي صلى الله عليه وسلم عليا أبا تراب قالوا وكانت أحب الكنى اليه وقال الآخر

وإنْ جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ — عليكَ ورحمةُ اللهِ الرّحيمِ
وأما بعـــدَ ذاكَ فلي غريمٌ — من الأعرابِ قبح مِنْ غريمِ
لهُ ألفٌ عليَّ ونصفُ ألفٍ — ونصفُ النّصفِ في صكٍّ قديمِ
دَراهِمُ ماانتفعتُ بها ولكنْ — وَصلتُ بها شيُوخَ بَني تَميم

وقال الكميت

حلَفتُ بربّ الناسِ ياأمَّ خالدٍ — بأمك إذ أصواتنا الهلّ والهب (١)
وَلا خالدٌ يَستَطعمُ الماءَ قائماً — بعذلكِ والدّاعي الى المَوتِ ينعب (٢)

وقال ابن نوفل

تقولُ لِما أصابكَ اطعِموني — شراباً ثمّ بلتَ على السّريرِ
لأعلاجٍ (٣) ثمانيةٍ وشيخٍ — كبيرِ السنّ ذي بَصرٍ ضَريرِ

وقال ابن هرمة

تَراهُ اذا ماأبصرَ الضّيفَ كلبهُ — يُكلّمهُ مِنْ حُبهِ وَهوَ أعجَمُ

وقال المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وقال الشاعر

رُزقتُ لُبًّا ولم أُرزقْ مُروءَتَهُ — وَماالمروءةِ الآكَثرةُ المالِ
إذا أرَدتُ مساماةً تقاعدُني — عمّا ينوّهُ باسمي رِقّةُ الحالِ

وقال الاحنف

فَلومدّ سَرْويّ (٤) بمالٍ كثيرٍ — لجدتُ وكنتُ لهُ باذِلا

---

١ الهل اسم من قولهم هلهل بفرسه اذا زجره بهلا · والهب مصدر قولك هببت به اذا دعوته ليثب
٢ ينعب : يمد عنقه ويحرك راسه في صياحه ٣ الاعلاج · جمع علج بالكسر الرجل من كفار العجم · والضرير · الذاهب البصر ٤ السر والمروءة في شرف

فان المرُوأةَ لاتُستَطاعُ  إذا لم يكُنْ مالُها فاضِلا

وقال جرير بن يزيد

خيرٌ من البُخلِ للفتى عُدْمُهُ  ومِن بنين أعقةٍ عقمه [١]

قال ومشى رجال من بنى تميم الى عتاب بن ورقاء ومحمد بن عمير فى عشر ديات فقال محمد بن عمير علىّ دية فقال عتاب علىّ الباقية فقال محمد نعم العون على المروأة المال وقال آخر

ولا خيرَ فى وصلٍ إذا لم يكُنْ له  على طُولِ مرّ الحادِثاتِ بقاء

وقال الآخر

شِفاء الحبّ تقبيلُ وشَمٌّ  وضَمٌّ بالبُطُونِ على البُطُونِ

وأنشد

وَاللهِ لاأرضَى بطول ضَمِّ  ولا بتقبيـلٍ ولا بشَمِّ

الابهَزْهازِ [٢] يَسْلِى هَمّى  يسقطُ مِنهُ فتخى فى كمّى

لِمثلِ هذا وَلدَتنى أُمّىّ

وقال آخر

لاينفعُ الجارية الخضابُ  ولا الوِشاحانِ ولا الجلبابُ

منْ دُونِ انْ يصطفقَ الاركابُ  وتلتقىَ الاسياب والاسباب

ويخرجَ الزُبّ له لعابُ

وقال آخر

ولقدْ بدالى ان قلبك ذاهلٌ  عنى.وقلبي لو بدالك أذهل

كل يجامل وهو يخفي بغضه  ان الكريم على القلى يتحمل

---

١ المعروف فى هذا الجمع عتقة جمع عاق وهو الذى عصى والده وترك الاحسان اليه واما اعقة فهو نادر غيرمطرد كجائز واجوزة للخشبة المسندة فى اعلا السقف ٢ الهزهاز بالفتح السيف الصافى اللماع . والفتخ محركا جمع فتخة بسكون التاء وتحرك ، خاتم كبير يكون فى اليد أوالرجل أوحلقة كالخاتم

وقال الآخر

وَحظك زَورَةٌ فى كلّ عامٍ    موافقة على ظهرِ الطرِيقِ
سلامًا خالِيا مِنْ كل شَيء    يَعودُ به الصّدِيقُ على الصّدِيقِ

وقال الآخر

وزعمتَ أنى قد كَذَبتُك مرة    بَعضَ الحديث فما صَدَقتُك أكثرُ

وقال الآخر

أهينوا مطاياكم فانِى وجدته    يهُونُ على البِرذَونِ مَوتُ الفتى النَّدبِ[1]

وقال الآخر

لا يحفلُ البِرذَونُ مَن يُبلى حوَاشِيَهُ    ولا تُبالِى على من راحَتِ الابلُ

وقال الآخر

ألا لا يبالى البرذُ من جرّ فضلهُ    كما لا تبالى مهرةٌ مِنْ يقودُها

وقال الآخر

وإنى لأرثي لِلكَرِيم إذا غدَا    على حاجةٍ عندَ اللئيم يُطالبهْ
وأرثي لَهُ مِنْ مجلسٍ عِند بابِهِ    كمرْثيتى لِلطّرْفِ والعلج راكِبهْ

وقال الفرزدق

أترجُو رَبيعٌ ان يَجيء صِغارُها    بخَير وقَد أعيَ رَبيعًا كِبارُها

وقال الشاعر

ألم تر أنّ سَيرَ الخَيرِ رَيثٌ[2]    وأن الشَّرّ راكِبه يَطِيرُ

وقال بن بشير

تأتى المَكارِهُ حِينَ تأتِى جُملةً    وتَرَي السُّرُورَ يَجيء فى الفلَتاتِ[3]

---

١ الندب الرجل الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ٢ ريث : بطيء والريث أيضا الابطاء
٣ الفلتات . جمع فلتة وهى آخر ليلة من كل شهر أو آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام
يريدان السرور يأتى قليلا متقطعا

قيل لبلال بن أبى بردة لم لا تولى أبا العجوز بن أبى شيخ العراف وكان بلال مسترضعا فيهم وهو من بلهجيم ، قال لانى رأيت منه ثلاثا رأيته يحتجم فى بيوت أخواته ورأيت عليه مظلة وهو فى الظل ورأيته يبادر بيض البقيلة وكان عندى شيخ عظيم البدن جهير الصوت يستقصى الاعراب وقد ولده رجل من أهل الشورى وكان بقربى عبد أسود دقيق العظم دميم الوجه ورآنى أكبره فقال لى حين نهض ورأى عظما يا أباعثمان لا والله ان يساوى ذلك العظم البالى ، بصرت عينى به فى الحمام وتناول قطعة من نخار فأعطاها رجلا وقال له حك بها ظهرى أفتظن هذا يا أبا عثمان يفلح أبدا قال أبو الحسن سأل الحجاج غلاما فقال له غلام من أنت قال غلام سيد قيس قال ومن ذاك قال زرارة بن أوفى قال كيف يكون سيد قيس وفى داره التى ينزلها سكان ١ قال وقال رجل لابنه اذا أردت أن تعرف عيبك فخاصم شيخا من قدماء جيرانك قال يا أبت لو كنت اذا خاصمت جارى لم يعرف عيبى غيرى كان ذلك رأيا ولكن جارى لايعرفنى عيبى حتى يعرفه عدوى وقد أخطأ الذى وضع هذا الحديث لان أباه نهاه ولم يأمره وقال الآخر

اصطنعنى وأقلنى عثرتى ... انها قد وقعت منى بقر (٢)
واعلمن أن ليس ألفا درهم ... لمديحى وهجائى بخطر
يذهب المال ويبقى المنطق ... شائعا يأثره أهل الخبر
ثم أرميكم بوجه بارز ... لست أمشى لعدوى بخمر

وقال أشهب بن رميلة يوم صفين الى أين يا بنى تميم قد ذهب الناس أتفرون وتعذرون قال ونهض الحرث بن حوط الليثى الى على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وهو على المنبر فقال أتظن انا نظن أن طلحة والزبير كانا على ضلال قال ياحار انه ملبوس عليك ان الحق لايعرف بالرجال فاعرف الحق تعرف أهله وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لاأدركت أنا وأنت زمانا يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون على الازواج قال وبعث قسامة بن زهير العنبرى الى أهله بثلاثين

١ السكان بالضم ذنب السفينة التى به تعدل وتمنع من الحركة والاضطراب وهو عربى يريد بذلك انه ملاح ٢ بقر . بالضم : القرار تقول اذا وقع الامر موقعه صابت بقر ووقعت بقر : صارت فى قرارها

شاة ونحى صغير فيه سمن فسرق الرسول شاة وأخذ من رأى النحى شيأ من السمن فقال لهم الرسول ألكم اليه حاجة أخبره بها فقالت له امرأته أخبره ان الشهر محاق وان جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما ١ فاسترجع منه الشاة والسمن قال سليمان بن على لرؤبة مابقى من باهك ٢ ياأبا الحجاف قال يعتد ولايشتد وأستعين بيدى ثم لا أورد وأطيل الظمأ ثم اقصر قال ذلك الكبير قال لا ولكنه طول الرغاث ٣ قيل لاعرابى أى الدواب آكل قال برذونة رغوث ٤ وقيل لغيره لم صارت اللبؤة انزق وعلى اللحم احرص قال هى الرغوث قال وقال عبد الله بن عمر اتقوا من تبغضه قلوبكم وقال اسماعيل بن عزوان لاتنفق درهما حتى تراه ولاتثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه فالصابر هو الذى يشكر والجازع هو الذى يكفر عامر بن يحيى بن أبى كثير قال لاتشهد لمن لاتعرف ولاتشهد على من لاتعرف ولاتشهد بما لا تعرف ، أبو عبد الرحمن الضرير عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لاسمر الا لثلاثة مسافر ومصل وعروس وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية ٥ الفرات وتيامنوا عن كشكشة ٦ تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليست لهم غمغمة ٧ قضاعة ولاطمطمانية حمير قال من هم قال قريش قال ممن أنت قال من جرم وقال الراجز

انّ تميماً أُعطيتُ تماما  وأُعطيتْ مآثراً عظاما
وعدداً وحسباً قمقاما (٨)  وباذخاً من عزها قُدّاما
فى الدهر أعيي الناسَ أنْ يراما  اذا رأيتَ منهم الأجساما
والدّل والشيّمةَ والكلاَما  واذرُعاً وقصراً (٩) وهاما

١ مرثوما : مكسورا يقطر منه الدم تقول رثم أنفه أو فاه يرثمه كقتل كسره حتى تقطر منه الدم ٢ الباه كالجاه النكاح ٣ مجاز عن قولهم ارض رغاث كغراب : لاتسيل الاعن مطر كثير يريد ان طول النكاح وكثرة نزول المنى هو الذى وصل به الى تلك الحال ٤ الرغوث كل مرضعه ٥ اللخلخانية العجمة فى المنطق ورجل لخلخانى غير فصيح ٦ الكشكشة فى بنى أسد أو ربيعة ابدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث ، والكسكسة لتميم أيضا لا لبكر الحاقهم بكاف المؤنث سينا عند الوقف ٧ الغمغمة الكلام الذى لايبين . وطمطمانية حمير بالضم مافى لغتها من الكلمات المنكرة ٨ القمقام بالفتح و بضم العدد الكثير هنا ٩ القصر بضمتين لعله جمع قصار ككتاب : اسم للشعر الذى يكفه صاحبه

عرَفتَ أنْ لم يُخلّقُوا طغاما (١) ولم يكنْ أبوهمُ مِسقاما
لم تر فيمنْ يأ كلُ الطعاما أَقلَّ منهم سقطاً وذاما

تقول العرب لو لم يكن فى الابل الا أنها رقوء الدم قال جندل بن صخر وكان عبدا مملوكا

وَمافكَّ رِقى ذاتُ دَلٍّ خبرنَجٍ (٢) ولاشانَ مالِى صدقةٌ وعقولُ
ولكنْ نمانى كلُّ أبيضَ خِضرِمِ فأصبحتُ أدرِى اليومَ كيفَ أقولُ

وقال الفقيمى وهو قاتل غالب أبى الفرزدق

وَما كنتُ نوّاماً ولكنَّ ثائرا أناخَ قليلاً فوقَ ظهرِ سبيلِ
وقد كنتُ مخزونَ اللسانِ ومفحماً فأصبحتُ أدرِي اليومَ كيفَ أقولُ

وقال المغيرة بن شعبة من دخل فى حاجة رجل فقد ضمنها وقال عمر رضى الله تعالى عنه لكل شى شرف وشرف المعروف تعجيله وقال رجل لابراهيم النخعى اعد الرجل الميعاد قال الى متى قال الى وقت الصلاة قال وقال لى بعض القرشيين من خاف الكذب أقل من المواعيد وقال امران لايسلمان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار قال ابراهيم النظام قلت لخنجير كور مر ورالزياديين اقعد ههنا حتى أرجع اليك قال أما حتى ترجع فانى لاأصبر لك ولكن أقعد لك الى الليل

## *( هذه رسالة ابن سيابة الى يحيي بن خالد بن برمك )*

و بلغنى ان عامة أهل بغداد يحفظونها فى تلك الايام وهى كما ترى وأولها الاصيد ٣ الجواد، الوارى الزناد ، الماجد الاجداد ، الوزير الفاضل، الاشم ٤ الباذل اللباب الحلاحل ٥ من المستكين المستجير البائس الضرير فانى أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة أما بعد فاغنم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغتم ومن يصنع المعروف لايعدم وقد سبق الى تغضبك على واطراحك لى وغفلتك عنى بمالا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا

١ الطغام كسحاب أوغاد الناس ٢ الخبرنج كسفرجل و بموحدتين الناعم من الاجسام ٣ الاصيد الملك لايلتفت من زهوه يميناوشمالا ٤ الاشم السيد ذوالانفة ٥ الحلاحل بالضم السيدالشجاع

أرقد فلست بحى صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك وتحملت بك عليك ولذلك قلت

أسرعتْ بى حثا اليكَ خطائى فاناختْ بمذهبٍ ذِى رجاء

راغبٌ راهبٌ اليـكَ يرجى مِنكَ عفوا عنهُ وفضلَ عطاء

ولعمرِى مامَن أصرَّ ومن تا بَ مقرًّا مِنْ ذَنبهِ بسَواء

فان رأيت أراك الله ماتحب وأبقاك فى خير أن لاتزهد فيما ترى من تضرعى وتخشعى وتذللى وتضعفى فان ذلك ليس منى بنحيزة [١] ولاطبيعة ولا على وجه تصنع ولاتخدع ولكنه تذلل وتخشع وتضرع من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك الا لمن التضرع له عز و رفعة وشرف محمد بن حرب الهلالى قال دخل زفر بن الحرث على عبد الملك بعد الصلح فقال مابقى من حبك للضحاك فقال مالا ينفعنى ولا يضرك قال شد ما أحببتموه معاشر قيس قال أحببناه ولم نواسه ولو كنا آسيناه لقد كنا أدركنا مافاتنا منه قال فما منعك من مواساته يوم المرج قال الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار قال الشاعر

لِكلِّ كريم من ألائم قومِهِ على كلِّ حالٍ حاسِدُونَ وكشحُ

قالوا وقال سليمان بن سعد لو صحبنى رجل فقال اشترط على خصلة واحدة ولا تزد عليها لقلت لاتكذبنى قال وكان يقال أربع خصال يسود بها المرء العلم والادب والعفة والامانة وقال الشاعر

لئنْ طِبتَ نفساً عن ثنائى فإننى لاطيبُ نفساً عن نداكَ على عسرى

فلستُ الى جدواكَ أعظم حاجةٍ على شدَّةِ الاعسارِ مِنكَ الى شكرِى

وقال الآخر

أأنْ سمتنى ذُلاً فعفتُ حياضهُ سخطتَ ومنْ يأبَ المذِلةَ يعذرِ

فها أنا مسترضِيكَ لا مِنْ جنايةٍ جنيتُ ولكنْ مِنْ تجنيكَ فاغفرِ

وقال إياس بن قتادة

---

١ النحيزة الطبيعة

وَانَّ مِنَ الساداتِ من لو أطعتَهُ　　دَعاكَ الى نارٍ يفورُ سعيرها

وقال الآخر

عزمتُ على إقامةِ ذى صباحٍ　　لأمرٍ مايسوَّدُ من يَسودُ

وقال الهذلى

وَانَّ سيادَةَ الأقوامِ فاعلمْ　　لها صَعداءُ [١] مطالبها طويلُ

وقال حارثة بن بدر

اذا الهمّ أمسىَ وَهوَ داءٌ فأمضهِ　　ولستَ بمُمْضيهِ وأنت تعازلهُ

ولاتُنزلنْ أمر الشديدةِ بامرىءٍ　　اذا رامَ أمراً عوّقتْــهُ عواذِلهُ

وقل للفؤاد ان نزا بكَ نزوةً　　مِنَ الرّوعِ أفرِخْ [٢] أكثرُ الرّوعِ باطلهُ

وقال الآخر

وانَّ بقومٍ سوَّدوكَ لفاقةً　　الى سيدٍ لو يظفرُونَ بسيدِ

وقال آخر

وما سُدتَ فيهم أنّ فضلك عمّهمْ　　ولـكنّ هذا الحظَّ فى الناسِ يقسمُ

وقال حارثة بن بدر

خلَت الدّيار فَسُدتُ غيرَ مُسوّدِ　　وَمِنَ الشقاء تفرُّدى بالسُّودَدِ

الفضل بن تميم قال قال المغيرة من لم يغضب لم يعرف حلمه وقال الشاعر

مابالُ ضبعٍ ظلّ يطلبُ دائباً [٣]　　فريستَه بينَ الأسودِ الضَّراغِم

وقال الآخر

ذكرتُ بهـا عهداً على الهجرِ والقِلَى　　ولا بدَّ للمُشتاقِ أنْ يتذكَّرا

وقال الآخر

اذا ماشفيتُ النفسَ ابلغتُ عذرَها　　ولالومَ فى أمرٍ اذا بلغَ العُذرُ

---

١ الصعداء بالفتح المشقة ٢ أفرخ : سكن جاشك وتقول العرب أفرخ روعك : خلا من الهم خلو البيضة من الفرخ ٢ دائبا : مجدا فى تعب · والضراغم جمع ضرغم كجعفر القوى الشديد

وقال الآخر

لعمرُكَ مالشكوىَ بأمرِ حزامةٍ … وَلاَ بدَّ من شكوَى اذا لم يكنْ صبرُ

وقال الآخر

لولا ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدَّهرِ … الماءُ والنومُ وأُمُّ عمرِو

لمـا خشيتُ من مضيقِ القبرِ

وقال لقيط بن زُرارة

شتانَ هـذَا والعناقُ والنومْ … والمشربُ البارِدُ في ظلِّ الدَّومْ

وقال والبة

مالعيشُ الا في المدام … وَفي اللثامِ والقبلْ

وإرادَةِ الظبيَ الغريرِ … تسومهُ مالا يحل

وقال شيخ من أهـل المدينـة ما كنت أريد ان أجلس الى قوم الا وفيهم من يحـدث عن الحسن و ينشد للفرزدق وقال مجيب لاترى امرأة مضبرة العين ولاامرأة عليها طاق [1] يمنـة ولاشريفا يهنا [2] بعيرا وقال أبو براح ذهب الفتيان فما ترى فتى مفرق الشعر بالدهن معلقـا نعله ولاديكين فى حظار [3] ولاصديقا له صديق ان قمر [4] ضغا وان عوقب جزع وان خلا بصديق فتى خنثه وان ضرب أقر وان طال حبسه ضجر ولاترى فتى يحسن ان يمشى فى قيـده ولايخاطب أميره ،قال أبو الحسن قال أبوعباية ترى زفاق براقش و بساتين هزار مرد ، ما كان يسلكه غلام الابخفير وهم اليوم يخترقونه ، قلت هـذا من صلاح الفتيان، قال لاولـكن من فسادهم ، اليقطرى قال قيل لطفيل العرائس كم اثنان فى اثنين قال أربعة أرغفة ، وقال رجـل لرجل انتظرتك على الباب يقدر ما يأكل انسان جرد قبين ، عبـد الله بن معصب قال ارسـل على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه عبـد الله بن عباس لمـا قـدم البصرة فقـال ائت الزبير ولاتأت طلحـة فان الزبير ألين وانك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه [5] يركب الصعوبة و يقول

---

١ الطاق ضرب من الثياب ٠ ويمنة بالضم : يمانى ٢ هنأ الابل يهنؤها : طلاها بالهناء ككتاب وهو القطران ٣ الحظار مايعمل للابل من شجر ليقيها البرد ٤ قمر من المقامرة ٠ وضغا خان يقال ضغا المقامر اذا خان ٥ عاقصا قرنه : فيه التواء : يركب الصعوبه : الامر الشاق

هى أسهل فاقرأ عليه السلام وقل له يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق فما عدا مما بدالك قال فأتيت الزبير فقال مرحبا ياابن لبابة أزائرا جئت أم سفيرا قلت كل ذلك ، وابلغته ماقال علىّ فقال الزبير أبلغه السلام وقل بيننا و بينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف فتحل ماأحلت ونحرم ماحرمت فلما كان من الغد حرش بين الناس غوغاؤهم فقال الزبير ما كنت أرى ان مثل ماجئنا له يكون فيه قتال ، قال ومن جيد الشعر قول جرير

لئنْ عُمِرتْ تيمٌ زمانا بعــزَّة لقدحُديتْ (١) تيم حداءعصبصبا
فلا يضغمنَّ (٢) الليثُ تيما بغــرّة وتيم يشــمون الفريسَ المنيبا

وقال الاعرابى كحلتى بالميل الذى تكحل به العيون الداءة وقال بن أحمر

وَهجل (٣) من قساً ذَفِرِ الخزامى تهادَي الجِرْبياء به الحنينـا
بهـا تتـزخر (٤) القلعُ السوارِى وجنَّ الخازبازُ به جنـونا
تـكادُ الشمسُ تخشعُ حِينَ يَبدُو لهنَّ وما نزلنَ وما عسينا

وقال الحكم الخُضرى

كوم تظاهرَ نيها وتربعتْ بَقْلاً بِعَيْهَم (٥) والحِمَى مجنونا

والمجنون المصروع ومجنون بنى عامر ومجنون بنى جعدة ، واذا نخر النبات قيل قد جن قال الشنفرى

وجلتْ ودقت واسبكرّتْ وأنضرتْ فلوجنَّ انسانٌ من الحسن جنتِ

قال وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغى طفلا فقال مجنونة أوأم صبى وقال أبو ثمامة ابن عازب

---

١ حديت : مجاز عن حداء الابل وهو زجرها وسوقها . والعصبصب الشديد ٢ يضغمن : يقال ضغمه كمنعه عضه أوعضادون النهش . والفريس القتيل . والمنيب الذى أثر فيه الناب ٣ الهجل : المطمئن من الارض . وقسا . موضع بالعالية . والذفر من الذفر محركا وهو شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن . والخزامى كحبارى نبت أوخيرى البر . والجربياء ريح الشمال أو الريح بين الجنوب والصبا ٤ تتزخر : تمتلئ يقال زخر البحر وتزخر طما وامتلأ . والقلع محركا جمع قلعه بفتحتين القطعة العظيمة من السحاب كانها جبل . والسوارى جمع سارية : السحابة تسرى ليلا والخاز بازذباب الروض ٥ عيهم موضع

وَكلهـــمُ قد ذاقنا فكأنما يرَون غلينا جِلدأجرَب هائِل

وقال الثعالبي

يرَى الناسُ مناجلدأسودَ سالِخ(١) وفرْوةَ ضِرغام مِنَ الأسدِضيغم

وأنشد الاصمعى

منهرِتَ الشدْقينِ عَوْد قد كمِلْ كأنما قصٌّ من ليطِ جُعَلْ(٢)

وقال نصيب لعمر بن بن عبد العزيز ان لى بنية ذررت عليها من سوادى ، وقال عبد الملك للوليد لاتعزل أخاك عبد الله عن مصر وانظر عمك محمد بن مروان فاقره على الجزيرة وأما الحجاج فانت أحوج اليه منه اليك وانظر على بن عبد الله فاستوص به خيرا فصرب عليا بالسياط وعزل أخاه وعمه وقال أبو نخيلة

أنا ابنُ سعد وتوسطتُ العجمْ فأنا فِيما شئتُ مِنْ خالٍ وعمْ

وأنشد

همُ وَسطٌ يرضى الإله بحكمهم إذا نزلتْ إحدَى الليالى بمُعظِم

يجعلون ذلك من قول الله تبارك وتعالى وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وأنشد

ولولا خلة سبقتْ اليه وأخوُ(٣) كانَ مِنْ عرَقِ المدامِ

دلفت له بأبيض مشرفى كما يدنو المصافح للسلام

وقال يزيد بن ضبة

لاتبدين مقالة ماثورة لاتستطيع اذا مضت ادراكها

وقال ابن ميادة

ياأيها الناس ردوا القول واستمعوا وكل قول اذا ماقيل يستمع

وقال الآخر

ماالمدلج الغادى اليه بسحرةٍ الا كآخرَ قاعِدٍ لم يبرَحِ

١ السالخ الاسود من الحيات وأقتلها وهو شديد السواد والفروة جلد الرأس ٢ الجعل كزفر دابة سوداء من دواب الأرض قيل هو أبو جعفران بفتح الجيم ٣ الاخولغة فى الاخ

وقال العلاء بن المنهال الغنوى فى شريك بن عبد الله

فليتَ أَبا شريكٍ كانَ حيا　　فيقصرَ عن مقالتهِ شريكُ
ويتركَ من تدريهِ[١] علينا　　إذا قلنا له هـذا أبوكا

وقال طارق بن دثار الطائى

ماإنْ يزالُ ببغـدادٍ يزاحمنا　　على البراذين أشباه البراذينِ
ما شئتَ من بغلةٍ سفواء[٢] ناجيةٍ　　وَمنْ إناثٍ وقولٍ غيرِ موزُونِ
أعطاهمُ اللهُ أموالاً ومنزلة　　من الملوكِ بلا عقلٍ ولا دينِ

وقال منقذ بن دثار الهلالى

لاتذكرنَّ صنيعةً سلفتْ　　منكَ وإنْ كنتَ لستَ تنكرها
عندَ امرئٍ أن تقولَ إنْ ذكرتْ　　يوماً منَ الدَّهرِ لستُ أذكرُها
فإنَّ إحياءها إماتتها　　وَإنَّ منابها يكدّرُها

قال بعض الحكماء صاحبك من ينسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه

وقال منقر بن فروة المنقرى

وَإنْ خفتَ من أمرٍ فواتاً فولهِ　　سواكَ وَعنْ دارِ الأذى فتحوَّلِ
وما المرء الا حيثُ يجعلُ نفسه　　ففى صالح الاعمال نفسكَ فاجعلِ

ونظر أبو الحارث جمين ٣ الى برذون يستقى عليه الماء فقال

وما المرء الا حيث يجعل نفسه

لو هملج هذا البرذون لم يجعل للراوية وأنشد

لاخيرَ في كلِّ فتى نؤُوم　　لايعتريه طارقُ الهمومِ

وأنشد

١ من تدريه علينا : من هجومه علينا ومفاجأته ايانا بالشر ٢ السفواء تأنيث الاسفى وهو خفيف شعر الناصية من الخيل وهو غير محمود فيها ٣ أبو الحرث جمين كقبيط ضبطه المحدثون بالنون والصواب ضبطه بالزاى المعجمة أنشد أبو بكر بن مقسم　　ان أبا الحرث جميزا　　قد أوتى الحكمة والميزا

اجعل أبا حسنٍ كمنُ لاتعرِفُ　　واهجرْهُ مقترِناً وان لم يخلفِ
آخِ الكرام المنصفينَ وصِلهم　　واقطعْ مودَّةَ كلّ من لم ينصفِ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

مازال عِصياننا لِلّه يسلمنا　　حتىَّ دُفعنا الى يحيَ ودِينارِ
الى عليجين [١] لم يقطع ثمارُهما　　قد طالما سجدا للشمسِ والنارِ

وشاتم اعرابى اعرابيا فقال انكم لتعتصرون العطاء وتعيرون النساء وتبيعون الماء، وقال أبو الاسود الدؤلى

لنا جِيرةٌ سدّوا المجازةَ بيننا　　فانْ ذكّروكَ السدِ فالسدُ أكيسُ
ومِنْ خيرِ ماألصقتَ بالدّارِ حائطٌ　　تزِلُّ به صُقْعُ [٢] الخطاطِيفِ أملسُ

وأنشد

إذا لم يكنْ لِلمرءِ بدٌ مِنَ الرّدى　　فأكرمُ أسبابِ الرّدى سببُ الحبّ

وقال الآخر

واذا شنئتُ فتىً شنئتُ حديثه　　واذا سمعتُ غِناءه لم أطربِ

وأنشد المسروحى لكامل بن عكرمة

لها كلَّ عام موعِدٌ غيرُ منجزٍ　　وَوَقتٌ اذا مارأسُ حول تجرّما [٣]
فان وعدتْ شِراً أتى قبل وقتهِ　　وان وعدَتْ خيراً أراثَ [٤] وَعتما

وقال الآخر

ألم ترَ انَّ سيرَ الخيرِ رَيثٌ　　وانَّ الشرَّ راكِبه يطيرُ

وقال محمد بن بشير

تأتى المكارِهُ حِينَ تأتى جملةً　　وترَي السرور يجىء فى الفلتاتِ

١ عليجين . مصغر علج وهو الرجل من كفار العجم ٢ الصقع . جمع أصقع أوصقعاء من الصقعة بالضم . بياض فى رؤس الطير والخيل وغيرها . والخطاطيف جمع خطاف . طائر أسود ٣ تجرما : تم يقال حول مجرم كمعظم : تام وقد تجرم ٤ أراث أبطأ . وعتم احتبس

وقال الآخر

إِذَا مايرِيدُ الشام أقبـلَ نحوَنا    ببعضِ الدَّواهِى المفظعات فأسرَعا

فانْ كانَ شرًّا سارَ يوماً وليلةً    وَانْ كانَ خيرا أقصدَالسـيرأربعا

وقال آخر

فاذَا نهضتُ فما النهوضُ بِدَائِمٍ    واذا نـكبتُ توالتِ النـكباتُ

وقال آخر

وَتعجبنا الرُّؤيا فجـلُّ حدِيثنا    اذا نحنُ أصبحنا الحديثُ عن الرُّؤيا

وان حسنتْ لم تأتِ عجلى وأبطأتْ    وان قبحتْ لم تحتبسْ وأتتْ عجلى

قيـل لاعرابى ماأعددت للشتاء قال جلة [١] ريوضا وصيصة سلوكا وشملة مكودا وقرمِـصاً دفيئا وناقة مجالحة ، وقيل لآخر ماأعددت للشتاء قال شدة الرعدة ، وقيل لآخر كيف ليلكم قال سحر كله ، وقيل لآخر كيف البرد عندكم قال ذلك الى الريح ،

وقال معن بن أوس المزنى

فلاَ وأبى حبيب مانفـاهُ    من أُرضِ بنى رَبيعة مِنْ هوانِ

وكان هو الغنى الى غنـاه    وكانَ من العشيرةَ فى مكانِ

تكَنَّفه الوشاةُ فأزعجوه    ودَعسٌ من قضاعة غيرُ وانِ

فلولا أنّ أمّ أبيــهِ امى    وأنّ من قد هجاه فقد هجانى

وأن أبى أبوه لذاقَ منيَ    مرارةَ مبرَدِى ولـكان شانى

إذَا لأصابه مِـــنى هِجاءٌ    يمرُّ به الروىُّ على لسانى

أُعلمه الرِّماية كلَّ يومٍ    فلما استدَّ ساعِدُهُ رَمانى

---

١ الجلة المسان من الابل وغيرها للواحد والجمع والذكر والانثى . وريوضا مذللة يقال راض المهر رياضا ورياضة ذلله . والصيصة شوكة الحائك يسوى بها السدى واللحمة . والمكود الناقة الدائمة اللبن . والشملة بكسرتين مشددة اللام الناقة السريعة . والقرمص بكسر القاف حفرة واسعة الجوف ضيقة الرأس يستدفئ فيها الصرد . والمجالحة الناقة تدر فى الشتاء

وقال بعض اليهود

ولو كنتُ أرضى لاأبالكَ بالذى … به العائِلُ الجثامُ فى الخفضِ قانِعُ
إِذًا قصرتْ عندِى الهمومُ وأصبحتْ … علىَّ وعندِى لِلرّجالِ صنائِعُ

*( ذكر ماقالوا فى المهالبه )*

إنّ المهالبةَ الكرامَ تحملوا … دفعَ المكارهِ عن ذوى المكرُوهِ
زانوا قديمهم بحسنِ حديثهم … وكريمَ اخلاقٍ بحسنِ وُجوهِ

وقال أبو الجهم العدوى فى معاوية بن أبى سفيان

تقلبهُ لِنخبرُ حالتيه … فتخبرُ منهما كرماً ولينا
نميل على جوانبه كأنا … نميلُ اذا نميلُ على أبينا

وقال الآخر فى هذا الشكل

ان أجزِ علقمةَ بن سيفٍ سعيه … لاأجزِه ببلاء يوم واحدِ
لاحبنى حبَّ الصبي ورَمنى … رَمّ الهدى الى الغنىّ الواجدِ
ولقد شفيتُ غليلتي فنقعتها … من آل مسعود بماء باردِ

وقال بكير بن الاخنس

نزلتُ على آل المهلب شاتياً … فقيراً بعيدَ الدار فى سنة محلٍ
فما زال بى إلطافهم وافتقادُهم … واكرامهم حتىَّ حسبتهم أهلى

وقال فى كلمة له أخرى

وقد كنتُ شيخا ذا تجاربَ جمة … فاصبحتُ فيهم كالصبي المدلَلِ

ورأى المهلب وهو غلام فقال

خذونى به ان لم يسد سرَواتِهم … وَيبرَعَ حتي لايكونَ له مِثلُ

وقال الحزين فى طلحة بن عبد الله من ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

---

١ العائل الفقير ، والجثام الذى لزم مكانه لم يبرح منه

فان تكُ ياطاحَ أعطيتني جُمالِيةً [١] تستحقّ السفارا
فما كان نفعك لى مرةً ولا مرتين ولكنْ مرارا

وقال أبو الطمحان

سأمدحُ مالِكاً فى كلّ ركب لقيتهم واتركُ كلَّ رذلِ
فما أنا والبكارةُ [٢] من مخاضٍ عِظامٍ جلةٍ سدَسٍ وبزلِ
وقد عرفتْ كِلابهم ثيابى كأنى منكمْ ونسيتُ أهلى
نمتكمْ مِن بنى شمخ [٣] زناد لها ما شئتَ من فرع وأصلِ

وقال أبو الشغب

الا إنّ خير الناس قد تعلمونه أَسيرُ ثقيف موثقاً فى السلاسلِ
لعمرِى لئن أعمرتم السجن خالداً وأوطأتموهُ وَطأةَ المتثاقِلِ
لقد كانَ نهاضا بِكل ملمةٍ ومعطي اللها [٤] غمرا كثيرَ النوافلِ
فان تسجنوا القسرىّ لاتسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبائِلِ

ومن هذا الباب قول أعشى همدان فى خالد بن عتاب بن ورقاء

رأيتُ ثناء الناسِ بالغيبِ طيبا عليك وقالوا ماجدٌ وابنُ ماجدِ
بنى الحارث السامِينَ لِلمجدِ انكم بنيتم بناءً ذِكرهُ غيرُ بائِدِ
هنيأً لِما أعطاكم اللهُ واعلموا بأنى سأطرى خالداً فى القصائِدِ
فإنْ يكُ عتابٌ مضي لسبيلهِ فما ماتَ منْ يبقَى له مِثلُ خالِدِ

ومن هذا الشكل قول الحسين بن مطير الاسدى

الما على معن وقولا لقبره سقتاكَ الغوادِي مربعاً ثم مربعا

---

١ الجمالية الوثيقة الخلق كأنها جمل ٢ البكار جمع بكرة وهى الفتية من الابل والسدس بالتحريك وهو السن قبل البازل • والبزل طلوع ناب البعير فى تاسع سنيه ٣ شمخ بن فزارة بطن من بطون العرب ٤ اللهى • جمع لهية بالضم أفضل العطايا وأجزلها

أيا قبرَ معن كنتَ أولَ حفرةٍ من الأرضِ خطت للسماحة موضعا

ويا قبر معن كيفَ واريتَ جودَه وقد كانَ منه البرُّ والبحرُ مترعا

بلى وقد وسعتَ الجودَ والجودُ ميتٌ ولو كان حيا ضقتَ حتى تصدَّعا

فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندا وأصبحَ عِرنينُ المكارِمِ أجدعا

فتىً عيشَ فى معروفه بعدَ موتِهِ كما كانَ بعدَ السيل مجراهُ مرتعا

تعزَّ ابا العباسِ عنهُ ولا يكنْ جزاؤُكَ مِنْ معنٍ بأن تضعضعا

فما ماتَ من كنتَ ابنه لا ولا الذى له مِثلُ ما أسدى أبوكَ وما سعى

تمنَّى أُناسٌ شأوَه مِنْ ضلالِهمْ فأضحوا على الأذقانِ صرعى وظلعا

وهذا مثل قول مسلم بن الوليد فى يزيد بن مزيد

قبر ببرذعةَ استسرَ ضريحه خطراً تقاصرُ دُونه لأخطارُ

أبقى الزمانُ على معدٍّ بعده حزناً كعمرِ الدّهر ليسَ يعارُ

نفضتْ به الآمالُ أحلاسَ الغنى واسترجعتْ نزّاعها الأمصارُ

فاذهبْ كما ذهبتْ غوادِي مزنةٍ أثنى عليها السهلُ والأوعارُ

*( ذكر حروف من الادب من حديث بنى مروان وغيرهم )*

قيل اذا رسخ الرجل فى العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة ، مسلمة قال كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان فجعلا يلحنان فقال الحاجب قوما فقد أذيتما أمير المؤمنين قال عمر أنت آذى لى منهما ، المدائنى قال قعد قدام زياد رجل ضبائعى من قرية باليمن يقال لها ضباع و زياد يبنى داره فقال له أيها الامير لو كنت عملت باب مشرقها من قبل مغربها و باب مغربها من قبل مشرقها فقال انى لك هذه الفصاحة قال انها ليست من كتاب ولا حساب ولكنها من ذكاوة العقل فقال ويلك الثانى شر

شعبة عن الحكم قال قال عبد الرحمن بن أبي ليلى لااماري أخي فاما ان أكذبه واما أن أغضبه ، بن أبي الزناد قال ( اذا اجتمعت حرمتان تركت الصغرى للكبرى ) وعن أبي بكر الهذلي واسمه سلمى قال ( اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل اذا كان حلالا وكثرت عليه الايدي وسمى الله على أوله وحمد على آخره ) وقال بن قميئة

وأهونُ كفٌّ لاتضيرُكَ ضيرَةً ... يدٌ بينَ أيدٍ في أناء طعام

يدٌ منْ قريب أو غريب بقفرَة ... أتتكَ بها غبراء ذاتُ قتام

وقال حماد عجرد

حبيشٌ أبو الصات ذو خبرَة ... بما يصلح المعدة الفاسدة

تخوَّفَ تخمةَ أصحابهِ ... فعوَّدَهمْ أكلةً واحدَهْ

وقال سويد المرائد

اني اذا ما الامرُ بينَ شكهُ ... وبدَتْ بصائرهُ لمنْ يتأملُ

وتبرأَ الضعفاء منْ إخوانهمْ ... وألحّ منْ حرّ الصميم الكلكلُ

أدعُ التي هيَ أرفق الخلاتِ بي ... عندَ الحفيظةِ للتي هيَ أجملُ

*( ومما يكتب في باب العصا )*

قالتْ أُمامةُ يوم برْقةِ واسطٍ ... ياابن الغدير لقدْجعلت تغيرُ

أصبحت بعدزمانِكَ الماضي الذي ... ذَهبتْ شبيبته وغصنك أخضرُ

شيخا دِعامتكَ العصا ومشيعاً ... لاتبتغي خيراً ولا تستخبرُ

ويضم البيت الاخير الى قوله

وهلكُ الفتى أنْ لا يراحَ الى الندَا ... وأنْ لا يرَي شيأ عجيباً فيعجبا

ومنْ يبتغى مني الظلامَةَ يلقني ... اذامارآني أصلعَ الرأس أشيبا

وقال بعض الحكماء أعجب من العجب ترك التعجب من العجب وقيل لشيخ

هم [١] أى تشتهى قال اسمع بالاعاجيب وأنشد

عريضُ البطان [٢] جديبُ الخوانِ ... قريبُ المراثِ مِنَ المرتعِ
فنصفُ النهارِ لكرياسهِ [٣] ... ونصفٌ لمأكلهِ أجمعِ

ومما يضم الى العصا قوله

لعمرى لئن جليتُ عن منهلِ الصبا ... لقد كنتُ وَرّاداً لِمشربهِ العذبِ
ليالىَ أغدو بينَ بردينِ لاهياً ... أميسُ كغصنِ البانةِ الناعِمِ الرّطبِ
سلامٌ على سيرِ القلاصِ مع الرّكبِ ... ووصلِ الغوانى والمدامةِ والشربِ
سلامَ امرىءٍ لم تبقَ منه بقيةٌ ... سِوَى نظرِ العينينِ أوشهوةِ القلبِ

وقال حاجب بن ذبيان لاخيه زرارة

عجلتُ مجىءَ الموتِ حِينَ هجرتنى ... وفى القبر هجرٌ يازُرارَ طويلُ

وقال الآخر

ألم تعلمي ياعمرَكِ اللهَ أننى ... كريمٌ على حين الكرامُ قليلُ
وانى لاأخزى اذا قيل مقترٌ ... جوادٌ وأخزى أنْ يقال بخيلُ
وإنْ لايكنْ عظمى طويلا فإننى ... له بالخصالِ الصالحات وصولُ
اذا كنتُ فى القومِ الطوال فضلتهم ... بعارفةٍ [٤] حتى يقال طويل
ولاخير فى حسن الجسوم وطولِها ... اذا لم يزنْ حسنَ الجسوم عقولُ
وكائِنْ رأينا من فرُوعٍ طويلةٍ ... تموتُ اذا لم تحيهنَّ أصولُ
ولم أرَ كالمعرُوفِ أما مذاقه ... فحلو وأما وَجهه فجميلُ

وقال زياد بن زيد

---

١ الهم بالكسر الشيخ الفانى ٢ عريض البطان : غنى رخى البال . والخوان مايؤكل عليه . والمراث بفتح الميم موضع الروث ٣ الكرياس الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة الى الارض ٤ العارفة المعروف والاحسان

إذا ما انتهى عِلمى تناهيتُ عِندَه    أطالَ فأملى أم تناهى فاقصرا
ويخبرُنى عن غائِب المرءِ فِعلهُ    كفى الفعلُ عما غيبَ المرءِ مخبرا

وقال آخر

أبرُّ فما يَزدادُ الاحماقةً    وَنوكاً وان كانتْ كثيراً مخارِجه

وقال ابن الرقاع

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمعُ بينها    حتى أُقوِّمَ ميلها وسنادَها (١)
نظرَ المثقفِ في كعوبِ قناته    حتى يقيمَ ثِقافه (٢) منآدَها
وعلمتُ حتى لستُ أسألُ عالماً    عن حرفِ واحدةٍ لكي أزدادَها

وقال بعض الأعراب

لولاَ مسرَّة أقوام تصعدُنى (٣)    أو الشماتةُ من قوم ذوى إحنِ
ما سرَّنى أن إبلى في مباركها    وأنَّ أمراً قضاهُ الله لم يَكنِ

وقال الآخر

وَانى لأهوَى ثم لا أتبع الهوَى    وأُكرمُ خِلاَّنى وَفىَّ صدُودُ
وفى النفسِ عن بعضِ التعرّض غلاظةٌ    وفي العينِ عن بعضِ البكاء جمودُ

وقال كثير

ترَى القومَ يخفونَ التبسمَ عِندَهُ    وينذِرُهم عوزَ (٤) الكلام نذيرُها
فلا هاجراتُ القولِ يؤثرنَ عِندَه    ولا كلماتُ النصحِ مقصىً مشيرها

وقال المقشعر

يقرّ بعينى ان أرَى قصد القنا    وصرعى رجال في وغى أنا حاضره

وقال الكميت

---

١ السناد اختلاف الردفين فى الشعر ٢ الثقاف ماتسوى به الرماح وثقفه تثقيفا سواه ٣ تصعدنى تشق على · والاحن كعنب جمع احنة بالكسر وهى الحقد والغضب ٤ العور جمع عوراء وهى هنا الكلمة القبيحة

أحسنُ منها ذِياد خامِسةٍ (١) — في الوِرْدِ أو فيلقٌ يجالِدُها

وقال صالح بن مخراق في كلام له (لولا أن الله تبارك وتعالى قال كتب عليكم القتال وهو كره لكم) لانبأتكم انى لا أكرهه وقال الآخر

تركتُ الرِّكابَ لأربابِها — وأكرهتُ نفسى على ابن الصعق (٢)

جعلتُ يدىَّ وِشاحاً لهُ — وبعضُ الفوارسِ لا يعتنقْ

قال وقال عمر بن عبد العزيز يوما فى مجلسه من أم النعمان بن المنذر فقال روح ابن الوليد بن عبد الملك ، سلمى بنت عقاب ، قال انه ليقال ذلك ياحاجب أحسن أذنه ، قالوا عشر خصال فى عشرة أصناف من الناس أقبح منها فى غيرهم الضيق فى الملوك والغدر فى الأشراف والكذب فى القضاة والخديعة فى العلماء والغضب فى الابرار والحرص فى الاغنياء والسفه فى الشيوخ والمرض فى الاطباء والزهو (٣) فى الفقراء والفخر فى القراء وأنشد

ولا تقبلوا عقلا (٤) وأموا بغارَةٍ — بني عبد شمس بين دُومة والهضبِ

وهزُّوا صدُورَ المشرَفىّ كأنما — يقعنَ بِهامِ القوم فى حنظلٍ رَطبِ

ويضم الى بيت الكميت وبيت المقشعر قول الحكمى

أحسنُ عِندِى مِنَ انكبابك بالـ — ـفِهرِ (٥) ملحا به على وتدِ

وُقُوفُ رِيحانةٍ على أُذنٍ — وسيرُ كأسٍ الى فم بيدِ

وفى باب غير هذا يقول حسان بن ثابت

ما بالى أَنبَ (٦) بالحزْنِ تيسٌ — أم لحانى بِظهرِ غيب لئيمُ

وأنشدوا

خبرتُ أنّ طوَيلبا يغتابنا — بِعضيهةٍ (٨) يتنحل الأقوَالا

---

١ الخامسة . من الابل التى ترعى ثلاثة أيام وترد فى لرابع وهى ابل خوامس . والفليق الجيش . وتجالدوا . تضاربو بالسيوف ٢ الصعق ككتف لقب خويلد بن نفيل ولقب فارس لبنى كلاب ٣ الزهو . الكبر والتيه وقد زهى كعنى وكدعا لغة قليلة ٤ العقل الدية من الابل وغيرها . والغارة الخيل المغيرة ٥ الفهر بالكسر الحجر قدر مايدق به الجوز ومايملأ الكف ٦ انب : صاح عند الهياج والهمزة همزة التسوية . والتيس الذكر من الظباء والمعز والوعول . ولحاه يلحوه شتمه ٧ العضيهة : الكذب والبهتان . وانتحل القول وتنحله ادعاه لنفسه وهو لغيره

ماضرَّ سادةَ نهشلٍ أهجاهمُ ... أم قامَ في عرضِ الحوَىّ(١) فبالا

وقال الفرزدق فى هذا المعنى

ماضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها ... أم باتَ حيثُ تناطحَ(٢) البحرانِ

وقال الآخر فى هذا المعنى

مايضيرُ البحرَ أمسى زاخراً(٣) ... أنْ رَمى فيهِ غلامٌ بحجرْ

*( ومما يزاد فى باب ذكر العصا )*

قول جرير بن الخطفى

وَيقضي الأمرُ حين تغيبُ تيمٌ ... ولا يستأمرُونَ وهمْ شهودُ

وقدْ سلبتْ عصاكَ بنو تميم ... فماتدرِي بأيّ عصاً تذُودُ

وقال الحسن بن عرفطة بن نضلة

لِيهنكُ بُغْضٌ في الصديقِ وضنةٌ ... وتحديثكَ الشيءَ الذي أنتَ كاذبهْ

وأنك مهداءُ الخنانطفَ(٤) النشا ... شديدُ السباب رافعُ الصوتِ غالبهْ

وأنك مشنوءٌ الى كلِّ صاحبٍ ... بلاكَ ومثلُ الشرِّ يكرهُ جانبهْ

ولم أرَ مثلَ الجهلِ أدنى إلى الردَى ... ولا مثلَ بغضِ الناسِ غمضَ صاحبهْ

وقال قتادة بن خرجة التغلبي

خليليّ يومَ السلسلينِ لوْ أنني ... بِهيرا(٥) اللوا انكرتُ ماقلتماليا

ولكنني لم أنسَ ماقالَ صاحِبي ... نصيبكَ مِنْ ذُلٍّ اذا كنتَ نائيا

وقال خالد بن نضلة

اذا كنت في قومٍ عِدًى لستَ منهم ... فكلْ ماعلفتَ مِن خبيثٍ وطيبِ

---

١ الحوى كفنى الحوض الصغير ٢ تناطح البحران : تدافعا واضطربا ٣ بحر زاخر طام ممتلئ ٤ نطف التناجم نطقة وهى اللؤلؤة التى صفاماؤها تعلقها الجارية فى أذنها واستعماله اهنا مجاز ٥ هير بالكسر اسم موضع . واللوى ماالتوى من الرمل أوما استرق منه

وقال أحمد بن يوسف وكان يتعشق يحيي بن سعيد بن حماد

إنّ يحيي بنَ سـعيدٍ　　يشتهى أنْ أشـتهِهِ
فهوَ يلقانى بتوزٍ [١]　　يم وأحيانا بِتيـهِ

وقال أبو سعيد دعى [٢] بنى مخزوم فى مهاجاة دعبل

ولولاَ نِزَارٌ لضاقَ الفضا　　ولم يبقَ حِرزٌ ولامعقلْ
وأَخرَجتِ لأرْضُ أثقالها　　وأُدخِلَ في استِ امه دِعبلُ

وقال

حـدق الآجال [٣] آجال　　والهـوَي للمرءِ قتالُ
والهوَى صعبٌ مراكِبهُ　　وركوبُ الصعبِ أهوالُ
ليسَ من شـكلى فأشتمهُ　　دِعبلٌ والناسُ أشـكالُ
همتي فى التاج ألبسهُ　　ولهُ في الشـعرِ آمالُ

وقال

هـذا اللبانىُّ [٤] يحوِى　　جـوائِزِ الخلفـاء
ففِي حِرامِىّ مدِيحِى　　وَفي حِرامِىِّ هِجائى
وفي حِرامِيِّ وان كنـ　　ـتُ سيدَ الشـعراء

وقال محمد بن يسير

فى حِرامٌ النـاسِ كلهـم　　أنافى هذا من أولهـم
لستَ تدرِى حِين تخبرهم　　أَينَ أدناهم مِن أفضلهمْ

وقال

---

١ التوريم الغضب . والتيه الصلف والكبر ٢ الدعى كفنى من تبنيته والمتهم فى نسبه ٣ الآجال جمع أجل بالكسر القطيع من بقر الوحش والآجال جمع آجل محركا غاية الوقت فى الموت ٤ اللبانى نسبة الى اللبانة بالضم وهى الحاجة . والحر الفرج

إذا ماجاوز الندماء خمسا … برب البيت والساقي الأديب
فأين فى حرام فتى دعانا … وأين فى حرام فتى مجيب

وقال سلم الخاسر

بهرون قرّ الملك في مستقره … وأشرقت الدنيا وأينع نورها
وليس لأيام المكارم غاية … تتم بها الا وأنت أميرها

وقال بشار بن برد

من فتاة صب الجمال عليها … فى حديث كلذة النشوان
ثم فارقت ذاك غير ذميم … كل عيش الدنيا وإن طال فان

وقال مزاحم العقيلي

تزين سنا الماوي (١) كل عشية … على غفلات الزين والمتجمل
وجوها لوان المدلجين اعتشوا بها … صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي

وقال المسعودي

إن الكرام مناهيوك المجد كلهم فناهب
أخلف وأتلف كل شيء زعزعته الريح ذاهب

قال شيخ من الاطباء الحمد لله فلان يزاحمنا فى الطب ولم يختلف الى البيمارستان تمام خمسين سنة ، وحدثني محمد بن عبد الملك صديق لى قال سمعت رجلا من فرسان طبرستان يقول فلان يدعى الفروسية ولو كلف أن يخلى فروج فرسه منحدرا من جبل لما قدر عليه وقال بعض العبيد

أيبعثني فى الشاء وابن مخلد … على هجمة قد لوحتها الطبائخ (٢)
متى كان حمران النباتي راعيا … وقد راعه بالذود أسود سالخ

وقال كثير فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله

---

١ الماوى المرآة ٢ الطبائخ . جمع طبيخة وهى الريح السموم وقت الهاجرة ولوحته غيرته وسفعت وجهه . والشاء جمع شاة

تكلمتَ بالحق المبين وإنما ... تبين آياتُ الهدى بالتكلم
ألا إنما يكفى القنا بعد زيغه (١) ... من الأوَدِ البادي ثقافُ المقوّم

الأصمعى قال قال ابن عبيد لايزال الناس بخير ماداموا اذا اختلج فى صدر الرجل شىء وجد من يفرج عنه ، قال البعيث فى ابراهيم بن عدى

ترى مِنبر العبد اللئيم كأنما ... ثلاثةُ غِربان عليه وُقوعُ

وقال الأعشى

رُبّ رفدٍ هرقته ذلك اليو ... م وأسرَى من معشرٍ أقيالِ (٢)

( وقالوا لاوكسَ (٣) ولا شطط )

وقال الشاعر

ومدَجج (٤) كرِهَ الكماة نِزَالهُ ... لاممعن هُرباً ولا مستسلم

وقال زهير

دُونَ السماء وفوق الارض قدرُهما ... عند الذّنابى فلا فوتٌ ولا دَرَكُ

وقالوا خير الامور أوساطها وشر السير الحقحقة ٥ ، قال والمثل السائر والصواب المستعمل لاتكن حلوا فتزدرد ولا مراً فتلفظ ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان هذا الامر لايصلحه الا لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وكان الحجاج يجاوز العنف الى الخرق ، وكان كما وصف نفسه فانه قال أنا حديد حقود وذوقسوة حسود ، وذكره آخر فقال ، كان شرا من صبي ، وقال أكثم بن صيفى تناءوا فى الديار وتواصلوا فى المزار وكان ناشىء الشهور يقول اللهم باعد بين نسائنا وقارب بين رعائنا واجعل الاموال فى سمحائنا وقال آخر

شتّى مراجلهم فوضى نساؤهم ... فكلهم لابيهِ ضيزنٌ (٦) سلفُ

١ الزيغ هنا العوج فى العود ونحوه ٢ الرفد بالكسر العطاء والصلة والاقيال جمع قيل بالفتح الملك من ملوك حمير يقول ماشاء فينفذ أو هو دون الملك الاعلى ٣ الوكس كالوعد النقصان والشطط محركة تجاوز القدر المحدود والتباعد فيه ٤ المدجج المتكمى فى سلاحه والممعن المبعد ٥ الحقحقة ارفع السير وأتعبه ٦ الضيزن كحيدر الحافظ الثقة وولد الرجل وعياله

وقال آخر

مَنْ أمل احداً هابه　　وَمنْ قصرَعنْ شىءعابه

وقال الآخر

رَجعنا سالمينَ كما بدَأْنا　　وما خابتْ غنيمةُ سالمينا

وقال امرؤ القيس بن حجر

لقدَ نقبتُ فى الآفاق حتى　　رَضِيتُ من الغنيمة بالإِياب

وقيل لابن عباس أيما أحب اليك رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات أو يقل من الحسنات والسيئات قال ماأعدل بالسلامة شيئا ، وقالت أعرابية

لاتحمدُوني فى الزّيارة إِننى　　أَزُورُكم إنْ لاأجد متعللا

يعقوب بن داود قال ذم رجل الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هزمت أهل الشام وموته هزم أهل العراق ، أبو الحسن قال أرسلت الخيل أيام بشر بن مروان فسبق فرس عبد الملك بن بشر فقال له اسمعيل بن الاشعث والله لارسلن غدا مع فرسك فرسا لايعرف ان أباك أمير العراق فجاء فرس اسمعيل سابقا فقال ألم أعلمك ، وقال أبو العتاهية

ايامن لى بأُنسك ياأُخيًا　　ومن لى ان ابثك مالدَيَّا

كفي حزَنًا بدفنك ثم انى　　نفضتُ ترابَ قبرك عن يديَا

طوتك خطوب دَهرك بعد نشر　　كذاكَ خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قواك الى المنايا　　شكوتُ اليك ماصنعتْ اليا

بكيتك ياأخىّ بدرّ عيني　　فلم يغنِ البكاء عليك شيئا

وكانتْ في حياتك لى عظاتٌ　　فأنتَ اليومَ أَوعظُ منك حيا

وقال الآخر

أبعدَ الذي بالنعف[١] نعف كوَيكب رَهينةَ رَمسٍ بين ترب وجندلِ

أذكر بالبقيا[٢] على من أصابني وبقيايا إننى جاهدٌ غيرُ مؤتلِ

يقول وهذا بقياى ، قال قيل لشريك بن عبد الله كان معاوية حليما قال لوكان حليما ماسفه الحق ولاقاتل عليا ولوكان حليما ماحمل ابناء العبيد على حرمه ولما أنكح الا الاكفاء ، وأصوب من هذا قول الآخر كان معاوية يتعرض و يحلم اذا أسمع ومن تعرض للسفيه فهو سفيه ، وقال الآخر كان يحب أن يظهر حلمه وقد كان طار اسمه بذلك فكان يحب أن يزداد فى ذلك ، وقال الفرزدق

وكان يجيرُ الناسَ من سيف مالك فاصبح يبغى نفسهُ من يجيرها

وكانَ كعنز السوء قامت بظلفها الى مدية تحت التراب تثيرُها

وقال التوت اليمانى

على أيّ بابٍ اطلب الاذنَ بعدما حجبتُ عن الباب الذى أنا حاجبه

وهذا مثل قوله

والسببُ المانعُ حظَّ العاقل هو الذى سبب رزق الجاهل

ومثله

وَرُبَّتَ حزمٍ كان للسقم عِلةً وعلة برء الداء حظ المغفل

وقال آخر

يخيب الفتى من حيث يرزَقُ غيره ويعطى الفتى من حيث يحرَمُ صاحبه

وقال عثمان بن الحويرث لعمرو بن العاصى

له أبوان فهو يدعى اليهما وشرُّ العباد مَن له أبوان

وقد حكما فيه لتصديق أمه وكان لها علم به ببيان

فقالت صراحا وهى تعلم غيرَه ولكنها تهذِي بغير لسان

---

١ النعف ماانحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى وكويكب مسجد بين تبوك والمدينة
٢ البقيا بالضم اسم بمعنى البقاء والجاهد الطالب للشي حتى يبلغ غايته والمؤتلى المقصر

وقال الآخر

يطلبن بالقوم حاجاتٍ تضمنها بدر بكل لسان يلبسُ المدَحا

كأن فيض يديه قبلَ مسالةٍ بابُ السماء اذا مابالحيا انفتحا

وكلتَ بالدهر عينا غير غافلة من جود كفك تأسو كلما جرَحا

ومثله

اذا افتقر المنهالُ لم يُرَ فقرُه وان أيسر المنهالُ أيسرَ صاحِبه

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج ، وقال يزيد بن المهلب وكان فى سجن الحجاج لهفى على طلية بمائة ألف وفرج فى جبهة أسد وأنشد

ربما تجزَعُ النفوسُ من الامـ ـر له فرْجة (١) كحل العقال

وأنشد

كرهتُ وكان الخير فيما كرِهته واحببتُ أمرا كان فيه شبا القتل

وهذا مثل قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم ، وكان يقال خذ مقتصد العراق ومجتهد الحجاز وقال الآخر

لكل كريم من ألائِم قومه على كل حال حاسدُونَ وكشحُ

وقال جرير

انىَ لآملُ منك خيرا عاجلاً والنفسُ مولعةٌ بحب العاجل

وقال تبارك وتعالى قل ما أسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين وقال ابن هبرمة

أشمُّ من الذين بهم قريش تداوِى بينها عينَ القتيلِ

كان تلألؤ المعروف فيه شعاع الشمس فى السيف الصقيل

وقال امرؤ القيس

١ فرجة بفتح الفاء الخلوص من الشدة والضم فيها لغة

أجارتنا إن المزار قريب    وانى مقيمٌ ما أقام عسيبُ [١]
أجارتنا إنا غريبان ههنا    وكل غريب للغريب نسيب

وقال بشار

واذا أغرتَ فلا تكن جشعاً [٢]    تسمو لغث الكسب تكسبه

وقال حسان بن ثابت

أهدى لهمْ مدحى قلبٌ يوازرُه    فيما احب لِسانٌ حائِكٌ [٣] صنعٌ

وقال الاصمعى أنشدنا أبومهديه

ضحوا باشمطَ عنوانُ السجود به    يقطع الليلَ تسبيحا وقرآنا

وقال الخزرجى يرد على أبى قيس بن الاسلت واسمه صيفى

أتفخر صيفيٌّ فيما تقو    ل أن نلتمُ عيلةً أربعهْ
عرانينُ كلهم ماجدٌ    كثيرُ الدسائع والمنفعهْ
فهلا حضرتَ غداة البقيـ    ـع لما استمال أبو صعصعة
ولكن كرهتم شهودَ الوَغى    وكنتمْ كذلِكَ في المعمعهْ
سراعاً الى القتل في خفيةٍ    بطاءً عن القتل فى المجمعهْ

وأنشد الاصمعى

آتى النديَّ فلا يقرب مجلسى    واقود للشرف الرفيع حماريا

وقال حبيب بن أوس

كالخوط فى القدّ والغزالة فى البهـ    ـجة وابن الغزال في غيده
وما حكاه ولا نعيم له    فى جيدِه بل حكاه في حيدِه [٤]

١ عسيب اسم جبل ٢ الجشع من الجشع بالتحريك وهو أشد الحرص وأسوأه والفث لردىء ٣ لسان حائك : يقول قولا جزلا محكما والصنع محركا الحاذق فى صنعته ٤ الجيد بفتحتين طول العنق أودقتها مع طول

الى المفــدّى أبى يزيدّ الذى ... يضل غمر (١) الملوك في ثمـدِهْ
ظِـلُّ عفـاةٍ يحبُّ زائره ... حبّ الـكبير الصغير من ولدِهْ
اذا أناخـوا ببابه أخـذوا ... حكمهـم من لسانه و يـده

وقال أيضا

لعـمرك ماكانوا ثلاثة إخوةٍ ... ولـكنهم كانوا ثلاث قبائل

*( ومن خطباء الخوارج )*

قطرى ابن الفجاءة أحـد بنى كنانة بن حرقوص وكنيته أبو نعامة فى الحرب وفى السلم أبو محمد ، وهو أحد رؤساء الازارقة وكان خطيبا فارسا خرج زمن مصعب ابن الزبير و بقى عشرين سـنة وكان يدين بالاستعراض والسباء وقتـل الاطفال وكان آخر من بعث اليـه سفيان بن الابرد الكلبى ، وقتله سورة بن الجبر الدارمى من بنى أبان ابن دارم

*( ومن خطباء الخوارج )*

وشعرائهم وعلمائهم حبيب بن جـدرة عداده فى بنى شيبان وهو مولى لهلال بن عامر ، ومن علمائهم وخطبـائهم وأئمتهم الضحاك بن قيس أحـد بنى عمرو بن محلم ابن ذهل بن شيبان ويكنى أبا سعيد ، ملك العراق وصلى خلفه عبد الله بن عمر وعبد الواحد بن سليمان وقال شاعرهم

ألم تر أن الله أظهر دينـه ... وصلت قريش خلف بكر بن وائل

ومن علمائهم وخطبـائهم نصر بن ملحان وكان الضحاك ولاه الصلاة بالناس والقضـاء بينهم ، ومن علمائهم مليل وأصغر بن عبد الرحمن وأبو عبيدة كورين واسمه مسلم وهو مولى لعروة بن أذينة ، ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم وأهـل الفقه عمران بن حطان ويكنى أبا شهاب أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، ومن الخوارج من بنى ضبة ثم أحـد بنى صبيح القاسم بن عبـد الرحمن بن صديق

١ الغمر بالفتح الماء الكثير استعاره للعطاء والثمد بالتحريك هذا الماء القليل لامادة له استعاره أيضا للعطاء

وكان ناسبا ١ عالما داهيا ٢ وكان يشوب ذلك ببعض الظرف ، ومن علمائهم ونسابهم وأهل اللسن ٣ منهم الجون بن كلاب وهو من أصحاب الضحاك ومن رجالهم وأهل البيان والنجدة منهم خراشة وكان ركاضا ٤ ولم يكن اعتقد ، أخبرنى أبو عبيدة قال كان مسمار مستخفيا بالبصرة فتخلصت اليه فاخبرنى انه الذى طعن مالك بن على فى فيه وذلك انه فتح فاه يقول أنا أبو على فانحافاه فطعنه فى جوب فمه ، ومن شعرائهم عتبان ابن وصيلة الشيبانى وهو الذى يقول

ولا صلحَ مادامت منابر أرضنا    يقومُ عليها مِن ثقيفَ خطيب

وعن عيسى بن طلحة قال قلت لابن عباس أخبرنى عن أبى بكر قال كان خيرا كله على الحدة وشدة الغضب ، قال قلت أخبرنى عن عمر قال كان كالطائر الحذر قد علم انه قد نصب له فى كل وجه حبالة وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق ، قال قلت أخبرنى عن عثمان قال كان والله صواما قواما لم يخدعه نومه عن يقظته ، قال قلت فصاحبكم قال كان والله مملوأ حلما وعلما غرته سابقته وقرابته وكان يرى انه لايطلب شيئا الاقدر عليه ، قلت أكنتم ترونه محدودا قال أنتم تقولون ذاك

*( كلام فى الادب )*

قال معاوية مارأيت شرفا قط الاوالى جنبه حق مضيع ، وقال عثمان بن العاصى الناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، وقالت هند ابنة عتبة المرأة غل ولابد للعنق منه فانظر من تضعه فى عنقك ، وقال بن المقفع الدين رق فانظر عند من تضع نفسك ، وقال عمرو بن مسعدة أوثابت أبو عباد لاتستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفؤاد علمه ومن كانت غايته الاحتيال على مالك واطرائك فى وجهك فان هذا لايكون الا ردىء الغيب سريعا الى الذم

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى صدر هذا الجزء الثالث فى ذكرنا العصا ووجوه تصرفها وذكرنا من

---

١ الناسب ـ العالم بالمنسب ٢ الداهى ذوالدهاء وهو النكر وجودة الرأى ٣ اللسن محركا الفصاحة
٤ الركاض صيغة مبالغة من الركض وهو استحثاث الفرس للعدو وكأنه كان صنعة له

مقطعات كلام النساك ومن قصار مواعظ الزهاد وغير ذلك مما يجوز فى نوادر المعانى وقصار الخطب ونحن ذاكرون على اسم الله وعونه صدرا من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب ، فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته ، وبعض دعاء الملهوفين والنساك المبتلين ، قال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم قل مايعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ، وقال ادعونى أستجب لكم ، وقال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا ، وقال والمستغفرين بالاسحار ، قالوا كان عمرو بن معاوية العقيلى يقول اللهم قنى عثرات الكلام ، وقال اعرابى لرجل سأله جعل الله الخير عليك دليلا ولا جعل حظ السائل منك عذرة صادقة ، وقال بعض كرام الاعراب ممن يقرض الشعر ويؤثر الشكر

لعل مفيـدات الزمانِ يفدننى ... بنى صامتٍ فى غير شيء يضيرُها

وقال شيخ أعرابى اللهم لاتنزلنى ماء سوء فاكون امرأ سوء ، قال وسمعت عمر بن هبيرة يقول فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من صديق مطر وجليس مفر وعدو مسر ، قال كتب بن سيابة الى صديق له اما مستقرضا واما مستفرضا فذكر صديقه خلة شديدة وكثرة عيال وتعذر الامور ، فكتب اليه بن سيابة ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت مليما [1] فجعلك معذورا ، قال الأصمعى سمعت اعرابيا يقول أعوذ بك من الفواقر [2] والبواقر ومن جار السوء فى دار المقامة والظعن ومما ينكس برأس المرء ويغرى به لئام الناس ، قال الأصمعى قيل لخالد بن نضلة قال عبد يغوث بن وقاص ماأذم فيها الاغطينا ليس خالد بن نضلة ، يعنى مضر قال خالد اللهم ان كان كاذبا فاقتله على يد الأم حىّ فى مضر ، فقتله تيم الرباب ، قالوا وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة وآسى من كفاف وآثر من قلة ، وقال فى الأثر المعروف حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء ، ومن دعائهم أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر ، قال ومن دعاء السلف اللهم احملنا من الرجلة واغننا من العيلة ، وسأل اعرابى فقيل له بورك فيك فتوالى ذلك عليه من غير مكان فقال وكلكم الله الى دعوة لايحضرها نية ، وقال أعرابى أعوذ بك من سقم وعداوة ذى رحم ودعواه ومن فاجر وجدواه وعمل لاترضاه ، وسال أعرابى فقال له صبى من جوف الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلم

---

[1] الملم اللائم [2] الفواقر جمع فاقرة وهى الداهية . والبواقر جمع باقرة وهى الفتنة الصادعة للالفه الشاقة للعصا

الشر صغيرا ، وهذا السائل هو الذى يقول

رُبَّ عجوز عرمسٍ[١] زَبونِ　　سريعةِ الرّد على المسكين
تحسبُ أَنْ بوركها يكفينى　　اذا غدوتُ باسطاً يمينى

وقال آخر اللهم أعنى على الموت وكربته وعلى القبر وغمته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط وزلته وعلى يوم القيامة وروعته ، وقالت عجوز بلغها موت الحجاج اللهم أنت أمته فامت سنته ، وكان محمد بن على بن الحسين يقول اللهم أعنى على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى ، وقال عمرو بن عبيد اللهم اغننى بالافتقار اليك ولا تفقرنى بالاستغناء عنك ، وقال عمرو اللهم أعنى على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالعصمة ، قال ومرض عوف بن ابى جميلة فعاده قوم فجعلوا يثنون عليه فقال دعونا من الثناء وامدونا بالدعاء ، قال وسمعت عمر بن هبيرة يقول اللهم انى أعوذ بك من طول الغفلة وافراط الفطنة اللهم لاتجعل قولى فوق عملى ولا تجعل أسوأ عملى ماقارب من أجلى ، وقال أبو مذحج اللهم اجعل خير عملى ماولى أجلى ، ودعت أعرابية لرجل فقالت كبت[٢] الله كل عدو لك الا نفسك ، وقال يزيد بن جبل احرس أخاك الا من نفسه ، قال ودعا أعرابى فقال اللهم هب لى حقك وارض عنى خلقك ، قال وكان قوم نساك فى سفينه فى البحر فهاجت الريح بامر هائل فقال رجل منهم اللهم قد أريتنا قدرتك فارنا عفوك ورحمتك ، قال وسمع مطرف رجلا يقول استغفر الله وأتوب اليه فاخذ بذراعه وقال لعلك لاتفعل ، من وعد فقد أوجب ، وقال رجل لابن قنم كيف أصبحت قال ان كان من رأيك أن تسدخلتى وتقضى دينى وتكسو عورتى خبرتك والا فليس المجيب باعجب من السائل ، وقال آخر اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعل الاموال فى سمحائنا ، وقال أعرابى اللهم انك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا ، وقال أعرابى ورأى ابل رجل قد كثرت بعد قلة فقيل انه قد تزوج أمة فجاءته بناخجة مال ، فقال اللهم انا نعوذ بك من بعض الرزق ، أبو مجيب الربعى قال قال أعرابى جنبك الله الامرّين وكفاك شر الاجوفين ، الاجوفان البطن والفرج والأمران

---

١ العرمس بالكسر هو فى الاصل الناقة الصلبة والزبون بالفتح الدفوع لصعوبتها ٢ كبت الله العدو : أهانه وأذله

الجوع والعرى ، وجاء فى الحديث من وقى شر قبقبه [١] وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله ، وقال أعرابى منحكم الله منحة ليست [٢] بجداء ولا نكداء ولاذات داء ، قال قيل لابراهيم البجلى أى رجل أنت لولاحدة فيك قال أستغفرالله مما أملك واستصلحه مالا أملك ، وقال أعرابى ومات ابن له اللهم انى قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب لى ماقصر فيه من طاعتك ، قال لما صافّ قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع وقال انظروا مايصنع فقيل هاهو ذاك فى أقصى الميمنة جانحا على سية قوسه ينضنض بأصبعه نحو السماء ، قال قتيبة تلك الاصبع الفاردة [٣] أحب الى من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير ، أبو الدرداء قال ان أبغض الناس الى ان أظلمه من لم يستعن على الا بالله ، وقال خالد بن صفوان أحذروا مجانيق الضعفا ، يعنى الدعاء ، وقال لايستجاب الا لمخلص أومظلوم ، قال وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول اللهم ان ذنوبى لاتضرك وان رحمتك اياى لاتنقصك فاغفرلى مالا يضرك وأعطنى مالاينقصك ، وقال اعرابى اللهم انك حبست عنا قطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ورق العظم فارحم أنين الآنة وحنين الحانة اللهم ارحم تحيرها فى مراتعها وأنينها فى مرابضها ، قال وحجت أعرابية فلما صارت بالموقف قالت أسألك الصحبة يا كريم الصحبة وأسالك سترك الذى لاتزيله الرياح ولا تخرقه الرماح ، وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كم بين السماء الى الارض قال دعوة مستجابة ، فقالوا كم بين المشرق الى المغرب قال مسيرة يوم للشمس ومن قال غير هذا فقد كذب ، قال وحج اعرابى فقال اللهم ان كان رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الارض فأخرجه وان كان نائيا فقربه وان كان قريبا فيسره ، أبو عثمان اليقطرى عن عبد الله بن سلم الفهرى قال لما ولى مسروق السلسلة انبرى له شاب فقال لهوقاك الله خشية الفقر وطول الامل فلا تكونن دريئة للسفهاء ولا شينا للفقهاء ، وقال اعرابى فى دعائه اللهم لاتخيبنى وانا أرجوك ولا تعذبنى وأنا أدعوك اللهم فقد دعوتك كما أمرتنى فاجبنى كما وعدتنى ، وقال عبد الله بن المبارك قالت عائشة يا بنى لاتطلبوا ماعند الله من عند غير الله بما يسخط الله ، قال وقال رجل من النساك ان ابتليت ان تدخل مع ناس الى السلطان فاذا أخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء وقال الكذاب الحرمازى

---

١ القبقب . البطن . والذبذب الفرج . واللقلق اللسان ٢ الجداء فى الاصل الصغيرة الثدى أو الصغيرة الاذن الذاهبة اللبن . والنكداء التى لالبن لها . وكل هذا هنا مجاز ٣ الفاردة المنفردة

لاهمَّ ان كانتْ بنو عميره رهط التلبِّ دعوةٍ مستوره
قدْ أجمعوا لحلقةٍ مقصوره واجتمعوا كأنهمْ قارُورَهْ
فى غنمٍ وابلٍ كثيرهْ فابعثْ عليهمْ سنةً قاشورَهْ(٢)
تحتلق المالَ احتلاق النورَهْ

وقال أعرابى

لاهمَّ أنتَ الربّ تستغاثُ لك الحياةُ ولك الميراثْ
وقد دعاك الناسُ فاستغاثوا غِياثهمْ وعندك الغياثُ
لم يبقَ الا عِكرِشٌ(٣) انكاث وشِيحٌ أصولها مثاث
وطاحت الألبان والارماث

وكان سعد بن أبى وقاص يسمى المستجاب الدعوة ، وقال لعمر حين شاطره ماله لقد هممت ، فقال له عمر أن تدعو الله على قال نعم قال اذا لاتجدنى بدعاء ربى شقيا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من ذى طمرين ٤ لايؤبه له لوأقسم على الله لابره ، منهم البراء بن مالك وأجمع الناس اليه وقد دهمهم العدو فاقسم فمنحهم الله أكتافهم ، الأصمعى وأبو الحسن قالا أخبرنا ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه أوعن غيره قال بلغ سعدا شيء فعلمه المهلب فى العدو والمهلب يومئذ فتى فقال سعد اللهم لاتره ذلا ، فيرون ان الذى ناله المهلب بتلك الدعوة وقال آخر

الموت خيرٌ من رُكوب العار والعارُ خيرٌ من دخول النار
والله من هذا وهذا جارِى

---

١ لاهم : اللهم ٢ القاشورة منى السنين التى نزل فيها المطر الشديد الوقع فيقشر وجه الارض . والنورة بضم النون حجر الكلس ثم غلبت على اخلاط تضاف الى الكلس وتستعمل لازالة الشعر ٣ العكرش بالكسر نبات من الحمض آفة للنخل ينبت فى أصله فيهلكه . وانكاث منكوث . ومثات بالتشديد ندى . والارماث جمع رمث بالكسر مرعى للابل من الحمض وشجر يشبه الفضى ٤ ذى طمرين مثنى طمر بالكسر الثوب الخلق البالى . ولا يؤبه له : لايفطن له ولا يرفع قدره بين الناس لحقادته وهو انه عليهم

قالها حسين بن علي رضى الله تعالى عنهما ، وقال الآخر وكان قد وقع فى الناس وباء جارف وموت ذريع فهرب على حماره فلما كان فى بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعا الى حيه وقال

لن يسبق اللهُ على حِمار ولا على ذي ميعة مطار

قدْ يصبح الله أمام السارِى

وسمع مجاشع الربعى رجلا يقول الشحيح أعذر من الظالم فقال ان شيئين خيرهما الشح لناهيك بهما شرا ، قال المغيرة بن عنبسة سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا يقول فى دعائه اللهم اجعلنى من الاقلين ، قال له عمر ماهذا الدعاء قال سمعت الله يقول وقليل ماهم ، وسمعته يقول وقليل من عبادى الشكور ، فقال عمر عليك من الدعاء بما يعرف ، وقال ناس من الصحابة لعمر مابال الناس كانوا اذا ظلموا فى الجاهلية فدعوا أستجيب لهم ونحن لايستجاب لنا وان كنا مظلومين ، قال كانوا ولازاجر لهم الا ذاك فلما أنزل الله تبارك وتعالى الوعد والوعيد والحدود والقصاص والقود وكلهم الى ذلك ، وقال عمر رضى الله تعالى عنه فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا لساعة الايدعو الله فيها أحد الااستجيب له فقال له قائل أرأيت ان دعا فيها منافق ، قال فان المنافق لا يوفق لتلك الساعة ، ولما صعد المنبر قابضا على يد العباس يوم الاستسقاء لم يزد على الدعاء بالاستغفار فقيل له انك لم تستق وانما كنت تستغفر قال قد استسقيت [1] بمجاديح السماء ، ذهب الى قوله واستغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، وكان عمر حمل الهرمزان مع جماعة فى البحر فغرقوا ، قال بن سيرين لوكان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا ، قال محمد بن على لابنه يابنى اذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمدلله واذا حزبك أمر فقل لاحول ولاقوة الا بالله واذا أبطأ عنك الرزق فقل استغفرالله ، قالوا وكان محمد بن على لايُسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء ؛ قال قوم ليزيد بن أسد أطال الله بقاءك قال دعونى أمت وفىّ بقية تبكون بها علىّ ، رأى سالم بن عبد الله سائلا يسأل يوم عرفة فقال ياعاجزأ فى هذا اليوم تسأل غير الله ، قال كان رجل من الحكماء يقول فى دعائه اللهم احفظنى من الصديق وكان يقول اللهم اكفنى بوائق [2] الثقات ، حدثنى صديق لى كان ولى ضياع الرى قال قرأت على باب شيخ منهم جزى الله من لانعرف ولا يعرفنا أحسن الجزاء ولا

١ بمجاديح السماء : بانوائها ٢ بوائق جمع بائقة وهى النازلة والشر الشديد

جزى من نعرفه ويعرفنا الا ماهو أهله انه عدل لايجور ، وكان على رواشم ١ عمر ابن مهران التى يرشم بها على الطعام اللهم احفظه ممن يحفظه ، وقال المغيرة بن شعبة فى كلام له ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم ، أبو الحسن قال قالت امرأة من الاعراب اللهم انى أعوذ بك من شر قريش وثقيف وما جمعت من اللفيف ٢ وأعوذ بك من عبد ملك أمره ومن عبد ملا بطنه ، قال مر عمر بن عبدالعزيز برجل يسبح بالحصى فاذا بلغ المائة عزل حصاة فقال له عمر الق الحصى وأخلص الدعاء ، وكان عبد الملك بن هلال الهنائى عنده زنبيل ملآن حصى فكان يسبح بواحدة واحدة فاذا مل شيأ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فاذا مل قبض قبضة وقال سبحان الله بعدد هذا واذا مل شيأ قبض قبضتين وقال سبحان الله بعدد هذا فاذا ضجر أخذ بعروتى الزنبيل وقلبه وقال الحمد لله بعدد هذا واذا بكر لحاجة لحظ الزنبيل وقال الحمد لله عدد مافيه ، قال غيلان اذا أردت ان تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب ، قال سعيد بن المسيب مر بى صلة ابن أشيم فما تمالكت ان نهضت اليه فقلت له ياأبا الصهباء ادع الله لى ، فقال رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذى لاتسكن النفس الا اليه ولا تعوّل فى الدين الا عليه ، أبو الحسن قال سمع رجل بمكة رجلا يدعو لأمه فقال له مابال أبيك قال هو رجل يحتال لنفسه ، أبو الحسن عن عروة بن سليمان العبدى قال كان عندنا رجل من بنى تميم يدعو لابيه ويدع أمه ، فقيل له فى ذلك فقال أنها كلبية ، ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال اللهم اغفر لى قبل أن يدهمك الناس ، وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب الملحين فى الدعاء ، وقال آخر دعوتان أرجو أحداهما كما أخاف الاخرى دعوة مظلوم أعنته ٣ ودعوة ضعيف ظلمته ، قال وكان من دعاء أبى الدرداء اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا واجعلنا خيارا كلنا واذا ذهب الصالحون فلا تبقنا ، وقال آخر لبعض السلاطين أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلا نظرت فى أمرى نظر من برئى أحب اليه من سقمى ، قالوا وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول اللهم انك أمرتنا بما أمرتنا ولا نقوى عليه الا بعونك ونهيتنا عما نهيتنا ولا ننتهى عنه الا بعصمتك واقمة علينا حجتك غير معذورين فيما

١ الروشم الطابع الذى يختم به على الطعام ونحوه ٢ اللفيف الاخلاط ٣ أعنته : أوقعته فى العنت ومايشق عليه تحمله

بيننا و بينك ولا مبخوسين فيما عملنا لوجهك ، عبد العزيز بن أبان عن سفيان فى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم ، قال كان أحدهم اذا أراد أن يدعو قال سبحانك اللهم ، سفيان عن ابن جريج عن عكرمة قال فى قوله تعالى قد أجيبت دعوتكما ، قال كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فجعلهما الله داعيين ، قال ولما وقع يونس فى البحر وقد وكل به حوت فلما وقع ابتلعه فهوى به الى قرار الارض فسمع تسبيح الحصى فنادى يونس فى الظلمات أن لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، قال ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ، وقال الله تبارك وتعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ، وفى الحديث المرفوع ان من دعاء النبى عليه السلام أعوذ بك من قلب لايخشع و بطن لايشبع ودعاء لايسمع ، على بن سليم أن قيس بن سعد قال اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لاحمد الا بفعال ولامجد الا بمال ، وقال رجل فى مجلس الحسن ليهنك الفارس ، قال الحسن فلعله خاسر ، اذا وهب الله لرجل ولدا فقل شكرت الواهب و بورك لك فى الموهوب و بلغ أشده ورزقت بره ، أبو سلمة الأنصارى قال كان عمر بن عبد العزيز يقول ما أحسن تعزية أهل اليمن ، وتعزيتهم لايحزنكم الله تعالى ولا يفتنكم وأثابكم ما أثاب المتقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة ، قال كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه اذا عزى رجلا قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة الموت أشد ماقبله وأهون مابعده اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عندكم مصيبتكم صلى الله على محمد وعظم أجركم ، وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه اذا عزى قوما قال ان تجزعوا فاهل ذلك الرحم وان تصبروا ففى ثواب الله عوض من كل فائت وان أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد صلى الله عليه وسلم وعظم الله أجركم ، وعزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على بنى له مات ، فقال عوضك الله منه ماعوضه منك ، وهذا الصبى الذى مات هو الذى كان عمر بن الخطاب قال فيه ريحانة أشمها وعن قريب ولد بار أوعدو حاضر ، سفيان قال كان أبوذر يقول اللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا ، قال ودعا أعرابى فقال اللهم انى أعوذ بك من الفقر المدقع والذل المضرع ، عزت امرأة المنصور على أبى العباس مقدمه من مكة فقالت أعظم الله أجرك فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ولاعوض أعظم من خلافتك ، قالوا وقال عمر بن عبد

العزيز وقد سمعوا وقع الصواعق ودوى الريح وصوت المطر ، فقال وقد فزع الناس هذه رحمته فكيف نقمته ، وقال أبو اسحق اللهم ان كان عذابا فاصرفه وان كان صلاحا فزد فيه وهب لنا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء اللهم ان كانت محنة فمن علينا بالعصمة وان كان عقابا فمن علينا بالمغفرة ، وقال أبوذر الحمد لله الذى جعلنا من أمة تغفر لهم السيآت ولاتقبل من غيرهم الحسنات ، وكان الفضل بن الربيع يقول المسألة للملوك من تحية النوكى فاذا أردت أن تقول كيف أصبحت فقل صبحك الله بالخير واذا أردت أن تقول كيف تجدك فقل أنزل الله عليك الشفاء والرحمة ، قال أحمد الهجيمى أبو عمر أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد اللهم ياأجود الاجودين ويا أكرم الاكرمين ويا أعفى العافين ويا أرحم الراحمين ويا أحكم الحاكمين ويا أحسن الخالقين فرج عنى فرجا عاجلا تاماهنيئا مباركا لى فيه انك على كل شىء قدير ، وكان عبد الله الشقرى وهو الكعبى أحد أصحاب المضمار من غلمان عبد الواحد بن زيد وكنيته أبو محمد وكنية عبد الواحد أبو عبيدة يقول اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك اللهم هب لى يقينا وادم لى العافية وافتح علىّ باب رزقى فى عافية وأعوذ بك من النار والعار والكذب والسخف والخسف والقذف والحقد والغضب وحببنى الى خلقك وحببهم الىّ وأسألك فرجا عاجلا فى عافية انك على كل شىء قدير ،

## *( دعاء الغنوى فى حبسه )*

أعوذ بك من السجن والدين والسب والضرب ومن الغل والقيد ومن التعذيب والتجسيس وأعوذ بك من الحور [1] بعد الكور ومن شر العدو فى النفس والاهل والمال وأعوذ بك من الهم والارق ومن الهرب والطلب ومن الاستخذاء [2] والاستخفاء ومن الاطراد ولاغراب ومن الكذب والعضيهة ومن السعاية والنميمة ومن لؤم القدرة ومقام الخزى فى الدنيا والآخرة انك على كل شىء قدير ،

## *( ومن دعائه فى الحبس )*

أسألك طول العمر فى الامن والعافية والحلم والعلم والحزم والاخلاق الحسنة

١ الحور بفتح الحاء النقص . والكور بفتح الكاف الزيادة ٢ الاستخذاء الذلة والخضوع

السنية والافعال المرضية واليسر والتيسر والنماء والتمثير وطيب الذكر وحسن الاحدوثة والمحبة فى الخاصة والعامة وهب لى ثبات الحجة والتأييد عند المنازعة والمخاصمة و بارك لى فى الموت انك على كل شيء قدير ، وكان صالح المرى كثيرا مايردد فى مجلسه أعوذ بك من الخسف والمسخ والرجفة والزلزلة والصاعقة والريح المهلكة وأعوذ بك من جهد البلاء ومن شماتة الاعداء ، وكان يقول أعوذ بك من التعب والتعذر والخيبة وسوء المنقلب اللهم من أرادنى بخير فيسر لى خيره ومن أرادنى بشر فاكفنى شره اللهم أسألك خصب الرحل وصلاح الاهل ، وكان عيسى بن أبى المدور يقول أعوذ بك من الذلة والقلة ومن الاهانة والمهنة والاخفاق والوحدة وأعوذ بك من الحيرة وقلة الحيلة وأعوذ بك من جهد البلاء وشماتة الاعداء ، محمد بن عبد الله قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة ، قال الله تعالى ادعونى أستجب لكم ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة لقوله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول لقوله تعالى واستغفر الله ان الله غفور رحيم ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كونوا أوعية الكتاب و ينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم ، و روى محمد بن على عن آبائه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا سألتم الله فسلوه بباطن الكفين واذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما ، وقال آخر اللهم انى أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر ، أبو سعيد المؤدب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سلوا ربكم حتى الشسع [1] فانه ان لم ييسره لم يتيسره ، سحيم عن طاوس قال يكفى من الدنيا مايكفى العجين من الملح ، قال سأل رجل رجلا حاجة فقال المسؤل اذهب بسلام فقال السائل قد أنصفنا من ردنا الى الله فى حوائجنا ، مجالد عن الشعبى قال قال النبي ، صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم أذهب ملك غسان [2] وضع مهور كندة ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لكل شيء رأس و رأس المعروف تعجيله

﴿ القول ﴾ فى انطاق الله تعالى اسمعيل بن ابراهيم صلى الله على نبينا وعليهما بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريب والتدريج وكيف صار عربيا أعجمى الابوين وأول من عليه أن يقر بهذا القحطانى فانه لابد من أن يكون له أب كان أول عربى من جميع بنى آدم صلى الله تعالى عليه وسلم ولولم

١ الشسع بالكسر قبالة النعل ٢ غسان أبو قبيلة باليمن منهم ملوك غسان كانوا بالشام . وكندة بالكسر لقب ثور بن عفير أبو حى من اليمن

يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربيا حتى يكون أبوه عربيا وكذلك أبوه وكذلك جده ، كان ذلك موجبا لان يكون نوح صلى الله عليه وسلم عربيا وكذلك آدم عليه السلام ، قال أبو عبيدة حدثنا مسمع بن عبد الملك عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن آبائه قال أول من فتق لسانه بالعربية المبينة اسمعيل وهو بن أربع عشرة سنة ، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شهدت الفجار [1] وأنا ابن أربع عشرة سنة وكنت أنبل على عمومتى ، يريد أجمع لهم النبل ، قال أبو عبيدة فقال له يونس صدقت يا أبا يسار هكذا حدثنى نصر بن طريف ، وروى قيس بن الربيع عن بعض أشياخه عن بن عباس ان الله ألهم اسمعيل العربية الهاما ، وقال الله تبارك وتعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، قال قد يرسل الله الرسول الى قومه ولو أرسل فى ذلك الوقت الى قوم آخرين لما كان الثانى ناقضا للاول ، واذا كان الامر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ثم يصيرون حجة على غيرهم ، واذا كان الله عز وجل قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العجم فضلا عن العرب فقحطان وان لم يكونوا من قومه أحق بلزوم الغرض من سائر العجم ، وهذا الجواب جواب عوام النزارية فاما الخواص الخلص فانهم قالوا العرب كلهم شيء واحد لان الدار والجزيرة واحدة والاخلاق والشيم واحدة وبينهم من التصاهر والتشابك والاتفاق فى الاخلاق وفى الاعراق من جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء فهم فى ذلك شيء واحد فى الطبيعة واللغة والهمة والشمائل والمراعى والراية والصناعة والشهوة ، فاذا بعث الله عز وجل نبيا من العرب فقد بعثه الى جميع العرب وكلهم قومه ولانهم جميعا يد على العجم وعلى من حاربهم من الامم لان تناكحهم لا يعدوهم وتصاهرهم مقصور عليهم ، قالوا والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ربما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرحم ، نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لامه وأبيه ، وربما كانت أشبه به خلقا وخلقا وأدبا ومذهبا فيجوز ان يكون الله تبارك وتعالى حين حول اسمعيل عربيا ان يكون كما حول طبع لسانه الى لسانهم وباعده من لسان العجم ان يكون أيضا حول سائر غرائزه وسلخ سائر طبائعه فنقلها كيف أحب وركبها كيف

[1] الفجار ايامه أربعة كلها كانت فى الاشهر الحرم كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكانت الدبرة فيها على قيس

شاء ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الاخلاق المحمودة واللسان البين بما لم يكن عندهم وكما خصه من البيان بما لم يخصهم به فكذلك يخصه من تلك الاخلاق ومن تلك الدلائل بما يفوقهم ويروقهم فصار باطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب وبما نقل من طبائعه ونقل اليه من طبائعهم وبالزيادة التى أكرمه الله بها أشرف شرفا وأكرم كرما ، وقد علمنا أن الخرس والاطفال اذا دخلوا الجنة وحولوا فى مقادير البالغين والى الكمال والتمام لايدخلونها الا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة ، ولا يكون ذلك الا على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم ، وعلى ذلك المثال كان كلام عيسى بن مريم صلى الله تعالى على نبينا وعليه فى المهد ، وانطاق يحيي على نبينا وعليه السلام بالحكمة صبيا ، وكذلك القول فى آدم وحواء على نبينا وعليه السلام ، وقد قلنا فى ذئب أهبان بن أوس وغراب نوح وهدهد سليمان وكلام النملة وحمار عزير ، وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته وسخره لمعرفته ومشيئته ، وانما يمتنع البالغ من المعارف من قبل أمور تعرض من الحوادث وأمور فى أصل تركيب الغريزة ، فاذا كفاهم الله تلك الآفات وحصنهم من تلك المواضع ووفر عليهم الذكاء وجلب اليهم جياد الخواطر وصرف أوهامهم الى التعرف وحبب اليهم التبين وقعت المعرفة وتمت النعمة ، والموانع قد تكون من قبل الاخلاط الاربعة على قدر القلة والكثرة والكثافة والرقة ، ومن ذلك مايكون من جهة سوء العادة واهمال النفس فعندها يستوحش من الفكرة ويستثقل النظر ، ومن ذلك مايكون من الشواغل العارضة والقوى المتقسمة ، ومن ذلك مايكون من خرق المعلم وقلة رفق المؤدب وسوء صبر المثقف ، فاذا صفى الله ذهنه ونقحه وهذبه وثقفه وفرغ باله وكفاه انتظار الخواطر وكان هو المفيد له والقائم عليه والمريد لهدايته لم يلبث ان يعلم ، وهذا صحيح فى الاوهام غير مدفوع فى العقول وقد جعل الله الخال أبا ، وقالوا الناس بازمانهم أشبه منهم بآبائهم ، وقد رأينا اختلاف صور الحيوان على قدر اختلاف طبائع الاماكن وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات ولذلك قالوا فلان ابن بجدتها ١ وفلان ابن بيضة البلد يقع ذما ويقع حمدا ، وقال زياد والله للكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم ، ويقولون ماأشبه الليلة بالبارحة ، كانهم قالوا ماأشبه زمان يوسف بن عمر بزمان الحجاج ، وقال سهل بن عمرو أشبه امرأ بعض بزه ، وقال الأضبط بن قريع بكل

١ البجدة دخلة الامر وباطنه وقول العرب هو بن بجدتها معناه العالم بالشيء الحاذق به

واد بنو سعد ، ولولا ان الله عز وجل أفرد اسماعيل من العجم وأخرجه بجميع معانيه الى العرب لكان بنو اسحاق أولى به ، وانما ذلك كرجل قد أحاط علمه بان هذا الطفل من نجل هذا الرجل ، ولكن لما كان من سفاح لم يجزان يضيفه اليه ويدعوه اياه وقد جعل الله نسب ابن الملاعنة نسب أمه وان ولد على فراش أبيه ، وقد أرسل الله موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون وقومه والى جميع القبط وهما أمتان كنعانى [1] وقبطى ، وقد جعل الله قوم كل نبي هم المبلغين والحجة ، ألا ترى انا نزعم ان عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة اعلام العرب العجم انهم كانوا عن ذلك عجزة ، وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خصصت بأمور منها انى بعثت الى الأحمر [2] والأسود واحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض طهورا ، فدل بذلك على ان غيره من الرسل أنما كان يرسل الى الخاص ، وليس يجوز لمن عرف صدق ذلك الرسول من سائر الامم ان يكذبه وينكر دعواه ، والذى عليه ترك الانكار والعمل بشريعة النبي الاول ، هذا فرق ما بين من بعث الى البعض ومن بعث الى الجميع * انقضى الباب

قال وقال حباب بن المنذر يوم السقيفة انا جذيلها [3] المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم كررناها جذعة [4] منا أمير ومنكم أمير فان عمل المهاجرى شيأ فى الانصارى رد ذلك عليه الانصارى وان عمل الانصارى شيأ فى المهاجرى رد عليه المهاجرى ، فاراد عمر الكلام فقال أبو بكر على رسلك [5] نحن المهاجرون أول الناس اسلاما وأوسطهم دارا وأكرم الناس أحسابا وأحسنهم وجوها وأكثر الناس ولادة فى العرب وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فانتم اخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الفيء وأنصارنا على العدو وآويتم ونصرتم وآسيتم فجزاكم الله خيرا نحن الامراء وأنتم الوزراء ولاتدين العرب الالهذا الحى من قريش وأنتم محقوقون [6] أن لاتنفسوا على اخوانكم من المهاجرين ماساق الله اليهم ، قالوا فانا قد رضينا وسلمنا ، عيسى بن نذير قال قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه

---

١ الكنعانيون أمة تكلمت بلغة تضارع العربية وهم أولاد كنعان بن سام بن نوح عليه السلام . والقبط بالكسر أهل مصر وبنكها ٢ الاحمر هنا الابيض ٣ الجذيل مصغر جذل بالكسر وهو عود ينصب للجربى تحتك به وصفره للتعظيم . والعذيق مصغر عذق بالفتح وهو النخلة بحملها . والمرجب الذى بنى تحته رجبة يعتمد عليها وهذا الكلام كناية عن جودة رأيه وشدة بأسه ٤ الجذعة بالتحريك اسم لولد الشاة فى أى زمن وليس بسن تثبت أو تسقط هذا وقد طفئت حرب بين قوم من العرب فقال أحدهم ان شئتم أعدناها جذعة ٥ على رسلك بالكسر كلمة تقال فى طلب الرفق والتؤدة ٦ أنتم محقوقون

نحن أهل الله وأقرب الناس بيتا من بيت الله وأمسهم رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان هذا الامر ان تطاولت اليه الخزرج لم تقصر عنه الاوس وان تطاولت اليه الاوس لم تقصر عنه الخزرج وقد كان بين الحيين قتلى لاتنسى وجراح لاتداوى فان نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي أسد يضغمه المهاجرى ويجرحه الانصارى ، قال ابن دأب فرماهم والله بالمسكتة ، من حديث بن أبى سفيان بن حويطب عن أبيه عن جده قال قدمت من عمرتى فقال لى أهلى أعلمت أن أبا بكر بالموت ، فاتيته فاذا عيناه تذرفان فقلت ياخليفة رسول الله اما كنت أول من أسلم وثانى اثنين فى الغار فصدقت هجرتك وحسنت نصرتك ووليت فاحسنت صحبتهم واستعملت خيرهم عليهم ، قال وحسنا ماصنعت قلت نعم والله ، قال والله لله أشكر له وأعلم به ولا ننعنى ذلك من أن أستغفر الله مما خرجت حتى مات ، أبو الخطاب الزرارى عن حجناء بن جرير قال قلت ياأبت انك لم تهج أحدا الا وضعته الاالتيم ، قال انى لم أجد حسبا فاضعه ولابناء فاهدمه ، قال وقيل للفرزدق أحسن الكميت فى مدائحه فى تلك الهاشميات قال وجد آجرا وجصا فبنى ، عامر بن الاسود قال دخل رجل من ولد عامر بن الظرب على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال له خبرنى عن حالك فى جاهليتك وعن حالك فى اسلامك قال أما جاهليتى فما نادمت فيها غير ملة ولاهممت فيها بامة ولاخمت فيها عن بهمة ولارآنى راء الا فى ناد أوعشيرة أوحمل جريرة أوخيل مغيرة ، عوانة قال قال عمر الرجال ثلاثة رجل ينظر فى الامور قبل ان تقع فيصدرها مصدرها ورجل متوكل لاينظر فاذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم ورجل حائر بائر لايأتمر رشدا ولايطيع مرشدا ، قال كلم علباء بن الهيثم السدوسى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حاجة وكان أعور دميما جيد اللسان حسن البيان فلما تكلم فى حاجته فاحسن ، صعد عمر بصره فيه وحدره فلما ان قام قال لكل اناس فى جميلهم خبر ، أخبرنا عيسى بن يزيد عن أشياخه قال قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان وا أبتاه وبكت فقال معاوية ياابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره وان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ولان تكونى ابنة عم أمير

١ : أنتم جديرون . وملومون أن لاتنفسوا . يقال نفس عليه بخير اذا حسده ونفس عليه كذا اذا لم يره أهلا له

المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض [١] المسلمين ، وقالت عائشة ابنة عثمان فى أبان بن سعيد بن العاصى حين خطبها وكان نزل بأيلة وترك المدينة

نزلت بيت الضبّ لاأنت ضائرٌ    عدوّاً ولا مستنفعٌ أنت نافعٌ

أبو الحسن قال قال سلامة بن روح الجذامى لعمرو بن العاص انه كان بينكم و بين العرب ناب فكسرتموه فما حملكم على ذلك ، قال أردنا ان نخرج الحق من جفير الباطل ، قدم ببيعة على الى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربى فبايع أبو موسى فقال عمار لعلى والله لينقضن عهده وليحلن عقده وليفرنّ جهده وليسلمن جنده ، وقال على فى رواية الشعبى حملت اليكم درة عمر لاضربكم بها لتنتهوا فابيتم حتى اتخذت الخيزرانة فلم تنتهوا وقد أرى الذين يريدون السيف ولاتى لاصلحكم بفسادى ، كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الاعراب ونوادر الاشعار لما ذكرت عجبك بذلك فاحببت ان يكون حظ هذا الكتاب فى ذلك أوفر ان شاء الله تعالى ، قال أبو العرف الطهوى

وأفى الوفودُ فوافي من بني جملٍ    بكرُ الوفادة فانى السن عرزُومُ[٢]
كزّ[٣] الملاَطين في السربال حين مشى    وفي المجالس لحاظٌ رُزاميم
لما رأى الباب والبواب أخرجه    لؤم مخالطه جبن وتجزيمُ[٤]
فذ كانَ لى بكم عِلم وكانَ اسكم    ممشىً وَراءَ ظهورِ القومِ معلومِ

وقال الحارث بن حلزة قال أبو عبيدة الباقى مصنوع

يا أيها المزمِع ثم انثنَى    لا يثنك الحازى[٥] ولا الشاحِجُ
ولا قعيدٌ[٦] أعضبٌ قرنُهُ    هاجَ له من مرتع هائج
بينا الفتى يسعى ويسعى له    تاح[٧] له من أمرة خالج

---

١ يقال فلان من عرض الناس : من عامتهم ٢ العرزوم الشديد المجتمع ٣ الكز بالفتح اليابس المتقبض . والملاطان جانبا السنام ٤ التجزيم الجبن والعجز ٥ الحازى المتكهن الزاجر والشاحج الغراب ٦ القعيد ماأتى من خلفك من ظبي أوطائر . والاعضب المكسور القرن الداخل ٧ تاح له الشيء تهيأ له وقدر . وخالج : مضطرب متحرك

يـترك مارفح [١] من عيشـه ... يعبث فيـه همـج هامج
قلت لعَـمْرٍو حـين أرسـلته ... وقد حبَى [٢] من دوننا عالج
لا تـكسع [٣] الشول باغبارها ... إنك لاتدرى من الناتِجُ
واصبب لاضيافك ألبانها ... فان شر اللبن الوالج [٤]

وقال زبان بن يسار بن عمرو بن جابر

تخبر طيرَة فيها زيادٌ ... لتخبره وما فيها خبير
أقام كأنّ لقمانَ بن عادٍ ... أشار له بحكمته مشير
تعـلم أنه لاطـيرَ الا ... على متطير وهو الثبور
بلى شيءٌ يوافقُ بعضَ شيء ... أحايينًا وباطله كثير
ومن يُنْزَح به لابد يوما ... يجيء به نعيٌّ أو بشيرُ

وقال بعض الاعراب

تحيبةُ بطال [٥] لدُنْ شبّ همه ... لعابُ الغوانى والمدامُ المشعشعُ
جلا المسكُ والحمامُ والبيضُ كالدما ... وطيبُ الدهان رأسه فهو أنزعُ
أُسيلم ذاكمْ لاخفا بمكانه ... لعـين تدجّي أو لأذن تسمعُ
من النفرِ الشم الذين إذا انتدوا ... وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا
اذا النفر السود اليمانون نمنموا ... له حوكَ بُردَيه أطالوا وسعوا

وقال بعض الأعراب

١ الرفاحة الكسب والتجارة وترفيح المال اصلاحه وحسن القيام عليه . وهج هامج توكيد ومعناه الرعاع والاخلاط ٢ وقد حبا : دنا وقرب . وعالج موضع به رمل ٣ كسع الناقة بغبرها : ترك بقية من لبنها فى خلفها يريد بذلك تغزيرها . والشول جمع شائل وهى من الابل ماأتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها . والاغبار جمع غبر بالضم بقية كل شيء ٤ الوالج . لعله من توليج المال وهو جعلك اياه فى حياتك لبعض ولدك فيتسامع به الناس فينقعدون عن سؤالك ٥ بطال كشداد شجاع تبطل جراحته فلايكترث لها

البانُ .. بل ثعلة بن مسافر ... مادامَ يملكها عليَّ حرامُ
وطعامُ عمران بن أوفي مثله ... مادام يسلكُ في البطونِ طعامُ
إن الذين يسوغ في أحلاقهم ... زادٌ يمنُّ عليهم لِلئامُ
لعنَ الآله ثعلة بن مسافرٍ ... لعنا يشنُّ عليه من قدامُ

وقال بعض الأعراب

نجيبة قوم شادها القتُّ(١) والنوا ... بيثرب حتى نيها متظاهرُ
فقلتُ لها سيري فما بك علة ... سنامك ملموم(٢) ونابك فاطِرُ
فمثلكِ أو خيرا تركت رزية ... تقلبُ عينيها اذا مرّ طائرُ

وقال بعض الاعراب مجهول الاسم وهو من جيد محدث أشعارهم

حفرنا على رَغم اللهازم(٣) حفرةً ... بيطن فليح والاسنةُ جنحُ
وقد غضبوا حتى اذا ملأوا الرُّبى ... رَأوا ان إقراراً على الضيم أروَحُ

وقال رجل من محارب

وقائلةٍ تطوفُ في جدَادٍ(٤) ... وَأنتَ إخالُ معطىً لو تقومُ
فقلت الضاربات الطلح وَهنا ... على عِناى اذ وضح النجوم
قصرْنَ عليَّ بعدَ اللهِ فقرى ... فلاَ أسلُ الصديقَ ولا ألومَ

وقال بعض الطائيين وهو حاتم

وَانى لأستحيي حياءً يسرُّنى ... اذا اللؤمُ من بعضِ الرِّجالِ تطلعا
إذا كان أصحابُ الاناء ثلاثةً ... حييا ومستحيا وكلبا مجشعا
فانى لاستحيي أكيلي أن يرى ... مكان يدي من جانب الزاد اقرعا(٥)

---

١ ألقت نبات يابس ترعاه الابل ٢ الملموم المجتمع المدور المضموم ٣ اللهازم لقب بنى تيم الله بن ثعلبة ٤ فى جداد يريد فى زمن جداد النخل وهو قطع ثمره ٥ أقرعا : يقال قرع فلان مكان يده من الطعام : أخلاه . ومكان يده أقرع : خال

أكفّ يدِي من ان تمسَّ أكفهم ... اذا نحن أهوَينا وحاجتنا معا
وانك مهما تعط بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذمّ أجمعا

قال وأظنها لبعض اليهود

واني لأستبقي اذا العسر مسني ... بشاشةَ وجهي حين تبلَى المَنافِعُ
فاعفي ثرا قومي ولو شئتُ نولوا ... اذا ما تشكى الملحفُ المتضارِعُ
مخافة ان أُقلَى اذا جئتُ زائرا ... وترجعني نحو الرِّجالِ المطامعُ
فأسمعَ منّاً أو اشرفَ منعما ... وكلّ مصادِي نعمةٍ متواضِعُ

وقال بعض بني أسد

ألا جعل اللهُ اليمانِينَ كلهمْ ... فِدًي لفتي الفتيان يحيي بن حيان
ولولا عريقٌ فيّ من عصبيةٍ ... لقلتُ وألفا من معدِّ بن عدنانِ
ولكنَّ نفسي لم تطب بعشيرتي ... وطِبتُ له نفسا بابناء قحطانِ

وقال ثروان أوابن ثروان مولى لبني عذرة

ولو كنتُ مولى قيس عيلان لم تجد ... عليَّ لإنسان من الناس درهما
ولكنني مولى قضاعة كلها ... فلست أبالى ان أدِينَ وتغرما
أولئكَ قومي بارك الله فيهم ... على كل حال ما أعفّ وأكرما
جفاةُ (١) المحزّ لا يصيبونَ مفصلا ... ولا يأكلونَ اللحم الا تخذّما

وقال آخر

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالك ... ويا ابنةَ ذِي البردين والفرس الوَرْد
اذا ما عملت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فاني لستُ آكله وَحدِي

---

١ جفاة المحز · الجفاة جمع جاف وهو الكز الغليظ . والمحز بكسر الميم الرجل الغليظ الكلام والتخذم التقطع

كريماً قصياً أو قريباً فإنني　　أخافُ مذماتِ الأحاديثِ من بعدِى
وكيف يشبع المرء زاداً وجاره　　خفيفُ المعى بادِى الخصاصةِ والجهدِ
وللمَوْتُ خيرٌ من زيارة باخل　　يلاحظ أطرافَ الاكيل على عمدِ
وانى لعبدُ الضيفِ مادامَ ثاوِيا　　وما فىَّ الا تلكِ من شيمة العبدِ

وقال ابن عبدل

ولوشاء بشرٌ كانَ من دونِ بابهِ　　طماطمُ(١) سودٌ أو صقالبةٌ حمرُ
ولكنَّ بشراً سهل البابَ للتى　　يكون لبشر عندها الحمد والاجر
بعيدُ مرادِ العينِ ماردٌ طرفهُ　　حذارَ الغواشى باب دار ولا سترُ

وقال بعض الحجازيين

لو كنتُ أحملُ خمراً يوم زرتكم　　لم ينكر الكلبُ أنى صاحبُ الدّار
لكنْ أتيتُ وَرِيحُ المسكِ يفغمني(٢)　　والعنبر الوردُ اذكيه على النارِ
فأنكر الكلبُ ريحى حين أبصرنى　　وكان يعرِفُ رِيحَ الزّق والقارِ

وقال ابن عبدل

نعم جار الجزيرةَ المرضِعُ الغرْ　　ثى اذا ماغدا أبو كلثومِ
طاوِياً قد أصاب عندصديق　　من غداءِ ملبقٍ مأدُومِ
ثم انحى بجعرهِ حاجبَ الشمـ　　ـسِ فألقى كالمعلفِ المهدُومِ

وقال حبيب بن أوس

وحياةُ القريضِ إحياؤكَ الجـ　　ودَ فانْ ماتَ الجوادمات القريضُ
يامحبّ الإحسانِ فى زمنٍ أصـ　　ـبحَ فيه الإحسانُ وهو بغيضُ

١ الطماطم جمع طمطم بالكسر ٠ من فى لسانه عجمة والصقالبة جيل من الناس تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين البلغار والقسطنطينية ٢ فغمه الطيب كمنع فغما وفغوما سد خياشمه

وقال

ثم أطرحتم قراباتى وآصرَتى حتى توهمتُ انى من بنى أسدِ
وطلعةُ الحمد أقلى فى عيونهمِ وفى صدورهم من طلعة الاسد

وقال

إياكَ يعنى القائلونَ بقولهم انَّ الشقيَّ بكل حبلٍ يخنقُ
من شاعر وقفَ الكلامُ ببابهِ واكتن فى كنفي ذُراهُ المنطقُ
سرْ حيثُ شئتَ من البلاد فلى بها سورٌ عليكَ منَ الرجال وخندق
قد ثقفت منه الشآم وسهلتْ منه الحجاز ورققته المشرقُ

وقال

بنو عبدِ الكريم نجومُ ليل ترى فى طيٍ أبداً تلوح
اذا كان الهجاءُ لهم ثوابا فخبرنى لمن خلقَ المديحُ

وقال

أىُّ شىءٍ يكون أَحسن من صـ ـبِّ أديب متيم بأديب

وقال

نقلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوَى ماالحبُّ الا للحبيب الأول
كم منزلٍ فى الارض يألفه الفتىَ وحنينهُ أبداً لاول منزلِ

وقال

اشربْ فانك سوف تعلم انه قدحٌ يصيبُ العرضَ منهُ خُمار
عاداكَ أسوارُ الكلام بشردٍ عون القريض حتوفها ابكارُ
غر رمتىَ ماشئت كن شواهدى إن لم يكنْ لى والدٌ عطارُ

وقال سلمة بن الحرث الانمارى

أبلغْ سبيعا وأنت سيدنا قدماً وأوفي رجالنا ذمما

أن بغيضاً وأنْ اخوَتها ذُبيانَ قد ضرَّموا الذى اضطرما
نبئتُ أن حكموكَ بينهم فلا يقولُنَّ بئسَ ما حكما
ان كنت ذاعرفةٍ [١] بشأنهم تعرفُ ذا حقهمْ ومنْ ظلما
وتنزلُ الامرِ فى منازلهِ حزماً وعزما وتحضر الفهما
ولا تبالى من المحقّ ولا المبـ ـطل لا ألـة [٢] ولا ذِمما
فاحكم فأنتَ الحـكيم بينهم لن يعدموا الحكم ثابتاصتما [٣]
واصـدَعْ أدِيم السواء بينهـم على رضا من رضى ومن رغما
ان كانَ مالاً ففضَّ عدَّتهُ مالاً بمالٍ وانْ دماً فدَما
هذا وان لمْ تطقْ حكومتهمْ فانبذ اليهم أُمورَهم سلما

وقال آخر

أبلغ ضرارا أبا عمرو مغلغلة [٤] أنْ كلُّ قولك ظهرَ الغيب يأتينا
ارهنْ قبيصةَ انْ صلحٌ هممتَ بهِ إنَّ ضرارا لكم رَهنٌ بما فينا
إنَّ ضحيكا قتيلٌ من سراتكم وانّ حطانَ منافاعدلوا الدِّينا [٥]
وانهَ عبيدًا فلا يؤذى عشيرتهُ نهيكَ خيرُ له من نهى ناهينا

وقال آخر

بنى عدىّ ألا ينهى سفيهكم إنّ السفيهَ اذا لم ينهَ مأمورُ

وقال حضرمى بن عامر الاسدى ومات أخوه فقال جزء قد فرح باكل الميراث

قد قال جزء ولم يقل جللاَ [٦] انى تروحتُ ناعما جذِلاَ

---

١ العرفة • بالكسر المعرفة ٢ الالة بالفتح السلاح أو جميع اداة الحرب • والذمم جمع ذمة وهى العهد والكفالة ٣ انصتم بالتحريك هنا وان كان الاكثر فيه السكون أصله الغليظ الشديد الصلب ٤ مغلغلة : رسالة محمولة من بلد الى آخر ٥ الدين بالكسر الجزاء ٦ الجلل محركة هنا الامر الحقير الهين

إن كنتَ ازننتنى (١) بها كذباً ... جزءُ فلاقيتَ مثلها عجِلاَ
أفرحُ أن أرزأ الكرامَ وأنْ ... أورثَ ذَوداً (٢) شصائصاً نبلاَ

وقال حريث بن سلمة بن مرارة

تقولُ ابنةُ العمرىِ لما رأيتها ... تنكرتَ حتى كدتُ منكَ أُهالُ
فان تعجبِي مني عمير فقد أتتْ ... ليالٍ وأيامٌ عليّ طوالُ
وانى لِمن قوم تشيبُ سراتهم ... كذاكِ وفيهم نائل وفعالُ
ولو لقيتْ ما كنت آتى من العدَى ... اذاً سالَ مِنها مفرقٌ وقذالُ
ولكنها فى كلة (٣) كل شتوة ... وفي الصيف كِنٌّ باردٌ وحجالُ
تصانُ وتعل المسك حتى كأنها ... إذا وضعتْ عنها النصيفَ (٤) غزالُ

وقال بعض الخوارج لامرأنه وأرادت أن تنفر معه

ان الحرورية (٥) الحرَّ اذا ركبوا ... لا تستطيعُ لهم أمثالكِ الطلبا
انْ يركبوا فرسا لا تركبي فرسا ... ولا تطيقى مع الرَّجالةِ الخببا

وقال خزز بن لوذان لامرأنه فى شبيه بهذا

لا تذكرى مهرى وما أطعمته ... فيكونُ جلدُكِ مثلَ جلد الأجرب
ان الغبوقَ له وأنتِ مسوءة ... فتأوّهي ماشئتِ ثم تحوبى
كذبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ بارد ... ان كنتِ سائلتى غبوقاً فاذهبى
إنى لاخشَى أن تقولَ خليلتى ... هذا غبارٌ ساطعٌ فتلببي

١ ازننتنى : اتهمتنى يقال ازننت فلانا بكذا اتهمته به ٢ الذود الثلاثة من الابل الى العشرة وفيه خلاف أهل اللغة ولا يكون الامن الاناث . والشصائص جمع شصوص وهى الناقة قل لبنها وذهب . والنبل بالتحريك فى الاصل صغار المدر والحجارة استعير هنا للابل ٣ الكلة بالكسر الستر الرقيق أو غشاء رقيق يتوقى به من البعوض . والكن بالكسر البيت . والحجال جمع حجلة بالتحريك موضع يزين بالثياب والستور للعروس ٤ النصيف كأمير الخمار ٥ الحرورية طائفة من الخوارج وهم نجدة وأصحابه

إنَّ العدوّ لهم اليكِ وسيلةٌ إن ياخذوكِ تكحلي وتخضبي

ويكون مركبكِ القعودَ وحدجه(١) وابن النعامةِ يومَ ذلك مركبي

وأنا امرؤ إن ياخذوني عنوةً أُقرنْ إلى شر الركاب وأجنبِ

وأراد اعرابي أن يسافر فطلبت اليه امرأته ان تكون معه فقال

انكِ لوسافرتِ قد مَذِحْتِ وحكّكِ الحنوانِ(٢) فانفتحتِ

وقلتِ هذا صوتُ ديكٍ تحتي

المذح سجح احدى الفخذين بالاخرى وفي شبيه بهذا المعنى الاول يقول عمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة

وأعجبها من عيشها ظلُّ غرفة وَريانُ ملتف الحدائق أخضرُ

وَوالٍ كفاها كلَّ شيء يهمها فليست لشيء آخر الدهر تسهرُ

وقال سلامة بن جندل هذه الابيات وبعث بها الى صعصعة بن محمود بن عمرو ابن مرثد وكان أخوه أحمر بن جندل أسيرا في يده فاطلقه له

سأجزيكَ بالودّ الذي كان بيننا أصعصعَ اني سوف أجزيكَ صعصعا

ساهدي وان كنا بتثليثَ مدحةً اليكَ وان حلتَ بيوتكَ لعلعا(٣)

فان يكُ محمودٌ أباكَ فاننا وجدناكَ محمودَ الخلائق أروعا

وان شئتَ أهدينا ثناءً ومدحةً وان شئتَ أهدَينا لكم مائةً معا

قال الثناء والمدحة أحب الينا ، وقال أوس بن حجر حين حبس وأقام عند فضالة بن كندة وتولت خدمته حليمة ابنة فضالة شاكرا لذلك

لعمركَ ماملتْ ثواء ثوابها حليمة اذ ألقى مرابِيَ مقعد

ولكن تلقتْ باليدَين ضمانتي(٤) وَحلَّ بفلج(٥) فالقنافذِ عوّدي

---

١ الحدح بالكسر مركب للنساء كالمحفة ٢ الحنوانمثنى حنو بالكسر كل عود معوج أوكل مافيه اعوجاج من البدن ٣ لعلع جبل أوموضع أوماء بالبادية . وتثليث موضع ٤ الضمانةالمرض يلزم الانسان بمكانه ٥ فلج موضع بين البصرة وضرية . وقنافذجمع قنفذوهو المجتمع المرتفع من الرمل

وقد غبرت شهرىْ ربيعٍ كليهما بحمل البلايا والخباء الممددِ
ولم تلهها تلك التكاليفُ أنها كما شئتَ من أُكرومةٍ وتخردِ
هى ابنة أعراق كرام نميتها الى خلقٍ عفوٍ برازنه قد
ستجزيكِ أو يجزيك عنا مثوبٌ وحسبك ان يثنى عليك وتحمد

وقال الحزمى

ولم أجزِه الا المودةَ جاهِداً وحسبك منى ان أودفاجهدا

وقال الاسدى

وانى أحب الخلد لو استطيعه وكالخلد عندي ان أموتَ ولم الَمْ

وقال الحادرة

فاثنو علينا لاأبا لابيكم بإحساننا ان الثناء هو الخلدُ

وأنشد الاصمعى لمهلهل

فقتلا بتقتيل وعقرا بعقركم جزاء العطاء لايموتُ من اثأرْ

وضاف أبو الشليل العنبرى بنى حكم ، نخذا من عنزة فقال ١

أرانى فى بنى حكم قصياً علىَّ فتراً زُورٌ ولا أزارُ
أناس يا كلون اللحم دونى وتأتينى المعاذر والقتار (٢)

وقال آخر

اذا مد ارباب البيوت بيوتهم على رُجح الأكفال ألوانها زهر
فان لنا منها خباء يحفنا اذا نحن أمسينا المجاعةُ والفقرُ

وقال آخر وهو أبو المهوش الاسدى

تراهُ يطوفُ الآفاق حرصا ليأ كل رأس لقمان بن عاد

وقال أيضا

---

١ الفتر الرمقة من العيش ٢ القتار بالضم ريح القدر أو الشواء

وَبنو الفقيم قليلة أحلامهم     ثطٌ (١) اللحا متشابهو الالوان
لو يسمعون با كلة أو شربة     بعمان أصبح جمعهم بعمان
متأبطين بنيهم وبناتهم     صعر الانوف لريح كل دخان

وقال آخر

وجيرةٍ لن تري فى الناس مثلهم     إذا يكون لهم عيدٌ وإفطار
إن يوقدُوا يوسعونى من دخانهم     وليس يبدو لنا ماتنضجُ النارُ

وقال أبو الطروق الضبي فى خاقان بن عبد الله بن الأهتم

وَشكّ الناسُ في خاقانَ لما     أتى لولاده سنةٌ وشهر
وقالتْ أُختــه انى براء     الى الرحمن منك وذاك نكرُ
ولم يسمع بحمل قبل هذا     أتى من دونه دهرٌ ودهرُ
فنافرها فالحقه شبيبٌ     وأثبته فتاب عليه وَفرُ

وقال مكى بن سوادة البرجمى

تحير اللؤمُ يبغى منْ يحالفه     حتى تناهىَ الى أبناء خاقان
أزرَى بكم يابنى خاقانَ أنكم     من نسلَ حجامة من قِنّ هزّانِ
سفاكةٍ لدماء القوم آكلةٍ     قِدْما لأموالهم من غير سلطانِ
لو تسألونَ بها أيوبَ جاءكم     على الذى قلتُ أيوبُ ببرهانِ
أيام تعطيه خرجاً (٢) من حجامتها     يوما فيوما توفيه بارُبانِ (٣)
فان رددتم عليه مايقول أتى     على مقالته فيها بتبيانِ
ثم اشتراها أبو خاقان حين عست     فالتقطت نقطة منه باقطانِ

---

١ الثط بالضم جمع أثط وهو قليل شعر اللحية ٢ الخرج الاتاوة ٣ أربان بضم الهمزة لغة فى العربون

فاستدخلتها ولا يدرى بما فعاث حتى اذا ركضت جاءت بخاقان

وقال اللعين المنقرى فى آل الاهتم

وكيف تسامونَ الكرام وأنتم دوارج حبر يون فدع القوائم

بنو ملصق من ولد حذلم لم يكن ظلوما ولا مستنكرا للمظالم

وقال آخر

قالتْ عهدتك مجنونا فقلتُ لها إن الشباب جنون برْؤه الكبرُ

وقال اعرابى وهو أبو حية النميرى

رَمتنى وسِتر الله بينى وبينها عشية أرأم الكناس رَمِيمْ

ألا رُبَّ يوم لو رمتنى رميتها ولكنّ عهدى بالنضال قديمُ

رَمِيمُ التى قالتْ لجارات بينها ضمنتُ لكم ان لا يزالَ يهيمُ

وقال أبو يعقوب الاعور

بقلبي سقام لستُ أُحسن وصفه على أنه ما كان فهو شديدُ

تمر به الايامُ تسحبُ ذيلها فتبلى به الأيامُ وهو جديدُ

وقال الثقفى

من كان اذا عضد يدركْ ظلامته إن الذليل الذى ليستْ له عضدُ

تنبو يداه اذا ماقلّ ناصرُه ويأنفُ الضيمَ إنْ أثرى له عددُ

وقال أشجع السلمى فى هارون أمير المؤمنين

وعلى عدوك ياابن عم محمد رَصدان ضوءُ الصبح والإظلامُ

فاذا تنبه رعته واذا هدي سلّتْ عليه سيوفك الأحلامُ

وقال

انتجع الفضلَ أو نخلّ من الـ ـدُّنيا فهاتان غايتا الهمم

وقال

ابت طَبَرستانُ الا الذى يعم البرية من دائها
ضممتَ مناكبها ضمة رَمتك بما بين أحشائها

وقالوا لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظا بهيا الا أخذه الا بيت عنترة

فترى الذّبابَ بها يغنى وحده غرِداً كفعل الشارب المترنم
هزِجاً (١) يحك ذراعه بذراعه فِعلَ المكبّ على الزّناد الأجذَمِ

وقال الفقيمى قاتل غالب أبي الفرزدق

وما كنت نواما ولكنّ ثائرا أَناخَ قليلا فوقَ ظهرِ سبيل
وقد كنتُ مخزونَ اللسان ومفحماً (٢) فاصبحتُ أذرِى اليومَ كيفَ أقولُ

وقال أبو المثلم الهذلى

أصخرُ بن عبد الله إن كنتَ شاعرا فانك لا تُهدى القريض لِمُفحَمِ

وقال الهذلى

على عبد بن زُهرة طو لَ هذا الدهر أنتحبُ
أخٌ لى دُونَ من لى مِنْ نى عمى وإن قرُبوا
طوَى من كان ذا نسب الىّ وزاده النسب
أبو الأضياف والايتام ساعةَ لا يعدُّ أب
الا لله دَرّك من فتى قوم اذا ركبوا
وقالوا من فتى للثغر يرقبنا ويرتقب *
فكنت أخاهم حقا اذا تدعي لها تثب

---

١ هزجا بالكسر من الهزج محركا وهو صوت من الاغانى وفيه ترنم ٢ المفحم بصيغة المبنى للمجهول من عى بقول الشعر

وقـد ظهر السوابع فيـ ـهم والبيض واليلب[1]
أقام لدى مدينـة آ ل قسطنطين وانقلبوا
نجيباً حين يدعىَ إنّ آباء الفـتي نجبُ

وقال أدهم بن محرز الباهلى

لما رأيت الشيب قد شانَ أهله تفتيتُ وابتعتُ الشبابَ بدرهم

وقال آكل المرار الملك

إن من غرّهُ النساء بشيء بعدَ هِند لجاهِلٌ مغرُور
حلوة العين واللسان ومرٌّ كلّ شيء يجنّ منها الضمير
كل أنثي وان بدَتْ لك منها آيةُ الحب حبها خيتعور[2]

وقال طفيل الغنوى

إنّ النساء كاشجار نبَتْنَ معا منها المرارُ وبعضُ المرِ مأكول
ان النساء متى يُنهَيْنَ عن خلق فانه واجبٌ لابدَّ مفـعول

وقال علقمه بن عبدة

فان تسألونى بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
اذا شابَ رأسُ المرء أو قلّ مالهُ فليس له من ودهن نصيب
يردنَ ثراءَ المالِ حيثُ علمنه وشرخُ الشباب عندهن عجيبُ

وقال أبو الشغب السعدى

أبعدَ بني الزهراء أرجو بشاشةً من العيش أو أرجو رخاء من الدهر
غطارفةٌ[3] زهرٌ مضوا لسبيلهم ألهفي على تلك الغطارفة الزهرِ
يذكرُ نيهمْ كلُّ خير رأيتهُ وشر فما أنفك منهم على ذكرِ

١ اليلب محركة الترسة أو الدروع من الجلود ٢ الخيتعور مالايدوم على حالة ٣ غطارفة جمع غطريف بالكسر السيد الشريف السخى السرى

وقال أبو حزامة فى عبد الله بن ناشرة

ألا لاقتىً بعد ابن ناشرةَ الفتى ... ولا خير الاّ قد تولىّ وأدبرا

وكانَ حصادا للمنايا أزدرعنه ... فهلا تركْنَ النبتَ ما كان أخضرا

لحا اللهُ قوماً أسلموك ورفعوا (١) ... عناجيجَ أعطتها يمينك ضمرا

أما كان فيهم فارسٌ ذو حفيظةٍ (٢) ... يرى الموت فى بعض المواطن أعذرا

يكر كما كر الكُلَيْبِيُّ بعدما ... رأي الموتَ تحدوه الأسنة أحمرا

فكرَّ عليه الوردَ يدمي لبانهُ ... وما كرّ الا رهبةً أن يعيرا

وقال أعرابى

رعاكِ ضمانُ الله ياأمّ مالك ... ولله أن يشفيكِ أرعى وأوسعُ

يذكرنيك الخيرُ والشرُّ والذى ... أخافُ وارجو والذى أتوقعُ

وقال دريد بن الصمة

وقالوا الاتبكى أخاكَ وقد أرى ... مكانَ الأسى لكنْ بنيتُ على الصبر

فقلت اعبدَ الله أبكى أم الذي ... على الجدَثِ الباقي قتيلَ أبى بكر

وعبدَ يغوث أو يميني خالدا ... وعزّ المصابَ وضعُ قبر الى قبر

أبى القتلُ الا آل صِمة إنهم ... أبو غيره والقدرُ يجرى الى القدرِ

* فإما ترينا ماتزالُ دماؤنا ... لدي ثائرٍ يسعى بها آخرَ الدّهر

فإنا للحم السيف غيرَ نكيرةٍ ... ونلحمه حينا فليس بذى نكر

يغارُ علينا واترينَ فيشتفى ... بنا انْ أُصبنا أَو نغير علىَ وترِ

قسمنا بذاكِ الدهرَ شطرَينِ بيننا ... فلاَ ينقضى الا ونحنُ على شطرِ

وقال آخر

١ رفعوا عناجيج : باعدوها فى الحرب والعناجيج جياد الخيل والابل ٢ الحفيظة الحمية والغضب.

اذا ماتراهُ الرجال تحفظوا ... فلم تُنطقِ العوراء[1] وهو قريبُ

حبيب الى الزوار غِشيانُ بيته ... جميلُ المحيا شبَّ وهو أديبُ

فتىً لايبالى أن يكونَ بجسمه ... اذا نال خلات الكرام شحوبُ[2]

حليم اذا ماالحلمُ زَين أهله ... مع الحلم فى عينِ العدوّ مَجيبُ

حليفُ الندَى يدعو الندَى فيجيبهُ ... قريباً ويدعوه الندى فيجيبُ

يبيتُ الندَى ياامَّ عمرو ضجيعهُ ... اذا لم يكنْ فى المنقيات حلوبُ

يقول اذا كان الجدب ولم يكن للمال لبن فهو وهوب مطعام فى هذا الزمن والمنقيات المهازيل التى ذهب نقيهن والنقى مخ العظام وشحم العين وجمعه انقاء وناقة منقية أى ذات نقى وقال آخر

ألا ترَينَ وقد قطعتنى عذَلاً ... ماذا من الفوت[3] بين البخل والجودِ

إلا يكنْ وَرِقٌ يوماً أجودُ بها ... لِلمعتفين[4] فانى لين العودِ

والى هذا ذهب ابن يسير حيث يقول

لايعدَمُ السائلون الخيرَ أفعله ... إما نوالى وإما حسنُ مَرْدُودِى

وقال الهذلى

وَهابٌ مالا تكادُ النفسُ ترسلهُ ... من التلادِ[5] وَصولٌ غيرُ مَنانِ

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى ومن الشوارد التى لاأرباب لها قوله

إن يفخرُوا أو يغدرُوا ... أو يبخلوا لم يحفلوا

يغدُوا عليك مرَجليـ ... ـن كأنهم لم يفعلوا

كأبى براقش[6] كلّ لو ... ن لونه يتحيلُ

---

١ العوراء الكلمة القبيحة ٢ الشحوب تغير اللون من هزال أوجوع أوسفر ٣ الفوت فى الاصل الفرجة بين أصبعين ٤ المعتفين : جمع معتف وهو كل طالب فضل أورزق ٥ التلاد ماولد عندك من مالك أونتج ٦ أبو براقش طائر صغير يرى كالقنفذ أعلى ريشه اغر واوسطه احمر واسفله اسود فاذا هيج انتفش فتغير لونه الوانا شتى

ومثله فى بعض معانيه

أُكولٌ لأرزاق العباد اذا شتا ... صبورٌ على سوء الثناء وقاحُ

وقال

وما نفى عنك قوما أنت خائفهم ... كمثل وقمك [١] جهالا بجهال

فاقعس إذا حدبوا واحدَب اذا قعسوا ... وَوازِنِ الشرّ مِثقالاً بمثقال

وقال الراجز

وقد تعللتُ ذَميلَ [٢] العنسِ ... بالسوط فى دَيمومةٍ كالتُرْسِ

إذ عرَّجَ الليلُ بروْح الشمس

وقال الراجز

قد كنت اذ حبلَ صِباك مدمش [٣] ... وإذأها ضيب الشباب تبغش

وقال الراجز

طال عليهن تكاليف السرَى ... والنصُّ فى حين الهجير والضحى

حتى عجاهن [٤] قما تحت العجى ... رَواعِب يخضبن مبيضَ الحصي

سمع ذلك ابن وهيب فرام مثله فقال

يخضب مرواً دماً نجيعا ... من فرط ماتنكبُ الحوامى [٥]

وقال عامر ملاعب الاسنة

دفعتكم عنى وما دفع راحةٍ ... بشىء اذا لم يستعن بالانامل

يضعضعنى حلمى وكثرةُ جهلكم ... علىّ وأنى لا أصول بجاهل

وقال آخر

لابد للسؤدد من أرماح ... ومن سفيهٍ دائِم النباحِ

١ الوقم القهر والذلة اوالرد اقبح الرد ٢ الذميل السير الين ماكان اوفوق العنق • والعنس الناقة الصلبة ٣ المدمش كأنه من الدمش بالتحريك وهو الهيجان والثوران من حرارة اوشرب هواء هذا ماعثرت عليه الان فى اللغة . وتبغش : تتطاير كأنها هباء ٤ المعاجاة ان تؤخر الام رضاع الولد عن مواقيته ٥ الحوامى ميامن الحافر ومياسره

ومن عديد يتقى بالراحِ

وقال أبو نخيلة لبعض سادات بنى سعد

وان بقوم سوّدوك لفاقةً　　الى سيدلو يظفرُون بسيد

وتمثل سفيان بن عيينة وقد جلس على مرقب عال وأصحاب الحديث مدى البصر يكتبون ، بقول الآخر

خلت الديارُ فسدت غير مسوَّدٍ　　ومن الشقاء تفرُّدِي السؤددُ

وقال الاول فى الاحنف

وان من السادات من لو أطعته　　دعاك الى نار يفورُ سعيرُها

وقال آخر

فاصبحتَ بعدَ الحلم فى الحيّ ظالماً　　تخمطُ فيهم والمسوَّدُ يظلم

وقال رجل من بنى الحرث بن كعب يقال له سويد

انى إذا ماالامرُ بينَ شكه　　وبدت بصائرُه لمن يتأملُ

وتبرّأ الضعفاء من إخوانهم　　وألحّ من حرٌ الصميم الكلكلُ

أدعُ التى هى أرفقُ الحالاتِ بى　　عند الحفيظةِ للتي هِيَ أجملُ

وقال الآخر

ذهبَ الذين أُحبهم فرَطا　　وبقيتُ كالمغمورِ فى خلفِ

من كل مطوِيّ على حنقٍ　　متصنع يُكفَى وَلا يكفى

وقال أبو الطمحان القينى

فكم فيهم من سيد وابن سيد　　وفي بعقدِ الجارِ حِينَ يفارقهْ

يكادُ الغمام الغرُّ يرغبُ ان يرَى　　وُجوهَ بنى لأمٍ وَينهلّ بارِقهْ

وقال طفيل الغنوى

وكان هرَيم من سِنان خليفةً　　وَعمرٍو ومن أسماء لما تغيبوا

نجومُ سماءٍ كلّ ما انقضّ كوكب　　　بدا وانجلت عنه الدُّجنة كوكبُ

وقال رجل من بنى نهشل

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم　　　قِيلُ الكماة الا أين المحامونا
لو كان فى الألف مِنا واحدٌ فدعوا　　　من عاطف(١) خالهم إياه يدعونا(٢)
وليس يذهبُ منا سيد أبدا　　　إلا افتلينا(٣) غلاما سيدا فِينا

وقال بعض الحجازيين

إذا طمعٌ يوماً عرانى فرَبته　　　كتائب يأسٍ كرّها وَطرادها
أكدّ ثمادِى(٤) والمياهُ كثيرةٌ　　　أعالجُ منها حفرَها واكتدادَها
وأرضى بها من بحر آخر إنهُ　　　هوَ الرّى ان ترضى النفوسُ ثمادَها

وقال ٥ أبو محجن الثقفى

ألمْ تسألْ فوارسَ مِنْ سليمٍ　　　بنضلةَ وَهو موتوزٌ مشيحُ
رَأوْه فازدرَوْه وهو خِرقٌ　　　وينفع أهله الرّجل القبيحُ
فلم يخشوا مصالتهُ عليهم　　　وتحت الرّغوة اللبنُ الصريحُ
فكر عليهم بالسيف صلتا　　　كما عضّ الشبا الفرسُ الجموحُ
فأطاق غل صاحبه وأردى(٦)　　　جرِيحاً منهم ونجيَ جريحُ

وقال ٧ بعض اليهود

سئمتُ وأمسيتُ رَهنَ الفرا　　　ش ومن حمل قوم ومن مغرَمِ
ومِنْ سفهِ الرأى بعد النهى　　　ورمتُ الرشاد فلم يفهم

١ من عاطف . الرواية من فارس ٢ يدعونا . الرواية يعنونا ٣ الا افتلينا . يقال افتليت القوم وفليتهم تأملتهم بعينيك وتخللتهم حتى تلق رجلا تطلبه ٤ اكد ثمادى ٠ الكد نزع الشيء باليد يكون فى الجامد والسائل ٥ وقال ابو محجن الثقفى . الصواب ان هذه الابيات لنضلة السلمى قالها يوم غول وكان حقيرا دميما الا انه كان ذا نجدة وباس وان الرواية الم تسل الفوارس يوم غول الخ ٦ واودى ٠ جريحا الرواية قتيلا ٧ وقال بعض اليهود ٠ هذه الابيات لعمرو بن معديكرب الزبيدى

فلو ان قومى أطاعو الحليم　　ولم تتعـد ولم تظـلم
ولـكن قومي أطاعوا السفيه　　حتى تعكظَ [1] أهلُ الدّم
فأودى السفيهُ برأي الحليم　　فانتشر الأمرُ ولم يبرَم

وقال بعض الشعراء

وكنتُ جليسَ قعقاعِ بنِ شوزٍ　　ولا يشـقي بقعقاعٍ جليسُ
ضحوكُ السن ان-أمرُوا بخير　　وعند الشر مِطراق عبوسُ

وقال آخر

ولستُ بزمجةٍ [2] فى الفراش　　وَجأبةَ يحتمى ان يجيبا
ولا ذى قلازمَ [3] عند الحياض　　اذا ماالشريبُ أرابَ الشريبا

وقال حجل بن نضلة

جاء شقيـقٌ عارضاً رُمحه　　إنّ بنى عمك فيهـم رماحْ
هل أحدث الدهر لنا نكبة　　أم هل رَقتْ أم شقيق سِلاحْ

وقال

وَيلُ أمّ لذات الشباب معيشةً　　مع الكثر يعطاهُ الفتى المتلف الندي
وقد يقصر القلُّ الفتى دُونَ همه　　وقدكان لولا القلُّ طلاّعَ أنجدِ

وقال الآخر

قامتْ تخاصرنى بقنتها　　خودَ تأطرُ غادةٌ بِكرُ
كلٌّ يرَى أنّ الشبابَ له　　فى كل مبلغ لذة عذْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة وهو من قديم الشعر وصحيحه

الا انما هذا السلالُ الذى ترى　　وَإِدبارُ جسمي من ردَى العثراتِ

---

١ تعكظ اهل الدم: اجتمعوا وازدحموا ٢ الزمجة بضم الزاى وتشديد الميم كالزمج اللئيم الضعيف — والجأبة والجاب كل غليظ جاف ٣ قلازم جمع قلزمة بالفتح: وهى اللؤم والصخب

وكم من خليل قد تجلدتُ بعده ... تقطعُ نفسى دونه حسرَاتِ

وقال الطرماح فى هذا المعنى

وشيبنى أنْ لاأزالَ مناهِضاً ... بغير ثرًي أسرُو به وأبوعُ

أمحترَمى ريبُ المنون ولم أنل ... من المال ماأعصى به وأطيعُ

وقال الاضبط بن قريع

لـكل همّ من الهمـوم سـعه ... والمسىُ والصبح لافلاح معهْ

فصل حبال البعيد إن وصلَ الـ ... ـحبل وأقص القريبَ إن قطعهْ

لاتحقرَنّ الفقيـرَ علكَ أن ... تركعَ يوما والدهرُ قد رفعهْ

قد يجمع المـالَ غير آكله ... ويأكل المـالَ غيرُ من جمعهْ

وقال اعرابى ونحر ناقة فى حطمة ١ اصابتهم

أكلنا الشوىَ(٢) حتى اذا لم نجد شوًى ... أشرنا الى خِيرَاتِها بالأصابِـعِ

وللسّيفُ أحرَى أن تباشِر حدَه ... من الجوع لاتثنى عليه المضاجعُ

لعـمرك ماسليتُ نفسا شحيحة ... عن المال فى الدنيا بمثل مجاوِعِ

وقدم ناقة له أخرى الى شجرة ليكون المحتطب قريبا من المنحر فقال

أدنيتها من رأس عشـاء(٣) عشـة ... مفصلةِ الأقنـان صهبٍ فرُوعها

وقلتُ لهـا لـما شددْتُ عِقالهـا ... وبالـكف ممهاةٌ(٤) شديدٌ وقوعها

لقد عنيتْ نفسى عليـك شـحيحةً ... ولـكن يسخي شحةَ النفس جوعها

وقال أسقف نجران

منع البقاء تصرفُ الشمس ... وطلوعها من حيث لاتمسى

---

١ الحطمة بالفتح وبضم السنة الشديدة ٢ الشوى بالفتح رذال المال ٣ العشاء الضامرة الناحلة والعشة بالفتح الشجرة اللئيمة المنبت الدقيقة القضبان ٤ المهاة الشفرة تمهى وتحدد يقال مها الشفرة يمهيها وامهاها حددها

وطلوعها بيضاءَ صافيـــةً　　وغروبها صفراءَ كالوَرْسِ
اليـومَ نعـــلمُ مايجيء به　　ومضى بفصلِ قضائه أمسِ

وقال آخر

وهلك الفتي أن لا يراحَ الى الندي　　وأن لا يرَي شيأ عجيبا فيعجبا
ومن يبتغى منى الطلاعة يلقنى　　اذا ما رآنى اصلع الرأس أشيبا

وقال سحيم بن وثيل الرياحى

تقولُ حدراءُ ليس فيكَ سوى الخمـ　　ـرِ معابٌ يعيبـــه أحـدُ
فقلتُ أخطأتِ بل معاقرتى الخمـ　　ـرَ وَبذلى فيها الذى أجدُ
هو الثنـاء الذى سمعتِ به　　لاسبدٌ [1] مخلدي ولا لبدُ
ويحك لولا الخمورُ لم أحفلِ العيـ　　ـشَ ولا أنْ يضمنى لحـدُ
هِىَ الحيا والحياةُ واللهوُ لا　　أنتِ ولا ثروةٌ ولا ولدُ

وقال عبد راع

غضبتْ على لان شربتُ بجزَةٍ [2]　　فلئن أبيت لاشربنْ بخرُوفِ
ولئن نطقتِ لاشربنَ بنعجةٍ　　حمراء من آل المذال سحوف [3]

وقال

ناحتْ رُقيةُ من شاة شربتُ بها　　ولا تنوحُ على مايأكل الذئبُ

*( وقال أبو حفص القريعى )*

قد تغربتُ للشـقاوة حينا　　حـين بدلتُ للسعادة نوقا

---

١ السبد بالتحريك القليل من الشعر واللبد محركا الصوف والعرب تقول فلان ماله سبد ولا لبد : لا قليل ولا كثير ٢ الجزة بالكسر ماجز من الصوف ٣ سحوف : كثيرة طرائق الشحم التى بين أطراف الجنب المتصلة بالاضلاع

يوم فارقتُ بلدتى وقرارى … وتبدلت سوءَ رأيٍ وموقا[1]

ليت عندى بخيرِ معزاى عِشراً[2] … طيلسانا من الطراز عتيقا

وبخمسٍ منهن أيضا قميصا … سابريا[3] أميسُ فيه رقيقا

قد هجرتُ النبيذَ مذهنَّ عندى … وتمززتُ[4] رسلهن مذيقا

فوجدتُ المذيقَ يوجعُ بطني … ووجدتُ النبيذ كان صديقا

يعدُ النفسَ بالعشىّ مناها … ويسلُّ الهمومَ سلاً رفيقا

وكان فتى طيب من ولد يقطين لايصحو وكان فى أهله روافض يخاصمون فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال

رُبَّ عقارٍ باذرنجيةٍ[5] … اصطدتها من بيت دهقان

حندرت أرواحا وطيبتها … بعد اتساخ طال فى الحان

سكتا[6] وسلتا لم يخض فى أذى … من قتل عثمان بن عفانِ

ولا أبى بكر ولا طلحة … ولا زُبير يوم عثمان

الله يجزيهم بأعمالهم … ليس علينا علمُ ذا الشانِ

وقال المنخل اليشكرى

ولقد شربتُ من المدا … مةِ بالصغير وبالكبير

ولقد شربتُ الخمر بالخيـ … ـلِ الإناث وبالذكورِ

فاذا سكرتُ فاننى … رب الخورنقِ[7] والسدِير

١ الموق بالضم الحمق فى غباوة يقال هو أحمق مائق ٢ العشر بالكسر القطعة من كل شىء ٣ السابرى الذى يرغب فيه بادنى عوض أو الثوب الرقيق الجيد ٤ تمززت تمصصت والمذيق كأمير اللبن الممذوج بالماء ٥ باذرنجية لعلها نسبة الى الباذروج بفتح الذال وهى بقلة تقوى القلب جدا وتقبض الا أن تصادف فضلة فتسهل والعرب كثيرا ماتغير فى النسب ٦ سكتا وسلتا . كأنه دعاء عليه . والسكت السكوت والسلت جدع الانف بالسيف ونحوه ٧ الخورنق قصر للنعمان الاكبر والسدير كأمير نهر بناحية الحيرة

واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير

يارب يوم للمنخل قد لها فيه قصير

وقال بعضهم لزائر له وآه يومئ الى امرأنه وهو أبو عطاء السندى

كلْ هنيأً وما شربتَ مريئا ثم قمْ صاغراً فغيرُ كريم

لاأحبّ النديمَ يومضُ (١) بالعين اذا ماخلا بعرسِ النديم

وقال وتعرضت له امرأة صاحبه

رب بيضاء كالقضيب تثني قد دعتني لوصلها فأبيتُ

ليس شاني تحرجا غير اني كنتُ نُدمانَ زوجها فاستحيتُ

وقال آخر

فلا والله لاالفي وشرباً أنازعهم شرابا ماحييتُ

ولا والله ماألفي بليل أراقب عرسَ جارى مابقيتُ

سأترك ماأخاف علىّ منه مقالته وأجمله السكوت

أبى لىَ ذاكَ آباءٌ كرام وأجدادُ بمجدهم ربيت

وقال السحيمى

ومالى وجه فى اللئام ولا يدُ ولكن وجهى في الكرام عريضُ

أهشّ اذا لاقيتهم وكأنى اذا أنا لاقيتُ اللئامَ مريضُ

وقال ابن كناسة

فىّ انقباضٌ وحشمةٌ (٢) فاذا لاقيتُ أهل الوفاء والكرم

خليتُ نفسى على سجيتها وقلتُ ماقلتُ غير محتشم

وقال عبد الرحمن بن الحكيم

وكأسٍ ترى بين الاناء وبينها قذَي العين قد نازعتُ أمّ أبان

١ يومض بالعين : يشير بها اشارة خفية ٢ الحشمة بالكسر الحياء والانقباض

ترى شاربيها حين يعتقبانها (١) يميلان أحيانا ويعتدلان

فما ظن ذا الواشي بابيض ماجد وبدّاء خود حين يلتقيان

وقال الرماح بن ميادة وكان الاصمعي يقول ختم الشعر بالرماح وأظن النابغة أحد عمومته

الارُبّ خمار طرقت بسدفةٍ من الليل مرتاداً لندماني الخمرا

فانهلته خمراً واحلف انها طلاء خلال كي يحماني الوزرا

وقال آخر

ولقد شربت الخمر حتى خلتني لما خرجت أجر فضل المئزر

قابوس (٢) أوعمرو بن هند قاعدا يجبي له ما بين دارة قيصر

في فتية بيض الوجوه خضارم عندَ الندام عشيرهم لم يخسر

وقال ابن ميادة

ومعتقٍ حرمَ الوُقودَ كرامة كدم الذبيح تمجه أوداجه

ضمنَ الكروم له أوائل حمله وعلى الدنان تمامه ونتاجه

وأنشد اللاحق لبعض الروافض

اذا المرجئُ سرك ان تراه يموت بدائه من قبل موته

فجدد عنده ذكرى عليّ وصل على النبي وأهل بيته

وقال بعضهم في البرامكة

إذا ذكر الشركُ في مجلس انارت وجوهُ بنى برمكِ

وان تليت عِندهم آية أتوا بالأحاديثِ عن مزدكِ

وقال آخر

لعنَ اللهُ آل برمكَ انى صِرتُ من أجلهم أخا اسفارِ

---

١ يعتقبانها : يتناوبانها ٢ قابوس. لعله أراد ابو قابوس كنية النعمان ابن المنذر

ان يكُ ذو القرنين قد مسح الأر ضَ فإني موكل بالعيارِ

وقال آخر

إنّ الفراغَ دعاني * الى ابتناء المساجدْ * وإنّ رأيي فيها * كرأي يحي بن خالدْ

وقال أبو الهول في جعفر بن يحيي

أصبحت محتاجا الى الضرب في طلب العرف الى الكلب
اذا شكى صبٌّ اليه الهوى قال له مالي وللصبِّ
أَعني فتى يطعن في دينه يشب معه خشب الصلب

وقال رجل من أهل الشام

أبعدَ مروانَ وبعد مسلمهْ وبعد اسحقَ الذي كانَ لمهْ
صارَ على الثغرِ فرنج الرخمة ان لنا بفعل يحيي نقمهْ
مهلكة منيرة منقمه أكل بني برمك أكلّ الحطمهْ
ان لهذا الأكل يوما تخمه أيسرُ شيء فيه حز الغلصمهْ

وقال الشاعر

مارعىَ الدهرُ آل برمك لما أن رمىَ ملكهم بامر بديع
ان دهرا لم يرعَ حقا ليحيي غيرُ راعٍ ذِمام آل الرّبيع

وقال سهل بن هرون في يحيي بن خالد

عدوٌّ تلاد المالِ فيما ينوبه منوعٌ اذا مامنعه كانَ أحزما
مذَللُ نفسٍ قد أبتْ غيرَ ان ترى مكارِهَ ماتأتى من الحق مغنما

وقال حسان بن حسان

من بلغ يحيي ودون لقائه زُبرات(١) كل خنابس همهامِ

١ الزبرات جمع زبرة بالضم الشعر المجتمع بين كتفي الأسد والخنابس بالضم الاسد . والهمهام السيد الشجاع السخي خاص بالرجال

ياراعِيَ السلطان غير مفرط    فى لين مختبط وطيب شمام
يغدى مسارحه ويصفى شربه    ويبيت بالربوات والاعلام
حتى ينحنح ضاربا بجرانه    ورست مراسيه بدار سلام
فى كل ثغر حارس من قبله    وشعاع طرف لايفترسام

وهذا شبيه بقول العتابى فى هرون

امام له كف يضم بنانها    عصاالدين ممنوعامن البرى عودها
وعين محيط بالبرية طرفها    سواء عليه قربها وبعيدها
وأصمع [١] يقظان يبيت متاجيا    له فى الحشامستودعات يكيدها
سميع اذا ناداه من قعر كربة    مناد كفته دعوة لايعيدها

وقال كلثوم بن عمرو العتابى

تلوم على ترك الغني باهلية    طوي الدهرُعنها كل طِرْفٍ [٢] وتالِدِ
رأت حولها النسوان يرفلن فى الكسا    مقلدة أجيادُها بالقلائد
يسرك أنى نِلتُ مانالَ جعفرُ    من الملك أومانال يحيي بنُ خالدِ
وان أمير المؤمنين أغصنى    مغصهما بالمرهفات [٣] البواردِ
ذَرِينى تجئني ميتتى مطمئنةً    ولم أتقحمْ [٤] هولَ تلك المواردِ
فان كريماتِ المعالى مشوبة    بِمستودَعاتٍ في بطون الأساودِ

وقال الحسن بن هانئ

عجبت لهرونَ الإمام وما الذي    يروِّى ويرجوفيكَ ياخلقةَالسلقِ [٥]

---

١ الاصمع المترق أشرف المواضع ٢ الطرف بالكسر المال المستطرف الذى ليس من نتاج صاحبه
٣ المرهفات السيوف المحددة ٤ ولم اتقحم • من قولك قحم فى الامر قحوما كقعد رمى بنفسه فيه فجأة بلاروية ٥ السلق بالكسر الذئب الخبيث السليط

قفاً خلف وجهٍ قد أطيل كأنه ... قفا مالك يقضي الحقوق على نبق (١)

وأعظمُ زَهوا من ذُباب على خرا ... وابخلُ من كلب عقور على عرق

أرى جعفرا يزداد بخلا ودقة ... اذا زاده الرحمن في سعة الرزق

ولو جاء غير البخل من عند جعفر ... لما وضعوه الناس الا على الحمق

ولما أنشد ابن حفصة الفضل بن يحيي بن خالد

ضربتَ فلا شلتْ يدٌ خالدية ... رتقتَ بها الفتقَ الذي بينَ هاشم

قال له الفضل قل فلا شلت يد برمكية فخالد كثير وليس برمك الاواحدا وقال سلم في يحيي ويحيي يومئذ شاب

وفتى خلا من ماله ... ومن المروة غيرُ خال

واذا رأى لك موعدا ... كان الفعالُ مع المقال

لله درك من فتى ... مافيك من كرم الخلال

أعطاك قبل سؤاله ... فكفاك مكروه السؤال

ومن جيد ماقيل فيهم

للفضل يومَ الطالقان وقبله ... يومٌ أناف به على خاقان

مامثل يوميه اللذين تواليا ... في غزوتين حواهما يومانِ

عصمت حكومتهُ جماعة هاشم ... من أن يجردَ بينها سيفان

تلك الحكومة لا التي عن لبسها ... عظم الثأى (٢) وتفرق الحكمان

وقال الحسن بن هانئ في جعفر بن يحيي

ذاك الوزير الذى طالت علاوته (٣) ... كأنه ناظر في السيف بالطول

ذكروا ان جعفر بن يحيي كان أول من عرض الجربانات لطول عنقه وقال ممدان الأعمى وهو أبو السرى السميطى

١ النبق ان يمتلئ الانسان غضبا أوحزنا وهو بالتحريك مصدر نبق كتعب ولكنه سكنه للضرورة
٢ الثأى كالثرى الافساد ٣ العلاوة بالكسر أعلى الرأس أو العنق

يوم تشفي النفوس من يعصر[1] اللؤ م ويشنى بسامة الرّجال
وعدىّ وتيمها وثقيفٍ وامىّ وتغلبٍ وهلال
لاحرورا ولا النوائب تنجو لاولا صحب واصل الغزال
غير كفتي[2] ومن يلوذ بكفتي فهم رهط الاعور الدجال
وبنو الشيخ والقتيل بفج بعد يحيي ومؤتم الأشبال
سن ظلم الامام فى القوم بشر ان ظلم الامام ذو عُقّالِ

وقال بعض الكمت

آمت نساء بنى أمية منهم وبنوهم بِمَضيعةٍ ايتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود تنام
خلت المنابر والاسرة منهم فعليهم حتى الممات سلام

وقال خليفة أبو خلف بن خليفة

أعفني آل هاشم يا أُميا جعل الله بيت مالك فيّا
ان عصي الله آل مروان والعا صي لقد كان للرسول عَصِيّاً

وقال الراعى فى بنى أمية

بنى أمية ان الله ماحقكمْ عما قليل بعثمانَ بن عفان

وقال خالف بن خليفة

لو تصفحتَ أولياء علىّ لم تجد في جميعهم باهليا

وقال كعب الاشقرى لعمر بن عبد العزيز

إن كنت تحفظُ مايليكَ فانما عمالُ أرضك بالبلاد ذئاب

١ يعصر أو أعصر على زنة الفعل المضارع أبو قبيلة منها باهلة وسامة الرحال ، هو سامة بن لؤى ابن غالب ٢ غير كفتى . لعل المراد بالكفت هنا الفرس السريع العدو واضافه الى نفسه

لن يستجيبوا للذي تدعو له | حتى يجلد بالسيوف رقاب
بأكف منصلتين أهل بصائر | في وقعهن مزاجر وعقاب
هلا قريش ذكروا بثغورها | حزم واحلام هناك رغاب
لولا قريش نصرها ودفاعها | ألفيت منقطعا بي الأسباب

فلما سمع هذا الشعر قال لمن هذا قالوا الرجل من ازدعمان يقال له كعب الاشقرى قال ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر ، قال اليقظان وقام الى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال

ان الذين بعثت في أقطارها | نبذوا كتابك واستحل المحرم
طلس[1] الثياب على منابر أرضنا | كل يجور وكلهم يتظلم
وأردت أن يلي الامانة منهم | عدل وهيهات الامين المسلم

وكان زيد بن على كثيرا مايتمثل قول الشاعر

شرده الخوف وازرى به | كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوجا[2] | تنكبه أطراف مروحداد
قد كان في الموت له راحة | والموت حتم في رقاب العباد

وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون عليا والحسن والحسين على المنابر

لعن الله من يسب عليا | وحسينا من سوقة وامام
أيسب المطيبون جدوداً | والكرام الاخوال والأعمام
يأمن الظبي والحمام ولا يأ | من آل الرسول عند المقام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا | أهل بيت النبي والاسلام

١ طلس الثياب جمع أطلس وهو الثوب الخلق البالى ٢ الوجى الحفا وهو ان يرق القدم ويتسحج

رحمة الله والسلام عليهم　　كلما قام قائم بسلام

وقال حين عابوه بذلك الرأى

ان امرأً امست معايبه　　حب النبي لغير ذى ذنب

وبني حسن ووالدهم　　من طاب في الارحام والصلب

أيعد ذنبا ان أحبهم　　بل حبهم كفارة الذنب

وقال يزيد بن أبى بكر بن دأب الليثى

الله يعلم في على علمه　　وكذاك علم الله في عثمان

وقال السيد الحميرى

انى امرؤ حميرى غيرُ مؤتشب　　جدى رُعين وأخوالى ذوو يزن

ثم الولاء الذى أرجو النجاة به　　يوم القيامة للهادى أبى الحسن

وقال ابن أذينة

سمين قريش مانع منك لحمه　　وَغثُّ قريش حيث كان سمينُ

وقال ابن الرقيات

ما نقموا من بنى أمية الا　　أنهم يحلمون ان غضبوا

وأنهم معدن الملوك ولا　　يصلح الا عليهم العرب

وقال عروة بن أذينة

اذا قريش تولى خير صالحها　　فاستيقننَّ بان لا خير في أحد

رهط النبي وأولى الناس منزلة　　بكل خير وأثرى الناس في العدد

وقال حسان بن ثابت يرثى أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأرضاه

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة　　فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالى الثانى المحمود مشهده　　وأول الناس منهم صدق الرسلا

وثانى اثنين في الغار المنيف وقد　　طاف العدو به اذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا ... خير البرية لم يعدل به رجلا

وقال بعض بنى أسد

لما تخير ربى فارتضى رجلا ... من خلقه كان منا ذلك الرجل

لنا المساجد نبنيها ونعمرها ... وفى المنابر قعدان لنا ذلل

وقال يزيد بن الحكم بن أبى العاص فى شأن السقيفة

قد اختصم الأقوام بعد محمد ... فسائل قريشا حين جد اختصامها

ألم تك من دون الخليفة أمة ... بكف امريء من آل تيم زمامها

هدي الله بالصديق ضُلَّالَ أمة ... الى الحق لما ارفض عنها نظامها

وقالت صفية فى ذلك اليوم

قدكان بعدك أنباء وهنتشةٌ (١) ... لوكنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناكَ فقد الارض وابلها ... واختلَّ قومك فاشهدهم فقد سغبوا

وقال الفرزدق

صلى صهيبٌ ثلاثا ثم أسلمها ... الى ابن عفانَ ملكا غير مقصور

ولاية من أبى حفص لثالثهم ... كانوا أخلاءَ مهدىّ ومحبور

وقال مزرد بن ضرار يرثى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

عليك السلام من إمام وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الاديم الممزق

قضيتَ أمورا ثم غادرتَ بعدها ... بوائقَ فى أكمامها لم تفتق

وما كنت اخشى ان تكون وفاته ... بكفي سبنتى (٢) ازرقِ العينِ مطرق

قال وسمعوا فى تلك الليلة هاتفا يقول

ليبك على الإسلام من كان باكيًا ... فقد اوشكوا اهلكا وماقدمَ العهدُ

وادبرت الدنيا وادبر خيرها ... وقد ملها من كان يوقنُ بالوعدِ

(١) وهنتشة لعله من الهتش وهو التحريش والاغراء والنون زائدة ٢ السبنتى الجرئ أو النمر

وعن أبى الحجاف عن مسلم البطين

انا نعاتب لاأبالك عصبةً علقوا الفرى[1] وبرَوا من الصدّيق
وبرَوا سفاها من وزير نبيهم تبا لمن يبرا من الفارُوقِ
إنى على رغم العداة لقائلٌ دينا بدين الصادق المصدوق

وقال الكميت

فقل لبني أمية حيث حلوا وان خفت المهند والقطيعا[2]
أُجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجودكم أُجيعا
بمرضىَ السياسة هاشمى يكون حيا لأمته ربيعا

وقال حرب بن المنذر بن الجارود

فحسبي من الدنيا كفاف يقيمني وأثواب كتان ازور بها قبرى
وحبي ذوى قربى النبي محمد فما سؤلنا الا المودةُ من أجر

وجه التدبير فى الكتاب اذا طال ، أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له ويسوقه الى حظه بالاحتيال له ، فمن ذلك أن يخرجه من شيء الى شيء ومن باب الى باب بعد أن لايخرجه من جملة ذلك الفن ومن جمهور ذلك العلم ، وقد يجب أن نذكر بعض ماانتهى الينا من كلام خلفائنا من ولد العباس ، ولو أن دولتهم أعجمية خراسانية ودولة بنى مروان عربية أعرابية وفى أجناد شامية ، والعرب أوعى لما تسمع واحفظ لما تأتى ، ولها الاشعار التى تقيد عليها مآثرها وتخلد لها محاسنها ، وجرت من ذلك فى إسلامها على مثل عادتها فى جاهليتها فبنت بذلك لبنى مروان شرفا كثيرا ومجدا كبيرا وتدبيرا لايحصى ، ولوأن أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم فى أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسة كبرائهم وماجرى فى ذلك من فوائد الكلام وشريف المعانى ، كان فيما قال المنصور ومافعل فى أيامه وأسس لمن بعده مايفى بجماعة ملوك بنى مروان ، ولقد تتبع أبوعبيدة النحوى وأبو الحسن المدائنى وهشام الكلبي والهيثم بن عدى أخبارا اختلفت واحاديث تقطعت فلم يدركوا الا

١ الفرى بالكسر جمع فرية بالكسر أيضا الكذب ٢ القطيع السوط المنقطع طرفه

قليلا من كثير وممزوجا من خالص ، وعلى كل حال فانا اذا صرنا الى بقية مارواه العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى واسحق بن عيسى واسحق ابن سليمان وأيوب بن جعفر ، ومارواه ابراهيم بن السندى عن السدى وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم عرفت بتلك البقية كثرة مافات وبذلك الصحيح أين موضع الفساد مما صنعه الهيثم بن عدى وتكلفه هشام بن الكلبي ، وسنذكر جملا مما انتهى الينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وان كنا قد ذكرنا من ذلك طرفا ، ونقصد من ذلك الى التخفيف والتقليل فانه يأتى من وراء الحاجة ويعرف بجملته مراد البقية * قال وكان المنصور داهيا أريبا مصيبا فى رأيه سديدا وكان مقدما فى علم الكلام ومكثرا من كتاب الآثار ، ولكلامه كتاب يدور فى أيدى العارفين الوارقين معروف عندهم ، ولما هم بقتل أبى مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فارق فى ذلك ليلته فلما أصبح دعا باسحق بن مسلم العقيلى فقال له حدثنى حديث الملك الذى أخبرتنى عنه بحران قال أخبرنى أبى عن الحصين بن المندر ان ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الاكبر كان له وزير ناصح قد اقتبس أدبا من آداب الملوك وشاب ذلك يفهم فى الدين ، فوجهه سابور داعية الى خراسان وكانوا قوما عجما يعظمون الدنيا جهالة بالدين ويخلون بالدين استكانة لفوت الدنيا وذلا لجبابرتها ، فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا ، واغتر بقتل ملوكهم لهم وتخولهم ايامهم وكان يقال لكل ضعيف صولة ولكل ذليل دولة فلما تلاحمت أعضاء الامور التى لقح استحالات حربا عوانا شالت أسافلها بأعاليها فانتقل العز الى أرذلهم والنباهة الى أخملهم ، فاشربوا له حبا مع حقض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين ، فلما استوسعت له البلاد بلغ سابور أمرهم وماأحال عليه من طاعتهم ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال فى قطع رجائه عن قلوبهم وكان يقال

وماقطعَ الرجاءَ بمثل يأس ... نبادههُ القلوبُ على اغترارِ

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم فقتله فبغتهم بحدث فلم يرعهم الاورأسه بين أيديهم، فوقف بهم بين الغربة ونأى الرجعة وتخطف الاعداء وتفرق الجماعة واليأس من صاحبهم ، فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتموضوه من الفرقة ، فاذعنوا له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحه ،

فملكهم حتى مات حتف أنفه ، فاطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وهو يقول

لِذِى الحِلم قبل اليوم ماتقرعُ العصا ... وماعلم الإنسانُ الا ليعلما

وأمر اسحق بالخروج ودعا بابى مسلم فلما نظر اليه داخلا قال

قد اكتنفتك خلاتٌ ثلاثٌ ... جلبن عليك محذورَ الحمام

خلافك وامتنانك ترتميني ... وقودك للجماهير العظام

ثم وثب اليه ووثب معه بعض حشمه بالسيوف فلما رآهم ، وثب فبدره المنصور فضربه ضربة طوحه [١] منها ثم قال

اشرب بكاس كنتَ تسقي بها ... أمرَّ فى الحلق من العلقم

زعمتَ أنَ الدَّين لايقتضىَ ... كذبت فاستوف أبا مجرم

ثم أمر بحز رأسه و بعث به الى أهل خراسان وهم ببابه فجالوا حوله ساعة ثم رد عن شغبهم انقطاعهم عن بلادهم واحاطة الاعداء بهم فذلوا وسلموا له ، فكان اسحق اذا رأى المنصور قال

وما ضربوا لك الامثال الا ... لتحذوا ان حذوت على مثال

وكان المنصور اذا رآه قال

وخلفها سابور للناس يقتدَى ... بأمثالها فى المعضلات [٢] العظائم

وكان المهدى يحب القيان وسماع الغناء وكان مُـغْـجَـباً بجارية يقال لها جوهر وكان اشتراها من مروان الشامى فدخل عليه ذات يوم مروان الشامى وجوهر تغنيه فقال مروان

انت ياجوهر عندى جوهره ... فى بياض الدرة المشتهره

فاذا غنتْ فنارٌ ضرمتْ ... قذفت فى كل قلب شرَرَه

فاتهمه المهدى وأمر به فدع [٣] فى عنقه الى أن خرج ثم قال لجوهر أطربينى فأنشأت تقول

---

١ طوحه منها : توهه فرمى بنفسه هنا وهنا ٢ المعضلات الدواهى واحدها معضل كمحسن ٣ الدع الدفع العنيف

وأنت الذى أخلفتني ماوعدتنى ... وأشمتّ بى من كان فيك يلومُ
وأبرزتني للناس ثم تركتني ... لهم غرضا أُرمى وأنت سليم
فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا ... بجسمى من قول الوشاة كلومُ

فقال المهدى

الايا جوهر القلبِ لقد زدتِ على الجوهر ... وقد أكملك الله بحسن الدّل[1] والمنظر
اذا ماصلت ما أحسن خلقَ الله بالمزهر ... وغنيتِ ففاح البيتُ من ريقك بالعنبر
فلا والله ما المهدىّ أولى منك بالمنبر ... فان شئت ففى كفك خلع ابن أبى جعفر

قال الهيثم أنشدت هارون وهو ولى عهد أيام موسى بيتين لحمزة بن بيض فى سليمان بن عبد الملك

حاز الخلافة والداك كلاهما ... من بين سخطة ساخط أو طائع
أبواك ثم أخوك اصبح ثالثا ... وعلى جبينك نور ملك ساطع

قال يا يحيي اكتب لى هذين البيتين ، ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له بالفى درهم فاستقلها و بلغ ذلك أبا جعفر فقال أما يرضى أنى حقنت دمه وقد استوجب اراقته و وفرت ماله وقد استحق تلفه وأقررته وقد استأهل الطرد وقربته وقد استحق البعد ، أليس هو القائل فى بنى أمية

اذا قيل من عند ريب الزمان ... لمعتر فهر ومحتاجها
ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بإلجامها قبل إسراجها
أشارت نساء بنى مالك ... اليك به قبل أزواجها

قال ابن هرمة فانى قد قلت فيك أحسن من هذا قال هاته قال قلت

اذا ما قلتُ أيُّ فتى تعلمون ... أهشَّ الى الطعن بالذابل
وأضربَ للقرن يوم الوغى ... واطعم فى الزمن الماحِل

[1] دل المرأة ودلالها تدللها على الرجل تريه جرأة عليه فى تغنج وتشكل كأنها تخالفه وما بها خلاف

أشارت اليك أكف الوري ‖ اشارة غرقيَ الى ساحل

قال المنصور أما هذا الشعر فمسترق وأما نحن فلا نكافئ الا بالتى هى أحسن ، ولما احتال أبو المزهر بن المهلب لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن معدان ، وأسلمه حميد الى المنصور قال لا عذر فأعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى ، قال لست أقتل أحدا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم الى محسنهم وغادرهم لوفيّهم قال ان لم يكن فىّ مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق بن عم ، قال اسكت مقبوحا مشقوحا [1] ، اخرج فانك أنوك [2] جاهل ، أنت عتيقهم وطليقهم ماحييت ، ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن ابراهيم بن عبدالله وصار الى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤس اليمانية فى المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من إحسانى اليه وحسن بلائى عنده وقديم نعمتى عليه ، والذى حاول من الفتنة ورام من البغى وأراد من شق العصا ومعاونة الاعداء واراقة الدماء ، وانه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ورب [3] نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عمن ظلم والصفح عمن أساء وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيّهم ، وقال سهل بن هارون يوما وهو عند المأمون من أصناف العلم مالا ينبغى للمسلمين ان يرغبوا فيه ، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال ، قال المأمون قد يسمى بعض الناس الشيء علما وليس بعلم ، فان كنت أردت هذا فوجهه الذى ذكرنا ولو قلت ان العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا يستقصى أصنافه ولا يضبط آخره فالامر على ماقلت فاذا كان الامر كذلك فابدؤا بالأهم فالأهم وابدؤا بالفرض قبل النفل فاذا فعلتم ذلك كان عدلا وقولا صدقا ، وقد قال بعض العلماء اقصد من أصناف العلم الى ماهو أشهى الى نفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك وسهولته عليك ، وقال أيضا بعض العلماء لست أطلب

---

١ مشقوحا . تقول العرب قبحاله وشقحا على طريق الاتباع والازدواج وتقول هو قبيح شقيح وجاء بالقباحة والشقاحة وقعدمقبوحا مشقوحا كل ذلك اتباع ٢ النوك بالضم ويفتح الحمق ٣ ورب نعمائه . يقال رب الشيء ربا جمعه وزاده

العلم طمعا فى بلوغ غايته والوقوف على نهايته ولـكن التماس مالا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل اغفاله ، وقال آخرون علم الملوك النسب والخبر وجمل الفـقه ، وعـلم التجار الحساب والـكتاب ، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازى وكتب السـير ، فاما ان تسمى الشيء علما وتنهى عنه من غير أن يكون شيء يشغل عما هو أنفع منه بل تنهى نهيا جزما وتامر أمرا حتما ، والعلم بصر وخلافه عمى والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير آمرة به ، ولما قرأ المـأمون كـتبى فى الامامة فوجـدها على ما أمر به وصرت اليه وقد كان أمر اليزيدى بالنظر فيها ليخبره عن قال لى قد كان بعض من نرتضى عقله ونصدق خبره ، خبرنا عن هـذه الـكتب باحكام الصـنعة وكثرة الفائده فقلت قد تربى الصـفة على العيان فلما رأيتها رأيت العيان قـد أربى على الصـفة فلما فليتها أربى الفَـلْىُ على العيان كما أربى العيان على الصفة ، وهذا كتاب لا يحتاج الى حضور صاحبه ولا يفتقر الى المحتجين عنه ، قد جمع استقصاء المعانى واسـتيفاء جميع الحقوق مع اللفـظ الجزل والمخـرج السـهل فهو سوقى مـلوكى وعامى خاصى ، ولما دخـل عليـه المـرتد الخـراسـانى وقـد كان حمله من خـراسـان حـتى وافى به العراق ، قال له المـأمـون لأن اسـتحييك بحـق أحب الى من ان اقتلك بحق ولان اقيلك بالبراءة أحب الى من ان ادفعك بالتهمة ، قد كنت مسـلما بعد ان كنت نصرانيا وكنت فيها أتيح ١ وايامك أطول فاسـتوحشت ممـا كنت به آنسا ثم لم تلبث ان رجعت عنا نافرا فخبرنا عن الشيء الذى أوحشـك من الشيء الذى صار آنس لك من إلفِـكَ القديم وانسك الاول فان وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به والمريض من الاطباء يحتـاج الى المشاورة ، وان أخطـأك الشفاء ونبا عن دائك الدواء كنت قـد أعـذرت ولم ترجـع على نفسـك بلائمـة فان قتلنـاك قتلنـاك بحكم الشريعـة أوترجع أنت فى نفسك الى الاستبصار والثقة ونعـلم انك لم تقصر فى اجتهـاد ولم تفرط فى الدخول فى باب الحزم ، قال المرتد أوحشنى كثرة مارأيت من الاختلاف فيكم ، قال المأمون لنا اختلا فان أحدهمـا كالاختلاف فى الاذان وتكبير الجنائز والاختـلاف فى التشهد وصلاة الاعيـاد وتكبير التشريق ووجوه القراآت واختلاف وجوه الفتيا ومأشـبه ذلك وليس هـذا باختلاف انمـا هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنـة فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم

---

١ أتيح ٠ بصيغة اسم التفضيل لعله مستعار من قولهم تاح الفرس فى مشيته اذا كان يعترض فيها نشاطا ويزداد فيها حركة

بحوب لايتعايرون ولايتعايبون أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه تبيانا والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع اجماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر، فان كان الذى أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغى ان يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف فى شيء من التأويلات ، وينبغى لك أن لاترجع الا الى لغة لااختلاف فى تأويل ألفاظها ولوشاء الله ان ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لايحتاج الى تفسير لفعل ، ولكننا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع الينا على الكفاية ، ولوكان الامر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا ، قال المرتد أشهد أن الله واحد لاند له ولا ولد وأن المسيح عبده وأن محمدا صادق وانك أمير المؤمنين حقا ، فاقبل المأمون على أصحابه فقال فروا عليه عرضه ولاتبروه فى يومه ريثما يعتق اسلامه كيلا يقول عدوه انه أسلم رغبة ، ولاتنسوا بعد نصيبكم من بره وتأنيسه وتصرته والفائدة عليه ، حدثنا أحمد بن أبى داود قال قال لى المأمون لايستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم ولايستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم وبين صنائعهم[1] وبطانتهم وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا حتى لايزال الرجل يقول ماأوقع به الارغبة فى ماله أو رغبة فى بعض مالاتجود النفوس به ، ولعل الحسد والملال وشهوة الاستبدال اشتركت فى ذلك ، وهناك خيانات فى صلب الملك أوفى بعض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة فى الملك ولاأن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولايستطيع الملك ترك عقابه لما فى ذلك من الفساد على علمه بان عذره غير مبسوط للعامة ولامعروف عند أكثر الخاصة ، ونزل رجل من أهل العسكر فغدا بين يدى المأمون وشكا اليه مظلمته فاشار بيده أن حسبك ، فقال له بعض من كان يقرب من المأمون يقول لك أمير المؤمنين اركب قال المامون لايقال لمثل هذا اركب انما يقال له انصرف ، وحدثنى ابراهيم بن السندى قال بينا الحسن اللؤلؤى يحدث المامون ليلا وهو بالرقة وهو يومئذ ولى عهد وأطال الحسن الحديث حتى نعس

---

[1] صنائعهم جمع صنيعة وهو الذى اصطنعته وربيته وخرجته . والبطانة الصاحب والوليجة

المامون فقال الحسن نعست أيها الامير ففتح عينيه وقال سوقي ورب الكعبة ياغلام خذ بيده

*(ذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والجناة والاغبياء وماضارع ذلك وشاكله)*

وأحببنا ان لايكون مجموعا فى مكان واحد ابقاء على نشاط القارئ والمستمع ، مر ابن أبى علقمه بمجلس بنى ناجية فكبا حماره لوجهه فضحكوا منه فقال مايضحككم رأى وجوه قريش فسجد ، أبو الحسن قال أتى رجل عباديا صيرفيا يستسلف منه مائتى درهم فقال وما تصنع بها قال أشترى بها حمارا فلعلى أربح فيه عشرين درهما ، قال اذا أنا وهبتك العشرين فما حاجتك الى المائتين ، قال ماأريد الا المائتين ، فقال أنت لاتريد ان تردها على ، قال وأتى قوم عباديا فقالوا نحب أن تسلف فلانا ألف درهم وتؤخره سنة ، فقال هاتان حاجتان وساقضى لكم احداها واذا فعلت ذلك فقد أنصفت ، أما الدراهم فلا تسهل على ولكنى أؤخره سنتين ، ولعب رجل قدام بعض الملوك بالشطرنج فلما رآه قد استجاد لعبه وفاوضه الكلام قال له لم لاتولينى نهر بوق قال أوليك نصفه اكتبوا له عهده على بوق ، وقال له مرة ولنى أرمينية قال يبطىء على أمير المؤمنين خبرك ، وقدم آخر على صاحب له من فارس فقال له قد كنت عند أمير المؤمنين فاى شىء ولاك ، قال ولانى قفاه ، قال ونظر أمير الى اعرابى فقال لقد هم لى الامير بخير ، قال مافعلت ، قال فبشر ، قال وما فعلت ، قال ان الامير لمجنون ، قال أبو الحسن شهد مجنون على امرأة ورجل بالزنا فقال الحاكم تشهد أنك رأيته يدخله و يخرجه قال والله لو كنت جلدة استها لما شهدت بهذا ، قال وكان رجل من أهل الرى يجالسنا فاحتبس عنا فاتيته فجلست معه على بابه واذا رجل يدخل ويخرج فقلت من هذا فسكت ثم أعدت فسكت فلما أعدت الثالثة قال هو زوج أخت خالتى وقال الشاعر

اذا المرء جاز الاربعينَ ولم يكن     له دون مايأتى حياءٌ ولا سترُ

فدعه ولا تنفس عليه الذى أتى     ولوجر أرسان الحياة له الدهرُ

اعرابى خاصمته امرأته الى السلطان فقيل له ماصنعت قال خيرا كبها الله لوجهها وأمر بى الى السجن ، قال أبو الحسن عرض الاسد لاهل قافلة فتبرع عليهم رجل

فخرج اليه فلما رآه سقط وركبه الاسد فشدوا عليه باجمعهم فتنحى عنه الاسد فقالوا له ماحالك قال لاباس عليّ ولكن الاسد خرى فى سراويلى ، قال أبو عباية السليطى قد فسد الناس قلت وكيف قال ترى بساتين هزاذ مرد هذه ما كان يمر بها غلام الا بخفير قلت هذا صلاح قال لا بل فساد ، أبو الحسن قال خطب سعيد بن العاص عائشة ابنة عثمان على أخيه فقالت لاأتزوجه ، قال ولم قالت هو أحمق له برذونان أشهبان فيحتمل مؤنة اثنين وهما عند الناس واحد ، قال كان المغيرة بن المهلب ممرورا وكان عند الحجاج يوما فهاجت به مرته فقال له الحجاج ادخل المتوضى وأمر من يقيم عنده حتى يتقيأ ويفيق ، قال أبو الحسن قالت خَيرْة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب للمهلب اذا انصرفت من الجمعة فاحب أن تمر بأهلى قال لها ان أخاك أحمق قالت فانى أحب ان تفعل فجاء وأخوها جالس وعنده جماعة فلم يوسع له فجلس المهلب ناحية ثم أقبل عليه فقال له مافعل ابن عمك فلان قال حاضر فقال أرسل اليه ففعل فلما نظر اليه غير مرقوع المجلس قال ياابن الخناء المهلب جالس ناحية وأنت جالس فى صدر المجلس ووائبه فتركه المهلب وانصرف ، فقالت له خيرة أمررت باهلى قال نعم وتركت أخاك الاحمق يضرب ، قال وكتب الحجاج الى الحكم بن أيوب اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها أمة لبعلها ، فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه الحجاج لايحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها ، قال المرار ابن منقذ الحنلى

صلتة (١) الخدّ طويلٌ جيدُها    ضخمةُ الثدى ولما ينكسر

قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه لا حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع ، وقال بن صديقة لرجل رأى معه خفا ماهذه القلنسوة فاحتكموا الى عرباض فقال عرباض هى قلنسوة الرجلين ، قال أبو اسحق قلت لخجير كوز وعدتك ان تجيء ارتفاع النهار فجئتنى صلاة العصر قال جئتك ارتفاع العشى ، قال قيل لاعرابى ماسم المرق عندكم قال السخين قال فاذا برد قال لاندعه حتى يبرد ، باع نحاس ٢ من اعرابى غلاما فاراد أن يتبرأ من عيبه قال اعلم أنه يبول فى الفراش قال ان وجد

---

١ صلتة الخد يقال جبين صلت ورجل صلت الجبين : أملس براق ٢ النخاس بائع الرقيق والدواب

فراشا فليل فيه ، حدثنا صديق لى قال أتانى اعرابى بدرهم فقلت له هـذا زائف [١] فمن أعطاك هذا قال لص مثلك ، وقال زيد بن كثوة أتيت بنى كش هؤلاء فاذا عرسٌ و بلق الباب فادرنفق [٢] وادمج فيـه سرعان من الناس وألصتُ ولوج الدار فدلظنى الحداد دلظة دهورنى على قمة رأسى وأبصرت شيخان الحى هنـاك ينتظرون المزية فعجت اليهم فوالله إن زلنا نظار نظار حتى [٣] عقـل الظل فذكرت اخلائى من بنى تبر فقصدتهم وأنا أقول

تركن بنى كشّ وما في ديارهم ... عوامدواعصوصبن نحو بني تبر

الى معشر شم الانوف قراهم ... اذانزل الاضياف من قمع[٤] الجزر

وانصرفت وأتيت باب كش واذا الرجال صَتِيَتَانِ [٥] واذا ارمـدأ كثيرة وطهاة لاتحصى ولحمان فى جثمان الا كام ، صالح بن سـليمان قال أحمـق الشعراء الذى يقول

أهيم بدعدٍ ماحييتُ فإن أمت ... أوكلْ بدعدٍ من يهيمُ بهابعدي

ولايشبه قول الآخر

فلا تنكحى إن فرّق الدهرُ بيننا ... أغمّ القفا والوجهِ ليس بأنزعا

قال مات لابن مقرن غـلام فحـفر لهم اعرابى قـبره بدرهمين وذلك فى بعض الطواعين فلمـا أعطوه الدرهـمين قال دعوهمـا حتى يجتمع لى عنـدكم ثمن ثوب ، وادخـل اعرابى الى المربد جليبا له فنظر اليها بعض الغوغاء فقال لااله الاالله ماأسمن هـذه الجزر قال له الاعرابى مالهـا تكون جزرا جزرك الله ، قال أبو الحسن جاء رجـل الى رجل من الوجوه فقال أنا جارك وقد مات أخى فلان فمر لى بكفن قال لا والله ماعنـدى اليوم شىء ولكن تعهـدنا وتعود بعـد أيام فسيكون الذى تحب ، قال أصلحك الله فنملحه الى أن يتيسر عندكم شىء ، قال كان مولى

---

١ هذا زائف يقال زافت الدراهم زيوفا صارت مردودة لغش . وكش بالفتح بلدة بجرجان

٢ ادرنفق : تقـدم وأسرع ومردرنفقا : مسرعا يلق الباب : فتح كله أوفتحا شـديد ودمج دموجا وادمج دخل فى الشىء واستحكم فيـه . وسرعان الناس بالضم جمع مسرع . ودلظـه ضربه أودفعه فى صدره . وشيخان الحى بالكسر جمع شيخ ٣ حتى عقل الظل : قام قائم الظهـيرة

٤ القمع بالتحريك جمع قمعة محركة وهى رأس السنام والجزر جمع جزور وهو من الابل خاصة

٥ صتيتان مثنى صتيت وهو الجماعة من الناس . والارمداء كالاربعاء الرماد

لبكرات يدعى البلاغة فكان يتصفح كلام الناس فيمدح الردئ ويذم الجيد فكتب الينا رسالة يعتذر فيها من ترك المجيء فقال وقطعني عن المجيء اليكم انه طلعت في احدى ألتيي ابنى بثرة ١ فعظمت حتى صارت كانها رمانة صغيرة ، وقال على الاسوارى فلما رأيته أصفر وجهي حتى صار كانه الكشوث ، وقال محمد بن الجهم الى أين بلغ الماء منك قال الى العانة ، قال شعيب بن زرارة لوكان قال الى الشعرة كان أجود ، وقال له محمد ابن الجهم هذا الدواء الذى جئت به قدركم آخذ منه قال قدر بعرة ، وقال على جاءني رجل حزنبل ٢ من ههنا الى ثمة ، وقال قاسم التمار بينهما كما بين السماء الى قريب من الارض ، وقال قاسم التمار أينما رأيت ايوان كسرى كانما رفعت عنه الايدى أول من أمس ، وأقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ وذلك بعد العصر بساعة فقال لبعضهم قم صل فاتتك الصلاة ثم أمسك عنه ساعة ثم قال لآخر قم صل ويلك فقد ذهب الوقت فلما أكثر عليهم في ذلك وهو جالس لايقوم يصلى قال له واحد منهم فانت لم تصل فاقبل عليه فقال ليس والله يعرفون أصلى في هذا ، قلت وأى شيء أصلك قال لانصلى لان هذه المغرب قد جاءت ؛ وقال قاسم انا انفس بنفسى على السلطان ، وأتى منزل بن أبى شهاب وقد تعشى القوم وجلسوا على النبيذ فاتوه بخبز وزيتون وكامخ ٣ فقال انا لاأشرب النبيذ الاعلى زهومة ٤ ، وقال حين حين بعت البغل بدأت بالفرج ، وقال ليس في الدنيا ثلاثة أنكح منى أنا أكسل منذ ثلاث ليال في كل ليلة عشر مرات ، كأن الاكسال عنده هو الانزال ، وقال ذهب والله منى الا طيبين قلت وأى شيء الاطيبين قال قوة اليدين والرجلين ، وقال فالتوى لى عرق حين قعدت منها مقعد الرجل من الغلام ، وقال في غلام له رومى ماوضعت بيني و بين الارض أطيب منه ، قال ومحمد بن حسان لايشكرني و والله ماناك حاذرا قط الاعلى يدى ، وقال أبو خشرم ماأعجب أسباب النيك فقيل له النيك وحده ، قال سمعنا الناس يقولون ماأعجب أسباب الرزق وما أعجب الاسباب ، وكان قاسم التمار عند لابن لاحمد بن عبد الصمد بن على وهناك جماعة فاقبل وهب المحتسب يعرض له بالغلمان فلما طال ذلك على قاسم أراد ان يقطعه عن نفسه بان يعرفه هو ان ذلك القول عليه فقال اشهدوا جميعا انى أنيك الغلمان واشهدوا

---

١ البثرة خراج صغير ٢ الحزنبل القصير ٣ الكامخ بفتح الميم ادام يوتدم به ٤ الزهومة بالضم ريح لحم سمين منتن

جميعا انى أعفج ١ الصبيان ، والتفت التفاتة فرأى الاخوين الهذليين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال فقال عنيت بقولى فقال اشهدوا جميعا انى لوطى أى على دين لوط ، قال القوم باجمعهم أنت لم تقل اشهدوا انى لوطى انما قلت اشهدوا انى أنيك الصبيان ، قال سفيان السدوسى لم يكن فى الارض أحد قط أعلم بالنجوم ثم بالقرا آت من ماشا الله ، كان بريد ماشا الله المنجم ، وكان يقول هو أكفر عندى من رام هرمز يريدا كفر من هرمز * وممن وسوس غلفاء بن الحرث ملك قيس عيلان وسوس حين قتل اخوته وكان يتغلف ويغلف أصحابه بالغالية فسمى غلفاء بذلك وكان رجل ينيك البغلات فجلس يوما يحدث عن رجل كيف نال بغلة وكيف انكسرت رجله وكيف كان ينالها ، قال كان يضع تحت رجله لبنة فبينا هو ينحى فيها اذا انكسرت اللبنة من تحت رجله واذا أنا على قفاى ، ومن الاحاديث المولدة التى لاتكون وهو مليح فى ذلك قولهم ناك رجل كلبة فقعدت عليه فلما طال عليه البلاء ورفع رأسه فصادف رجلا يطلع عليه من سطح فقال له الرجل اضرب جنبها فلما ضرب جنبها وتخلص قال قاتله الله أىّ نياك كلبات هو ، وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا الاحديث جرجيس فلما بكى واحد من النظارة قال القاص أنتم باى شىء تبكون انما البلاء علينا معاشر العلماء ، قال وبكى حول أبى شيبان ولده وهو يريد مكة قال لاتبكوا يابنى فانى أريدان أضحى عندكم ، وقال أخوه ولدت فى رأس الهلال للنصف من شهر رمضان أحسب أنت الآن هذا كيف شئت وقال تزوجت امرأة مخزومية عمها الحجاج بن الزبير الذى هدم الكعبة ، وقال ذلك لم يكن أبا انما كان والدا ، وقال أبو دينار هو وان كان أخا فقد ينبغى ان ينصف ، ومن المجانين على بن اسحق بن يحيى بن معاذ وكان أول ماعرف من جنونه انه قال أرى الخطا قد كثر فى الدنيا والدنيا كلها فى جوف الفلك وانما نؤتى منه وقد تخلخل وتخرم وتزايل فاعتراه مايعترى الهرماء وانما هو منجنون فكم يصبر وساحتال فى الصعود اليه فانى إن بخرته ورندجته وسويته انقلب هذا الخطا كله الى الصواب ، وجلس مع بعض متغافلى فتيان العسكر وجاءهم النخاس بجوار فقال ليس نحن فى تقويم الابدان انما نحن فى تقويم الاعضاء نمن أنف هذه

١ العفج الجماع والفعل من باب نصروقد أتى الجاحظ فى هذه القطعة بما لاينبغى ان يكون من مثله على جلالته وعلو قدره

خمسة وعشرون دينارا وثمن اذنيها ثمانية عشر وثمن عينيها ستة وسبعون وثمن رأسها بلا شيء من حواسها مائة دينار ، فقال صاحبه المتغافل ههنا باب هو أدخل فى الحكمة من هذا ، كان ينبغى لقدم هذه ان تكون لساق تلك وأصابع تلك ان تكون لقدم هذه وكان ينبغى لشفتى تيك ان تكونا لفم تيك وأن تكون حاجباتيك لجبينى هذه فسمى مقوم الاعضاء ، ومن النوكى كلاب بن ربيعة وهو الذى قتل الخثعمى قاتل أبيه دون اخوته وهو القائل

أَلم ترنى ثارتُ بشيخ صدق ... وقد أَخذ الإِداوة[1] فاحتساها

ثارتُ بشيخه شيخا كريما ... شفاء النفس ان شيء شفاها

ومنهم نعامة ، وهو بيهس وهو الذى قال مكره أخوك لا بطل واياه يعنى الشاعر[2]

ومن حذر الايام ماحز أنفه ... قصيرٌ ولاقي الموتَ بالسيف بيهسُ

نعامةُ لما صرع القومُ رهطه ... تبين في أثوابه كيف يلبسُ

وقال الحضرمى اما أنا فاشهدان تميما أكثر من محارب ، وقال حيان البزار قبح الله الباطل الرطب بالسكر والله طيب ، قال أبو الحسن سمعت الصغدى الحارثى يقول كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم لاتدخلوها فلما مات دبوا اليها من قريب ، مسعدة بن المبارك قال قلت للبكراوى أبامرأنك حمل قال شيء ليس بشيء ، قال بنى عبيد الله بن زياد البيضاء فكتب رجل على باب البيضاء شيء ونصف شيء ولاشيء الشيء مهران الترجمان ونصف شيء هند ابنة أسماء ولاشيء عبيد الله بن زياد ، فقال عبيد الله اكتب الى جنبه لولا الذى زعمت انه لاشيء لما كان ذلك الشيء شيأ ولا ذلك النصف نصفا ، وقال هشام بن عبد الملك يوما فى مجلسه يعرف حمق الرجل بخصال بطول لحيته وشناعة كنيته و بشهوته ونقش خاتمه ، فاقبل رجل طويل اللحية فقال هذه واحدة ثم سأله عن كنيته فاذا هى شنعاء فقال هاتان ثنتان ثم قال وأى شيء أشهى اليك قال رمانة مصاصة ، قال أمصك الله بنظر أمك ، وقيل لابى القمقام لم لاتغزو أو وتخرج الى المصيصة قال أمصنى الله اذا يبظر أمى ، وقالوا لابى الاصبع بن ربعى أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر

١ الادواة بالكسر المطهرة واحتساها : شربها شيأ بعد شيء ٢ هو المتلمس الضبعى

فلم لاتخرج الى قتال العدو قال أنا لاأعرفهم ولا يعرفوننى فكيف صار والى أعداء ، قال كان الوليد بن القعقاع عاملا على بعض الشام فكان يستسقى فى كل خطبة وان كان فى أيام الشعرى ، فقام اليه شيخ من أهل حمص فقال أصلح الله الامير اذا تفسد الفطانى ، يعنى الحبوب واحدها قطنية ، وأما نفيسٌ غلامى فانه كان اذا صار الى فراشه فى كل ليلة فى سائر السنة يقول فى دعائه اللهم حوالينا ولا علينا ، قال وكان بالرقة رجل يحدث عن بنى اسرائيل وكان يكنى أبا عقيل ، فقال له الحجاج ابن حنتمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنتمة ، فقال له رجل من ولد أبى موسى فى أى الكتب وجدت هذا ، قال فى كتاب عمرو بن العاص ، ومن اللحانين الاشراف ابن ضحيان الازدى وكان يقرأ قل ياأيها الكافرين ، فقيل له فى ذلك فقال قد عرفت القراءة فى ذلك ولكنى لاأجل أمر الكفرة ، وقال حبيب بن أوس

ماولدت حواء أحمق لحيةً　　من سائل يرجو الغنى من سائل

وقال أيضا

أيوسفُ جئتَ بالعجب العجيبِ　　تركتَ الناسَ فى شك مريب
سمعت بكل داهيةٍ نآدٍ　　ولم أسمع بسراح أديب
أما لو أنّ جهلك عاد علما　　اذا لنفذت فى علم الغيوب
ومالك بالغريب يدٌ ولكن　　تعاطيك الغريب من الغريب

وأنشدوا

أرى زمنا نوكا وأسعد أهله　　ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته　　فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

وهذه أبيات كتبناها فى غير هذ المكان من هذا الكتاب ولكن هذا المكان أولى بها وقال الشاعر

وللدهر أيامُ فكن في لباسها　　كلبسته يوما أجدَّ وأخلقا
وكن أكيس الكيسى اذا كنت فيهم　　وان كنتَ في الحمقي فكن أنت أحمقا

وقال الآخر

وأنزلني طولُ النوَى دارَ غربةٍ　　اذا شئتُ لاقيتُ الذى لا أُشاكلهْ
فحامقتُه حتي يقال سجيةٌ　　ولو كان ذا عقل لكنتُ أُعاقِلهْ

وقال أبو العتاهية

منْ سابق الدّهرَ كبا كبوةً　　لم يستقلها من خطا الدهر
فاحظُ مع الدهر على ماخطا　　وأجر مع الدهر كما يجرى
ليس لما ليست له حيلةٌ　　موجودة خيرٌ من الصبر

وقال بشر بن المعتمر

حيلة ماليستْ له حيلة　　حسن عزاء النفس والصبر

وقال صالح بن عبد القدوس

وانّ عناءً ان تفهم جاهلا　　ويحسبُ جهلا أنه منك أفهمُ
متى يبلغ البنيانُ يوما تمامه　　اذا كنتَ تبنيه وآخر يهدِمُ

وقال بشر بن المعتمر

واذا الغبي رأيته مستغنيا　　أعي الطبيبَ وحيلة المحتال

ومن المجانين مهدى بن الملوح الجعدى ، وهو مجنون بنى جعدة ، و بنو المجنون قبيل من قبائل بنى جعدة ، وهو غير هذا المجنون ، وأما مجنون بنى عامر و بنى عقيل فهو قيس بن معاذ وهو الذى يقال له مجنون بنى عامر وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجننهما بعشيقتين كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة ، وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ومن لم ير وأشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار وأشعار اليهود والأشعار المنصفه ، فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة ، ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الاحاديث والقصائد والفقر والنتف من كل شيء ، ولقد شهدتهم وماهم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الاحنف ، فما هو الا أن أورد عليهم خلف الاحمر نسيب الأعراب ، فصار زهدهم فى نسيب العباس بقدر رغبتهم فى نسيب الأعراب ، ثم

رأيتهم منذ سنيات ومايروى عندهم نسيب الأعراب الاحدث السن قد ابتدأ فى طلب الشعر أوفتيانى متغزل ، وقد جلست الى أبى عبيدة والأصمعى ويحي بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد الى شعر فى النسيب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله ، ولم أرغاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ، ولم أرغاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب أومعنى صعب يحتاج الى الاستخراج ، ولم أرغاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل ، ورأيت عامتهم فقد طالت مشاهدتى لهم لايقفون الاعلى الالفاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة وعلى الالفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعانى التى اذاصارت فى الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الاقلام على مدافن الالفاظ وأشارت الى حسان المعانى ، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام فى رواة الكتاب أعم وعلى السنة حذاق الشعراء أظهر ولقد رأيت أبا عمرو والشيبانى يكتب أشعارا من أفواه جلسائه ليدخلها فى باب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل الى ان أبناء أولئك الشعراء لايستطيعون أبدا أن يقولوا شعرا جيدا لمكان اغراقهم فى أولئك الآباء ولولا أن أكون عيابا للعلماء خاصة لصورت لك فى هذا الكتاب بعض ماسمعت من أبى عبيدة ومن هو أبعد فى وهمك من أبى عبيدة ، قال بن المبارك كان عندنا رجل يكنى أباخارجة فقلت له لم كنوك أباخارجة قال لانى ولدت يوم دخل سليمان بن على البصرة ، وكان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل وكان يكنى أبا حزيمة فقلت لاصحابنا هل لكم فى مسألة هذا الحارس عن سبب كنيته فلعل الله يفيد من هذا الشيخ علما وان كان فى ظاهر الرأى غير مأمول ولا مطمع ، وهذه الكنية كنية زرارة بن عدس وكنية حازم بن حزيمة وكنية حمزة ابن أدرك وكنية فلان وفلان وكل هؤلاء اما قائد متبوع واما سيد مطاع ومن أين وقع هذا العلج الألكن على هذه الكنية فدعوته فقلت له هذه الكنية كناك بها انسان أو كنيت بها نفسك قال لاولكنى كنيت بها نفسى قلت فلم اخترتها على غيرها قال ومايدرينى قلت ألك ابن يسمى حزيمة قال لا ، قلت أفكان أبوك أو عمك أو مولى لك يسمى حزيمة قال لا ، قلت فاترك هذه الكنية واكتن بأحسن منها وخذ منى دينارا قال لاوالله ولا بجميع الدنيا ، أعطى الحلول ابنه

درهما وقال زنه فطرح وزن درهمين وهو يحسبه وزن درهم ، فلما رأى الدرهم قد شال وضع معه وزن درهم فلما رفعه وجده شائلا فالقى معه حبتين فقال له أبوه كم فيه قال ليس فيه شيء وهو ينقص حبتين ، وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش فاخذ يوما فى ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة وتصغير شان الدنيا وتعظيم شان الآخرة فقال إن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيا وعليه فضل سنتين ، قالوا وكيف ذاك قال خمسا وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلا ولا كثيرا وخمس سنين قائلة وعشرين سنة اما أن يكون صبيا واما أن يكون معه سكر الشباب فهو لا يعقل ولا بد من صبحة بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء وكالغشى الذى يصيب الانسان مرارا فى دهره وغير ذلك من الآفات فاذا حصلنا ذلك فقد صح ان الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيا وعليه فضل سنتين ، وقال بعض الهلاك دخل فلان على كسرى فقال أصلحك الله مالأمر فى كذا كذا ، قال رجل من وجوه أهل البصرة حدثت حادثة أيام الفرس فنادى كسرى الصلاة جامعة ، وقلت لغلامى نفيس بعثك الى السوق فى حوائج فاشتريت مالم أمرك به وتركت كل ماأمرتك به ، قال يامولاى انا ناقة ً وليس فى ركبتى دماغ ، وقال نفيس لغلام لى الناس ويلك أنت حياء كلهم أقل ، يريد انت أقل الناس كلهم حياء ، وقلت لقيس بن بريهة هذا الصبى فى أى شىء أسلموه قال فى أصحاب سند نعال يريد فى أصحاب النعال السندية ، روى الاصمعى وابن الاعرابى عن رجالهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا معشر الانبياء بكاءٌ فقال ناس البكء القلة وأصل ذلك من اللبن ، فقد جعل صفة الانبياء قلة الكلام ولم يجعله من ايثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول ، قلنا ليس فى ظاهر هذا الكلام دليل على ان القلة من عجز فى الخلقة وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا وقد يكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعانى ، والقلة تكون من وجهين أحدهما من جهة التحصيل والاشفاق من التكلف وعلى تصديق ذلك قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ، وعلى البعد من الصنعة ومن شدة المحاسبة وحصر النفس حتى يصير بالتمرين والتوطين الى عادة تناسب الطبيعة ، وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر وسوء الاهتداء الى جياد المعانى والجهل بمحاسن الالفاظ الا ترى ان الله قد استجاب لموسى على نبينا وعليه السلام حين قال واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى

وزيرا من أهلى هرون أخى أشدد به أزرى واشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ، قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى ، فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحق بمسألة اطلاق تلك العقدة من موسى لان العرب أشد فخرا ببيانها وطول السنتها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها ، وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال ، وقد شاهدوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبه الطوال فى المواسم الكبار ولم يطل التماسا للطول ولارغبة فى القدرة على الكثير ولكن المعانى اذا كثرت والوجوه اذا افتنت كثر عدد اللفظ وان حذفت فضوله بغاية الحذف ، ولم يكن الله ليعطى موسى لتمام ابلاغه شيئا لايعطيه محمدا ، والذين بعث فيهم أكثر مايعتمدون عليه البيان واللسن ، وانما قلنا هذا لنحسم جميع وجوه الشغب لأن أحدا من أعدائه شاهد هناك طرفا من العجز ولو كان ذلك مرئيا ومسموعا لاحتجوا به فى الملأ ولتناجوا به فى الخلاء ، ولتكلم به خطيبهم ولقال فيه شاعرهم فقد عرف الناس كثرة خطبائهم وتسرع شعرائهم ، هذا على اننا لاندرى اقال ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم لم يقله لان مثل هذه الاخبار يحتاج فيها الى الخبر المكشوف والحديث المعروف ، ولكننا بفضل الثقة وظهور الحجة نجيب بمثل هذا وشبهه ، وقد علمنا ان من يقرض الشعر ويتكلف الاسجاع ويؤلف المزدوج ويتقدم فى تحبير المنثور وقد تعمق فى المعانى وتكلف اقامة الوزن والذى تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا رهوا مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمد أمرا وأحسن موقعا من القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج ، ولان التقدم فيه وجمع النفس له وحصر الفكر عليه لايكون الا ممن يحب السمعة ويهوى الفالج والاستطالة ، وليس بين حال المتنافسين وبين حال المتحاسدين الاحجاب رقيق وحجاز ضعيف ، والانبياء بمندوحة من هذه الصفة وفى ضد هذه الشيمة ، وقال عامر بن عبد قيس الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ، وتكلم رجل عند الحسن بمواعظ جمة ومعان تدعو الى الرقة فلم ير الحسن رق ، فقال الحسن اما ان يكون بنا شر أو بك ، يذهب الى ان المستمع يرق على قدر رقة القائل ، والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم ، وهو القليل الجامع للكثير ، وقال الله تعالى وقوله الحق

وماعلمناه الشعر ، ثم قال وماينبغى له ، ثم قال ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون ، فعم ولم يخص واطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التى ذمهم بها تكلف الصنعة والخروج الى المباهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق ، ومن كان كذلك كان أشد افتقارا الى السامع من السامع اليه لشغفه ان يذكر فى البلغاء وصبابته بالالحاق بالشعراء ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة وولد ذلك فى قلبه شدة الحمية وحب المحاربة ، ومن سخف هذا السخف وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة كانت حاله داعية الى قول الزور والفخر بالكذب وصرف الرغبة الى الناس والافراط فى مدح من أعطاه وذم من منعه ، فنزه الله رسوله ولم يعلمه الكتاب والحساب ولم يرغبه فى صنعة الكلام والتقيد لطلب الالفاظ والتكلف لاستخراج المعانى ، فجمع له باله كله فى الدعاء الى الله والصبر عليه والمجاهدة فيه والانبتات [١] اليه والميل الى كل مايقرب منه ، فاعطاه الاخلاص الذى لايشوبه رياء واليقين الذى لايعتوره شك والعزم المتمكن والقوة الفاضلة ، فاذا رأت مكانه الشعراء وفهمته الخطباء ومن قد تعبد للمعانى وتعود نظمها وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها واثارتها من اماكنها علموا انهم لايبلغون بجميع مامعهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم وبكثير ماقد خولوه ، قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم فى طلبه واختلاف الى أهله ، وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ومع تلك الكلف والرياضات لاينفكون فى بعض تلك المقامات من بعض الاستكراه والزلل ومن بعض التعقيد والخطل ومن التفنن والانتشار ومن التشديق [٢] والاكثار ، ورأوه مع ذلك يقول اياى والتشادق ، وأبغضكم الى الثرثارون [٣] المتفيهقون ، ثم رأوه فى جميع دهره غاية فى التسديد والصواب التام والعصمة الفاضلة والتابيد الكريم ، وعلموا ان ذلك من ثمرة الحكمة ونتاج التوفيق وان تلك الحكمة من ثمرة التقوى ونتاج الاخلاص ، وللسلف الطيب حكم وخطب كثيرة صحيحة ومدخولة لايخفى شانها على نقاد الالفاظ وجهابذة المعانى ، متميزة عند الرواة الخلص ، وما بلغنا عن أحد من جميع الناس ان أحدا ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة واحدة فهذا وما قبله حجة فى تاويل ذلك الحديث ان

---

١ الانبتات الانقطاع ٢ التشديق ان يلوى الانسان شدقه للتفصح ٣ الثرثارون جمع ثرثار وهو المهذار . والمتفيهقون جمع متفيهق يقال تفيهق فى كلامه تنطع وتوسع كأنه ملأ به فمه

كان حقا وفى كتاب الله المنزل ان الله تبارك وتعالى جعل منيحة داود الحكمة وفصل الخطاب كما أعطاه إلانة الحديد ، وفى الحديث المأثور والخبر المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شعيب خطيب الانبياء ، وعلم الله سليمان منطق الطير وكلام النمل ولغات الجن ، فلم يكن عز وجل ليعطيه ذلك ثم يبتليه فى نفسه و بيانه عن جميع شانه بالقلة والمعجزة ثم لاتكون تلك القلة الا على الايثار منه للقلة فى موضعها وعلى البعد من استعمال التكلف ومناسبة أهل الصنعة والمشغوفين بالسمعة ، وهذا لايجوز على الله عز وجل ، فان كان الذى رويتم من قوله انا معشر الانبياء بِكاءٌ على ماتاولتم وذلك ان لفظ الحديث عام فى جميع الانبياء ، فالذى ذكرنا من حال داود وسليمان صلى الله على نبينا وعليهما وحال شعيب والنبى صلى الله عليه وسلم دليل على بطلان تاويلكم ورد لعموم لفظ الحديث ، وهذه جملة كافية لمن كان يريد الانصاف ، وكان شيخ من البصريين يقول ان الله انما جعل نبيه أميّا لايكتب ولايحسب ولاينسب ولايقرض الشعر ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه واحكام الشريعة ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ماتتباهى به العرب من قيافة[١] الاثر وعيافة الطير ومن العلم بالانواء وبالخيل وبالانساب وبالاخبار وتكلف قول الاشعار ليكون اذا جاء بالقرآن الحكيم وتكلم بالكلام العجيب كان ذلك أدل على انه من الله ، وزعم ان الله لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظا من الحاسب والكاتب ومن الخطيب الناسب ولكن ليجعله نبيا وليتولى أمر تعليمه بما هو أزكى وأنمى فانما نقصه ليزيده ومنعه ليعطيه وحجبه عن القليل ليجلى له الكثير ، وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد الاالخير وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه ، ولو زعم ان اداة الحساب والكتابة واداة قريض الشعر وجميع النسب قد كانت فيه تامة وافرة مجتمعة كاملة ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة الى ماهو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة وكان اذا احتاج الى البلاغة كان أبلغ البلغاء واذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء وأنسب من كل ناسب واقوف من كل قائف ولو كان فى ظاهره والمعروف من شأنه انه كاتب حاسب وشاعر ناسب ومتفرس قائف ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات

١ القيافة معرفة الاثار والعارف بها قائف وعيافة الطير زجزها واعتبارها باسمائها ومساقطها وانوائها فتتيامن بها أو تتشاءم

النبوة لما كان ذلك مانعا من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لامره على سخطهم ورضاهم ومكروههم ومحبوبهم ولكنه أراد أن لايكون للشاعر متعلق عما دعا اليه حتى لايكون دون المعرفة بحقه حجاب وان رق وليكون ذلك أخف من المؤنة وأسهل فى المحنة فلذلك صرف نفسه عن الامور التى كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقريض الشعر وروايته صار لسانه لاينطق به ، والعادة توأم الطبيعة ، فاما فى غير ذلك فانه اذا شاء كان أنطق من كل منطيق وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف وكانت آلته أوفر واداته أكمل الا انها كانت مصروفة الى ماهو أبعد ، وبين ان يضيف اليه العجز وبين ان يضيف اليه العادة الحسنة وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له فرق ، ومن العجب ان صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام فى حال معجزة قط بل لم يره الا وهو ان أطال الكلام قصر عنه كل مطيل وان قصر القول أتى على غاية كل خطيب وماعدم منه الا الخط واقامة الشعر فكيف ذهب ذلك المذهب والظاهر من أمره عليه السلام غير ماتوهم * وسنذكر بعض ماجاء فى تفضيل الشعر والخوف منه ومن اللسان البليغ والمدارة له وماأشبه ذلك ، قال أبوعبيدة اجتمع ثلاثة من بنى سعد يراجزون بنى جعدة فقيل لشيخ من بنى سعد ماعندك قال أرجز بهم يوما الى الليل لاأفثج [1] وقيل للآخر ماعندك قال أرجز بهم يوما الى الليل لاأنكف ، فقيل للآخر الثالث ماعندك قال أرجز بهم يوما الى الليل لاأنكش [2] فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا وخلوهم ، قال وبنو ضرار أحد بنى ثعلبة بن سعد لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراء صبيا ناوهم شماخ ومزرد وجزء أرادت أمهم وهى أم أوس ان تتزوج رجلا يسمى أوسا وكان أوس هذا شاعرا فلما رأوه بنو ضرار بفناء امهم للخطبة تناول شماخ حبل الدلو ثم متح [3] وهو يقول

أَمّ أُوَيس نكحتْ أويسا | وجاء مزرد فتناول الحبل فقال

أعجبها حذارة وكيسا [4] | وجاء جزء فتناول الحبل ثم قال

أصدق منها لجبةً [5] وتيسا | فلما سمع أوس رجز الصبيان

١ لاأفثج بالضم : لا أعيا ولاانبهر ٢ لاانكش لعله من قولهم بحرلا يكشكش : لاينزح ماؤه بالاستقاء ٣ متح الماء كمنع نزعه ٤ الحذارة السمن فى غلظ واجتماع خلق ٥ اللجبة الشاة قل لبنها أو الغزيرة . ضد أوخاص بالمعزى

بهاهرب وتركها ، قال أبوعبيدة كان الرجل من بنى نمير اذا قيـل له ممن الرجـل قال نميرى كما ترى فما هو الا أن قال جرير

فغضّ الطرفَ إنك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاَبا

فصار الرجـل من بنى نمير اذا قيـل له ممن الرجل قال من بنى عامر ، قال فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوما آخرين

وسوفَ يزيدُكم ضعةً هجائى كما وضع الهجاءُ بنى نميرِ

فلما هجاهم أبوالردينى العكلى فتوعدوه بالقتل قال الردينى

أتوعِدُنى لتقتلـنى نميرٌ متى قتلتْ نميرٌ من هجاها

فشد عليـه رجل منهم فقتله ، وما علمت فى العرب قبيلة لقيت من جميع ماهجيت به مالقيت نمـير من بيت جرير ، و يزعمون ان امرأة مرت بمجلس من مجالس بنى نمـير فتاملها ناس منهم فقالت يا بنى نمير لاقول الله سـمعتم ولا قول الشاعر أطعتم ، قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقال الشاعر

فغض الطرف انك من نمير فـلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأخلق بهذا الحـديث ان يكون مولدا ولقـد أحسن من ولده ، وفى نمير شرف كثير ، وهـل أهلك عنزة وجرما وعكلا وسلول و باهلة وغنيـا الا الهجاء ، وهـذه قبائل فيها فضل كثير و بعض النقص فمحق ذلك الفضل كلـه هجاء الشعراء ، وهـل فضـح الحبطات [1] مع شرف حسـكة بنى عتاب وعباد بن الحصـين وولده الاقول الشاعر

رأيت الحمرَ من شر المطايا كما الحبطاتُ شرُّ بنى تميم

وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر

ان أبانا فقحـــةٌ لدرم كما الظليم فقحة [2] البراجم

وهل أهلك بنى العجلان الا قول الشاعر

إذا الله عادى أهـل لؤم ودقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

---

١ الحبطات أولاد الحرث بن مالك بن عمرو وكان يسمى الحبط ككتف وقد يحرك ٢ الفقحة حلقة الدبر أوالواسعة . ودارم ابوحى من تميم وهودارم بن مالك بن حنظلة وكان يسمى بحرا . والبراجم قوم من أولاد حنظلة بن مالك

قبيلتـه لا يغـدِرُون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون المـاء الا عشـية اذا صدر الوُرّادُ عن كل منهل

وأما قول الاخطل

وقد سرنى من قيس عيلان اننى رايت بنى العجلان سادوا بني بدر

فان هـذا البيت لم ينفع بنى العجلان ولم يضر بنى بدر ، قال أبوعبيدة كان الرجل من بنى أنف الناقـة اذا قيـل له ممن الرجـل قال من بنى قريع فما هو الا أن قال الحطيئة

قومٌ هم الانف والاذنابُ غيرُهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فصار الرجـل منهم اذا قيـل له ممن أنت قال من بنى أنف الناقة ، وناس سلموا من الهجاء بالخمـول والقلة كما سلمت غسان وغيلان من قبائل عمرو بن تميم وابتليت الحبطات لانها أنبـه ، والنبـاهة التى لا يضر معها الهجاء مثـل نبـاهة بنى بدر و بنى فزارة ومثـل نباهة بنى عدس بن زيد و بنى عبد الله بن دارم ومثـل نباهة الديان بن عبـد المدان و بنى الحرث بن كعب ، فليس يسلم من مضرة الهجاء الاخامل جدا ، أونبيه جـدا ، وقـد هجيت فزارة بأكل اير الحمـار و بكثرة شـعر القفا لقول الحرث ابن ظالم

فما قومى بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعرِ الرقاب

ثم افتخر مفتخرهم بذلك ومدحهم به الشاعر فقال مزرد بن ضرار

منيعٌ بين ثعلبـةَ بنِ سـعد وبين فزارة الشعرِ الرِّقابِ

فما من كان بينهما بنكس (١) لعمرك في الخطوب ولا بكاب

واما قصة اير الحمـار فانما اللؤم على المطعم لرفيقـه مالا يعرفه ، فهـل كان على الفـزارى فى حـق الانفـة أكـثر من قتـل من أطعمـه الجـوفان ٢ من حيث لايدرى ، فقد هجوا بذلك وشرفهم وافر ، وقـدهجيت الحرث بن كعب وكتب الهيثم ابن عـدى فيهم كتابا فما ضعضع ذلك منهم حتى لأنه قـد كتبـه لهم ، ولولا الربيع

١ النكس بالكسر الضعيف . والكابى الذى يدعى الى الخير فلايستجيب له ٢ الجوفان بالضم أير الحمار

ابن خيثم وسفيان الثورى ماعلم الناس ان فى الرباب حيا يقال لهم بنو ثور ، وفى عكل شعر وفصاحة وخيل معروفة الانساب وفرسان فى الجاهلية والاسلام ، وزعم يونس ان عكلا أحسن العرب وجوها فى غب حرب ، وقال بعض فتاك بنى تميم

خليلى الفتىَ العكليّ لم أرمِثله ... تحلبُ كفاه ندَى شائع القدرِ
كأن سهيلا حينَ أوقدَ نارَه ... بعلياءَ لايخفى على احدٍ يسري

ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهدا على مقدار حظهم فى الشرف ولكن لنضمه الى قول جران العود

اراقبُ لمحا من سهيل كأنه ... اذا مابدا من آخر الليل يطرف

وربما أتيت القبيلة اذا برزت عليها اخوتها كنحو فقيم بن جرير بن دارم وزيد بن عبد الله بن دارم وكنحو الحرماز ومازن ولذلك يقال ان أصلح الامور لمن تكلف علم الطب ان لايحسن منه شيأ أويكون من الحذاق التطبيين فانه ان أحسن منه شيأ ولم يبلغ فيه المبلغ هلك وأهلك أهله ، وكذلك العلم بصناعه الكلام وليس كذلك سائر الصناعات فليس يضر من أحسن باب الفاعل والمفعول به وباب الاضافة وباب المعرفة والنكرة ان يكون جاهلا بسائر أبواب النحو ، وكذلك من نظر فى علم الفرائض فليس يضر من أحكم باب الصلب أن يجهل باب الجد وكذلك الحساب وهذا كثير ، وذكروا ان حزن بن الحرث أحد بنى العنبر ولد محجنا فولد محجن شعيث بن سهم فاغير على ابله فاتى أوس بن حجر يستنجده فقال له أوس أوخير من ذلك احضض لك قيس بن عاصم ، وكان يقال ان حزن بن الحرث هو حزن بن منقر فقال أوس

سائل بها مولاك قيس بن عاصم ... فمولاك مولى السوء ان لم تغير
لعمرك ما ادرى امن حزن محجن ... شعيث بن سهم ام الحزن بن منقر
فما انت بالمولى المضيع حقه ... وما انت بالجار الضعيف المستتر[1]

فسعى قيس فى ابله حتى ردها عن آخرها وقال الآخر

١ المستتر : الخائف

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بنى مازن مخارق بن شهاب حين أتاه محمد بن المكعبر العنبرى الشاعر فقال ان بنى يربوع قد أغاروا على ابلى فاسع لى فيها فقال وكيف وأنت جار وردان بن مخرمة فلما ولى عنه محمد محزونا بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته مايبكيك فقال وكيف لاأبكى واستغاثنى شاعر من شعراء العرب فلم أغثه والله لئن هجانى ليفضحنى قوله ولئن كف عنى ليقتلنى شكره ثم نهض فصاح فى بنى مازن فردت عليه ابله وذكر وردان الذى كان أخفره فقال

أقولُ وقد بزّت بتعشار بزة ... لوردان جدَّ الآن فيها أوالعبِ

فمض الذى أبقى المواسى من أمه ... خفير رآها لم يشمر ويغضب

اذا نزلت وسط الرباب وحولها ... اذا حصنت الفاسنان مجرب

حميت خزاعيا وافناء مازن ... ووردان يحمى عن عدي بن جندب

ستعرفها ولدان ضبة كلها ... بأعيانها مردودة لم تغيب

قال وفد رجل من بنى مازن على النعمان بن المنذر فقال له النعمان كيف مخارق بن شهاب فيكم قال سيد كريم وحسبك من رجل يمدح نفسه ويهجوا ابن عمه ذهب الى قوله

ترى ضيفها فيها يبيت بغبطه ... وجارُ ابن قيس جائع يتحوب[1]

قال ومن قدر الشعر وموقعه فى النفع والضر أن ليلى بنت النضر بن الحرث بن كلدة لما عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشفت منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها قال رسول الله صل الله عليه وسلم لوكنت سمعت شعرها هذا ماقتلته والشعر

يارا كبا ان الاثيل[2] مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

---

١ التحوب التوجع ٢ الاثيل بصيغة المصغرواد بنواحى المدينة

أبلغ بها ميتا بان قصيدة — ماإن نزال بها الركائب تخفق [1]
فليسمعن النضر إن ناديته — ان كان يسمع ميتا لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تقوشه — لله ارحام هناك تشقق
قسرا يقاد الى المنية متعبا — رسف [2] المقيد وهو عان موثق
امحمدها أنت صِنوُ [3] نجيبة — من قومها والفحل فحل معرق
ماكان ضرك لو مننت وربما — من الفتى وهو المغيظ المحنق

قال ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم وتخوفهم ان يبقى ذكر ذلك فى الاعقاب ويسب به الاحياء والاموات انهم اذا اسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثى حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب وهو الذى يقول

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة [4] — أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا
وتضحك منى شيخة عبشمية — كان لم ترىَ قبلى أسيرا يمانيا
كأنى لم أركب جوادا ولم أقل — لخيلى كرى كرة عن رجاليا
فيارا كبا اما عرضت فبلغن — نداماى من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرَب والأيهمين كليهما — وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا

وكان سألهم ان يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا فكان ينوح بهذه الابيات ، فلما انشد قومه هذا الشعر قال قيس لبيك وان كنت أخرتنى ، وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك فقال لابد للمصدور من ان ينفث ، وقال معاوية لصحار العبدى ماهذا الكلام الذى يظهر منك قال شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا ، وقال ابن حرب من أحسن شيأ اظهره ، وفى المثل من أحب شيأ أكثر ذكره ، وقال خاصم أبو الحويرث السحيمى حمزة

١ تخفق : تسرع ٢ رسف فى قيده رسفا مشى فيه ٣ الضنو بالفتح ويكسر الولد ٤ النسعة بالكسر قطعة من سير ينسج عريضا على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال

ابن بيض الى المهاجرين عبد الله فى طوى (١) له فقال أبوالحويرث

أغمضتَ (٢) فى حاجة كانت تؤرقنى　　لولا الذى قلتَ فيها قل تغميضي

قال وماقلت لك قال

حلفتَ بالله لى أنْ سوف تنصفنى　　فساغ فى الحلق ريقٌ بعد تجريض (٣)

قال وانا احلف بالله لانصفنك قال

فاسأل أولىً عن اولى ان ماخصومتهم　　أم كيف أنت وأصحابُ المعاريض

قال أوجعهم ضربا قال

فاسأل سحيماً اذا وافاك جمعهم　　هل كان بالبئر حوضٌ قبل تحويض

قال فتقدمت الشهود فشهدت لابى الحويرث، قال فالتفت الى ابن بيض فقال

أنت ابنُ بيض لعمرى لستُ أنكره　　حقا يقينا ولكن منْ أبو بيض

ان كنت أنبضت (٤) لى قوسا لترميني　　فقد رميتك رميا غير تنبيض

أو كنتَ خضخضتَ لى وطباً لتسقيني　　فقد سقيتك وَطباً غيرَ ممخوض

ان المهاجر عدلٌ فى حكومته　　والعدل يعدل عندى كل تعريض

قال وتزوج شيخ من الاعراب جارية من رهطه وطمع أن تلد له غلاما فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها وصار يأوى الى غير بيتها فمر بخبائها بعد حول واذا هى ترقص بنيتها منه وهى تقول

مالابى حمزة لا يأتينا　　يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا　　تالله ماذلك في أيدينا

وانما نأخذ ماأعطينا

فلما سمع الابيات مر الشيخ نحوهما حضراً (٥) حتى ولج عليها الخباء فقبلها وقبل

١ الطوى كفنى بئر بمكة ٢ يقال لمن جاء برأى سديد لقد أغمضت فى النظر ٣ التجريض الاغصاص وعدم الاساغة ٤ انبضت لى قوسا يقال انبض القوس ونبض فيها حرك وترها لترن ٥ الحضر بالضم ارتفاع الفرس فى عدوه

بنيتها وقال ظلمتكما ورب الكعبة ، وقال مسلم بن الوليد

فانى واسمعيل عند فراقنا ... لكا لجفن يوم الروع فارقه النصل

أمنتجعا مروا باثقال همه ... دع الثقل واحمل حاجة مالها ثقل

ثناء كعرف الطيب يهدَى لاهله ... وليس له الا بني خالد أهل

فان أغشَ قوما بعدهم أوازورهم ... فكالوحش يدنيها من الأنس المحل

وقال ابن أبي عيينة

هل كنتَ الا كلحم ميت ... دعا الى أكله اضطرارُ

وقال الآخر

لئن حبس العباسُ عنا رغيفه ... لما فاتنا من نعمة الله أكثرُ

وقال أبو كعب كان رجل يجرى على رجل رغيفا فى كل يوم فكان اذا أتاه الرغيف يقول لعنك الله ولعن من بعثك ولعننى ان تركتك حتى أصيب خيرا منك وقال بشار

اذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافى عدّة للقوادم

وخل الهوينا للضيف ولا تكن ... نؤوما فان الحزم ليس بنائم

وأدن على القربى المقرب نفسه ... ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم

وما خير كف أمسكَ الغلُّ أُختها ... وما خير سيف لم يؤيد بقائم

فانك لاتستطرد الهمّ بالمنىَ ... ولا تبلغ العليا بغير المكارم

وقال آخر

تعرفني هنيدةُ من بنوها ... وأعرفها اذا اشتد الغبار

متى ماتلق مناذا ثناء ... يؤُز كان رجليه شجار[1]

---

١ الشجار عود الهودج

فلا تعجل عليه فان فيه ... منافع حين يبتل العذار
أنا ابن المضرجن أبي شليل ... وهل يخفى على الناس النهار
ورثنا صنعه ولكل فحل ... على أولاده منه نجار

وقال أعشى همدان فى خالد بن عتاب بن ورقاء

تمنيني إمارتها تميم ... وما أمرى وأمر بنى تميم
وكان أبو سليمان خليلى ... ولكن الشراك من الاديم
أتينا أصبهان فهزلتنا ... وكنا قبل ذلك فى نعيم
أتذكرنا ومُرَّة اذ غزونا ... وأنت على بغيلك ذى الشؤم
ويركب رأسه فى كل وحل ... ويعثر في الطريق المستقيم
وليس عليك الا طيلسان ... نصيبيٌّ وإلَّا سحقُ نيم (١)

وقال آخر

فلستُ مسلما مادمت حيا ... على زيد بتسليم الامير
أمير يأكل الفالوذ (٢) سرا ... ويطعم ضيفه خبز الشعير
أتذكر اذ قباؤك جلد شاة ... واذ نعلاك من جلد البعير
فسبحان الذي أعطاك ملكا ... وعلمك الجلوس على السرير

وقال آخر

دع عنك مروان لاتطلب إمارته ... ففيك راع لهاماء ثمت شرشور
مابال بردك لم يمسس حواشيه ... من ثرمداء (٣) ولا صنعاء تحبير

وقال ابن قتان المحاربى

١ النيم بالكسر الخلق البالى ٢ الفالوذ ضرب من الحلواء ٣ ثرمداء موضع أوماء فى دار بنى سعد

أقول لما جئت مجالسهم ... قبح الاله عمائم الخز
لولا قتيبة ما اعتجرت بها ... أبدا ولا أقعيت في غرز
عجبا لهذا الخز يلبسه ... من كان مشتاقا الى الخبز
من كان يشتو فى عباءته ... متقبضا كتقبض العنز

وقال ثابت قطنة فى رجل كان المهلب ولاه بعض خراسان

مازال رأيك يامهلب فاضلا ... حتي بنيت سرادقا لوكيع
وجعلته ربا على أربابه ... ورفعت عبدا كان غير رفيع
لو رأي أبوه سرادقا أحدثته ... لبكا وفاضت عينه بدموع

وقال ابن سيخان مولى المغيرة فى بنى مطيع العدويين

حرام كنتى منى بسوء ... واذكر صاحبي أبدا بذام
لقد حرّمتُ وُدّ بني مطيع ... حرام الدهن للرجل الحرام
وخزهم الذى لم يشتروه ... ومجاسهم بمعتلج[1] الظلام
وان جنف[2] الزمان مددتُ حبلا ... متينا من حبال بنى هشام
وريق عودهم أبدا رطيب ... اذا ماأغبرّ عيدان اللئام

وقال آخر

لمن جزرٌ ينَحِّرها سويد ... الا يامرٌ للمجد المضاع
كانك قد سعيت بذميتهم ... وكنت ثمال أيتام جياع

وقال

سبحان من سبح السبع الطباق له ... حتى لهرثمة الذهلى أبواب

وأنشدنا الاحيمر

---

١ بمعتلج الظلام يقال اعتلج الظلام تراكب بعضه فوق بعض واشتد ٢ وان جنف الزمان . الجنف محركا الميل والجور والفعل كتعب

بأقب منصلت اللبان كانه سيد تنصل من جحور رسعالي

وقال خلف لم أر بيتا أفاد واجاد وساد وزاد وقاد وعاد ولا أفضل من قول امرئ القيس

له ايطلاظبي (١) وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وقال الآخر

رمى الفقر بالفتيان حتى كانهم باقطار آفاق البلاد نجوم

وان امرأ لم يفقر العام بيته ولم يتخذ لحمه للئيم

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي

وليلةٍ من ليال الدهر صالحة باشرتُ في هولها مرأًى ومستمعا

ونكبةٍ لورمى الرامى بها حجرا أصمَّ من جندل الصمان لانصدعا

مرتْ عليَّ فلم أطرح لها سلبي ولا استكنتُ لهاوَهنا ولاجزَعا

وما أزال على ارجاء مهلكة يسائل المعشرُ الاعداء ماصنعا

ولا رميت على خصم بفاقرة الا رميت بخصم فرَّلى (٢) جذعا

ماسدّ من مطلع يخشىَ الهلاكُ به الا وجدت بظهر الغيب مطلعا

لايملأ الهول قلبي قبل وقعته ولا يضيق له صدرى اذا وقعا

وقال الآخر

لقدطال اعراضى وصفحى عن التى أُبلَّغ عنكم والقلوب قلوبُ

وطال انتظارى عطفةَ الرحم منكم ليرجع ودٌّ أو ينيبَ منيبُ

فلا تأمنوا منى عليكم شبيهها فيرضى بغيضٌ أويساء حبيبُ

ويظهرَ منا في المقال وَمنكم اذا ماارتمينا فى النضال عيوبُ

---

١ لهايطلاظبي . مثنى أيطل وهو الخاصرة . والتتفل الثعلب ٢ فرلى . من قولك فر الدابة يفرها فرا كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وأجذع محركا الشاب الحدث

فان لسان الباحث الداء ساخطا    بني عمنا ألوى البيان كذوبُ

وقال الاشهب بن رميلة

وإن الألى حانت بفلج دماؤهم    هم القوم كل القوم ياأم خالد

هم ساعد الدهر الذى يتقى به    وماخير كف لاتنوه بساعد

اسود[1] شرًى لاقت أسودَ خفيةٍ    تساقوا على حردٍ دماءَ الاساودِ

قوله هم ساعد الدهر انما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع وقد قال الراعى

هم كاهل الدهر الذي يتقى به    ومنكبه ان كان للدهر منكب

وقد جاء فى الحديث ، موسى الله أحد وساعد الله أشد ، والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وار بت على كل لسان ، والراعى كثير البديع فى شعره و بشار حسن البديع والعتابى يذهب شعره فى البديع ، وقال كعب بن عدى

شد العقاب على السيرئ بمن جنى    حتى يكون لغيره تنكيلا

والجهل في بعض الامور اذا اغتدى    مستخرج للجاهلين عقولا

وقال زفر بن الحرث

لئن عذتَ واللهِ الذى فوق عرشه    منحتك مسنونَ[2] الغرارَين أزرقا

فان دواء الجهل ان تضرب الطلا    وان يغمسَ العرّيضُ[3] حتى يغرقا

وقال مبذول العذرى

ومولًى كضرس السوء يؤذيك مسهُ    ولابدَّ ان آذاك أنكَ فاقرُهْ

دَوِى الجوف[4] إنْ ينزَعْ يَسؤْكَ مكانه    وان يبق يصبح كل يوم تحاذِرُهْ

يسرُّ لك البغضاء وهو مجامل    وما كل من يجنى عليك تساوره

١ أسود شرى . الشرى موضع كثير الاسود أوجبل بتهامة كثير السباع . وخفية كغفنية مأسدة أيضا . والحرد القصد أوالغضب ٢ مسنون الغرارين . المسنون الرمح والغرار بكسر الغين الحد ٣ العريض كسكيت الذى يتعرض للناس بالشر ٤ دوى الجوف من الدوا مقصورا وهو المرض

وما كل من مددت ثوبك دونه لتستر مما قد أتى أنت ساتره

وقال الآخر

أَطال الله كيس بنى رزين وحمّقى ان شريت لهم بدينى
أأكتب ابلهم شاءً وفيها بربع فصالها بِنتا لبون
فما خلقوا بِكيسهم دُهاةً ولا ملحاء بعدَ فيعجبونى

وقال آخر

عفاريتا على وأ كل مالى وعجراعن اناس آخرينا
فهلا غير عمكم ظلمتم اذا ماكنتم متظلمينا
فلوكنتم لكيسة أكاست وكيسُ الامِ أكيس للبنينا

وقالت رقية بنت عبد المطلب فى النبي صلى الله عليه وسلم

ابُنَىَّ انى رابنى حجر يغدو بكفك حيثما يغدو
وأخاف ان تاتي غويهم أوان يصيبك بعد من يعدو

ولما دخل مكة لقيه جواريها يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع

يضاف الى باب الخطب والى القول فى تلخيص المعانى والخروج من الامر المشبه بغيره قول حسان بن ثابت

إن خالى خطيب جابية [1] الجو لان عند النعمان حين يقوم
وهو الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان فى المكبول سقيم
وسطت نسبتى الذوائب منهم كل دار فيها أب لى عظيم

---

١ جابية الجولان الجابية موضع بدمشق والجولان بالفتح جبل بالشام

وأبى في سميحة [١] القائل الفا ... صل يوم التفت عليه الخصوم
يفصل القول بالبيان وذو الرأ ... ى من القوم ظالع مكعوم [٢]
تلك أفعاله وفعـل الزبعرى ... حامـل فى صديقـه مذموم
رب حـلم أضاعـه عـدم الـ ... ـمال وجهل غطي عليه النعيم
ولى الناس منكم اذ ابيتم ... أُسرةٌ من بنى قصىّ صميمُ
وقريش يحـول منا لواذاً [٣] ... ان يقيموا وخفّ منها الحلوم
لم يطق حمـله العواتق [٤] منهم ... انما يحمـل اللواء النجوم

ولما دفن سليمان بن عبد الملك أيوب وقف ينظر الى القبر ثم قال

كنتَ لنا أُنسا ففارقتنا ... فالعيشُ من بعدك مرُّ المذاقِ

وقربت دابته فركب و وقف على قبره وقال

وقوفا على قبر مقيم بقـفرة ... متاع قليل من حبيب مفارق

ثم قال وعليك السلام ثم عطف رأس دابته وقال

فان صبرت فلم ألفظك من شبع ... وان جزعتُ فعلق [٥] منفسٌ ذهبا

المـدائنى قال لما مات محمد بن الحجاج جزع عليـه فقال اذا غسلتموه فاعلمونى فلما نظر اليه قال

ألآنَ لما كنتَ أكرمَ من مشى ... وافتر نابك عن شباة القارحِ
وتـكاملتْ فيك المروءةَ كلها ... وأعنتَ ذلك بالفعال الصالح

ثم أتاه موت أخيه محمد بن يوسف فقال

حسبي ثوابُ الله من كل ميتٍ ... وحسبي بقاء الله من كل هالك

---

١ سميحة كجهينة لعله أراد بها بئرا بالمدينة غـزيرة الماء ٢ مكعوم. يقال كعم البعير كمنع فهو مكعوم وكعيم شدفاه لئلا يأكل أويعض ومن المجاز قولهم كعمه الخوف فلا ينبس بكلمة ٣ اللواذ الخوف والمراوغة ٤ العواتق جمع عاتق وهوموضع الرداء من المنكب ٥ العلق بالكسر النفيس من كل شيء

اذا مالقيتُ اللهَ عنى راضياً　　فان شفاء النفس فيما هنالك

تمثل معاوية فى عبد الله بن بديل

أخوالحرب ان عضتْ به الحربُ عضها　　وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويدنو اذ ما الموت لم يك دونه　　قدَى (1) الشبر يحمى الانف ان يتأخرا

ورأى معاوية هزاله وهو متعر فقال

أرى الليالى أسرعتْ فى نقضى　　أخذنَ بعضى وتركنَ بعضى

حنينَ طولى وتركنَ عرضى　　أقعدننى من بعد طول النهضِ

وتمثل عبد الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الاشدق

سكنته ليقبل منى نفره　　فاصول صولة حازم مستمكن

غضبا ومحية لنفسى إنه　　ليس المسىء سبيله كالمحسن

وسمع معاوية رجلا يقول

ومن كريمٌ ماجدٌ سميدَعٌ (2)　　يؤتى فيعطى من ندًى ويمنعُ

فقال هذا منا ، هذا والله عبد الله بن الزبير ، المدائنى قال قال معاوية اذا لم يكن الهاشمى جوادا لم يشبه قومه ، واذا لم يكن المخزومى تياها لم يشبه قومه ، واذا لم يكن الاموى حليما لم يشبه قومه ، فبلغ قوله الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فقال ماأحسن مانظر لنفسه ، أراد ان تجود بنو هاشم باموالها فتفتقر الى مافى يديه ، وتزهو بنو مخزوم على الناس فتبغض وتشنأ ، وتحلم بنو أميه فتحب ، وقال بشار

أحسن صحابتنا فانك مدرك　　بعض اللبانة باصطناع الصاحب

واذا جفوتَ قطعت عنك لبانتى　　والدرُّ يقطعه جفاء الحالب

تأتى اللئيمَ وما سعىَ حاجاته　　عدد الحصى ويخيب سعىُ الدائِب

وأنشد

---

1 قدى الشبر : قدره 2 السميدع السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الاكناف

اذا ما أمور الناس رثّتْ وضيعتْ وجدت أموري كلها قد رممتها

وقال أعرابي

ندين ويقضي الله عنا وقد نرى مكان رجال لا يدينون ضيعا

وقال أعرابي

وليس قضاء الدين بالدين راحة ولكنه ثقل ممض (١) الى ثقل

وأنشد أبو عبيدة لعبيد العنبري وهو أحد اللصوص

يارب عفوك عن ذي توبة وجل كانه من حذار النار مجنون

قد كان سالف أعمالا مقاربة أيام ليس له عقل ولا دين

وقال اعرابي

يارب قد حلف الاقوام واجتهدوا أيمانهم انني من ساكن النار

أيحلفون على عمياء ويلهم جهلا بعفو عظيم العفو غفار

وقال اعرابي وهو محبوس

أُسجنا وقيدا واغترابا ووحشة وذكر حبيب ان ذا لعظيم

وان امرأ دامت مواثيق عهده على كل ما لاقيته لكريم

وقال اعرابي

أيا أم عمرو بيني انت كلما ترفع حادٍ أو دعا كل مسلم

نظرت اليها نظرة مايسرني وان كنت محتاجا بها ألف درهم

وقال الشاعر

وما كثرة الشكوى بامر حزامة ولا بد من شكوى اذا لم يكن صبر

ومثله

وأبثثتُ بكرا كل ما في جوانحي وجرّعته من مرها أتجرع

١ ممض الشيء مضا بلغ من قلبه الحزن به كأمضه

ولا بد من شكوى الى ذى حفيظة　　اذا جعلتْ أسرارُ نفسٍ تطلع

وقال الشاعر

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه　　فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها　　حسداً وبغيا انه لدميم

وقال يزرجمهر مارأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد ، وقال الاحنف بن قيس لاراحة لحسود ، وقال الشعبي الحاسد منغص بما فى يد غيره ، وقال الله تبارك وتعالى ومن شر حاسد اذا حسد ، وقال بعضهم يمدح أقواما

محسدُون وشرُّ الناس منزلةً　　من عاش في الناس يوماغير محسود

وقال الشاعر

الرزقَ يأتى قدراً على مهلْ　　والمرء مطبوع على حب العجلْ

وقالوا من تمام المعروف تعجيله ، ووصف بعض الاعراب أميرا فقال اذا أوعد أخر واذا وعد عجل ، وعيده عفو ووعده انجاز ، وقال تبارك وتعالى وكان الانسان عجولا ، ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وهو يومئذ خليفة ، وروى هذا الحديث العتبي عن عتبة بن هرون قال شهدته وقد خرج من عنده فسألته عما جرى بينهما فقال رأيت عنده فتى لم أعرفه فقال لى يا أباعثمان أتعرفه فقلت لا فقال هذا أبن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فقلت له قد رضيت له أميرا يصير اليه اذا صار وقد شغلت عنه ، فبكى ثم قال عظنى يا أبا عثمان فقلت ان الله قد أعطاك الدنيا بامرها فاشترنفسك منه ببعضها فلو ان هذا الامر الذى صار اليك بقى فى يدى من كان قبلك لم يصل اليك ، وتذكر يوما يتمخض باهله لاليلة بعده ، المدائنى قال سمعت اعرابيا يسأل وهو يقول رحم الله امرأ لم تمج اذنه كلامى وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامى فان البلاد مجدبة والحال سيئة والعقل زاجر ينهى عن كلامكم والفقر عازم يحملنى على اخباركم والدعاء أحد الصدقتين فرحم الله امرأ أمر بميرأ ودعا بخير ، وقال رجل من طيء

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم　　كراما ولم نأخذ بهم حشف التمر

وقال آخر

قتلنا بهم مابين مثنى وموحـد وأربعة منهم وآخر خامس

وقال آخر

قتلنا رجالا من تميم أخائرا بقوم كرام من رجال أخائر

وسئل بعض العرب ماالعقل قال الاصابة بالظنون ومعرفة مالم يكن بما قد كان ، وقال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله

ياقيسَ عيلان إنى قد نصبت لكم بالمنجنيق ولما أُرسِل الحجرا

فوثب المهاجر فاخذ بحقوه [1] وقال لك العتبى يا أباحزرة لاترسله ، وقال سويد بن حصامت

الارب من تدعو صديقا ولو ترى مقالته بالغيب ساءك مايفري [2]

مقالته كالشحم مادام شاهدا وبالغيب مأثور [3] على ثغرة النحر

تبين لك العينان ماهو كاتم من الشر والبغضاء بالنظر الشزر

يسرك باديه وتحت أديمه نميمة غش تبتري عقب الظهر

فرشني بخير طالما قد بريتنى وخير الموالى من يريش ولا يبرى

وقال حارثة بن بدر لما تحالفت الازد وربيعة

لاتحسبين فؤدى طائرا فزعا اذا تحالف ضب البر والنون

وأنشد ابن الاعرابى

فان اك قصدا فى الرجال فانني اذا حل أمر ساحتى لحليم

تعيرنى الاعدام والوجه معرض وسيفي باموال التجار زعيم

وأنشد ابن الاعرابى لعمرو بن شاس

متى يبلغ البنيان يوما تمامه اذا كنت تبنيه وآخر يهدم

وقال عبيد بن الابرص

---

[1] الحقو الكشح عند مقعد الازار [2] مايفرى : يكذب ويختلق [3] المأثور السيف القديم المتوارث

ساعِد بارض اذا كنتَ بها ... ولا تقل انني غريب

قد يوصل النازح النائى وقد ... يقطع ذو السهمة[1] القريب

وأنشد الاصمعى لكثير

رأيت أبا الوليد غداة جمع ... به شيب وقد فقد الشبابا

ولكن تحت ذاك الشيب حزم ... اذا ماظن أمرض[2] أو أصابا

ويمدحون باصابة الظن ويذمون بخطائه قال أوس بن حجر

الا لمعى الذى يظن بك الظن ... كان قد رأى وقد سمعا

وفى بعض الحكمة من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه وقال السموأل بن عادياء

وانا لقوم ماتري القتل سبة ... اذا مارأته عامر وسلول

يقرب حبُّ الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول

تسيل على حد السيوف نفوسنا ... وليست على غير السيوف تسيل

ومامات منا سيد فى فراشه ... ولا طلّ منا حيث كان قتيل

وقال حسان بن ثابت

لم تفتها شمسُ النهار بسيء ... غير أن الشبابَ ليس يدُومُ

لو يدب الحولى[3] من ولد الذر ... عليها لأندبتها[4] الكلوم

وقال بشار بن برد

من فتاة صب الجمال عليها ... فى حديث كلذة النشوان

ثم فارقت ذاك غير ذميم ... كل عيش الدنيا وان طال فان

وقال مزاحم العقيلى

---

١ السهمة بالضم القرابة ٢ أمرض : قاوب الاصابة فى رأيه ٣ الحولى ماأتى عليه حول من ذى حافر وغيره ٤ لاندبتها : أثرت فيها وجعلت فيها ندوبا وهى أثار الجرح الباقية . والكلوم جمع كلم بالفتح وهو الجرح

تزين سـنا المـاوىّ كل عشية على غفـلات الزين والمتجمـل
وجوها لوان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

وقال المسعودى

ان الـكرام مناهبوك المـ ـجد كلهـم فناهب
أخاف وأتلف كل شيـ ـىء زعزعته الريح ذاهب

قال قام شـداد بن أوس وقد أمره معاوية ان ينتقص عليا فقال الحمد لله الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عنـد أهل التقوى آثر من رضى خلقه ، على ذلك مضى أولهم ، وعليـه يمضى آخرهم ، أيها النـاس ان الآخرة وعـد صادق ، يحكم فيها ملك قادر وان الدنيـا عرض حاضر ، يأكل فيها البر والفاجر ، وان السامع المطيع لله لاحجة عليـه ، وان السامع العـاصى لله لاحجة له ، وان الله اذا أراد بالعباد صـلاحا عمـل عليهم صلحاؤهم وقضى بينهم فقهاؤهم وملك المـال سمحاؤهم ، واذا أراد بهم شرا عمل عليهم سفهاؤهم وقضى فيهم جهلاؤهم وملك المـال بخـلاؤهم ، وان من صـلاح الولاة ان يصلح قرناؤها ، ونصح لك يامعـاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالبـاطل ، قال اجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال قال ان كان من مالك الذى تعهدت جمعـه مخافـة تبعته فاصبته حـلالا وأنفقته افضالا فنعم ، وان كان مما شاركك فيـه المسلمون فاحتجنته دونهم فاصبته اقـترافا وأنفقته اسرافا فان الله يقول فى كتابه ان المبـذرين كانوا اخوان الشيـاطين ، وأذن معاوية للاحنف بن قيس وقـدوا فى معاوية محمد بن الاشعث فقدمه عليـه فوجد من ذلك محمد بن الاشعث وأذن له فـدخل فجلس بين معاوية والاحنف فقـال معاوية انا والله ماأذنا له قبلك الاليجلس الينا دونك ومارأيت أحـدا يرفع نفسه فوق قـدرها الامن ذلة يجـدها وقـد فعلت فعـل من أحس من نفسـه ذلا وضعة ، وانا كما نملك أموركم نملك تأديبكم فاريدوا منا مانريده منكم فانه أبقى لكم والاقصرنا كم كرها فكان أشـد عليكم وأعنف بكم ، وقال معاوية لرجـل من أهل سبأ ما كان أجهـل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقـال بل قومك أجهـل قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم الى الحق وأراهم البينات ، اللهم ان كان هذا هو الحق من عنـدك فامطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم ، ألا قالوا اللهم ان كان هذا

هو الحق من عندك فاهدنا له ، قال ولما سقطت ثنيتا معاوية لف وجهه بعمامة ثم خرج الى الناس فقال لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلى وانى لأرجوان أكون منهم ، ولئن عوقبت لقد عوقب الخاطئون قبلى وما آمن أن كون منهم ، ولئن سقط عضوان منى لما بقى أكثر ولوأتى على نفسى لما كان لى عليه خيار تبارك وتعالى فرحم الله عبدا دعا بالعافية فوالله لئن كان عتب علىَّ بعض خاصتكم لقد كنت حدبا على عامتكم ، ولما بلغت معاوية وفاة الحسن بن على رضى تعالى عنهما دخل عليه ابن عباس فقال له معاوية أجرك الله أبا العباس فى أبى محمد الحسن بن على ، ولم يظهر حزنا ، فقال بن عباس انا لله وانا اليه راجعون ، وغلبه البكاء فرده ثم قال لا يسدو الله مكانه حفرتك ولايزيد موته فى أجلك والله لقد أصبنا بمن هو أعظم منه فقدا فما ضيعنا الله بعده ، فقال له معاوية كم كانت سنه قال مولده أشهر من أن تتعرف سنه ، قال احسبه ترك أولادا صغارا قال كلنا كان صغيرا فكبر ، ولئن اختار الله لابى محمد ماعنده وقبضه الى رحمته لقد أبقى الله أباعبد الله وفى مثله الخلف الصالح ، الاصمعى عن أبان بن تغلبة قال مررت بامرأة بأعلى الارض و بين يديها ابن لها يريد سفرا وهى توصيه فقالت اجلس امنحك وصيتى و بالله توفيقك ، وقليل اجدائه عليك أنفع من كثير عقلك ، أياك والنمائم فانها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضا للرماة فان الهدف اذا رمى لم يلبث ان ينثلم ، ومثل نفسك مثالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه ، ومن كانت مودته بشره كان كالريح فى تصرفها ، ثم نظرت فقالت كأنك ياعراقى أعجبت بكلام أهل البدو ، ثم قالت لابنها اذا هززت فهز كريما فان الكريم يهتز لهزتك ، واياك واللئيم فانه صخرة لاينفجر ماؤها ، واياك والعذر فانه أقبح ماتعومل به ، وعليك بالوفاء ففيه النماء ، وكن بما لك جوادا وبدينك شحيحا ، ومن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلة ريطتها وسربا لها انهض على اسم الله ، وقال اعرابى لرجل مطله فى حاجة ان مثل الظفر بالحاجة تعجيل اليأس منها اذا عسر قضاؤها ، وان الطلب وان قل أعظم قدرا من الحاجة وان عظمت والمطل من غير عسر آفة الجود ، خطب الفضل الرقاشى الى قوم من بنى تميم فخطب لنفسه فلما فرغ قام اعرابى منهم فقال توسلت بحرمة وأوليت بحق واستندت الى خير ودعوت الى سنة ففرضك مقبول وماسألت مبذول وحاجتك مقضية ان شاء الله تعالى ، قال الفضل لوكان الاعرابى حمد الله فى أول كلامه وصلى على النبى صلى

الله تعالى عليـه وسلم لفضحنى يومئذ ، المدائنى قال قال المنذر بن المنذر لما حارب غسان بالشام لابنه النعمان يوصـيه اياك واطراح الاخوان واطراف المعرفـة واياك وملاحاة الملوك وممازحة السفيه ، وعليك بطول الخلوة والاكثار من السمر والبس من القشر ١ مايزينك فى نفسك ومروأتك ، واعلم ان جماع الخير كله الحياء فعليـك به وتواضع فى نفسك وانخدع فى مالك ، واعلم ان السكوت عن الامر الذى لايعنيك خـير من الـكلام فاذا اضـطررت اليـه فتحـر الصـدق والايجاز تسـلم ان شاء الله تعالى

*( كلام بعض من عزى بعض الملوك )*

قال ان الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولابد مما هو كائن ، وقـد جاء مالايرد ولاسبيل الى رد ماقـد فات وقـد أقام معك ماسـيذهب أوستتركه فما الجزع مما لابد منـه وماالطمع فيما لايرجى وماالحيلة فيما سينقل عنـك أوتنقل عنه ، وقـد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفـرع بعـد ذهاب الاصـل ، أفضـل الاشياء عند المصائب الصبر وانما أهل الدنيا سَفْرٌ لايحـلون الركائب الافى غيرها ، فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير ، فاعتبر بمن رأيت من أهل الجزع فان رأيت الجزع رد أحدا منهم الى ثقة من درك فما أولاك به ، واعلم ان أعظم من المصيبة سوء الخلف منها فاتق فان المرجع قريب ، واعلم انه انما ابتلاك المنم وأخذ منك المعطى وما ترك أكثر ، فان نسيت الصبر فلا تنس الشـكر وكلا فلا تدع واحذر من الغفلة استلاب النعم وطول الندامة فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غدا ، فاستقبل المصـيبة بالحسـبة تسـتخلف بها نعما فانما نحن فى الدنيا غرض ينتضـل فينا بالمنايا ونهب للمصائب ، مع كل جرعة شرق ومع كل أكلـة غصص لاتنـال نعـمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل مُعَمَّرٌ يومامن عمره الابهدم آخر من أجله ، ولا تحدث له زيادة فى أكله الابنفاد ماقبله من رزقه ولا يحيي له أثر الامات له أثر ونحن ، أعوان الحتوف على أنفسنا وأنفسنا تسوقنا الى الفناء فمن اين نرجوا البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الااسرعا الـكرة فى هدم مارفعا وتفريق ماجمعا فاطلب الخـير من أهله واعلم ان خيرا من الخير معطيه وشر من الشر فاعله وقال أبو نواس

---

١ القشر بالـكسر كل ملبوس

اتتبع الظرفاء اكتب عنهم　　كيما أحدث من أحب فيضحكا

وقال آخر

قدرتُ فلم أترك صلاح عشيرتى　　وما العفو الا بعد قدرة قادر

وقال آخر

أخو الجد إن جد الرجال وشمروا　　وذو باطل ان كان في القوم باطل

قبيضة بن عمر المهلبي ان رجلا أتى ابن أبى عيينة فسأله ان يكتب الى داود بن يزيد كتابا ففعل وكتب فى أسفله

ان امرأ قذفت اليك به　　في البحر بعض مراكب البحر

تجرى الرياح به فتحمله　　وتكف أحيانا فلا تجري

ويرى المنية كلما عصفت　　ريح به للهول والذُّعر

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ماوجد أحد فى نفسه كبرا الامن مهانة يجدها فى نفسه ، ودخل رجل من بنى مخزوم وكان زبيريا ، على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك أليس قدردك الله على عقبيك ، قال أومن رداليك فقدرد على عقبيه ، فاستحى وعلم انه قد أساء ، وقال المخيل

اذا أنت لاقيت الرجال فلاقهم　　وعرضك من غث الامور سليم

وقال النضر بن خالد

كبره يبلغ الكواكب الا　　انه فى مروءة البقال

وقال خداش بن زهير

الناس تحتك أقدام وأنت لهم　　رأس فكيف يسوى الرأس والقدم

انا لنعلم آنا مابقيتَ لنا　　فينا السماح وفينا الجود والكرم

وحسبنا من ثناء المادحين اذا　　أثنوا عليك بان يثنوا بما علموا

وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت قريش تالف منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه لخصلتين للعلم والطعام ، فلما أسلم أسلم عامة من كان مجالسه ، قال

الاصمعى وقف أعرابى يسال فقال

الافـتى أروعُ ذو جمال　　من عرب الناس أوالموالى
يعينـنى اليوم على عيالى　　قد كثروا همى وقل مالى
وساقهم جدب وسوء حالى　　وقد مللت كثرة السؤال

وقال اعرابى

ياابن الـكرام والدا وولدا　　لاتحرمنَّ سائلا تعمدا
أفقره دهرٌ عليـه قدعدا　　من بعدما كان قديما سيدا

وقال اعرابى اللهم انى أسالك قلبـا توابا أوَّاباً لا كافرا ولا مرتابا ، وهب رجـل لاعرابى شيأ فقال جعل الله للخير عليك دليلا وجعل عنـدك رفـدا جزيلا وأبقاك بقـاء طويلا وأبلاك بلاء جميـلا ، ووقف اعرابى على قوم فمنعوه فقال اللهم اشغلنـا بذكرك وأعـذنا من سخطك وأولجنا الى عفوك فقد ضن خلقك برزقك فلا تشغلنـا بمـا عنـدهم عن طلب ماعندك وآتنا من الدنيا القنعان [1] وان كان كثيرها يسخطك فلا خـير فيما يسخطك ، الاصمعى قال سممت اعرابيـا يدعو وهو يقول اللهم اغفرلى اذا الصحف منشورة والتوبة مقبولة قبـل أن لا أقـدر على استغفارك حين ينقطع الامل ويحضر الاجـل ويفنى العمل ، وقال سمعت اعرابيا يدعو وهو يقول اللهم ارزقنى مالا أكبت به الاعداء ، وبنين أصول بهم على الاقوياء ، وكان منادى سعد ابن عبـادة يقول على أطمه من أراد خبزا ولحـا فليأت أطم [2] سـعد ، وخلفـه قيس بن سـعد ابنـه وكان يفعل كفعله فاذا أكل الناس رفع يده الى السماء وقال اللهم انى لاأصلح على القليـل ولايصلح القليـل لى اللهم هب لى حمدا ومجـدا فانه لاحمد الابفعال ولامجـد الا بمـال ، وقال اعرابى اللهم ان لك على حقوقا فتصدق بها علىّ وللناس على حقوقا فأدها عنى وقـد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك فاجعـل قراى فى هذه الليلة الجنة ، ووقف أعرابى على قوم يسألهم فانشأ يقول

هل من فتى عنده خفانِ يحمانى　　عليهما إننى شيـخ على سفر

---

[1] القنعان بالضم : الرضى بالذى يقنعه ويستوى فيـه المذكر والمونث والواحـد والجمع [2] الاطم بضم فسكون وبضمتين القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح

أشكو الى الله أهوالا أمارسها من الصُّداع وأني سَيء البَصرِ
إذا سَرى القومُ لم أُبصِر طريقهم إن لم يكن عندهم ضوءٌ من القمر

الاخفش قال خرج اعرابى يطلب الصدقة ومعه ابنتان له فقالت ابنته لما رأت امساك الناس عنه

يا أيها الراكبُ ذو التعريسِ (١) هَل فيكم مِن طارِدٍ للبُوسِ
عن ذي هُداج (٢) بيِّنِ التقويس بفضلِ سِربالٍ له دريسِ
أو فاضلٍ من زادِهِ خسيس أثابهُ الرحمنُ بالنفيس

و وقف سائل على الحسن فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أوآسى من كفاف أوآثر من قلة ، وقال الطائى

فتىً كلما فاضت عيونُ قبيلةٍ دماً ضحكت عنه الاحاديثُ والذكرُ
فتىً مات بين الطعنِ والضربِ ميتةً تقومُ مقامَ النصرِ إذ فاته النصرِ

وقال

بكرٌ اذا ابتسمت أراكَ وميضُها نورَ الأقاحِ برملةٍ ميعاسِ (٣)
وإذا مشت تركت بصدرك ضعفَ ما بحُليِّها من كثرة الوَسواسِ (٤)
قالت وقد حُمَّ الفراقُ فكأسُه قد خولطَ السَّاقي بها والحاسي
لاتنسَيَنْ تلك العهُودَ فانما سُمِّيتَ إنسانا لأنكَ ناس
هدأت على تأميل أحمدَ همتي وأطاف تقليدي بها وقياسي
نورُ العَرارة (٥) نورُه ونسيمُه نشرُ الخزامَى فى اخضرار الآس

---

١ التعريس نزول القوم آخر الليل للاستراحة والبوس بالتخفيف البؤس بالهمز ٢ الهداج كغراب مشية الشيخ الفانى والدريس البالى الخلق ٣ ميعاس صيغة مبالغة من المعس وأصله الدلك الشديد ثم يستعار لقوة المطر وكثرة دنقه بالارض فلعله أراد برملة نزل بها مطر كثير ٤ الوسواس بالفتح صوت الحلى على المرأة ٥ العرار كسحاب نبت طيب الرائحة والخزامى كحبارى نبت زهره أطيب الازهار

اقدامُ عمرو في سَمَاحـةِ حاتِم　　في حلم أحنفَ في ذكاءِ إياسِ
لاتُنـكرُوا ضَرْبِي له منْ دُونَهُ　　مثلاً شَرُوداً في النَّدَى والباسِ
فاللهُ قـدضَرَبَ الاقـلَّ لِنُورِه　　مَثَلاً من المِشْكاةِ والنِّبرَاسِ

وقال

احفَظْ وسائلَ شِعرٍ فيكَ ماذَهَبَتْ　　خَواطِرُ البَرْقِ إلادُون ماذَهَبا
يَغْدُونَ مُغترِبات في البِلادِ فَما　　يَزَلنَ يُؤنِسنَ في الآفاقِ مُغترِبا
ولاتُضِعْها فَما في الأرضِ أحسنُ من　　نَظْمِ القَوافي إذا ماصادفَتْ أدَبا

اسر رؤبة في بعض حروب تميم فمنع الكلام فجعل يصرخ ياصباحاه ويابني تميم اطلقوا من لساني ، وربما قال الشاعر في هجائه قولا لايعيب به المهجو فيمتنع من فعله المهجو وان كان لايلحق فاعله ذم ، وكذلك اذا مدحه بشيء أولع بفعله وان كان لايصير اليه بفعله مدح ، فمن ذلك تقدم كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث الى عبد الملك بن عمير وهو على قضاء الكوفة تخاصم أهلها فقضى لها عبد الملك على أهلها فقال هذيل الاشجعي

أتاهُ وَليدٌ بالشُّهودِ يَقُودُهُمْ　　على ماأدَّعي من صامتِ المالِ والخَوَلْ
وَجاءتْ اليـه كَلْثَمٌ وكلامُهـا　　شِفاءٌ من الداءِ المُخامِرِ والخَبَلْ
فأدلى وَليدٌ عندَ ذاكَ بحقِّهِ　　وكانَ وليدٌ ذا مراءٍ وذا جَدَلْ
وكانَ لهـا دَلٌّ وعَيْنٌ كَحيـلَةٌ　　فادْلَتْ بحُسْنِ الدَلِّ منها وبالكَحَلْ
فَفتَّنَتِ القِبْطيَّ حتَّى قضَى لَهَا　　بغَيْرِ قَضَاءِ اللهِ في السُّورِ الطولْ
فَلَوْ كانَ من بالقَصرِ يَعلَمُ عِامِهَ　　لَمااستُعْمِلَ القِبْطيُّ فينَا على عَمَلْ
لهُ حِينَ يَقضي للنِّساءِ تَخاوُصٌ (١)　　وكانَ ومافيه التَّخاوُصُ والحَوَلْ
اذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمَتـهُ بحاجَةٍ　　فَهَـمَّ بأن يَقضِي تَنَحنَحَ أو سَعَلْ

---

١ التخاوص ان يغض الانسان من بصره شيأ وهو في ذلك يحدق النظر كأنه يقوم قدحا

وَبرّقَ عَينيـــهِ وَلاكَ لِسَانَه　　يَرِي كُلَّ شَيء ماخلاشخصهاجَلَلْ

قال فقال عبد الملك أخزاه الله لربما جاءتنى السعلة أوالتنحنحة وأنا فى المتوضأ فاذكر قوله فاردها لذلك ، وزعم الهيثم بن عدى عن أشياخه ان الشاعر لما قال فى شهر بن حوشب

لَقد باعَ شهرٌ دِينَه بخَريطَةٍ　　فمَنْ يأمن القُرّاء بعدكَ ياشهرُ

مامس خريطة حتى مات ، وقال رجل من بنى تغلب وكان ظريفا ، مالقى أحد من تغلب مالقيت أنا ، قلت وكيف ذاك قال قال الشاعر

لاتَطلُبنّ خُؤُولَةً من تَغلِبٍ　　فالزّنجُ أكرمُ منهم أخوالا

لوانّ تغلِبَ جمعتَ أحسابَها　　يَومَ التفاخرِ لم يزِنْ مِثقالا

تَلقاهم حُلَمَاءَ عنْ أعدائِهم　　وعلى الصّديق تَراهُمُ جُهّالا

والتّغلَبيُّ إذا تَنَحنَحَ للقِرَى　　حكّ استَه وتمثّلَ الأمثالا

والله انى لاتوهم ان لونهشت أستى الافاعى ماحككتها ، وكان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب وهم اليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بايامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر ، والذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه وهجاهم قوم فردوا عليهم فافحموهم وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عمن هجاهم رغبة بانفسهم عن الرد عليهم ، وهم فى الاسلام جرير والفرزدق والاخطل وفى الجاهلية زهير وطرفة والاعشى والنابغة هذا قول أبى عبيدة ، وزعم أبو عمرو بن العلاء ان الشعر فتح بامرئ القيس وختم بذى الرمة ، ومن الشعراء من يحكم القريض ولايحسن من الرجز شيأ ، فى الجاهلية منهم زهير والنابغة والاعشى ، وأما من يجمعهما فامرؤ القيس وله شىء من الرجز ، وطرفة وله كمثل ذلك ، ولبيد وقد أكثر ، ومن الاسلاميين من لايقدر على الرجز وهو فى ذلك يجيد القريض ، كالفرزدق وجرير ، ومن يجمعهما كأبى النجم وحميد الارقط والعمانى و بشار بن برد ، وأقل من هؤلاء يحكم القصيد والارجاز والخطب ، وكان الكميت والبعيث والطرماح

شعراء خطباء وكان البعيث أخطبهم ، وقال يونس ان كان مغلبا [١] فى الشعر لقد كان أغلب فى الخطب واذا قالوا غلب فهو الغالب ، وقال الحسين بن مطير الاسدى

فياقبرَ معن كنتَ أول حفرة ... من الأرض خُطَّتْ للمكارم مَضْجعا
فلما مضى مَعْنُ مضى الجودُ والنَّدى ... وأصبحَ عرنينُ المكارِم أجْدَعا
فتى عيشَ في مَعروفه بعد موته ... كما كانَ بعدَالسيْلِ مجراه مَرْتَعا
تعزَّ أبا العباسِ عنه ولا يَكن ... جَزاؤُكَ من مَعنٍ بان تتضعضعا
فما مات من كنتَ ابنه لاولاالذى ... له مثلُ ماسَدَّا أبوكَ وماسَعا
تمنّى أناسٌ شأوَهُ منْ ضَلالِهم ... فأضحَوْا على الاذقانِ صَرْعى وَظُلّعا

وقال مسلم الانصارى يرثى يزيد بن مزيد

قبرٌ ببرذَعة [٢] استسَرَّ ضَريحهُ ... خَطَرا تَقاصرُ دُونَهُ الأخْطارُ
أبقَى الزمانُ على مَعدٍّ بعده ... حزْناً لعمْرُ الدّهر ليس يُعَارُ
نفضتْ بك الآمالُ أحلاسَ الغنى ... واسترجعَتْ نُزّاعَها الامصارُ
فاذهبْ كما ذهبتْ غوادِى مزنةٍ ... أثنيَ عليها السَّهلُ والأوعارُ

وقال هاشم الرقاشى

أبلغ أبا مسمع عني مُغَلْغَلةً ... وفى العتَاب حياةٌ بينَ أقوام
قدّمت قبلى رجالاً لم يكُنْ لهُمُ ... فى الحقِّ أن يلجُوا الابوابَ قُدَّامى
لوعدَّ قبرٌ وقبرٌ كنتُ أكرَمهم ... قبرا وأبعدَهم من منزلِ الذامِ
حتى جعلتُ اذا ماحاجةٌ عرَضتْ ... بباب قصْرِكَ أدلوُها بأقوام

وقال الابيرد الرياحى يرثى أخاه

---

[١] المغلب بصيغة اسم المفعول المغلوب مرار [٢] البرذعة بلد بأذربيجان واهمال ذاله اكثر وتقدمت هذه الابيات هى ومابعدها فى غير هذا المكان وكثيرا مايفعل الجاحظ هذا وربما غير فى الابيات فقدم أوأخر ولعل هذا كان اتكالا على حفظه

فتى إنْ هو استغنى تخرّق (١) في الغنى ... وان قلّ مالٌ لم يؤُدْمتنهُ الفقرُ
وسامى جسيمات الامور فنالها ... على العُسرِ حتي يدركَ العسرةَ اليُسْرُ
تَرَي القومَ فى العزّاء (٢) ينتظرونه ... اذا شكَّ رأيُ القومِ أو حزبَ الأمرُ
فليتك كنتَ الحى في الناس باقيا ... وكنتُ أنا الميتَ الذى غيبَ القبرُ
لقد كنتُ أستعفى الاله إذا اشتكى ... من الاجرِ لى فيهِ وان سَرنى الأجرُ
وأجزعُ أن ينأىَ به بينُ ليلةٍ ... فكيفَ ببينٍ صار ميعادَه الحشرُ

وقال أبوعبيدة أنشدنى رجل من بنى عجل

وكنتُ أعيرُ الدمعَ قبلك من بكا ... فأنت على من مات بعدكَ شاغلهْ
لقد رحَل الحىُّ المقيمُ وودَّعوا ... فتى لم يكن بازائهِ مَنْ يُنازله
ولم يكُ يخشَي الجارُ منه اذا دنا ... أذاه ولايخشى الحريمةَ (٣) سائلهْ
فتى كان للمعروف يبسطُ كفَّهُ ... اذا قبضَتْ كفُّ البخيلِ ونائلهْ

قال دخل معن بن زائدة على أبى جعفر المنصور فقارب فى خطوه فقال المنصور لقد كبرت سنك ، قال فى طاعتك قال وانك لجلد ، قال على أعدائك ، قال وأرى فيك بقية ، قال هى لك ، قال كتب عبد الملك بن مروان الى عمرو بن سعيد الاشدق حين خرج عليه ، أمابعد فان رحمتى لك تصرفنى عن الغضب عليك لتمكن الخدع منك وخذلان التوفيق اياك ، نهضت باسباب وهمتك اطماعك ان تستفيد بها عزا كنت جديرا لواعتدلت أن لاتدفع بها ذلا ، ومن رحل عنه حسن النظر واستوطنته الامانى ملك الحين تصريفه واستترت عنه عواقب أمره ، وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ونهض بمثل أسبابك أنه أسير غفلة وصريع خدع ومغيض ندم ، والرحم تحمل على الصفح عنك مالم تحامل بك عواقب جهلك وتزجر عن الايقاع بك ، وأنت ان ارتدعت كنت فى كنف وستر والسلام ، فكتب اليه عمرو أما بعد فان استدراج النعم اياك أفادك البغى ، ورائحة القدرة أورثتك الغفلة ، زجرت عما

١ التخرق التوسع فى السخاء ٢ العزاء السنة الشديدة ٣ الحريمة الحرمان والمنع

واقعت مثله ، وندبت الى ماتركت سبيله ، ولو كان ضعف الاسباب يؤيس الطلاب ماانتقل سلطان ولاذل عزيز ، وعن قليل تتبين من أسير الغفلة وصريع الخدع ، والرحم تعطف على الابقاء عليك مع دفعك عمّا غيرك أقوم به منك والسلام ، قال أبو الحسن كتب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن الوليد بن عبد الملك أمابعد فانك كتبت تذكر أن عاملا أخذ مالك بالحمية ١ وتزعم انى من الظالمين ، وان أظلم منى وأترك لعهد الله من أمرّك صبيا سفيها على جيش من جيوش المسلمين لم تكن له فى ذلك نية الاحب الوالد لولده ، وان أظلم منى وأترك لعهد الله لانت ، فانت عمر بن الوليد وأمك صناجة ٢ تدخل دور حمص وتطوف فى حوانيتها ، رويدك ان لوقد التقت حلقتا البطان لحملتك وأهل بيتك على المحجة البيضاء ، فطالما ركبتم بنيات ٣ الطريق ، مع انى قد هممت ان أبعث اليك من يحلق دلادلك ٤ فانى أعلم انها من أعظم المصائب عليك والسلام ، قال أبو الحسن كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة كثير التعاهد لولاته فبلغه ان عاملا من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه اليه فلما دخل عليه قال له أقبلت هدية منذ وليتك ، قال يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال ، قال أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك ، قال نعم ، قال لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للئيم ، ولئن أنلت مهديك لامن مالك أواستكفيته مالم يكن يستكفاه انك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك ان تعوض المهدى اليك من مالك وقبلت ماأتهمك به عند من استكفاك و بسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك انك لجاهل ومافيمن أتى أمراً لم يخلُ فيه من دناءة أوخيانة أوجهلٍ مُصْطَنَعٌ ، نحياه عن عمله ، قال أبو الحسن عرض اعرابى لعتبة بن أبى سفيانَ وهو على سكة فقال أيها الخليفة ، قال لستُ به ولم تبعد قال ياأخاه قال أسمعتَ فقل ، قال شيخ من بنى عامر يتقرب اليك بالعمومة ويختص بالخؤلة ويشكو اليك كثرة العيال ووطأة الزمان وشدة فقر وترادف ضر وعندك مايسعه ويصرف عنه بؤسه ، قال استغفر الله منك واستعينه عليك ، قدأمرت لك بغناك وليت إسراعى اليك يقوم بابطائى عنك ، وقال اعرابى يعيب قوما هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم وأكثرهم جرما الى أصدقائهم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء ، وقال مجاعة بن مرار

١ الحمية بالكسر ماحمى من شيء ومنع الناس منه ٢ صناجة بفتح الصاد وتشديد النون لعله يريدانها مغنية ٣ بنيات الطريق على صيغة المصغر وهى الترهات ٤ دلادلك . جمع دلدال بالكسر وهو تحريك الرأس والاعضاء فى المشى وأراد بحلقها ازالتها منه واستئصالها كما يحلق الشعر وكنى بذلك عن خيلائه

لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله وكان المال عند من لا ينفقه ضاعت الامور ، الأصمعى قال نعت اعرابى رجلا فقال كأن الالسن والقلوب ريضت له فما تنعقد الاعلى وده ولا تنطق الا بثنائه ، وقال أعرابى وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل ، أتى اعرابى عمر بن عبد العزيز فقال ، رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة والله يسألك عن مقامى غدا ، فبكى عمر ، وقال الشاعر

ومن يبقِ مالاً عُدّة وصيانةً ... فلا البخلُ مُبقيهِ ولا الدهرُ وافِرُهْ
ومن يك ذا عود صليب يُعِدُّهُ ... ليكسر عود الدهر فالدّهر كاسِرُهْ

وقال أبان بن الوليد لاياس بن معاوية انا أغنى منك ، فقال أياس بل أنا أغنى منك ، قال أبان وكيف ولى كذا وكذا وعدّد أموالا ، قال ان كسبك لا يفضل عن مؤنتك وكسبى يفضل عن مؤنتى ، وكان يقال حاجب الرجل عامله على عرضه ، وقال أبو الحسن رأيت امرأة أعرابية غمضت ميتا وترحمت عليه ثم قالت ماأحق من ألبس العافية واطيلت له النظرة أن لا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته والحيالة بينه وبين نفسه ، وقال ابن الزبير لمعاوية حين أراد أن يبايع لابنه يزيد أتقدم ابنك على من هو خير منه ، قال كأنك تريد تقسك إن بيته بمكة فوق بيتك ، قال ابن الزبير ان الله رفع بالاسلام بيوتا فبيتى مما رفع ، قال معاوية صدقت وبيت حاطب بن أبى بلتعة ، وقال عاتب اعرابى أباه فقال ان عظيم حقك علىّ لا يذهب صغير حقى عليك والذى [١] تمتُّ الىّ به أمُتُّ بمثله اليك ولست أزعم أنا سواء ولكنى اقول لا يحل لك الاعتداء ، قال مدح رجل قوما فقال أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به مسافة آجالهم فاحسنوا المقال وشفعوه بالفعال ، وقال بعض الحكماء التواضع مع السخافة والبخل أحمد عند العلماء من الكبر مع السخاء والادب ، فاعظمْ بحسنة عفتْ على سيئتين وأفظعْ بعيب أفسد من صاحبه حسنتين ، وقيل لرجل (أراهُ خالد بن صفوان) مات صديق لك فقال رحمة الله عليه لقد كان يملأ العين جمالا والأذن بيانا ولقد كان يرجى فلا يخشى ويغشى فلا يغشى ويعطى ولا يعطى قليلا لدى الشرّ حضورهُ ، سلما للصديق

---

١ والذى تمت الى به . يقال مت بكذا : توسل به والمت التوسل بالقرابة

ضميره ، وقام اعرابى ليسأل فقال أين الوجوه الصباح ، والعقول الصحاح ، والالسن الفصاح ، والانساب الصراح ، والمكارم الرباح ، والصدور الفساح ، تعيذنى من مقامى هذا ، ومدح بعضهم رجلا فقال ما كان أفسح صدره ، وأبعد ذكره ، وأعظم قدره ، وأنفذ أمره ، وأعلى شرفه ، وأربح صفقة من عرفه ، مع سعة الغناء ، وعظم الاناء ، وكرم الآباء ، وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان والله ما علمتك إلا أنك كثير المعونة قليل المؤنة فجزاك الله خيرا ، فقال صعصعة وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك فانك ماعلمت بالله عليم والله فى عينك عظيم ، قال أبو الحسن أوصى عبد الملك بن صالح ابنا له فقال أى بنى أحلم فان من حلم ساد ، ومن تفهم ازداد ، وألقَ أهل الخير فان لقاءهم عمارة للقلوب ، ولا تجمح بك مطية اللجاج وفيك من أعتبك ، والصاحب المناسب لك ، والصبر على المكروه يعصم القلب ، المزاح يورث الضغائن ، وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الاسراف ، والاقتصاد يثمر القليل ، والاسراف يبير الكثير ، ونعم الحظ القناعة ، وشر ماصحب المرء الحسد ، وما كل عورة تصاب ، وربما ابصر العَمِىُّ رشده وأخطا البصير قصده ، واليأس خير من الطلب الى الناس ، والعفة مع الحرْفة خير من الغنى مع الفجور ، ارفق فى الطلب . واجمل فى المكسب ، فانه رب طلب ، قد جر الى حرب ، ليس كل طالب بنجح ولا كل ماجٍ محتاج ، والمغبون من غبن نصيبه من الله ، عاتب من رجوت عتباه ، وفاكه من أمنت بلواه ، لاتكن مضحا كامن غير عجب ، ولا مشاء الى غير أرب ، ومن نأى عن الحق أضاق مذهبه ، ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله ، لايكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه انما سعى فى مضرته ونفعك ، وعود نفسك السماح ، وتخير لها من كل خلق أحسنه ، فان الخير عادة والشر لجاجة ، والصدود آية المقت ، والتعالى آية البخل ، ومن الفقه كتمان السر ، ولقاح المعرفة دراسة العلم ، وطول التجارب زيادة فى العقل ، والقناعة راحة الابدان ، والشرف التقوى ، والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه ، بالعقل تستخرج الحكمة ، وبالحلم يستخرج غور العقل ، ومن شمر فى الامور ، ركب البحور ، شر القول مانقض بعضه بعضا ، ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب ، من أطال النظر بارادة تامة أدرك الغاية ، ومن توانى فى نفسه ضاع ، من أسرف فى الامور انتشرت عليه ومن اقتصد اجتمعت له ، واللجاجة تورث الضياع للامور ، غبُّ الادب أحمد من ابتدائه ، مبادرة الفهم

تورث النسيان . سؤ الاستماع يعقب العى . لاتحدث من لايقبل بوجهه عليك . ولاتنصت لمن لاينمى بحديثه اليك . البلادة للرجل هجنة . قلّ مالكٌ الا استاثر . وقل عاجز الا أخر . الاحجام عن الامر يورث العجز . والاقدام عليها يورث اجتلاب الحظ . سوء الطعمة يفسد العرض . ويخلق الوجه ويمحق الدين . الهيبة قرين الحرمان والجسارة قرين الظفر . وَفِيُّكَ من أنصفك . وأخوك من عاتبك . وشريكك من وفى لك . وصفيك من آثرك . أعدى الاعداء العقوق . اتباع الشهوة يورث الندامة . وفوت الفرصة يورث الحسرة . جميع أركان الادب التأنى للرفق . أكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لاتجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضا . لاتساعد النساء فيملانك . واستبق من نفسك بقية فانهن ان يرين انك ذواقتدار خير من ان يطلعن منك على انكسار . لاتملك المرأة الشفاعة لغيرها فتميل من شفعت لها عليك معها . أىْ بنى انى قد اخترت لك الوصية ومحضتك النصيحة وأديت الحق الى الله فى تاديبك فلا تغفلن الأخذ باحسنها والعمل بها والله موفقك ، قال الغنوى احتضر رجل منا فصاحت ابنته ففتح عينيه وهو يكيد بنفسه فقال

عَزاءً لاأْبالكِ إنَّ شَيأً ‖ تَوَلَّى لَيْسَ يَرْجِعُهُ الحَنِينُ

وقال بعض الشعراء

وما إنْ قَتَلْناهُمْ بأكْثَرَ مِنْهم ‖ ولكنْ باوفى بالطعانِ وأكرما

المدائنى قال كان يقال اذا انقطع رجاؤك من صديقك فالحقه بعدوك . وقال عبد الملك بن صالح لايكبرن عليك ظلم من ظلمك فانما سعى فى مضرته ونفعك . وقال مصعب بن الزبير التواضع أحد مصائد الشرف . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اياك ومؤاخاة الاحمق فانه ربما أراد ان ينفعك فضرك . وكانوا يقولون عشر فى عشرة هى فيهم أقبح منها فى غيرهم الضيق فى الملوك والغدر فى ذوى الاحساب والحاجة فى العلماء والكذب فى القضاة والغضب فى ذوى الالباب والسفاهة فى الكهول والمرض فى الاطباء والاستهزاء فى أهل البؤس والفخر فى أهل الفاقة والشحّ فى الاغنياء . ووصف بعض الاعراب فرسا فقال قد انتهى ضموره . وذبل فريره [1] وظهر حصيره . وتفلقت غروره .

[1] الفرير كأمير موضع المجسة من معرفة الفرس . والحصير عرق يمتد معترضا على جنب الدابة الى ناحية بطنها

واسترخت شاكلته . يقبـل بزور الاسـد ويدبر بعجز الذنب . ومات ابن لسليمان ابن على فجزع عليه جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب وجعـل الناس يعزونه فلايحفل بذلك فدخـل عليـه يحيى بن منصور فقال عليكم نزل كتاب الله فانتم أعلم بفرائضه ومنكم كان رسول الله صـلى الله عليـه وسلم فانتم أعرف بسنته ولست ممن يعلم من جهل ولايقوم من عوج . ولكنى أعزيك ببيت من شعر قال هاته قال

وهوّنَ ماألقي مِن الوَجْدِ أنني ... أُسَاكِنُهُ في دارِه اليومَ أو غَدا

قال أعد فاعاد فقال ياغلام الغداء . قال دعا اعرابى فى طريق مـكة فقال هـل من عائد بفضل أومواس من كفاف . فامسـك عنه فقال اللهـم لاتـكلنا الى أنفسـنا فنعجز ولا الى النـاس فنضيع . قال أبو الحسن جاء خلف الاحمر الى حلقة يونس حين مات أبو جعفر فقال

قد طَرقتْ ببِكْرها بنتُ[1] طبقْ ... فقال له يونس ماذا فقـال

فَذَمِّروها خَبَراً ضـخم العنـق ... فقال يونس وما هـذا فقـال

مَوْتُ الامام فِلْقَـةٌ من الفلَقْ

قال أبو الحسن أراد رجل ان يكذب بلالا فقـال له يوما يا بلال ماسن فرسـك قال عظم قال فكيف جريه قال يحضر مااستطاع قال فاين ينزل قال موضعا أضع فيه رجلى : فقال له الرجل لااتعنتك أبدا : قال ودخل رجل على شريح القاضى يخاصم امرأة له فقال السلام عليكم قال وعليكم قال انى رجل من أهل الشام قال بعيد سـحيق . قال وانى قدمت الى بلدكم هذا . قال خير مقدم . قال وانى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين . قال وانها ولدت غلاما . قال ليهنك الفـارس : وقال وقد كنت شرطت لهـا صداقها قال الشرط املك . قال وقد أردت الخروج بها الى بلدى . قال الرجل أحق باهله . قال فاقض بيننا . قال قد فعلت . قال وخرج الحجاج ذات يوم فاصحر [2] وحضر غداؤه فقـال اطلبوا من يتغـدى معى . فطلبوا فاذا اعرابى فى شملة فاتى به . فقال السلام عليكم . قال هلم أيها الاعرابى قال قـد دعانى من هو أكرم منك فاجبتـه . قال ومن هو . قال دعانى الله ربى الى الصوم فأنا صائم. قال وصوم فى مثـل هـذا اليوم

---

١ بنت طبق بالتحريك الداهية . والفلقة بكسر الفاء الداهيـة كالفلق بالكسر ٢ فأصحر : برز الى الصحراء

واسترخت شاكلته . يقبل بزور الاسد ويدبر بعجز الذنب . ومات ابن لسليمان ابن على فجزع عليه جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك فدخل عليه يحيى بن منصور فقال عليكم نزل كتاب الله فانتم أعلم بفرائضه ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم أعرف بسنته ولست ممن يعلم من جهل ولا يقوم من عوج . ولكنى أعزيك ببيت من شعر قال هاته قال

وهوّنَ ماألقي مِن الوَجْدِأنني أُساكنُهُفي دارِهِاليومَأوغدا

قال أعد فاعاد فقال ياغلام الغداء . قال دعا اعرابى فى طريق مكة فقال هل من عائد بفضل أومواس من كفاف . فامسك عنه فقال اللهم لاتكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع . قال أبو الحسن جاء خلف الاحمر الى حلقة يونس حين مات أبو جعفر فقال

قد طَرَقَتْ بِبُكرها بنتُ [1]طبقْ فقال له يونس ماذا فقال
فَذَمِّروها خَبَراً ضخم العنقْ فقال يونس وما هذا فقال
مَوْتُ الامام فِلقَةٌ من الفلَقْ

قال أبو الحسن أراد رجل ان يكذب بلالا فقال له يوما يا بلال ماسن فرسك قال عظم قال فكيف جريه قال بحضر ما استطاع قال فاين ينزل قال موضعا أضع فيه رجلى : فقال له الرجل لاتعنتك أبدا : قال ودخل رجل على شريح القاضى يخاصم امرأة له فقال السلام عليكم قال وعليكم قال انى رجل من أهل الشام قال بعيد سحيق . قال وانى قدمت الى بلدكم هذا . قال خير مقدم . قال وانى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين . قال وانها ولدت غلاما . قال ليهنك الفارس : وقال وقد كنت شرطت لها صداقها قال الشرط املك . قال وقد أردت الخروج بها الى بلدى . قال الرجل أحق باهله . قال فاقض بيننا . قال قد فعلت . قال وخرج الحجاج ذات يوم فاصحر [2] وحضر غداؤه فقال اطلبوا من يتغدى معى . فطلبوا فاذا اعرابى فى شملة فاتى به . فقال السلام عليكم . قال هلم أيها الاعرابى قال قد دعانى من هو أكرم منك فاجبته . قال ومن هو . قال دعانى الله ربى الى الصوم فأنا صائم . قال وصوم فى مثل هذا اليوم

---

١ بنت طبق بالتحريك الداهية . والفلقة بكسر الفاء الداهية كالفلق بالكسر ٢ فأصحر : برز الى الصحراء

## فهرسُ الجزء الثالث

## من كتاب

# البيان والتبيين

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

صحيفة

فهرسُ الجزء الثالث

من كتاب

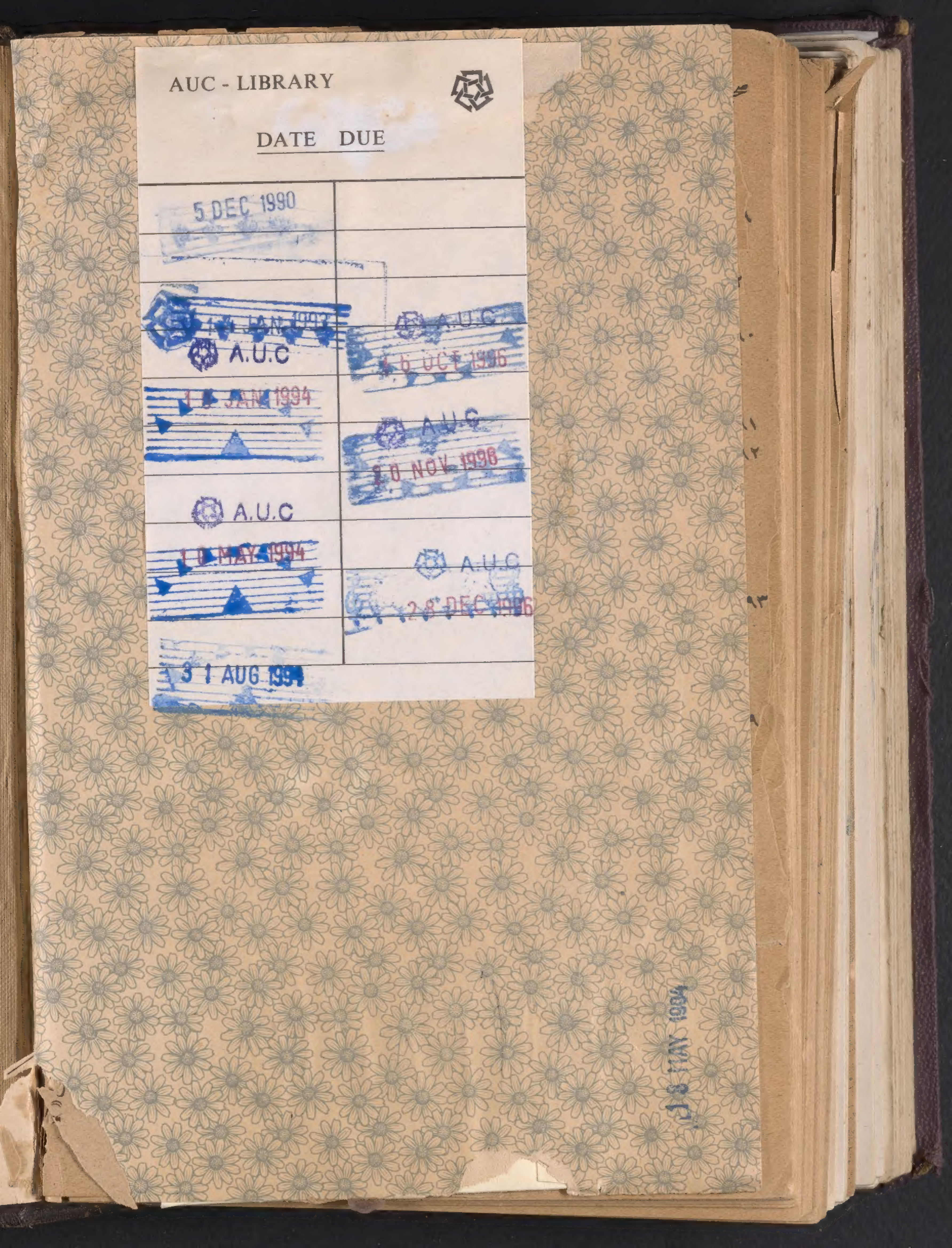
# البيان والتبيين

لابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

صحيفة

آخر الكتاب وآخر الفهرست والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

b.
1.14016977


AUC - LIBRARY
DATE DUE
5 DEC 1990
A.U.C
A.U.C
1 6 OCT 1996
1 6 JAN 1994
A.U.C
A.U.C
2 0 NOV 1996
1 0 MAY 1994
A.U.C
2 8 DEC 1996
3 1 AUG 1994
1 8 MAY 1994



